تاريخ عبّا الاجتماعي

١٨٦٠ - ٢٠١٧


دار الولاء
لصنــــاعة النشـــر
بيروت - لبنان

Mob: 00961 3 689 496 I TeleFax: 00961 1 545 133
info@daralwalaa.com I daralwalaa@yahoo.com
P.O. Box: 307/25 I www.daralwalaa.com

تاريخ عبّا الاجتماعي

١٨٦٠ - ٢٠١٧

المؤلف: د. أحمد هارون.
لوحة الغلاف: الفنانة التشكيلية دلال حسن ترحيني.
الناشر: دار الولاء لصناعة النشر.
الطبعة: الأولى بيروت_لبنان ١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م.
إخراج فني وتنفيذ:
eight press & production
www.8eightproduction.com I 00961 3 017 565

د. أحمد هارون

تاريخ عبّا الاجتماعي

١٨٦٠ - ٢٠١٧



دار الولاء
لصنــاعة النشــر

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

الباب الثالث:

البنية الاقتصادية وعلاقات الإنتاج وتطور قطاعي التعليم والصحة في جبل عامل وعبّا

الإهداء

إلى العبّاويين؛ الأحياءِ منهم والأموات

الذين أدلَوا بمروِيّات أو شاركوا بصنعها

كي لا يتوه تاريخ عبّا بين زحمة الأحداث

إلى جميع الشهداء الذين بذلوا الأنفس لتبقى عبّا

وتستمر عصيةً على الظلم والاحتلال والإرهاب

أُهدي هذا الكتاب

المقدمة

قليلة هي الأبحاث التي تناولت التاريخ الاجتماعي للأرياف اللبنانية. وفي هذا السياق، فإن جُلّ ما كُتب عن تاريخ جبل عامل تحديدًا، ركّز على ما مضى من دور للنخب في أحداث تاريخية عامة أو انخراطها في أنشطة ثقافية وعلمية وفقهية. ولم يُستحضر تاريخ القرى العاملية عن دورة الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والتعليمة والصحية وغيرها؛ بسبب التهميش الذي مورس على الجبل خلال فترة بناء الدولة الوليدة في مرحلتي الانتداب والاستقلال ١٩٢٠-١٩٤٣.

التأريخ علم قادر على استخدام واستكشاف قوانين التطور الاجتماعي وقوانين تطور القوى المنتجة وعلاقات الإنتاج. بمعنًى أوضح تاريخ قوانين التطور الاقتصادي والاجتماعي، تاريخ منتجي الخيرات المادية لا تاريخ الرؤساء وقادة الطوائف، بل تاريخ الناس كل الناس الذين صنعوا تاريخهم بأنفسهم. وعلى قاعدة تاريخ النخب، صدر العديد من المصنفات، ووجدت مخطوطات، إنما عن عائلات المكانة السياسية والإقطاعية، وبعض التراجم والمذكرات لرجال دين وشخصيات عاملية. وصدر في الأدب والشعر دوريات متخصصة تناولت مواضيع تتعلق بتراث الجبل. ولم يمنع ذلك البعض من الكتابة عن رموز ساهمت في عشرينات القرن الماضي بأسلوب أو بآخر في تأسيس دولة لبنان الكبير، وفي ستينات وسبعينات القرن الماضي قيادات دنيوية ودينية في حقبة الاستقلال، ومن ثم الطائف.

مؤخرا تناول بعض الكتّاب تاريخ بلدات عاملية معيّنة بلغ مجموعها ٧٤ كتابًا. لكن عملية التأريخ للأرياف لا يمكن أن تكون علمية من دون الرجوع إلى الوثائق لضبط أحداثها ومساراتها ومحطاتها الهامة. ولا يمكن تصوّر تاريخ علمي للبشرية

من دونها، تقـول الـقاعدة التاريخية الكلاسيكية: «لا تاريخ دون وثائق». إلا أنه في غيابها كليًّا أو جزئيًّا، أو عندما تكون مفتقدة لطابع الشمولية، أوغالبًا ما تبرز دور الشخصيات النخبوية، والأحداث البارزة، وتميل إلى تغييب أشياء عن الناس العاديين، تصبح الرواية الشفوية سندًا مهمًّا تسهم في سد هذا النقص. من هنا نقول: إن التاريخ الشفوي يملأ الثغرات في كتابة التاريخ الريفي، ليكون أكثر شمولًا. وهو منهج موضوعي المنحى، يُعنى بالذاكرة الحيّة، لا بد من الاستفادة منه للوصول إلى كتابة علمية لتاريخ ريفي شمولي. وفي الآونة الأخيرة أخذ الاهتمام بجمع الرواية الشفويّة وتوظيفها كمنهج مُعتبر للبحث التّاريخي، يزداد ويطّرد بزيادة الأبحاث والدّراسات التي تعتمد هذا المنهج بشكل كبير.

وبلدة عبّا كغيرها من الأرياف اللبنانية، لا سيما أرياف مناطق الأطراف، تشكو من ندرة المصادر المكتوبة عنها، وإن وجدت، فإن محتواها لا يتعدى العموميات. لذلك وجدت لزامًا عليَّ، المباشرة بكتابة تاريخ البلدة بما تيسّر لي مما هو مدوّن وما أمكنني جمعه من روايات شفوية، ممن تواترت اليهم وعاصروا المرحلة. تاريخ هذه البلدة موغل في القدم، أقلّه يعود إلى القرن السادس عشر، عندما كانت تابعة لسنجق صفد، بحسب ما ورد في دراسة إدارية – جغرافية عن الإدارة والسكان في السنجق. ولها أيضًا حاضر يتّكئ على ذلك الماضي ويتطلع في الوقت ذاته إلى مستقبل يُؤمل أن يكون واعدًا. فما هو هذا الماضي والحاضر، وكيف سيكون المستقبل؟

عبّا هي إحدى قرى قضاء النبطية، تقع في غرب المدينة مركز المحافظة وتبعد عنها زهاء أربعة أميال؛ أي ما يعادل ١٢ كم، وعن العاصمة ٨٤ كم. الموقع الجغرافي لعبّا، هو ما بين خط عرض ٣٠, ٣٣ درجة جنوبًا، وخط طول ٣٠, ٣٥ درجة غربًا، وترتفع عن سطح البحر ٢٦٠م. تتمتع كغيرها من قرى لبنان الجنوبية بمناخ البحر الأبيض المتوسط، فالشتاء فيها دافئ قصير ممطر، والصيف حار طويل وجاف، وتبلغ درجة الحرارة في فصل الصيف حدود ٣٠ درجة، بينما تنخفض في فصل الشتاء إلى ١٣ درجة فقط. تمتد عبّا على مساحة ٧٢٨٤٤٣٦م٢ سبعة ملايين

ومئتين وأربعة وثمانين ألفًا وأربعمئة وستةٍ وثلاثين مترًا مربعًا؛ أي ما يساوي ٧٢٨ سبعمئة وثمانية وعشرين هكتارًا، هي عبارة عن مجموعة هضاب لا تقل عن ١٣ هضبة متوسطة الارتفاع تنتشر في الجهات الأربع، تتخللها مساحات منبسطة أشبه بسهول صغيرة، وتغطي هذه الهضابَ مجموعةٌ من النباتات والرياحين البرية. يحيط بالبلدة هضاب أكثر ارتفاعًا منها يتموضع عليها من الشرق جبشيت، ومن الغرب مزرعة ميس ومن الجنوب عدشيت، القصيبة، بريقع، ومن الشمال الدوير. وفي ظل غياب أي إحصاء رسمي لعدد اللبنانيين منذ العام ١٩٣٢، فقد بلغ عدد الناخبين العبّاويين وفقًا للقوائم الصادرة عن وزارة الداخلية والبلديات ـ المديرية العامة للأحوال الشخصية، ذكورًا وإناثًا ٤٤٠٥ أشخاص، وذلك لغاية آذار من العام ٢٠١٩.

في المراحل السابقة، سيطر النمط الفلاّحي وما يتفرع منه، على كامل النشاط الاقتصادي للمجتمع العبّاوي. وكان مجاله مغلقًا نسبيًّا، وجلّ علاقاته على تنوعها، تتم بداخله، وأحيانا يتخطاه إلى المجال المجاور، كذلك علاقاته مع المدن ولا سيما العاصمة كانت جدًّ ضعيفة. وامتدت هذه المرحلة إلى منتصف القرن العشرين. بعد هذا التاريخ، أسهمت السياسة الإنمائية والاقتصادية والاجتماعية غير المتوازنة -والتي انطلقت في عهد الانتداب واستمرت بعد الاستقلال، إضافةً إلى تعزيز دور بيروت، غداة تحوّل النشاط التجاري من حيفا إلى بيروت- في نمو قطاع الخدمات على حساب القطاعات المنتجة كالزراعة والصناعة. ومع هذا التحوّل، أخذ المجال الريفي العبّاوي يشهد بدايةَ تحول فيما خصّ وظائفه وأدواره، ولم يعد يقتصر على النشاط الفلاّحي، بعدما عمل العديد من العبّاويين في قطاع الخدمات والبيع في بيروت وتمكنوا من جني أموال وظّفوها في البناء، وفي تعليم أولادهم خارج البلدة، التي كانت تفتقر في الخمسينات إلى طرقات معبّدة تصلها بالمحيط، وحتى أواخر السبعينات إلى إمدادات المياه والكهرباء ومدرسة تتمتع بالمواصفات الأكاديمية، وحتى عام ٢٠٠٤ بقيت تفتقر إلى مجلس بلدي يرعى أمور التنمية فيها.

وإبّان مرحلة الحرب الأهلية وما رافقها من احتلال إسرائيلي، شهدت الأرياف عامة، انحدارًا سريعًا وتضاؤلًا لدورها ودفعًا قويًّا للنزوح نحو مناطق المدينة أو الهجرة إلى الخارج. وانعكست نتائج هذه المرحلة، على مرحلة ما بعد التحرير، بحيث أصبح النشاط الاقتصادي العبّاوي وعاءً يحوي أنشطة صناعية وتجارية وخدماتية وإدارية، تتطلب تركيزًا كبيرًا على التكنولوجيا واليد العاملة والأسواق والتنوع في وسائل الإنتاج كالتي حصلت في المدن. وهكذا تعرّضت البلدة لاستنزاف واسع، نتيجة خسارة فئة كبيرة من متعلّميها وقواها العاملة الماهرة. وأصبحت مصدرًا للقوى البشرية العاملة الزاحفة إلى المدن، ومنها للعمل في الخارج. هذا الحراك أحدث تبدلاتٍ بنيويةً على مستوى الثقافة، والتّعليم، والسّكن، والمهن الحرة، وسائر القطاعات الإنتاجية. وكان البارز هو التكوّن العمراني الجديد، بنسب متفاوتة، في المنحدرات الشرقية والغربية والشمالية والجنوبية للبلدة.

تكمن أهمية الدراسة، في أنها تبحث في التاريخ الاجتماعي لبلدة عبّا. وهي مسألة لها أهميتها من حيث امتداد الزمن التاريخي على مدى قرن ونيّف بدءًا من منتصف القرن التاسع عشر حتى الآن. ومن حيث المكان، في كون البلدة تتوضع في بقعة جغرافية لها تأثيراتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية... إلخ، وبداخلها كتلة سكانية تفاعلت وما زالت تتفاعل مع هذه المؤثرات.

هذه الدراسة هي دراسة غير تقليدية، تهتم بتاريخ الأرياف والطبقات المهمشة، تطرح تساؤلات منهجية، حول ظهور عبّا بلدةً مأهولةً، وكيف تكونت عائلاتها؟ وما علاقة لقب (ترحيني) بنسبته إلى مكان يدعى (ترحين) باعتباره كان موقعًا سابقًا لإقامة العبّاويين؟ وكيف تطورت بنى الحياة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية في عبّا؟ ولماذا لم توظّف في تنمية البلدة؟

تتبنى الدراسة فرضيات واستنتاجات جديدة، قائمة على مصادر أساسية متنوعة توزّعت على وثائق وقوانين ومراسيم وقرارات وإحصاءات رسمية وغير رسمية وأبحاث علمية خاصة بتاريخ عبّا الاجتماعي وعلى مجموعة من المراجع من

الكتب المنشورة باللغتين العربية والأجنبية أو المترجمة والصحف والمجلات والمقابلات الشخصية المدونة مما يصعب إدراجه في هذه المقدمة، إنما هي مدرجة في مكتبة البحث. وأهمية هذه المراجع تكمن، في كون أكثرها قد أُعِدّ ونُشِرَ في الفترة التاريخية نفسها.

تُعَدُّ هذه الدراسة عملًا جادًّا يُزوِّد الباحثين في التاريخ الاجتماعي بنموذج علمي يؤكد أهمية الفرضية العامة التي تربط صناعة التاريخ بتفاعله الثلاثي (الإنسان والمكان والزمان). هو منهج نقدي جدلي يعتمد التحليل العلمي المعمّق لحركة التاريخ على قاعدة أن الحدث الاجتماعي ليس معزولًا عن البيئة التي أنتجته. وهذا المنهج الذي اعتمدناه في دراسة تاريخ عبّا بالاستناد إلى وثائق ودراسات وإحصاءات رسمية وغير رسمية، ومراجع ذات صلة، ولا سيما المقابلات الشفوية المدوّنة، مما يُعَدُّ بمنزلة قاعدة علمية لفهم حراك المجتمع العبّاوي.

تناولت الدراسة -التي توزعت على مدخل تاريخي وأربعة أبواب ضمَّ كل منها أربعة فصول- الظروف التاريخية التي أحاطت بتشكل الكيان السياسي لجبل عامل والطبيعة الوظيفية للسلطة المحلية في عهد السلطنة العثمانية قبل ١٩٢٠ وأهم المحطات، بدءًا من خضوع جبل عامل لحكم الجزار، مرورًا بسقوط الحكم الإقطاعي الثاني، ومجيء حكومة علي بك الأسعد الثالثة، وموقف عبّا من الحكم الإقطاعي لآل منكر، أبو صعب، علي الصغير، ومواكبتها لسقوط الحكم الإقطاعي الثالث وصولًا لدخول جبل عامل تحت الحكم العثماني المباشر، وتداعياته على عبّا لجهة خضوع أبنائها للتجنيد الإجباري في عسكر السلطنة. وعالج الباب الأول، مسألة صراع الوحدة والتجزئة في المشرق العربي إبان الانتداب الفرنسي، وموقف العبّاويين من الاتحاد والانفصال والانتداب وتشكل الدولة القطرية بكل مكوناتها. وتناول الباب الثاني الخصائص الأساسية للبيوت العبّاوية وتطور بنية المرافق والخدمات الخاصة والعامة، قياسًا على خصائص الموقع الجغرافي للبلدة، ونشوء الملكية العقارية والزراعية وتطورها عند عائلات المكانة العقارية. وتطرق الباب الثالث إلى بنية القطاع الزراعي في جبل عامل واقتصادياته إبان الحكم العثماني،

وتوسّع في تبيان توزّع الملكيات الزراعية في عبّا وأدوات الفلاحة ووسائل الإنتاج وأساليب الزراعة والمنتجات الزراعية والمحاصيل فيها، ودخول عبّا دائرة المنافسة مع اقتصاديات السوق بما في ذلك التبادل التجاري وعلاقات الإنتاج والعمل مع الداخل الفلسطيني وبيروت ثم الهجرة إلى الخارج. ويلقي نظرةً على نوعية التعليم في جبل عامل ويستعرض كيفية تطوره في عبّا. كما يتطرق إلى واقع الوقاية الصحية البلدية والمدرسية وتوزّع الصيدليات والأطباء والمستفيدين من التأمين الصحي. ويتوقف الباب الرابع عند التبدلات البنيوية في المجتمع العبّاوي وإنشاء المجالس البلدية والاختيارية، ويبحث في مجمل النشاط الإنساني، من حياة أسرية واجتماعية وتبدلات في بنيتها وأنماطها وتبايناتها، وهيكلية المجتمع التراتبي والطبقات الاجتماعية وتراجم الأعلام من رجال دين وكتّاب وفنّانين وإعلاميين وشعراء وأدباء ووجهاء عائلات.

خلصت الدراسة إلى تبيان مدى التغيّر الحاصل داخل البلدة نتيجة الحروب والصراعات والتطورات وأثرها في التغيّر الاجتماعي والثقافي التربوي... إلخ، وفي شكل البناء، وفي التقاليد والعادات، وفي ممارسة المناسبات الاجتماعية والأعياد، والمأكولات التي ذهبت مع الماضي والينابيع التي جفّت والزراعات التي لم تعد قائمة والأدوات الزراعية التي باتت أدوات زينة يتم تعليقها في المنازل دون استعمال، والأمراض التي تفشّت نتيجة قلة الجهد والأعمال اليدوية. كما خلصت إلى تبيان مدى التغيير في البنى الاقتصادية نتيجة نمو قطاعات على حساب أخرى، وعلاقة ذلك بانخفاض وارتفاع الدخل الفردي من جهة وإعادة إنتاج التفاوت الاجتماعي من جهة ثانية، وذلك نتيجة للإنماء غير المتوازن، المعتمد من قبل السلطة.

إن الكتابة في موضوع الأرياف ليست سهلةً، لأنها تستدعي تحديد مصطلحات وكلمات وعلاقات عدة، ترتبط ارتباطًا مباشرًا بعلم التاريخ الشفوي. لذلك تطلب جمع الروايات ونقدها وتبويبها وتدوينها سنوات بدءًا من العام ٢٠١٢. ومن البديهي القول: إن أي باحث، في التاريخ مهما بلغت درجة تمرُّسه، لا بدَّ له من

أن يواجه صعوبات تمنعه من الحصول على المصادر الأساسية المنشورة وغير المنشورة، خاصّةً إذا كان موضوع البحث يتناول التاريخ الاجتماعي للأرياف اللبنانية، وتحديدًا أرياف جبل عامل (عبّا) لفترة زمنية تناهز قرنًا ونيّفًا من الزمن. ومع ذلك تمكنّا من معالجتها جميعها باستثناء القليل منها الخارج عن إرادتي، وهي: موضوع الآثار في عبّا بقي دون بحث، لانعدام أي معلومة، عنه لدى الجهات الرسمية، لا سيما مديرية الآثار. وعدم وجود تعداد سكاني (إحصاءات ديموغرافية) رسمية وغير رسمية لبلدة عبّا تشمل الولادات والوفيات والزواج والطلاق والأعمار وأماكن العمل واليتم والإعاقة، وبالتالي جاءت الدراسة خالية من أية إحصاءات علمية، بهذا الشأن. عدم التمكن من الاطّلاع على سجلات قيد النفوس العثمانية، الخاصة ببلدة عبّا، بسبب ممانعة وزارة الداخلية لهذا الأمر، إلا بقرار قضائي. عدم العثور على مصادر مكتوبة عن بلدة عبّا في أرشيف مؤسسة المحفوظات الوطنية، وزارة الداخلية، وفي مكتبات: الجامعة الأميركية، المكتبة الشرقية وفي الجامعة اليسوعية، مكتبة كلية الحقوق في الجامعة اللبنانية، إضافةً إلى مكتبات خاصة عديدة. وعدم وجود إحصاءات رسمية حديثة عن عدد سكان عبّا لدى الجهات الرسمية أو الخاصة المعنية بذلك، سوى ما أمكننا الحصول عليه من تقديرات، استنادًا إلى القوائم الانتخابية لعام ٢٠١٩. لذا تطلّبت عملية البحث عن المصادر وقتًا طويلًا ومشقة الانتقال بين أماكن المحفوظات، ولا ندّعي أننا بلغنا مرحلة الكمال. ومع ذلك نقدم هذه الدراسة المتواضعة، آملين أن تكون مساعدة لأبحاث تاريخية لاحقة أكثر عمقًا وتخصّصًا عن عبّا وبلدات عاملية أخرى.

أخيرًا، لا بد من ذكر الذين قبلوا مشافهتي وأدلوا بما يحفظون في ذاكرتم من أحداث، أو أمدّوني بعدد من الوثائق والمصادر والمراجع العلمية من مكتبتهم الخاصة، فقد كان لدورهم الأثر الأهم فيما وصلت إليه، لهؤلاء كل التحايا والعرفان بالجميل لمن ما زال على قيد الحياة، والرحمة والمغفرة الواسعة لمن ترك هذه الفانية، هؤلاء أسهموا في بناء دراسة علمية متماسكة. أخيرًا كل الشكر

للصديق علي، البار ببلدته أولًا وبوالده فضل أمين ترحيني ثانيًا، لتكفّله بكامل نفقات صدور هذا الكتاب، بذلًا عن روحه، وإلا فقد كان سيبقى حبيس الأدراج. كل التقدير لتجاوبه من دون أدنى تردد. شكرًا لكل من ساعد على إتمام هذا البحث ولو بالنصح والإرشاد وقدّم لي العون لإتمامه بطريقة أو بأخرى، واللّه وليّ التوفيق.

عبّا – أيلول ٢٠١٩

د. أحمد هارون

ملحوظة: صيف العام ٢٠١٩ أنهيت آخر فصول الكتاب كما هو مؤرخ أعلاه. كان مقدراً أن يصدر بداية العام ٢٠٢٠ بتمويل من بلدية عبا. إلا ان تداعيات الأزمة المالية، وجائحة كورونا عطّلت ذلك. ولم تفلح مساعي طلب التمويل التي قمت بها لسنوات، إلّا في تموز ٢٠٢٤ تاريخ توقيع عقد النشر مع دار الولاء. مرة أخرى، الحرب التى اندلعت أواخر أيلول من ذلك العام، ونتيجة الاضرار التي لحقت بالدار، تأخر الصدور لغاية تاريخه أدناه، بالرغم من ذلك، يبقى تاريخ الانتهاء أعلاه من الناحية المنهجية هو التاريخ الفعلي للصدور.

مدخل تاريخيّ

الظّروف التّاريخيّة الّتي أحاطت بتشكل الكيان السّياسيّ لجبل عامل والطّبيعة الوظيفيّة للسّلطة المحلّيّة في عهد السّلطنة العثمانيّة قبل (١٩٢٠م):

تمهيد

يُنْسب (جبل عامل)، تلك البقعة الصغيرة من الأرض، أو الجنوب اللبناني، كما يسمى اليوم، عند بعض المؤرخين، إلى قبيلة عاملة القحطانية التي انتقلت بعد سيل العرم من اليمن، واستقرت في بلاد الشام بالقرب من دمشق في مكان دُعي باسم (جبل عامل). وتكاد تتفق جميع الآراء على أن أصل سكان جبل عامل يمانية. ويرى لامنس (Lammens) أن المتاولة في بلاد الشام، وإن انتموا للمذهب الشيعي الإمامي الاثني عشري، إلا أنهم في الأصل من عناصر سورية بحتة، أو بمعنًى آخر أنهم لم يختلطوا بعناصر أخرى أجنبية.

وخلال السيطرة العثمانية عُرفت منطقة (جبل عامل) باسم (بلاد بشارة)، ثم (بلاد المتاولة) بعد أن أطلق هذا اللقب على أصحاب المذهب الشيعي فيها. وانقسم جبل عامل إلى ثماني نواحٍ، أو مقاطعات، كل منها تلحق بها قرًى يحكمها حاكم واحد. أربع نواحٍ منها تقع في القسم الجنوبي، وهي جبل هونين أو ناحية هونين ومركزها بنت جبيل، وجبل تبنين أو ناحية تبنين ومركزها تبنين، وساحل قانا ومركزه قانا، وساحل معركه ومركزها صور، والأخيرتان في ساحل صور. وأربع أخرى في القسم الشمالي منه، وهي ناحية الشقيف ومركزها النبطية، وناحية الشومر

ومركزها قاعدة أنصار، وناحية التفاح ومركزها جبع، ومقاطعة جزين ومركزها جزين. إجمالي مساحة جبل عامل ثلاثة آلاف كيلومتر مربع، يدين سكانه بالإسلام على مذهب الشيعة الإمامية (الاثني عشرية)، بينهم عدد قليل من المسلمين السُّنّة والمسيحيين في الثغور والداخل.

وتوزّع العامليون في جبل عامل على ثلاث مجموعات كبيرة، فهناك بنو صعب في مقاطعة الشقيف، وبنو منكر في مقاطعة الشومر والتفاح، وبنو علي الصغير في بلاد بشارة، وقد تمتعوا بحكم ذاتي. وخضوعهم للباب العالي لا يعدو أكثر من تخفيف الضريبة السنوية المفروضة عليهم من المال الأميري، بعد أن أخضع العثمانيون بلاد الشام لنفوذهم عام (١٥١٦م) وقسمّوها إلى (إيالات) أي ولايات يحكم كلًّا منها والٍ لا تتجاوز سلطته مدن الساحل وبعض المدن الداخلية، بينما بقي الحكم داخل البلاد إقطاعيًّا. وقسّمت الإقطاعات في الولايات إلى خطط صغيرة يديرها أمير أو مقدم أو شيخ من أبناء الأسر العريقة أو المتنفّذة، يلتزم بدفع الضرائب المترتبة عليها لخزانة السلطنة العثمانية، التي لا تتدخل في شؤون الإقطاعات ولا يهمها إلا قبض الضريبة المفروضة عليها وفقًا لنظام التلزيم المعمول به يومذاك، أو ما يسمى بنظام الالتزام أو الضمان. وهذه الأسر كانت تتحكم في مساحات شاسعة من الأرض يعمل فيها الفلاحون نظير جزء من المحصول، بينما الجزء الآخر لم يكن خراجًا ولا مالًا أميريًّا، وإنما هو مال الإقطاعي الذي أصبح حقًّا له بناءً على الالتزام الذي دفعه.

جبل عامل يخضع لحكم الجزّار:

أصبح أحمد باشا الجزّار واليًا على صيدا ودمشق وعكّا، بعد اغتيال الشيخ ظاهر العمر ما بين (١٧٧٦ـ ١٧٨٥م)، «واستعمل سياسة أخرى مع الشيعة القاطنين جنوبي لبنان، فقد عمد مباشرة إلى القوة المسلحة في تعامله معهم. حتى عام (١٨٧٠م) حين وقعت معركة بين ناصيف نصار، كبير زعماء الشيعة، وقوات الجزار في بلدة يارون (قضاء بنت جبيل الحالي)؛ أسفرت عن مقتل ناصيف وانهزام

الشيعة»[١]. وعاث عسكر الجزار في جبل عامل قتلًا ونهبًا وتحريقًا وتخريبًا، وقتل كثيرًا من العلماء والوجوه وحبسهم ونهب الأموال واستصفى العقارات والمزارع، ونهب الكتب وجعل كثيرًا منها وقودًا لأفران عكا. ونستطيع القول: إنه بموت ناصيف النصار سقطت الحكومة الإقطاعية الأولى، واستمرت المقاومة الشيعية للجزار فترة طويلة. وتعرف هذه الفترة بعهد (الطياحة)، وهي أسوأ فترة مرّت على جبل عامل؛ إذ وقع فيها بين نارين: نار زبانية الجزار، ونار رجال الثورة، «ولم تهدأ إلا بعد موت الجزار عام (١٨٠٤م)، استطاع بعدها فارس الناصيف استرداد الحكم الإقطاعي الثاني بعد اتفاقية صلح وقعها مع خلفه سليمان باشا، ومن بعده مع عبد اللّه باشا عام (١٨١٩م)، فانتعشت البلاد»[٢].

سقوط الحكم الإقطاعي الثاني:

رغم العنف الذي مارسه عبد اللّه باشا تجاه سكان ولايته، إلا أن علاقته بالعامليين كانت في أحسن صورها، ففي سنة (١٨٢١م) كتب عبد اللّه باشا إلى الشيخ فارس الناصيف وبقية مشايخ المتاولة يعلمهم برغبته في إعادة حكم بلاد جبل عامل إليهم، أي بلاد الشومر وبلاد الشقيف؛ مما أدى إلى ازدياد رسوخ الاستقلال السياسي لمتاولة جبل عامل. وهكذا بقيت أحوال جبل عامل حتى (١٨٣٢م) وهو العام الذي احتل فيه إبراهيم باشا المصري بلاد الشام، فدخل الجبل تحت سيطرة الحكم المصري الذي ألحقه بالإمارة الشهابية التي كان قد تولاها الأمير بشير الثاني عام (١٧٩٠م)، وبذلك أُسقِطت الحكومة الإقطاعية الثانية، «وكان هذا الإلحاق أحد أهم أسباب قيام العامليين بالثورة التي قامت ضد الحكم المصري عام (١٨٣٦م) بزعامة حسين شبيب ابن الشيخ فارس الناصيف وأخيه محمد علي بك، واستمرت ثلاث سنوات هاجموا فيها مراكز الحكومة،

---

(١) أنطوان عبد النور، تجارة صيدا مع الغرب من منتصف القرن السابع عشر إلى أواخر القرن الثامن عشر، منشورات الجامعة اللبنانية – قسم الدراسات التاريخية ٣٦، بيروت، ١٩٨٧م، ص٥٨.

(٢) لمزيد من التفصيل حول سياسة أحمد باشا الجزار في جبل عامل يراجع نفس المرجع، الصفحات من ٥٦ لغاية ٦٣.

وطردوا عمالها، ونكلوا بجنودها على خلفية ذلك النزاع البعيد الجذور الذي كان قائمًا بين العامليين والشهابيين»[١]. ودامت الحروب والثورات تعج في جبل عامل إلى أن انتهى الحكم المصري لبلاد الشام، وعادت تلك البلاد إلى حكم العثمانيين المباشر، وتم تعيين «حمد البك [آل علي الصغير] في الجنوب، حاكمًا في جبل عامل، وأغدقت الدولة عليه بالعطايا الثمينة، وفوضت إليه حكومة جبل عامل كما كان حال أسلافه من قبل»[٢]. ذلك أنه بعد موت الشيخ فارس ناصيف نصار، أصبح حمد البك الابن الأكبر لمحمود نصار شقيق ناصيف -هو ابن عم فارس- المرشحَ لتولي الحكم؛ لكونه الأكبر سنًّا والمتقدم بين آله. وبعد أن تُوفي حمد بك عام (١٨٥٢م) بدون عقب، خلفه في زعامة جبل عامل حفيد شقيقه محمد، علي بك أسعد، يعاونه ابن عمه محمد بك أسعد خليل[٣].

حكومة علي بك الأسعد الثالثة:

تُجمِع المصادر التاريخية على أن عهد علي بك أسعد يعدّ العصر الذهبي للعامليين، حيث انصرفوا لاستثمار الأرض، فانتعشت اقتصاديات البلاد ونمت الثروة، وراجت العلوم والآداب[٤]. وكان عهده استمرارًا لعهد عمه حمد البك على الرغم من اختلاف الظروف العامة التي راجت بين العهدين، كانتقال الحكم من المصريين والشهابيين إلى السلطنة العثمانية. «امتدت فترة علي بك وابن عمه محمد بك ثلاثة عشر عامًا، لم تشهد كعهود أسلافهما كوارث وحروبًا... رغم أنها تخللتها حوادث عام (١٨٦٠م) بين الدروز والموارنة. ورغم ذلك لم يتمكن علي بك من تجنب صراع طويل مع أحد أهم أبناء عشيرته تامر

(١) أسامة محمد أبو نحل، الحكم الإقطاعي لمتاولة جبل عامل في العهد العثماني من ١٨٠٤ إلى ١٨٦٥، ص ٢٠.

(٢) نفس المرجع، الصفحات ٣٣ - ٣٤.

(٣) لمزيد من التفصيل حول نسب عائلة آل علي الصغير يراجع: سعدون حمادة: تاريخ الشيعة في لبنان - الحكم الشيعي في لبنان - المجلد الأول، دار الخيال للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م، ص٤٣٤.

(٤) نفس المرجع، الصفحات ٥٣٥-٥٣٦-٥٣٧.

بك حسين، تعود جذوره إلى العهد المصري عندما كان والد تامر (حسين بن سلمان) الزعيمَ العاملي الوحيد الذي سالم المصريين عند احتلال إبراهيم باشا لسورية... فلما انسحب المصريون عاد حمد البك حاكمًا عامًّا وشيخًا على المشايخ، فعيَّن بصفته هذه (تامر) مديرًا على مقاطعتي هونين ومرجعيون، ولأنّ (تامر) أكبر سنًّا من علي بك أسعد، اعتبر أن من حقه أن يكون هو الحاكم العام وزعيم العشيرة، وأن تكون (تبنين) مركز حكومته، مما أشعل نزاعًا بين القريبين استمر مدة طويلة»[١].

عبّا تؤيد الحكم الإقطاعي لآل منكر - أبو صعب - علي الصغير:

بالتزامن مع الصراع الدائر بين علي بك أسعد وتامر بك حسين (آل علي الصغير) على ملكية جبل عامل (إقليم الشومر)، برز دور غير مباشر لعلماء ووجهاء ومخاتير الجبل، في ترجيح أحقية أيٍّ مِنَ الزعيمين لتولّي الحكم فيه. من بين هؤلاء مختار بلدة عبّا، وكان حينها خليل أبو دلا[٢] الذي ذيّل اسمه وتوقيعه على عريضة[٣] رفعت عام (١٨٥٨م) طُلب فيها من هؤلاء المشورة والرأي الشرعي في ملكية آل منكر وآل أبو صعب وآل علي الصغير وحكمهم لإقليم الشومر. كما أنه ورد في العريضة توقيع آخر وهو للسيد هارون. والسيد هارون كما هو وارد في شجرة أنساب (التراحنة) هو شقيق خليل أبو دلا. وهنا يدعونا الشك إلى طرح سؤال عن حقيقته، وما إذا كان فعلاً شقيق خليل أم لا. المصادر التي بين أيدينا لا تقدم إجابة قاطعة. وذيّلت الوثيقة بحوالي (١٠٢) اسم وتوقيع، كلها تقرّ للعائلات الثلاث دون غيرهم بأحقيتهم بالحكم والمُلك، وأنها (الأملاك) ليست معاشًا مجانًا، بل

(١) سعدون حمادة... مرجع سابق، الصفحات ٥٣٦-٥٣٨-٥٣٩.

(٢) ومعناها في اللغة: دَلَى: (اسم) دَلَى جمع دَلاة. دَلَّى: (فعل) دلَّى يُدلِّي، دَلِّ، تَدْلِية، فهو مُدَلٍّ، والمفعول مُدَلًّى - دَلَّى الدَّلْوَ في البِئْرِ: أَنْزَلَها في قَعْرِ البِئْرِ - دَلَّى الدَّلْوَ مِنَ البِئْرِ: جَذَبَها سَحَبَها لِيُخْرِجَها مَلْأَى - دَلّاهُ مِنْ أَعْلَى العِمارَةِ بِواسِطَةِ حَبْلٍ، أَرْسَلَهُ، أَنْزَلَهُ - دَلَّى حاجَتَهُ: طَلَبَها. الموقع الإلكتروني لقاموس المعاني. www.almaany.com. يذكر أنها وردت في العريضة أبو دلا وليس دلي.

(٣) محفوظات المكتبة الخاصة بالباحث علي مزرعاني-النبطية. وثيقة رقم (١).

هي بدل أملاكهم التي اغتصبها الجزار بوجه الغدر والجبر.

إذا أخذنا بالاعتبار الزمن والظرف التاريخي لكتابة وتوقيع الوثيقة، وهو (١٨٥٨م)، عام الصراع بين علي بك أسعد وتامر بك حسين، تبيَّن لنا، أن حكم جبل عامل هو من الأسباب الموجبة لإعدادها وتوقيعها، وأن معدّ الوثيقة وطالب توقيعها هو علي بك أسعد بن محمد بن محمود بن نصار من (آل علي الصغير)، ويستدل على ذلك من سلسلة محطات، هي:

أ- «علي بك تولّى الحكم في تبنين خلفًا لحمد البك عم والده أسعد بن محمد بن محمود بن نصار من سنة (١٢٦٩هـ- ١٨٥٣م) إلى سنة (١٢٨٢هـ- ١٨٦٥م)، وكان علي بك إذ ذاك كبير عائلة آل علي الصغير مقامًا ورِفعةً، وهو الحاكم الوحيد على بلاد بشارة من قبل الدولة العلية، وكان مشهورًا بالكرم وحسن السياسة، ومتصفًا بالعدل في أحكامه»[1].

ب- «كان آل علي الصغير يتقدمون على الصعبيين في الرياسة وفي الرسميات، والمقصود بالرسميات الاجتماعات العامة التي هي عبارة عن مواجهة عظماء الدولة، والاجتماعات بمناسبة المشاكل والأفراح والأتراح، وكان الصعبيون يتقدمون في الحروب على آل علي الصغير، على ذلك جرى الاتفاق بينهم»[2].

ج- «أن تاريخ الأسر الثلاث [آل منكر - آل أبو صعب - آل علي الصغير] هو في الواقع تاريخ واحد، لا سيما في محطاته المفصلية الرئيسة... فقد كانت الرئاسة العامة لشيخ من آل علي الصغير، وكان باقي المشايخ من الأسر يباشرون الحكم في مقاطعتهم مع التقيّد بتوجيهات الرئيس

(١) زينب فواز: الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢م، الصفحات ٦٨٥-٦٨٨. يذكر أن زينب فواز هي أديبة ومؤرخة عاصرت آل الأسعد وتقربت من نسائهم وقضت شطراً من صباها في قلعة تبنين ملازمة لهن، لا سيما السيدة فاطمة زوجة علي بك الأسعد.

(٢) محمد تقي الفقيه: جبل عامل في التاريخ، الطبعة الثانية، دار الولاء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٩٨٦م، ص٣٣٤.

العامة، ولا سيما في الأزمات والحروب... وهكذا أصبحوا كأنهم أسرة واحدة تحت إمرة شيخ واحد يفاوض عن الجميع في حالتي الحرب والسلم، ويتولى التوقيع أمام المراجع الحكومية. وهذا ما كان فعله فارس ناصيف عند عقد الصلح مع سليمان باشا فكان ممثلًا لجميع العشائر الثلاثة، ومسؤولًا عن كامل تصرفاتهم العامة، وهو الذي تولى توزيع الأملاك التي عهدت بها الدولة العثمانية إليه كبديل عن أملاكهم المصادرة...»[1].

د- «أن الفترة التي تولى فيها علي بك أسعد حكم جبل عامل بين (١٨٥٣-١٨٦٥م) شهدت صراعًا حادًّا على (السلطة) بينه وبين تامر بيك ابن حسين بن سلمان بن عباس بن محمد بن نصار حاكم مقاطعتي جبل هونين ومرجعيون، وكانت بنت جبيل حكومته. حيث كان تامر بك يرى نفسه أحقّ بالزعامة من علي بك؛ لكونه أكبر سنًّا منه، ولأنها كانت لأبيه الشيخ حسين سلمان في عهد الحملة المصرية على بلاد الشام عام (١٨٣٢م)، وانضم إليها وناصرها بالاتفاق مع الأمير بشير الشهابي الثاني»[2].

لذلك نعتقد أن هذه الوثيقة بتواقيعها الـ(١٠٢) هي من جهة بمنزلة اعتراف وإقرار من العامليين لـ(آل منكر- آل أبو صعب - آل علي الصغير) ممثلين بـعلي بك أسعد بملكية إقليم الشومر، صيدا وصور وقضاوات بلاد بشارة الشقيف وجباع. ومن جهة أخرى هي بمنزلة استفتاء على زعامتهم وحكمهم هذه الأقاليم من دون غيرهم. وأغلب الظن أن مضمون السؤال والجواب الواردين في الوثيقة قد أُعِدّا من قِبل جهة واحدة قامت بالتجوال على القرى للتوقيع عليها.

(١) سعدون حمادة: تاريخ الشيعة ...، مرجع سابق، ص٥٤٤.

(٢) لمزيد من التفصيل، يراجع: محمد جابر آل صفا: تاريخ جبل عامل، دار النهار للنشر، الطبعة الثانية، ١٩٨١م، الصفحات من ٥٠ لغاية ٥٨.

عبّا شاهدة على سقوط الحكم الإقطاعي الثالث:

يروي الشيخ محمد تقي الفقيه في كتابه جبل عامل في التاريخ ما يلي: «وقال السيد عباس[١] أيضًا: إن فلانًا البغّال من بلدة **(عبّا)** كان عائدًا من بيروت، ومعرجًا على الدامور يستريح مع بغاله من السير على عادة المكاريين، وكان هو وولده يتناولان طعام الغداء، فرأى شخصين راكبين مجتازين في الطريق ومعهما الجندرمة يعني الدرك، فتأملهما وقال: كأنهما علي بك ومحمد بك، ثم قال لولده: قم والتمس الخبر، فأخبر أباه أنهما علي بك ومحمد بك. فلما سمع المكاري الشيخ، انفجر بالبكاء، فقال له ولده لماذا تبكي؟ فقد أراح اللّه البلاد والعباد من ظلمهم؛ فأجابه الوالد «بلادنا بعدهم بتصبح ذليلة، بيتحكم فينا الأعداء!». قلت وهكذا كان»[٢].

تعددت الروايات حول أسباب وظروف اعتقال الرجلين. فمن قائل: إنهما استُدرِجا إلى صيدا من قِبل الوالي العثماني خورشيد باشا، واعتُقلا بعد أن وقعا في مكيدة، ومن ثم كانت وفاتهما في دمشق سنة (١٨٦١م)[٣]. إلى قائل: إن فؤاد باشا لم يرُق له نفوذ علي بك ووفرة جنوده وصولته. وقائل: عندما ذهب علي بك أسعد ومحمد بك أسعد إلى صيدا لمقابلة الوالي، قال محمد لعلي بك: إني خائف أن يغدر بنا الوالي. وقائل: عندما بلغ خبر مسيرهما للباشا، بهذا الموكب خاف أن يدخلا صيدا ويحتلاها، وكان قد وُشِي بهما إليه[٤]، وقائل عن ظروف وفاتهما: إن «علي بك عندما أراد الرجوع إلى وطنه من محل ما كان محجورًا

(١) السيد عباس هو ابن السيد حسين بن السيد علي إبراهيم. والسيد علي إبراهيم هو من تلامذة صاحب الجواهر، والشيخ علي بن الشيخ جعفر كاشف الغطاء، والسيد حسن الخرسان. وهو والد السيد حسن إبراهيم المتوفى سنة ١٣٢٩هـ والسيد حسن هذا هو والد العلاّمتين السيد محمد والسيد مهدي وأخو السيد حسين والد السيد عباس المذكور. يراجع: محمد تقي الفقيه: جبل عامل في التاريخ، ... مرجع سابق، ص٣٣٣.

(٢) نفس المرجع والصفحة.

(٣) نفس المرجع، ص٣٣٥.

(٤) يراجع محمد تقي الفقية، مرجع سابق الصفحات ٣٣٤-٣٣٥ - ومحمد جابر، مرجع سابق ص١٦٨.

عليه، وهي قلعة دمشق الشام، فدخلت سنة (١٢٨٢هـ) التي جاء فيها الوباء العام المشهور بالكوليرا، وهنالك قبل انتقاله إلى وطنه أصيب بالكوليرا بدمشق الشام، ومكث ثلاثة أيام، وتوفَّاه اللّه تعالى. وكان برفقته أخوه الأمير محمد بك أسعد، فأصيب الأمير أيضًا بهذا الداء ولحق بابن عمه، وكانت وفاتهما في أسبوع واحد»[1].

بعيدًا عن السرد القصصي للرواية، فإن مضمونها يستدعي التوقف عند الحكمة في موقف البغّال العبّاوي، من حادثة الاعتقال، فهذا موقف ينم عن وعي لحقائق الأمور، يمثل انطباعات الناس الذين خبِروا الحكّام، عقلاني يرضى بتحمل الأذى الأخف في سبيل دفع الأذى الأعظم، وفي الوقت نفسه يمثل انطباعات الشباب عديمي الخبرة الذين يهمهم التخلص من الأذى الحاضر غير مقدرين عواقب ما سيأتي في المستقبل، وهذا ما حدث بالفعل. ذلك أن سياسة السلطنة العثمانية آنذاك عندما سعّرت الخلاف على الحكم بين علي بك وتامر حسين، ومن ثم أصدرت قرارات متلاحقة متناقضة بتعيين أحدهما مكان الآخر، إنما كانت ترمي لإضعافهما والقضاء على الحكم المحلي للمقاطعات والإتيان بآخرين يتبعون مباشرة لها، وهذا ما فعلته بعد توقيف علي ومحمد بك «إذ ألغت ولاية صيدا وولاية الشام وأقامت مكانهما ولاية سورية، واتخذت دمشق قاعدةً لها»[2]. وبذلك سقطت الحكومة الإقطاعية الثالثة، وزال معها نظام الحكم الوطني الإقطاعي من جبل عامل، إلى حكمه من قبل الأتراك مباشرة حتى سقوط السلطنة ونهاية الحرب العالمية الأولى سنة (١٩١٨م).

دخول جبل عامل تحت الحكم العثماني المباشر:

بوفاة علي بك أسعد عام (١٨٦١م)، وزوال الحكم الإقطاعي طويت صفحة الاستقلال الداخلي لجبل عامل «فخلف علي بك، صهره خليل بك ابن أسعد بن

(١) زينب فواز: الدر المنثور الصفحات ٦٨٥ - ٦٨٨..

(٢) سعدون حمادة: تاريخ الشيعة، ص٥٤١.

خليل بن ناصيف شقيق زوجته فاطمة، الذي أنجب ثلاثة أولاد كامل (لم ينجب ذكورًا) - ومحمد وعبد اللطيف الذي أنجب أحمد بك الأسعد الذي أنجب كامل بك الأسعد رئيس مجلس النواب السابق»(١). إلا أن السلطنة العثمانية انتهجت سياسة جديدة قائمة على تهميش دور الزعامات التقليدية، «فمنحوا صلاحيات واسعة للوجهاء وزعماء الأسر من الدرجة الثانية. وكانوا لا يردّون لهؤلاء طلبًا بشأن تنصيب الحكام وعزلهم. وأغروا كل فئة بالأخرى ليتسنى لهم حكم البلاد على هواهم وكما يبتغون»(٢). وهذا يفسر، كيف أن خليل أبو دلا، أصبح وجيهًا في بلدته، وزعيمًا يتمتع بصلاحيات لا يستهان بها، ومن بعده ولده حسن. ولم تكتفِ السلطنة بذلك، بل انتهجت سياسة إفقار وضرب اقتصاديات جبل عامل عبر سلسلة إجراءات؛ منها فرض الرسوم على الأراضي، ونوعوا الضرائب بين ويركو (رسم المقطوع) أو أعشار (رسم على نتاج الأرض)، كما فرضوا ضريبة المسقفات على (الدور والمنشآت). وفرضوا على الأهالي العمل المجاني لإنشاء الطرقات والإعفاء من ذلك لقاء بدل مالي. ومُنِحَتِ الشركات الخاصة احتكارَ زراعة التبغ، المورد الوحيد للعامليين، فانقطعت زراعته وبارت الأرض واختل الأمن وسادت الفوضى وعم الفقر، يضاف إليه ما كان يمارسه عمال السلطنة من ابتزاز للمال من الأهالي بطرق الرشوة. ولم يكن ينقص العامليين سوى انعكاسات الحرب العالمية الأولى على سبل معيشتهم ففي أوائل سنة (١٩١٦م) اشتدت وطأة الجوع بسبب ارتفاع أسعار الحبوب من جهة، وبسبب فتك الجراد في المزروعات من جهة، وأخذ بعض المحتاجين يبيعون أملاكهم بأثمانٍ بخسة، وبعضهم كانوا يرهنونها بربًا فاحشٍ كان يتجاوز أثمانها أضعافًا، وآخرون باعوا أراضيهم بقليل من الحنطة، وسيق عددٌ وافر من الرجال إلى ساحات القتال»(٣).

---

(١) محمد تقي الفقيه: جبل عامل في التاريخ، ... مرجع سابق، الصفحات ٣٣٤-٣٣٥.

(٢) محمد جابر آل صفا: تاريخ جبل عامل، ... مرجع سابق، الصفحات ١٦٤-١٦٥.

(٣) إبراهيم بك الأسود: تنوير الأذهان في تاريخ لبنان، المجلد الثالث، ١٩٣٠م، المطبعة العلمية ليوسف صادر، بيروت سوق سرسق، ص٥٦.

عبّا تخضع للتجنيد الإجباري في عسكر السلطنة:

كان النظام العسكري -الذي اعتمدته السلطنة العثمانية عام (١٨٣٤م)، وبدأت بتطبيقه في جبل عامل بعد زوال الحكم الإقطاعي- سببًا في الخراب. وعندما وضعت السلطنة قانون التجنيد الإجباري «وأسمته القرعة الحميدية، فرضته على الطوائف الإسلامية، وأعفت منه غير المسلمة، كانت تتقاضى من هؤلاء مالًا؛ عبارة [عن] ضريبة سنوية تسمى (العسكرية)... وكانت مدة التجنيد عشرين سنة: ستٌّ منها تدعى عسكريةً أو احتياطيةً، وثمانٍ منها رديف، وستٌّ منها متحفظ. وقلما كانوا يتقيّدون بهذا القانون، فربما قضى العسكري المجند في الدرجة الأولى مدةً تزيد عما نص عليه القانون، تتراوح بين عشر سنين وخمس عشرة سنة بالرغم عنه»[١]. مقابل ذلك وضعت قانونًا آخر بقبول البدل المالي لمن لا يرغب بالعسكرية. ثم أُبدل هذا القانون بآخر قُسم على أربع مراحل: (الخدمة الفعلية - الاحتياطية - الرديف - المتحفظ) وكانت النتيجة في الحالتين كلتيهما أنْ خسر جبل عامل رجاله وماله.

يروي كبار السن في بلدة عبّا نقلًا عن أشخاص عاصروا تلك المرحلة وكانوا شهودًا، أن الوشاة في جبل عامل تسبّبوا في الحرب الكبرى التي اندلعت سنة (١٩١٤م)، بسوق رجال من البلدة إلى ساحات القتال. وكان بعد فترة وجيزة يشاع خبر وفاة أحدهم فيتم الاستيلاء على أملاكه. من حكايا الحرب التي حفرت عميقًا في ذاكرة العبّاويّين والجوار، هو ما حدث مع من أطلق عليه لقب (التركي) وهو علي الحاج حسين عميص. عندما اقتيد إلى الحرب، ومن ثم أشيع في البلدة خبر وفاته، أقدمت زوجته على الزواج من زينو عميص[٢]، إلا أنه بعد عقود عاد إلى البلدة مدعيًا أنه كان لا يزال حيًّا. وهناك آخرون سيقوا رغمًا عنهم إلى الحرب، من هؤلاء: محمود إبراهيم هارون، أحمد دياب، قاسم إبراهيم قاووق، علي حسين محمد (آل حمود) وغيرهم الكثير، ويقال: إن ثلاثتهم قُتلوا في الحرب ولم يُعرف

(١) محمد جابر آل صفا: تاريخ جبل عامل ...، مرجع سابق، ص١٦٦.

(٢) مقابلة مع السيد شريف عبد اللّه جواد خليل ترحيني، تولد عبّا،١٩١٩ بتاريخ ٤٢ /٥/ ٢١٠٢.

عنهم شيء. وعندما كان يهرب أحدهم كان الوشاة له بالمرصاد، وكان يعاد سوقه ثانيةً. مثال على ذلك ما حدث أثناء الحرب العالمية الأولى مع أحمد دياب (جدّ أحمد علي دياب أبو علي(وكان رجلًا تقيًّا ورعًا[1]. وكان الوشاة لا يتوانون عن اقتحام البيوت ليلًا وهتك أعراض النسوة ولم ينجُ من فعلتهم إلا القلّة. وفي أحيان كان يجري التستّر على الفارين في مقابل إكراههم على دفع المال، ومن لا يملك يهدَّد بالمسّ بشرفه، وهذا ما حصل مع السيد يونس أحمد هارون عندما داهمت فرقة من الجندرمة العثمانية داره في ليلة شتاء قارس، وكان يتحلّق وعياله حول الموقد، وعندما اكتُشف مخبَؤُه اقتيد ولم يفرج عنه إلا بعد أن اشتُرط على زوجته دفع عشر ليرات من الذهب الرشيديّ.

ينقل السيد شريف عبد اللّه جواد ترحيني عن والده بعضًا من أجواء الحرب العالمية الأولى، وهي: أن الأتراك فرضوا التجنيد الإلزامي على رجال البلدة باستثناء القليل منهم، واقتيد قسم منهم إلى بلدة السعديات للمرابطة هناك لحماية الساحل من أي تسلل. يضيف:» أن الضابط المسؤول عن مركز الحماية كان يعمد إلى ربط كل جنديين اثنين ببعضهما بواسطة سلسلة حديد لمنعهما من الهرب. وكان يعمد إلى إرهاب الجنود بأن يصوب بندقيته نحو أحدهم ويطلق النار على

(١) لمزيد من التفصيل عن سيرة محمد إبراهيم هارون وكيف كان حال ولده حسين يراجع الصفحة ٢٩٠ هامش رقم (٥) وحول باقي الوقائع يروي (محمد داوود) ما سمعه من جده (يوسف أسعد حسين)، وكان حينها شاهد عيان، أنه «صادف أن تمكن أحمد دياب من الهرب والعودة إلى البلدة والاختباء في إحدى المغاور الواقعة في إحدى نواحي البلدة يقال لها (شقيف الحمير) بالقرب من السرجة، وكانت زوجته تقصده مساءً كل يوم بعيدًا عن الأنظار، حاملةً على رأسها ما تيسّر من خبز وماء. عندما علم الوشاة بهرب أحمد دياب وما تفعله زوجته قاموا بمراقبتها ذهابًا وإيابًا، وعندما تأكدوا من وجوده في المغارة، وُشي به للعسكر العثماني الذين أطبقوا عليه ليلًا. وفي اليوم التالي اقتيد إلى باحة الجامع وكانت مرصوفة بالبلاط وتتوسطها شجرتا زنزلخت. وكان أحمد دياب ذا وجه مستدير وشعر أشقر، قد مضى عليه زمن طويل بسبب وجوده في جبهة القتال ومكوثه في المغارة، لم يتمكن من حلاقة لحيته حتى تدلّت على صدره ما يقارب ١٥ سم، وعقابًا له قام قائد العسكر بتقييد يديه إلى ظهره وربطهما بشجرة الزنزلخت واستل من جيبه (الشحطة) مُشعِلًا النار في لحيته حتى أتت عليها مع شعر الرأس بالكامل. وأعيد مرة أخرى إلى جبهة القتال حيث لم يعد منها وانقطعت أخباره واحتسب مع من قُتلوا فيها. وبسب ما حدث له انقطعت ذرّيته بعدما كان أنجب ولدين هما علي ومحمد.

سبيل اختبار البندقيّة إذا ما كانت تقتل أم لا» .[١]وكان الوشاة شأنهم شأن الآخرين في كل بلدة من بلدات جبل عامل، يعملون مخبرين لدى الأتراك وبدعم من عسكر السلطنة كانوا يبسطون سلطتهم، ويوزّعون على حاشيتهم العطايا وما تيسر لهم من مال وأراضٍ، «لذا تمتع هؤلاء الوشاة بسلطة استثائية ونفوذ كبير في معظم بلدات جبل عامل، لدرجة أنهم كانوا يصفون أنفسهم بـ(السلاطين)، فكانوا يختارون من الماشية ما يريدون لتلبية حاجات الولائم التي كانوا يقيمونها يوميًّا لمأموري الدولة وموظفيها والضيوف والوجهاء ممن يَؤُمُّون البلد»[٢]. واستمروا في هذا السلوك حتى في عهد الانتداب الفرنسي.

يُروى أن علي يونس (آل هارون) كان مارًّا بعدد من رؤوس البقر بالقرب من جامع البلدة، وكان بينها عجل صغير لفت انتباه رجال السلطنة فما كان من رئيسهم، إلا أن طلب من معاونيه، مصادرة العجل وذبحه وسط الساحة، ولم يتجرأ علي يونس على منعه»[٣].

بعض الاستنتاجات:

أسهمت الظروف التاريخية التي أحاطت بتشكل الكيان السياسي لجبل عامل إبان عهد السلطنة العثمانية طيلة القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، في بلورة موقف عبّاوي واضح من سلسلة المشاريع السياسية التي رُسمت للجبل. وتوزّعت هذه المواقف على أربع محطات أساسية: عنوانها الأول، تأييد الحكم الذاتي، أو ما يعرف بالحكم الإقطاعي الثالث لـ(بني صعب في مقاطعة الشقيف، وبني منكر في مقاطعة الشومر والتفاح، وبني علي الصغير في بلاد بشارة) مع ما يحمله من تبعات اجتماعية واقتصادية وسياسية، كانت تلقى على كاهل العامليين والعبّاويين على السواء، في حين كان المتزعمون منهم ينعمون بعائدات هذا

(١) مقابلة مع شريف عبد اللّه جواد خليل، مرجع سابق.

(٢) خليل توفيق ترحيني: وجهاء بلدة عبّا الجنوبية من عام ١٨٥٠ - ١٩٥٠م، مقالة منشورة في مدونة العرايس، العدد الأوّل، ١٥ شباط ٢٠١٦م. (النسخة الإلكترونية).

(٣) مقابلة مع حسين علي يونس ترحيني، والدته زيني معلّم، تولد ١٩٣٢م، بتاريخ ٦-٤-٢٠١٨م.

التأييد. هذه التبعات كان قد تلمسها في وقت متقدم أحد أبناء البلدة، وهو (بغّال من عبّا) الذي كان في موقفه من اعتقال علي بك وابن عمه محمد بك، ومن ثم سقوط الحكم الإقطاعي الثالث يستشرف أفق المرحلة القادمة، التي ظهرت سريعًا في سلسلة الإجراءات التي اتخذتها السلطنة العثمانية، التي تمثلت في إخضاع الجبل للحكم العثماني المباشر عام (١٨٦١م). وهكذا بزوال الحكم الإقطاعي طويت صفحة الاستقلال الداخلي لجبل عامل، وانتُهجت سياسية جديدة قائمة على تهميش دور الزعامات التقليدية، ومنحت صلاحيات واسعة للوجهاء وزعماء الأسر من الدرجة الثانية، وكانوا لا يردّون لهؤلاء طلبًا. ولم تكتفِ السلطنة بذلك، بل انتهجت سياسة إفقار وضرب لاقتصاديات جبل عامل عبر سلسلة إجراءات منها فرض الرسوم على الأراضي، ونوّعوا الضرائب بين ويركو (رسم المقطوع) أو أعشار (رسم على نتاج الأرض)، كما فرضوا ضريبة المسقفات على (الدور والمنشآت). وفرضوا على الأهالي العمل المجاني لإنشاء الطرقات، والإعفاء من ذلك لقاء بدل مالي، وعمّ الفقر، يضاف إليه ما كان يمارسه عمال السلطنة من ابتزاز للمال من الأهالي بطرق الرشوة. وطال التجنيد الإجباري شباب البلدة، واستُغلت البلدة من بعض الوشاة لغايات شخصية لتلبية حاجات الولائم التي يقيمونها يوميًّا لمأموري الدولة وموظفيها والضيوف والوجهاء ممن يؤمّون البلدة. واستمر هذا السلوك حتى في عهد الانتداب الفرنسي.

الباب الأول

صراع الوحدة والتجزئة
في المشرق العربي إبان الانتداب الفرنسي
وتشكل الدولة القطرية

الفصل الأول:

أضواء على موقف العباويين من الاتحاد والانفصال والانتداب

قبيل انتهاء الحرب العالمية الأولى تكشّفت أطماعُ دول الحلفاء في المنطقة العربية. وكان أولَ ملامحها تفاهمٌ سريٌّ عُقِدَ بين فرنسا وبريطانيا، تُرجم بتوقيع اتفاقية سايكس- بيكو سنة (١٩١٦م)، صادقت عليها الإمبراطورية الروسية لاقتسام منطقة الهلال الخصيب بين فرنسا وبريطانيا وتحديد مناطق النفوذ في غرب آسيا بعد تهاوي السلطنة العثمانية. تبع ذلك ظهور عدة طروحات سياسية متناقضة، بين الدعوة إلى مشروع استقلالي وحدوي سوري (سوريا الكبرى الحرّة)، ومشروع استقلالي لبناني (لبنان الكبير بوصاية فرنسية ومشروع انتدابي سوري (فيدرالية سورية تحت وصاية أجنبية)).

وخلافًا لطموحات الشعوب العربية، أقرّ مؤتمر الصلح في (٣٠) كانون الثاني (١٩١٩م) مبدأ الانتداب، فاعترف مؤقتًا باستقلال سورية (ولبنان ضمنًا) شرط أن تقدّم لها المشورة الإدارية والمساعدة من قبل الدولة المنتدبة. هذه المشاريع المتناقضة التي يجمع بعضها بين الوحدة والانفصال، أو بين الوصاية والاستقلال في آن، انعكست لدى العامليين بلبلة سياسية أضاعت عليهم الموقف السياسي الواضح، إن لم يكن الموحّد. ولما بدأ مؤتمر الصلح في باريس بدراسة مصير (أراضي العدو المحتلّة) من تركة الدولة العثمانية، باشر الفرنسيون (إعداد) الوفود الرسمية

والعرائض الشعبية من مختلف المناطق السورية لعرض (رغائب الأهلين)»[١].

حملة العرائض الفرنسية في جبل عامل:

قَدِم جورج بيكو مفوضًا ساميًا على سورية، حاملًا توجيهات الخارجية الفرنسية إلى مسؤوليها تُلح على الاستحصال من عامة الأهلين، وبشتى الوسائل، على عرائض تطالب بالوصاية الفرنسية، لتكون في خدمة سياسة فرنسا الانتدابية – الاستعمارية. في جبل عامل تولى الحكام الفرنسيون إدارة حملة العرائض لدى مختلف الفئات الاجتماعية. وانطلق السعاة (اللبنانيون) أمثال: سليمان كنعان ويوسف رزق اللّه ورزق اللّه نور وفؤاد العازوري، يذرعون جبل عامل ليل نهار، ينظمون العرائض ويجمعون تواقيع المخاتير ووجهاء النواحي، وقد أحرزوا نجاحًا شبه مطلق لدى المسيحيين، خصوصًا أن البطريرك الماروني، إلياس الحويك أرسل إلى عموم المسيحيين في جبل عامل عرائض تطالب بالانضمام إلى لبنان الكبير تحت الحماية الفرنسية، وجرى توقيعها جميعها.

أما لدى الشيعة، فقد استطاع السعاة (اللبنانويون)، بمختلف الوسائل: من الترغيب إلى الترهيب، ومن الأموال إلى الإغفال، الحصول على بعض عرائض الانضمام إلى (لبنان الكبير) ومساعدة فرنسا. ولم تكن حال الازدواجية في الأوساط الشعبية أفضل منها لدى الزعماء، وإن يكن لأسباب وظروف مغايرة. فإن بعض المخاتير الذين نظموا عرائض لبنانية تطلب الانضمام إلى لبنان الكبير، أكدوا، هم أنفسهم، استعدادهم لإصدار عرائض عروبية مضادة تحتج على قرار توسيع لبنان، وذلك عملًا بالتدبير الشعبي العاجز: «تا تِكسبها عالمَيلين... كن مع الاتنين»[٢].

(١) محمد بسّام: جبل عامل بين سورية الكبرى ولبنان الكبير ١٩١٨ – ١٩٢٠م، دار الكواكب للتصميم والطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١١م، ص١٣٩.

(٢) نفس المرجع، ص١٦٧.

عبّا تؤيّد الزّعامات المحلّيّة المؤيّدة للانفصال:

بدايةً، وبعدما أعلن يوسف بك الزين التعاطف مع الحكومة العربية بقيادة الأمير فيصل في دمشق، عاد بعد مدة ووطد علاقته بالفرنسيين بعد اختياره لأول مجلس استشاري عن منطقة النبطية، ومن ثم فاز عام (١٩٢٢م) بالاقتراع الشعبي بعضوية المجلس التمثيلي. وفي سنة (١٩٢٥م) حلّ المفوّض السامي المجلس التمثيلي، ودعا إلى انتخابات جديدة، أيضًا فاز فيها الزين. وساعده على تثبيت زعامته انحسار الدور الأسعدي، إثر الخلاف الذي دبّ بين عبد اللطيف الأسعد وأخيه محمود. وكان ليوسف الزين مؤيّدون لسياسته على امتداد بلدات جبل عامل، منها عبّا. روى وقائع هذا التأييد شريف عبد اللّه جواد خليل بالقول: «والدي كان مؤيدًا ليوسف بك الزين، كان ذلك عام (١٩٣٣م) كنت صغيرًا في سن (١٤) عندما قصدنا منزله الذي كان مقصدًا للوفود من القرى المجاورة. أحد الأشخاص من عبّا كان يردد على مسامعنا ما يجب قوله في حضرة البيك - (Vive la France فلتحيا فرنسا). وكنّا نردد أيضًا مع مجموعة من الشبان أمثال: محمد حسن حسين والد عريف المنبر الحسيني السيد محمد حسن وعبدو معلّم طقطوقةً مطلعها: من لندرا [لندن] لأسكيشار [إسكي شهر Eski Şehir - هي مدينة تقع في الشمال الغربي لتركيا] طاعوا لأمرك يا عميد»[1]. تعكس هذه الرواية أجواء ما بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى عندما ظهرت إلى العلن أطماع الدول المنتصرة لوضع اليد على المشرق العربي. وكان أول ملامحها ظهور طروحات سياسية عربية متناقضة، توزعت بين الدعوة إلى مشروع استقلالي وحدوي سوري، وآخر استقلالي لبناني (لبنان الكبير)، وفدرالية سورية تحت وصاية فرنسية. في هذه المرحلة كثرت شعارات حق تقرير الأمم الصغيرة مصيرها في إدارة نفسها بنفسها، قابلتها شعارات مضادة انعكست لدى العامليين مناخًا شديد التوتر.

(١) مقابلة مع شريف عبد الله جواد خليل، مرجع سابق.

عبّا تؤيد الانضمام إلى دولة لبنان الكبير:

انطلق إلى جبل عامل المبشرون اللبنانيّون أو سماسرة الاحتلال، وبعض المأمورين الذين لهم ضلع مع الاحتلال يذرعون جبل عامل ليلَ نهارَ، ينظمون بعض عرائض الانضمام إلى لبنان الكبير ومساعدة فرنسا... وذلك لرفعها إلى مؤتمر السلم في باريس. وتجاوزًا للزعماء العامليين «عمد القومندان شاربنتيه شخصيًّا إلى العمل الحثيث على الساحة العاملية بشتى السبل: المال والوظائف. فكان يستدعي مختاري القرى ليوقعوا له وثائق الانضمام إلى لبنان الكبير تحت الوصاية الفرنسية لقاء مضاعفة رواتبهم من (٧٠) إلى (٥٠٠) ليرة...، بالمقابل كان العروبيون يُفهّمون المخاتير أبعاد هذا الشرَك ويحصّلون منهم على عرائض مضادة»[١]. وحملت هذه العريضة حوالي الـ(٢٠٠) توقيعٍ لأئمة ومخاتير ووجهاء جبل عامل، «ومن بينهم تواقيع لمخاتير دير انطار، مشرفٍ، برج قلويه، كونين، عبّا، يارون وغيرهم...»[٢]. يروي خليل توفيق ترحيني أبو بشار في مدونته العرايس[٣]، أن خليل أبو دلا توفي عام (١٩٠٥م)، فاستلم الزعامة من بعده ابنه حسن الذي كان قد لمع اسمه في أثناء الحرب العالمية الأولى شأنه شأن كل زعيم ضيعة، بحيث أصبح الحاكم والوالي والآمر والناهي في البلدة. وامتدت وجاهته إلى النبطية والقرى المجاورة، ونسج علاقة مميزة بكامل بك الأسعد زعيم جبل عامل آنذاك مؤيدًا له. لذلك جاء توقيع المختار حسن خليل على عريضة الانضمام إلى لبنان الكبير بدعم فرنسي، طبيعيًّا وفي سياق الفهم السياسي لطبيعة التوازنات لدى العرب عمومًا وبعض الزعماء العامليين على وجه الخصوص. فقد كانوا تائهين في لعبة الأمم الكبرى، خاصة أنهم خارجون حديثًا من سياسة الإقطاعي

(١) لمزيد من التفصيل حول العرائض، يراجع: محمد بسّام: جبل عامل بين سورية الكبرى ... مرجع سابق، الصفحات ١٦٥-١٦٦-١٦٧-١٦٨.

(٢) العريضة المذكورة، منشورة سابقًا في كتاب علي عبد المنعم شعيب: مطالب جبل عامل، الوحدة والمساواة في لبنان الكبير ١٩٠٠ - ١٩٣٦م، الطبعة الأولى، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٧م، ص٧١. وثيقة رقم (٢).

(٣) خليل توفيق ترحيني: وجهاء بلدة عبّا الجنوبية ...، مرجع سابق.

والعشيرة. هذه المواقف السياسية التي جمع بعضها بين الوحدة والانفصال، أو بين الوصاية والاستقلال في آن، انعكست لدى العبّاويّين، بلبلة سياسية أضاعت عليهم الموقف السياسي الواضح، حتى حيال أعمال المقاومة الشعبية التي نشأت في وجه الفرنسيين ومشاريعهم التقسيمية.

عبّا تمتنع عن دعم مقاومي الانتداب الفرنسيّ:

في ضوء التّحدّي العاملي المستمرّ للوجود الفرنسي ومشاريعه الطائفية في المنطقة، التي لم يتجاوب معها إلا البعض، اتَّخذَتِ الأعمال العسكرية للثوار العامليين شكلَ حرب مفتوحة، وإلى حدّ ما تحريرية. وتكاد المصادر تجمع على أن بلاد بشارة وقضاء صور وملحقاته خصوصًا، كانت منطقة شبه محرّرة من الانتداب الفرنسي عسكريًّا وأمنيًّا وماليًّا، باستثناء مراكز الأقضية والحواضر العاملية: صيدا، صور، جديدة مرجعيون، النبطية، وبعض الجزر السّكّانيّة. وتظاهر الفرنسيون بالعجز عن توطيد الأمن وراحوا يعرضون السلاح بكثافة على الجهّال للمشاركة في التصدي لعصابات الثوار، وعمدوا إلى تشكيل عصابات مسيحية، وحاول الفرنسيون أيضًا إشراك المسلمين في ظل إشاعات عن هجوم الثوار على النبطية ونواحيها(١).

وربطًا بحملة توقيع العرائض للانضمام إلى دولة لبنان الكبير بمساعدة فرنسا وتأييد بعض العامليين لها ونشوء معارضة مسلحة لهذا الانضمام، كان بعض الأعيان أيضًا يرفضون التبرع للثوار، سواء لتناقض سياسي معهم، أم لاعتبار ذلك أتاوة لا يليق بمقامهم الاجتماعي الإذعان لها. فكان هؤلاء عرضة لإغارات تأديبية خاصة على ممتلكاتهم من مزروعات ومواشٍ وما شابه. وربما هذا ما أشار إليه أحد الثوار بتعبيره العامّيّ: «... واللي نلاقيه خاين نروح نطبّ ع دابتو»؛ أي نغزو دوابّه وطروشه ومواشيه. وخلال حملة نيجر(٢) فرض أدهم خنجر على قرية (عبّا)

(١) محمد بسّام: جبل عامل بين سورية الكبرى... مرجع سابق، الصفحات ٣٤٢-٣٥٨.

(٢) «بعدما جرى مؤتمر وادي الحجير في نيسان ١٩٢٠م على عجل، ورسم الخطوط العريضة للقضية وأصر =

خمسين ليرةً ذهبًا لنفقات الثوار، فلم تذعن القرية للأمر، فهوجمت واستيق بعض أبقارها. ومن ثم أُعيد المنهوب بعد مداخلة من صادق الحمزة بفداء عن كل رأس ست ليرات»[١]. ينقل سعيد إبراهيم يونس (أبو محمد)[٢] عن الذين عاصروا تلك المرحلة، أن أدهم خنجر وصادق حمزه نظّما مقاومة شعبية لطرد المحتل الفرنسي والإنكليزي، لكن مقاومتهما لم تخلُ من أعمال بلطجية. وذات ليلة تسللوا إلى عبّا من ناحية (العقبة وهو مرتفع مطل على البلدة) وقاموا باحتجاز عدد من الأبقار في ناحية وادي السيد، وطالبوا بثلاث ليراتٍ ذهبيّة عن كل رأس بقر، وتمّ لهم ذلك.

في هذا السياق، تذكر المصادر التاريخية ثلاثة مصادر كانت تموّل المقاومة الشعبية، وهي: الحكومة العربية في دمشق - من الثوّار أنفسهم - قادة (العصابات). وكان هؤلاء يكلّفون بعض الوجهاء والمتمولين والقرى مبالغ معينة لتغطية النفقات العسكرية والتموينية للثوّار المتطوّعين... وكان بعضهم يلبّي هذا الطلب طواعية سواء تأييدًا للمقاومة العاملية أم مرعاةً للأمر الواقع. وبذلك، يُعَدُّ دعم العامليين للمقاومة طوعًا أو قسرًا، مجرد دعم شكلي، وليس تبنّيًا صريحًا للثوار والثورة، تمامًا كما يفصح عنه كامل بك الأسعد في كتاب له إلى الجنرال غورو سنة (١٩٢٢م) يقول فيه: «كنت في غالب الأيام أُكاتب حكومة النبطية بتفاصيل الحوادث الجارية في جبل عامل، بواسطة المدير [النبطية] أو بكوات آل الفضل أو يوسف الزين، وكنت أجتمع في كل أسبوع مرة أو مرتين مع مستشار مرجعيون الكابتن باكي ومستشار النبطية والملازم توليه، وفي كل اجتماع أنذرهما بخراب البلاد إذا بقيت خاليةً من القوة العسكرية [الفرنسية]، ولم أجتمع مرة بالكولونيل نيجر إلّا التمستُ منه إيجاد قوة كافية لحفظ الأمن. وهذا الأمر، أقرّ به أيضًا الشيخ سليمان ضاهر،

= على رفض الاحتلال الفرنسي وأفتى بحُرمة الاقتتال الطائفي. عندها عرف الفرنسيون أنّ مشروع الفتنة انتهى: أطلقت فرنسا في ١٩ و٢٠ أيار١٩٢٠م حملة عسكرية في جبل عامل بقيادة الكولونيل نيجر NIEGER آمر فصيلة صور آنذاك، وضمت إلى أمرته فصيلة أرلابوس ARLABOSSE في النبطية» يراجع، محمد بسّام: جبل عامل بين سورية الكبرى مرجع سابق.

(١) نفس المرجع، ص٤١٨.

(٢) مقابلة مع سعيد إبراهيم يونس.

الذي عاين الأحداث وكان شاهدًا عليها، عندما قال: «لم يكن انضواء الشباب العاملي في المقاومة العاملية بتحريض من الزعماء العامليين. ولو [أنه] كانت لهم يد في ذلك لكان لتلك الثورات شأن غير شأن، ولسارت على نظام قد لا يهون على القوى الفرنسية أن تنال من ذلك الجبل الأشم ومن رجاله الأشداء»[١].

موقع (عبّا) في دولة لبنان الكبير (حدودها - مساحتها - وتقسيماتها الإدارية):

إن أقدم أثر يفيد بأن الموقع الحالي لبلدة (عبّا) كان مأهولًا بالسكان، هو عثور أحمد عبد اللّه إبراهيم الشيخ إبراهيم حريري، على عملة ذهبية يقال لها المعزّيّة نسبة إلى المعزّ لدين اللّه الفاطمي الذي حكم ما بين (٩٥٢- ٩٧٥م)، وذلك أثناء رعيه قطيع الماعز خارج البلدة لناحية العتبات، وقد اشتراها منه مختار البلدة آنذاك شريف يوسف أسعد، ولم يعد يُعرف عنها شيء[٢]. سواء صحّت هذه الرواية أم لا، فهي تفيد بالنظر إلى تاريخية القطعة النقدية أن الموقع الحالي للبلدة وما يجاوره كان خاضعًا للحكم الفاطمي، وكان على الدوام مكان إقامة وممرًّا للقوافل التجارية أثناء عبورها نحو الداخل. كذلك ورد ذكر للبلدة، في دراسة إدارية - جغرافية بعنوان: الإدارة والسكان في سنجق صفد في القرن السادس عشر من تأليف: Harold Rhode[٣] عرض فيها الكاتب لبيانات تعود لتلك الفترة، جرى اعتمادها من قِبل الانتدابين البريطاني والفرنسي عندما قاما بوضع خرائط الانتداب على فلسطين ولبنان. وهذه البيانات، تظهر التكوين الإداري لسنجق صفد، وكان جبل عامل ومن ضمنه، أي إن (عبّا) تابعة له. يبيّن الجدول التالي الوضع الإداري للبلدة (قرية) بحسب التصنيفات التي كانت معتمدة ذلك الحين.

(١) محمد بسّام: جبل عامل بين سورية الكبرى ... مرجع سابق، الصفحات ٤٢٥-٤٢٦.

(٢) أخبار متفرقة عن أحوال البلدة نقلاً عن حسن ترحيني، نجل العلّامة السيد محمد ترحيني.

(٣) هارولد رود (من مواليد ١٩ أيلول ١٩٤٩م): متخصص أمريكي في الشرق الأوسط. درس على نطاق واسع في جميع أنحاء العالم الإسلامي، وأجرى أبحاثًا في الجامعات والمكتبات في مصر وإسرائيل وسورية والأردن وإيران وأفغانستان وتركيا وأوزبكستان وكازاخستان.

جدول رقم (١) يبيّن التصنيف الإداري لقرية (عبّا) في القرن السادس عشر(١)

Name الاسم	Adminunit التصنيف	Maplocation الموقع على الخريطة	Nahyie الناحية	Landtenure الولاية	Pagenamber رقم الصفحة
Abbah	V قرية	L 120 ١١٦ /١٥٠	S	Z صفد	٣١٣

وهناك (رسالة) غير معروف كاتبها وتاريخها والشخص المرسلة إليه، وردت منسوخة في كتاب «الكشكول»(٢)؛ ورد في الرسالة أسماء بلدات جبل عامل، ومن ضمنها بلدة (عبّا). لكن، يبدو لنا أن كاتبها شخص من بلدة أنصار - قضاء النبطية؛ لكونه استهلّ الرسالة باسم (أنصار). يرجو كاتب الرسالة في نهايتها، رفع الظلم عن أهلها. ويبدو من مضمون النص أن كاتبها كان يخاطب شخصًا، بقوله: (مولانا). وأغلب الظن أنه الشيخ البحراني، وأنه حال الفراغ من كتابتها، قفل عائدًا إلى بلدته، وهذا يبدو واضحًا من بيت الشعر، الذي ختم به الرسالة، حيث يقول فيه:

كيفَ الوصولُ إلى سعادَ ودونَها قُلَلُ الجبالِ ودونهنَّ حُتوفُ
الرِّجلُ حافيةٌ ومالي مركبٌ والكفُّ صِفرٌ والطريقُ مَخُوفُ

إذا صحّ ظنُّنا، بأن الرسالة موجهة إلى الشيخ البحراني، فإن تاريخ الرسالة يعود إلى القرن الثامن عشر؛ لكون الشيخ البحراني ولد عام (١٦٩٦م)، وتوفي عام (١٧٧٢م).

(١) Harold Rhode :The Adminstration and Population of the Sancak of Safed in the Sixteenth Century,Columbia university 1979, p 77

كما ورد ذكر (عبّا) على أنها مزرعة في كتاب:: السلاطين في المشرق العربي، معالم دورهم السياسي والحضاري - المماليك (٦٤٨ - ٩٢٣ هـ) - (١٢٥٠ - ١٥١٧ م)، لمؤلفه د. عصام محمد شبارو.

(٢) الشيخ يوسف البحراني: كشكول البحراني، المجلد الأول، منشورات دار ومكتبة الهلال بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، الصفحات ٣٣٣-٣٣٤. يذكر أن عنوان الكتاب بالأصل هو «أنيس المسافر وجليس الحاضر»، وهو كتاب معروف ومشهور باسم» كشكول البحراني« لمؤلفه يوسف بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صالح بن عصفور الدرازي. وهو رجل دين وفقيه ومرجع شيعي بحراني مولود سنة ١٦٩٦ م، ومتوفًّى سنة ١٧٧٢م.

ومهما يكن من أمر فإن ما سبق يبقى مجرد فرضيات. وإنما الثابت هو أن النصف الثاني من القرن التاسع عشر، شكل بداية تحول في الهيكلية الإدارية لجبل عامل ومعه بلدة (عبّا). فبعد زوال حكم العشائر عام (١٨٦١م) خضع الجبل للحكم العثماني المباشر. كما أصبح جبل لبنان من الناحية الإدارية منفصلاً عن باقي بلاد الشام، وتحت حكم متصرف أجنبي مسيحي عثماني غير تركي وغير لبناني تعينه السلطنة العثمانية بموافقة الدول الأوروبية العظمى الست: بريطانيا، فرنسا، روسيا، النمسا، إيطاليا. وكان الجبل يضم: أميون، البترون، جبيل، جونيه، بيت الدين، عاليه، بعبدا، زحلة. وقد استمر هذا النظام حتى نهاية الحرب العالمية الأولى وإعلان الانتداب الفرنسي. أمّا مدن بيروت وطرابلس وصيدا وصور ومناطق عكار والبقاع فقد بقيت خارج سلطة متصرفية جبل لبنان، وكانت تابعة لولاية بيروت وسنجق حمص، وهي على الشكل التالي:

ولاية بيروت وتضم:

أ- سنجق طرابلس، ويضم: حلبا، المنية، طرابلس، زغرتا، الضنّيّة وبشري.

ب- سنجق بيروت، ويضم: صيدا، صور، بنت جبيل، (النبطية)، مرجعيون، جزين.

ولاية سورية وتضم:

أ- سنجق حمص، ويضم الهرمل.

ب- سنجق دمشق، ويضم: بعلبك، جب جنين، راشيا.

ج- سنجق حوران، ويضم حاصبيا.

وبذلك، تكون (عبّا) تابعة إداريًا لولاية بيروت، لحين انتهاء الحرب العالمية الأولى. إنما بعد تشكّل دولة لبنان الكبير عام (١٩٢٠م) أصبحت البلدة خاضعةً لتحديد التنظيمات الإدارية لدولة لبنان الكبير بموجب قرار المفوض السامي رقم (٣٣٦) تاريخ (٠١/ ٠٩/ ١٩٢٠م) لا سيّما المادة (٢) و(٣) منه[1]. بحيث قُسّمت

---

(١) «... المادة ٢: تقسم دولة لبنان الكبير إلى أربع متصرفيات وبلديتين مستقلتين. وهذه المتصرفيات تتألف =

الأقضية إلى مديريات وجُعلت ستًّا وثلاثين مديرية هي: بعلبك - قب الياس- جبيل - الكفور- حمانا - بكفيا- الشويفات - شحيم - عدلون - المختارة - دير الأحمر- الهرمل - طليا - سغبين - راشيا - حلبا - سير - القبيات - اميون - زغرتا - دوما - بشري - قرطبا - ريفون - دير القمر - بسكنتا - الشوير - عاليه - عين زحلتا- رشميا- جزين - علما الشعب - تبنين - حاصبيا- النبطية **[عبّا]** - برمانا»[١]. وكان مصطلح (ناحية) يطلق على المديرية، ويشرف عليها موظف كبير ممثل للحاكم، ففي ناحية النبطية عُيِّن إبراهيم فياض من بلدة أنصار مديرًا[٢].

إنّ تركيبة لبنان الكبير التي لم يرضَ عنها قسمٌ من اللبنانيين، هدفت إلى إيجاد مركزية إدارية أكثر تركّزًا، تكون في يد فئة قليلة جدًّا، فظهرت سريعًا مساوئ شدّة حصر السلطة في الإدارة المركزية نفسها. ولأجل تعزيز نفوذ كبار الموظفين، رأت الحكومة آنذاك أنّ أفضل وسيلة هي أن تنقص عدد المناطق الإدارية، وأن تجعل

= من ١٢ قضاءً والأقضية تتألف من مديريات. المادة ٣: إن التقسيمات الإدارية هي: أولًا- متصرفية «لبنان الشمالي»، ومركز حكومتها «زغرتا»، وهي تتألف من: قضاء عكار المشتمل على قضاء عكار الحالي والقسم الواقع جنوبي نهر «الكبير» من حصن الأكراد ما خلا القسم الواقع شمالي نهر «الكبير» والمحدود شرقًا بالخط الممتد على مرتفعات وادي الحديد. قضاء زغرتا المؤلف من مديريات الزواية والضنية وبشري. قضاء البترون المؤلف من مديرتي الكورة ومديرية البترون نفسها. ثانيًا- متصرفية «جبل لبنان»، ومركز حكومتها بعبدا، وهي تتألف من: قضاء كسروان. قضاء المتن. قضاء الشوف. مديرية دير القمر الحالية. ثالثًا- **متصرفية «لبنان الجنوبي»، ومركز حكومتها «صيدا» وهي تتألف من قضاء صيدا المؤلف من مديريات التفاح وجزين والشقيف والقسم الشمالي من الشمر [عبّا]**. قضاء صور المؤلف من القسم الجنوبي من الشمر ومن القسم الواقع شمالي الحدود الفلسطينية من بلاد بشاره. قضاء حاصبيا المؤلف من قضاء حاصبيا الحالي ومن مرجعيون حتى الحدود الفلسطينية. رابعًا- متصرفية البقاع ومركز حكومتها زحلة، وهي تتألف من: قضاء راشيا. قضاء البقاع. معلقة. قضاء بعلبك. مديرية الهرمل. خامسًا- مدينة بيروت وضواحيها التي يتألف منها منطقة قائمة بذاتها سيعيَّن نظامها فيما بعد. سادسًا- مدينة طرابلس وضواحيها التي يتألف منها منطقة قائمة بذاتها سيعيَّن نظامها فيما بعد». الجريدة الرسمية: قرار المفوض السامي رقم ٣٣٦ تاريخ: ٠١/ ٠٩/ ١٩٢٠م تحديد التنظيمات الإدارية لدولة لبنان الكبير، العدد ٢، تاريخ ١/ ١/ ١٩٢١م، ص١٨-٢٣.

(١) إبراهيم بك الأسود: تنوير الأذهان في تاريخ لبنان، المجلد الثالث، ١٩٣٠، المطبعة العلمية ليوسف صادر، بيروت سوق سرسق، ص ١٢٥.

(٢) مقابلة مع شريف عبد الله جواد خليل ترحيني، مرجع سابق.

على رأس كل منها موظفًا تنتقيه من ذوي الكفاءات، وتوسيع صلاحياته. وهكذا من جديد، قسّمت البلاد إلى خمس مناطق، وأُعيد الأمر ذاته في العام (١٩٣٠م)، عندما قسّمت أراضي الجمهورية اللبنانية إداريًّا، بالمرسوم الاشتراعي رقم (٥) تاريخ (٣) شباط (١٩٣٠م) إلى خمس محافظات، هي: محافظة بيروت ومركزها بيروت، محافظة لبنان الجنوبي ومركزها صيدا **[عبّا]**، محافظة جبل لبنان ومركزها بعبدا، محافظة لبنان الشمالي ومركزها طرابلس، محافظة البقاع ومركزها زحلة. وقسمت هذه المحافظات إلى ثمانيةَ عشرَ قضاءً ...، وتألّفت محافظة لبنان الجنوبي من: قضاء صيدا ومركزه صيدا **[عبّا]**، وجُعل لكل محافظة محكمة بدائية مركزها قاعدة المحافظة[1]. وعُزّزت سلطة المحافظ، فأنيط به تولّي إدارة شؤون المحافظة، وأمّا القضاء فيديره قائم مقام، باعتبار أنّ المحافظ يمثل السلطة المركزية، وأنّ القوانين والأنظمة والتعليمات والقرارات الصادرة عن الوزارة، تُبلّغ إلى الدوائر المختلفة في الملحقات بوساطة المحافظ، وهو المسؤول عن تنفيذها. كما أُنيطَ به مهمة تحسين أحوال المعيشة عند أهل القرى ونشر التعليم بينهم، وتعويدهم مراعاة القواعد الصحية، وكان على المحافظ أن يراقب بنفسه إدارة مصالح البلديات في محافظته. ولا يزال التنظيم الإداري في لبنان خاضعًا، لأحكام المرسوم الاشتراعي رقم) ١١٦) تاريخ (١٢) حزيران (١٩٥٩م) الذي قسم لبنان إلى (٥) محافظات، إنما بإنشاء محافظة النبطية في لبنان الجنوبي– مركز

(١) «محكمة النبطية الصلحية (قضاء صيدا) محافظة لبنان الجنوبي –مركزها الدائم النبطية – ارنون – ركي – أنصار– بفوة [بفروة] بنعفول – تول – جب شيت – جباع –جرجوع – حاروف –حبوش –الحسينية– الحمرة –حمى ارنون – حميلة – حومين الفوقا – حومين التحتا –خزيز – الدوير– دير الزهراني – رومين– زبدين – زفتا – زوطر الشرقية – زوطر الغربية –زيتا – سجد –سير الغربية – الشقيف – الشرقية – شوكين –صربا –(**عبّا**) – عدشيت – عربصاليم – عزة –عين قانا – قصيبة – قعقعية الجسر –قناريت –كفربيت –كفرتبنيت – كفر رمان – كفرصير– الكفور كفرفيلا –كفرملكي – مزرعة بستان خليفة – مزرعة بستان نزهة وبياض – مزرعة بصفور مزرعة البياض – مزرعة الخريبة – مزرعة دمول – مزرعة شلبعل –كزرعة طبايا –مزرعة قلعة ميس– مزرعة القنطرة – مزرعة كفرجوز – مزرعة مقسم علي الضاهر – مصيلح– ميفدون – نبطية التحتا – نبطية الفوقا – النميرية –يحمر». إبراهيم بك الأسود: تنوير الأذهان ... مرجع سابق، ص٢٥٨.

قضاء النبطية[١] **(عبّا)** أصبح العدد (٦)، وكان آخر تعديل للتنظيم الإداري قد تم بإنشاء محافظتين جديدتين هما: محافظة عكار - محافظة بعلبك الهرمل[٢].

وهكذا نرى أن شعاع المساحة الجغرافية للموقع الإداري لبلدة **(عبّا)** تقلص بفعل التطورات السياسية التي حدثت في بلاد الشام. فبعدما كانت البلدة تابعة لسنجق صفد في فلسطين في القرن السادس عشر، وخاضعة للحكم العثماني في إطار ولايات السلطنة، أصبحت مع دولة لبنان الكبير وحقبة ما بعد الاستقلال، بلدةً تابعةً لقضاء صيدا، لتنتهي في العام ١٩٧٥ إلى بلدة تابعة لقضاء هو مركز محافظة النبطية، مع ما يحمل هذا الأمر من أهمية على مستوى تعزيز اللامركزية الإدارية على مستوى التنمية والخدمات الإدارية التي أصبح إنجازها حصرًا منوطًا بالقضاء. وكان آخر تصنيف للبلدة جرى سنة (٢٠٠٥م) بتكريس مصطلحات جغرافية - هندسية للمناطق العقارية والمدن والقرى في لبنان، أصدرته دائرة الإحصاء المركزي (دليل) هو عبارة عن تصنيف علمي للبلدة (التسمية - الموقع) وجاء تصنيفها، كما هو مبين في الجدول التالي:

عبَا- aabba في دليل المناطق العقارية والمدن والقرى في لبنان[٣]

الرمز الجغرافي	الرقم المتسلسل في المنطقة العقارية	تصنيف القرية أو المنطقة	الاسم باللاتيني	الاسم بالعربية	رقم المنطقة العقارية	الخارطة التي توجد عليها المنطقة	الإحداثيات الجغرافية	المساحة هكتار
٧١٣٥١	١	CF	Aabba	عبّا	٧٨	E03	١١٨	٧٤٢

(١) الجريدة الرسمية، قانون رقم ٣٦ تاريخ ٢٣/ ٩/ ١٩٧٥م، العدد ٧٥ تاريخ ٢٦/ ٩/ ١٩٧٥م.

(٢) الجريدة الرسمية، قانون رقم ٥٢٢ تاريخ ١٦/ ٧/ ٢٠٠٣م، العدد ٣٤ تاريخ ١٩/ ٧/ ٢٠٠٣م، الصفحات ٤٠٤٦-٤٠٤٧.

(٣) الجمهورية اللبنانية، رئاسة مجلس الوزراء، دائرة الإحصاء المركزي، دليل المناطق العقارية والمدن والقرى في لبنان، حزيران ٢٠٠٥م، بيروت - لبنان، ص١٢٢.

أمّا التسمية، فقد ورد بشأنها آراء عديدة:

ضبطت في كشكول البحراني: **عُبًّا [ᶜubba] أو عِبًّا [ᶜibba]** (عُبًّا) بعين مهملة مضمومة، والعامة تكسرها، وموحدة تحتيّة مشددة بعدها ألف. ورجح أنيس فريحة: أنه من السريانية ᶜubba (الوسط والنصف، والقسم الداخلي (في العامية العِبّ. وقد تكون تحريف ᶜaba الغاب والأجمة والحرش والأول أرجح. كما ورد ذكر بلدة عبّا، في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية لبريطانيا العظمى وأيرلندا، ضمن تقرير أعده النقيب New Bold,F.R.S عضو جمعية Philoma thique andgeological societiesof paris، بتاريخ (٢٠) شباط (١٨٤٧م)، مكتوبًا بهذا الشكل (عثبا – Athba)[1].

وبشأن الموقع والتضاريس وعدد السكان: «هي تبعد عن النبطية مركز القضاء زهاء أربعة أميال (١١) كلم، وترتفع عن سطح البحر ٢٦٠م»[2]. وفي قاموس لبنان ورد أن عبّا تابعة لمديرية النبطية من محافظة صيدا سكانها(٣٢٠) ش»[3]. وفي العام (١٩٣٦م) نشرت مجلة العرفان نتائج إحصاء العام (١٩٣٢م) حيث ورد

---

(١) في التقرير وصف دقيق عام لتضاريس المنطقة الواقعة ما بين الساحل والجبل، وتشمل صيدا وصور والأردن (بلاد بشارة)، يتناول الجبال والسهول والوديان والصخور والتربة والطرقات والمسالك والجسور والقلاع والقناطر والخانات والأنهار والأشجار البرية والمثمرة والمزروعات. ولم يخصص التقرير بالوصف سوى المدن والبلدات الرئيسة التي مرّ بها.

The Journal of the Royal Asiatic Society of Great Britain and Ireland «On the Mountainous Country, the Portion of Asher, between the Coasts of Tyre and Sidon, and the Jordan» Vol. 12 (1850) Published by: Cambridge University Press ,pp371.

(٢) الشيخ سليمان ضاهر، معجم قرى جبل عامل، الجزء الثاني، دار التعارف للمطبوعات، ٢٠٠٦م، الصفحات ٧٤-٧٥.

(٣) يقول الكاتب في مقدمته إنه: «يتوجه بالثناء إلى الأفاضل الذين أتحفوني بمعلوماتهم عن مدنهم وبلداتهم، لا سيما شيوخ القرى الذين لبوا ندائي والوجوه الذين استعنت بهم على ما في بلدانهم من معلومات. وإذا رأى أحدهم نقصًا عن بلدته فليوجِّه لومه إلى شيخه». وديع نقولا حنا، قاموس لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٢٧م، مطبعة السلام، بيروت، ص١٧٥.

أن عدد سكان عبّا (٥٦٣) شخصًا»[١]. وورد في معجم قرى جبل عامل للشيخ سليمان ضاهر، أن العنداري قدّر عدد سكانها سنة (١٩٧١م) بـ(٢٠٥٠) نسمة. وقدرهم مرهج نفس العام بـ(٣٠٠٠) نسمة. وقدرهم علي فاعور سنة (١٩٨١م) بـ(٣٠٤٠) نسمة...»[٢].

والجدير بالملاحظة أنّه:

١- هناك فارق كبير بين عدد السكان في الإحصاء المنشور في قاموس لبنان عام (١٩٢٧م)، وإحصاء العام (١٩٣٢م) المنشور في مجلة العرفان عام (١٩٣٦م)، بلغ (٢٤٣) شخصًا، أي ما نسبته (٤٣,١٦٪)، وهي نسبة مرتفعة.

٢- لم يذكر مؤلف قاموس لبنان في أي عام أُجري الإحصاء، ما يدفع للافتراض بأنه ناتج عن إحصاء العام (١٩٢٤م) الذي أجراه الانتداب الفرنسي، لا سيما أن مؤلف الكتاب يقول في مقدمته إنه استقى إحصاءاته من وزارة الداخلية. وإذا صحّ هذا الافتراض تكون هذه الزيادة واقعية، طرأت خلال ثماني السّنوات؛ أي بين (١٩٢٤ - ١٩٣٢). كما أن اقتصار المعلومات عن عبّا، على عدد السكان فقط، فيبدو أن أحدًا من بلدتنا لم يبادر إلى تزويده بالمعلومات، ربما لعدم درايتهم بالأمر، هذا إذا أحسنّا الظّن بهم.

بعض الاستنتاجات:

انخرط العبّاويّون كغيرهم من أبناء جبل عامل، في معركة تحديد حجم الكيانات وشكلها التي أرادها الانتداب ترجمةً لنتائج الحرب. معركة عنوانها صراع الوحدة والتجزئة في المشرق العربي. طُرحت خلالها مشاريع سياسية متناقضة، تراوحت بين الدعوة، إلى مشروع استقلالي وحدوي سوري (سوريا الكبرى الحرّة) يقابله

(١) جبل عامل في الإحصاء الأخير: وثيقة منشورة في مجلة العرفان، الجزء الثامن، المجلد الـ٢٦ كانون الثاني ١٩٣٦م، ص٥٧٦.

(٢) الشيخ سليمان ضاهر، معجم قرى جبل عامل، ... مرجع سابق، الصفحات ٧٤-٧٥.

مشروع استقلالي لبناني (لبنان الكبير بوصاية فرنسية)، وآخر انتدابي سوري (فدرالية سورية تحت وصاية أجنبية).

موقف العبّاويين من هذه المشاريع، بقي فيه شيء من الالتباس، ذلك أن الانخراط في حملة العرائض الفرنسية في جبل عامل، وتوقيع المختار كبقية مخاتير جبل عامل، على العريضة المؤيدة للانتداب، وتأييد البعض للزعامات المحلية المؤيدة للانفصال والتحشيد لها في المناسبات، والامتناع عن دعم مُقاوِمي الانتداب الفرنسي أو دعمه طوعًا أو كرهًا، ليست بالضرورة تعبيرًا عن رأي معظم العبّاويين، تمامًا كموقف بقية العامليين.

السعي الفرنسي للاستحصال من عامة الأهلين، وبشتى الوسائل، من الترغيب إلى الترهيب، ومن الأموال إلى الإغفال على عرائض تطالب بالوصاية الفرنسية، انعكس لدى العامليين -وكذلك العبّاويين- بلبلةً سياسيةً أضاعت عليهم الموقف السياسي الواضح، إن لم يكن الموحّد. ولم تكن الازدواجية في الأوساط الشعبية (المخاتير) أفضل حالًا من بعض الزعماء، أمثال يوسف بك الزين الذي أعلن بدايةً التعاطف مع الحكومة العربية بقيادة الأمير فيصل في دمشق، ثم عاد بعد مدة ووطد علاقته بالفرنسيين بعد اختياره لأول مجلس استشاري عن منطقة النبطية. أو موقف كامل بك الأسعد الذي أفصح عنه في كتاب له إلى الجنرال غورو عام (١٩٢٢م) حذّر فيه من خراب البلاد إذا بقيت خالية من القوة العسكرية الفرنسية. وهذه الحال أقر بها الشيخ سليمان ضاهر، الذي عاين الأحداث وكان شاهدًا عليها، عندما قال: لم يكن انضواء الشباب العاملي في المقاومة العاملية بتحريض من الزعماء العامليين. ولو كانت لهم يدٌ في ذلك لكان لتلك الثورات شأن غير شأن، ولَسارت على نظام قد لا يهون على القوى الفرنسية فيه أن تنال من ذلك الجبل الأشم ومن رجاله الأشداء.

وعليه، يمكن القول: إن العامليين ومعهم العبّاويون كانوا تائهين في لعبة الأمم الكبرى، خاصةً أنهم خارجون حديثًا من سياسة الإقطاعي والعشيرة، إلى فضاء أوسع، في دولة لها حدودها ومساحتها وتقسيماتها الإدارية، وتركيبة لم يكونوا

راضين عنها. تركيبة هدفت إلى إيجاد مركزية إدارية أكثر تركّزًا، في يد فئة قليلة، ظهرت سريعًا مساوئها في الإدارة المركزية نفسها. وهكذا بتنا نرى أن شعاع المساحة الجغرافية للموقع الإداري لبلدة عبّا تقلص بعدما كانت تابعة لسنجق صفد في فلسطين، وخاضعة للحكم العثماني في إطار ولايات السلطنة، أصبحت مع دولة لبنان الكبير وحقبة ما بعد الاستقلال، بلدة تابعة لقضاء صيدا، لتنتهي في العام (١٩٧٥م) إلى بلدة بألفاظ متعددة، تابعة لقضاء هو مركز محافظة النبطية.

الفصل الثاني:

التكوّن السكاني في جبل عامل والخصائص السكانية والإدارية في عبّا

التكوّن السكاني في جبل عامل:

جاء دخول الفرنجة (الصليبيين) عام (١١٠٠م) عاملًا تاريخيًّا في غاية التأثير، أدى إلى خلط الوضع السكاني في بلاد الشام، وأعاد توزيعه من جديد. وعليه، فقد كان مبررًا أن نرى مدنها وقراها ومزارعها من بعده غير ما كانت عليه من قبله. فقد كانت المنطقة الواقعة بين القـدس وجزين (جنوب - شمال) وصور ومرجعيون (غرب - شرق)، أي ما نعرفه اليوم باسم جبل عامل، كان شبه خالٍ من السكان ولـم يمتلئ إلا بسبب تلك الحروب التي دفعت بالسكان إلى النزوح من أوطانهم الأصلية في الأردن وفلسطين -خصوصًا من طبرية وصور- بدءًا من القرن الميلادي الثاني عشر. فقد كان جبل عامل بدءًا من القرن الحادي عشر للميلاد «أو بعضه، معمورًا بنسبة من السكان الشيعة، لأنه كان مطوقًا من غربه وبعض شرقه بمراكز سكنية شيعية، والحركة السكانية التي أتت من سهل الحولة باتجاه الساحل، هي التي جعلت من مدينة صور تتحول شيئًا فشيئًا إلى مدينة ذات أكثرية شيعية. وإن منطقةً تمر بها حركة سكانية، وتقع بين سهل خصيب ومتقدم تنمويًّا، على نحو ما وصفناه من شأن طبريّة وجوارها القدس، وبين مدينة مزدهرة، لا بد من أن ينالها نصيب من العمران، خصوصًا حيث تتوفر شروط العمران، من مياه وأرض جيدة،

مثل سهل مرجعيون الخصيب والتلال المشرفة عليه»[١].

يتبين لنا من كل هذا أن جبل عامل الذي نعرفه اليوم، قد بدأ يتكوّن بشريًّا في أواخر القرن الحادي عشر للميلاد، بالنزوح الكثيف إليه من المراكز السكانية الشيعية التي كانت في الأردن، وخصوصًا من مدينة طبرية والقرى والمزارع الكثيرة التي كانت بجوارها من حول البحيرة ومناطق أخرى في فلسطين وخصوصًا نابلس. وهذا النزوح مشابه للذي حدث نتيجة عوامل عديدة في أوقات معينة وسيظل يحدث في فترات لاحقة في أغلب مدن بلاد الشام وقراها ومزارعها بوصفها ملجأً يمنح الجماعات السكانية الأمان.

التكوّن السكاني في عبّا:

ميّزت الدراسات السكانية بين الحراك الداخلي والخارجي، فاستعملت مصطلح النزوح عندما تعلّق الأمر بانتقال الأفراد من الأرياف إلى المدن، والهجرة عند الانتقال خارج حدود الدولة. ولا يختلف هذان النوعان من الحراك اختلافًا جوهريًّا، لأن أسبابهما وآثارهما وبعضًا من أنماطهما يكاد يكون متماثلًا. وعمومًا لكل حراك سكاني سمات تبرز تباعًا في إطار عوامل مختلفة تشير إليها الدراسات السكانية، بمقولة القطب الدافع والقطب الجاذب، وهي مقولة تُبقي المجتمع الإنساني في حراك دائم. وبناءً على ذلك، يصحّ وضع التكون السكاني في عبّا في إطار هذه العلاقة، ودراسته وفق الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي الذي مرّت به بلاد الشام لفترات طويلة، مرّة حين «نتج من نزوح الموارنة من الشمال إلى كسروان تهجيرُ الشيعة من هذه المنطقة على مدار سنين طويلة، نتيجة أعمال عنف واضطهاد دفعت فئة كبيرة من أهلها إلى النزوح القسري باتجاه بعلبك وجبل عامل»[٢]. ومرّة أخرى، حين حلّت بالشيعة أعظم نكبة «حدثت في زمن السلطنة

(١) الشيخ جعفر المهاجر: التأسيس لتاريخ الشيعة في لبنان وسورية، دار الملاك للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م، ص٢١٤.

(٢) سعدون حمادة: مرجع سابق، ص٣٦٥.

العثمانية في عهد السلطان سليم الأول، فقد شُنّت عليهم حرب دامت سنين، في زمن السلطان عباس الصفوي، وفتك فتكًا ذريعًا بالشيعة المقيمين على الحدود الإيرانية، وأصابت شروره مدينة حلب - وكان معظم أهلها من الشيعة الإمامية- فقتل منهم مقتلةً عظيمة، وأجلى من بقي منهم إلى الضواحي في جهات إدلب، وهاجر بعضهم إلى جبل عامل فتوطّنوه، ومنهم السادة آل بدر الدين المتصل نسبهم بالأشراف من آل زهرة فقهاء حلب»[(١)].

هذا في العام، أما في الخاص المتعلق بالتكوّن السكاني في عبّا، وتحديدا التراحنة منهم، وهم الأكثر عددًا في البلدة، فهناك رواية بشأنهم، لم يجرِ التدقيق بها، متداولةٌ بكثرة وراسخة في الذاكرة الجمعية العبّاوية. هذه الرواية وردت في مقالة كتبها خليل توفيق ترحيني في مدونته العرايس)[(٢)] تفيد «بأن آل (ترحيني) يعودون بنسبهم إلى قرية ترحين الواقعة ناحية الباب في محافظة حلب - سورية، وأنه حصل خلاف أدى إلى نزوح الأخوين أحمد ومحمد إلى لبنان، بينما استقر أحمد في العاقورة[(٣)]. وأمّا أخوه محمد فقد توجه إلى البقاع، ولعله أسس مزرعة (ترحين) فوق البردوني في زحلة وفقًا لما ورد في تاريخ زحلة للمؤرخ عيسى

---

(١) محمد جابر آل صفا: مرجع سابق، ص٦٧.

(٢) لمزيد من التفصيل حول (التراحنة) يراجع: خليل توفيق حسين ترحيني: مقالة بعنوان «التعريف بلقب الترحيني» منشورة في مدونة العرايس، السنة ١٧ العدد الأول، ١ نيسان ٢٠١٣م، الصفحات ١٦-٢٠. وقد استند كاتب المقال إلى مقالة نشرت في جريدة الديار لأنطوان شعبان: ملف العائلات... رحلة في جذور التاريخ - آل شاهين - السكاف «زحلة» مقالة منشورة في جريدة الديار، العدد ٣٤٩٨ تاريخ الثلاثاء ٩/ ٦/ ١٩٩٨م، ص٨. وإلى كتاب عيسى اسكندر المعلوف: مدينة زحلة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٤م.

(٣) حول هذه الرواية لم يرد سوى إخبار واحد وهو: «أن محمد بن يوسف الذي ينحدر منه (التراحنة) بحسب شجرة انتساب (التراحنة) فقد سكن قهمز في كسروان - لبنان من جهة المنيطرة منزل الشيعة القديم وعرفت سلالته بآل شرف الدين»: يراجع مجلة المرشد المجلد ٩٠٧ سنة ١٣٤٨ . كما ورد إخبار عن محمد المذكور في كتاب: المشجر الوافي - الجزء الثالث ص ٥٠٨ من تأليف حسين أبو سعيدة الموسوي - دار صادر بيروت. من جهتنا نرى أن لا رابط تاريخي بين أن يكون أحمد ومحمد هما من سلالة محمد بن يوسف بدليل وبحسب رواية مجلة المرشد هو أسبق منهما على سكن قهمز في كسروان، فكيف يكون بينهما صلة بينهما وقد نزحا إليها بفارق زمني يكون فيه محمد بن يوسف أسبق عليها بـ ١٣ جيل من الأولاد.

اسكندر المعلوف بأنها كانت موجودة واندثرت كما سيأتي فيما بعد. إلا أن بلدة ترحين اقتطعها السلطان سليم الأول لآل سكاف عام (١٥٧٠م)؛ لمناصرتهم إياه في معركة مرج دابق. لاحقًا جرى نزاع بين السادة وبين آل سكاف (الحاج شاهين) العائلة الطارئة على البلدة، فنزل آل سكاف إلى السهل، وتوزع السادة بين بعلبك وجبل عامل، فحلوا على هذه الربوة ونزلوا في مزرعة عبّا وصاروا يعرفون بآل الترحيني»(١). وحول النص الوارد في مدونة العرايس لدينا بعض الملاحظات:

١ - «... حصل خلاف أدى إلى نزوح الأخوين أحمد ومحمد إلى لبنان، بينما استقر أحمد في العاقورة. وأمّا أخوه محمد فقد توجه إلى البقاع، ولعله أسس مزرعة (ترحين) فوق البردوني في زحلة وفقًا لما ورد في تاريخ زحلة للمؤرخ عيسى اسكندر المعلوف». حول هذه الفقرة، نقول: لم يرد هذا النص في كتاب عيسى اسكندر المعلوف، المعروف بـ(مدينة زحلة) وليس (تاريخ زحلة). ثم لنفترض أنه ورد، فإن مضمونه يتناقض مع رواية أخرى وهي: أن الأخوين أحمد ومحمد حط بهما الترحال معا في عبّا، وأن أحمد لم يستقر في العاقورة بدليل ورود اسمي أحمد ومحمد معًا في شجرة أنساب (التراحنة) التي وجدت مع مجموعة كتبٍ ورثها أبو هاشم من جده حسن خليل أبو دلا، وأنه من أحمد تفرع آل (حمود، ياسين، علي حسين، حسين أحمد) ومن محمد تفرع آل (خليل، هارون، حسين، عثمان).

٢ - يلاحظ في مضمون الرواية ارتباط الاسم (ترحيني) بمكان هو قرية أو مزرعة (ترحين) وهي موجودة في كل من سوريا ولبنان. هذا الربط المكاني جائز، إذا أخذنا بالاعتبار ما يلي:

أولًا: تأثير العوامل السياسية والعسكرية والاجتماعية والاقتصادية التي كانت سائدة في أرجاء السلطنة العثمانية، والتي دفعت بموجات النزوح جماعاتٍ وفرادى من مناطق عدة سواء في لبنان أم سوريةأم فلسطين أم العراق أم مصر.

(١) لمزيد من التفصيل يراجع: خليل توفيق حسين ترحيني: مقالة بعنوان «التعريف بلقب الترحيني» منشورة في مدونة العرايس، السنة ١٧ نفس المرجع السابق والصفحات.

ثانيًا: جرت العادة في المجتمعات الشرقية، أن ينادى على القادمين الجدد إلى أماكن مأهولة، بأسماء مدنهم وقراهم التي أتوا منها، كأن يقال: (حموي - صفدي - بغدادي - إسكندراني)، كذلك الحال (ترحيني) نسبة إلى (ترحين). رغم ذلك، لا يكمن البناء على هذه القاعدة والربط بين اسم العائلة ومكان الإقامة، والجزم بأن تراحنة عبّا قدموا إليها من ترحين (زحلة) خاصةً إذا ما قارنا بين النص الوارد في مدونة العرايس، وما ورد حرفيًّا في مقالة أنطوان شعبان (ملف العائلات... رحلة في جذور التاريخ، آل شاهين - السكاف «زحلة») المنشورة في جريدة الديار، وهو الآتي:

«كانت أسرة الحاج شاهين المعروفة بسلالة حنا النصراني قد تبعت السلطان سليم العثماني فاتح سورية سنة (١٥٧١م)، من مسقط رأسها كفربهم قرب حماه إلى سورية المجوّفة (البقاع وبعلبك)، فأقطعها قرية ترحين قرب عرجموش، وترك لها الأموال الأميرية ببراءة كانت في أيدي أبنائها سلّموها إلى حكومة دمشق. وحدث في تلك الأثناء بين العائلة وبين السياد في بر إلياس، خصامٌ استفحل أمره فتركوا ترحين وجاؤوا زحلة واستوطنوها، ومن هذه العائلة اشتهر فرعان: أحدهما باسم الحاج شاهين، والآخر باسم السكاف، وجميعهم سكنوا زحلة وبعض قرى البقاع.»

أيضًا، ما ورد في كتاب عيسى اسكندر المعلوف (مدينة زحلة) حيث ورد ذكر مزرعة (ترحين) في موضعين من الكتاب في الصفحات ٧٣ و٨١:

أ- «أما موقع المدينة القديم [زحلة]، فربما كان في الوادي القائمة فيه الآن، ثم زحلت الأرض من الجانبين فطمرتها. أو إنها كانت في مشارفها الدنيا ممثلة مستعمرات صغيرة مثل المشرفية وعلين وعين الدوق وكساره (قيصرية) وتل زينة. أو إنها كانت في محلة البساتين مثل دمشق؛ لأن فيها أطلال أبنية كثيرة تحت الأرض ولا سيما عرجموش وترحين»[(١)].

ب- «وكانت أسرة الحاج شاهين المعروفة بسلالة إبراهيم الحنا النصراني قد تبعت السلطان سليم العثماني فاتح سورية سنة (١٥١٧م) من مسقط

(١) عيسى اسكندر المعلوف: مدينة زحلة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ٢٠١٤م، ص٧٣.

رأسها كفربهم قرب حماه إلى سورية المجوّفة (البقاع وبعلبك)، فأقطعها قرية ترحين قرب عرجموش، وترك لها الأموال الأميرية ببراءة كانت في أيدي أبنائها سلموها إلى حكومة دمشق، وحدث في تلك الأثناء بينها وبين السياد في بر الياس خصام استفحل أمره، فتركوا ترحين وجاؤوا زحلة واستوطنوها»[١].

ففي النصوص الثلاثة هناك تطابق شبه كامل في مضمون لا يقدم قرائن علمية تحمل دلالات وإيضاحات تؤكد صحّة الرواية المتداولة الواردة في مجلة العرايس، وعلى هذه النصوص نورد بعض الملاحظات:

أ- النص الأول الوارد في جريدة الديار: مقتبس بشكل كامل من كتاب تاريخ زحلة ولا إضافات من كاتب المقال عليه.

ب- النص الثاني الوارد في كتاب مدينة زحلة: يفترض فيه الكاتب - ولا يؤكد- موقع مدينة زحلة، ويورد احتمالين، ثانيهما يختص بـ(ترحين)، وهو أن موقع زحلة ربما كان فوق (أطلال أبنية تحت الأرض، ولا سيما عرجموش وترحين)، وهنا نجد ترحين عبارة عن أطلال مطمورة تحت الأرض لا حياة عليها، ولم يشر الكاتب إلى الجماعة التي كانت تقيم فيها قبل خرابها لانتفاء الأدلة.

ج- النص الثالث الوارد في كتاب مدينة زحلة: ورد أن مزرعة (ترحين) اقتُطعت لأسرة آل الحاج شاهين فترةً من الزمن؛ منذ ما يقارب خمسة قرون، ثم نزحوا عنها إلى زحلة واستوطنوها بعد خصام استفحل أمره مع السيّاد في بر الياس. هنا أيضًا لم يشر الكاتب إلى أن جماعة ما كانت تقيم في (ترحين) قبل اقتطاعها لآل الحاج شاهين؛ ولا بعد نزوحهم عنها إلى زحلة والجماعة التي استوطنها بعدهم.

إذًا في كلا النصين لا يوجد ذكر (للتراحنة) الذين قيل عنهم في رواية مجلة

(١) عيسى اسكندر المعلوف: مدينة زحلة، ... مرجع سابق، ص٨١.

العرايس: إنهم نزحوا من ترحين في حلب إلى ترحين في البقاع ثم إلى عبّا أو أي مكان آخر (العاقورة). لا بل يؤكد الكاتب أن آل شاهين، وليس (التراحنة)، هم الذين نزحوا من ترحين إلى زحلة بسبب الخصام مع السادة في بر الياس. كما يؤكد أن السادة (السياد) كانوا في الأصل من سكان بر الياس لا ترحين. وإذا افترضنا أن هؤلاء السادة هم من نزحوا إلى عبّا، أصبح السؤال مشروعًا، وهو: كيف اكتسب السادة لقب (ترحيني) ولم يكتسبوا لقبًا آخر منسوبًا إلى مكان سكنهم الأصلي وهو (بر الياس) لا (ترحين)؟

في هذا السياق، هناك رواية أخرى متداولة حول مصدر لقب (التراحنة) ذكرها حسين سليمان حريري، تدور حول معنى لقب ترحيني، يقول» :ذات مرة لأربعين سنة مضت كنت في بلدة بريقع، برفقة محمد خليل ترحيني (أبو فايز) و(أبو كامل عبد الحليم) و(أبو محمد سعيد)، حدثنا شخصان من بريقع بلهجة تنّم عن استخفاف بلقب ترحيني، حيث قالا: شو ترحيني هول أساسن بدديق. كان في مرا [امرأة] وطرّحوها. أبو محمد سعيد ردّ عليهما قائلًا له: أنتو أساسكن نوّر، عمر بن سعد هوي يلي خرج لقتال الحسين، أسيادكن عمر بن سعد والحجاج. يختم حسين سليمان بالقول: أتصور أن (ترحيني) اسم وافق عليه أهل البلدة والأصل تركي»[1].

وبناءً على ما تقدم، تبقى الرواية الشعبية الرائجة في عبّا مجرد أسطورة جرى تداولها جيلًا بعد آخر، وهي إسقاط تاريخي ضعيف فاقد للموضوعية وغير مستند إلى دليل علمي مثبت. بل مجرد استنتاجات لا يمكن البناء عليها لتأسيس حقائق تاريخية، لا سيّما أن نصّ عيسى اسكندر المعلوف كما أسلفنا، لم يشر من قريب أو من بعيد إلى صلة بين مزرعة (ترحين - زحلة) و(تراحنة عبّا).

إذًا، ما حقيقة هذا اللقب، ومن أين أتى التراحنة، وكيف اكتسبوا هذا اللقب؟ هذه المسألة لا إجابة عليها في الوقت الراهن، ومن ثمّ ستبقى في موضع تساؤل. في مقابل ذلك، الثابت لدينا علميًّا، هو الوارد في ثلاث وثائق:

(١) مقابلة مع حسين سليمان حريري، تولد ١٩٣٨م، والدته إقليمة حريري، بتاريخ ١٣-٦-٢٠١٢م.

- الأولى لم يعتمد فيها لقب (ترحيني). وهي عريضة[١] مؤرخة في (٢٤) شعبان (١٢٥٧هـ- ١٨٥٨م) جاءت مذيّلة بتواقيع وأختام حوالي (١٠٢) من علماء ومشايخ ورجال الدين ووجهاء من جبل عامل، ومن بين هؤلاء ورد توقيع لمختار بلدة عبّا، باسم خليل (أبو دلا).
- الثانية أيضًا لم يعتمد فيها لقب (ترحيني). وهي عقد مصالحة[٢] حُرر في (١) جمادى الأولى (١٢٨٧ - ١٨٦٦م) بين السيد علي أحمد، وخليل (أبو دلا) وكان شاهدًا عليه أسعد (أبو دلا) وأسعد المذكور في العقد هو ابن حسين شقيق خليل أبو دلا، كما هو وارد في مشجرة التراحنة.
- بينما نجد لقب (ترحيني) معتمدًا في الثالثة. وهي سفينة أدعية وزيارات[٣] مؤرخة في غرّة جمادى الثانية من عام (١٣٢٠ - ١٨٩٩م) على الشكل التالي: هذه السفينة إلى السيد جواد ابن السيد محمد هارون... كاتبها الحقير السيد جواد ابن السيد محمد هارون (ترحيني). وقد يكون تم إضافته في وقت لاحق على تاريخ تدوينها بحسب ما هو واضح من الشكل.

يذكر: أن أسعد هو ابن (حسين)، وجواد هو ابن محمد بن (هارون) و(حسين وهارون) شقيقا خليل أبو دلا، وجميعهم عاشوا في الفترة الزمنية ذاتها.

استنادًا إلى ما تقدم في الوثائق الثلاث، نورد بعض الملاحظات:

أولًا: على الرغم من اعتماد لقب (ترحيني) في العام (١٨٩٩م)، فقد بقي ضعيفًا وغير متداول من الجميع، بدليل ما جاء في مقدمة (سفينة مجالس عزاء)[٤] المؤرخة سنة (٣٥١) بعد الألف من الهجرة النبوية - (١٩٣٠م) حيث ورد أن كاتبها هو (السيد موسى خليل ياسين) فقط، من دون ذكر لقب (ترحيني).

(١) يراجع، وثيقة رقم (١) عريضة رفعت عام ١٨٥٨ طلب فيها من علماء ووجهاء ومخاتير جبل عامل الرأي الشرعي في حكم آل منكر، - أبو صعب - علي الصغير، لأقليم الشومر..

(٢) وثيقة رقم (٣) عقد مصالحة جرى عام ١٨٦٦ حول قسمة بئر ماء.

(٣) وثيقة رقم (٤) سفينة ادعية ورد فيها ذكر لقب (ترحيني) ينظر في الوثيقة شكل إضافة (ترحيني).

(٤) وثيقة رقم (٥) سفينة مجالس عزاء مؤرخة عام ١٩٣٠.

ثانيًا: إن لقب (ترحيني) الذي اعتُمد رسميًّا في إحصاء العام (١٩٣٢م)، لم يكن معروفًا قبل العام (١٨٩٩م)، أي إنه لقب حديث العهد، ولا رابطَ زمنيًّا بينه وبين الرواية المتداولة، والتي جاءت خالية من أية إشارة إلى صلة بين (ترحين - زحلة) و(ترحين - حلب) و(تراحنة عبّا)، والتي قِيل فيها: إن اللقب لازم الأخوين محمد وأحمد، منذ رحيلهما عن ترحين عام (١٥١٧م).

وعليه تبقى مسألة اللقب (ترحيني) والجهة التي أتى منها (التراحنة) إلى عبّا، مجرد فرضيات ضعيفة لا دليلَ علميًّا على صحتها لا سيما وأن عدداً من المراجع لم يأت على ذكر أن ترحين - قرب زحلة سكنها شيعة قبل قدوم آل الحاج شاهين إليها، أو بعد نزوحهم إلى زحلة بعد قتالهم مع السادة في برالياس[1].

أما بخصوص باقي العائلات، فإننا نورد فيما يأتي الحيثيات والظروف المحيطة بقدومهم إلى عبّا، منها: ما نقله الأستاذ محسن فحص عن الشيخ إبراهيم سليمان الباحث بعلم الأنساب إقراره بأن آل فحص في عبّا وجبشيت ويونس وسلامة في عبّا، يعودون بنسبهم إلى السادة من آل صفي الدين، اضطروا إلى النزوح من موطنهم الأول شمع هربًا من بطش الوالي العثماني أحمد باشا الجزار[2]، وتأكيد هذه الرواية بإقرار آخر كل من: مختار بلدة جبشيت والعلّامة السيد هاني فحص والوزير السابق محمد صفي الدين. أما آل حريري فينحدرون بنسبهم إلى آل حريري في بلدة دير قانون النهر. وخلاصة الأمر أن جدّهم الأول الشيخ إبراهيم حريري، كان في سنة (١٢٨٢هـ-١٨٦١م) مقيمًا في عبّا، وأنه جاء إليها بطلب

(١) من هذه المراجع: كتاب وقف الوزير لالا مصطفى ويليه كتاب وقف فاطمة خاتون... مطبعة الترقي دمشق ١٩٣٥، ص ١٦١. الخوري عيسى أسعد: تاريخ حمص - القسم الثاني من ظهور الإسلام حتى يومنا هذا سنة ٦٢٢ - ١٩٧٧ م نشرته مطرانية حمص الأرثوذكسية - ١٩٤٨، ص ٢٩.
الخوري جرجس عيسى اللبناني، مقالة منشورة في مجلة المشرق ١٩٠٦ - السنة التاسعة، العدد ١١، ١٩٠٦، ص ٤٩٤.
عيسى اسكندر الملعوف: تاريخ الأسر الشرقية (٧) لبنان - البقاع - تحرير واشراف فواز طرابلسي، ص ٣٠٨.

(٢) يراجع، وثيقة رقم (٦-٧) إقرار بنسب آل فحص في عبّا وجبشيت ويونس وسلامة في عبّا..

من (خليل أبو دلا)، بهدف تأسيس كتّاب لتعليم الأهالي. يدّل على ذلك بيت من الشعر، يقال إن ناظمه هو الشيخ إبراهيم حريري وفاءً منه لـ(أبو دلا)، الذي قام بدوره ونقشه على عتبة داره، يقول فيه:

وبيـت مـن المجـد شـيده كريـم   خليـل السـيد الزاكـي المهـذّب
وقــد زيـنـتـه بـقـريـض شعري   بـأوانـه لـه الـتـاريـخ(فـرغـب)

وبحسب علم حساب الأحرف[1] فإن كلمة (**فرغب**) التي اختتم بها عجز البيت، هي مفتاح للتأكيد أن العام (١٨٦١م) هو زمن بناء دارة (خليل أبو دلا) الوجيه والمتنفذ في بلدته عبّا، وأن آل حريري كانوا في ذاك التاريخ موجودين في البلدة. إن عملية احتساب الأحرف بحسب قواعد العلم المذكور تتم بتجزئة كلمة (فرغب (إلى أحرف ومقارنتها بالأرقام على قاعدة أن حرف (ف) يساوي (٨٠) وحرف (ر) يساوي (٢٠٠) وحرف (غ) يساوي (١٠٠٠) وحرف (ب) (يساوي٢)، فيكون المجموع ١٢٨٢)هـ) ـيقابلها) ١٨٦١م). بناءً عليه، يكون العام المشار إليه هو التاريخ المفترض لتواجد الشيخ إبراهيم في البلدة وربما كان قدومه إليها قبل ذلك في تاريخ غير معلوم. عندما استقر الشيخ في البلدة تزوج من السيدة حُسن معلّم بنت حسن معلّم (جدّ مختار البلدة حسن محسن معلّم)، وهكذا نشأت صلة قرابة بين آل حريري وآل معلم. وأُنجب للشيخ ستة أولاد هم: علي - موسى - أحمد - حسين - داوود - وإبراهيم وُلد بعد وفاته»[2]، وبذلك أسس نواة عائلة لها اليوم بتفرعاتها حضور وازن.

وهناك عائلات أخرى لأسباب عديدة -كآل عميص- أتوا من بلدة جاج قضاء جبيل، وآل كلوت أتوا من النبطية، وآل نور الدين، فإن موطنهم الأصلي برج

(١) «وهو حساب استخدم في اللغات السامية، واستخدمه المسلمون في تثبيت التاريخ. لكل حرف مدلول رقمي يبدأ بالرقم ١ وينتهي عند الرقم ١٠٠٠». لمزيد من التفصيل يراجع: طارق بن سعيد القحطاني، أسرار الحروف وحساب الجمل، رسالة أعدت لنيل شهادة ماجستير ٢٠٠٨- ٢٠٠٩م - المملكة العربية السعودية - وزارة التعليم العالي- جامعة أم القرى - كلية الدعوة وأصول الدين، ص٢٣.

(٢) مقابلة مع حسين سليمان حريري، مرجع سابق.

قلاويه. وبحسب ما نقل محمد داوود يوسف أسعد حسين (أبو داوود) عن الجدّ الأول لآل نور الدين، إبراهيم، يوم كانا سويًّا في المسجد للصلاة، أنه كان ذات يوم يقوم بحفر بئر ماء في قرية عين ابل، ولمّا كان صاحب البيت يعقوب العمّار لا يملك مالًا أجرة الحفر، اقترح عليه تزويجه ابنته، فوافقه الاقتراح وانتقل للعيش معها في بلدته فحملت منه ومن ثم توفيت. ولمّا علم أشقاؤها بالأمر (اعترضوا على تزويج شقيقتهم من مسلم والمقايضة بينها وبين أجرة حفر البئر)، وجاؤوا ثأرًا لها فما كان منه إلا أن هرب إلى بيروت، وهناك التقى بـيونس أحمد هارون الذي كان يعمل حفارًا للآبار، فعمل معه، ومن ثم أتى به إلى البلدة واستقر بها بعد أن تزوج من مناهل قاووق.

يروي خليل توفيق ترحيني في مدونة العرايس، أن حسن خليل (آل خليل) طلب من المرحوم المقدس العلامة السيد مهدي (آل إبراهيم) تسمية أحد أبنائه ليكون إمامًا للبلدة. حدث ذلك عام (١٩٣٨م) بأن أرسل العلامة السيد محمد علي إبراهيم»[١]. كذلك آل يونس فهم ينحدرون بنسبهم إلى بلدة زوطر، وتم إحصاؤهم عام (١٩٣٢م) في عِداد آل ترحيني بهدف إيجاد أغلبية ذات وزن انتخابي لهم. حينها قال مختار البلدة أحمد علي حسين، وهو من وجهاء عائلته: «على دين بيّي بدي أحصيهن ترحيني»[٢]. ومع بداية الحرب الأهلية عام (١٩٧٥م)، وسيطرة المليشيات المسيحية على حيّ النبعة وتهجير أهله التجأ إلى عبّا عبد الحسين حجازي، وهو من بلدة محيبيب قضاء مرجعيون، نظرًا لوجود صلة قرابة مع آل المعلّم، إلا أنه لم يمكث فيها طويلًا، إلا أن ولده إبراهيم الذي سافر إلى ليبيا للعمل، أقام في عبّا عندما عاد نهائيًّا منها، وبنى منزلًا على مشاع البلدة عند أطرافها في محلة قلعة الصعبة. وفي العام (٢٠٠٣م) قام بنقل قيد نفوسه من محيبيب إلى سجلات المقيمين في عبّا برقم سجل (١٧٩)، وبذلك أصبح آل حجازي من

(١) خليل توفيق ترحيني: وجهاء بلدة عبّا الجنوبية من عام ١٨٥٠ - ١٩٥٠م، مقالة منشورة في مدونة العرايس، العدد الأوّل، ١٥ شباط ٢٠١٦م (النسخة الإلكترونية).

(٢) مقابلة مع حسين سليمان حريري، مرجع سابق.

عائلات البلدة. كذلك خلال الاجتياح الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢ نزح إلى عبّا من القرى المجاورة طلبًا للأمان عائلات: علوية، حسون، ماروني، وغيرهم من عائلات مدينة النبطية، إلا أن هؤلاء عادوا في أوقات مختلفة عندما انتفت أسباب نزوحهم. وعليه، يتبيّن أن ظروفًا اجتماعية وسياسية وأمنية شكلت قطبًا جاذبًا لأفراد أو عائلات بأكملها للانتقال من موطنها الأصلي إلى مكان آخر على أمل العودة، لكن طول مدّة الإقامة والظروف المستجدّة أجبرتها على البقاء والتأسيس لموطن جديد آخر، وهؤلاء جميعًا لم يكتسبوا لقبًا مشتقًّا من أسماء بلداتهم.

سجلات قيد النفوس العثمانية (عبّا - نموذجًا):

في (١٩) كانون الثاني (١٨٦٩م) صدر عن السلطنة قانون (التابعية العثمانية)، ونص في مادته الأولى على الآتي: كل من ولد من أبوين عثمانيين فقط فهو من رعايا الدولة العثمانية. أما في المادة التاسعة فقد ورد أن كل شخص سكن بلاد الدولة العثمانية يُعَدُّ عثمانيًّا ويعامل معاملة العثمانيين حتى يثبت لدولة أخرى إثباتًا قانونيًّا. وعملًا بهذا القانون أصبح سكان جبل عامل من رعايا السلطنة التي منحتهم تذكرة هوية تعدّ الأولى، وقد جاءت هذه التذكرة على شكل وثيقة تتألف من ورقة واحدة تحمل في أعلاها (الطغراء)؛ أي شعار السلطان العثماني، وتحتوي على جميع التفاصيل المتعلقة بصاحب الهوية. وكانت السلطنة العثمانية دولة تمتلك تنظيمًا إداريًّا دقيقًا حرصت من خلاله على إجراء إحصاءات سنوية تشمل السكان والمنشآت الحكومية والمباني الدينية والمنازل والقرى والمزارع والمزروعات من أشجار وغيرها. وهي اعتمدت لقيد رعاياها، نماذج (وثائق) هي عبارة عن سجلات نفوس باللغة العثمانية[١]. واحدة من هذه الوثائق بعنوان: (دولت عليه عثمانيه تذكره سيدر): أي (تذكرة نفوس صادرة عن الدولة العليّة العثمانية) كانت منحت لـقاسم

---

(١) تسمى اصطلاحًا (اللغة التركية القديمة)، وهي لغة مختلطة تجمع كمًّا هائلاً من المفردات العربية والتركية والفارسية، وتُكتب بأبجدية عربية مع بعض التعديلات على أشكال بعض الأحرف، وبعض القواعد التي تَحكم قراءة تلك الأحرف بطرق مختلفة في الأماكن المختلفة. وهي اللغة الرسمية التي كانت معتمدة لدى السلطنة العثمانية لحين إلغاء مصطفى كمال أتاتورك الخلافة نهائيًا في العام١٩٢٤ م.

إبراهيم عميص، تولد (١٣٢٣هـ - ١٩٠٢م)، والدته خضرة من قرية (**عبّا**) - قضاء صيدا، ورد فيها البيانات التالية: اسم الشخص وشهرته - محل إقامته - تاريخ ومحل ولادته - مِلّته وصفة وظيفته - هل هو متزوج وعدد زوجاته - درجته وصنفه - إن كان عسكريًّا - العلامات الفارقة - معلومات في حال تغيير الإقامة والمحلة والقضاء والقرية ورقم المسكن ورقم الزقاق والتاريخ. أما في الخانة المخصصة للسلطة منظمة الوثيقة أيضًا فقد ورد فيها البيانات التالية: سجل نفوسه وأين - طابع مالي - ختم نظارة وزارة الداخلية (نظارت امور داخليه) - (سجل نفوس - نظامنامه سنك بشنجي ماده سي)[١]. البيانات الشخصية الواردة في هذه الوثائق هي نقلًا عن سجلات منظمة وفقًا لإحصاءات سنوية للسكان في مختلف الولايات.

وهناك نموذج (وثيقة) من هذه السجلات، وهو قيد نفوس مدوّن في السجل العثماني تحت رقم (٢٠١)، وعائد لعائلة من بلدة عبّا هو حسين علي عميص، منظم على الشكل الآتي:

سجل قيد نفوس عثماني رقم (٢٠١) لعائلة عميص من قرية عبّا[٢]

الاسم	اسم الأب	اسم الأم	الدين	الولادة
حسين عميص	علي	مشهدية	إسلام	1238 هـ
فاطمة سلامي	عبد اللّه	منى عبد اللّه	إسلام	1228 هـ
علي			إسلام	1304 هـ
زين العابدين			إسلام	1341 هـ
محمد			إسلام	1372 هـ
آمنة			إسلام	1342 هـ

---

(١) وثيقة رقم (٨) تذكرة نفوس عثمانية ممنوحة لقاسم إبراهيم عميص من عبّا.

(٢) مدونة العرايس: إعداد خليل توفيق ترحيني، السنة الخامسة، العدد الثاني، تموز٢٠٠٢م، عبا - جبل عامل - محافظة النبطية، ص٦.

وقيد عثماني آخر عائدة لآل فحص المولودين في عبّا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بحسب بيانات هي طبق الأصل منقولة عن السجلات العثمانية الأساسية(١) الموجودة لدى المديرية العامة للأحوال الشخصية. نذكر منهم على سبيل المثال: موسى إبراهيم علي فحص، تولد (١٨٦٣م)، بالإضافة إلى زوجته خديجة هارون، تولد (١٨٦٣م)، وولده محمد، تولد (١٩٠٢م). ومحمد هو والد الأستاذ محسن فحص مدير مدرسة عبّا الرسمية سابقًا.

يُستدل من هاتين الوثيقتين العائدتين لأفراد من آل عميص وفحص أنّ وجودهما في عبّا قديم جدًّا، يعود لأكثر من قرن ونصف بحسب تاريخ ولادة كل من حسين عميص (١٢٨٣هـ - ١٨٦٢م)، وموسى إبراهيم فحص، تولد (١٢٨٤هـ - ١٨٦٣م). ما يعني أن عبّا كانت مأهولة بغير التراحنة قبل أو بالتزامن مع مجيئهم إلى البلدة، ما يفتح باب التساؤل: أيهما أسبق في استيطان عبّا وإعمارها، التراحنة أم باقي العائلات؟ ولغاية الآن ليس لدينا إثبات.

دولة لبنان الكبير والإحصاء السكاني (١٩٢١-١٩٣٢م) (عبّا - نموذجًا):

شكّل زوال السلطنة العثمانية وانفصال الولايات العربية عنها واقعًا جديدًا من حيث نتائجه القانونية. فمع بداية الانتداب الفرنسي وتأسيسه كيانات سياسية جديدة، وبغية تكريس هذه التحولات بات من الضروري منح رعايا هذه الكيانات هويات جديدة. في (١٠) آذار (١٩٢١م) صدر عن السلطة المنتدبة المختصة القرار (٧٦٣)، وعلى أساسه أجرت المفوضية الفرنسية أول إحصاء سكاني(٢)، وسُجِّلت قيوده في بيانات إحصائية، وسُلِّمت على أساسه للمواطنين تذاكر نفوس لأول مرة. ذكر فيها أنّ الحكومة اللبنانية تشهد: أنّ حامل الهوية هذه هو لبناني. إلا أنه حتى تاريخ الانتهاء من الإحصاء، لم تكن تشكلت بعد أُسس

(١) وثيقة رقم(٩) سجل قيد عثماني لآل فحص.

(٢) نشر نص القرار في جريدة لبنان الكبير الرسمية بتاريخ ٣٠آذار ١٩٢١ م، العدد١٤٢٥ ، وجاء في المادة الأولى منه، أن يجري في مدة لا تتجاوز ثلاثة أشهر تبتدي من تاريخ نشره في الجريدة الرسمية.

اكتساب التابعية اللبنانية، وإن كان عُدّ مَن شملهم إحصاء في عام (١٩٢١م) لبنانيِّين. هذا الأمر يؤكده المفوض السامي الفرنسي نفسه في قراره رقم (١٣٠٧) تاريخ (١٠) آذار (١٩٢٢م)، وقد جاء في المادة الأولى منه: أنّه «ريثما يصدر قرار يتعلق بالجنسية اللبنانية، يعتبر لبنانيًّا كل من قيد بهذه الصفة في سجلات إحصاء (١٩٢١م) في لبنان. وبذلك شكل هذا الإحصاء النواة الأولى للتركيبة السكانية لدولة لبنان الكبير، ومن ضمنها جبل عامل. بقي الأمر على ما هو عليه، لحين تحديد القرار رقم) ٢٨٢٥ (الصادر في (٣٠) آب (١٩٢٤م)، الشروط العامة للحصول على التابعية اللبنانية. فعدّت المادة الأولى منه، أنّه كل من كان من التابعية التركية مقيمًا على أرض لبنان الكبير في تاريخ (٣٠) آب سنة (١٩٢٤م)، أُثبتَ حكمًا في التابعية اللبنانية، وعُدَّ من الآن فصاعدًا فاقدًا التابعية التركية[(١)]. وبذلك أصبح لبنانيًّا كلُّ عثماني كان مقيمًا في (٣٠) آب (١٩٢٤م) على الأراضي التي انسلخت عن السلطنة العثمانية. يبدو أنّ المقصود من إيراد عبارة الإقامة في النص، اشتراط الإقامة الدائمة والفعلية في لبنان. وأكثر من ذلك، أن يكون الشخص من أبناء البلد، وهذا واضح من عبارة (كل من كان من التابعية التركية). وبقيت مفاعيل هذا القرار سارية التطبيق حتى صدور مرسوم تأليف لجان إحصاء سكان الجمهورية اللبنانية ومهاجريها بالمرسوم رقم (٨٨٣٧) تاريخ (١٥) كانون الثاني (١٩٣٢م). في هذا السياق نورد على سبيل المثال لا الحصر، طلب الاسترحام[(٢)] المقدّم بتاريخ (١٥) حزيران (١٩٣١م) من قِبل أمين سيد حسين ترحيني من قرية (عبّا) – قضاء النبطية، إلى معالي محافظ لبنان الجنوبي، يطلب فيه شطب قيده من رقم (٢٠) سجلّ المهاجرين لعام (١٩٢١م) وقيده في سجلات الحاضرين، وحيث تبيّن للجنة التمييز في صيدا، أنّ المستدعي مستوفٍ للشروط، بالاستناد إلى جواز سفره، لبلدته، التي أكّد مختار البلدة وعضو المجلس الاختياري بصفته شاهدًا، على إقامته الدائمة

(١) Journal Officiel Du Grand Liban, No 1804, Mardi 30 Septembre 1924, p2.

(٢) طلب استرحام لقيد نفوس مهاجر في سجل المقيمين، مقدم لمعالي محافظ لبنان الجنوبي، بتاريخ ١٥ حزيران ١٩٣١م. وثيقة رقم (١٠)، من محفوظات مكتبة خليل توفيق ترحيني – عبا.

في البلدة من عام (١٩٢٣م) تاريخ عودته من المهجر لغاية تقدّمه بالطلب، وبناءً عليه قررت لجنة القيد نقل قيده إلى سجلّ الحاضرين.

وفي عام (١٩٣٢م) هيأت سلطات الانتداب الفرنسي المناخ العام الملائم لإجراء إحصاء عامّ، عُرف فيما بعد بإحصاء (١٩٣٢م)، ما زال معتمدًا في سجلات دوائر النفوس اللبنانية حتى تاريخه. ولإصدار تذاكر نفوس كانت أقرّت في) ٣٠) كانون أول) ١٩٣١م)؛ أي قبل أيّام من موعد انطلاق عملية الإحصاء، قانونًا، قضى بإعفاء تذاكر النفوس التي ستعطى للمواطنين نتيجة الإحصاء من رسم الطابع[١]. وللمباشرة بالعملية أصدرت المرسوم رقم) ٨٨٣٧) تاريخ) ١٥) كانون الثاني (١٩٣٢م)، تمَّ بموجبه تأليف لجان إحصاء لسكان الجمهورية اللبنانية ومهاجريها وتعيين وظائف الكتبة واللجان وما يتفرّع من ذلك، وجاءت على النحو التالي:

المادة الثانية :تعَدُّ القصبة أو القرية أو المحلّة منطقةً للإحصاء.

المادة الثالثة :إنّ تقسيم القرى والأحياء إلى أقسام فرعية يجب أن يكون بمعرفة المختارين والهيئة الاختيارية بمراقبة المختارين وقائمي المقام، أمّا القصبات والقرى التي لا توجد فيها مجالس أو لجان بلدية فتشترك هذه المجالس واللجان في هذا العمل ويصدر المحافظ أو القائم مقام قرارًا بالتقسيم.

المادة السادسة عشرة: بعد أن يتمّ تسجيل الجداول وبيانات الإحصاء تشرع مصلحة النفوس في وضع تذاكر الهوية (تذاكر النفوس)، ثم ترسل هذه التذاكر إلى أقلام النفوس في الأقضية لتسلّم إلى أصحابها بواسطة المختارين مقابل سند إيصال يبيَّن فيه عدد التذاكر وأسماء أصحابها.

المادة الثامنة عشرة: كل لبناني مجبر على أخذ تذكرة هوية، أمّا الأجانب فيخيرون بذلك .وقد جعلت قيمة التذكرة خمسة غروش لبنانية ورقًا»[٢].

(١) الجريدة الرسمية، العدد ٢٦٠١، تاريخ ٦ كانون الثاني ١٩٣٢م، ص٢.

(٢) الجريدة الرسمية، العدد٢٦١٣ ، تاريخ ٢٥ كانون الثاني١٩٣٢ م، ص٤.

وهكذا ـ ومنذ ذلك الوقت ـ مُنح اللبنانيون (العبّاويون) الواردة أسماؤهم في الإحصاء، تذكرة الهوية اللبنانية، وكانت البيانات الشخصية الواردة فيها مطابقة للبيانات الواردة في بطاقة الهوية المعمول بها حاليًّا باستثناء عبارة (لبناني منذ أكثر من عشر سنوات)، ومن دون إلصاق رسم شمسيٍّ للإناث، وحُدِّدَ على غلافها الخارجي مقدار الرسم بـ(٥ غ. ل. س)[١]. ولدينا نموذج عنها لـزيني عبدو معلّم زوجة السيد علي يونس أحمد آل هارون، تولد (١٩٠٦م)، والدتها شاتو معلّم، رقم السجل (٥٧/ ٢٢٦) لبنان الجنوبي ـ صيدا ورد فيها أن الحكومة اللبنانية تثبت أن زيني معلّم هي لبنانية، وإشعارًا بذلك أُعطيت لها هذه التذكرة ـ الإمضاء رئيس الإحصاء والأحوال الشخصية ـ تاريخ الإصدار (٧/ ٣/ ١٩٣٣م). وبذلك تكون السلطات اللبنانية قد شرعت في بناء الدولة، وأوجدت الأساس وحجر الزاوية في تشريعات المواطنة، الذي بُني عليه التسجيل الرسمي للسكان المقيمين في لبنان.

لقطات من إحصاء ١٩٣٢م:

- تم الإحصاء في عهد المختار أحمد علي حسين، ساعده في ذلك كل من: الناطور أبو جميل خليل قاووق وأبو موسى خليل جفال، وأبو محمود علي ذياب. وهؤلاء تم اختيارهم من قِبل حسن خليل، وكانوا يصطحبون الأهالي لتسجيل قيودهم.
- تم الإحصاء في غرفة تقع على طريق البيدر، هي حاليًّا من ضمن بيت عاطف عارف نور الدين.
- عندما بادر مأمور النفوس بسؤال الناطور (أبو جميل خليل قاووق) عن اسمه وكنيته أجابه: (خليل ساره)، فنهره حسن خليل ـوكان حاضرًاـ قائلا للمأمور سجِّل خليل إبراهيم قاووق[٢]. كذلك عندما سأل حسين الشيخ

(١) تذكرة الهوية صادرة عن الجمهورية اللبنانية وزارة الداخلية، مصلحة الأحوال الشخصية، عام ١٩٣٢م، وثيقة رقم (١١).

(٢) مجلة العرايس... مرجع سابق، ص٣٠.

السؤال نفسه، تدخّل حسن خليل وقال له: سجِّل (حسين الشيخ محمد معلّم)، أيضًا حدث الأمر نفسه مع علي السيد حسين أحمد ترحيني.

- لفت انتباه لجنة الإحصاء ورود أسماء مثل: حمودي، حمتو، حمود. وينقل خليل علي محمود ترحيني عن الحج قاسم إبراهيم عميص قوله بخصوص هذه الأسماء: «بأن قيل للجنة هذه أسماء دلع، ولم يأخذ بها».
- يُروى أنه في انتخابات المجلس الاختياري لبلدة عبّا التي جرت عام (١٩٣٢م)، فاز فيها أحمد علي حسين على منافسه أحمد حسن خليل. ولمّا كان المختار الجديد قليل الخبرة والدراية بتنظيم شؤون البلدة، وتزامن ذلك مع مباشرة لجان الإحصاء عملهم، قام أحدهم بإسداء النصح للمختار الجديد، بقيد الأهالي على كنية ترحيني. وتم ذلك باستثناء آل قاووق، عميص، معلّم، حريري، فحص، إبراهيم، ذياب، يونس، كلوت، عز الدين، نور الدين وغيرهم[١].
- يقول محمد خليل يونس أحمد هارون (أبو فايز): «أذكر جيدًا حين اصطحبني والدي إلى مكان تواجد لجنة الإحصاء، ونظم لي ولأخي حسن هوية، أن حجمها كان كبيرًا ومن دون صورة لأنو الولد الصغير ما كان بدو صورة»[٢].

في المحصّلة أفرز إحصاء العام (١٩٣٢م) في عبّا واقعًا جديدًا على مستوى انتماء العائلات، فبعدما كانت كُنية (التراحنة) متداولة بعض الأحيان شفاهية على الألسن ومعتمدةً من البعض في الوثائق الشخصية، عمل الإحصاء على تكريس هذه الكنية تحديدًا واقعًا رسميًّا في سجلات قيد النفوس لا يمكن الرجوع عنها أو الإضافة عليها إلا بحكم قضائي، كما كرّس رسميًّا كُنًى لعائلات أخرى. أوجد الإحصاء في البلدة واقعًا سكانيًّا يوحي بغلبة عددية، خاصة لأولئك الذين تفرعوا

(١) مدونة العرايس، مرجع سابق، الصفحات ٣٩-٦٤.

(٢) مقابلة مع محمد خليل يونس أحمد هارون، مرجع سابق.

من ذرية الجدّين الأولين محمد وأحمد واكتسبوا كنية ترحيني، وهؤلاء هم: آل هارون – خليل – حسين – ياسين – حمود – علي حسين – وحسين أحمد – وعثمان، في مقابل عائلات احتفظت بكنيتها الأصلية، وهم: آل قاووق، عميص، معلّم، حريري، فحص، إبراهيم، ذياب، يونس، السيد علي، كلوت، عز الدين، نور الدين، حجازي، برجاوي، سبيتي، مرعي، سلامة، حريبي، معنقي، حسون، وآخرون. إلا أنه تبين لنا أن التراحنة يشكلون أغلبية ضئيلة بحسب قائمة الناخبين الذكور لعام (٢٠١٨م) الصادرة عن وزارة الداخلية والبلديات – المديرية العامة للأحوال الشخصية، حيث بلغ مجموع الناخبين (٢٢٢٥) ناخبًا، منهم (١٢٤٦) فقط ينتمون إلى التراحنة؛ أي ما نسبته (٥٦٪) والباقي (٩٧٩) ناخبًا ينتمون إلى باقي العائلات. في حين بلغ عدد الإناث (٧١٠) ناخبين من أصل (٢١٨٠)؛ أي ما نسبته (٤٧ , ١٥٪). علمًا أن باقي العدد لا ينتمي جميعه إلى عائلات البلدة، وهم انتقلوا إليها بالزواج.

رغم ما يزيد على ثمانية عقود على إجراء إحصاء (١٩٣٢م) واعتماد (ترحيني) كنيةً رسميةً، حافظ العباويون على رابطة (الأسرة الممتدة)[١]. فهم ما زالو لغاية الآن إذا أرادوا تنسيب شخص ما من أبناء البلدة قالوا: فلان من بيت هارون أو خليل أو علي حسين أو حسين أحمد... إلخ، ولم يقولوا ترحيني. وفي ذلك دلالة على شدّة الارتباط بالجذر العائلي، وهو الجدّ الأول.

بعض الاستنتاجات:

يصحّ وضع التكون السكاني والإداري في جبل عامل، كذلك في عبّا في إطار مقولة القطب الدافع والقطب الجاذب، ودراسة هذا التكوّن وفق الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي الذي مرّت به بلاد الشام لفترات طويلة. هذا التكوّن، بقي حتى اللحظة يفتقر إلى دليل علمي محسوس يمكن البناء عليه والجزم بصوابيته.

(١) هي الأسرة التي تقوم على عدة وحدات أسرية تجمعها الإقامة المشتركة والقرابة الدموية، وهي النمط الشائع قديمًا في المجتمع ومنتشرة في المجتمع الريفي. لمزيد من التفصيل حول نواة الأسرة، يراجع: محمد مهدي القصاص: علم الاجتماع العائلي، كلية الآداب – جامعة المنصورة ٢٠٠٨م، الصفحات ٩٦–٧٥.

ذلك أن مجمل ما نُشر من آراء، أتى نتيجة قراءات خاطئة لنصوص، لا تمتُّ إلى الواقع العبّاوي (التراحنة) بصلة. ما أشيع، بنى على قاعدة، تقوم على الربط بين (لقب) و(مكان)، ومن ثم جرى تأويل النص على غير دلالاته الحقيقة. وهكذا أُطلقت رواية شعبية راجت في عبّا وجرى تداولها جيلًا بعد جيل، هي في رأينا مجرد إسقاط تاريخي ضعيف فاقد للموضوعية وغير مستند إلى دليل علمي مثبت. بل هي مجرد استنتاجات من نسج مطلقيها لا يمكن البناء عليها لتأسيس حقائق تاريخية، لا سيّما أن النصّ لم يشر من قريب أو من بعيد إلى صلة بين (ترحين - زحلة وحلب) و(تراحنة عبّا). حقيقة الأمر، يبقى لقب التراحنة، مسألة قائمة، خاضعة للنقاش في الوقت الراهن، وحسمها بحاجة لدليل غير متوفر حتى الآن، باستثناء إشارات حوله وردت في وثيقة (سفينة الأدعية والزيارات).

أما بخصوص باقي العائلات، فإن ظروفًا اجتماعية وسياسية وأمنية شكلت قطبًا جاذبًا لأفراد أو عائلات بأكملها للانتقال من موطنها الأصلي إلى عبّا، فرضت عليها طول مدّة الإقامة، التأسيس لموطن جديد آخر. ووجود بعض هذه العائلات في عبّا قديم جدًّا، يعود لأكثر من قرن ونصف، ما يعني أن عبّا كانت مأهولة بغير التراحنة قبل أو بالتزامن مع مجيئهم إلى البلدة، ما يفتح باب التساؤل: أيهما أسبق في استيطان عبّا وإعمارها، التراحنة أم باقي العائلات؟ وإلى الآن ليس لدينا إثبات.

مع زوال السلطنة العثمانية وانفصال الولايات العربية عنها نشأ واقع جديد، أبرزُ نتائجه على المستوى القانوني، بطلان مفعول قيود النفوس العثمانية، وإجراء أول إحصاء سكاني سُلّم على أساسه المواطنون لأول مرة، تذاكر تشهد أنّ حاملها هو لبناني. وأُتبع بإحصاء آخر في العام (١٩٣٢م)، ما زال معتمدًا في سجلات دوائر النفوس اللبنانية حتى تاريخه، مما أفرز في عبّا واقعًا جديدًا على مستوى انتماء العائلات، فبعدما كانت كُنية (التراحنة) متداولةً بعض الأحيان شفاهيةً على الألسن ومعتمدة من البعض في الوثائق الشخصية، عمل الإحصاء على تكريس هذه الكنية تحديدًا واقعًا رسميًّا في سجلات قيد النفوس، كما كرّس رسميًّا كُنًى لعائلات أخرى. وأوجد الإحصاء في البلدة واقعًا سكانيًّا يوحي بغلبة عددية للتراحنة، في

مقابل باقي العائلات، إلا أنها أغلبية ضئيلة. ورغم ما يزيد على ثمانية عقود على إجراء الإحصاء، فقد حافظ العباويون على رابطة (الأسرة الممتدة) فهم ما زالو لغاية الآن عندما يريدون تنسيب شخص ما من أبناء البلدة يقال: فلان من بيت هارون أو خليل أو علي حسين أو حسين أحمد... إلخ، ولا يقال ترحيني. وفي ذلك دلالة على شدّة الارتباط بالجذر العائلي، وهو الجدّ الأول.

الفصل الثالث:

المشاريع السياسية في سورية الكبرى وتداعياتها على جبل عامل

نكبة (١٩٤٨م) ولجوء بعض العائلات الفلسطينية إلى عبّا:

نكبة (١٩٤٨م) هي مأساة إنسانية واسمٌ يطلقه الفلسطينيون على تهجيرهم وهدمِ معظم المعالم السياسية والاقتصادية والحضارية لمجتمعهم. وهي السنة التي خسر فيها الفلسطيني وطنه لصالح إقامة الكيان الصهيوني. وتشمل أحداث النكبة طرد ما يربو على (٧٥٠) ألف فلسطيني وتحويلهم إلى لاجئين. بفعل العامل الجغرافي، وقرب الحدود اللبنانية الجنوبية من قرى ومناطق الجليل الأعلى في فلسطين، سجّل نزوح العديد منهم إلى لبنان، من مناطق عكا، صفد، حيفا، وقدِم قسم من منطقة يافا، مع أقليّة من القدس وجوارها، وقسم من الضفة الغربية. آنذاك، نشرت صحيفة النهار اللبنانية، قرارًا لقائد الجيش فؤاد شهاب، كان صدر بتاريخ السادس عشر من أيّار (١٩٤٨م)، وعُمل به اعتبارًا من الثاني والعشرين منه. حُدد في القرار، قُرًى في لبنان الجنوبي حُظِرَت على اللاجئين الفلسطينيين الإقامة فيها. وامتدّت هذه القرى على طول الشريط الحدودي مع فلسطين من الناقورة غربًا، صعودًا باتجاه الشرق. وشمل القرار أيضًا اللاجئين المقيمين في الأماكن الواقعة بين هذه القرى والحدود الفلسطينية[١].

(١) مناطق محظور الإقامة فيها على اللاجئين: خبر منشور في جريدة النهار: العدد ٣٨٨٨، تاريخ التاسع عشر من أيّار ١٩٤٨م، ص٢.

من الواضح أن السلطة اللبنانية هدفت من خلال قرارها، إلى رسم خط أحمر في مقابل الحدود مع فلسطين المحتلة، يحول دون إقامة تجمعات للاجئين في تلك المنطقة أو غيرها، كي لا تتحول مستقبلًا إلى تجمع سكاني وشريط عازل يصبح أمرًا واقعًا يفصل بين الداخل اللبناني وفلسطين المحتلة. في الأيام والأسابيع الأولى لموجة اللجوء «شهدت عبّا، قدوم عدد من العائلات الفلسطينية، إنما لم تستقر فيها، وانتقلت منها إلى جبشيت والدوير والنبطية كمحطة ثانية»[١]. وكانت إقامة هؤلاء داخل القرى أو في محيطها محدودةً، لذا لم تنشأ تجمعات كبيرة، إلى أن قامت السلطة اللبنانية لاحقًا بتوزيعهم على مخيمات متباعدة على كامل الأراضي اللبنانية. «وأُقيم لهم مخيم صغير في المكان الذي توجد فيه حاليًّا مهنية النبطية عند محلة بئر القنديل. ومن ثم انتقل عام (١٩٥٦م) إلى تلة مرتفعة لجهة الغرب المقابلة لبلدة زبدين المجاورة لمدينة النبطية. وكانت غالبية اللاجئين من منطقة الحولة في فلسطين، خاصة من قرى الخالصة وهونين وسحماتا»[٢].

على ما يذكر محمد خليل يونس أحمد هارون (أبو فايز)، كان من بين الذين قصدوا بلدة عبّا واستقروا فيها لفترة طويلة نسبيًّا، «عائلة من آل بربيش لجأت إلى البلدة مع من هُجِّروا من فلسطين، يرافقهم صهر لهم يدعى أحمد شاكر من بلدة هونين إحدى القرى السبع. وكانت هونين تتوسط طرق قوافل التجارة البرية ومحطة تبادل بين فلسطين وجبل عامل والبقاع الغربي. لم تلتحق عائلة بريش بالمخيمات التي أُنشئت للاجئين، واتخذت العائلة من مبنى الحسينية مكان إقامة مؤقتة لها، ومن ثم استأجرت غرفتين عند عبد اللّه حسين أحمد في حي القلعة، ودامت إقامتهم في البلدة حوالي (١٥) سنة»[٣].

في العموم كان بين اللاجئين فئة من التجار مارس بعضهم أعمالًا جديدة، تتلاءم مع مكان إقامتهم الجديد. فساهموا، ولو بنسبة ضيئلة، في تحريك عجلة الاقتصاد

---

(١) مقابلة مع محمد خليل ...، مرجع سابق.

(٢) مقابلة مع حسن محسن معلّم (المختار)، تولد ١٩٤١م، والدته صبحية ترحيني، بتاريخ ١٠/ ٧/ ٢٠١٢م.

(٣) مقابلة مع محمد خليل ... نفس المرجع السابق.

بعدما نقل القسم الأكبر منهم أموالهم معهم لتوظيفها. من هؤلاء «عائلة بربيش التي عمل أفرادها في البداية ببيع الخضراوات. ولمّا تيقّن الأب أن فترة إقامة عائلته في عبّا ستطول، وكان لديه ابن متزوّج يدعى (نمر)، كان أُصيب بعارض عصبي شُفي منه لاحقًا، قصد النبطية بتشجيع من صهره الذي كان أيضًا تاجرًا عاليَ المستوى، وعمل في تجارة الألبسة المستعملة (البالة)»[١]. «ولاحقًا توسعت تجارة عائلة بربيش نحو النبطية وبيروت وأصبحوا فيما بعد ملّاكي عقارات»[٢]. «بينما أقام أحمد شاكر في بيت السيد علي موسى، لكن إقامته لم تدم طويلًا»[٣].

يلاحظ أنه على الرغم من نسج البعض من أهالي عبّا في الفترة السابقة للتهجير، علاقات تجارية ولو محدودة مع الداخل الفلسطيني المحاذي للجنوب اللبناني، فإن هذه العلاقة لم تستثمر من قبل الفلسطينيين وتؤدي إلى لجوء البعض منهم إلى البلدة. من ناحية أخرى، فإن من لجأ إليها لم ينسج أيضًا مع الأهالي علاقات تؤسس لإقامة طويلة الأمد، ربما بسبب الحالة الاقتصادية الصعبة التي كانت تمرّ بها البلدة نتيجة عدم وجود فرص عمل واقتصار المتوفر منها على الأعمال الزراعية، وبالتالي لم يشجّع هذا الوضع على البقاء، وآثروا مع باقي اللاجئين الإقامة إما في المخيمات وإما في أماكن قريبة منها، ومارسوا هناك أعمالًا جديدةً تتلاءم مع موقع المخيم من حيث قربه، من الحيازات الزراعية الكبيرة في السهول الساحلية في صيدا وصور، أو في المدن ذات الصناعات الحرفية الخفيفة. وعليه يمكن القول: إن تداعيات النكبة على البلدة كانت آنيةً، ولم تحدث تغييرًا في واقعها السكاني.

تأثُّر عبّا ببعض أحداث الحرب العالمية الثانية:

وقع ملايين الضحايا نتيجة الحرب العالمية الثانية، وتجاوز العدد (٦٢) مليون

(١) مقابلة مع محمد خليل ... مرجع سابق.

(٢) مقابلة مع حسن محسن معلّم،...مرجع سابق.

(٣) نفس المرجع.

إنسان، ما عدا الأعداد الكبيرة من المصابين، وكانت الطائرات تُغير على مدن الجنوب اللبناني وقراه، وقد استهدفت الغارات المراكز العسكرية ومستودعات الذخيرة وخزانات البترول. وانخفضت نسب التعداد السكاني، وازدادت نسب الوفيات، وتضخمت العديد من المشكلات، كالبطالة، والعنف، والسرقة، مما أدى إلى تدمير البنية السكانية للدول التي كانت مسرحًا للمتقاتلين. وتخوّف العبّاويون من المجاعة بعد أن شحّت المواد الغذائية في البلاد بسبب ظروف الحرب. في موازاة ذلك، كانت المعارك العنيفة بين قوات فيشي والحلفاء مشتعلة على طول الجبهة، «إنما لم يدخل الجيش الفرنسي إلى البلدة، بل لجأ إليها عَرَضًا جنديٌّ من أصل (جزائري) هربًا من معركة حدثت بالقرب من بلدة القاسمية، وكان يجرّ وراءه حصانًا، قصد بيدر الضيعة، استبدل ثيابه العسكرية بأخرى مدنية وترك حصانه ورحل»[١]. وهناك رواية أخرى تفيد «أن العسكري الفرنسي أراد بيع حصانه والتخلص منه بأي ثمن، ولمّا لم يفلح قام بجرّه إلى وادي عدشيت ونحره هناك، ومن ثم لاذ بالفرار»[٢]. وتكرر الأمر ثانيةً عند قدوم عدد آخر من الجنود الفرنسيين من أصل) سنغالي) فُرادى، إثر هزيمتهم، وكانوا خيالةً، أيضًا قصدوا البيدر، وعرضوا بيع أسلحتهم ولباسهم، ولم يتجرأ أحد على فعل ذلك، خوفًا من تعرضهم للمساءلة»[٣].

أيضًا سقطت طائرة حربية بين مزرعة دمول وشلبعل القريبتين من بلدة أنصار،» ذهب عدد من شبان البلدة لاستطلاع مكان سقوطها، من بينهم أمين عبدو معلم، ولمّا عثر أمين على (فردة حذاء عسكري)، جاء بها إلى البلدة. وبعد أن عرف الفرنسيون بفعلته أوقفوه مدة (١٥) يومًا في مخيم لهم في شلبعل، ومن ثم أطلقوا سراحه، وكذلك فعلوا بشخص آخر من كفرمان يدعى محمود سالم. وكان البعض من البلدة يقصدون مخيمهم حاملين إليهم البيض. في المقابل

(١) مقابلة مع شريف عبد اللّه جواد ترحيني، مرجع سابق.

(٢) مقابلة مع سعيد إبراهيم يونس، مرجع سابق.

(٣) مقابلة مع محمد خليل ترحيني، مرجع سابق.

كانوا يعطونهم الخبز الفرنجي الطويل الحجم، ونادرًا ما كان العسكر يدخل البلدة»[١].

مع احتدام المعارك هجر معظم سكان بيروت والضواحي منازلهم وغادروا المدينة إلى الجبال، بما في ذلك العبّاويون. وازدحمت طريق بيروت بالناس المغادرين في السيارات وعلى الدواب وحتى مشيًا على الأقدام. «وانقسم البعض من أبناء البلدة بين مؤيد لهتلر ودول المحور وبين مؤيد للإنكليز والحلفاء. وكان محمد مهدي وجاره محمد عبد الرسول (أبو عبدو) يتابعان سير المعارك، الأول مؤيد لهتلر، بينما الثاني مؤيد للإنكليز. ولما كانت الغلبة للإنكليز ردَّد أبو عبدو شعارات الحلفاء من على مصطبة موسى علي حيث تجمع أهالي القلعة كبارًا وصغارًا...»[٢].

على المستوى السياسي، وفي ظل الأوضاع العسكرية والسياسية والتطوّرات التي رافقت الحرب وغيّرت لاحقًا في النظام العالمي والإقليمي واللبناني، لم يذكر أحد ممن عاصروا المرحلة أية مشاركة لأحد من عبّا، خاصة بالتحركات المطالبة بإنهاء الانتداب ونيل الاستقلال. خاصة أن لدى الجنوبيين من رجالات الاستقلال -منهم عادل عسيران ولفيفٌ من علماء الدين والأدباء والشعراء- ميلًا للقضايا الوطنية والقومية والتحررية.

(١) مقابلة مع محمد خليل ترحيني، مرجع سابق. وهناك رواية أخرى مشابه نقلها إلينا حسين علي يونس، مرجع سابق. مفادها أن المدعو (سالم) من بلدة كفرمان، كان يعمل ناطورًا في مزرعة شلبعل، وأن ولده (محمود)، عندما سقطت الطائرة، قام بقتل قائدها، بعدما هبط بالمظلّة. أمين عبدو عيسى معلّم كان في مكان قريب من سقوط الطائرة يرعى هو وحسين علي يونس قطيعهما. ما فعله أمين عبدو هو أخذُه لجزمة الطيار. عرف الفرنسيون بالأمر، وجاؤوا ليلًا إلى البلدة لاعتقال أمين عبدو ظنًّا منهم أنه هو من قتل الطيار. وسلكوا طريق المغريق وصادفوا في طريقهم علي يونس أحمد هارون. فطلبوا منه عنوةً إرشادهم إلى بيت أمين عبدو تحت طائلة المسؤولية، ولمّا تمّ لهم ذلك اقتادوه إلى المعسكر. لحق بهم عبدو عيسى معلّم لمنعهم من ذلك، ولم يتركوه، إلا بعد أن دفع لأحدهم مبلغ ٢٠٠ ليرة وعاد به إلى البلده.

(٢) مدونة العرايس: السنة ١٧، ... مرجع سابق، ص٣٧.

عبّا ساحة لصراع حزبَي النهضة والطلائع:

منذ الثلاثينيات وحتى منتصف التسعينيات من القرن الماضي كان التمثيل الشيعي في البرلمان اللبناني عن مدينة بيروت وبعبدا محصورًا بآل بيضون، باستثناء بعض الاختراقات من وقت لآخر بآل الحاج وسليم والزين. ونتيجة النزوح من الجنوب، بدءًا من أوائل القرن العشرين كان الحضور الشعبي الشيعي في بيروت والضواحي يرتكز على عامل اجتماعي - اقتصادي. وعمل معظم الوافدين في القطاع الخدماتي المتواضع، بينما أقلية ضئيلة جدًّا تنتمي إلى الفئات الميسورة عملت في العقارات والاستثمار والتجارة وسواها.

غداة استقلال لبنان عام (١٩٤٣م) وتبلور معالم السلطة وأحزابها على امتداد الطوائف والجغرافية اللبنانية. بموازاة ذلك، كان هناك حضور سياسي في العاصمة، اتسم بالمنافسة بين آل بيضون وآل الأسعد، غداة تشكيل رشيد بيضون حزب الطلائع، وتلاه في هذه الخطوة أحمد الأسعد الذي أسس حزب النهضة، -كان الهدف منه منافسة الطلائع- عمل بيضون على نقل نفوس أبناء القرى الجنوبية إلى بيروت واستطاع أن ينسج علاقات اجتماعية معهم لزيادة عدد الأصوات خصوصًا عندما أصبح للشيعة مقعد فيها. وهكذا أصبح للمهمشين في بيروت زعيم يتلمس حاجاتهم، ودارت منافسة قوية بين الحزبين كانت تنتهي غالبًا إلى الصدام بين مؤيدي الطرفين، فاستغلت الحكومة الوضع وألغت الترخيصين.

بالعودة إلى الحراك السياسي الشيعي في بيروت، سرعان ما انخرط العديد من أبناء الطائفة، بحزب الطلائع وأصبح يشكل حضورًا ميدانيًّا في بيروت وجبل عامل، له لباس موحد (كاكي) كلباس العسكر، وله أعلامه وفرقته الموسيقية. ولمّا لم يرُق هذا الأمر لأحمد بك الأسعد سارع إلى إنشاء حزب مضاد، فكان (النهضة) عام (١٩٤٦م). وتُرجم الانقسام الحزبي في بيروت وجبل عامل بتجمعات شعبية أمام مقارّ الحزبين، كانوا خلالها يرددون شعارات التأييد، وسقط لهما قتلى في مواجهات عدة، مما دفع الدولة إلى اتخاذ قرار بإلغاء الترخيصين.

يروي شريف عبد اللّه جواد خليل -وكان مؤيدًا للطلائع وحاضرًا أمام مقرها-

وقائع نهارٍ حاشدٍ بالجماهير، كانوا يرددون أمام منزل رشيد بيضون (الذي كان أسس حزب الطلائع) القريب من منزل رياض الصلح ردّيةً نظمها أحد شبان بلدة حاروف، يقول في مطلعها:

رشيد قد رشدنا في رشادو كما رشّد النبي المسلمين

حسدوا الرشيد وما استفادوا كما حسدوا أمير المؤمنين

حينها علت الصيحات من الشباب الموجودين(١). وانعكس انتخاب أحمد بك الأسعد رئيسًا لمجلس النواب عام (١٩٥١م) خلفًا لصهره صبري حمادة واستمراره فيه لغاية (١٩٥٣م)، إيجابًا على الأسعديين في عبّا، فتنفسوا الصعداء، وتُرجم هذا الارتياح عندهم بانضمام أفراد إلى حزب النهضة، كانوا يدينون بالولاء للطلائع. من هؤلاء «السيد إسماعيل علي حسين الذي انحاز إليهم، وتودد للسيد توفيق بعد أن توسط لشقيقه السيد يوسف برفع الحكم عنه وإلصاقه زورًا بغريمه السيد عبد اللّه جواد(٢). ولم تسلم البلدة من تداعيات التنافس بين الحزبين وكانت حينها حديثة العهد بالعمل الحزبي، بحيث انقسم الأهالي بين مؤيد ومعارض، الأمر الذي أوجد بيئة مؤاتية للصدمات، وكان للنهضة فرقة خاصة مقرها كراج صيدا في ساحة البرج، كانت مهمتها اعتقال المؤيدين للطلائع وخطفهم وضربهم(٣).

(١) مقابلة مع شريف جواد خليل، مرجع سابق.

(٢) «في هذه الفترة تعزز حضور الأسعديين في البلدة وصاروا يزدادون عددًا، ورفعوا أعلامهم في جنبات الساحة معتمدين دكان علي جواد هارون لتأمين احتياجاتهم، الأمر الذي أزعج (أبو خليل محمد حسن خليل)، فما كان منه إلا أن عمل بنصيحة (أبو محمد رضا) وعلق في صدر دكانه صورة لأحمد الأسعد، وهكذا أصبح مقصد النهضويين لشراء حاجاتهم». مدونة العرايس، السنة ١٧، العدد الثاني، أول أيار ٢٠١٣م، ص٢٢.

(٣) «أثناء عملي في بيروت في فندق (نيو رويال)، كنت ألتقي مساءً مع عدد من المناصرين لحزب الطلائع في مقرّ العاملية. وكان لم يمضِ وقت طويل على تأسيس أحمد الأسعد حزب النهضة بتشجيع من رياض الصلح، وشهد أولى مراحل تكوينه على يد كبار قبضايات بيروت، وافتتحوا مكتبًا للحزب داخل كراج صيدا في ساحة رياض الصلح بمحاذاة كراج النبطية. وأصبحت المنافسة بين الطلائع والنهضة على أشُدها، وقِيل لي إن مناصرين للنهضة بتحريض من بعض العبّاويين سوف يكمنون لي لضربي كوني من حزب الطلائع. وكان معهم أشخاص من عبّا». مقابلة مع شريف جواد خليل، مرجع سابق.

ودخلت عبّا حلبة التنافس، وكانت في بعض مظاهره إنشاء الفروع، وهي خطوة يمكن وصفها بـ(الفعل ورد الفعل) إذ حيث يكون فرعٌ للطلائع يسارع النهضة إلى إنشاء فرع له. ففي البلدة، عندما أُنشئ فرع للطلائع تولى رئاسته «إبراهيم محمد جواد يعاونه، شريف إسماعيل علي حسين (ضابط) وأمين أحمد (شرطي) ومحمد داوود حريري وموسى أحمد (كاتب)»[١]. سارع النهضة في المقابل إلى إنشاء فرع آخر له في منزل شريف يوسف أسعد في الساحة العامة وترأسه توفيق ترحيني، يعاونه مهدي عقيل ومحمد السيد علي وحسين زينو عميص وجميل قاووق (ضابط) وأحمد حسن عبد اللّه (أمين صندوق) وداوود حريري (ممثل شباب الارتباط). وكان لباس النهضة أيضًا اللون الكاكي إنما بإشارات حمراء»[٢].

وهكذا انقسمت البلدة على نفسها بين مؤيد ومعارض وهذا الانقسام أدى إلى عِراك حتى بين أفراد العائلة الواحدة[٣]. يذكر جيدًا شريف أمين أحمد خليل (أبو

---

(١) «التدريب كان في ساحة آل هارون، والمركز في الساحة العامة في نادي الإمام محمد الباقر. حضر فوج الطلائع من بيروت إلى البلدة لأول مرة بلباسهم الكاكي مع الشارات الخضراء والنجوم الصفراء ودخلوا البلدة عن طريق شلبعل الكراسي - الوطى المغاريق. تقدموا إلى البلدة بصفوف منتظمة وسط استقبال حاشد من الأهالي ليبدأ التدريب لاحقًا». مدونة العرايس، نفس المرجع، ص١٩.

(٢) «معظم البلدة كانت تؤيد الطلائع، أما النهضة فكانوا يقطنون العاصمة، ومن وُجد منهم في البلدة كانوا أقلية يتعرضون لمضايقات من قِبل آل علي حسين وآل خليل، كنزع أزرار الحزب من على صدورهم أو منع مواشيهم من السير في العجّال». مدونة العرايس، السنة ١٧، العدد الثاني، أول أيار ٢٠١٣م، ص١٩.

(٣) «عندما بلغ الاحتقان حدًّا، جمع النهضة مناصريه في بيروت وقرروا الدخول إلى البلدة لإثبات وجودهم وقوتهم في مواجهة الطلائع. وذات يوم نزلوا في بلدة جبشيت لأن البوسطة التي أقلتهم من بيروت لم تكمل بهم إلى البلدة لأن الطريق لم تكن معبّدة وصالحة لسير المركبات. سلكوا طريق عين الفوقا، بيدر زيدان، الحمّارة تتقدمهم فرقة بقيادة محمد السيد علي وأخفت سلاحها داخل السلال. في المقابل هبّت الطلائع لملاقاتهم وانتشروا في كرم دقماق وقلعة الصعبة ظنًّا منهم أنهم سيسلكون طريق الزغرين. وهكذا تمكنت النهضة من الولوج إلى الساحة العامة حيث دارت المعركة بالعصي والحجارة واستمرت متقطعة طوال الليل إلى أن صحت البلدة على حصار من قبل الدرك واقتيد الجميع سيرًا على الأقدام إلى سرايا النبطية وأُودعوا السجن، ولم يُخلَ سبيلهم إلا بعد تدخّل مباشر من قبل السيد محمد يوسف أسعد لدى المسؤولين في السرايا وعمل على تهدئة النفوس». مدونة العرايس، السنة ١٧، نفس المرجع، ص١٩.

علي) بضع أبيات من الشعر كان نظمها محمد هاشم خليل يصف فيها وقائع عراك كان مشاركًا فيه ووقف بنهايته في الساحة العامة وردد الأبيات التالية[١]:

شـــريـــف مـنـيـفـة تـخـبّـا بـالـلـيـوان
عـمـلّـي حـالـو فـؤاد عـلامـة

مـحـمـد سـلامـة مـن بـيـو زعـلان
أجـا عـالـضـيـعـة بـلا عـزيـمـة

أول مـا وصـل عـا بـيـدر زيـدان
بـلـش بـامـو واخـتـو حـلـيـمـة

بويحيا [حسين زينو عميص] هرب عا جبل لبنان
مـن جـوعـو اشـتـرا وقـيـتـين قـضـامـي

عـارف وخيو وعبد اللّه عتمان راحـو بالوديان
يـا حـيـف عـا الـشـبـاب تـلـبـس جـزامـي

وهناك واقعة أخرى عن ذلك التنافس بين الطلائع والنهضة، كان المختار حسن محسن معلم شاهدًا على تفاصيلها[٢]. وكان كلا الحزبين يستخدم الشعر وسيلة للمبارزة والتفاخر بالانتساب لهما، وهذه ردّيّة نظمها أبو هاشم لـ(أبو طلال) وهو من أنصار الطلائع[٣] قال فيها:

(١) مقابلة مع شريف أمين أحمد خليل، تولد١٩٤٠ م، والدته مريم بدر الدين، بتاريخ ٢٩/ ٥/ ٢٠١٢م.

(٢) «أتذكر جيدًا كيف تعارك أنصار الطلائع من أهل البلدة مع محمد علي حسين أحمد شقيق السيد توفيق، وهو من أنصار النهضة، وكان يداوم على حمل مسدس وأُصيب بكدمات وجروح. وقبل وصول الدرك إلى مقام النبيّ لفض العراك، همس السيد صالح أحمد خليل ياسين لأنصار الطلائع بالتفرّق والاختباء. إلا أن الدرك ألقى القبض على الفريقين واقتادهما إلى النبطية مكبلين، سيرًا على الأقدام». مقابلة مع حسن محسن معلّم، مرجع سابق.

(٣) نفس المرجع.

نـــور الـــمـــبـــادئ مـــا انـطـفـا وجيوشـــنا جـــاءت حفيـــف
يـــا قـــائـــد جـيـــوش الـــوفـــا يـا بـن إسـماعيل يا سـيد شـريف

ووصل التعبير عن الصراع بين أنصار النهضة والطلائع حدّ الوشاية إلى السلطة القضائية. عندما سطر مختار البلدة شريف يوسف علي حسين بتاريخ (٢٢) حزيران محضر ضبط (١٩٤٨م) بحق توفيق علي حسين بارتكاب مخالفة الاعتداء على مُشاع القرية بمحلّة الكسارة. إلا أنه بالمحاكمة أصدرت محكمة صلح النبطية فقرة حكمية قضت ببراءة المدعى عليه[١]. كما تظهّر الصراع في الشأن الإنمائي - الإغاثي، غداة هزّة العام (١٩٥٦م) الشهيرة. وقتها تعرضت المناطق اللبنانية لهزة أرضية نتج عنها تصدع في بعض المنازل في عبّا. حينها جرى إنشاء المصلحة الوطنية للتعمير للتعويض على المتضررين[٢]. ولمّا كان الخلاف السياسي على أشده بين الرئيس كميل شمعون ومحمد بك الفضل من جهة، والزعيم أحمد بك الأسعد من جهة أخرى، فقد انعكس سلبًا على البلدة لجهة توزيع التعويضات (ترابة وحديد). فبعدما استلمها المختار شريف يوسف علي حسين، وكان المختار من مؤيدي الأسعد، وأودعها مبنى الحسينية، وكان سعيد إبراهيم يونس من مؤيدي الزعيم محمد بك الفضل. وحصل على إذن تسليم عدد (٢) بكمية (٢٠) كيسًا ترابة وعدد من قضبان الحديد لكل إذن، امتنع المختار عن تسليمه الكمية[٣].

(١) ورد في الفقرة الحكمية الجزائية الصادرة عن محكمة صلح النبطية رقم ٦١٧ أساس / ٦٨٥ قرار، ما يلي: بالمحاكمة العلنية تبين أن الدرك قاموا بالكشف على الأرض المزعوم الاعتداء عليها، فلم يأتوا بأدلة تثبت أن الأرض التي يستعملها المدعى عليه أرض مشاعية. وحيث إن المدعى عليه ادّعى ملكية الأرض موضوع النزاع وأبرز شهادةً من أعضاء اختيارية ووجوه قريته بأنه لا يوجد أرض مشاعية في محلة الكسارة وأن المختار نظّم ضبطه بعامل الحزبية والانتقام. وثيقة رقم (١٢).

(٢) قانون إنشاء المصلحة الوطنية للتعمير، تاريخ ٩/ ٤/ ١٩٥٦م، الجريدة الرسمية، العدد ١٥، تاريخ ١١/ ٤/ ١٩٥٦م، الصفحات ٢٤١-٢٤٥.

(٣) يضيف سعيد إبراهيم يونس: يومها التجأت إلى الزعيم محمد بك الفضل، الذي عمل على تسليمي الكمية المصرح عنها في إذن واحد. أما الإذن الثاني -وهو عن منزل لي في بلدة عدشيت انتقل لي بالوراثة عن جدتي من آل زريق- فقد صرف لي مساعدة مادية قيمتها ٧٠٠ ليرة، وأكملت بها أعمال الترميم. يومها اعترض أحد المهندسين المولجين بالكشف، على تخصيص تعويضين، عن منزل في عدشيت، بينما أنا مقيم في عبّا، وزال الاعتراض بعد تدخّل من محمد الفضل.

وبهذا الانقسام -وكان على أشده- توزع ولاء عائلات البلدة بين الحزبين على نحو التالي: «آل علي حسين في مقابل آل خليل، وغالبًا ما كان التنافس يشتد بين عسيراني وأسعدي لإمساك فريق دون غيره بالمراكز والخدمات العامة في البلدة، مثال على ذلك، راعي العجال، ناطور البلدة، مراسل التبغ، معلّم المدرسة، المختار»[(١)]. وتحزّب للطلائع كل من «آل علي حسين - نصف آل هارون - آل حريري، بينما تحزّب للنهضة: آل خليل - آل حسين - آل حسين أحمد - نصف آل هارون - آل قاووق - آل عميص - آل حمود ترحيني - آل ياسين ترحيني - نصف آل حريري»[(٢)].

عوز الأهالي ومطالب الإنماء التي لم تكن تعني للسلطة وللزعماء شيئًا، دفعتهم للقبول والرضا، بما يقدمه الزعيم من خدمات شخصية. ولمّا كان الزعيم أو البيك يحتاج للتواصل مع عائلات البلدات لتأمين مصالحه الانتخابية، كان ذلك لا يتأمن إلا عبر وجيه من أبناء البلدة. إذ بواسطته كان يتم طرق أبواب آل الأسعد في الطيبة وآل عسيران في صيدا وآل الزين في كفر رمان وآل الفضل في النبطية وآل الخليل في صور، وكان الوصول إليهم لا يتم إلا بواسطة وجيه من البلدة، فهو (مفتاح البك) يستميت للمحافظة على مركزه مهما كلّفه هذا الأمر[(٣)]، وقد كان أقصى طموحه نيل رضا البك والتربّع على عرش الوجاهة بعد نيل لقب (زلمة البك)، وكان وجيه البلدة يتقدّم على جموع المستقبلين في الساحات العامة عند زيارات البك للبلدات والسير خلفه وصولًا إلى فتح أبواب داره له وللحشود من أهل البلدة. وأولئك توسلوا التزلم للبك خدمة وتسهيلًا لمصالحهم الشخصية وأعمالهم، إذ عُرف عن بيت علي حسن خليل) أبو سعد اللّه) انتماؤه لآل عسيران، وسعيه الحثيث

(١) مدونة العرايس، السنة ١٧، مرجع سابق، ص٢٤.

(٢) مقابلة مع علي مهدي عقيل ترحيني، تولد ١٩٥٥م، والدته شريفة ترحيني، بتاريخ ٢٠/ ١/ ٢٠١٨م.

(٣) «لدرجة أن السيد توفيق باع عجلاً لتأمين نفقات زيارة أحمد بك إلى عبّا، وكذلك فعل السيد كاظم في بلدة النميرية. وكان (مفاتيح البيك) يشكلون وفدًا واحدًا لمقابلة البيك، ويتكبدون نفقات الوصول اليه. على سبيل المثال: كان خليل رمال من الدوير يجمع مفاتح آل الأسعد، السيد توفيق من عبّا الحاج خليل حايك من عدشيت الحاج عبد اللّه عياش من حاروف - والأفندي صلاح فياض من أنصار والحاج عبد اللطيف شعيب من الشرقية و(أبو قاسم مروة) من الزرارية وحسن الجوني من حبوش». مدونة العرايس، السنة ١٧، مرجع سابق، ص٢٤.

لاستقطاب العائلات الصغيرة في الاستحقاقات الانتخابية خدمة لمصالحه[١].

وتمثل زيارة أحمد بك الأسعد لبلدة عبّا التي وصلها ليلًا عام (١٩٥١م) في سياق جولة له على قرى قضاء النبطية[٢] نموذجًا صارخًا للتزلّم للبك المتمثل آنذاك بالطلائع والنهضة، ومراعاة خاطره لغايات محض شخصية دون الالتفات إلى رفع شأن الطائفة. إن أقصى ما اضطلعت به الطلائع، كانت نشاطات في الحقل الاجتماعي ومداخلات لزعيمها رشيد بيضون في الندوة البرلمانية تنتقد هضم حقوق الطائفة في التعينات الإدارية. وجل ما قدمته في حينه لعبّا مساهمتها في «تأمين مواد البناء لتشيّد حسينية للبلدة (حاليا مقر شعبة حركة أمل)»[٣]. ولم تكن النهضة أفضل حالًا، فهي قامت بالأساس لكبح جماح رشيد بيضون بعد أن أصبح خطرًا يهدد زعامة آل الأسعد في عقر دارهم بعدما التفّ حوله الجنوبيون. لذلك لم يكن في العموم للنهضة نشاط إنمائي يذكر سوى ما يقدمه زعيمها من خدمات تسجّل في خانة إنجازاته الشخصية، منها شقّ الطريق عبّا - جبشيت وبناء حائط دعم لجامع البلدة وصيانة بركة الماء فيها وبعض رخص الدخان[٤]. وعليه لم يكن وجود التنظيمين كقطبين أساسيين يدّعيان تمثيل الشيعية ليحقق للطائفة مشاركة فعلية في السلطة، أو إيجاد توازن في الإنماء يحدّ من موجات النزوح إلى أحزمة البؤس في الضواحي بحثًا عن حياة أفضل افتقدوها في قراهم المهملة.

---

(١) مقابلة مع علي محسن معلّم، تولد ١٩٤١م، والدته صبحية ترحيني، بتاريخ ٢/ ٧/ ٢٠١٢م.

(٢) يروي خليل توفيق ترحيني (أبو بشار) في مدونته العرايس وقائع من تلك الزيارة: «نصب له على مدخل البلدة أقواس النصر واستقبلته الحشود بالهتاف والزغاريد، فأنيرت الساحة والطرقات بالقناديل. كان اللقاء مع الأهالي في المسجد، جلس على البلايط والتعب قد أخذ منه مأخذًا كبيرًا والنعاسُ بادٍ عليه ولكنه سُرَّ بالمشاريع التي نُفذت في البلدة... والتي ذكرها جميعًا في قصيدته الشاعر محمد داوود حريري، فخاطبه البيك قائلًا له: (طيّرت النعاس من عيني يا أبا محمود). وألقى حسن نجل السيد توفيق كلمة ترحيبية، ثم تقدم أبو محمد رضا محمد علي والسيد أبو خليل محمد حسن خليل للسلام على البيك، وقال له: صورتك في صدر الدكانة بالساحة، فأجابه البيك: (كان لي أخ اسمه فارس توفي، فأبو خليل خيّ محل فارس)، فصاح أبو خليل قائلًا: (كل واحد بعاديك بدو عصايي بين كتافو)». مدونة العرايس، السنة ١٧، مرجع سابق.

(٣) مقابلة مع شريف أمين أحمد خليل، مرجع سابق..

(٤) مدونة العرايس، المرجع السابق، الصفحات ٢٧ - ٢٨.

تصاعد حدة الصراع بين الحزبين دفع بوزير الداخلية آنذاك صبري حمادة إلى إصدار قرار في آذار (١٩٤٧م) بوقف نشاط الأحزاب شبه العسكرية وقد التزم رشيد بيضون بتجميد نشاط حزبه ونقل ترشيحه للنيابة من الجنوب إلى بيروت تحت ضغط الهجمة التي تعرض لها وأنصاره في هذه المنطقة[١]. وبذلك انتهت مرحلة كان لشيعة لبنان فيها أولى محاولاتهم لخوض العمل الحزبي. محاولة لم يكتب لها النجاح؛ لأنها لم تقم على أسس وقواعد محددة تبسط من خلالها هويتها الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، ولم يكن لها رؤية سياسية موحدة أي وجود إيدولوجيا تترجم في البرنامج السياسي للحزب.

وعليه بالإمكان القول: إن العباويين في تلك المرحلة لم يكن تأييدهم للطلائع والنهضة نابعًا من توقهم كطبقة اجتماعية مسحوقة، للانخراط في حزب سياسي له برنامج يعبّرعن مصالحهم. ومن ثمّ هم لم يمارسوا العمل الحزبي الصحيح وفق التعريف العلمي. بل كانت ممارستهم بدافع فطري غريزي يفتقر إلى الوعي الاجتماعي في بيئة طغت فيها الأمية والجهل. وإلا لما تفشت الإقطاعية وتمظهرت بشخص تربع على كرسي السلطة والناس ينظرون إليه على أنه الشخص (الزعيم) المقدس، وعلى الرغم من أفول نجم حزبي الطلائع والنهضة ظل العباويون على ولائهم لهما رغم حلول أحزاب أخرى (حركة أمل) خاصة الولاء لكامل أسعد. في هذا السياق يروي علي خليل ترحيني أن والده أبو بشار وفي العام ١٩٨٢ بعد التجديد لكامل الأسعد لرئاسة المجلس النيابي تشكل وفداً وزار الأسعد في منزله بالحازمية وألقى كلمة على مسمعه والحضور منهم: عبد الله وحسين أحمد - حسين حسين أحمد - يوسف علي حسين -أبو جميل ساره - السيد إسماعيل علي حسين، محمد إسماعيل - أبو حسين علي أمين[٢].

(١) علي عبد المنعم شعيب: التجربة الحزبية عند شيعة لبنان، بحث منشور في كتاب «الشيعة في لبنان من التهميش إلى المشاركة الفاعلة»، مجموعة من الباحثين، دار المعارف الحكمية، حارة حريك - لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م، ص٢٩١.

(٢) من محفوظات حسن محمد ترحيني.

موقف العبّاويّين من أحداث (١٩٥٨م):

سنة (١٩٥٨م) واجه لبنان أخطر أزمة سياسية في تاريخه المعاصر،، ويعود سبب اندلاعها إلى عوامل دولية وإقليمية وداخلية فرضت نفسها على قوى الصراع الداخلي المرتبطة معها. على المستوى الدولي والإقليمي، بدأ الصراع بعد إبداء السلطة اللبنانية الرغبة في الانضمام إلى (حلف بغداد) للوقوف في وجه المدّ الاشتراكي. أمّا داخليًّا فقد تمثلت في عدم الاهتمام بالإصلاح الإداري والسياسي والاستجابة لطموحات المعارضة التي كانت مطلبًا ملحًّا لها منذ سنة (١٩٤٦م)، بما في ذلك رفض التجديد للرئيس كميل شمعون لولاية ثانية. أدى هذان العاملان إلى قيام معارضة نيابية وسياسية وجماهيرية وسوّغ نشوء مواجهة مباشرة مع الدولة عمّت كل المناطق اللبنانية، اشترك فيها الجيش في قمع المتظاهرين وفرض منع التجوال. وتمددت الأحداث نحو المناطق اللبنانية الأخرى ولم تكن مناطق وقرى الجنوب اللبناني بعيدة عن سيرها، وأدت إلى وقوع صدمات كبيرة بين الأهالي وقوى الأمن.

على الرغم من حلّ تنظيمَي الطلائع والنهضة وانضمام بعض الأشخاص من البلدة إلى أحزاب يسارية وقومية أخرى، فقد حافظ أحمد بك الأسعد على حضور وازن له في عبّا من أشخاص عديدين حافظوا على ولائهم للحالة الأسعدية. ظهر ذلك من خلال تأييدهم له في معارضته السياسية لكميل شمعون، خاصّةً حينما أبدى رغبة لبنان بالانضمام إلى حلف بغداد المعادي لمصر وسورية. «وكانت البلدة من منطلق عقائدي وقومي تجمع ما بين عبد الناصر والملك حسين وتؤيّدهما بحيث كانت صورهما تتوزع على بيوت ودكاكين البلدة مناصفة باعتبار الملك حسين سيدًا (ينتمي للأسرة الهاشمية) وعبد الناصر (قائدًا قوميًّا)»[١].

وبادرت الأحزاب والزعامات المحلية وبعض الوجهاء في بلداتهم بإرسال أنصارهم إلى سورية التي كان ضباطها على علاقة وطيدة بأهل الجنوب لتأمين ما يحتاجون من سلاح. وسرعان ما بدأت قوافل البغال بنقل مختلف أنواع السلاح

(١) مقابلة مع علي مهدي عقيل، مرجع سابق.

والمتفجرات إلى المناطق الجنوبية اللبنانية. في عبّا كان محمد حسين محمد معلم (أبو هاني) متطوعًا في سلك الدرك، ينقل مجريات الأحداث، وخاصةً أوضاع البيروتيين ومعاناتهم إلى شقيقه محمود الذي ينقلها بدوره إلى أهالي البلدة[١] الذين دفع بهم الحماس إلى دعم أحمد الأسعد في وجه كميل شمعون، وأخذ شكل عملي بانخرط مجموعة من شباب البلدة في مهمة جلب السلاح من بانياس - سورية، فضلًا عن أعمال التدريب.

وكان أن «تطوّع لهذه المهمة كل من: علي عميص (التركي)، حسين سليمان حريري، حسين زينو عميص، محمد أحمد سلامة وغيرهم. وكان هؤلاء يقصدون بلدة بانياس لجلب السلاح للمعارضة. وكان الحزب القومي السوري مؤيدًا لشمعون، بينما كان الطلائع والنهضة معارضين وأقاما مخيمًا لتدريب المقاتلين في وطى الضيعة علي يد عسكريين متقاعدين من بلدة زوطر[٢]، أذكر أن أهالي بلدة القليعة الحدودية قضاء مرجعيون وهم من المسيحيين كانوا ينصبون الكمائن للشباب خلال ذهابهم إلى بانياس عبر مرج بلدة الخيام لمنعهم من جلب السلاح. أيضًا كانت ترابط في المكان فرقة للجيش اللبناني لاعتراض المهربين»[٣].

---

(١) مقابلة مع محمود حسين معلم، والدته زكية عميص، تولد ١٩٤٥، بتاريخ ٢٥ / ٨/ ٢٠١٢..

(٢) «كان لنا موقف معارض لكميل شمعون، مع الثورة ومؤيد لصائب سلام. شريف يوسف أسعد، كان على صداقة مع عسكري بالجيش من بلدة يحمر، فطلب منه القيام بتدريب من يرغب من شباب البلدة على استعمال السلاح. أقيم في وطى البلدة شبه معسكر للتدريب». مقابلة مع محسن عبدو حسين أحمد، والدته آمنة ترحيني، تولد ١٩٣٨م، بتاريخ ١٩/ ٧/ ٢٠١٢م.

(٣) مقابلة مع محمد خليل، مرجع سابق. وأكد هذه الوقائع بعض من أجريت معهم مقابلات، وفحواها: «كان لبعض شباب البلدة مشاركة في الاضطرابات التي حدثت عام ١٩٥٨م، حيث تطوع كل من شريف يوسف أسعد (المختار) ومحمد أحمد سلامة وعلي ساره وحسين زينو عميص وحسين سليمان حريري والتركي، بالذهاب إلى بانياس عن طريق مرجعيون لجلب السلاح للمعارضة». مقابلة مع حسن محسن معلّم، مرجع سابق. «في عبّا كنّا نعتبر الأحداث تلك، حربًا أهلية. وأحيانًا كنت أسترق السمع من الكبار يتحدثون عن مجموعات من البلدة أمثال: الأستاذ علي إبراهيم نجل السيد محمد علي، نجيب مهدي علي، حسن حريري، محمد أحمد سلامة، شريف يوسف أسعد (المختار) حسين زينو (أبو يحيى عميص) علي حسين قاووق الملقب (علي ساره)، حسين سليمان حريري، أنهم قاموا بتهريب السلاح من سوريا لدعم المقاومة الشعبية لحكم الرئيس كميل شمعون». مقابلة مع محمود حسين معلّم، مرجع سابق.

وحصل في البلدة انقسام بالرأي حيال الأزمة، إلا أنه لم يتحول إلى نزاع، «أحمد حسن خليل، وأبو سعد اللّه من آل خليل كانا من المؤيدين لكميل شمعون، وكذلك البعض من آل حسين، بضغط من (أبو سعد اللّه) الذي لوّح لهم برخص التبغ، تحولوا عن مناصرة الأسعد إلى مناصرة شمعون، بينما آل هارون ممثلين بالسيد علي والسيد خليل كانوا متقلبين بين هذا وذاك، وركبوا الموجة ووقفوا مع من تكون له الأرجحية. آل علي حسين ممثلين بالسيد إسماعيل ظلوا يؤيدون أحمد بيك، إلى أن انحاز عددٌ منهم إلى (أبو سعد اللّه)، ومن ثم فعل ذلك السيد إسماعيل والسيد عبدو حسين أحمد، أما آل العميص والقاووق والحريري فقد ظلوا على ولائهم لأحمد بيك»[١].

ولم تقتصر مشاركة العبّاويّين في الأحداث على من هم مقيمون في البلدة، فقد كان للبعض ممن هو مقيم في بيروت مشاركة عفوية في التظاهرات السلمية المدعومة من أحمد بك الأسعد، المطالبة بتنحي الرئيس شمعون عن الرئاسة، من هؤلاء «حسين دياب (أبو نايف) سُجن ذات مرة لمشاركته في تظاهرةٍ في بيروت مناوئةٍ لكميل شمعون»[٢]، وكذلك علي أحمد هارون (أبو حسين)[٣]. كانت تلك أحداثًا عابرةً شهدتها البلدة، شارك فيها شباب بما تيسّر لهم من إمكانات مادية متواضعة، كان لها تأثير ولو محدودًا في صراع كبير حدّد في حينه وجهة انتماء لبنان، كما أسس لعهد جديد كان فاتحةً لمرحلة بناء دولة يتساوى

(١) مقابلة مع حسين سليمان حريري، مرجع سابق.

(٢) مقابلة مع محمد علي دياب، تولد ١٩٤٠م، والدته فاطمة ترحيني.

(٣) روى لي (للمؤلف) والدي وقائع الاعتقال صبيحة ذلك اليوم، عندما كان في محلة البسطا التحتا - بيروت لجلب بعض الحاجيات، انضم بصورة عفوية إلى تظاهرة كانت تجوب الشوارع تندّد بسياسة كميل شمعون وتطالب بتنحّيه عن الرئاسة، وكان في التظاهرة حسين دياب (أبو نايف). ولم يمر وقت طويل على مسير التظاهرة حتى تصدى لها الدرك لتفريقها، وقام باعتقال أفرادها. وكان والدي وحسين دياب من ضمن المعتقلين حيث سُجنا في حبس الرمل مدةً تزيد على عشرة أيام. أيضًا روت لي والدتي كيف قصدت برفقة عمي شريف (أبو هاني) مكتب أحمد بك الأسعد للتوسط له لإخلاء سبيله، ولمّا لم تفلح قصدته مرة ثانية مصطحبةً معها شقيقي حسين وحسن وكانا صغيرين، طالبة من البيك، بعدما رفضت منه مساعدة مالية، استعجال إخلاء سبيله لتدبر شؤون عائلته، وهكذا كان، إذ لم تمرّ ساعات حتى أُخلي سبيله. المؤلف.

فيها جميع اللبنانيين. مشاركةٌ كهذه من جيل لم تعرف بيئته الحياة الحزبية بمعناها الحقيقي، كان دافعها الولاء لزعيم أرادوا مناصرته في صراع سياسي لا دخل لهم فيه.

ولما انتهت أحداث (١٩٥٨م)، بصيغة لا غالب ولا مغلوب، وتسلّم اللواء الرئيس فؤاد شهاب (المؤيد للناصرية) مقاليد الحكم، وبما أن القوميين وقفوا إلى جانب الرئيس شمعون، شعروا بأنهم أصبحوا في عين العاصفة، وأنهم سيدفعون ثمن ولائهم له، لذا قاموا عام (١٩٦١م) بانقلاب انتهى بالفشل واعتُقل قادته العسكريون والسياسيون. وكانت عبّا في واجهة الأحداث، فقد «داهمت قوة من الجيش اللبناني البلدة لاعتقال قاسم ترحيني لوجود اسمه ضمن لوائح الحزب التي عثر عليها مع (المسّاح المهندس جورج حداد)، ولمّا كان خارج البلدة اعتقلوا شقيقه حسين (أبو علي) وكذلك قاسم محمد يوسف أسعد لوجود تشابه بالأسماء وجميعهم لا ينتسبون للحزب المذكور»[1].

صعود الأحزاب القومية واليسارية والفلسطينية في عبّا ودخولها دائرة الصراع فيما بينها:

طوى حلُّ حزبي الطلائع والنهضة مرحلةً هجينةً من العمل الحزبي في عبّا، إلا أن ذلك لم يَحُل دون بقاء مؤيدين للحالة الأسعدية. وتُرجم ذلك بمشاركة بعض العبّاويّين في دعم الاحتجاجات ضد الرئيس شمعون. ومع بدء مرحلة الستينات طرأ على التركيبة الاجتماعية العبّاويّة متغيرات هامة بعد ظهور جيل متنوّر ولد في الأربعينات، وخرج من الإطار الضيّق والمحدود للبلدة إلى الفضاء الأوسع، سواء إلى المحيط المجاور أم إلى بيروت والضواحي. وهي مرحلة استنهاض بدأتها أحزاب عقائدية تدعو للتحرر والوحدة. وكان جلّ المنضوين إليها خريجي المرحلة المتوسطة ودور المعلمين الذين ترقوا إلى رتبة أستاذ في التعليم. هذه الفئة من الشباب العبّاويّين استجابت للدعوات القومية التحررية ولاقت قبولًا لديهم؛

(١) مدونة العرايس، السنة ١٧، مرجع سابق، ص٣٦.

لكونها تتلاءم مع رغباتهم. ومهّدت هذه المرحلة الطريق لهذا الجيل للاطلاع على الفكر اليساري خصوصًا أولئك الذين عملوا في قطاع التعليم.

في هذه الفترة كان حزب البعث العربي الاشتراكي قد تأسس سنة (١٩٤٧م) في دمشق تحت شعار (أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة) بهدف تحقيق وحدة اشتراكية تجسد الوحدة العربية للتحرر من الاستعمار وإقامة النظام الاشتراكي العربي. في (٨) آذار سنة (١٩٦٣م) أصبح البعث الحزبَ الحاكم في سورية، تلاه في (١٧) تموز سنة (١٩٦٨م) الحزب الحاكم في العراق. يقول محسن عبدو ترحيني: «كنت من بين الذين استهوتهم مبادئ البعث وانتسبت إليه عام (١٩٥١م) [أنا] وآخرون من أبناء البلدة أمثال: الأستاذ علي إبراهيم وخليل توفيق ترحيني والحاج حسن عميص ونجيب يوسف. بعد فترة أقسمنا يمين الانتساب للحزب مع مجموعة من الرفاق من بلدة الدوير على شعار (أمّة عربية واحدة ذات رسالة خالدة). تلا ذلك عقد مؤتمر للحزب عام (١٩٥٤م) حضره بعثيون من سورية، الأردن، لبنان، العراق. انتُخب بنتيجته ميشيل عفلق كأول أمين عام إلى جانب قيادة قومية للفترة ما بين (١٩٥٥ - ١٩٥٨م) وضمّت سبعة أشخاص: (٣) من سورية، (٢) من الأردن، (١) من لبنان، (١) من العراق»[١].

في العموم كان الهوى الحزبي في عبّا ما زال ميالًا عند الغالبية من جيل الثلاثينات وما قبله إلى الحالة الأسعدية والعسيرانية. إلا أن ذلك لم يمنع من تبلور حالة حزبية مختلفة وإن كانت خجولة، عن تلك المرحلة يقول محسن عبدو: «تم غض النظر عنّا وعن باقي الفصائل من شيوعيين وقوميين، الأمر الذي ترك لنا حرية ممارسة العمل الحزبي في البلدة، وبتكليف من المجلس السياسي للحركة الوطنية أسسنا مستوصفًا في مبنى الحسينية القديمة، وقمنا بتوزيع المساعدات الغذائية من طحين وغيره، وفي بيروت، لا سيّما في مدرسة المنارة شكلنا حلقة حزبية ضيقة رديفة للقيادة القطرية»[٢].

---

(١) مقابلة مع محسن عبدو حسين أحمد، مرجع سابق.

(٢) نفس المرجع.

المناخ الحزبي العام في جبل عامل كان مساعدًا، وكان هناك سعيٌ للترويج لأفكار الحزب «عام (١٩٥٢م) جاء إلى البلدة المسّاح أبو حسين علي فرحات -وهو من بعلبك- وكان في عِداد الفريق الذي تولى مهمة رسمية لتحديد وتحرير أراضيها. وكانت مهمته وسيلة مساعدة له للترويج لفكر البعث. من الذين نجح في اجتذابهم وانتسبوا للحزب، محسن محمد علي إبراهيم، كامل كلوت، محمد هاشم، حسين علي محسن، قاسم محمد يوسف، محمد حسين الشيخ معلّم وغيرهم. وكذلك فعل زميله المسّاح جورج حداد الذي سعى لنشر أفكار الحزب السوري القومي الاجتماعي، إلا أنه لم يلقَ حماسة كبيرة، وتجاوب معه البعض من الذين عملوا معه وكانوا قلّة، منهم قاسم أبو علي حمود»[1].

وهكذا وجدت أفكار حزب البعث ومبادئه قبولًا عند جيل متنور من أبناء البلدة كان يتوق لوحدة عربية افتقدها غداة انتهاء الحرب العالمية الأولى، وتكرست بزرع الكيان الصهيوني بداخله. خاصة أن حزب البعث كان من أبرز الداعين إلى وحدة سورية ومصر وعدم الاعتراف بالكيان الصهيوني، ونجح في تحقيقها في شباط (١٩٥٨م) تحت اسم الجمهورية العربية المتحدة. وبحسب رواية محسن عبدو ترحيني لم يقتصر اندفاع الشباب من عبّا على تأييد الحزب والانتساب إليه، بل تعدى ذلك إلى ممارسة العمل التنظيمي، حيث استطاع سنة (١٩٥٨م) «تشكيل (٤) خلايا حزبية من ضمنها الدكتور محمد أحمد يوسف ترحيني، وفي مرحلة لاحقة إبراهيم توفيق ترحيني الذي كان عضوًا في الصاعقة وتولى الشأن الثقافي، ومن ثم رابطة اتحاد الفلاحين اللبنانيين؛ كونه كان يتمتع بثقافة وعلاقات واسعة، وكان يقام في البلدة حلقات تثقيفية، نسائية- طلابية - عمالية بدعوة وإشراف من موسى شعيب من بلدة الشرقية»[2].

لم تصمد الجمهورية العربية المتحدة طويلًا، وحصل الانفصال وانتهت الوحدة بانقلاب عسكري فى دمشق يوم (٢٨) أيلول (١٩٦١م)، وأعلنت سورية

(١) مدونة العرايس: السنة ١٧، مرجع سابق، ص٣٥.

(٢) مقابلة مع محسن عبدو حسين محمد، مرجع سابق.

عن قيام الجمهورية العربية السورية، لكن مصر احتفظت باسم الجمهورية العربية المتحدة لغاية العام (١٩٧١م). تركت حركة الانفصال تداعياتها على البنية العامة للحزب عندما نفّذ في (٢٣) شباط من عام (١٩٦٦م) عدد من الضباط البعثيين السوريين انقلابًا على الدولة، غادر على إثره ميشيل عفلق وصلاح البيطار سورية نهائيًّا. وأدى الانقلاب إلى إنشاء قيادتين وطنيتين للحزب متنافستين على استقطاب المؤيدين، واحدة يهيمن عليها السوريون وآخرى العراقيون، وامتدّ الانقسام إلى صفوف المنضوين إليه في لبنان. من هؤلاء في بلدة عبّا محسن عبدو ترحيني وكان بدايةً متأرجحًا في الاختيار، عندما «التحق أولًا بالقيادة القومية فرع العراق، ثم بالفرع السوري اقتداءً بإبراهيم توفيق ترحيني[١] الذي التحق كما كثيرون في بداية الانفصال بالفرع السوري، كردة فعل منهم إثر أحداث أيلول الأسود في الأردن عام (١٩٧٠م) على تخلي الجيش العراقي الذي كان متواجدًا في الأردن عن حماية الفلسطينيين الذين طلبوا الحماية منه، فاعتُبرت هذه الخطوة من قبل البعثيين السوريين بمنزلة خيانة منه للقضية الفلسطينية التي كانت من صلب عقيدتهم، أضف إلى ذلك ملاحقة صدام حسين لقيادات (الفرع العراقي) أينما وُجدوا[٢].

بناءً علية نستطيع القول: إن مرحلة الأحزاب القومية والعقائدية في عبّا، بدت مختلفة كليًّا عن مرحلة حزبي الطلائع والنهضة، فقد تميزت بوعي المنضوين إليها لأهمية الانخراط في العمل الهادف إلى رفع شأن المجتمع. وعليه لم يحدث في البلدة أي اقتتال عبثي، وهذا ما انعكس ايجابًا عليها من نواحٍ عديدة[٣]. فكان للبعض من أهالي البلدة مشاركات في ندوات تثقيفية في المحيط المجاور، نظمتها

(١) اغتيل فيما بعد، بتاريخ ٣ كانون الأول ١٩٨٠م، وظلت ظروف اغتياله ملتبسة.

(٢) مقابلة مع محسن عبدو حسين أحمد، مرجع سابق.

(٣) «لم نتخطَّ العمل السياسي والتثقيفي والاجتماعي والصحي والإنمائي. وبمساعدة مالية من الحزب قمت ببناء المدرسة الرسمية مع كافة مستلزمات الغرف بمعاونة من حسين حسن خليل. وقام بأعمال البناء كل من: (أبو عفيف قاووق وعبد نصور أبو عفيف من بلدة جبشيت)». مقابلة مع محسن عبدو حسين أحمد، نفس المرجع.

أحزاب كانت محظورة وملاحَقة من قبل السلطة، منها الحزب الشيوعي اللبناني. أحدها ندوة فكرية نظمها الحزب في بلدة أنصار عام (١٩٥٦م)، وروّج لحضورها أسعد محمد يوسف (أبو حسن) ودعا الأهالي لحضورها في منزل السيد عبد اللّه هاشم شرف، يومها داهمت دورية من الدرك المنزل واعتقلت البعض وفرّ الآخرون كل باتجاه بلدته[١]. إلا أن تأييد بعض العبّاويين للحزب الشيوعي، لم يتعدَّ الإطار الشكلي الخاص المرتبط حصرًا مراعاةً لصلة القرابة، ومردّ ذلك إلى أنَّ حزبًا كالشيوعي موصوف بالإلحاد لن يجد مؤيدين له في البيئة العبّاوية الثابتة على عقائدها الإيمانية. عن تجربته الحزبية يقول مختار البلدة حسن محسن معلّم: «بداية انخراطي بالحياة العامة والحياة الحزبية، لا سيّما الشيوعي لم يكن بدافع العقيدة إنما بدافع القرابة بالطبيب الشيوعي إبراهيم معلم من كفر رمان وكان مرشحًّا للنيابة، ولم ينل من البلدة سوى (٣٢) صوتًا»[٢].

وكغيره من الأحزاب والحركات العقائدية استهوى اتحاد قوى الشعب العامل، وهو حزب سياسي لبناني ناصري العقيدة أسسه عام (١٩٦٥م) كمال شاتيلا. «وجد هذا الحزب عددًا من أبناء البلدة مؤيدين له تأثرًا بالحالة الناصرية التي كانت منتشرة بين الشباب في المشرق العربي»[٣]. وبالرغم من التفسخ الذي أصاب الاتحاد وخروج البعض عليه وتشكيلهم تنظيمات رديفة له كقوات ناصر بقيادة

(١) «بتاريخ ١٩٥٦/٩/٣٠م نشرت جريدة الأخبار البيروتية خبرًا مفادُه: «تلقينا من النبطية أنه بينما كان جمهور من شباب قرية عبّا يسهرون عند السيد عبد اللّه هاشم شرف كعادتهم كل ليلة ويقرؤون الشعر، داهم ضابط المنطقة البيت وأمر باعتقال صاحب البيت والعضو الاختياري خليل اليحي وسيقوا إلى النبطية وضربوا...». الخبر ورد في جريدة الأخبار بتاريخ ١٩٥٦/٦/٣٠م، وهو منشور في مدونة العرايس: مرجع سابق، الصفحات ٣٦- ٣٧.

(٢) مقابلة مع حسن محسن معلّم، مرجع سابق.

(٣) «والدي كان واحدًا ممن تأثروا بالناصرية، لذا انتسبت عام ١٩٧٠ م لاتحاد قوى الشعب العامل. لم أكن الوحيد من البلدة، أذكر منهم: قاسم محمد إسماعيل ترحيني (موظف السفارة) وشقيقه حسين، محمد كامل كلوت، أحمد شريف عبد اللّه ترحيني، علي حسين مرتضى ترحيني (والد الشهيدين) - (حسن رضا ترحيني، محمد رضا ترحيني، حسن محمد معلّم - عميد بالجيش، أديب مهدي ترحيني، أحمد عبدو ترحيني، علي شريف ترحيني - طبيب) وتسلمت مسؤولية التنظيم في البلدة ومن بعدي تولاها حسين محمد إسماعيل». مقابلة مع علي مهدي عقيل ترحيني، مرجع سابق .

عصام العرب، ثم منظمة الشباب العربي، وانخراطهم لاحقًا منتصف السبعينات، مع قوى ناصرية أخرى كالاتحاد الاشتراكي العربي، بالعمل العسكري، فقد اقتصر نشاط المنضوين إلى الاتحاد من عبّا على العمل الاجتماعي فقط، «وتوزع بين جمع للتبرعات ومساعدة المحتاجين ودفع رسوم التسجيل للطلاب في المدرسة الرسمية وعيادة المرضى، وتطور لاحقًا ليشمل الجانب الثقافي؛ حيث افتُتح مقرّ ونادٍ رياضي (غير مرخّص) في بيت (أبو قاسم) والد العميد حسن معلّم، حيث أُقيم العديد من الندوات السياسية في الفكر الناصري كان إحداها بالتعاون مع نجاح واكيم»[(١)].

مع انطلاق العمل العسكري الفلسطيني في لبنان منتصف الستينات بمسميات عديدة، بدأت مرحلة جديدة مختلفة عن سابقتها. وجرت محاولات عديدة لمنعه والسيطرة عليه بلغت ذروتها نهاية الستينيات، أدى إخفاقها إلى اشتباكات دامية وقعت بين الجيش اللبناني والتنظيمات الفلسطينية المسلحة. وتصاعدت وتيرتها بعد الخروج الفلسطيني الكبير من الأردن وانتقال الجهد العسكري معه إلى لبنان. حينها دخل الصراع مرحلة جديدة تكشفت عنها عمليات تسليحية هائلة لجميع القوى الموجودة على الساحة اللبنانية، وبهذا التحوّل أخذ العمل الحزبي الشكل المسلّح وكانت النّتيجة اندلاع حرب أهلية دامت عقدًا ونيّفًا من الزمن.

لم يسجّل في عبّا حضور وازن لفصائل فلسطينية، سوى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وأبرزُ من انخرط في صفوفها حسين محمد ترحيني (أبو أمثل) وآخرون لم يتجاوز عددهم عدد أصابع اليد الواحدة، ولم يكن هذا الانضواء بدافع عقائدي، إنما بحسب روايته «كان نتيجةً لأوضاع اقتصادية حيث كنت عام (١٩٦٩م) أعمل سائق تكسي، تعرّفت حينها على شخص من التابعية الفلسطينية الذي عرّفني بدوره على أشخاص. كان بنتيجتها ومع بداية الحرب الأهلية أن حملت السلاح من دون أن أكون منظمًا بصفة رسمية»[(٢)]. لاحقًا كان لانخراط البعض من عبّا في صفوف

(١) مقابلة مع علي مهدي عقيل ترحيني، مرجع سابق.

(٢) مقابلة مع حسين محمد ترحيني (أبو أمثل)، تولد ١٩٤٤م، والدته هدلة ترحيني، بتاريخ ٣١/ ٥/ ٢٠١٨م. =

الجبهة تداعيات سلبية أسوةً بما حدث في باقي المناطق. أبرز مظاهره صراع دموي شهدته مرحلة الثمانينات بين المناوئين لياسر عرفات والموالين له على خلفية نزاعه مع سورية بعدما ألحقت ضررًا كبيرًا باليساريين وحلفائهم الفلسطينيين. «وكانت البلدة إحدى ساحات تصفية الخلافات بين الطرفين، إلا أن ذلك لم يشكل خطرًا على أوضاع البلدة، واقتصر الأمر على مناوشات محدودة ومطاردات وإقفال لمقار تنظيمية، ولم يسجل وقوع إصابات»[١]. وكان البعث السوري ضد الاقتتال في لبنان، بينما كانت فتْح تريد ذلك، و»البعض من أبناء البلدة ممن كانوا منخرطين في صفوف الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، قاموا ببعض المضايقات تجاه عناصر من البعث السوري في البلدة، وبعض المراكز الحزبية في المنطقة التي غادرت إلى البقاع، إلى أن عادت القوات السورية إلى لبنان عام (١٩٧٦م) بقرار من القمة العربية في الرياض، وكانت من عديد قوات الردع»[٢].

وانعكس الخلاف الذي نشأ بين زعيم الحركة الوطنية كمال جنبلاط والقيادة السورية توترًا بين أحزاب الحركة الوطنية من جهة، والأحزاب والقوى الحليفة لسورية من جهة أخرى، منها اتحاد قوى الشعب العامل. نتج عن هذا التوتر تحالف بين البعث العراقي والحزب الشيوعي والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وكان هدفه إقصاء وإضعاف الأحزاب الحليفة لسورية». في عبّا قامت مجموعة من الشباب أمثال: موسى حسين ترحيني (موظف في دائرة النفوس) ومحمد جميل قاووق (طبيب) وعلي عبد اللّه حسين أحمد من الحزب الشيوعي، وحسين محمد ترحيني (أبو أمثل) من الجبهة الشعبية، وإسماعيل موسى ترحيني من البعث

= في السياق نشرت مجلة إلى الأمام في عددها الصادر في تشرين أول ١٩٧٠ خبراً حول حكم قضائي صادر عن المحكمة العسكرية، «بوضع كل من حسن عبد الله ترحيني (لبناني) ورفاقه... في الأشغال الشاقة المؤبدة ثم تخفض العقوبة إلى خمس سنوات بتهمة القيام بأعمال جنائية ضد الدولة» إلا أن المجلة ذكرت أن معظم التهم في جوهرها ذرائع لتطويق المقاومة..».

(١) مقابلة مع حسين محمد ترحيني، مرجع سابق.

(٢) «لم يحدث أي اقتتال بعثي- فلسطيني في عبّا، لأن البعث العراقي كانوا أصدقاء لنا، من جهتي عملت على تحييد نفسي عن الصراعات، في هذا الوقت كانت طلائع حركة أمل تظهر على الساحة الحزبية كطرف منافس». مقابلة مع محسن عبدو حسين أحمد، مرجع سابق.

العراقي. بحملة اعتقالات طالت كل من: أديب مهدي عقيل وحسين محمد إسماعيل وحسن معلّم وأُودعوا السجن. على الأثر أوقف التنظيم نشاطه في البلدة ولم يستأنفه إلا عام (١٩٧٦م) مع الدخول السوري إلى لبنان، ليتوقف نشاطه نهائيًّا بعد فترة وجيزة»[١].

ومن بين الأحزاب والحركات التي تعرضت لمحاولات الإقصاء والإضعاف، كان أفواج المقاومة اللبنانية (أمل). وكانت في بدايات انطلاقتها وكانت تسعى جاهدة للتمدد في المناطق اللبنانية. فاصطدم عناصرها ببعض الأحزاب اللبنانية الدائرة في فلك الفصائل الفلسطينية، لا سيّما حزب البعث (الفرع العراقي) الذي حاول التضييق على تحركات الحركيين وتطور الأمر إلى وقوع اشتباكات في ضواحي بيروت ومناطق الجنوب، «وعلى إثر التوتر الذي شهدته بلدة جبشيت أواخر العام (١٩٧٩م) إثر قيام عناصر الحركة بمصادرة السلاح الفردي لعناصر حزب البعث العراقي، انتقل التوتر إلى داخل عبّا مع عناصر البعث منهم، محمد شريف أسعد، هاشم سليم، عباس سليم، وتكرر عام (١٩٨٠م) عندما تصدّى شباب (أمل) في عبّا للحزب الشيوعي في بلدة أنصار إثر اختطاف ابنة عضو الحركة الشيخ محمد المصري (فاطمة) وقتلها. حينها وقعت اشتباكات بالأسلحة المتوسطة طال بعض رشقاتها أطراف البلدة، ولم يسجل وقوع إصابات»[٢]. وكان على الحركة أن تدافع عن نفسها وترد الأذى عن عناصرها. ومنعًا لتفلت السلاح كانت تمنح عناصرها بطاقات تسهيل مرور وحمل سلاح[٣].

ومن هنا، فإن التجربة الحزبية التي مارسها العبّاويون بمختلف أدوارها وأهدافها طوال عقود من الزمن، تعرضت خلالها للتصدع والتصادم عند كل مفصل محلي وإقليمي، يجب ألّا تلغي إعادة البحث في دور هذه الأحزاب، وتسليط الضوء على

(١) مقابلة مع علي مهدي عقيل، مرجع سابق.

(٢) نفس المرجع.

(٣) بطاقة تسهيل مرور حمل سلاح ممنوحة لـحسن سعيد ترحيني، موقعة من مسؤول المنطقة وصالحة لغاية ١/ ١٢/ ١٩٨٧م. وثيقة رقم (١٣).

موقعها ودورها في الانقسام المجتمعي بأشكاله كافةً. من هنا تبدو هذه المسألة ضرورية لفهم إحدى أهم معضلات العمل الحزبي، ومن ثم تصويب النقاش باتجاه أحزاب تحولت مع الوقت إلى فعل إيجابي يُفاخر به الآن، ولا يمكن تهميشه والمرور عليه مرورًا عابرًا. إن التجربة الحزبية الأخيرة تبدو طموحة نحو حياة أفضل، وهي تسهم مع بقية القوى الحزبية في إقامة مجتمع أكثر عدالة وحرية ووضع حد لأي كيان استعماري على أرضنا. هذه التجربة (المقاومة) هي الآن في المسلك الصحيح، وهي محاولة لتبيان جوامع مشتركة تكاد تلتقي حولها مختلف أطياف العائلة العبّاوية، وإن بنسب مفاوتة، بوصفها فاعلًا جدّيًّا وأساسيًّا في عملية انبعاث مجتمعي متجدد.

بعض الاستنتاجات:

أرْخت بعض المشاريع والتشكيلات السياسية في سورية الكبرى بظلالها على الساحة العبّاوية بنسب متفاوتة. وعلى الرغم من هول ما حدث للفلسطينيين عام النكبة (١٩٤٨م) فإن تأثيرها جراء لجوء بعض العائلات الفلسطينية إليها بقي محدودًا؛ لأن من لجأ إليها لم ينسج مع الأهالي علاقات تؤسس لإقامة طويلة الأمد، ومن هنا فإن تداعيات النكبة على البلدة كانت آنيّةً ولم تحدث تغييرًا في واقعها السكاني. كذلك بقي تأثير الحرب العالمية الثانية على البلدة محدودًا، ما عدا بعض الحوادث المتفرقة، ولم يسجل قيام أحد من البلدة، بالمطالبة بإنهاء الانتداب ونيل الاستقلال، الذي فتح الباب واسعًا على صراع حزبي، لم يكتب لهذه التجربة النجاح؛ لأنها لم تقم على أسس أو قواعد محددة تبسط من خلالها هويتها الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، ولم يكن لها رؤية سياسية موحدة؛ أي وجود إيديولوجيا تترجم في البرنامج السياسي للحزب. وعليه بالإمكان القول: إنّ العبّاويّين في تلك المرحلة لم يكن تأييدهم للطلائع والنهضة نابعًا من توقهم كطبقة اجتماعية مسحوقة، للانخراط في حزب سياسي له برنامج يعبّر عن مصالحهم. وعليه، هم لم يمارسوا العمل الحزبي الصحيح وفق التعريف العلمي. بل كانت ممارستهم بدافع فطري غريزي يفتقر إلى الوعي الاجتماعي في

بيئة طغى فيها الأمية والجهل. وإلا لما تفشت الإقطاعية وتمظهرت بشخص تربع على كرسي السلطة والناس ينظرون إليه على أنه الشخص (الزعيم) المقدس. ولأنه بنظرهم كذلك، ساروا خلفه في أحداث (١٩٥٨م) عندما انخرطوا بشكل أو بآخر فيها، وكان دافعهم الولاء لزعيم أرادوا مناصرته في صراع سياسي لا دخل لهم فيه. إلا أنه في مرحلة صعود الأحزاب القومية واليسارية، رغم ما شهدته من صراع على مستوى عبّا، فقد بدت مختلفةً كليًّا عن مرحلة حزبي الطلائع والنهضة، بحيث تميزت بوعي المنضوين إليها؛ لأهمية الانخراط في العمل الهادف إلى رفع شأن المجتمع. مرحلة، مارسها العبّاويون بمختلف أدوارها وأهدافها طوال عقود من الزمن. ورغم تعرضها للتصدع والتصادم عند كل مفصل محلي وإقليمي، يجب ألّا يلغي هذا الأمر إعادة البحث في دورها، وتسليط الضوء على موقعها، وفهم أهم معضلاتها، وتصويب النقاش باتجاه تحويلها إلى فعل إيجابي يُفاخر به. إن التجربة الحزبية الأخيرة (المقاومة) تحديدًا، تبدو طموحةً نحو حياة أفضل، هي تسهم مع بقية القوى الحزبية في وضع حد لأي كيان استعماري. هذه التجربة هي الآن في المسلك الصحيح وهي محاولة لتبيان جوامع مشتركة تكاد تلتقي حولها مختلف أطياف العائلة العبّاوية، وإن كان بنسب مفاوتة، بوصفها فاعلًا جدّيًّا وأساسيًّا في عملية انبعاث مجتمعي متجدد.

الفصل الرابع:

تداعيات الحرب الأهلية والاحتلال الإسرائيلي

شظايا الحرب الأهلية تصيب عبّا:

سبقت الأحداث الدامية التي بدأت في (١٣) نيسان من عام (١٩٧٥م) العديد من التوترات التي هيّأت للحرب. كان أهمها اقتتال الجيش اللبناني مع التنظيمات الفلسطينية، تظاهرة الصيادين في صيدا التي انتهت باغتيال معروف سعد، قيام مجهولين بمحاولة اغتيال بيار الجميل رئيس حزب الكتائب، وقيام الحزب بالرد عليها بقتل (٢٧) فلسطينيًّا في حي عين الرمانة كانوا متجهين إلى مخيم تل الزعتر، توالي الاعتداءات الإسرائيلية على لبنان الجنوبي. كان ذلك سببًا مباشرًا، لالتحاق بعض الشباب العبّاويّين في دورات عسكرية والمرابطة في القرى الحدودية وعلى خطوط التماس في بيروت الغربية والنبعة والشياح[١]. وكانوا في طليعة المتقدمين للدفاع عن خط آمنوا بصوابيته، من هؤلاء الشهيد محمود عز الدين الذي كان قائدًا للقوات المشتركة في الحركة الوطنية التي هاجمت بلدة الدامور في العشرين من أيلول (١٩٧٦م)[٢]. والشهيد حسين عبد الكريم قاووق، كان من عداد المقاتلين في سرايا حركة أمل على محاور القتال في بيروت الغربية[٣].

وكغالبية اللبنانيين نالت عبّا نصيبها من نتائج الحرب من بناها البشرية، من خيرة

(١) مقابلة مع علي مهدي عقيل ترحيني، مرجع سابق.

(٢) مقابلة مع محسن عبدو ترحيني، مرجع سابق.

(٣) مقابلة مع حسن عبد الكريم قاووق، مرجع سابق.

أبنائها الذين سقطوا شهداء نتيجة قصف عشوائي على أماكن عملهم، وهم يسعون وراء تحصيل لقمة العيش أو في أماكن سكنهم، من هؤلاء: شريف أحمد يونس هارون، قاسم أحمد حسن ترحيني (آل حمود)، مصطفى حسن وهبي ترحيني، حسن جميل قاووق، إبراهيم توفيق ترحيني، واحمد محمود علي حسين (الإمام). كما اختُطف حسين معلم[١] وأحمد محمد قاووق، من قبل حاجز مسلّح في بيروت الشرقية. فيما يلي جدول بهؤلاء يبيّن ملابسات ما حصل لهم.

جدول بأسماء شهداء ومخطوفي بلدة عبّا خلال الحرب الأهلية ١٩٧٥[٢]

الاسم	تولد	تاريخ الاستشهاد أو الخطف	مكان وظروف الاستشهاد أو الخطف
حسين معلم	١٩٤٧	٦/ ٣/ ١٩٧٦	خُطف في منطقة الكحالة عندما كان قاصدًا منطقة البقاع لشراء كمية من الدجاج حمولة بيك آب. أثناء معارك كانت تدور بين أبناء الكحالة وبعض القوى اليسارية والفلسطينيين المتمركزين في عاليه وسوق الغرب.
محمود عز الدين		٢٠/ ٩/ ١٩٧٦	كان قائدًا للقوات المشتركة في الحركة الوطنية التي هاجمت بلدة الدامور. يقال إنه عندما همّ الرئيس شمعون بالخروج من السعديات، طلب مصافحة قائد القوة المهاجمة، وكان له ما أراد ورحل عن طريق البحر. بعد ذلك وقع محمود بخدعة حينما طلب منه استلام السرايا في بيروت، وكان وُضع على أحد زواياها رشاش، وما إن وصل محمود إلى المدخل حتى انهمر عليه الرصاص واستشهد.

(١) غداة اختطافه عمد ذووه إلى نشر خبر في إحدى الجرائد المحلية مع صورة له يطلبون ممن يعرف عنه شيئًا الاتصال برقم ذويه، من دون أن يلقَوا أي نتيجة لغاية اليوم. (ملاحظة: ورد في الخبر خطأ الكنية علم). وثيقة رقم (١٤).

(٢) المعلومات الواردة في الجدول مستقاة من ذوي الشهداء والمخطوفين.

الاسم	تولد	تاريخ الاستشهاد أو الخطف	مكان وظروف الاستشهاد أو الخطف
قاسم أحمد حسن ترحيني	١٩٣٤	٢/ ٨/ ١٩٧٨	استشهد خلال موجة قصف عشوائي تعرضت لها منطقة البربير- زاروب العكاوي وكان بجانب عربته يبيع الصبير.
إبراهيم توفيق ترحيني		١٢ كانون اول ١٩٨٠	
أحمد محمد قاووق	١٩٥٥	١٦/ ٨/ ١٩٨٢	جندي في الجيش اللبناني. في آب (١٩٨٢م) أثناء دخول الجيش الإسرائيلي إلى بيروت الغربية، غادر بمهمة رسمية وبآلية عسكرية مركز عمله فوج الإشارة في الفياضية. تعرض للخطف عند مستديرة الصياد. لم يُعرف عنه شيء لغاية الآن رغم الجهود التي بذلت. منحته قيادة الجيش رتبة جندي شرف.
شريف أحمد يونس هارون		٢٤/ ٢/ ١٩٨٤	استشهد أثناء موجة القصف العشوائي التي تعرضت لها منطقة الشياح من مرابض المدفعية في بيروت الشرقية وكان بجانب عربته يبيع الخضار.
مصطفى حسن وهبي ترحيني	١٩٦٨	٢٧ كانون الأول ١٩٨٣	استشهد في منطقة الشياح بعدما أُصيب برصاص قنّاص من منطقة عين الرمّانة
أحمد محمود علي حسين	١٩٣٨	١٧/ ١/ ١٩٨٧	استشهد أثناء حرب المخيمات بين حركة أمل والمنظمات الفلسطينية في محلة الغبيري قرب حسينية آل الخنساء برصاص قنص من جهة مخيم شاتيلا.

الاسم	تولد	تاريخ الاستشهاد أو الخطف	مكان وظروف الاستشهاد أو الخطف
حسين عبد الكريم قاووق		شباط ١٩٨٧	أصيب أثناء معركة خاضها إلى جانب حركة أمل على محاور بيروت في تموز (١٩٨٦م). بقي في حالة غيبوبة دامت حوالي (٧) أشهر وتوفي بعدها أواخر شهر شباط.
حسن جميل قاووق		شباط ١٩٨٧	استشهد جراء إصابته بقذيفة سقطت على منزله في منطقه كليمنصو أطلقها الحزب التقدمي الاشتراكي، وكانت الحرب قائمة بين حركة أمل والاشتراكي وهي المعروفة بـ(حرب العلمين).

وكانت ظاهرة القصف والقصف المضاد والقتل والخطف على الهوية في الأماكن التي تُوجد فيها أقليات طائفية أو عند الحواجز الأمنية، قد أدت إلى خسارة آلاف اللبنانيين حياتهم. ففي عدد كبير من حالات الاختفاء يرجح أن معظم الضحايا قتلوا. وخلال سنوات الحرب، مارست بعثة اللجنة الدولية للصليب الأحمر الدولي عددًا من الأنشطة الإنسانية، وكانت السباقة في إقامة جسر تواصل مع الميليشيات المتحاربة، للاستفسار عن مفقودين، من دون نتيجة.

وسُجّلت عمليات نزوح جماعية لعائلات عبّاويّة من منطقة سنّ الفيل والنبعة وبرج حمود والكرنتينا ومن بيروت الغربية وضاحيتها إلى البلدة بسبب انعدام الأمان. وهناك عائلات أخرى وجدت مأوًى لها بمساعدة المؤسسات الخيرية بمصادرة مبانٍ مملوكة للدولة أو مساكن خاصة نزح أصحابها منها، مشكلين بذلك مسألة اجتماعية وقانونية. كذلك سُجِّلت حالات هروب فردية لأشخاص من عبّا كانوا يعملون في منطقة الكرنتينا - الدورة. من هؤلاء: حسين خليل يونس ترحيني (هارون) أبو علي الذي كان في العام (١٩٧٥م) يعمل في شركة

الصناعية للشرق ـ مطاحن بقاليان بيروت ـ النهر (الكرنتينا) شارع المدوّر[١].

في عبّا، ومع تفكك السلطة المركزية للدولة اللبنانية واختلال آليات السيطرة والضبط الاجتماعي، راجت في البلدة خلال سنوات الحرب، ظاهرة وضع اليد على المشاعات، حيث أقدم أفراد على وضع اليد على مساحات واسعة منها، سواء للبناء عليها من دون مرعاة شروط التنظيم المدني، أو استصلاحها لتصبح مهيئة للزراعة بأنواع مختلفة من النباتات والأشجار المثمرة كالصبار وأشجار الزيتون والخرنوب للاستفادة من مردودها المالي الكبير. «كما جرى قطع مساحات من الأشجار الحراجية من حراج قلعة ميس القريب من البلدة، استُعملت للتدفئة وطهو الطعام وصنع الفحم الخشبي، كما راج استخدام الأعشاب والحشائش البرية اليابسة والخَذِير[٢] في الطهو، بسبب عدم توفّر مادة الكاز والغاز، ولم يكن توزيع بعض الأحزاب لبعض المواد التموينية كالطحين والكاز والمازوت ليسد حاجة الأهالي إليها. فشاعت السوق السوداء، وكانت هذه الحاجات تباع بأسعار مضاعفة عن سعرها الرائج قبل الأزمة، وإذا توفرت بصورة طبيعية كانت طوابير الأهالي تمتد لعشرات الأمتار بانتظار الحصول عليها[٣].

وبسبب انعدام فرص العمل في البلدة والمحيط المجاور وخطورة العمل في

(١) يقول أبو علي: يوم ١٨ كانون الثاني ١٩٧٦م هاجمت ميليشيات الكتائب المطحنة بعد أن تجمع فيها المئات من السكان اللبنانيين والفلسطينيين والعشائر العربية هربًا من القصف العنيف الذي كانت تتعرض لها منازل الصفيح التي يسكنونها، وارتكبوا مجزرة راح ضحيتها العشرات. تمكنتُ من مغادرة المطحنة باتجاه جامع الخضر، هناك التقيت بعناصر كتائبية كانوا يقيمون حاجزًا، اختبأت منهم وتحينت الفرصة للدخول إلى منزل قريب تسكنه امرأة من الأرمن، طلبت منها الاتصال بصاحب المطحنة الذي حضر وأعادني إلى المطحنة بعد ضمانات بعدم التعرض لي. مكثت في عملي ليومين إلى أن هدأتُ بعض الشيء، وغادرت المنطقة بمعاونة سائق تكسي من الأرمن أوصلني إلى محلة المتحف. مقابلة معه بتاريخ ٢٢/ ٢/ ٢٠١٩م.

(٢) «هو خَثْيُ البَقَرِ، هو ما يخرجُ من ذات بطونها، أُبدلت الثَّاءُ ذالاً وأُضيفت الرَّاءُ لتسهيل اللَّفظ. يُجمعُ ذلك الخَثْيَ، ويُخلط بقليلٍ من التِّبنِ العُورِ أي النَّاعم وتُصنعُ منه أقراص تُـلْطَعُ؛ أي تُلصقُ على حائطٍ أو ما شابه لتجفَّ، ثم يُستعمل كوسيلة للتَّدفئة أو الطهي أو إشعال النار». نقلًا عن الصفحة الرسمية facebook للدكتور فايز ترحيني المنشورة بتاريخ ٢٥ كانون الثاني ٢٠١٨م. صورة رقم (١).

(٣) أحداث عايشها المؤلف وشارك في بعضها.

بيروت، اضطر عدد من شباب البلدة للسفر إلى الأردن بحثًا عن عمل، مستفيدين من عدم وجود قيود على السفر، حيث كان تصريح الدخول، يتم عند المنافذ الحدودية بعد إبراز بطاقة الهوية. وهؤلاء هم: الإخوة أولاد عبد اللّه حمود، ومحمد وحسن سعد الدين، فهد حريري، خليل محمد ترحيني، حسن علي يونس ترحيني، حسين علي يونس هارون، وأخواه حسن وأحمد، إبراهيم علي يونس ترحيني وعلي خليل علي محمود ترحيني. وعمل هؤلاء في محلات بيع الأطعمة والحلويات؛ حيث كانت فرص العمل في هذه المهنة متوفرة. وكانت الأردن محطة أولى للبعض، لينتقل منها إلى العراق أو المملكة العربية السعودية مفتتحين بذلك مرحلة اغتراب طويلة. أما البعض الآخر فلم تطل مدة إقامته وقفل عائدًا إلى البلدة، أو التحق بمعسكرات منظمة الصاعقة في سورية للتدرب على السلاح، ومنهم، إبراهيم علي يونس الذي التحق فيما بعد بجيش لبنان العربي، وقاتل إلى جانب علي عميص (التركي) الجيش السوري الذي دخل لوقف هجوم فصائل الحركة الوطنية والمنظمات الفلسطينية على مناطق الجبل وشرق بيروت[١].

وفي مسألة المخطوفين، بعدما يزيد على ربع قرن على انتهاء الصراع لم يجرِ أي تحقيق جاد يهدف إلى رفع النقاب عن مصير آلاف الأشخاص المفقودين. وجل ما قامت به الدولة بعد انتهاء الحرب، هو تشكيل لجنة مهمتها جلاء قضية المفقودين. لكن بعد سنتين ونصف من العمل لم تقم اللجنة بنشر أي تقرير رسمي. ولم يكن قانون العفو العام رقم (٨٤/ ٩١) الذي أصدرته الحكومة اللبنانية في (٢٦) آب (١٩٩١م) الوحيدَ الذي طمس قضيتهم، فقد كان جواب الحكومة على تساؤلات لجان الأهالي في العام (١٩٩٥م) أنْ صوَّتت على القانون (٤٣٤) تاريخ (٢٥) أيار (١٩٩٥م) الذي أتاح إعلان وفاة الأشخاص الذين هم في عداد المفقودين. وبذلك بقيت مسألة مخطوفي عبّا في ضوء قرار الحكومة بنظر أهاليهم في حكم المعلّقة. أما في مسألة البناء في الأرض المشاع، فقد بقيت من أهم المشكلات التي تواجه بعض الأهالي. ما حدث أن بعض الأحياء تحولت أثناء الحرب إلى

(١) احداث عايشها المؤلف وشارك في بعضها.

حيّز واسع مخالف لقواعد التنظيم المدني، فضلًا عن تعديها على الملك العام، وبالرغم من استعادة الدولة لسلطتها الإدارية، وصدور قانون تسوية مخالفات البناء عام (١٩٩٢م) رقم (٣٢٤) لم يجرِ حتى الآن تصحيح وضعها القانوني، وما زالت جميع المخالفات دون تسوية، وبالتالي هي مخالفة للنص.

باختصار: أدت الحرب الأهلية إلى تغييرٍ بارزٍ في التركيب الاجتماعي والاقتصادي والديموغرافي لمناطق عديدة من لبنان، ومنها عبّا. إذ عُدَّ الشهيد والمفقود والمسكن والوحدات السكنية والمؤسسات الصناعية والتجارية والحرفية التي تُركت قسرًا، ونزح مالكوها عنها وسكنها نازحون آخرون خلالها وبعدها، من المشكلات الاجتماعية التي واجهت الأسر سواء لاقت حلولًا جزئية أم كاملة.

عبّا تنتسب لأفواج المقاومة اللبنانية (أمل):

انعدام العدالة الاجتماعية، ورفض سياسة الإقطاع التي كان يمارسها نظام سياسي يرتكز على مبدأ التصنيف الطائفي والمذهبي والمناطقي، ويعتمد في سلوكياته وأدبياته السياسية على الاستئثار بالسلطة والهيمنة على مختلف مرافق الدولة، أوجد عند شريحة واسعة من أبناء الطائفة، حافزًا لتأييد حركة الإمام موسى الصدر أملًا في رفع الغبن اللاحق بهم. هذا الواقع الذي تزامن مع حراك فلسطيني مسلّح، شكّل الركن الأساسي لنشاط الإمام اليومي. فبعد أن درس الواقع اللبناني بشكل عام، وأحوال الشيعة بوجه خاص، تطلع إلى ربطهم بالدولة التي كانت غائبة عنهم. وآتت حركته ثمارها، عندما أقر مجلس النواب اللبناني اقتراح إنشاء المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى بتاريخ الخامس عشر من حزيران (١٩٦٧م)، وهو أول مرجعية رسمية تعنى بشؤون الطائفة، ليعلن بعدها في العام (١٩٧٤م) إطلاق حركة المحرومين، ثم في العام (١٩٧٥م) ولادة أفواج المقاومة اللبنانية (أمل) إثر انفجار لغم أرضي وقع في معسكر تدريبي في قرية عين البنيّة – بعلبك.

إذ كانت ولادة المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، كمؤسسة رسمية تهتم

بشؤون الطائفة، بدايةَ مرحلة جديدة من العمل الاجتماعي والسياسي للإمام الصدر، لا سيما عندما تجاوز سلوك الاكتفاء بالوعظ الديني إلى الاهتمام بشؤون المجتمع والتحرّك في مختلف قرى جبل عامل. وكان لعبّا نصيبٌ من هذه الزيارات لا سيما الاجتماعية منها. يقول مختار البلدة حسن محسن معلم: «جاء الإمام الصدر إلى البلدة عام (١٩٦٨م) وكررها عدة مرات، منها عند وفاة زوجة السيد شريف عبد اللّه جواد خليل، ومرة في ذكرى أسبوع المرحوم يوسف الحاج حسين، ومرة يوم وفاة جدي الذي كان قارئًا لمجالس العزاء. أذكر يومها أنه وصل متأخرًا عن الموعد، فقصد البيت للتعزية ولحقت به الجموع، عندها طلب منّا التوجه للنادي الحسيني وألقى محاضرة، كان ذلك عام (١٩٧٢م)، ومرة أخرى زار فيها العلاّمة السيد محمد علي إبراهيم»[١].

حِراك الإمام الاجتماعي قبل ظهور حركة المحرومين، أوجد في عبّا تأييدًا له تبدّى بالانتساب للمجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، واقتصر ذلك على فئة عمرية متوسطة من رجالات البلدة، منهم «المختار شريف يوسف أسعد، حسن محمد حسن، نجيب مهدي ترحيني، عبد الرسول محمد ترحيني، محمد داوود ترحيني، مهدي عقيل ترحيني، إبراهيم حسن خليل ترحيني (أبو نايف) وسعيد إبراهيم يونس، حسن محسن معلّم»[٢]. وكان هؤلاء يحملون بطاقة انتساب للمجلس ويسددون اشتراكًا سنويًّا مقداره ليرة واحدة. وما زال المختار حسن محسن معلّم يحتفظ بالبطاقة، وهي صادرة بتاريخ (١٩) جزيران (١٩٧٥م)[٣].

حظي الإمام الصدر بالاهتمام والقبول من البيئة اللبنانية عامة والشيعيّة خاصة في ظل مناخ بدت فيه مطامع إسرائيل في جنوب لبنان واضحة، تتجاوز الحياة والأرض إلى توطين الفلسطينيين وإنهاء قضيتهم. في عبّا كان العام (١٩٧٤م)

(١) مقابلة مع حسن محسن معلّم، تولد ١٩٤١م، مرجع سابق.

(٢) مقابلة مع علي مهدي عقيل ترحيني، مرجع سابق.

(٣) «لم ننخرط في صراع الأحزاب، كنّا نؤيد المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، وأحمل بطاقة عضوية، نسدد سنويًّا ليرة واحدة بدل دعم للمجلس». مقابلة مع حسن محسن معلّم، المرجع السابق.

حاسمًا بتأييد حركة المحرومين، ترجم ذلك بمشاركة للعبّاويين في مهرجان بعلبك، ومن ثم صور في أيّار من ذات العام(١).

بداية الانتساب الفعلي للعبّاويين إلى حركة المحرومين، كانت مع علي مهدي عقيل ترحيني، جاء ذلك إثر مشاركته في اعتصام للإمام الصدر في (٢٧) حزيران (١٩٧٥م) في مسجد الصفا – الكلية العاملية في بيروت، رفضًا لاستعمال السلاح ضد اللبنانيين لحل الأزمة، وإيجاد حكومة وطنية تعيد السلام وتقيم المصالحة الوطنية، وتلبّي مطالب المحرومين(٢). ولما كان الدافع الرئيس وراء تشكيل الأفواج المسلحة للحركة التخوّف من حدوث اجتياح إسرائيلي للجنوب اللبناني وتهجير أهله، في ظل قناعته بأن الدولة أعجز من أن توفر الحماية لمواطنيها، كانت الاندفاعة عند شباب البلدة للانخراط في صفوف (أمل). عن تلك المرحلة، يقول علي مهدي عقيل: في ذلك الوقت انتسب فعليًّا لحركة المحرومين كل من: أحمد محمد معلّم، وتبعه بعد ذلك علي حسن محسن معلّم (وكان أثناء وجودي خارج لبنان يتولى المسؤولية التنظيمية)، وحسن رضا ترحيني وحسن شريف أمين (تولى المسؤولية الإعلامية – توزيع نشرة الحركة)، ونايف حسين دياب (مسؤول عسكري)، وإسماعيل حسين عثمان ترحيني وحسن سعيد إبراهيم يونس»(٣). وكانت الحركة تمنح المنتسبين إليها بطاقات عضوية تحدد صفتهم

---

(١) مقابلة مع حسن محسن معلّم، مرجع سابق.

(٢) يروي علي مهدي ترحيني وقائع ذلك اليوم: «كنت واحدًا من جموع المحتشدين في مسجد الصفا التابع للجمعية الخيرية الإسلامية العاملية، احتجاجًا على استمرار الحرب الأهلية. وعند انتهاء الإمام من إلقاء كلمته، طلبت من مساعديه السماح بلقائه، وكان لي ذلك لدقائق. وطلبت منه الانتساب لحركة المحرومين. وهكذا في الأول من شباط ١٩٧٦م انتسبت فعليًّا لحركة المحرومين والتحقتُ بدورة تدريب قتالية». مقابلة مع علي مهدي عقيل ترحيني، مرجع سابق، كما ذكرت هذه الواقعة جريدة الأنوار في عددها الصادر بتاريخ الثلاثاء تموز ١٩٧٥..

(٣) «وعام ١٩٨٠م انتسب للحركة كل من: سعيد إبراهيم يونس (عمل اجتماعي) حمزة دياب، كامل سلمان، محمد حسين دياب، حسن أحمد حريري (خردق)، إبراهيم علي يونس، محمد أحمد قاسم، حسن الحرّ، خليل أحمد قاسم، حسن سبيتي، وكذلك أولاد حسين إبراهيم يونس، صبحي أحمد صالح، صافي عبد الحسين كلوت، علي عبد الحسن كلوت وغيرهم. صورة رقم(٢). وفي العام ١٩٨٧م محمد شريف عبد اللّه جواد. من طرائف تلك الأيام أنه عندما عُيّن محمد شريف (مسؤول شعبة) قام حمزة دياب وصبحي =

التنظيمية والتراتبية بهدف حسن سير التنظيم وتلافي انتحال الصفة حزبية[١]، وتُمنح بعد إخضاع المنتسبين لدورات تثقيفية، تتضمن: انطلاقة الحركة، التنظيم، ميثاق التوحيد، العدل النبوة، الإمامة، الميعاد، التراث، حرية الاقتصاد، فلسطين، الوطنية والتصنيف، حياة الإمام الصدر، أمل بين (٧٥-٨٥)، نظام داخلي، تحليل سياسي[٢]. والعضو المنتسب لأي تشكيل حركي كان يخضع لاجتماعات دورية منتظمة يطّلع فيها على تطورات ومستجدات الوضع الحركي واللبناني العام، والتوجيهات الواجب التقيد بها[٣].

والمنطلق العقائدي لحركة أمل، المتمثل بالإيمان باللّه بمعناه الحقيقي لا بمفهومه التجريدي، والتمسك بالسيادة الوطنية ومحاربة الاستعمار والمطامع الإسرائيلية، والوقوف إلى جانب الشعب الفلسطيني وصيانة مقاومته، وإيمانها بأن الصهيونية تشكل الخطر الفعلي والمستقبلي على العالم العربي، وجد لدى غالبية المجتمع العبّاوي قبولًا وبيئة حاضنة لها من كافة الفئات العمرية. وهكذا دخلت البلدة في حياة حزبية تختلف عن سابقتها، أبرز سماتها الولاء المطلق للخط الرسالي، لردّ التحديات بدءًا من إخفاء الإمام المؤسس، معتمدين على القدرات الذاتية للمنتسبين لضمان حسن سير التنظيم وعدم الوقوع في فخّ الارتهان. لذلك كان على كل عضو منتسب المساهمة الشهرية بمبلغ من المال مقداره خمس ليرات للنهوض بأعباء التنظيم[٤].

= أحمد صالح بتفجير عبوة صوتية صغيرة بالقرب من بيته، بهدف إخافته ودفعه لترك الشعبة». مقابلة مع علي مهدي عقيل ترحيني، تولد ١٩٥٥م، والدته شريفة ترحيني، بتاريخ ٢٠/ ١/ ٢٠١٨م.

(١) كانت البطاقات تتضمن: الرسم الشمسي، اسم وشهرة ورقم المنتسب والصفة والإقليم والمنطقة والدورة المنتسب إليها الشخص.

(٢) بطاقة صف كادر في حركة أمل إقليم الجنوب - المنطقة الخامسة عائدة لـحسن سعيد إبراهيم ترحيني. وثيقة رقم (١٥).

(٣) بطاقة دعوة لقائد فوج الإمام الحسين (عبّا) لحضور اجتماع تنظيمي للمنطقتين الخامسة والسادسة مع مفوض الجنوب، وثيقة رقم (١٦).

(٤) إيصال مالي ببدل انتساب إلى حركة أمل. وثيقة رقم (١٧).

وعلى مستوى المواقع القيادية في الحركة، برز من أبناء البلد محمد شريف عبد اللّه جواد ترحيني، كمسؤول تنظيمي لإقليم الجنوب، وأنيس محمد معلّم كمسؤول للمنطقة الثانية في إقليم الجنوب، بعد تدرج في المسؤوليات التنظيمية، اضطلع خلالها بدور ريادي في الإشراف على الفروع الحركية والسهر على تطبيق قرارات القيادة والأوامر العامة الصادرة عن الرئيس، والتعريف بسياسة الحركة وأنظمتها الداخلية، والقيام بالاتصالات مع أحزاب أخرى، وتنظيم حملات لاجتذاب أعضاء جدد، والاهتمام بالشؤون الانتخابية، ولا سيما النيابية، ومتابعة أوضاع المناطق.

عبّا تقاوم الاحتلال الإسرائيلي:

بينما كانت حركة أمل في طور الخروج من شرك الخلافات الداخلية، وانخراط عناصر عبّاوية من الحركة في معارك جانبية على محاور بلدات كفرتبنيت وأنصار وحاروف مع اليسار اللبناني من شيوعيين وبعثيين وعراقيين إضافة إلى فتحاويين، وإعداد نفسها للمرحلة المقبلة، لا سيما بعد اختطاف مؤسسها، انقلبت الأوضاع رأسًا على عقب إثر الغزو الإسرائيلي الواسع للبنان في السادس من حزيران (١٩٨٢م)، واستنفرت الحركة مجاهديها في كل من بيروت والبقاع والجنوب لرد العدوان. أولى المواجهات التي خاضتها عبّا كانت التصدي لقوة إسرائيلية مؤللة كانت تتقدم باتجاه البلدة انطلاقًا من محور جبشيت - عدشيت وحصلت مواجهة مباشرة غير متكافئة مع رتل من الدبابات. كانت تلك المواجهة باكورة العمل المقاوم الذي انطلق حينها بإمكانات متواضعة، وأسفرت عن استشهاد كل من المسؤول العسكري للحركة في عبّا أمين ملحم ويوسف نجيب يوسف علي حسين[١]. بازدياد وتيرة العمليات ضدها كانت قوات الاحتلال تقوم بحملة

(١) روى وقائع تلك المواجهة علي حسين كلوت، تولد ١٩٦٤م، والدته رقية ترحيني، وكان واحدًا من عناصر المجموعة، وهذه تفاصيلها: بتاريخ السادس من حزيران ١٩٨٢م تجمّع جمهرة من أهالي البلدة في الساحة العامة، وكان من بينهم المسؤول العسكري للحركة الحاج أمين ملحم وإلى جانبه كل من محمود يونس (ساطورة)، علي عبد الحسين كلوت، صافي عبد الحسين كلوت، ويوسف نجيب علي حسين. وكان =

اعتقالات واسعة في المنطقة، ومنها عبّا، وفي كل مرّة كانت تداهم فيها البلدة، كانت تعتقل عددًا من أبنائها للتحقيق معهم. في الأولى، اعتقلت أربعة شبان، عرف منهم حسن وعلي وإبراهيم ترحيني(١). وفي الثانية اعتقلت كلًّا من حسن الحريري، حسن الترحيني، مصطفى ملحم، ناجي الترحيني، حسين صالح(٢).

استدعت المواجهات مع الإسرائيلين، تشكّل نواة مقاومة سرية غير منظمة أو منضوية إلى فصيل حزبي، وكانت عبارة عن مبادرات شخصية، نجحت في تنفيذ هجمات على مواقع عسكرية إسرائيلية في منطقة النبطية(٣).

= الحاج أمين يخبر من يعنيهم الأمر بواسطة جهاز لاسلكي، بأن الجيش الإسرائيلي أصبح على مشارف بلدة الغندورية - فرون. الأمر الذي يتطلب عمل خط دفاعي أول عن المنطقة، وكان الجميع بكامل جهوزيتهم العسكرية، وانطلقوا جميعًا على متن سيارة إسعاف لملاقاة الإسرائيليين. في هذه الأثناء أسرعتُ إلى البيت للتزود بالسلاح والعتاد وانطلقت على دراجة نارية خلفهم. في هذه الأثناء كان الجيش الإسرائيلي قد أجرى عملية إنزال آليات خلف خطوط المواجهة تحديدًا عند مثلث كفردجال - عدشيت - جبشيت، تقدّم منها رتل باتجاه بلدة جبشيت. وبوصول الحاج أمين ومجموعته إلى مدخل بلدة جبشيت من جهة عدشيت بالقرب من جبانة البلدة، تفاجؤوا بالدبابات الإسرائيلية على مسافة قريبة منهم. نزل الجميع من السيارة وتفرقوا مجموعات متخذين وضعيات قتالية. الحاج أمين ومعه يوسف نجيب وباقي المجموعة اشتبكوا مباشرة مع القوة المتقدمة. أسفرت المواجهة عن استشهاد الحاج أمين ويوسف بقذيفة، ومن ثم جرى سحل جثتيهما بجنازير الدبابة. على إثر ذلك انسحبتُ وباقي المجموعة باتجاه البلدة بعد تعرضنا لوابل من الرصاص. وبعدما أخبرنا الأهالي بما حصل، كانت الدبابات الإسرائيلية تتقدم باتجاه الوطا صعودًا باتجاه بلدة الدوير نحو زفتا. ذهب جمع من الأهالي إلى مكان المواجهة لجلب جثة الشهيدين وكان المشهد في غاية القساوة. مقابلة معه جرت بتاريخ ١٩/ ٢/ ٢٠١٩م.

(١) يراجع خبر منشور في جريدة السفير بعنوان: خمس هجمات جديدة ضد القوات الإسرائيلية وميلشياتها، «اقتحام حارة صيدا والصرفند واعتقالات في عبا وتبنين والقليلة»، العدد ٣٥٩٣، تاريخ ١٥/ ٥/ ١٩٨٤م، ص٤.

(٢) جريدة السفير: العدد ٣٦٥٨، تاريخ ٢٢/ ٧/ ١٩٨٥م، ص٥.

(٣) عن تلك المبادرة يقول حسن سعيد ترحيني: أنا ومجموعة من الأشخاص، منهم: من عبّا، محمد حسن محمد ترحيني ومحمد عبد الحسين نجل (أبو أمين) وعلي حسن ترحيني شقيق العلّامة السيد محمد وآخرون من حاروف، شكّلنا نواة مقاومة كانت غير منظمة أو منضوية إلى فصيل حزبي محدد. قمنا بسلسلة أعمال عسكرية فردية في منطقة النبطية، إلى أن بدأ هذا التشكيل يأخذ وضعًا تنسيقيًّا على المستوى اللوجستي فقط مع مسؤولين بقوا مجهولين لدينا إلى أي جهة ينتمون. ولم يكن أحد من أهالي البلدة على علم بنشاطاتنا العسكرية، وكنّا نأخذ جانب الحذر. مقابلة مع حسن سعيد ترحيني، تولد ١٠ / ٣ / ١٩٦٤ والدته فاطمة بتاريخ ٢٣ / ٥/ ٢٠١٨.

وكان العمل المقاوم يتطور بسرعة ويُكسِب الحركيين خبرات عسكرية وقتالية داوم المقاومون على متابعتها بهدف إيلام العدو، متكئين على فتاوى شرعية تدين التعاون مع العدو وتبيح تصفية المتعاملين معه. واحدة من تلك الأهداف، الكمين الذي نصبه المقاومون لدورية إسرائيلية في ملعب لكرة القدم في السمّوقة عند أطراف بلدة جبشيت، وأسفرت عن مقتل خبيري متفجرات. تلا العملية تطويق بلدة عبّا واعتقال عدد من شبّانها[١]. ومع تواصل عمليات المقاومة ضد قوات الاحتلال والميليشيات العاملة معها في الجنوب، كانت هذه القوات وعملاؤها تصعّد الممارسات الإرهابية ضد أبناء القرى التي تشتبه في تعاونهم مع المقاومين. وتسببت القذائف التي أطلقتها مدفعيتها في الخامس عشر من آذار (١٩٨٥م) على البلدة بإحراق عدد من المنازل، ومنها النادي الحسيني. وعرف من المنازل، تلك العائدة لـ: شريف أحمد ترحيني، إبراهيم حسن ترحيني، أرملة محمود سعد الدين ترحيني، أرملة علي يوسف ترحيني. ومن ثم داهمت البلدة وأجبرت إمامها السيد محمد علي إبراهيم على الخروج من منزله إلى النادي الحسيني بالرغم من أنه كان مريضًا ملازمًا الفراش. واعتقلت ثمانية أشخاص هم: محمود معلم (مدرّس)، علي البرجاوي، موسى حسن ترحيني، سليمان منير حريري و(٣) جنود من الجيش اللبناني من أبناء البلدة هم: علي عميص – أحمد عميص – محمد دياب[٢]. وعاودت الكرّة في أقل من أسبوع، مبررةً ذلك بحسب بيان لمصدر عسكري أن قواته داهمت بلدة عبّا بحثًا عن مطلوبين وقتلت رجلًا وجرحت آخر حاولا الهرب عندما كانت القوات الإسرائيلية تفتش القرية[٣].

---

(١) نشرت جريدة السفير بعضًا من تفاصيلها: «إلى ذلك أفادت المعلومات من النبطية أن قوات الاحتلال فكت صباح أمس الطوق عن بلدة عبا الذي فرضته ظهر أمس الأول بعد تعرض إحدى دورياتها لانفجار عبوة ناسفة أسفرت عن مقتل خبيري متفجرات إسرائيليين. وأشارت المعلومات أن الإسرائيليين اعتقلوا شابين من أبناء البلدة؛ هما جميل ترحيني وحسن علي ترحيني» جريدة السفير: العدد٣٧١١، تاريخ ١٤/ ٩/ ١٩٨٤م، ص٤.

(٢) نفس المرجع: العدد ٣٨٩٣، تاريخ ١٩/ ٣/ ١٩٨٥م، ص٤.

(٣) نفس المرجع: العدد ٣٨٩٥، تاريخ ٢١/ ٣/ ١٩٨٥م، ص٤.

وقد تطرقت جريدة السفير لتفاصيل المداهمة، وذكرت أن بلدة عبّا شيعت شهيدها عبد الرضا ترحيني، وأن القوات الإسرائيلية أطلقت رصاص القنص على عبّا من جهات معتقل أنصار واعتقلت (٧) أشخاص، هم: علي عميص، حبيب عميص، ذو الفقار ترحيني، عباس ترحيني، سليمان حريري، قاسم الصبوري من مدينة النبطية الذي صادف وجوده في البلدة. وذكرت أن القذائف تسببت بإحراق منازل محمد كامل كلوت وعبد الحسين محمد قاسم، وإتلاف محصول التبغ في كلا المنزلين. ونسف جنود الاحتلال منزلي عبد الحسن مرعي وعبد الحسن ترحيني، وسرقوا منهما ما طالت أيديهم من أموالٍ وحُلِيٍّ. وعُلم من بين المبالغ التي سلبها الإسرائيليون (٢٠) ألف ليرة من طلال شريف ترحيني. وأن الأهالي أصدروا بيانًا طالبوا فيه بوضع حد للتصرفات الإسرائيلية، ودعوا مجلس الجنوب إلى التعجيل بإرسال لجنة للكشف على الأضرار وتقديم المساعدات الفورية؛ لأن العديد من الأهالي باتوا دون مأوًى، كما وجه أهالي البلدة نداءً إلى العالم لوقف المجازر الإسرائيلية[١].

وأولى نتائج الاجتياح بدت سريعًا. فمن جهة، أنهت حالة الفوضى المسلحة والعنف اليومي، ولا سيما الهجمة على حركة أمل من قبل التنظيمات اليسارية والفلسطينية. ومن جهة أخرى، حالة الرضا لدى الأغلبية الشعبية التي دفعها اليأس، للاعتقاد بأن الإسرائيلي هو المخلّص مما كانوا يتعرضون له من مضايقات واستفزازات وقمع. هذا الرضا شجع الإسرائيلي على المضي بالترويج لفكرة إنشاء حرس وطني لحماية القرى مقدمة لإنشاء جيش شيعي. ولاقت هذه الفكرة رواجًا عند البعض من أبناء القرى. وكانت إسرائيل عمدت بداية دخولها عن قصد إلى تجنّب ضرب عناصر حركة أمل بهدف طمأنتِهم. ومن ثم أشاعت فكرة تكوين حرس وطني يحمي القرى من أعمال المخربين، البعض في عبّا -وبقصدٍ حسنٍ- أيّد الفكرة ولم يقدّر أبعادها، وارتدى بزة الحرس الوطني وحمل السلاح. إلا أن تزايد عدد المنتسبين واستفحال الأمر، دفع المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى

(١) جريدة السفير: العدد ٣٨٩٥، تاريخ ٢١/ ٣/ ١٩٨٥م، ص٤.

وقيادة الحركة إلى إصدار بيان يحرّم الانخراط في الحرس ويعتبر من يستمر فيه خائنًا وعميلًا. بعد ترك عدد كبير للحرس دعا الجيش الإسرائيلي كل من لديه سلاح لتسليمه إلى إمام البلدة الذي رفض الأمر مشجعًا على الاحتفاظ به ليكون سلاحًا مقاومًا عند الضرورة[١]. ولم تخلُ تلك المرحلة بكل تفاصيلها، من بعض الحوادث الفردية، التي انتهت من دون أن تترك ذيولًا لها على الساحة العبّاوية. وبعد فشل التجربة، سعت إسرائيل لتوحيد مجموعات المتعاملين معها وضمهم إلى جيش لبنان الجنوبي لتعزيز قدراته، وكان يضم رجالًا من كل الطوائف، مع أكثرية مسيحية طفيفة.

نماذج من شهادات لمقاومين عبّاويين دخلوا المعتقلات:

إبان احتلاله لجنوب لبنان عام (١٩٨٢م) افتتح الجيش الإسرائيلي في (١٤) تموز (١٩٨٢م) معتقل أنصار على أرض كانت منظمة التحرير الفلسطينية في أثناء الحرب الأهلية اللبنانية قد أنشأت عليها مطارًا. واستُعمل هذا المطار لفترة وجيزة من قبل الفلسطينيين للتزود بالعتاد. ثم جاء الإسرائيليون في أثناء الاجتياح واستعملوه مطارًا لوجستيًّا، ثم حولوه إلى معسكر أقاموا فيه المعتقل الشهير. يقع المعتقل إلى الشرق من بلدة أنصار غربي مدينة النبطية. عند إقامة هذا المعتقل في المرحلة الأولى من الاجتياح كانت الأعداد الكبرى من المعتقلين هي ممن جرى اعتقالهم من المخيمات الفلسطينية في لبنان، ولم يتمكنوا من الهرب إلى أماكن أخرى، وكان عددهم بضعة آلاف، بينهم بضع مئات من اللبنانيين اعتقلوا في ظروف مختلفة.

وفي المعتقل كانت الأسلاك الشائكة تحيط بجميع المعسكرات التي كانت تفصل بينها طريق ترابية تتنقل عبرها الآليات العسكرية. وفي داخل كل معسكر كان هناك خط أبيض مرسوم على الإسفلت. والجنود المنتشرون فوق الأبراج العالية والمزودون بقناصات أعينهم شاخصة نحو الخط. وكان هذا يعني بالنسبة

(١) مقابلة مع محمد أحمد عميص، والدته خديجة رحال، تولد ١٩٦٤، بتاريخ ٤/ ٣/ ٢٠١٩م.

للمعتقلين رصاصة القناص القاتلة. داخل كل معكسر كانت حدود من الأسلاك الشائكة تفصل بين الخيم. وهذا ما كان ينتظر شباب عبّا الذين اعتقلوا في فترات متلاحقة، فضلًا عمّا كان يُعد لهم من صنوف التعذيب الجسدي والنفسي. فيما يلي نماذج شهادات لمقاومين عبّاويين دخلوا المعتقل وهم:

- **حسن سعيد ترحيني:**

عند فجر (١٤/ ٥/ ١٩٨٤م) طوّق بيتي جنود من جيش الاحتلال الإسرائيلي من جميع الجهات، واقتحم خمسة منهم غرفة نومي طالبين مني مرافقتهم. أذكر جيدًا أنه في تلك الليلة التي تم فيها اعتقالي، كان قد مضى على مبيتي خارج البيت فترة ثلاثة أشهر متواصلة. امتثلت لأمرهم ولم أُبدِ أي مقاومة رغم أن مسدسي كان تحت وسادتي. اقتادوني وابن عمي إبراهيم (إلياس) الذي كان في ضيافتنا إلى مبنى الريجي في النبطية، كذلك اعتقلوا علي حسن ترحيني. في اليوم التالي أطلقوا سراح ابن عمي إبراهيم بعد أن تأكدوا ألّا علاقة له بأي نشاط عسكري.

في تلك الليلة في مبنى الريجي، أنا ومجموعة من الشبان جرى اعتقالهم، طلب منّا ضابط التحقيق الوقوف والوجه قبالة الحائط بعد أن وضعوا في الرأس كيسًا من القماش الأسود. ولمّا طال الوقوف والانتظار خارت قواي ووقعت أرضًا، ولم أستيقظ إلا بعد شعوري بالماء ينهمر عليّ، وركلات قدم الضابط المحقق تنهال على جسدي. فُرض عليّ الجلوس على أرضية البلاط ومُنعت من دخول الحمّام، فضلًا عن الضرب من حين لآخر مع ضغط نفسي مُورِس بكلّ الوسائل.

وخضعت لتحقيق استمر ليومين متتاليين أعطاني خلالها المحقق ورقةً وقلمًا، وطلب مني تدوين ما كنت أقوم به من أنشطة عسكرية. إلا أنني ورغم التهديد أنكرت كل ما كان يُنسب إليّ من أعمال وعلاقات مع أشخاص. كان أمرًا مفاجئًا لي عندما واجهني المحقق بوجود أربع قنابل ومسدس بحوزتي في البيت. ولمّا لم يعد الإنكار يفيد بشيء نتيجة الضغط والتهديد والتعذيب اعترفت بوجودها. وبعد أربعة أيام اصطحبني المحقق إلى البيت لإرشادهم إلى مكانها. وهكذا عثروا على المسدس والقنابل في علبة حليب كانت موضوعة في تجويف صخري، إلى جانب

شَتْل الزيتون. ما لم يكن لهم به علم ولم أعترف بوجوده، هو قاذف (B7) كان مخبّأً أسفل حزمة من البلان موضوعة عند مدخل البيت.

وبانتهاء المداهمة تمت إعادتي إلى مبنى الريجي، ووُضعت داخل زنزانة لمدة عشرة أيام دون خضوعي للتحقيق، وكان في الزنزانة شخص آخر أظن أنه عميل لهم. في الزنزانة التي تبلغ مساحتها أربعة أمتار مربعة، وضع فيها (١٠) أشخاص، تحوي على وعاء لقضاء الحاجة، ودلو ماء صغير، أمّا وجبات الطعام فكانت مقنّنة جدًّا. بعدها نقلت مع آخرين إلى معتقل أنصار، وتم منحنا بطاقات تسجيل تحت مسمى (البطاقة الشخصية لمعتقلي أنصار)[1]، وبذلك أكون قد أمضيت في مبنى الريجي مدة (١٥) يومًا، تخللها بين الحين والآخر ضرب بالعصي.

وفي هذا الوقت كان جيش الاحتلال قد داهم البلدة مرة ثانية، وقام باعتقال محمد حسن محمد الذي خضع للإجراءات والمعاملة السيئة نفسها. أخبرني بذلك عندما التقيت به في أنصار في الخيمة نفسها التي كانت تتسع لـ(٢٢) معتقلًا. وأعادوا الكرّة مرة ثالثة، فاعتقلوا كلًّا من: محمد دياب، محمد عميص، حسن حريري، محمود يونس، ماجد حمود، حسين قاسم، مصطفى أمين ملحم، أحمد علي يوسف وفادي محمود هارون. والدي كان يقوم سرا بقبض رواتب المعتقلين من مجلس الجنوب ويوصلها لذويهم.

ودامت فترة الاعتقال ما بين أنصار وعتليت في فلسطين المحتلّة حوالي سنة، وأُطلق سراحي بتاريخ (٢٩/ ٥/ ١٩٨٥م)[2]. لم أتعرض خلال فترة اعتقالي

---

(١) وهي ممنوحة لـ: حسن سعيد ترحيني، يتضمن الوجه الأول: بطاقة هوية معتقل باللغة العبرية مؤرخة في ٢٣/ ٥/ ١٩٨٤م يظهر فيها رقم المعتقل ممهورَ الصورة. تتضمن وصف الطول ولون العينين. الوجه الثاني: يلفت انتباه حامل بطاقة الهوية إلى التفاصيل التالية: ١-عليك استعمال بطاقة الهوية والمحافظة عليها. ٢-تستعمل هذه الهوية الشخصية في الحالات التالية: (أ-يوم الإفراج، ب-استلام الأمانات، ج-استلام المعالجة الطبية). ٣ -الهوية شخصية وممنوع تسليمها لغيرك، وهي لحل المشاكل الشخصية والعائلية. وثيقة رقم (١٨).

(٢) إفادة إلى من يهمه الأمر صادرة عن اللجنة الدولية للصليب الأحمر (الوفد المنتدب إلى لبنان)، تفيد بأن حسن سعيد إبراهيم ترحيني، تولد ١٩٦٤، رقم الصليب الأحمر ٣٠٤٥١، أُوقف بتاريخ ٢٤/ ٥/ ١٩٨٤ م =

لمحاكمات إدارية أو عسكرية، وكل ما كنّا نفعله، ممارسة الرياضة وتناول وجبات الطعام ثلاث مرات يوميًّا، لدرجة يمكن معها القول: إن الاعتقال كان لهدف وحيد هو حجز حرية، إضافة إلى تجميع الناشطين لتقليص أي نشاط عسكري أو أمني ضدّهم. والبارز في هذه الفترة هو قيام من اعتُقل من رجال الدين أمثال الشيخ عبد الكريم شمس الدين وآخر من بلدة الحلوسية من آل حرب والشيخ أيوب من حاروف بتنظيم حلقات دروس في القرآن والعقيدة والأحكام الشرعية، إضافة إلى إمامة المصلين، ولم يتم التطرق إلى شؤون سياسية رغم وجود كوادر ينتمون إلى فصائل فلسطينية وشيوعية. وكان يُوحى لنا من خلال المحاضرات الدينية وجود عدو وحيد هو إسرائيل التي يجب مقاومتها بكافة السبل ومن الجميع دون استثناء.

- **محمد أحمد عميص:**

في عام (١٩٨٥م) كنت واحدًا من عناصر حركة أمل، أَشغل مهمة قائد فوج كشاف عبّا. وفي الوقت نفسه كان قد مضى على تطوعي بالجيش اللبناني سنة ونصف. إثر عملية المقاومة ضد الجيش الإسرائيلي في محلة السموقة - جبشيت داهمت دورية إسرائيلية البلدة في (١٧/ ٣/ ١٩٨٥م)، واعتقلت عددًا من أبناء البلدة من بينهم أنا ومحمد دياب. وحال هربُ رفيق حسن محمد ترحيني وحسين إبراهيم قاووق بينهم وبين الاعتقال. قبل الاعتقال كنت ومجموعات منفصلة عن بعضها نرصد تحركات الإسرائيليين بين جبشيت وعدشيت. كان ذلك عملًا فرديًّا من دون توجيهات من عمليات حركة أمل. يوم اعتُقلت اقتادوني إلى مبنى الريجي في النبطية، مكثت فيه حوالي خمسة عشر يومًا، خضعت خلالها لشتى أساليب التحقيق والترهيب لانتزاع معلومة. والمرحلة الثانية من الاعتقال كانت في أنصار، وتم منحي بطاقة تسجيل تحت مسمى (البطاقة الشخصية لمعتقلي أنصار) برقم

= من قبل الجيش الإسرائيلي، ونُقل من مخيم أنصار جنوب لبنان إلى مخيم عتليت (إسرائيل)، حتى إطلاق سراحه في ٢٩/ ٥/ ١٩٨٥م. وثيقة رقم (١٩).

(٩٢١٠٩)[١]، دامت فترة الاعتقال في أنصار حوالي عشرة أيام حتى (٤) نيسان من (١٩٨٥م) تاريخ إقفال المعتقل نهائيًّا إثر الانسحاب من منطقة صيدا والنبطية في (١٦) نيسان من العام نفسه.

وفي عتليت، بعيدًا عن متابعة الصليب الأحمر الدولي لأوضاع المعتقلين يوميًّا، تميزت المرحلة الثالثة من الاعتقال بالقساوة وسوء المعاملة، إذ كان لزامًا علينا كل يوم مغادرة خيم الاعتقال والوقوف صفًّا واحدًا فوق خط أبيض رسم لهذه الغاية ممنوع علينا تجاوزه. وكانت فرق التفتيش تداهم خيم المعتقلين في مهمة تفتيش دقيقة بحثًا عمّا يمكن استعماله في الهرب. ومع تعداد الأسماء من قبل أحد الجنود، وكان يمر بمحاذاتنا، وينهال بالضرب على كل من يناديه باسمه وكانت العملية تستمر لساعات. الطعام كان مقنّنًا جدًّا، عبارة عن خبز إفرنجي بطول (٢٥) سم لخمس أشخاص مع دلو مربى (٥) كيلو لـ(٣٥٠) شخصًا؛ أي لكل واحد مقدار ملعقة فقط. وكنّا نُعدّ بأنفسنا الطعام المكوّن من العدس والأرز. لم نتعرض في عتليت للتعذيب الجسدي. بل إن سوء المعاملة دفعنا لانتفاضة استمرت يومًا كاملًا أسفرت عن تحسين مستوى الطعام وأسلوب التفتيش اليومي.

لم يحصل في أنصار أو عتليت ترغيب من قبل معتقلين للانخراط في صفوف المقاومة. قيادة الجيش اللبناني لم تسعَ للإفراج عن جنود معتقلين، لكن استمرت في صرف رواتبهم، وكان أخي يقبض راتبي أول كل شهر، حتى إطلاق سراحي من معتقل عتليت في (٢٤) تموز (١٩٨٥م). بعد الإفراج تابعت نشاطي الحركي في مهمات قتالية متفرقة إلى جانب مجموعة من الجنود ممن يؤيدون حركة أمل، وبعلم وتشجيع الضابط المسؤول عنّا وبالسلاح الفردي للجيش.

---

(١) وهي ممنوحة لمحمد أحمد عميص، يتضمن الوجه الأول: بطاقة هوية معتقل باللغة العبرية مؤرخة في ٢١/ ٣/ ١٩٨٥م يظهر فيها رقم المعتقل ممهورَ الصورة. تتضمن وصف الطول ولون العينين. الوجه الثاني: يلفت انتباه حامل بطاقة الهوية إلى التفاصيل التالية: ١-عليك استعمال بطاقة الهوية والمحافظة عليها. ٢-تستعمل هذه الهوية الشخصية في الحالات التالية: (أ-يوم الإفراج، ب-استلام الأمانات، ج-استلام المعالجة الطبية). ٣ -الهوية شخصية وممنوع تسليمها لغيرك، وهي لحل المشاكل الشخصية والعائلية. الملاحظ في البطاقة أن الوقوعات الشخصية للمعتقل قد كتبت باللغة العبرية. وثيقة رقم (٢٠).

- **ماجد عبد اللّه حمود ترحيني[١]:**

في العام (١٩٨٤م) كنت ومجموعة من شباب البلدة -وبدافع شخصي- منخرطين بالتدرّب على الأعمال العسكرية. أحد أفراد المجموعة وشى بنا إلى الإسرائيلي بواسطة أحد العملاء. في الحادية عشرة ليلًا في اليوم نفسه، داهم جيش الاحتلال منزلنا في حي بيدر زيدان، وقام بسوقي إلى مبنى الريجي في النبطية للتحقيق، طالبين اسم المدرّب، ولمّا امتنعت مقسمًا أني لا أعرفه قام المحقق بصفعي مهددًا بنقلي إلى معتقل أنصار. وهكذا كان، وأمضيت في المعتقل قرابة أحد عشر شهرًا إلى أن أُفرج عني في صفقة التبادل الشهيرة بين الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين - القيادة العامة وإسرائيل بتاريخ (٢٠/ ٥/ ١٩٨٥م) عند الحاجز العسكري في بلدة النميرية.

وفي المعتقل وبانتهاء التحقيق، كنّا نمارس حياتنا اليومية المعتادة، ولم أتعرض لدعوات من بعض المعتقلين للانخراط في صفوف العمل المقاوم بالرغم من أن أفرادًا من اتحاد الطلبة المسلمين كانوا في المعتقل. بعد الإفراج عدت إلى ممارسة حياتي كالمعتاد ولم أنخرط بأي عمل عسكري أو سياسي، سوى أنه بعد عدوان تموز (٢٠٠٦م) خضعت لدورة تدريب في معسكرات حزب اللّه . إضافة إلى هؤلاء دخل إلى المعتقل كل من: محمد حسن محمد، محمد دياب، حسن حريري، محمود يونس، حسين قاسم، مصطفى أمين ملحم، وفادي محمود هارون. وكانت اللجنة الدولية للصليب الأحمر قد ألزمت سلطات الاحتلال بزيارة المعتقل والكشف عن المعتقلين. وباشرت زياراتها في (١٨) أيلول (١٩٨٢م) وسجل اليوم الأول، أن تحققتْ من وجود (٨٤٨٥) سجينًا بينهم (٢١٢) طفلًا، وعملت على الإفراج عن (٣٠٨٦) منهم. وقامت اللجنة بتسجيل أسماء المعتقلين ومنحهم بطاقات صادرة عنها بهدف متابعة أوضاعهم[٢]. وعملت على إلزام السلطات

(١) مقابلة مع ماجد عبد اللّه حمود ترحيني، والدته زمزم عميص، تولد ١٩٦١م، بتاريخ ٤/ ٣/ ٢٠١٩م.

(٢) بطاقة تسجيل من اللجنة الدولية للصليب الأحمر، وهي ممنوحة لـحسن سعيد ترحيني، تتضمن الوقوعات التالية: الاسم: حسن سعيد إبراهيم ترحيني. مكان الولادة: عبّا ١٠/ ٣/ ١٩٦٤م، رقم التسجيل ٣٠٤٥١. وذُيِّلت بعبارة: الرجاء الاحتفاظ بهذه البطاقة. وثيقة رقم (٢١).

الإسرائيلية بأن يتمتع المعتقلون بوضع أسير حرب. وأعقبت هذه الخطوة بمقابلة أهالي المعتقلين وقدمت لهم الدعم النفسي من خلال نقل رسائل متبادلة بين الأسير وذويه[١]. وتكررت زيارات اللجنة عام (١٩٨٣م)، وطلبت من السلطات الإسرائيلية تحسين ظروف الاعتقال، ولا سيما أساليب حفظ النظام التي اتسمت بالكثير من الوحشية، وبعضها كان بالغ الخطورة إذ تسببت في إصابة (٣٨) شخصًا كان معظمهم بطلقات رصاص، وموت ستة»[٢]. وحين تم الإفراج عن المعتقلين من داخل فلسطين المحتلّة (عتليت) منحتهم بيانات تفيد بأن حاملها أوقف من قبل الجيش الإسرائيلي ونقل من مخيم أنصار في جنوب لبنان إلى مخيم عتليت (إسرائيل)[٣].

---

(١) لدينا منها نموذجان: واحدة من المعتقل فادي محمود هارون تتضمن الآتي: العنوان: أنصار ب – ٥ ٨٠٨٥٧ مرسلة بتاريخ ٢٦/ ١٢/ ١٩٨٤م إلى سعيد إبراهيم يونس / عبّا الطريق العام. ورد فيها بعض من أبيات الشعر بعضها غير معروف مؤلفها:

تأمل في الوجود بعين فكرٍ — ترى الدنيا الدنيّة كالخيالِ
ومن فيها جميعًا سوف يفنى — ويبقى وجه ربك ذي الجلالِ

وأخرى من قصيدة (بانت سعاد فقلبي اليوم متبول) لكعب بن زهير في مدح الرسول:

كل ابن انثى وإن طالت سلامته — يومًا على آلة حدباءَ محمولُ
واذا حملت إلى القبور جنازةً — فاعلم بأنك بعدها محمولُ

كما تتضمن الرسالة: سلام إلى السيد (أبو علي محمد علي موسى) وجميع العائلة فردًا فردًا والأخ زكريا وقاسم مع القبلات بمناسبة [الخط غير واضح]، وأملًا من اللّه إزاحة الاحتلال بأيدي المؤمنين الطاهرة. وأخرى غير مؤرخة مرسلة من حسن سعيد ترحيني إلى والده سعيد إبراهيم ترحيني – عبّا العنوان في المعتقل: (معسكر ٣– ب ٣٠٤٥١ CICA)، ورد في مضمونها ملاحظة تفيد بالآتي: فقد أقمنا مهرجانًا في ٣١ آب بمناسبة الذكرى السادسة لإخفاء الإمام القائد السيد موسى الصدر فك اللّه أسره وأسرنا جميعًا. لن تموت أمة زرع الصدرُ فيها الأمل. وأخرى تشير إلى أن حاملها حسن سعيد ترحيني بصحة جيدة. وأخرى من معتقل عتليت. وثيقة رقم (٢٢) ورقم (٢٣).
مقابلة مع حسن سعيد ترحيني، مرجع سابق.

(٢) اللجنة الدولية للصليب الأحمر، التقرير السنوي، ١٩٨٢ جنيف – سويسرا، ص٥٨.

(٣) واحدة من هذه البيانات منحت لـحسن سعيد ترحيني معنونة بـ(إلى من يهمه الأمر) وتتضمن ما يلي: تشهد اللجنة الدولية للصليب الأحمر أن: حسن سعيد إبراهيم ترحيني، مولود سنة ١٩٦٤م، رقم الصليب ٣٠٤٥١، أوقف بتاريخ ١٤/ ٥/ ١٩٨٤م الرابع عشر من أيار ١٩٨٤م من قبل الجيش الإسرائيلي، ونقل من مخيم أنصار جنوب لبنان إلى مخيم عتليت (إسرائيل)، حتى إطلاق سراحه بتاريخ ٢٩/ ٥/ ١٩٨٥م التاسع والعشرين من أيار ١٩٨٥م، (المكان والتاريخ بيروت في ٣ حزيران ١٩٨٥م). وثيقة رقم (٢٤).

عبّا تتوزع بين حركة أمل وحزب الله:

بعد الغزو الإسرائيلي للبنان صيف (١٩٨٢م)، وفي ظل مناخ عام غلب عليه طابع المقاومة العسكرية للاحتلال، تشكل حزب اللّه وفق أيديولوجية ترتكز على المقاومة، أعلن عنها بشكل رسمي في بيانه الأول في (١٦) شباط (١٩٨٥م)، بعدما كان بدأها في (١١) تشرين الثاني (١٩٨٢م) بعملية الاستشهادي أحمد قصير. وكان سبقه إلى هذا الخيار -بحسب ما يقول علي مهدي عقيل- أنْ «ظهرت فصائل المقاومة المؤمنة، وهي فصيل تشكّل من مجموعة من كوادر الحركة اتخذت منحى حزب اللّه، غداة تشكيل هيئة الإنقاذ الوطني في (١٤) حزيران (١٩٨٢م) بدعوة من الرئيس إلياس سركيس، وضمت زعماء الطوائف الرئيسية في لبنان. وفي هذا المنعطف بدأ انتمائي ينحو باتجاه خط المقاومة، واتخذت قراري بترك صفوف الحركة والالتحاق بالمقاومة المؤمنة ثم بحزب اللّه، تبعني بعد ذلك مجموعة من الحركيين»[1]. تلك كانت بداية الخروج التدريجي للحركيين العبّاويين من صفوف أمل والتموضع في فصائل انتهت جميعها ضمن مسمى حزب اللّه . إلا أن هذا الخروج لا يعنى أن أمل تخلّت عن العمل المقاوم، وأن من خرج، كان بسبب ذلك، إنما كان نتيجة التعبئة المكثّفة غير المباشرة، سواء داخل المعتقلات أم خارجها، التي انتهجت أسلوب المفاضلة بين عمل مقاوم وآخر. يقول حسن سعيد ترحيني: «في المعتقل لم أخرج على حركة أمل وبقيت على ولائي لها حتى بعد خروجي. إنما تعرفت على حزب اللّه من خلال نقاشات بين الأخوة كانت تتمحور حول صوابية هذا الأسلوب أو ذاك في مقاومة المحتل، وكان من بين من دخل المعتقل أشخاص هم بالأساس من حزب اللّه، أمثال حسين قاسم ومصطفى أمين ملحم وعلي أحمد ترحيني (الطحان) وفادي هارون، وخرجوا منه وهم من حزب اللّه، وهؤلاء أُخلي سبيلهم من معتقل أنصار»[2].

---

(١) مقابلة مع علي مهدي عقيل ترحيني، مرجع سابق

(٢) بعد خروجي من المعتقل عاودت نشاطي الحركي بشكل اعتيادي. في هذه الأثناء ومع انطلاق أعمال المقاومة بشكل فعّال حصل تفكّر بالخيارات، أيهما يؤمّن غطاءً شرعيًّا للعمل المقاوم، حزب اللّه أم حركة أمل؟ يومها قصدت ومجموعة من الشباب سماحة العلاّمة السيد محمد حسين فضل اللّه للوقوف =

وانعكس اقتتال أمل وحزب اللّه عام (١٩٨٧م) في مناطق عدة من الجنوب والضاحية الجنوبية لبيروت، على البيئة العبّاوية الحاضنة لكلا التنظيمين، تُرجم ذلك على أنه معارضةً لها والامتناع عن خوضها، كموقف حسن سعيد ترحيني الذي كان لا يزال في صفوف أمل مسؤولًا عسكريًّا في شعبة عبّا. ويومها رفض الاقتتال كما رفض جرّ البلدة إلى اقتتال مماثل، وامتنع عن تنفيذ الأوامر الصادرة عن قادته انطلاقًا من خلفية شرعية؛ ممّا عرّضه لاحقًا للمساءلة التنظيمية[(١)]. وآخرون انخرطوا بها، وكانت حصيلتها استشهاد ثلاثة من عبّا في معارك خارج البلدة، والتحق آخرون بالحزب[(٢)].

مهّد انطلاق عمليات المقاومة بوتيرتها المتسارعة، وانتخاب السيد عباس الموسوي أمينًا عامًّا للحزب في أيّار عام (١٩٩١م)، الطريق لاستقطابٍ متدرجٍ للشباب العبّاوي، وكان لتلاوة بيانات المقاومة من مذياع النادي الحسيني، والسيارات الجوالة عن عمليات نوعية، إضافة إلى المحتوى التعبوي لجريدة العهد التي انطلقت في (١٨) حزيران (١٩٨٤م)، دور فعّال في الاستقطاب الذي كان يغرف من الرصيد الجماهيري لأمل في عبّا. إلا أن هذا الاستقطاب، كان في بداياته، ولم يتجاوز بضع مئات، بدليل أن أول انتخابات اختيارية جرت في البلدة عام (١٩٩٨م)، وتنافس فيها كل من: حسن محسن معلّم وحسن علي حسن عن

= على رأيه، فأكّد على بقائنا في الموقع الذي نعتقد نحن أنه مفيد للعمل المقاوم. مقابلة مع حسن سعيد يونس ترحيني، مرجع سابق.

(١) بانتهاء الاقتتال طلب أمن حركة أمل المثول أمامه للمساءلة، ولما رفضت عارضًا تسليم نفسي للرقابة والقضاء، أصبحت أتعرض من حين لآخر لمضايقات وملاحقات، تركت على إثرها البلدة قاصدًا بيروت، وتعرض منزلنا للمداهمة ومصادرة رشاش حربي. إلا أن الحركيين من عبّا رفضوا هذا الأمر وعملوا على إعادة الرشاش، وهكذا انتهت علاقتي التنظيمية بحركة أمل سنة ١٩٩٧م، لتشهد المرحلة اللاحقة حتى ١٩٩٠م تأييدًا وإعجابًا بحزب اللّه، بعدما انتهت كليًّا رواسب الخلاف السابق بين الحركة والحزب. مقابلة مع حسن سعيد إبراهيم يونس ترحيني، نفس المرجع.

(٢) يذكر حسن سعيد ترحيني، أنه لمّا كانت الأرجحية في الميدان لأمل، جرى تسليمها الأسلحة في كل من جبشيت وعبّا بشكل طوعي من دون التعرّض لأحد، وذلك بمساعٍ قام بها الشيخ عبد الكريم عبيد. مقابلة مع السيد سعيد إبراهيم يونس، مرجع سابق.

حركة أمل، وحسن سعيد ترحيني وكامل عبد الحليم ترحيني عن حزب اللّه، وفاز فيها مرشحو أمل.

المحطة الأساس، عام التحرير (٢٠٠٠م)، هذا الإنجاز ثبّت خيار العبّاويّين بخط المقاومة، وشكّل رافدًا جماهيريًّا للحزب على مستوى العائلات، وترجم تأييدًا واسعًا له في الانتخابات البلدية والاختيارية عام (٢٠٠٤م) التي تنافس فيها أمل وحزب اللّه، وأتت النتيجة بفوز لائحته كاملة، مع تسجيل خرق واحد من لائحة أمل. هذا الفوز، قرنه حزب اللّه، بعمل اجتماعي - رعائي شمل مجالات الصحة والتعليم والمساعدات العينية، كما شمل الجانب التوعوي الثقافي والديني. وجميعها ساعدته على مراكمة حضوره الوازن في البلدة، ومكّنته من اعتبار نتائج انتخابات العام (٢٠٠٤م)، قاعدة ثابتة في مندرجات التفاهم الانتخابي العام مع حركة أمل. وبموجبه، وعلى قاعدة هذا التفاهم، حصلت انتخابات عام (٢٠١٠م). كذلك انتخابات عام (٢٠١٦م) التي أظهرت نتيجة المرشحين الأوائل من اللائحتين كلتيهما تأييدًا نسبتة (٦٥ , ٧٢٪) لحزب اللّه في مقابل (٨٩ , ٦٥٪) لحركة أمل، وهذه النسبة من حاصل مجموع المقترعين البالغ عددهم (١٨٢١) من أصل (٤١٨٨) ناخبًا؛ أي ما نسبته (٤٨ , ٤٣٪)؛ أي ما يقارب نصف سكان البلدة.

ولا توجد إحصاءات لعدد المنتمين من أبناء البلدة لحركة أمل، كما أن حزب اللّه يتحفّظ لأسباب أمنية عن ذكر عدد المنتسبين إليه. ومهما يكن من أمر فالاتجاه الحزبي العام في البلدة يبقى في غالبيته العظمى معقودًا لخط منطلقه إيمانيٌّ بحتٌ، وهدفه التنمية والتحرير والوفاء للمقاومة، خط تمثله حركة أمل وحزب اللّه . إنما هذا لا يلغي وجود حالات حزبية فردية ليس لديها القدرة على تشكيل جماعات ضغط باتجاه تغيير المزاج الحزبي العام للبلدة. حتى إن هؤلاء -وإن كانوا ينتمون لهذه الأحزاب- عند الاستحقاقات يقترعون لهذا الخط، في دلالة منهم على الحرص على مصلحة الأمة التي قدمت لها عبّا وحزب اللّه ثلةً من الشهداء واردةً في اللائحة التالية أسماؤهم:

لائحة بشهداء بلدة عبّا المنتمين إلى حزب اللّه بين (١٩٩٨ ـ ٢٠١٨م)

الاسم	تاريخ ومكان الاستشهاد
علي غالب علي أحمد	وهو من المقيمين في عبّا - ١٩٨٦ - تلّة السويداء
إبراهيم نايف ترحيني	١٩٨٩ - إقليم التفاح
محمد عميص	١٩٩٠ - إقليم التفاح
حبيب ترحيني	١٩٩٠- إقليم التفاح
يوسف دياب	١٩٩٣ - حرب تموز - عبّا
إبراهيم حريري	١٩٩٥ - جبل صافي
حسن كامل ترحيني	١٩٩٦- تلة السويداء
حسام ترحيني	١٩٩٩- روسيا
عباس علي ترحيني	٢٠١٣- القصير - سورية
عباس إبراهيم ترحيني	٢٠١٣- عبرا - صيدا
حيدر علي ترحيني	٢٠١٤ - يبرود - سورية
محمد إبراهيم ترحيني	٢٠١٤- السلسلة الشرقية - لبنان
محمد رمزي ترحيني	٢٠١٥- الزبداني - سورية
حسن أحمد سلوم	٢٠١٥ - الزبداني - سورية
حسن علي جفال	٢٠١٥ - الزبداني - سورية
فضل إبراهيم سلامي	٢٠١٥- حمص - سورية
حسين علي جفال	٢٠١٦ - حلب- سورية
علي حسن خزعل	٢٠١٦- حلب- سورية
علي محمد ترحيني	٢٠١٦ - حلب- سورية
محمد قاسم ترحيني	٢٠١٧- حمص - سورية
علي حسن ترحيني	٢٠١٨ - درعا - سورية

بعض الاستنتاجات:

نالت عبّا نصيبها من نتائج الحرب الأهلية والاحتلال الإسرائيلي، مِن بناها البشرية، حين قدّمت خيرة أبنائها شهداء في أماكن سكنهم، أو عملهم وهم يسعون وراء تحصيل لقمة العيش لأسرهم، أو مخطوفين، عُدُّوا بنظر الدولة بعد طول انتظار متوفين. كما نزحت عائلات من أماكن سكنها، لتستقر في البلدة، أو في أماكن مملوكة من الدولة أو مساكن خاصة، مشكلين بذلك مسألة اجتماعية - قانونية في غاية التعقيد. ولم تسلم مشاعات البلدة، من وضع اليد عليها، سواء لاستصلاحها وزراعتها، أم للبناء عليها. وهي مخالفات لم يجرِ حتى الآن تصحيح وضعها القانوني. وتسببت الحرب في انعدام فرص العمل في البلدة، كذلك في بيروت، فاضطر عدد من شبانها للسفر، مفتتحين بذلك مرحلة اغتراب طويلة. وبذلك أدت الحرب الأهلية إلى تغيير بارز في التركيب الاجتماعي والاقتصادي والديموغرافي للبلدة.

شكلت ولادة المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، كمؤسسة رسمية تهتم بشؤون الطائفة وانطلاقة أفواج المقاومة اللبنانية (أمل) عنصرَ خلاص لأهالي عبّا، وأملًا في رفع الغبن اللاحق بهم، جراء سياسية الاستئثار بالسلطة والهيمنة على مختلف مرافق الدولة، وكان ذلك حافزًا لانخراط العبّاويين في صفوف التنظيم، وحظي الإمام الصدر بالاهتمام والقبول من البيئة العبّاوية في ظل مناخ بدت فيه مطامع إسرائيل في جنوب لبنان واضحة. ودخلت البلدة في حياة حزبية تختلف عن سابقتها، أبرز سماتها الولاء المطلق للخط الرسالي، لردّ التحديات. وتصدرت عبّا المشهد المقاوم للاحتلال الإسرائيلي وقدمت الشهداء وخسائر فادحة في الممتلكات والمعتقلين الذين قدموا نماذج يُحتذى بها لمقاومين لم تقهرهم المعتقلات. ولم تقع في شرك العدو حين رفضت الانخراط في الحرس الوطني، الوجه الآخر للاحتلال، ولم تنجرّ إلى الفتنة التي أرادها العدوّ بهدف إضعاف المقاومة.

وظهرت عبّا في أوج حيويتها الحزبية، عندما توزّع ولاء أبنائها، بين حركة أمل

وحزب اللّه. خيارًا كان دافعه الأساس، منع الهيمنة الإسرائيلية على الأرض. وكان انضمام الحركيين إلى صفوف الحزب، سلسًا معبّرًا عن وعي لدقة المرحلة، ولم يكن يعني مطلقًا خروج (أمل) من حلبة الصراع مع العدو، بقدر ما كان فعلَ تزخيم للعمل المقاوم، حيث الإمكانات كانت متاحة أكثر. ومهّد انطلاق عمليات المقاومة بوتيرتها المتسارعة لاستقطاب متدرج للشباب العبّاوي، فكانت المحطة الأساس، عام التحرير (٢٠٠٠م)، هذا الإنجاز ثبّت خيار العبّاويين بخط المقاومة وشكّل رافدًا جماهيريًّا للحزب على مستوى العائلات.

مهما يكن من أمر فالاتجاه الحزبي العام في البلدة يبقَى في غالبيته العظمى معقودًا لخط منطلقه إيمانيٌّ بحتٌ، هدفه التنمية والتحرير والوفاء للمقاومة، خط تمثله حركة أمل وحزب اللّه . وهذا لا يلغي وجود حالات حزبية فردية ليس لديها القدرة على تشكيل جماعات ضغط باتجاه تغيير المزاج الحزبي العام للبلدة. حتى إن هؤلاء -وإن كانوا ينتمون لهذه الأحزاب- عند الاستحقاقات، يقترعون لهذا الخط، في دلالة منهم على الحرص على مصلحة الأمة، التي قدمت لها عبّا ثلة من الشهداء.

الباب الثاني:

الخصائص الأساسية للبيوت وتطور بنية المرافق والخدمات الخاصة والعامة

الفصل الأول:

الخصائص الأساسية والمفردات المعمارية للبيوت الريفية الطينية (عبّا) نموذجًا

خصائص الموقع الفلكي لبلدة عبّا:

اتفق العلماء على أن مصطلح الموقع الفلكي، وليس الموقع الجغرافي، هو التسمية الدقيقة لأي مكان يقع على الكرة الأرضية؛ لأن الأخير يستخدم فقط في علم الجغرافية والتضاريس التي تشمل الكرة الأرضية وسطحها فقط. لذا، وعملًا بهذا الفهم، فإن الموقع الفلكي لعبّا، هو، ما بين خط عرض (٣٠,٣٣) درجة جنوبًا، وخط طول (٣٠,٣٥) درجة غربًا. وإن البلدة هي إحدى قرى قضاء النبطية، تقع في غرب المدينة مركز المحافظة على بعد (١٢) كم، وعن العاصمة (٨٤) كم[١]. وهي تتمتع كغيرها من قرى لبنان الجنوبي بمناخ البحر الأبيض المتوسط، فالشتاء فيها دافئ قصير ممطر، والصيف حار طويل وجاف، وتبلغ درجة الحرارة في فصل الصيف حدود (٣٠°م)، بينما تنخفض في فصل الشتاء إلى (١٣°م) فقط. وتمتد على مساحة (٧٢٨٤٤٣٦م^{٢}) سبعة ملايين ومئتين وأربعة وثمانين ألفًا وأربعمئة وستة وثلاثين مترًا مربعًا؛ أي ما يساوي (٧٢٨) سبعمئة وثمانية وعشرين هكتارًا[٢]، وهي عبارة عن مجموعة هضاب لا تقل عن

(١) أطلس العالم الصحيح، وضع وإعداد جماعة من أساتذة الجغرافيا والتاريخ في لبنان والعالم العربي، طبعة جديدة ومنقحة، منشورات دار ومكتبة الحياة، بيروت – لبنان، آب ١٩٩٣م، ص٥٣.

(٢) وزارة المالية، المديرية العامة للشؤون العقارية، مصلحة المساحة – النبطية ٢٠١٨م.

(١٣) هضبة متوسطة الارتفاع تنتشر في الجهات الأربع، وتتخللها مساحات منبسطة أشبه بحقول صغيرة[1]. وتغطي هذه الهضاب مجموعة من النباتات والرياحين البرية مثل: الفاقوع والبلان والطيون والأقحوان والزعتر والشومر والدردار والهندباء (العلت) والخباز والحميض والعكوب والسنيورة والبابونج. إضافة إلى بعض أصناف الأشجار البرية كالسنديان والبلوط والعفص والبطم والرند (الغوردل) والقندول والدفلى والعليق والشبرق. ويحيط بالبلدة هضاب أكثر ارتفاعًا، تتموضع عليها من الشرق جبشيت، ومن الغرب مزرعة ميس ومن الجنوب عدشيت، القصيبة، بريقع، ومن الشمال الدوير. وكان يمكن لموقع البلدة أن يشكل حلقة وصل بين مجموع هذه القرى يربطها بها عبر شبكة طرق لولا تشكيل هذه الهضاب حاجزًا طبيعيًّا من الصعب اختراقه بوسائل نقل تقليدية تعتمد الدواب والجِمال. يضاف إلى ذلك تأثيرات الواقع السياسي والإداري على جبل عامل في زمن السلطنة العثمانية ومن ثم الانتداب الفرنسي الذي رافق البلدة لسنين طويلة، جعلها حبيسة تلك البقعة حتى فترة متقدمة من النصف الثاني من القرن الماضي، حيث كان الانتقال من البلدة وإليها باتجاه النبطية أو القرى المجاورة يتطلب مشقّة وجهدًا لا يشجع على تكراره.

وهذا الموقع الفلكي لم يمنح عبّا أية مقومات تسمح لها باستغلال ما تمتلكه فقط من موارد محلية زراعية متواضعة، يمكّنها من الاتصال بالأسواق الخارجية. لذا بقيت دورة الإنتاج فيها محصورة بالحاجات الشخصية للمزارع وبأنواع محدودة من حبوب وبقوليات وخضار، وما كان يفيض كان يقايضه المزارع عبر التبادل المباشر بسلع أخرى دون استخدام وسيلة التبادل بالنقد. وسنلاحظ التأثيرات السلبية لهذا الواقع على الجانب الاجتماعي والاقتصادي والصحي والتعليمي للبلدة، والذي دفع بأبنائها إلى مغادرتها بحثًا عن فرص حياة أفضل.

(١) موقع البلدة، صورة رقم (٣).

توزُّع دُور العائلات والحارات والأحياء في البلدة:

إذا أردنا أن نتخيل مشهدًا، عما كانت عليه عبّا لسنين خلت، يفترض أن تكون البلدة تواجدت على هضبة أو «ربوة تحيط بها وديان [منحدرات هي أشبه بأودية قليلة العمق]، وهي: الحاج علي، خلة النبية، الحمّارة، كرم دقماق والساحة. والربوة هذه (هضبة) تتوسط عدة هضاب يمكن تعدادها بـ(١٢). وكانت الضيعة تحوي طرقات محصورة وأزقة وزواريب ولها بوابات، بوابة خليل وهبي (أبو دلا)، بوابة آل هارون، بوابة آل عميس»[١]. باستثناء وجود بعض البيوت التي لا يتجاوز عددها أصابع اليدين في أماكن قريبة جدًّا من تلك الربوة.

وبحسب الرسم البياني الذي يمثل أصول العائلات العبّاوية (شجرة العائلة) المتداولة في البلدة -وهي تحظى بشبه إجماع على صحتها- وبحسب ما هو مبين في تلك الأصول، فإن عدد أفراد كل أسرة كان لا يتجاوز (١٠) أشخاص ذكورًا وإناثًا. لذا كان على كل عائلة أو أسرة أو فخذ -ومعظمها كان متقاربًا بالنسب والمصاهرة- أن تبني دورها على هذه الربوة.

ودُور هذه العائلات كانت تتوزع على: دار (خليل أبو دلا) وأولاده: حسن، أحمد، جواد، محمد، عبد الرسول، وعلي، «ومن ضمنها كانت دار جواد خليل، وهو حاليًّا بيت جميل محمد خليل ترحيني. أعلى باب الدار رفعت عتبة دُوِّن عليها مقطع من الشعر يؤرخ لبناء الدار»[٢]. ثم دار آل هارون وأولاده: محمد، أحمد، علي، إبراهيم[٣]. وكان بداخل دار آل هارون (تنور) تم وضع اليد عليه وحُوِّل إلى بيت. وبمحاذاة دار آل خليل وهارون، كانت تقع تربة (مقبرة) سمّيت مقبرة

(١) يراجع: مدونة العرايس: السنة ١٧، مرجع سابق، ص٧.

(٢) مقابلة مع شريف عبد اللّه جواد خليل، مرجع سابق.

(٣) بناه محمد هارون وهو عبارة عن دار مع حاكورة ورّثه لأولاده يونس وجواد وصالح. ومن ثم انتقل بالوراثة لأولاد يونس (أحمد - إبراهيم - وهبي)، وجواد (علي)، وصالح لم ينجب ذكورًا أورثه لابنته (شاة الريم) التي تزوجت من آل خليل، أولًا من محمد جواد خليل، ومن ثم من حسن خليل جدّ (أبو سعد اللّه). مقابلة مع محمد خليل ترحيني، مرجع سابق.

البستان[١]. وبجانب دار آل هارون أيضًا، بيت يوسف علي وأمينة هارون ومصطفى وعبد الرسول[٢]. يليه دار بيت آل علي حسين وأولاده: أحمد، محمد، علي، حسين، محمود، إسماعيل. وهي أبعد من دار بيت هارون[٣]. دار آل حسين وأولاده: أسعد، حسن، قاسم، سعد الدين. ثم دار علي (آل عثمان) وولده عبد اللّه. ودار أحمد (آل كلوت) وولديه قاسم وعلي. ودار محمد (آل حمود) الملقب بحمود، وأولاده حسن (والد إبراهيم حسن حمود، وأحمد حسن حمود)، حسين، محمد[٤]. ثم دار آل المعلّم وهو بيت العائلة، بيت الجد الأساسي وكان بالقرب من دكان أحمد علي سعيّد، بالقرب من جامع الإمام الصادق (جامع آل عميص) [٥]. ثم بيت حريري وبيت العميص وبيت قاووق وكذلك بيت جفال. وهؤلاء لم يكن لهم دور مستقلة، وكانوا عبارة عن عدة منازل[٦].

وهذه الدُّور بُنيت حول ساحات، هي ليست بالساحات المعروفة اليوم، وهي: ساحة التنّور وحولها بيوت علي حسين، مهدي حسين أسعد، الشيخ محمد معلّم، الشيخ حسن معلّم، الشيخ علي معلّم، وهبي خليل، علي جفال. ساحة آل ياسين وحولها محمد والد (علي محمود، أحمد والد صالح، علي، موسى) والد علي وحسين موسى. إبراهيم سارة، حسين السيد أحمد، وكان منزلهما مكان حسين سعيّد[٧]. ساحة آل هارون وحولها موسى فحص، الشيخ إبراهيم حريري، يونس هارون، جواد هارون، حسن عبد اللّه سلامة، محسن قاووق، وآل جفال[٨]. ويتفرع من هذه الساحات زواريب (طرق ضيقة) منها زاروب محمد هاشم، وفيه بيوت

(١) مقابلة مع شريف عبد اللّه جواد خليل، مرجع سابق.
(٢) مدونة العرايس: السنة ١٧، مرجع سابق، ص ٧.
(٣) نفس المرجع سابق.
(٤) نفس المرجع السابق والصفحة.
(٥) مقابلة مع حسن محسن معلّم، مرجع سابق.
(٦) مقابلة مع شريف ...، نفس المرجع السابق
(٧) مدونة العرايس: السنة ١٧، نفس المرجع السابق، ص ٧.
(٨) نفس المرجع والصفحة.

يوسف أسعد حسين، قاسم حسين، حسن حسين والد (محمد حسن «عريف المنبر الحسيني»). زاروب إسماعيل حسن عثمان، وفيه بيوت محمود عثمان الشيخ علي كلوت، الشيخ قاسم كلوت[١].

في الوقت الذي كانت فيه غالبية دور العائلات متلاصقة وتتركز أعلى الربوة، بالقرب من الساحة العامة نظرًا لطبيعة حياتهم الاجتماعية والظروف غير الاعتيادية المحيطة بهم، حيث يوفّر لهم التلاصق الأمن والاستقرار، فقد كان لزامًا أن تأخذ البلدة الشكل المربع أو الدائري بسبب صغر المساحة المخصصة لها. خرج عن هذا النمط، يونس أحمد هارون، حيث كانت داره تقع عند منحدر حي القلعة. وهي نفسها دار أحمد يونس هارون (ترحيني) والد (طبيب الأسنان محمد)[٢]. وبجانبه دار يوسف أحمد هارون (شقيق يونس) وهي الآن ملك عاطف نور الدين (أبو عارف)[٣]. وبقي الحال في حي القلعة على ما هو عليه حتى ثلاثينات القرن الماضي. بعد هذا التاريخ تتالى إقامة الدُّور فيها، منها يعود لـ: محمد يوسف (أبو عبد اللّه)، أحمد يوسف، نجيب موسى علي، محمد علي عليا، خليل سارة، محمد خليل (أبو فايز) وحسين أحمد. كما انتقل الحاج عبدو حسن علي يونس معلّم من دار علي سعيّد وبنى دارًا خارج أطراف البلدة هي الآن دار الحاج محمد عبدو معلم (أبو أحمد)[٤]. وعليه، «فإن عدد دُور البلدة حتى نهايات القرن التاسع عشر، والسنوات الأولى من العشرين لم يكن يتجاوز (٤٠) دارًا، يزيد عن هذا العدد في البلدات المجاورة. وبذلك، يتبين لنا أن الشكل الذي رست عليه البلدة في ذلك الحين، قد اتخذ الشكل المربع أو القريب إلى الدائري يتخللها زواريب ملتوية، مع تلاصق شديد لوحداتها السكنية من دون

(١) مدونة العرايس: مرجع سابق، ص ٧.

(٢) مقابلة مع محمد خليل...، مرجع سابق.

(٣) يوسف أحمد هارون باع داره لإبراهيم نور الدين. وهو بالأصل من بلدة تولين قدم إلى البلدة بمساعدة من السيد يونس أحمد هارون، وتزوّج من مناهل قاووق ابنة أحمد سارة وأنجبت له (عارف وحسن). مقابلة مع محمد خليل يونس ترحيني، مرجع سابق.

(٤) مدونة العرايس: المرجع السابق، ص٨.

أن يتوسطها أراض زراعية. وابتعدت عن الشكل المثلث الذي تتسع فيه القاعدة أسفل المرتفع ويمتد رأسه باتجاه القمة حيث تبدأ الوحدات السكنية قرب الوادي، ثم تأخذ في الامتداد فوق المنحدر على هيئة صفوف من المدرجات حتى القمة.

ومع نهاية الأربعينات بدأ انتشار بيوت البلدة خارج الضيعة (الربوة). فبُوشر بإقامة دار عبدو إسماعيل ترحيني من الجهة الغربية للبلدة، وكان حي البيدر خاليًا تمامًا من الدُّور[١]. ومن الجهة الشرقية كان أول من انتقل منها وبنى بيتًا خارجها، الشيخ محمد علي يونس معلّم، حيث بنى غرفة في حي بيدر زيدان، وهي اليوم بيت الأستاذ محمود[٢]. ثم بيت الحاج حسن عميص (المطّلب(والسيد إبراهيم حمود ترحيني وعلي كلوت، وبدءًا من الستينات شهد الحي حركة بناء لافتة[٣]. يقول شريف أمين ترحيني: حتى العام (١٩٦٢م) ابتداءً من بيتنا الحالي ولغاية مفرق الدوير ثم باتجاه البيدر وراس الدوري كان لا يوجد منازل[٤]. بعد هذا التاريخ على ما يقول محمد علي دياب (أبو عباس) في العام (١٩٦٣م) باشرتُ ببناء منزلي الحالي وكان الوحيد في حي قلعة الصعبة، كانت الطريق ما تزال ترابية وكنا ننقل مواد البناء بواسطة جمل يملكه إبراهيم يونس محمد هارون[٥].

في الوقت الراهن، يلاحظ امتداد عدد الوحدات السكنية وازديادها بدءًا من البلدة القديمة حتى الهضاب المحيطة بها الواقعة في الجهة الجنوبية الشرقية

---

(١) عام ١٩٤١م كان يتواجد في هذا الحي بضعة بيوت، في هذا العام شرعت ببناء منزلي والشاهد على ذلك عتبة باب الدار حيث حفر عليها تاريخ البناء بالتقويم الهجري ١٣٦٢ يقابلها بالميلادي ١٩٤١م. مقابلة مع عبدو إسماعيل علي حسين ترحيني، تولد ١٩٢٢م، والدته سكنة حمود ترحيني، بتاريخ ٦/ ٢/ ٢٠١٢م. وثيقة رقم (٢٥) شاهد عتبة دار عبدو إسماعيل ترحيني حفر عليها تريخ البناء..

(٢) مدونة العرايس: السنة ١٧، مرجع سابق، ص٨.

(٣) مقابلة مع محمود معلّم. أحدها كان بيتنا الحالي في حي بيدر زيدان عام ١٩٥٨ م حيث شجّعت أحداث ذلك العام على تشييده بعدما نزحت العائلة من بيروت. من مشاهدات المؤلف.

(٤) مقابلة مع شريف أمين ترحيني، مرجع سابق.

(٥) مقابلة مع محمد علي دياب مرجع سابق.

والغربية، عند بعض المنبسطات ومقدمات الهضاب وقممها، لا سيّما هضبة رأس الدوري ومنحدراتها التي كانت فيما مضى خالية تمامًا من المباني[١]. والآن تداخلت أبنيتها مع أبنية في بلدتَي جبشيت وأطراف القصيبية، ونسبة قليلة من الجهة الشرقية الشمالية مع أطراف الدوير، لدرجة يخيَّل فيها للمرء أنه في بلدة واحدة. أمّا من الجهة الغربية باتجاه الزرارية، والشمالية الغربية مع أنصار، والغربية الجنوبية مع أطراف بريقع، حيث الأرض شبه منبسطة، فهي قليلة نوعًا ما. وهذا يؤشر إلى عدم رغبة من الأهالي بالتوسع العمراني في هذه الاتجاهات نظرًا لبعد المسافة بين البلدة والبلدات المذكورة، إضافة إلى عدم وجود رابط اجتماعي - اقتصادي مع أهاليها. أمّا من الجهة الشمالية الغربية فما زلنا نلاحظ وجود مساحات شبه مفتوحة لا بأس بها تغطيها المزروعات. ومع هذا الاتساع وانتشار الوحدات السكنية أضيف على لائحة ساحات البلدة وزواريبها أسماء حارات جديدة هي: حارة البركة، التنور، عين الفوقا، حي الجامع، حي القلعة، قلعة الصعبة، حارة آل هارون، حارة كرم دقماق، حي البيدر، حي الزحزلون، حي السلّم، حي وادي السيد، حي المحاطة، حي رأس الدوري، حي النبية، حي بيدر زيدان، حي عين الفوقا، حي عين جويد (جواد)، حي المناشر[٢].

الطراز المعماري لمنازل عبّا:

تقدّم الدراسات الجغرافية حول البناء الريفي وأشكاله وتكوينه إضافة أساسية تمدُّنا بصورة غير مباشرة عن أفكار ساكنه وتصوراته ومشاعره، وهكذا يصبح الأمر انعكاسًا صادقًا لاختلافات البيئة بما تمثله من قيم وإمكانات مادية وغير مادية، تُوجِب أن يأتي الموقع والشكل والتصميم من حيث مواد البناء وعدد الغرف منسجمًا مع ظروف هذه البيئة وحاجاتها.

وأمّا من حيث الموقع فنرى أن أهالي البلدة كانوا على دراية بأهمية دور المناخ

(١) صورة رقم (٤)، رأس الدوري ومنحدراته مطلع الثمانينيات خالية تماماً من البناء.

(٢) مدونة العرايس: السنة ١٧، مرجع سابق، ص١٤.

السائد، ومدى مواءمته لشكل الدار وتصميمه. لذا كانوا حريصين على أن تكون دُورهم مبنية على قمة الربوة مواجهةً للشمس لتلافي رطوبة الجو. أمّا من حيث الشكل والتصميم فقد أدركوا أهمية سماكة الجدران للتخفيف من تأثيرات الجو في موسم البرد والحر. إضافة إلى وجود نظام الفتحات التي تسمح بمرور التيارات الهوائية. وأدركوا ضرورة وجود ميل في السقوف لتلافي تجمع المياه وتسربها للداخل، وسهولة انسيابها عبر مزراب إلى بئر حُفر في فناء الدار لتجميع المياه واستعمالها للشرب وغيره طوال العام. وكانت الدار تقام بطريقة تسمح بوجود أجزاء مكشوفة تسمى (فِناءً).

ومن حيث التصميم كان العبّاوي «يبني بيته على كلّين، والكلّين مدماك حجارته مقصوبة أو منحوتة من الخارج، وعمياء من الداخل وبينها الركّة، ثم يأتي مدماك جديد إلى أن يتم البناء»[(١)]. في الغالب، كانت الدُّور تبنى من طابق واحد، ومرد ذلك إلى طبيعة المواد المحلية المستخدمة في البناء، وطبيعة العلاقات الاجتماعية التي تؤكد العزل الاجتماعي إلى جانب سعة الأرض. «وكانت تُبنى بحجارة من الصخر الطبيعي (الدبش) غير المنحوت، وأخرى من حجر نظيف مطلي بالكلس»[(٢)]. وكانت سطوح معظم الدُّور من ألواح الخشب المغطاة بعشب البلان يعلوه التراب الممزوج بالقش والتبن[(٣)].

ومن المفارقات أنّ من يقوم عادةً بالبناء هم من أهل البلد أصلًا، وقد يكونون من وجهائه ومن عِلية القوم. وتتجلى صفة الكرم والأريحية بأبهى صورها لترافق البناء

(١) «الركة هي ما يضعه البنّاء وراء صفّة الحجارة، وتتكون من تراب وطين وحجارة صغيرة تسدّ بها الفروج والفتحات حتى يستقيم مستوى الصفّة، سميت بالركّة لأنها يُركُّ بها ويُلبَّد». فايز ترحيني: دائرة الشوك حكاية الولد العاملي، دار الولاء لصناعة النشر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٨م، ص٢٣.

(٢) مقابلة مع سعيد إبراهيم يونس، مرجع سابق.

(٣) «والطين تراب أبيض لزج يخلط بقليل من تبن العور/ الناعم يخمَّر ذاك الخليط قليلاً ثم يدعك به السطح، وبعد أن يجفّ يحدل؛ أي يرص بمحدلة لها ماعوس. المحدلة حجر أسطواني ثقيل يحدل به، له تجويف في وسط كل جانب من جانبيه يدخل فيهما طرفا الماعوس. والماعوس قضيب من حديد أو من أغصان الشجر يمسك بيد أو بالاثنتين من أعلى... مما يسهّل جر المحدلة أو دفعها فتمعس التراب معسًا وتدلكه دلكًا شديدًا». فايز ترحيني، نفس المرجع السابق، الصفحات ٢٤-٢٥.

منذ البدء بإنشائه وحتى الانتهاء منه، حتى إن دُور البلدة كانت ملتصقة ببعضها، ويكون سقفانِ لجارين على عقد واحد أو قنطرة واحدة بين جارين فيقال: (قايس على حيطنا، أي معمّر على حيطنا). وكانت البيوت تتواصل فيما بينها بواسطة فتحات في الجدار بين الجيران[١]. وفي العموم، إن هذا النمط من البناء، هو وليد غياب التقنية المتطورة، إذ كان العبّاوي كغيره من أبناء القرى يعيش ببساطة تتناسب مع ظروفه التي تحيط به، في جو غالبًا ما كان غير مستقر مع شظف العيش وقلة ذات اليد. ومن ذلك كان يبنى بيته البسيط من الطين والأخشاب والقش وسعف النخيل وغيره من الموارد التي حوله. وهي ليست كالمنشآت الأخرى تعتمد الدقة الهندسية، بل هي أقرب للأعمال الفنية اليدوية. لذلك استحقت أن يطلق عليه وصف (مفردات معمارية وتاريخ قديم).

وعلى الرغم من عدم وجود تخطيط مسبق لبناء المسكن الريفي عمومًا إلا أن هنالك قواعد مشتركة متفقًا عليها من خلال تراكم التجارب والإرث التاريخي، التي تأخذ بالاعتبار وظيفة الدار التشغيلية، كإيجاد غرف لتخزين علف الماشية وإنتاجية العائلة الزراعية، إضافة إلى حجم العائلة. وغالبًا ما كان يزيد عدد الغرف، نتيجة لانفصال الأسرة واستقلالها عن العائلة الرئيسة. مما يحدث تغييرًا في حجم المسكن وتصميمه. ولعل أبسط الدُّور في عبّا، كان البيت المنفرد المؤلف من غرفة واحدة يستعملها الفلاح وعائلته مسكنًا لهم ولإيواء الحيوانات وحفظ الغلال لذا، كان مضطرًّا أحيانا لتقسيم الغرفة بحاجز من طين يفصل بين الجزء الذي يستعمله وعائلته والآخر المخصص للحيوانات، بحيث يتقاسم الفلاح البيت مع مواشيه وطيوره. والبعض يقسّم البناء إلى غرفتين ودار ومطبخ وبيت خلاء. والاغتسال كان يتم بوعاء من حديد يقال له (لـگنّ) يوضع وراء باب بيت الخلاء[٢]. وأحيانا إلى: غرفة النوم، المضيف، غرفة الجلوس، فناء الدار (أحيانًا)، البهو، الحظيرة. وتختلف هذه المكونات سعةً ونوعًا باختلاف حجم العائلة ومتطلباتها والمستوى

(١) مدونة العرايس: السنة ١٧، مرجع سابق، ص٣٧.

(٢) مقابلة مع السيد سعيد إبراهيم يونس، مرجع سابق.

المعيشي لها: وفيما يأتي تعريف لهذه المكونات:

- غرف النوم: لا يكاد يخلو المسكن الريفي من غرفة أو أكثر خاصة بنوم أفراد العائلة.
- المضيف: في العادة قريب من الباب الخارجي للدار، وهو معزول عن بقية الغرف كما يتجه الباب إلى الخارج توفيرًا للعزل الاجتماعي.
- غرفة الجلوس: مفروشة بحصير البابير مع مساند مصنوعة من فضلات نبتة الذرة وسنبلة القمح محشوة في قطعة قماش. وهذه الغرفة مخصصة للمنامة والاستقبال، وتتوزع في جنباتها خزانة وبير، وعليه مرآة ومحمل لوضع الفرش وبجانبه الوأل للديك والدجاجات ثم سرير للطفل(١).
- فناء الدار: وهو ساحة مكشوفة تقع في الوسط وتتوزع على جوانبها الغرف المختلفة، ويساعد وجوده على تهوية المسكن وتلطيف الجو صيفًا ووصول أشعة الشمس إلى البيت شتاءً، كما يمثل الساحة التي تتحرك فيها العائلة ومقر جلوسها أيضًا إلى جانب كونه المكان المناسب لنوم العائلة صيفًا كما يستعمل أحيانا لإيواء الحيوانات، وأغلب هذه المساكن لها مدخل واحد تشترك في استعماله العائلة وحيواناتها.
- وفي العادة يتصل بالفناء بهو وتلحق به سقيفة وبايكة مخصصة للغلّة والحيونات، وقد يلحق ببعضها أوض وياخور وقاووش وجميعها معمّر على كلّين»(٢).
- الحظيرة: وهي مأوًى للحيوانات، وتبنى منفصلة عن المسكن، وتغلق ليلًا للمحافظة على الحيوانات وتحاط بسياج المسكن حيث يكون الدخول لها من ضمن بابه، ويقع بالقرب منها مخزن العلف الذي تتحدد مساحته بنوع الحيوانات التي تملكها العائلة وعددها، كما يستخدم لخزن الأعلاف خلال

---

(١) مقابلة مع محمد خليل ترحيني، مرجع سابق.

(٢) فايز ترحيني: دائرة الشوك حكاية ... مرجع سابق، ص٢٣.

الشتاء. ويقوم إلى جانب ذاك المكان معلف وجرن وفوقهما أوتاد يبيت عليها الدجاج وبخاصة في أيام الشتاء، وإلى جانب ذلك مكان للتبانة المخصصة لتخزين التبن ولها روزنة؛ أي فتحة وباب من تحت ليأخذ الفلاح منه التبن، وخلف الباب طاقة أو كوّة ليبيض فيها الدجاج وأخرى للتفقيس. أمّا في فصل الصيف فمكان الحيونات والدجاج في الخارج حيث تتواجد الزريبة والقن[١].

وكان بجانب الحائط القريب من الباب بلاطتان صغيرتان واحدة للسراج وأخرى لإبريق الماء، وتنزع الأحذية وتوضع في الإسطبل[٢]. أمّا الأبواب فكانت من النوع الذي يغلق بالمزاليج، يصنعها النجارون وتوضع قطع الخشب بشكل طولي بجوار بعضها، ويتم تثبيتها بقطع من الخشب توضع بالعرض مخرمةً ليصل بينها وبين خشب الباب (شنغال) من حديد، ذو طبعة كبيرة على شكل دائري من جهة، ومدبب من الأخرى، ليتم ثنيه لتثبيت الخشب. وللباب مفتاح أيضًا من خشب نافر مسنّن يحفظ بعد إقفال الباب داخل طاقة صغيرة أُعدت لهذه الغاية في الحائط[٣]. والنوافذ تصنع من الخشب أو الحديد من دون بلّور. والإنارة بواسطة قنديل الكاز[٤].

وبعدما أُدخل الحجر والإسمنت والحديد الصلب في العمارة المعاصرة انتهجت عبّا كغيرها من القرى العولمة والحداثة، وكان الاتجاه الغالب على هذا التيار هو الفردية في التصميم، فقد حاول إعطاءنا أبنية جميلة، ولكن عمارتها لا تعبر عن الواقع بجميع تعقيداتها الناتجة عن التطور العلمي والتكنولوجي. فابتعدت عن الطبيعة وأصبحت منازل مكونة من الإسمنت والحديد والزجاج والأدراج، وسيطر عليها شيء من الصناعة والعشوائية. وبفعل الزيادة السكانية ارتفع عدد

(١) فايز ترحيني: دائرة الشوك حكاية ...، مرجع سابق، ص٢٤.

(٢) مدونة العرايس: السنة ١٧،مرجع سابق، ص٣٨.

(٣) نفس المرجع.

(٤) «بعد بناء البيت يقوم صاحبه بتطيينه مع أرضه والمصطبة والنوافذ، حتى معالف الدواب والفتحات المتروكة لوضع الجرة، ويتم تطيين كامل الحيطان بنقوش تخفي كل عيب في البناء. مقابلة مع محمد خليل ترحيني، مرجع سابق.

الدُّور في عبّا ليصبح وفقًا لإحصاءات مؤسسة التاج لتوزيع اشتراكات الكهرباء بالمولد في عبّا، هو (١٥١٢) مشتركًا؛ أي منزلًا. وعدد المشتركين بمؤسسة كهرباء لبنان (١٢٦٧) مشتركًا. ويقارب هذا العدد إحصاءات بلدية عبّا، وإحصاءات مؤسسة مياه لبنان الجنوبي[١]. مع هذا العدد يكون قد تضاعفت عُلب الإسمنت وضاعت الهويّة المشرقية للعمارة، بحيث أصبحت لا توحي بالحياة في أي شكل من الأشكال، ولا تعتمد الأصالة للمحافظة على البيت الريفي المتلائم مع طبيعته وقياسه الإنساني، ومن يجول في أرجاء البلدة وغيرها من البلدات المجاورة يرى كيف بدأت تعبث بها الفوضى، إذ لم يبدُ أي ملمح يدل على التخطيط بشكل واضح ومدروس. وما نشهده اليوم من قناطر وشواحط وترقيع ودهان على الجدران ليس إلّا طريقة مزوّرة للإعمار، وتشويهًا غير مسؤول مبنيًّا على أساس مادي وتجاري، أنتج أشكالًا هجينة ومتناقضة وغريبة عن تاريخ جبل عامل وهويته.

ومع ذلك، فما تبقى في البلدة من بيوت قديمة تُعَدُّ جزءًا لا يتجزأ من تراثنا الأصيل، ورمزًا للحضارة وأصالة الماضي العريق، فهي بقيت قائمة منذ عشرات السنين، ولا تزال تتحدى الزمن وتقاوم الظروف بالرغم من بساطة البناء ومكوناته المتوفرة. وبالرغم من أن ما بقي هو أشبه بأطلال[٢]، يلفت مسارعة أصحابها إلى معالجتها وترميمها لتبقى شاهدًا على تراث عمراني يستحق الحفاظ عليه والتفاخر به كمنتج إبداعي ربما لن يتكرر.

الوظيفة الاجتماعية والاقتصادية للبيت العباوي:

إن التغيرات التي طرأت على شكل الريف اللبناني وتكوينه في النصف الثاني من القرن الماضي كانت سريعة وعميقة، لا سيّما في مجال النقل والمواصلات مما سبّب إخفاء الكثير من ملامحه الأصلية. قبل ذلك كانت النظم الاجتماعية

(١) اعتمدنا هذه الأرقام بناءً على إحصاءات حصلنا عليها من مصادرها الأساسية المذكورة أعلاه، وهي أرقام موثوق بها.

(٢) نماذج من تلك البيوت، صورة رقم (٥).

السائدة في عبّا تُعَدُّ الحجر الأساس في تركيب مجتمعها وبنائه. نظم هي عبارة عن نسيج من العلاقات المتشابكة المتبادلة بين الأفراد والجماعات، حيث كانت الدُّور ملتصقة ببعضها، سقفانِ لجارين على عقد واحد أو قنطرة. وكان يقال: (قايس على حيطنا)، أي: (عمّر على حيطنا). وكانت تتواصل فيما بينها بواسطة فتحات صغيرة بين الجدران[1]. وهكذا كان ضيق الأزقة وشكل البيوت وتراصها والتفافها حول بعضها يؤدي وظيفة اجتماعية تعكس الجانب الروحي، حيث العلاقة قائمة على اللقاء المباشر والتعاضد في كافة المناسبات. فضلًا عن ذلك، كان هذا الطراز يرسم نمطًا معينًا من التضامن والتكافل الاجتماعي. ومن جهة أخرى، كان الهدف من تلاصق الدُّور «سهولة الدفاع عنها في حال تعرضت لخطر داهم، لدرجة أن الصبي كان يستطيع أن يركض على سطوحها كأنه في حقل يمكن أن يرتفع هنا ليشكّل جبلًا، أو ينخفض هناك ليشكل جورة أو وهدة»[2]. وفي ذلك دلالة واضحة على أن هذه النظم هي مؤسسة اجتماعية في جانبيها المعنوي والمادي خاضعة للتأثير والتأثر، قد لا نجدها في غيرها من الأمكنة ذات الطرز المختلفه عنها، بالإضافة إلى ما تختص به لجهة شكل العلاقات والسلطة من عادات الطعام والنوم وغيرها من الأنماط السلوكية التي تعبّر عن قيم الأسرة وعاداتها وتقاليدها داخل البيت.

وهذا النمط من الحياة الاجتماعية ثبّت لسنين عديدة العادات والتقاليد، «وأوجد عند العبّاويين ضبطًا اجتماعيًّا، نجحوا في المحافظة من خلال تمسكهم بالتراث الشعبي بمختلف أشكاله ونقله من جيل إلى جيل»[3]. أما الواقع الحالي عمومًا، وبفعل عامل الحداثة، فهو يعاني من محاولات لطمره وإضعاف الجانب الاجتماعي منه، وذلك بتقطيع أوصال البلدة وتفكيكها وعزل أحيائها. فالأزقة اختفت وأصبحت متاحة لدخول السيارات. وقضى على عوامل الاتصال اليومي بين الأفراد، فتقلصت عمليات التزاور والالتقاء بالأصدقاء والجيران والأقارب.

(١) مدونة العرايس: السنة ١٧، مرجع سابق، ص٣٧.

(٢) فايز ترحيني: دائرة الشوك ...، مرجع سابق، ص٢٣.

(٣) مقابلة مع شريف عبد اللّه جواد خليل، مرجع سابق.

ففي السابق كان الالتزام الاجتماعي نوعًا من القيم والثوابت والمبادئ التي لا يمكن التخلي عنها، أما الآن فقد أُعطيت التبريرات لنسبة من الأفراد للتخلص من هذه الالتزمات أو حتى تحويرها عن نمطها الطبيعي المتعارف عليه. فمثلًا كان أداء واجب العزاء يتمثل بالذهاب مع عدد من الوجهاء أو الأقرباء والأصدقاء بمجاميع، أصبحت تنحصر في مجموعة صغيرة تمر بشكل فردي إلى أن وصلت عن طريق الهاتف أو حتى بإرسال الرسائل لتقديم التعازي مع جملة من الاعتذارات والتبريرات لكثرة المشاغل الحياتية. مع ذلك «ظلّ المجتمع العباوي يتّسم بالمحافظة على القيم الاجتماعية والدينية والأخلاقية والتفاعل الاجتماعي ومظاهره تتجلى في غير مناسبة»[(١)].

وفي جانب اجتماعي آخر كانت الدار وما زالت تعكس المستوى الاجتماعي للفرد مع جانب اقتصادي. وكان عليّة القوم يبنون دُورهم بقناطر يتناسب عددها وارتفاعها مع حالتهم الاجتماعية، «ومن زاد منهم رفعة يُنشئون (علّيّة) غرفة مخصصة للمناسبات ولاستقبال وجهاء القرى المجاورة والضيوف الكبار. واذا ازدادت رفعة بعضهم ألحقوا البناء بليوان أو ديوان له طوق وشرفات»[(٢)]. ولم تحِد عبّا عن هذا السلوك، فبعدما كانت دُروها في فترة قديمة نوعًا ما عبارة عن بناء طيني اعتمد فيه على المواد البيئية الموجودة. أسهم التطور العلمي في مجال البناء وتحسّن الأوضاع المادية لبعض الأفراد، في اتّباع نمط جديد أبرز مظاهره دارة علي أحمد حسن خليل (أبو سعد اللّه) عند مدخل الساحة العامة بما امتاز به من تصميم هندسي مميّز ومواد بناء مستجدّة لا سيما حجارته البيضاء المقصبة والمنقوشة يدويًّا برسوم مختلفة[(٣)]. وغيره من الدور اعتمدت مواد البناء نفسها، لكن بتصاميم مختلفة، أبرز مميزاتها قناطر ونوافذ بأشكال متعددة من عقد حدوة الحصان إلى العقد المتعدد الفصوص، والعقد المنكسر. وأصحاب هذه الدُّور هم: عبد الكريم

(١) مقابلة مع محمود معلّم، مرجع سابق.

(٢) فايز ترحيني: دائرة الشوك حكاية... مرجع سابق، الصفحات ٢٣-٢٤.

(٣) صورة رقم (٦)، ببيت أبو سعد الله (علي حسن خليل) بالقرب من الساحة العامة.

قاووق، سعيد إبراهيم يونس في الضيعة القديمة، وبيدر زيدان مواهب علي جواد هارون، محمد علي موسى، خليل هاشم حسن خليل (أبو صافي)، أحمد صالح أحمد خليل ياسين (أبو صلاح)، شريف أمين ترحيني، خليل يونس أحمد هارون، وفي الوقت الراهن أظهر سلوك من اغترب من العبّاويين إلى الخليج العربي وأفريقيا أن الأموال التي جمعوها استثمرت في بناء القصور تحيط بها الحدائق، رغبة في المباهاة، أو في تجارة العقارات، ولم يستثمروا في الزراعة والصناعة لتحريك العجلة الاقتصادية في الأرياف. وبذلك خلت عبّا من المنشآت الصناعية والتجارية والزراعية الكبيرة الحجم، وحافظت على تقليد متّبع عند الأجداد، إنما باعتماد آليات متطورة تحاكي أسلوب العصر.

فيما مضى كان للدار دور وظيفي اقتصادي، اعتمد نمطًا جعل الحياة الريفية تتميز بالبساطة. «فالناس في عبّا كانوا يبتعدون عن مظاهر التعقيد، ولعلّ السبب في ذلك يعود إلى الأعمال البسيطة التي يقومون بها بشكل متواصل، كعدم اهتمام الفلاح بالكماليّات التي تعتبر في المدينة من الأمور المهمة والضروريّة»[١]. كان أول شيء اعتمدوه عند بناء الدار هي غرفة المونة «وكانت من أهم أركان البيت، مؤلفة بشكل أساسي من الكوارة التي استخدمت لحفظ الحبوب والطحين وإلى جانبها السمن والزيوت وما توفر لديهم من فاكهة الصيف المجففة، كذلك كان هناك بيت الحطب الذي يصفف فيه اليابس منه بعد تقطيعه إلى أحجام مناسبة والحشائش بعد جمعها على مدار العام وغيرها من المواد المشتعلة التي ابتدعوها»[٢]. وكان الشائع، أن عامة الناس، كانت بيوتهم تتكوّن من إسطبل؛ أي موزع يتفرّع عنه مكان مخصص للحيونات، وفوقه متخّت لتعليق ربط التبغ، وتحتها أو جانبها مكان لحاجيات أخرى»[٣].

في العموم تطور الدور الوظيفي الاقتصادي للدار، وأصبح التصميم والبناء

(١) مقابلة مع شريف عبد اللّه جواد.

(٢) مقابلة مع محمد خليل يونس (الكوارة). صورة رقم (٧).

(٣) فايز ترحيني: دائرة الشوك ...، مرجع سابق، ص٢٤.

يُربط أساسًا بالوظيفة الاقتصادية للعائلة زراعيةً كانت أم رعويةً أم كليهما معًا. أو بمجالات عمل أخرى كالوظيفة العامة والخاصة أو المهن الحرة مثلًا. ففي عبّا، بعدما تناقصت أعداد العائلات العاملة في الزراعة نتيجة التقدم بالعمر أو الوفاة، وإقلاع الأولاد عن الزراعة كمصدر للارتزاق، واعتماد مجالات أخرى، أصبح التشابه كبيرًا في المباني الحديثة وطرازها وصارت في الغالب تبنى للسكن فقط سواء كانت من دَور واحد أم دَورين أم أكثر، ومقسمة حسب احتياجات العائلة، ومبنية من الإسمنت المسلح بالحديد. ومعها تطورت البنى الأساسية من مصادر المياه ووسيلة الصرف الصحي، ومصادر الطاقة للإضاءة والطهي، ووسائل التدفئة، إلى طرق التخلص من النفايات إضافة إلى الأجهزة المنزلية ووسائل التكنولوجيا الحديثة، وهكذا، أصبحت العائلة مزودة بكل ما تحتاجه الأسرة.

وعليه، فقد دفعت مظاهرُ الانفتاحِ الاجتماعي والاقتصادي المجتمعَ العبّاويَّ إلى ترك الدُّور القديمة التي كانت تشكلِ وحدة واحدة ليس لها سوى مدخل واحد أشبه ما يكون بالحارة، ليبني دُورًا بشكل مستقل متباعدة نسبيًّا، عملًا بقوانين البناء الحديثة التي حددت حجم الاستثمار ومقدار التراجعات عن الآخرين قياسًا على مساحة الأرض(١)، كما دفعت بهم للاختلاط بالآخرين وتقبّل وجودهم من المجتمعات الأخرى بينهم. وبذلك نرى أن الترابط بين شكل البلدة وتكوينها وامتداد وحداتها السكنية، وبين تصميم المسكن وبنائه وتكوينه، قد عبّر بشكل واضح وحقيقي عن التفاعل بين الشكل العام والخاص وطبيعة الوظائف التي يؤديانها معًا.

أولوية مستلزمات البيت القروي (العبّاوي نموذجًا):

تاريخيًّا، يعكس واقع المجتمع العبّاويّ المعيش أهمية الدار وارتباطها بحاجاته اليومية. فمن خلال استقرائنا لهذا الواقع نستطيع تلمّس مركزية الدار ودورها في تشكّله. فالدار بالنسبة له مرتبطة بالثبات والاستقرار، كما أنها تعبير عن الولاء

---

(١) قانون رقم ٦٤٦ (تعديل المرسوم الاشتراعي رقم ١٤٨ تاريخ ١٩/ ٩/ ١٩٨٣م) قانون البناء. المنفّذ والمعدّل بالمرسوم النافذ حكمًا بالمرسوم التطبيقي لقانون البناء رقم ١٥٨٧٤ تاريخ ٥/ ١٢/ ٢٠٠٥م.

للأرض. لذا كانت الدار تراعي استيعاب نشاطه، وكانت جزءًا من تنظيمه المجالي والاجتماعي بمستوياته واستعمالاته المختلفة.

أولى هذه الاستعمالات، البئر. ففي أغلب الأحيان يُبنى قبل بناء الدار بفترة، ويكون عبارة عن حفرة في الأرض بشكل يشبه الجرّة، ويُطلى بطين ناعم لعدم تسرُّب الماء منه. ولتصفية المياه من الشوائب يوضع على فتحة البئر مصفاة، ويُرفع منه الماء بواسطة (العلبة أو السطيلة) بنشلة واحدة أو أكثر، وبجانب البئر يوجد الجُرن وهو من الصخر منحوت بشكل دائري أو مستطيل بعمق لا يتجاوز (٥٥) سم يستعمل لسقاية الأبقار وغيرها»[١]. يليها السلّم حيث كان من المشكلات المعمارية التي صادفها الإنسان منذ أقدم العصور ليصله بين مستويين مختلفين. لذلك كانت الفكرة لحل هذه المشكلة بأن صنع سلَّمًا هو عبارة عن سلسلة من الدرجات الخشبية تكون بمستوًى مائل. وكانت السلالم توضع في مكان يخصص لها في الدار يعرف اصطلاحًا ببئر السلّم. «وكان يستعمل للصعود إلى سطح الدار لرصّ التربة بالمحدلة قبل حلول فصل الشتاء، أو لإصلاح المزراب أو السيالة، ومنها تسيل مياه الأمطار من على السطوح وتنساب عبر أقنية إلى البئر للشرب والاستعمال المنزلي»[٢]. يلي ذلك مستلزمات أخرى، لا تقل حاجة عن سابقاتها، إنما يمكن العيش مع بديل عنها.

حتى العام (١٩٦٥م) كانت إنارة الدُّور لا تزال تعتمد على وسائل بدائية بديلة عن الكهرباء ابتدعها الإنسان واستلهمها من النار، وفي عبّا كغيرها من بلدات جبل عامل «كانت وسائل الإنارة تعتمد النواصة والسراج والفانوس والشمعدان، وكان لكل منها مقاسات وتوابع من فتيل وكاز وزجاجة مناسبة لمقاس السراج من نمرة واحد ولغاية نمرة خمسة[٣]. أما اللوكس، فقد كان استعماله في جبل عامل حديث العهد ويقتصر على أفراد قلائل. يقول خليل ترحيني (أبو بشار) في مدونته العرائس:

(١) مدونة العرايس: السنة ١٧، ...، مرجع سابق، ص٤٤.

(٢) نفس المرجع، الصفحات ٥٥ – ٥٦.

(٣) نفس المرجع، ص٤٠. (السراج) صورة رقم (٨).

«كان أول لوكس استعمل في جبل عامل في مرجعيون عام (١٩٠٠م) وأول لوكس في عبّا عام (١٩٥٧م) اشتراه مع بوتوغاز عندما أصبح مرسوم الوظيفة في جيبيه. ولقلّة الكبريت كانت بيوت حي القلعة تنار من قداحة السيد موسى على بواسطة زبلة يابسة من روث البقر»[١].

ولأن الانتقال من البلدة وإليها فيه مشقّة، وفي ظل ضآلة الأسواق لتصريف الإنتاج الزراعي من حبوب وغيرها، كان الفلاح العبّاوي يكتفي بزراعة حاجياته طوال السنة ويفيض عنها القليل. لذلك كانت الحاجة إلى الكواير، وهي عبارة عن مستودعات صغيرة الحجم نسبيًّا تصنع داخل البيوت من القش والطين وتستعمل لحفظ الحبوب. واعتبرت الكواير «من مستلزمات البيت الضرورية، تبنى كما يبنى الداخون. ويأتي عددها حسب الحاجة، فهذه للقمح وتلك للشعير أو غير ذلك من الغلال، لها فتحة كبيرة من فوق ليفرغ الفلاح منها الغلّة، وأخرى صغيرة من تحت ليأخذ من المخزون ما يريد»[٢]. وإلى جانب الكوارة كان المحمل، وهو شبيه بها صنعًا وأكبر حجمًا، «لكنه مزين بالقصب والفتحات، ومخصص لوضع الأمتعة كالفرش المحشوة بالصوف، واللحف المحشوة بالقطن أو الصوف، والمساند المصنوعة من ورق الذرة شتلة والعرانيس، والطراريح المصنوعة من صوف أو قطن أو خِرق بالية، وذلك بحسب الحالة الاجتماعية والمادية»[٣].

ولمّا كان الموقد وما زال الهمّ الأول للإنسان فقد سعى إليه لطهو طعامه، وكان عبارة عن حفرة في الأرض، ومن ثم تطور ليصبح فوق الأرض. ولتلافي تطاير الشرر في الهواء، تعلَّم إحاطة النار ببعض الحجارة، ومن ثم بنى سورًا صغيرًا من الطين حوله. هذا الموقد كان يختزل بمفرده المطبخ في الأرياف، وكان يقام خارجًا قرب ركن الدار. وكانت وسائل الطهو في البلدة تقتصر على «الخذير هو خثي البقر، هو ما يخرج من ذات بطونها، يجمع الفلاح أو الفلاحة ذلك الخثي

(١) مدونة العرايس... مرجع سابق، ص٤٠.

(٢) فايز ترحيني: دائرة الشوك حكاية ...، مرجع سابق، ص٢٥.

(٣) نفس المرجع والصفحة.

ويخلطه بقليل من التبن العور؛ أي الناعم ويصنع منه أقراصًا تلطع؛ أي تلصق على حائط أو ما شابه لتجف، ثم يستعمله كوسيلة للتدفئة أو للطهي أو لإشعال النار، أو طرد البعوض»[١]. أمّا وسيلة الإشعال، فقد كان إبراهيم علي حسين حمود ترحيني يملك أداة لإشعال النار، هي عبارة عن بلبل حديد مربوط بخيط وحجر أسطواني يوضع في وسطه مادة البارود. ولإشعال النار كان يسحب الخيط دفعة واحدة وبقوة ينطلق على إثرها البلبل بسرعة فائقة تحدث احتكاكًا يشعل البارود[٢]. وكانت هذه الوسيلة من الممنوعات ويعاقب من تضبط بحوزته حتى إن سلطات الانتداب الفرنسي بادئ الأمر كانت تمنع استعمال أعواد الكبريت وتفرض غرامة على من يضبط متلبسًا»[٣]. إلا أن التطور الذي شهده عصر النهضة الأوروبية، أسفر عن ابتكار مزيد من مستلزمات المطبخ التي لم تعد تقتصر على الموقد الحجري، ليظهر وجود مواقد معدنية على الكاز وأخرى تعمل على الحطب أو الحشائش أو «البابور مع إبرة خاصة ومزيتة ثمّ الساجة (صاجة الخبز) وتوضع إلى جانب (لكن العجين) في البايكة حيث يوجد الموقدة وطبلية وكارة وبلان وزبل جاف من روث البقر»[٤].

وتنوعت أدوات الطهي لإعداد الطعام، لتتماشى مع نمط الحياة وصعوبتها، فقد كان الناس يصنعون من الطبيعة والمواد الأولية البسيطة أدوات مختلفة أغنت المطبخ العبّاوي وأعانت النساء في سد احتياجاتهن. ورغم شح الإمكانات آنذاك، فإن العديد من الدُّور في عبّا اقتنت من الأطباق والأواني وأدوات المطبخ التي كانت تصنع بدقة وإتقان كبيرين منها: «النحاس والفخار والقش. النحاس ومنه: الحلّة، الطنجرة، الدست، الملاعق، السخانة، الربع ويستعمل (لكيل الحليب) الجنطاص، الدلو، لكن العجين والجاط. ومن الفخار: الزعنونة، البرنية، القصعة،

(١) فايز ترحيني: دائرة الشوك ... مرجع سابق، ص١٣.

(٢) أخبار متفرقة عن أحوال البلدة نقلاً عن حسن محمد ترحيني.

(٣) نفس المرجع.

(٤) مدونة العرايس: السنة ١٧، مرجع سابق، ص٤٠. صورة رقم(٩)، حاجة المخبز.

الصحون، المشل، الجرة، الإبريق. ومن القش، من صنع الأيدي ويكون من سنابل القمح: الصينية، المكب، المجبنة، القفة، المصلية، المشككة، الكبكة»[١].

اكتشف الإنسان منذ الأزل أن الطعام لا يمكن أن يبقيه لفترة أيام معدودة دون توفير عوامل بقائه صالحًا للأكل. وفي ظل انعدام وسائل التبريد المعروفة اليوم، جاءت الكبكة المعلقة بأحبال بسقف الدار لحفظ الطعام، كأحد أشكال تكيّف الإنسان مع البيئة من أجل البقاء. «وكانت الكبكة عبارة عن مسطح خشبي معلق في سقف الغرفة موجودة في كل دُور عبّا، يوضع عليها الطعام لليوم التالي وتغطى بشكل دائري بقطعة من القماش يقال لها)ناموسية) لمنع الذباب والحشرات المسّ بالطعام. وكان الهواء المتسلل إلى الدار يكسب الطعام بعضًا من البرودة تمنع فساده. أمّا مونة البيت من حبوب وغيره، فكانت تحضر مرة واحدة في السنة، وكانت توضع في الكواير»[٢].

وبالرغم من التطورات البالغة الأهمية التي طرأت على الحياة الاجتماعية والاقتصادية، بدءًا من السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر، والتي انعكس بعضها على المطبخ وأصناف الطعام، بحيث أصبح لكل مناسبة مائدة خاصة بها تحمل أشهى الأطعمة وأطيبها وألذها، بقي المطبخ الريفي عامة والعبّاوي خاصة ومعه أنواع الطعام، محافظًا على تقاليده التي ورثها بسبب عدم الانفتاح على كل جديد من أصناف المائدة لانعدام وسائل التواصل مع الآخر، إضافة إلى قلّة ذات اليد والشح. وهكذا بقيت المائدة العبّاوية حتى ستينات القرن الماضي محافظة على أصناف كان يتم تداولها أسبوعيًّا وهي: مجدّرة، بقلة حمص، بقلة فول، برغل مع بندورة (صايت)، كبة بلبنية، لبنية ذرة صفراء أو بيضاء، رشتاية، هيطلية، كبة حيلة، فريك وهي عبارة عن قمح أخضر مشوي بالحشائش. أمّا إعداد الخبز فكان يبدأ فور الانتهاء من عجن الطحين «بأن يغطى العجين بميزر، وعدّة الخبز مقدارها (٢٠) رغيفًا، والبقعة تمزج مع السكر أو الزعتر أو الحمص

(١) مدونة العرايس: السنة ١٧، مرجع سابق، ص٤١. صورة رقم (١١).

(٢) مقابلة مع سعيد إبراهيم يونس، مرجع سابق.

أو الزعرور أو البرزق. وكان الخبز يُعد إمّا على الصاج أو في التنور»[1]. أما الخميرة المستعملة في إنضاج العجين وجعله مهيَّئًا للخبيز فكانت تخلط مع السكر وتتوفر دائمًا في البيوت، وكانت تتعالى أصوات الجيران عند البدء بالخبيز بكلمة (عالبركة). والساجة التنور كان في الساحة العامة حيث تخبز المشاطيح والفطائر والبعابيق[2].

وما كان يشغل بال معظم أهالي البلدة أيامًا ليست بقليلة تلك العملية التي تبدأ بتنقية القمح مرورًا بسلقه وتجفيفه ثم تنقيته تمهيدًا للجرش. «ويبدأ العمل المرهق، بالانكباب، يوميًّا على تنقية القمح المعد للسلق، حبة حبة، بغية جعله نقيًّا تمامًا من الأتربة والحصى، بينما يسارع الرجال إلى توفير كمية من البلان والفاقوع وعيدان الذرة والتبغ وما توفر من أغصان الأشجار اليابسة التي تستدعيها عملية السلق. من ثم يسعى أي فرد من العائلة لنقل الخلقينة بواسطة (الحمارة)، ومن ثم بناء الموقد الذي يتناسب وحجم الخلقينة، وذلك في فسحة من الأرض أمام مدخل البيت. وبعد وضع الخلقينة على الموقد وإفراغ كمية القمح المعد للسلق في جوفها مع مراعاة ما هو ضروري من الماء البارد. ثم ملء بطن الموقد بقطع من الحطب وإشعالها شيئًا فشيئًا، تأخذ ألسنة اللّهب تتعالى، ومن وقت لآخر يجري تلقيمها حتى ينضح القمح ويصبح (قلبة) وبانتهاء عملية السلق تبدأ ظاهرة تسمى العونة، وهي تسابق نسوة الحي للقيام بعمل تطوعي مرهق ويبدأ بإخراج (القلبة) من باطن الخلقينة وإفراغها في أوعية حديدية، ونقلها إلى سطح المنزل، حيث يقف الرجل لتناول اللكن وإفراغ القلبة لتجفيفها تحت أشعة الشمس، وتتكرر العملية مرات حتى فراغ الخلقينة»[3].

ودقّ الزعتر «يبدأ بعد حصاده وتنشيفه ليصبح جاهزًا للدقّ. ولكل كيلو زعتر (٢) كيلو سماق غير مدقوق، يوضع الزعتر على أكياس من الخيش ويُطرق بمدقة

(١) مدونة العرايس: السنة ١٧، مرجع سابق، ص٤٠.

(٢) مدونة العرايس: السنة ١٧، مرجع سابق، ص٤٤.

(٣) من مشاهدات المؤلف. صورة رقم (١١).

كبيرة من الخشب حتى يُصبح ناعمًا قليلًا، ثم يضاف إليه السماق بعد فصل البزر عنه، ويدقّ ثانية حتى ينعم بصورة نهائية وينخل. ثم يُحمص السمسم في مقلاة حتى ينضج ويتحول لونه إلى اللون الذهبي، ويمزج مع الزعتر ويصبح جاهزًا للأكل»[١]. وعمل الشراب (صلصلة البندورة) يبدأ بإحضار البندورة البلدية الحمراء الناضجة تمامًا، أولًا تُنزع منها الأوراق، وتوضع في آنية من حديد (لكن)، وبعد غسلها جيدًا تنقل إلى أوعية أخرى، تقطع بأحجام صغيرة ليبدأ بعدها الهرس بالأيدي حتى تصبح مزيجًا مائعًا. وكانت بعض النسوة من الجيران يشتركن في هذا العمل، بعد أن يُصفى المزيج من قشور البندورة يسكب العصير المصفى في إناء نحاسي كبير (مشوّف) برماد الحطب لكيلا يحترق، ويغلى العصير على نار هادئة حتى يجفّ منه الماء تمامًا، ويصبح لزجًا، من ثم يوضع في صوانٍ تحت أشعة الشمس لأيام كي يجف نهائيًّا ويوضع في أوعية من فخار أو زجاج للاستعمال[٢].

ومع تطور وسائل النقل وانتقال السيارة من عبّا وإليها بحسب ما يروي شريف أمين (أبو علي) «كان العديد من الصبية، ينتظر قدوم الوالد من النبطية ومعه مقدار ٣٠٠(غرام من اللحم (للدقّ على البلاطة)، وكانوا يتنافسون لالتقاط (الشروش) من على البلاطة وأكلها[٣]. حينها لم تكن بعض أصناف اللحم المتداولة اليوم كـالمشوي أو الكفتة متاحةً. البرغل والحبوب كانت أطباقًا رئيسةً ودائمةً على المائدة»[٤]. يميّزها عمّا هو سائد اليوم من أطعمة، أنها طازجة ونكهاتها طبيعية دون تعديل في مكوناتها الوراثية، وفيها القليل من الصلصات الدسمة.

ولمّا كانت الزّراعة من أهم القطاعات التي يعتمد عليها العبّاوي في توفير الغذاء وفرص العمل له، ويرتبط مفهوم الفلاحة لديه بالإنتاج وتطوّر أساليبه من

(١) من مشاهدات المؤلف.

(٢) نفس المرجع.

(٣) «بلاطة الكبة هي حجر طبيعي من نوع قاسٍ مسطح، والدقماقة، رأسها من خشب الزعرور لمتانته، والعصا من سنديان» مدونة العرايس: السنة ١٧، مرجع سابق، ص٤١.

(٤) مقابلة مع شريف أمين أحمد خليل، مرجع سابق.

التقليدي إلى العصري، فقد تنوعت مقتنياته من الأدوات الزّراعية بدءًا من «الفدان وهو مجموعة من ثورين والأدوات التالية: النير، الحلقة، المتعة، الوصلة، الزنقة، الزغالي، السباسي، العود، البرك، الناطح، الكابوسة، السكة من حديد، المساس، الكمامات، النقير (وعاء خشبي مسطح لتلقي روث البقر على البيدر لإنتاج قمح نظيف أو يضعه بين يديه ويرمي الروث على الربعة). أما عدة الشغل فهي البلانة، الحالول، المساس، المنجل للسميد، المسرد، المخل، المهدة، الشاكوش، الكماشة، السندان»[١]. أمّا عدّة موسم الحصاد، فكانت مكوّنة من: الدمرج، الزابورة، أصابع القصب، الحورة، المسن. وكان الاندفاع للحصاد يبدأ عند الفطور، ومع اشتداد حرارة الشمس تعمل آلات الحصاد عملها في أيدي الفلاحين وترسل بريقًا مضيئًا عندما تنعكس عليها أشعة الشمس وعند البيدر، يجمع القش ويمد طرحه ويشول ليصار إلى درسه بالنورج، ثم يعرّم عرمة استعدادًا للتذرية. وكانت الرجال تتجمع للعونة وتبدأ التذرية عند هبوب الريح فيشول التبن، والحب يكيل بالمدّ. والمدّ عبارة عن وعاء خشبي أو حديد مدور، ويبدأ الكيل مع نداءات مختلفة متفق عليها على لسان الفلاحين، وتوضع الحبوب في شوالات بعد دفع الزكاة وأجرة الحلاق والناطور وراعي العجال. وبعد انتهاء عملية التذرية يدعى الجميع لأكل ما تيسّر عند الفلاح من مشاطيح، بعابيع مجدرة لبن مهلبية مع البصل والزيتون»[٢]. يلي البيدر يوم الطحن، وهو «يوم شاق لما له من استعدادات للذهاب إلى المطحنة. وقبل أيام من عملية الطحن تخضع الطحنة من قمح وذرة صفراء للتنقية من الزؤان والحجارة والتراب ثم تؤمن الدابة لنقلها إلى المطحنة المتواجدة إما في قعقعية الجسر أو الزهراني - حبوش أو دوار سرور بريقع»[٣]. والجاروشة

(١) مدونة العرايس: السنة ١٧، مرجع سابق، ص٤١.

(٢) نفس المرجع، الصفحات ٤٢-٤٣.

(٣) «قديمًا كانت وسيلة النقل الوحيدة للمطحنة هي حمارة أبو جواد. في المطحنة يدفع عن كل مدّ قمح ثمينة؛ أي جزء من ثمانية أجزاء. وعملية الطحن تجري عندما تتجمع المياه في مجرى النهر داخل بئر الطاحون لتخرج من أسفله بواسطة العالول الذي يركز قوة ضغط المياه على شفرات مروحة كبيرة على دائرة حديدية تسمى فراش الطاحون. ويبدأ خروج الحبوب من الدلو. وعند نفاذه يقرع الجرس ويستخرج الطحين». مدونة العرايس: السنة ١٧، مرجع سابق، ص٤٧.

كانت موجودة في كل دار وتستعمل لجرش البرغل وكافة أنواع الحبوب»[١]. وكان الفلاح العبّاوي يستعين لتحديد مقدار إنتاجه من الحبوب على المقاييس والمكاييل والأوزان على الشكل التالي: الأوقية (٢١٥)غ، الشقلة للمقتة، الأقة (١٠١٨٢)غ، الرطل (٢٠٥٦٤) كلغ، المدّ (١٢٠٥) كيلو، الذرة (١١٠٥)كلغ، الشعير (١٠) كلغ، وحدة المقياس دونم»[٢]. ولتحديد أحوال الطقس اعتُمدت معايير خاصة بالبيئة وهي: الحساب الشرقي والغربي، الأربعينية في الشتاء، البواحير والقمائم في أيلول، المستقرضات، النير الزعروري عندما يزهر الزعرور في أواخر شباط»[٣].

ومع انتقال العمالة الريفية إلى قطاع الخدمات والمهن الحرة والوظيفة العامة والخاصة تغيرت معها اهتماماتها الحياتية، لا سيما ما يختص بموقع البيت ومستلزماته. وإذا اعتمدنا البيت العبّاوي نموذجًا، نرى بوضوح نمط هذا التغير. ففي عصر التكنولوجيا اختلف مقتنى البيوت وحلّ عصر التليفونات والتطبيقات الذكية، وأصبحت جزءًا من كافة عناصر حياتنا وليست استثناءً. فالعديد من راغبي العقارات يتوقعون امتلاك أحدث الأدوات والمميزات الفائقة التكنولوجيا المثبتة قبل الشراء. كما تغيرت في السنوات الأخيرة توجهات تصميمات المطبخ بشكل واضح، وأصبح اليوم غرفة ضمن المنزل، تحتوي على موقد وفرن يعملان على الغاز أو الكهرباء (حسب الجدوى الاقتصادية) وثلاجة لحفظ الطعام، ومغسلة لأدوات الطبخ والمائدة، وطاولة لتحضير المواد اللازمة للطبخ، وخزائن مبنية في جدران المطبخ لتوضيب أدوات الطبخ والقدور ومواد التنظيف. ويمكن للائحة موجودات المطبخ أن تتجاوز هذه الأساسيات لتضم أيضًا جهاز ميكروويف وجلاية كهربائية، ومطاحن ومعاصر كهربائية، وغير ذلك من الأدوات والمبتكرات

(١) «هي عبار عن طبقتين من الحجر البركاني الأسود الصلد، يجمع بينهما وتد مثبت في وسطهما مع وجود فتحة دائرية صغيرة حول الوتد تستعمل لإنزال الحبوب منها بين ثنايا الحجر السفلي والعلوي ليطحن، ويثبت على طرف الحجر العلوي وتد آخر لتحريكه دائريًّا، بينما الحجر السفلي ثابت، وهكذا تتم عملية الطحن». صورة رقم (١٢). نفس المرجع، ص٤٤.

(٢) نفس المرجع، ص٤٢.

(٣) نفس المرجع، ص٤٤.

التي يظهر الجديد منها في الأسواق كل يوم لتسهّل أعمال المطبخ على ربة المنزل. وحيث الرغبة في إيجاد منزل ممتاز في المكان المثالي هي الأهم في أذهان معظم الريفيين والعامل رقم واحد تأثيرًا على قرار الشراء. نرى كل ما تبقى من حياة ريفية قائمة على أدوات ومقومات العمل الزراعي أصبحت تراثًا من الماضي يندر وجوده، إلا في بعض البيوتات على سبيل الديكور ليس إلا.

بعض الاستنتاجات:

تأثرت الخصائص الأساسية والمفردات المعمارية للبيوت الريفية الطينية في عبّا بالموقع الفلكي للبلدة، هذا الموقع لم يمنحها أية مقومات تسمح لها باستغلال ما تمتلكه من موارد محلية زراعية متواضعة، يمكنها من الاتصال بالأسواق الخارجية. لذا بقيت دورة الإنتاج فيها محصورة بالحاجات الشخصية للمزارع. وسنلاحظ أن التأثيرات السلبية لهذا الواقع على الجانب الاجتماعي والاقتصادي والصحي والتعليمي، دفعت بأبنائها في أوقات مختلفة إلى مغادرتها بحثًا عن فرص حياة أفضل.

وإذا ما أردنا أن نتخيل مشهدًا، حول توزّع دُور العائلات والحارات والأحياء في البلدة، افترضنا أنها تُوجَدُ على هضبة أو ربوة تحيط بها منحدرات هي أشبه بأودية قليلة العمق، وغالبية دور العائلات كانت متلاصقة مراعاةً لطبيعة الحياة الاجتماعية والظروف المناخية المحيطة بهم. وكان الشكل الذي رست عليه البلدة في ذلك الحين، بين المربع والدائري. ولم تبدأ البلدة بالتوسع، إلا مع نهاية الأربعينات، ومع هذا الاتساع أضيف إلى البلدة أسماء زواريب وحارات وأحياء جديدة، ومعه أخذ الطراز المعماري لمنازل عبّا، بالتحول مع دخول حجر الإسمنت والحديد الصلب كمادة أساسية في العمارة المعاصرة.

انتهجت عبّا كغيرها من القرى نهج العولمة والحداثة، وكان الاتجاه الغالب على هذا التيار هو الفردية في التصميم، وسيطر عليها شيء من الصناعة والعشوائية، وأنتج أشكالًا هجينة ومتناقضة وغريبة عن تاريخ جبل عامل وهويته الحضارية.

وبذلك تغيرت الوظيفة الاجتماعية والاقتصادية للبيت العباوي، وأصبح عرضة لطمر الجانب الاجتماعي وإضعافه، وذلك بتقطيع أوصال البلدة وتفكيكها وعزل أحيائها، وبذلك تقلصت عمليات التزاور والالتقاء بالأصدقاء والجيران، بعدما كانت هذه العلاقات التزامًا اجتماعيًّا وقيمًا وثوابتَ، جاءت الحداثة لتمنحها التبريرات للتخلص منها.

ومع انتقال العمالة الريفية إلى قطاع الخدمات والمهن الحرة والوظيفة العامة والخاصة تغيرت اهتمامات الحياة، لا سيما ما يختص بموقع البيت ومستلزماته، كما تغير الدور الوظيفي الاقتصادي له، وأصبح تصميم البناء مرتبطًا بمجالات تراعي احتياجات العائلة، من مصادر مياه وصرف صحي، وطاقة وتدفئة، وإدارة نفايات، إضافة إلى وسائل التكنولوجيا الحديثة. وهكذا اختفت مستلزمات البيت القروي التقليدية. ففي عصر التكنولوجيا اختلف مقتنى البيوت وحلّ عصر التليفونات والتطبيقات الذكية. وهكذا نرى أن كل ما تبقى من حياة ريفية قائمة على أدوات العمل الزراعي ومقوماته أصبحت تراثًا من الماضي يندر وجوده، إلا في بعض البيوتات على سبيل الديكور ليس إلا.

الفصل الثاني:

وسائل المواصلات والنقل والاتصال في عبّا وتطورها مع المحيط

الطرق ووسائل المواصلات من عبّا وإليها:

حتى نهاية الخمسينات من القرن الماضي كان الانتقال من عبّا باتجاه الشرق إلى النبطية يمثل رحلة عذاب سببها صعوبة سلوك الطريق الترابية الممتدة من قلعة الصعبة عند أطراف البلدة، مرورًا بالزغرين عند أطراف بلدة جبشيت حتى الوصول إلى الطريق العامة المعبّدة في مرج بلدة حاروف المؤدية إلى زبدين والنبطية، كذلك كان الحال بالاتجاهات الأخرى إلى البلدات المجاورة؛ الدوير وعدشيت والقصيبة. في تلك المرحلة كانت وسائل التنقل تقتصر على الإبل والبغال والحمير، أو سيرًا على الأقدام. وكان العبّاويّون رجالًا ونساءً يحملون حاجتهم على ظهورهم أو رؤوسهم. ولأن الانتقال كان يستغرق الكثير من الوقت والجهد، فقد شكّل ذلك للأهالي سببًا لعدم الإكثار من الانتقال إلا عند الضرورة، الأمر الذي جعل من البلدة تعيش حالة العزلة الاجتماعية والاقتصادية عن محيطها.

عن تلك المرحلة، يقول شريف عبد اللّه جواد خليل: «كان، من يريد الانتقال إلى القرى المجاورة تلبيةً لمناسبات الأفراح والأتراح، أو إلى سوق الاثنين (الميسورون فقط) كل أسبوع في النبطية، كان يمتطي الدواب من حمير أو بغال أو خيل. وحيث لا يوجد طرقات معبدة، كان يسلك طرقًا ترابيةً تبدأ من الوطى (قلعة

الصعبة) ثم الزغرين - جبشيت، مرج حاروف، زبدين، النبطية»[١]. ومع ظهور السيارات، دخلت واحدة منها إلى بلدة حاروف وهي من نوع فورد (أبو دعسة) لصاحبها موسى كركي، وهو من أبناء البلدة، وكان دخولها لأول مرة. وبعدما اتخذ صاحبها من ساحة البلدة محطة دائمة لها، أصبح أهالي عبّا ينتقلون أولا إلى بلدة حاروف سيرًا، ومن ثم ركوبًا بها إلى النبطية أو إلى بيروت.

كان تعيين أحمد بك الأسعد وزيرًا للأشغال العامة للمرة الثانية في حكومة سامي الصلح في (١/ ١٠/ ١٩٤٩م)، مناسبة لأهالي البلدة لتوقيع عريضة تولى إيصالها له السيد توفيق علي حسين أحمد، ناشدوه فيها بإنجاز جملة مطالب لهم: شقّ طريق عام للبلدة، إصلاح برك المياه والعيون والمجاري الواصلة إليها، ترميم حائط المسجد، بناء مدرسة، وتعيين لجنة مسح لأراضي البلدة. فما كان من البيك إلا أن استجاب لمطالبهم ونفذ المشاريع خلال عام واحد...»[٢]. وبحسب ما يروي خليل توفيق ترحيني في مدوّنة العرايس، أنه «بعد الانتهاء من التخطيط حضر الملتزم ومعه فرقة من (١٠٠) عامل وعاملة وأولاد وابتدأ العمل... لمّا وصلت الأعمال إلى منزل الحاج عبدو معلّم، بقيت مشكلة الساحة؛ لأنها ملك لآل خليل، تزرع بمشاتل ودخان وقمح، فيها تلال في الوسط وطريق فرعية في أطرافها... فطلب كبار القوم -منهم السيد عبدو حسين أحمد- من وجهاء آل

---

(١) مقابلة مع شريف جواد خليل، مرجع سابق.

(٢) «لأن العمل حينها كان يتم بموجب فاتورة وليس مناقصةً. أعطى البيك أوامره بتنفيذ طريق عبّا - جبشيت حالًا. وما هي إلا أيام قلائل حتى حضرت لجنة من المهندسين لتخطيط الطريق وشقها وتعبيدها: مجلة العرايس، السنة ١٧، مرجع سابق، ص٢٥.

«قام اثنان من المهندسين بتخطيط الطريق عند أول البلدة لجهة جبشيت، ومرّت من أمام منزل عبد العزيز ترحيني حاليًّا. أما الطريق الحالية الممتدة من مفترق الطريق القديمة وصولًا إلى محطة وقود (أبو عباس دياب)، فقد تم استملاك أجزاء من العقارات المارة فيها. جزء منها من عشرات الأمتار من عقار يقع قِبالة منزل الدكتور علي شريف ترحيني، وقبضت ثمنها ٢٥٠ ليرة». مقابلة مع سعيد إبراهيم يونس مرجع سابق.

«عند تنفيذ أشغال الطريق، قامت النسوة والشابات في البلدة بنقل الحجارة بطريقة بدائية بعد جمعها من هنا وهناك وحملها بـ(قفّة) على رؤسهن لرصفها«. مقابلة مع محمد خليل، مرجع سابق.

«كذلك أخبرتني والدتي علية علي يونس أنه تم إشراك فتيات من البلدة في جمع الحجارة في وعاء حديدي (لكن) وحمله مسافات على رؤوسهن لرصف الطريق، وكانت هي وونسة عبدو حسين أحمد من بينهن».

خليل حلّ هذه القضية وتقديم الساحة للبلدة... فبادر مع السيد توفيق للتوسط لرفع الأحكام بحق السيد أحمد حسن خليل والسيد عبد اللّه جواد خليل، وقابلا الزعيم أحمد الأسعد، الذي كلف النائب والمحامي إبراهيم عازار حل هذه القضية»[(١)]. ما يعزز صحة هذه الرواية، هو ما ورد في الصحيفة العقارية للبلدة، حيث تبين بعد المطابقة أن العقار (المتنازل عنه) يحمل الرقم (٢٦١٠) مساحته (١١٨م٢)، هو مشاع لعموم البلدة وليس ملكًا، وهو يتوسط الطريق ويجعلها مسلكين بدلًا من واحد. وربما كانت زراعته من قِبَل شاغليه وقت (التنازل عنه). يعزز هذا اليقين أن العقار المقابل له رقم (٦٤٣) (هو الآن جبّانة ـ آل خليل) أيضًا مشاع لعموم البلدة. وهكذا، بعد أن تُرك العقار من شاغليه أصبحت الطرق مسلكًا واحدًا وعُبّدت، مما أتاح للسيارة الدخول إلى البلدة عبر الساحة العامة وأصبح الانتقال إلى جبشيت مباشرة بالسيارة»[(٢)]. وأوجد شقّ الطريق العامة وتعبيدها حالة تنافر، وسببًا للكيدية بين قلّة من رجالات البلدة، باعتبار أن التصدي للشأن العام والاتصال بالزعامات المحلية يضع البعض منهم في موقع الوجيه المقدام الساعي في سبيل المصلحة العامة للبلدة[(٣)].

ولأن المجتمعات الحضرية ـ سواء الريفية منها أم المدنيّة ـ لا يمكن أن تتطور وتتفاعل مع الآخر بمعزل عن محيطها الضيق والواسع، كان شق الطريق وتعبيدها قاعدة انطلاق، أولى بداياته كانت باعتماد وسائل نقل حديثة للانتقال من البلدة

---

(١) مدونة العرايس: السنة ١٧، مرجع سابق، ص٢٥.

(٢) «كانت فرحة الناس عارمة، خاصة النساء اللواتي كنّ يمررن أيديهن عليها كأنهن يتبركن بها وكنّ يضعن في داخلها ما تيسّر لديهن من عقود خرز. وكان صاحب السيارة يقول لهنّ: اخلعن أحذيتكن قبل الصعود إلى داخلها«. مقابلة مع شريف جواد ترحيني خليل، مرجع سابق.

(٣) «كان عبد اللّه جواد خليل والد زوجة شريف أمين (أبو علي) عند ذهابه إلى النبطية لا يسلك طريق الكرّوسي لأن غريمه السيد توفيق علي حسين أحمد هو من سعى بتنفيذها. واستمر على هذا النحو قرابة عشر سنين يركب الدّابة سالكًا طريق الزغرين ثم وطى حاروف وصولًا إلى مفرق مدرسة نظام حوماني نحو تول ومنها إلى النبطية. ولم يسلك طريق الكرّوسة إلا عندما اشترى ابنه جواد سيارة، كان قد سبقه في ذلك أبو علي شريف وكذلك السيد أبو سعد اللّه علي أحمد حسن خليل». من مرويات المجالس الخاصة للعلاّمة السيد محمد حسن ترحيني، نقلها إلينا نجله حسن بتاريخ آذار ٢٠١٨م.

وإليها. ففي الخمسينات، كان «أول من اقتنى سيارة في عبّا، حسين علي مصطفى وقاسم قاووق، وكانت من نوع فورد، عمِلا عليها في بيروت، بعد أن استعانا بشخص من سكانها تولى تعليمهما القيادة»[١]. وفي الستينات بادر كل من شريف أمين أحمد خليل (أبو علي) وجواد عبد اللّه جواد خليل لشراء سيارة ثمنها مناصفة بينهما، ولأن شريف لم يكن يعرف قيادتها كان على جواد تعليمه؛ لكونه حائزًا على إجازة سوق رقمها (٣٩٥٣١)، تاريخ إصدارها (١٩٤١م) وقد دفع رسمًا ماليًّا مقداره خمس ليرات. السيارة كانت من ماركة شفروليه موديل (١٩٤٥م) ولم تكن جديدة، عملا عليها مدة أربع سنوات، إلى أن اشترى كل واحد منهما سيارة من نوع دوزوتو ثمن الواحدة (١٠٠٠) ليرة لبنانية. وعملا على خط النبطية عبّا، وكانا يتزاحمان للفوز براكب. السيارة لم تكن تحمل لوحة عمومية[٢]، والتعرفة كانت خمسة قروش (قرش مثقوب). فيما بعد اشترى سليمان عميص سيارة مرسيدس، وهكذا أصبح في عبّا أربع سيارات بالتزامن مع خطوة آل المقدم في النبطية عندما افتتحوا بالشراكة مع لطف اللّه ربيز كاراجًا لنقل الركاب، ولأجل ذلك استقدموا ثلاث بوسطات متوسطة الحجم لنقل الركّاب تعمل على خط النبطية - بيروت وبالعكس[٣].

(١) مقابلة مع شريف أمين ترحيني خليل، مرجع سابق.

(٢) في الأول من شباط ١٩٥٣م صدر قانون تحديد عدد السيارات العمومية في لبنان، وجاء في المادتين الأولى والخامسة منه ما يلي: «المادا١ : تعطى سيارات السياحة الخصوصية التي تعمل بالأجرة في أراضي الجمهورية اللبنانية لوحات عمومية على ألا يزيد عدد سيارات السياحة العمومية بعد هذا التدبير على ثلاثة آلاف ومئتي سيارة، وتعطى لوحة واحدة فقط للمالك أو لورثته مهما كان عدد السيارات الخصوصية المسجلة باسمه على أن تكون الأفضلية لمن كانت مهنته سائقًا عموميًّا. المادة٥: لا تباع اللوحة العمومية المعطاة لسيارة خصوصية وفقًا لأحكام هذا القانون قبل انقضاء سنة كاملة على تسجيلها. الجريدة الرسمية العدد ١، تاريخ ١/ ١/ ١٩٥٣م.

(٣) مقابلة مع جواد عبد اللّه جواد خليل مرجع سابق.
وفي تفاصيل أخرى رواها شريف أمين (أبو علي): «في بيروت كان جواد يقود السيارة وأنا جالس قربه بصفة (معاون). وعندما تنازعت معه لأنه لم يعلمني القيادة، قمنا بفضّ الشراكة بعد إعطائه نصف ثمنها، فأعطيته ١٥٠٠ ليرة. بعد ذلك قصدت بيروت وتعلمت القيادة في حرش بيروت على سيارة نوع جيب، وحصلت على إجازة سوق رقمها ١٢٠، وكان الرسم المالي للتعلّم والإجازة ١٢٥ ليرة. وفي سنة ١٩٦٥ م بعت الـدوزوتو واشتريت ستايشن تسع لـ٨ ركاب، وبسبب التزاحم على الركّاب مع جواد عبد اللّه جواد خليل والسرعة =

تطوّر حركة نقل الركاب والمنتجات الزراعية بين عبّا والمحيط:

التطور الخجول في هوية البلدة بشقيه الاجتماعي والاقتصادي والذي تمثل بدخول عدد محدود من المركبات، لم يتجاوز قطاع النقل الموسمي لفئة من العبّاويين الذين اختاروا العيش في بيروت وضواحيها شتاءً وفي البلدة صيفًا. في حينه كان انطلاق السيارات خاضعًا لتوقيت ثابت عدا الحالات الطارئة، الانطلاق منها صباحًا والعودة إليها مساءً. وكان ذلك وليد نمط عيش ورغبة من (العبّاويّين – البيارته) ترك المدينة صيفًا طلبًا للهدوء والراحة وتحضيرًا لمؤونة الشتاء من برغل وزعتر وزيتون وزيت وشراب (صلصة البندورة) وغيرها من الأصناف. وهي حركة كانت تبدأ في أول الصيف من كل سنة وتنتهي منتصف أيلول، كان يتخللها حركة خفيفة خلال الأسبوع تشتد في نهايته يومي السبت والأحد، أو حركة يومية خفيفة باتجاه النبطية تشتد أول يوم من كل أسبوع للتسوّق من سوق الاثنين في النبطية.

عن تلك المرحلة، يقول شريف أمين (أبو علي): «في الستينات قبل بدء الحرب الأهلية، كنّا نتجمع في الساحة العامة ننتظر من يود التسوّق من النبطية، والطلاب لنقلهم إلى مدارس جبشيت أو النبطية، وكانت تعرفة نقل الطلاب (٨) ليرات شهريًّا. أو نقل من كان يريد عيادة المرضى في بيروت، أو نقل من كان يسكن فيها لقضاء فصل الصيف في البلدة. يوميًّا كنّا صباحًا نقصد بيروت ونتقاضى مبلغ (٣) ليرات توصيلة لـبرج حمود، النبعة، البسطة، خندق الغميق وغيرها من أحياء بيروت والشياح في الضاحية الجنوبية ونعود إلى البلدة عصرًا. وكان دكان إبراهيم قاسم عميص (الحلاق) في منطقة خندق الغميق مكانًا لتسجيل الأسماء وحجز الأماكن،

= الزائدة للوصول إلى النبطية تعرضت لحادث، كان من نتيجته أن تحطمت السيارة ولم تعد صالحة للسير. اشتريت سيارة أخرى ماركة مرسيدس موديل ١٩٦٥ م قام حاجز للدرك عند مفرق بلدة حاروف بحجزها لمدة ٣ أيام بسبب نقل الركاب في سيارة لوحة التسجيل خصوصي، دفعت حينها ١٥٠ ليرة فك حجز، إلى أن صدر قرار بإعطاء كل شخص لديه لوحة تسجيل خصوصي، أخرى عمومي على أن يدفع مبلغ ٦٠٠ ليرة». مقابلة مع شريف أمين ترحيني، مرجع سابق. من الأشخاص الذين حازوا على إجازة سوق، محمود حسن ترحيني، تولد ١٩٢٧ م عبّا، تاريخ الإصدار ١٩٥٠ م، مع الإشارة أن محمود تسلّم مع الدفتر بتاريخ ٥/ ٣/ ١٩٥٠ م نسخة عن مخالفات السير. وثيقة رقم (٢٦).

وكان من أصحاب السيارات، حسن علي حسن خليل ترحيني (المختار) محمد أحمد سلامي (ابوقاسم) سليمان عميص، جواد عبد اللّه جواد خليل، حسن وهبي يونس محمد هارون (أبو الفضل) خليل محمد حسن خليل ترحيني وغيرهم»[١]. أمّا على المستوى الاقتصادي، فقد شجّع اقتناء السيارات لأجل العمل، بعض المزارعين الواحد تلو الآخر على استقدام جرارات زراعية حديثة لحراثة الأرض بعدما كان يُعتمد فقط على الأبقار والحمير والبغال. وكان حسين حسن قاسم أحمد كلوت (أبو علي) أول من استقدم جرارًا زراعيًا (تراكتور) للبلدة ماركة (Massey Ferguson) موديل (١٩٦٤م)[٢]. ومع توفر صناعة الحدادة الإفرنجية وتطورها، أصبح بالإمكان إضافة مقطورة واحدة للجرار، وبذلك تشعبت استخداماته وأصبح بالإمكان نقل المحاصيل الزراعية على تعدد أصنافها من البلدة وإليها وبمقطورة أخرى نقل المياه للمنازل والحقول[٣]. من ثم استقدم علي البرجاوي الملقب بـ(الهونيني) جرارًا، تلاه أمين عبدو معلم (أبو حسن) وجميل محمد حسن خليل، وكامل حسين إبراهيم حمود. وفي السنوات الأخيرة عباس أحمد محمود يونس، وقاسم علي محمد قاسم ترحيني وعلي أحمد حسين (ياسمين). وكانت حركة النقل بالسيارة تنشط خلال شهري تموز وآب من كل سنة لنقل ما يفيض عن حاجة البلدة من ثمار الصبّار الذي كان يباع في بيروت ويلاقي إقبالًا من البيارتة نظرًا لجودته مقارنة مع أصناف أخرى.

مع بداية الثمانينات توالى اقتناء السيارات السياحية (خصوصي) لمن أتيح لهم العمل في بيروت ومارسوا المهن الحرة والتجارة أو عملوا في الوظائف العامة والمؤسسات الخاصة، ومن هؤلاء يوسف علي يونس عندما تشارك وشقيقه محمد

(١) مقابلة مع شريف أمين ترحيني خليل، مرجع سابق.

(٢) يقول ولده علي: إن والده كان مقيما في بيروت ويعمل بها، وعندما قرر في العام ١٩٦٤م الإقامة في البلدة اشترى جرارًا زراعيًّا ماركة Massey Ferguson موديل ١٩٦٤م غير مستعمل ومقسط ثمنه شهريًّا. وكونه لا يجيد قيادته أوكل العمل عليه لفترة لشخص يدعى دباح علي علي وهو سوري الجنسية من مدينة طرطوس تزوج من فاطمة يوسف معلّم وانجب منها، وأقام في البلدة لمدة ٣٥ عامًا إلى أن توفي في العام ٢٠٠٥م، تولى بعدها العمل بنفسه مقابلة مع علي حسين كلوت.

(٣) كان حسين حسن قاسم أحمد كلوت يقصد بلدة القصيبة اونبع سهل الميدنة في كفررمان لجلب المياه للبلدة. في العام ٢٠٠٠م باع والده الجرار، بعدما لم يعد يستطع العمل. مقابلة مع علي حسين كلوت.

عام (١٩٧٢م) على سيارة من نوع فيات موديل الستينات، ثم سيارة أخرى ماركة لادا غير مستعملة موديل (١٩٧٢م). كما اقتنى محمد علي دياب (أبو عباس) سيارة فيات، سبقه في هذه الخطوة أحمد صالح (أبو صلاح)، وأبو سعد اللّه اقتنى سيارة مرسيدس (٢٨٠) عريضة، وبضع عشرات آخرين[1]. لكن هذا الانفتاح، لم ينقل البلدة من مجتمع زراعي راضٍ بالكفاف من مستلزمات العيش، إلى مجتمع لديه ركيزة للأعمال التجارية ومنخرط إنتاجيًّا بكامل الدورة الاقتصادية. ويعود السبب في ذلك، أن السلطة المركزية لم تواكب حركة مدن الأطراف وقراها ومن بينها عبّا بخطوات تنموية، خاصة شبكة الطرق التي تصلها بغيرها من قري المحيط والتي بقيت حتى وقت قريب عبارة عن مخططات مرسومة على الخرائط ولم تبلغ مرحلة التنفيذ لتمكينها من أن تكون عقدة وصل بين البلدات المجاور، ومكان عبور يجلب الاستثمارات إليها.

ومع ذلك كانت بدايات التسعينات مختلفة كليًّا عما سبقها وشهدت وتيرة متسارعة في اقتناء السيارات، شجع على ذلك السماح باستيراد المستعمل منها من أوروبا بأسعار لا تقارن بسعر السيارات الجديدة، إضافة إلى انخراط عدد من أهالي البلدة بالاستيراد، وفي الوقت الراهن إذا ما اعتمدنا (١٤٠٠) رقمًا وسطيًّا لعدد المنازل والمحال والمؤسسات الخاصة في البلدة، بالاستناد إلى إحصاءات البلدية والمشتركين بالشبكة العامة لمؤسسة كهرباء لبنان والمشتركين بإمدادات المياه من مؤسسة مياه لبنان الجنوبي والمشتركين بالكهرباء من المولّد الخاص التابع لمؤسسة التاج لتوزيع الكهرباء[2]، واحتسبنا وجود سيارتين على الأقل في كل منزل، أصبح من المفترض وجود (٢٨٠٠) سيارة أو (آلية) من كافة الأنواع العدد الأكبر منها للاستعمال الشخصي (خصوصي) عدا عن وجود عدد غير محدد من الدراجات النارية. وهذه الفئة من السيارات، لا يمكن تسميتهم. أمّا باقي

(١) مقابلة مع محمد علي دياب، مرجع سابق.

(٢) وفقًا لإحصاءات مؤسسة التاج لتوزيع اشتراكات الكهرباء بالمولد في عبّا، يوجد ١٥١٢ مشتركًا أي منزلا. وعدد المشتركين بمؤسسة كهرباء لبنان ١٢٦٧ مشتركًا. ويقارب هذا العدد إحصاءات بلدية عبّا وإحصاءات مؤسسة مياه لبنان الجنوبي.

السيارات فتحمل لوحات عمومية تعمل ما بين عبّا وكل الاتجاهات. والبعض الآخر اقتنى شاحنات لنقل مواد البناء والأتربة وآلات حفر على أنواعها. وهي مبيّنة في الجداول التالية:

جدول بتوزع الآليات على الأسر في عبّا وأنواعها ووجهة استعمالها خلال الستينات:

اسم صاحب الآلية	النوع	وجهة الاستعمال
حسين على مصطفى وقاسم قاووق	فورد	مشتركة / للعمل
شريف أمين أحمد خليل (أبوعلي) وجواد عبد اللّه جواد خليل	شفروليه موديل (١٩٤٥) ثم دوزوتو	مشتركة / للعمل
سليمان عميص	مرسيدس	للعمل
حسن علي حسن خليل ترحيني	مرسيدس	للعمل
محمد أحمد سلامي (أبوقاسم)	مرسيدس	للعمل
حسن وهبي يونس ترحيني (أبوالفضل)	مرسيدس	للعمل
خليل محمد حسن خليل ترحيني	مرسيدس للعمل	للعمل
حسين حسن قاسم أحمد كلوت (أبو علي)	جرار زراعي (١٩٦٤)	للعمل
جميل محمد خليل ترحيني	جرار زراعي	للعمل
كامل حمود ترحيني (أبو علي)	جرار زراعي	للعمل

اسم صاحب الآلية	النوع	وجهة الاستعمال
يوسف علي يونس محمد علي يونس	فيات موديل الستينات واخرى ماركة لادا موديل (١٩٧٢)	سياحة
محمد علي دياب (أبو عباس)	فيات	سياحية
أحمد صالح (أبو صلاح)		
أبو سعداللّه	مرسيدس (٢٨٠) عريضة	سياحية
محمد نعيم عبدو معلّم	أوبل	سياحية
هاني شريف يونس	بيجو	سياحية

جدول بتوزع الآليات على الأسر في عبّا وأنواعها

ووجهة استعمالها خلال التسعينات وما بعدها:

اسم صاحب الآلية	النوع	وجهة الإستعمال
سالم حسين حسين أحمد وأولاده	شاحنة - جرافة - بوكلن	للعمل
أبو علي أحمد دياب وأولاده	شاحنة - جرافة - بوكلن	للعمل
أحمد سلامة وإخوته	شاحنة - جرافة - بوكلن	للعمل
أولاد حسن علي حسن (المختار)	شاحنة - جرافة - بوكلن	للعمل
المهندس محمد يونس	بوكلن	للعمل
علي كلوت	بوكلن	للعمل
محمد عبد الحسين حمود ترحيني	بوبكات وبوكلن وشاحنة	
عباس أحمد يونس	جرار زراعي	للعمل

اسم صاحب الآلية	النوع	وجهة الإستعمال
قاسم علي محمد قاسم ترحيني	جرار زراعي	للعمل
علي أحمد حسين ترحيني	جرار زراعي - حصّادة	للعمل
عموم أهالي البلدة	سيارات خصوصية	خصوصية
داوود محمد خليل ترحيني، محمود خليل محمد خليل ترحيني، محمد أحمد علي مصطفى ترحيني، عباس عبد اللّه حمود ترحيني، حسين علي يونس هارون، يوسف علي يونس ترحيني، محمد علي ترحيني (أبو حنان) حسين أمين عبدو معلّم، ماجد عبد اللّه ترحيني، إبراهيم حسين ترحيني، انيس رشيد ترحيني، علي رشيد ترحيني، محمد حسن ترحيني، عبد العزيز ترحيني، عباس أبو زيد، إبراهيم حسين علي مصطفى ترحيني، أديب عميص، علي قاووق، يوسف حرب، عبد الكريم ترحيني، عبد الكريم عبد الرسول ترحيني، عباس معلّم، حسن علي قاسم ترحيني، علي حسين مرتضى ترحيني، حسن شريف ترحيني، حسن محمد ترحيني، محمد علي يونس ترحيني، حسن قاووق، عباس خليل قاووق، نبيل عميص. حسن سلامة، أحمد حريري، وكامل ترحيني.	(سيارات عمومية) (فان نقل عمومي)	للعمل

تطور شبكة الطرق الداخلية والعامة في عبّا:

يُعَدُّ تطور طرق النقل موازيًا لتطور الحضارة الإنسانية، إذ استطاع الإنسان من خلاله الوصول إلى الرفاهية التامة في التنقل في مكان إقامته وحول العالم. مع تطور الطرق البرية تطورت السيارات، وأصبح النقل البري أبرز أنواع النقل وأسهلها. فبعدما كان تنقل الأشخاص والبضائع يتم في الأماكن الوعرة بواسطة الحيوانات أصبحت السيارات الوسيلة الأكثر استخدامًا وشيوعًا. فيما مضى كانت الطريق محلّ اهتمام ومطلب دائم للعبّاويين بشقها وتعبيدها. ولمّا تحقق ما طالبوا به في العام (١٩٤٦م)، انتهت أعمال التحديد والتحرير في (١١/ ١١/ ١٩٥١م) بإدراج الطريق على الصحيفة العقارية للبلدة. إلا أن التصميم الهندسي شابه الكثير من العيوب، ومردّ ذلك أن فريق التحديد والتحرير عندما قام بمسح أراضي البلدة ومن ضمنها الطرقات اعتمد عند تحديد المسار الطولي والسطح العرضي للطرقات، حدود العقارات بأشكالها المتعرجة. وهكذا ظهر سطحها بسعات مختلفة يتراوح بين المتر ونصف والأربعة، لأن فريق التحديد لم يكلّف في حينه لجنة مهندسين لتقويم الاعوجاج، سواء بالاستملاك أو برضى أصحاب العقارات، ربما لعدم وجود صلاحية لديه للقيام بذلك. وهكذا سلكت الطريق العامة من مدخل البلدة الشرقي من ناحية جبشيت حتى الساحة العامة، في أماكن كثيرة خطًّا متعرجًا[1]. هذه التعرجات تم تجاوزها وتسويتها حينًا باعتماد قياس عرضي موحد للإسفلت على طول امتداد الطرق وأحيانًا باقتطاع أمتار قليلة من بعض العقارات في أماكن ضيقة للغاية، برضى أصحابها.

رغم توزع الطرق الرئيسية في عبّا بحسب أعمال التحديد والتحرير (المساحة) عام (١٩٥١م) على أربعة محاور هي: عبّا - جبشيت، عبّا - الدوير، عبّا - القصيبة - عدشيت، عبّا الزرارية - أنصار- بريقع، إلا أن العبّاويين لم ينعموا بفوائدها

(١) مثال على ذلك: يبلغ عرض سطح الطريق عند نقطة (تعاونية يحيى عميص) المتر ونصف، وهي أدنى نقطة على طول مسار الطريق. لمزيد من التفصيل، ينظر خارطة بلدة عبّا المدرجة على الصحيفة العقارية. يلاحظ بوضوح التعرجات بحيث تتسع في مكان وتضيق في آخر.

جميعًا؛ لأن ما نفّذ في حينه كان فقط طريق عبّا - جبشيت. أمّا بقية الطرق فقد بقيت ترابية، وفيها الكثير من العوائق ولا تصلح إلا لسير الدواب؛ لذلك، يُعَدُّ محور عبّا - جبشيت أول طريق معبّدة تصل البلدة بالمحيط المجاور وبيروت فضلًا عن اعتمادها على مرّ السنين مكانًا تقليديًّا للمسير (الكزدورة) والاحتفال بكافة المناسبات الاجتماعية.

وفي العموم، مرّت المحاور الأربعة بمراحل تطور مضطردة لعب فيها الظرف السياسي والقوى المسيطرة على مقدرات الإنماء دورًا حاسمًا في تقريره. وباستثناء المحور الأول، فإن المحاور الثلاثة المتبقية قد شابها الكثير من العيوب في تصميمها الهندسي، لم يباشر فيها الأعمال من شقّ وتعبيد كمحور عبّا الدوير إلا بدءًا من منتصف السبعينات، وبقية المحاور في التسعينات من القرن الماضي وبدايات الألفية الثانية.

المحور الأول: الطريق العام عبّا - جبشيت ويبلغ طولها بدءًا من الساحة العامة ومرورًا بمفترق بلدة الدوير صعودًا إلى حيّ بيدر زيدان وعين الفوقا وصولًا إلى محطة دياب للمحروقات حوالي (١٦٠٠)م. وبالرغم من اعتبارها من المسالك الرئيسة المؤدية إلى البلدة مقارنة مع غيرها، فقد بقيت من تاريخ تعبيدها أول مرة عام (١٩٤٦م) ولغاية (٢٠١٣م) لا يتجاوز سطحها أربعة أمتار، وكل الأشغال التي أجريت عليها لم تتعد أعمال الصيانة الدورية. تشهد الطريق يوميًّا أكبر حركة مرور بالاتجاهين من وإلى مركز القضاء وأماكن أخرى. ويتوزع على جانبيها مرافق اقتصادية وخدماتية وبنى تحتية رئيسة.

وعندما قامت البلدية عام (٢٠١٣م) بأعمال التوسعة بالتعاون مع وزارة الأشغال العامة أصبحت في أماكن كثيرة بعرض يتراوح بين (٩) و(١٢) مترًا، وأصبحت أمرًا واقعيًّا مسلّمًا به، من دون الحاجة إلى تنفيذ استملاكات للمساحات المقتطعة. يتفرع من هذه الطريق، بدءًا من الساحة العامة حتى محطة دياب للوقود على أطراف بلدة جبشيت، طرقات داخلية عدة بالاتجاهين الجنوبي والشمالي تربط المجتمعات السكانية بعضها ببعض. أولى التفرعات هي بالاتجاهين: الاتجاه

الجنوبي من مفرق الدوير البركة مرورا بالجبّانة - محور السموقة وصولًا لمفترق خلة النبيّة - البركة وهي بطول (٣٧٠)م. وهذه الطريق مدرجة على الصحيفة العقارية للبلدة غير معبّدة بالكامل، ويتفرع منه بدءًا من الجبانة طريق يمرّ بالسموقة وصولًا إلى حدود جبشيت ويبلغ طوله (١٢٢٠)م ومدرج. والاتجاه الشمالي، وصولًا حتى المدرسة الرسمية ومنها إلى بلدة الدوير، وهذه أيضًا مدرجة على الصحيفة العقارية. وثاني التفرعات المستوصف من منزل (أبو توفيق) حسين أحمد حتى حسينية الزهراء وهي بطول (١٧٠)م مدرجة ومعبّدة. وثالث التفرعات بالاتجاه الجنوبي تبدأ من منزل أحمد السيد حسين - قلعة جرين الحجل لغاية بيت قاسم قاووق. وهي بطول (٦٠٠)م مدرجة ومعبّدة. وما تبقى منها باتجاه خزان مياه البلدة غير مدرج، وإنما كان قائمًا باتفاق رضائي بين أصحاب العقارات وأقفل عند العقار رقم (٢٠٩٨) بقرار قضائي صادر عن قاضي الأمور المستعجلة في النبطية بتاريخ (٣١/ ٣/ ٢٠١٧م). ورابع التفرعات تبدأ من منزل علي صالح حتى قلعة الصعبة وصولًا إلى المدرسة الرسمية بطول (٣٣٠)م، وهو غير مدرج ثلثه مقتطع من ملك خاص والثلثين من عقار مشاع للبلدة (طريق). معبّد، جرى توسعته بإزالة الصخور من جانبيها، وأصبح بعرض (٨) أمتار ابتداء من منزل علي نجيب ترحيني حتى المدرسة بطول (٢٥٠) مترًا، ويلتقي بنهايته بالطريق السالكة باتجاه الدوير. وخامس التفرعات طريق قلعة جرين الحجل يبدأ من منزل حسين عبدو إسماعيل وصولًا إلى منزل أديب عميص - بئر الماء الخاص بالبلدة، بطول (٣٥٠)م، وهو غير مدرج ومقطتع من عقار مُشاع رقم (٢٢١)، معبّد جرى توسعته عام (٢٠١١م) بالتزامن مع افتتاح بئر ماء خاص بالبلدة بتمويل من عبد الرسول ترحيني. ومنه تفرّع الطريق المؤدي إلى خزان المياه، وهي استحدثت بالمشاع من قبل البلدية إثر الإشكال حول طريق قلعة جرين الحجل، وإقفالها أمام الأهالي وهي غير مدرجة. وسادس التفرعات طريق خلة الزيتونة بدءًا من منزل علي رضا (أبو حسين) وصولًا لمنزل (أبو أحمد حجازي)، غير مدرجة، اقتطعت من العقارات برضى أصحابها وعلى نفقة البلدية عام (٢٠١٤- ٢٠١٥م)، معبّدة وهي بطول (٦٦٠)م. وما تبقى من تفرعات فهي ثانوية يستفيد منها بعض المنازل، ولا تتصل بطريق فرعي أو عام،

منها الطريق الممتدة من محاذاة منزل نايف دياب - علي الهونيني صعودًا حتى منزل حسين هارون، وهي طريق إفراز من عقار كان ملكًا لنجيب يوسف علي حسين، وهو الأول من نوعه في البلدة، مدرج على الخارطة. في البدء كانت الطريق من جهة جبشيت تمر من أمام منزل عبد العزيز ترحيني الحالي. لاحقًا، وبموجب التعديل، جرى تحويلها بعد استملاك أجزاء من عقارات لتصبح بالشكل الحالي.

المحور الثاني: الطريق العام عبّا - الدوير. وتأتي في المرتبة الثانية بعد طريق عبّا - جبشيت من حيث الأهمية، وتشهد يوميًّا حركة مرور بالاتجاهين من قبل أهالي البلدة من مركز القضاء وإليه، وهي مسلك لهم يؤدي إلى ما يتفرع عنها من طرقات داخلية بالاتجاهين الشرقي والغربي، أو العابرين من خارج البلدة إلى البلدات المحيطة. وتمتدّ هذه الطريق من مفترق الجبانة مرورًا باتجاه الشمال حتى حدود المدرسة الرسمية. هذه الطريق كانت لا تزال حتى منتصف السبعينات ترابية، وكان أول من بنى منزلًا بمحاذاتها هو محمد علي دياب (أبو عباس)[١]، ولعل التأخر في تأهيلها ربما يعود إلى قِصْرِها في القسم الواقع بالبلدة مقارنة بالقسم التابع لبلدة الدوير. إذ يبلغ طولها من مفرق الجبّانة مرورًا بالمدرسة الرسمية حتى محطة ديانا للمحروقات (٧٥٠)م. أضف إلى ذلك، أن معظم الأراضي على جانبيها كانت زراعية بامتياز. وتظهر الصوّر الملتقطة في المحلّة عام (١٩٨٠م) أنها كانت شبه خالية من المساكن، حتى إن المرور عليها كان فيه مشقّة حتى للدواب؛ لكثرة التعرجات والحفر والصخور المتناثرة هنا وهناك. ولم تصبح بالاتساع الذي هي عليه الآن، إلا عام (٢٠١٤م) بعد توسعتها وتعبيدها لتصبح بقياس عرضي ستة أمتار. وفي العام (٢٠١٦م) تم إعادة تصميم المدخل ومراعاة مديات الارتفاع والانخفاض عن مدخلها لمسافة (٣٠٠)م بعرض (١٩)، وهي مدرجة على الصحيفة العقارية للبلدة، بعد أن خضعت للاستملاك. يتفرع منها بدءًا من مفترق الجبّانة بالاتجاه الشمالي طرقات داخلية تربط التجمعات السكانية بعضها ببعض. أولها الدرجة من المدرسة - كرم دماء بطول (٤٠٠)م طريق إفراز، وتم وصل إفرازين بعضهما

(١) مقابلة مع أبو عباس دياب، مرجع سابق.

ببعض لتصبح طريق واحدة عامي (٢٠٠٨ـ ٢٠٠٩م). وطريق كرم مرمر بدءًا من منزل علي يوسف أسعد ـ الحاج فادي بطول (٤٥٠)م أنجزت سنة (٢٠١٢م) برضى الأهالي. طريق قلعة المغريقة بدءًا من الحاج فادي- طريق الزغرين بطول (٣٦٠)م. طريق المغاريق من سليمان ـ حسين كالوت بطول (٣٤٠)م. طريق كرم دماء من منزل حسين عبدو ـ عبد ذياب بطول (٥٣٠)م / حي كرم دماء: تمت توسعة حي كرم دماء وربطه بطريق عبّا الدوير بطول إجمالي (٧٠٠) متر وعرض وسطي (٧) أمتار. طريق مزرعة الحاج علي ـ الدوير موجودة على الخريطة منفذ جزء والباقي غير منفذ. وهناك تفرعات ثانوية باتجاه مزرعة شلبعل، يتفرع منها طرقات داخلية بالاتجاهين الجنوبي والشمالي، والمنطقة مأهولة بالأبنية السكنية المتناثرة، وما تبقى أراضٍ زراعية يغلب عليها زراعة الزيتون والشتول ونسبة ضئيلة من التبغ والحبوب.

المحور الثالث: الطريق العام عبّا ـ القصيبة وهو متعرّج بطول (٣٤٧٠)م تقريبًا، ويمتدّ من الساحة العامة باتجاه الجنوب ثم ينحرف باتجاه الغرب ثم باتجاه الجنوب مع ما يتفرع عنه من طريق عام باتجاه عدشيت، وأخرى داخلية على محورين فرعيين باتجاه القصيبة. وميزة هذا المحور: أن أراضيه كانت فيما مضى زراعية بامتياز. يصل البلدة بأطرافها الواقعة على تخوم بلدة القصيبة. يمتاز بارتفاعه نسبيًّا عن باقي أجزاء البلدة ما جعله في الوقت الراهن محط أنظار المستثمرين العقاريين والزراعيين من أبناء البلدة وغيرهم، حيث يشهد حركة بناء ومشاريع زراعية لافتة.

وهذا المحور على أهميته لكونه يؤمن ممرًّا حيويًّا إلى البلدات الواقعة على تخوم مجرى نهر الليطاني- قضاء بنت جبيل، وبعض بلدات ساحل قضاءَي صيدا الزهراني، وبهدف اعتماده طريقًا رئيسة تستوعب حركة العبور، فقد خضع المخطط الممتد من عبّا حتى القصيبة على مدى سنوات لسلسلة تعديلات[1]، وجميعها لم

---

(١) التصديق الأول للمخطط: جرى بموجب المرسوم رقم ٦٥٨١ تاريخ ١٩/ ١٠/ ٢٠٠١م تصديق تخطيط الطريق الزراعية رقم ٢٥٥ في عبا – راس الدوري من الوتد رقم P.O إلى الوتد P.F.١٩٢ الموضوع من قبل مكتب تنفيذ المشروع الأخضر والمبين على الخريطة المرفقة بهذا المرسوم بسعات مختلفة وفقًا لحدود =

تُفضِ إلى النتيجة المتوخاة وبقي هذا الطريق - المحور غير منجز عند العقارين رقم (٩٠٤) - (٩٠٧) وبالتالي فقد أهميته كشريان حيوي حرمت بنتيجته البلدة من فرص استثمارية شتى، أولى التفرعات من هذا المحور هي طريق عبّا -عدشيت بطول (٨٥٠) م تبدأ من مفترق وادي عالي حتى بلدة عدشيت جرى توسعته باقتطاع مساحات محدودة من عقارات على جانبيه. معظم الأراضي الواقعة على جانبيه لا تزال زراعية (أشجار الزيتون) أو جرداء غير مستصلحة وعدد من المنازل لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة. ليس لهذا الطريق أهمية على صعيد حركة التنقل

= الاستملاك المبينة على الخريطة. واستملكت العقارات وأقسام العقارات الواقعة ضمن هذا التخطيط والمبينة على اللائحة المرفقة بهذا المرسوم وفقًا للأحكام التشريعية والتنظيمية النافذة. الجريدة الرسمية العدد ٥٤ تاريخ ٣٠/ ١٠/ ٢٠٠١م، ص٥١٧١.

التعديل الأول: في الثالث من تشرين الأول سنة ١٩٩٨م صدر المرسوم رقم ١٣١٤٦ قضى بتصديق تخطيط طريق القصيبة - عبا (القسم الثاني) من الوتد رقم ١ كيلومتر ٠+٠٠،٠٠٠ إلى الوتد رقم ١٥ كيلومتر ٠+٦٥،٢١٢ المبين باللون الأحمر على المسطح المرفق بهذا المرسوم والموضوع من قبل وزارة الأشغال العامة وذلك بسعات مختلفة لسطح الطريق وفقًا لحدود الاستملاك المبينة على المسطح المذكور. وأن تستملك العقارات واقسام العقارات الواقعة ضمن هذا الطريق والمبينة على اللائحة المرفقة بهذا المرسوم وفقًا للأحكام التشريعية والتنظيمية النافذة واعتبار الطريق المذكورة طريقًا محلية. الجريدة الرسمية العدد ٤٧ تاريخ ١٥/ ١٠/ ١٩٩٨م، ص ٤١٩٨.

التعديل الثاني: وفي الخامس من حزيران سنة ٢٠٠٠م صدر المرسوم رقم ٣١٦٣ قضى بتصديق تعديل تخطيط طريق القصيبه - عبا (القسم الثاني) أُلغي بموجبه القسم المبين باللون البني بخطوط مائلة) على المسطح المرفق بالمرسوم ١٣١٤٦ ورفعت إشارات الاستملاكات عن العقارات وأقسام العقارات الواقعة ضمن القسم الملغى. واستعيض عن ذلك، بتخطيط مبين بالأقسام المحدد باللون الأحمر على ذات المسطح المرفق، بسعات مختلفة لسطح الطريق وفقًا لحدود استملاكات العقارات الواقعة ضمن التخطيط المصدق. الجريدة الرسمية: العدد ٢٧تاريخ ٢٢/ ٠٦/ ٢٠٠٠م، ص٢٠٩٩.

التعديل الثالث: وفي ٢٦ شباط ٢٠٠٥م صدر مرسوم آخر رقم ١٤٢٧٧ اُلغي بموجبه من تخطيط طريق عبا -القصيبة المصدق بموجب المرسوم رقم ٦٠٨٤/ ١٩٦٦ (من الوتد رقم 1OT كيلومتر ٠٠+٠ إلى الوتد رقم 172P كيلومتر ١٣١+٣، الأقسام المبينة باللون البني وبخطوط مائلة) على المسطح المرفق بهذا المرسوم والموضوع من قبل وزارة الأشغال العامة والنقل -المديرية العامة للطرق والمباني. ورفعت إشارات التخطيط عن العقارات وأقسام العقارات الملغاة بموجب المادة الأولى أعلاه والمبينة على المسطح المرفق بهذا المرسوم وأضيف إليه الأقسام المبينة باللون الأحمر على المسطح المرفق بهذا المرسوم واستملكت العقارات وأقسام العقارات المضافة بموجب المادة الثالثة من هذا المرسوم والمبينة على لائحة الاستملاك وجدول بأرقام العقارات المرفقة به وفقا للأحكام التشريعية والتنظيمية النافذة. الجريدة الرسمية العدد ١٤تاريخ ٣١/ ٠٣/ ٢٠٠٥م، الصفحات ١٤٤٠- ١٤٤٢.

وتقتصر على أبناء البلدة في أوقات ومناسبات محددة. وثاني هذه التفرعات طريق البلايط وهي بطول (١٣٨٠)م، تقريبًا مدرج على الصحيفة العقارية للبلدة، سطحها يحوي سعات مختلفة. تبدأ من منزل نجيب جفال حتى حدود بلدة القصيبة، معظم أراضيه لا تزال زراعية، إنما تشهد حركة بناء نشطة متناثرة، لا سيما تجمعات سكنية (بلوكات) إضافة إلى بعض المشاريع الزراعية الاستثمارية، يشهد من وقت لآخر حركة عبور نشطة باتجاه البدات المجاورة. وثالث هذه التفرعات تبدأ من مفترق جامع آل قاووق حتى حدود بلدة القصيبة وهي بطول (١٢٨٠)م مدرجة على الصحيفة العقارية للبلدة، سطحها يحوي سعات مختلفة بعضها متعرّج جدًّا يعيق حركة مرور السيارات. جرى توسعته باقتطاع مساحات محدودة من عقارات على جانبيه. معظم أراضيه لا تزال زراعية، إنما تشهد حركة بناء نشطة متناثرة. حركة التنقل عليه مقتصرة على أصحاب المنازل الواقعة على جانبيه.

المحور الرابع: الطريق العام عبّا – الزرارية وهو بطول (٢٩٦٠)م، مدرجة على الصحيفة العقارية للبلدة، يمتدّ من الساحة العامة باتجاه الغرب حتى عين الحاج حسن مع ما يتفرع عنه على امتداده من طرق فرعية. أولها، متفرع وادي الحاج – خلة النبية وكانت مقفلة في وسطها وهي بطول (٤٨٠)م، وبقياس عرضي سبعة أمتار مأهولة نسبيًّا بالسكان، يغلب على أراضيها الطابع الزراعي (أشجار الزيتون) وبعض المزروعات الموسمية، وثانيها متفرع وهو بطول (٢١٠)م، مأهول بالسكان مع نسبة لا بأس بها من الأراضي الزراعية يقابله متفرع وادي السيد ابتداء من منزل عباس عميص صعودًا باتجاه منزل العلامة السيد مصطفى وهو بطول (٧٥٠)م، مأهول نسبيًّا مع مساحات من الأراضي الزراعية (أشجار زيتون) وبعض الحرجيات. وثالثها متفرع مشروع الصبوري السكني– القصر وهو بطول (٦٥٠) م، ويُعَدُّ المشروع من أولى الاستثمارات في البلدة، لحلّ مسألة السكن في ظل الأوضاع الاقتصادية الصعبة. وهو مأهول نسبيًّا مع مساحات من الأراضي الزراعية (أشجار زيتون) وبعض الحرجيات. ورابعها متفرع وادي السيد وينحرف مسيره باتجاه الشرق بطول (٤٢٠) ليلتقي مجدّدًا بمتفرعات طريق كرم دماء ومتفرعات

ثانوية باتجاه مزرعتي دمول وشلبعل، ويتميز هذا المتفرع بوجود مساحات واسعة من الأرض المشاع إلى جانب مساحات من صغيرة من الملك الخاص. معظم أراضي الوادي ما زالت زراعية خاصة أشجار الزيتون وزراعات مختلفة إلى جانب عدد قليل جدًّا من الأبنية السكنية. وخامس التفرعات المدينة الصناعية - دممول. وهو بطول لا يتجاوز (٣٠٠)م تم فتحه عام (٢٠١٤م) مع المباشرة بتنفيذ مشروع المدينة الصناعية عند أطراف مزرعة دمول، لم يستكمل المشروع ومن ثمّ ما زالت الطريق غير معبّدة. في هذا المحور عدد قليل جدًّا من الأبنية السكنية والصناعية ويغلب عليه لجهة الشمال طابع الأرض المشاع، حيث جرت محاولات لتشجيرها بأنواع الصنوبر والخروب. يقابلها لجهة الجنوب أراض مشاع مشجرة بالزيتون. وعلى مسافة (١١٢٠)م من متفرع خلة العرجا - دمول يقع متفرع أخر باتجاهين: الأول باتجاه مزرعة قلعة ميس - أنصار، والثاني باتجاه بلدة بريقع وعلى طول هذه المسافة يغلب الطابع الزراعي مع نسبة كبيرة من الأرض المشاع الجرداء لجهة الشمال، يقابلها لجهة الجنوب مشاريع زراعية استثمارية وتحريجات لبعض المشاعات. يمتد المتفرع الأول على مسافة (٣٠٠)م. «يوجد من الناحية الجنوبية الغربية هضبة صغيرة تسمى القصر فيها أثر باقٍ من حوائط مبنية بإتقان من الصخر الصلب، ومساحة غرفة واحدة باقية من البناء ودولابين شعاع الواحد منهما (٧٨) سم، كما يوجد بقايا أجران منحوتة بدقة وبأشكال عدة»[١]. ومنها تكمل الطريق باتجاه أنصار، وهي معبّدة بطول (٢٤٠٠)م وعرض (٥) أمتار. وباتجاه الزرارية، طول الطريق (١٠٠٠) م مع توسعة بعرض (٨) أمتار. والمتفرع خال كليًّا من السكان، وكذلك المزروعات، ربما لبعد المسافة عن مركز البلدة. ومن الجهة المقابلة يوجد متفرع يمتد من عين الحاج حسن - الساقية بطول (٨٠٠) متر، حتى حدود بلدة بريقع مدرج على الخارطة، عامي (٢٠٠٧ - ٢٠٠٨م) تم توسعة جنباته وفرش بالإسفلت. إلا أنه خالٍ تمامًا من السكان، وما زالت أراضيه زراعية خاصة الزيتون. وجميع المتفرعات الملحقة بالمحاور الرئيسية الأربع مدرجة على

(١) يراجع: زهرة الصبّار، نشرة يصدرها المجلس البلدي في عبّا - العدد الأول أيار ٢٠٠٧م، ص٣٨.

الصحيفة العقارية للبلدة، وأغلبها لم يمضِ عهد بعيد على تنفيذها أو هي في طور التنفيذ كالطريق الممتد من مفرق وادي عالي باتجاه جبشيت - السموقة.

في موازاة المحاور الرئيسة الأربعة يبقى بعض المحاور لطرقات داخلية متفرعة من الساحة العامة أولها من مدخل الساحة الغربي باتجاه حي البيدر وهو بطول (١٠٠٠)م. ويبدأ من بداية المنحدر عند صهريج محمد داوود (أبو داوود) وتمت إزالته عام (٢٠٠٤م)، وكان يعيق حركة مرور السيارات. وبتجاوز متفرع حي القلعة الذي بقي على عهده القديم، كما تم إزالة غرفة كاراج ملك إبراهيم علي يوسف ليصبح السطح العرضي للمدخل (٨) أمتار بطول يتجاوز الـ(١٠٠)م. وبمحاذاة الكاراج نزولًا باتجاه الشمال هناك متفرع حي المغريقة المأهول نسبيًّا مع وجود مساحات مزروعة. ومنه يكمل المتفرع ليلتقي عند وادي السيد بباقي متفرعات الوادي وأحياء كرم دماء. وثالث المتفرعات يتصل بطريق عام عبّا الزرارية عند نقطة منزل الدكتور محمد ترحيني. عند البيدر الفوقاني تتشعب التفرعات منها، من بركة البيدر (منزل عبد الرزاق) حتى منزل الحاج قاسم معلم بطول (٣٢٠) م. وآخر من البركة نحو حي البياض ليلتقي بطريق عام الزرارية بطول (٤٣٠)م والسطح العرضي (٨) أمتار معبدة مع حوائط دعم. وينتهي هذا المتفرع نزولًا مع تفرعات مزرعة دمول. والمتفرع الثاني باتجاه أحياء البلدة القديمة، وهي عبارة عن أزقّة متعرجة الاتجاهات ضيقة بالكاد أن تمر فيها السيارات، مازالت تحافظ على طابعها القديم وتعكس جزءًا من تفاصيل الحياة اليومية لساكنيها من الأجداد لعقود خلت. تمّ تاهيل جميع طرقاتها بمساحة (٢٠٠٠م٢) بالباطون، وتم توسيع بعضها كحي الجبانة بطول (١٥٠) مترًا. وطريق الضيعة وأهمها الطريق المار بمحاذاة منزل (أبو سعد اللّه) وصولًا إلى حسينية الزهراء وهو بطول (٢٠٠)م. وأهميته تكمن في كونه ممرًّا إلزاميًّا لزيارة المدافن عند كل مناسبة وفاة.

ومن الأهمية بمكان القول: إن الجهود التي قامت بها لجان العمل الاجتماعية في الفترة السابقة على وجود البلدية، ومن ثم متابعة البلدية، أثمرت شق معظم الطرق المحلية والفرعية وتعبيدها وصيانتها وتفريع بعضها إلى مسارات حتى

أصبحت طرقًا رئيسة تستوعب أكبر عدد من المارة والسيارات، داخل حدود المناطق المحلية، وتصل الطرق الفرعية بالمجموعات السكانية الصغيرة بعضها ببعض، كما تربط الطرق المحلية بالطرق الرئيسية الممتدة إلى الأماكن النائية. وهكذا أصبحت عبّا تتصل بجميع القرى المحيطة بها بشبكة طرقات معبّدة جيدة. وإن كان هناك بعض الطرق المستحدثة أثناء الأحداث لم تنفذ في الأصل بشكل جيد، وحسب المواصفات الفنية المعتمدة من جدران داعمة لتمنع الانهيارات في فصل الشتاء وجب إعادة النظر فيها.

اليوم، مازالت عبّا كغيرها من الأرياف، تقدم القوى العاملة للمدينة المجاورة والبعيدة. فكثير من أبنائها، عمال البناء والعاملين في المؤسسات والمحلات والوظائف كافة، يساهمون في نمو المدينة وقوتها. ولكي يدرك المرء مدى أثرهم وحجم قوة عملهم على اختلاف فئاتهم يكفي الاستدلال من خروجهم صباحًا مستفيدين من سهولة المواصلات ونوعيتها وسرعتها لبلوغ مكان العمل بعد أن شقت الطرقات وعبّدت وتفرعت لعدّة اتجاهات.

وعكست خطوة تطوير شبكة الطرق والمواصلات الداخلية والعامة في عبّا على مدى عقود بالتزامن مع التطور في وسائل النقل نمطًا تغييريًّا على مستويين. الأول: تمثّل باقتناء العبّاويين للسيارات السياحية الخصوصية منها والعمومية والشاحنات والالآت الزراعية لأجل السياحة والعمل، أمّا الثاني، وهو الأهم، فقد أحدث تبدلًا في الهوية الاجتماعية والوظيفية للبلدة، جراء مواكبتها للأنماط المتعددة للعمل سواء في المحيط المجاور أو المدني لما يتمتعان به من مميزات عضوية وجغرافية جعلتهما مركزًا رئيسًا للأسواق. فقد تراوح هذا التحوّل بين النزوح إلى بيروت أو الهجرة إلى الخارج للعمل في المهن الزراعية والصناعية والحرفية والعلمية والوظائف الإدارية في القطاعين العام والخاص[١]، وبين التنوع في الإنتاج الزراعي والانفتاح على السوق بعد شيوع الزراعات التجارية

(١) سنتطرق إلى هذه التحولات في الفصل الثاني من الباب الثالث وهو بعنوان: «عبّا تدخل دائرة المنافسة وعلاقات الإنتاج في اقتصاديات السوق».

من شتول وأشجار مثمرة ونباتات زينة، وهؤلاء جميعًا يُعَدُّون عنوانًا عريضًا لهذا التحوّل.

وسائل الاتصال في عبّا بين الأمس واليوم:

جعلت وسائل التواصل والاتصال الحديثة كالهاتف والإذاعة والشبكة الدولية للاتصال والتلفاز والحاسوب المجتمعات تعلم بما يحدث في جميع بلاد العالم خلال لحظات، بعدما كانت لعقود خلت قليلة الانتشار وبطيئة جدًّا، وفي متناول عدد ضئيل من الأغنياء والميسورين في المدن. هي مرحلة، كان الإنسان فيها يرسل الأخبار والمعلومات من منطقة لأخرى بمساعدة عدائين، أو حمام زاجل. وداخل الحيّ والقرية، كان هناك رجل أوكل إليه الوقوف على سطح دار أو مرتفع عن الأرض والمناداة بصوت عالي للإخبار عن شيء ما حدث أو سيحدث. في عبّا مثلا « كان صالح أحمد خليل ياسين أول من يدبّ الصوت في البلدة للإعلام. وفي كل بلدة كان يوجد رجال يدبّون الصوت للإعلام عن سرقة أو تعدٍ أو أو طلب معونة جراء حادثة تستدعي النجدة، أو وفاة أو لاستعراض جماهيري عند استقبال وجيه ما أو زعيم»[١]. وكان شائعًا في البلدة رؤية (أحدهم) يقف عند أطراف الساحة العامة أو منحدر يطلق بأعلى صوته نداء لوالده أو لابنه الموجود في الحقل للإعلام عن طارئ حدث، أو لمنع راعٍ من إدخال قطيعه إلى أرض ما، أو متطفل دخل لسرقة مزروعات، وأحيانا يكونُ مطلق الصوت موجودًا في الحقل وهو يطلب النجدة من البلدة. هذه الوسيلة رغم بدائيتها كانت توفّر للعباويين معرفة ما يحدث داخل بلدتهم، وكانت ليومها، فعّالة جدًّا نظرًا لانعدام التلوث السمعي الناتج اليوم عن ضوضاء السيارات والدراجات النارية التي تجوب بكثرة شوارع البلدة على مدار الساعة.

بدءًا من الستينات ومع تشيّد البناء الحالي للمسجد والحسينية، أصبح المذياع

(١) مجلة العرايس – مجلة شهرية، وثائقية، ثقافية، وبلدية خاصة– العدد الأوّل، ١٥ شباط٢٠١٦ م، النسخة الإلكترونية.

وسيلة للإعلام بعدما بات النداء بالصوت غير ذي جدوى نتيجة الزيادة السكانية السريعة وتوسّع رقعة المساحة المبنية للبلدة، فضلًا عن تشابك العلاقات الاجتماعية مع المحيط. أمّا ما يحدث خارج عبّا، فكان يتم العلم به من أبنائها المقيمين في بيروت والضواحي، بعد أيام أو أسابيع، لأنه «لم يكن في البلدة جهاز راديو»[(١)]. ولم تكن تلك إلا وسيلة ترفيه ليست من الأولويات في مجتمع ريفي يفتقر لأدنى الضروريات. في حين كانت المدينة المركز، قد بدأت في وقت مبكر جدًّا يظهر فيها سريعًا أنماط التغيير على غير مستوى لا سيما وسائل التواصل. وأتيح للبعض من أبناء البلدة اقتناء جهاز راديو[(٢)]. وفي وقت لاحق جلب علي وهبي واحدًا آخر. وفي بعض الأحيان يصل إلى البلدة جرائد يتصفحها أحمد حسن خليل وهو جالس بالقرب من الجامع، في أغلب الأحيان تكون الجريدة قديمة مضى عليها حوالي الأسبوع.»[(٣)]. وهكذا أتاحت هذه الوسائل للبلدة على بدائيتها، فرصة لتشارك المدينة بعض مظاهر المعرفة. كما أتاحت لها اكتساب مفاهيم اجتماعية متعددة ومتقدمة على تلك الموجودة لديها.-

وفي عام (١٩٥٣م) سعت الدولة اللبنانية إلى تنظيم وزارة البريد والبرق والهاتف وأنشأت بموجب المادة (٦١) من المرسوم الاشتراعي رقم (٦٢) مناطق استثمار توزعت على المناطق التالية: منطقة بيروت، منطقة جبل لبنان الشمالية، منطقة جبل لبنان الجنوبية، منطقة لبنان الشمالي، منطقة لبنان الجنوبي، منطقة البقاع[(٤)]. وبموجب هذا الإنشاء انطلق عمل المركز الفني في النبطية وكان عبارة عن سنترال يدوي لا يتجاوز في عدد المشتركين فيه عن (٢٨)، وكانوا من مقيمي المدينة حصرًا. إلا أنه في عام (١٩٥٨م) جرى توسعة حجم السنترال ليصبح

(١) «ما كان موجودا (مغنيّة) جهاز غناء، بو سعدالله بيو جبلو ياها، كان يحطا برّا كنّا نعقد حدا نتسمّع عليها». مقابلة مع محمد خليل يونس أحمد مرجع سابق.

(٢) «والدي اشترى راديو يعمل بواسطة البطارية وكان حجمها بحجم بطارية السيارة، عندما تفرغ كنّا نأخذها إلى النبطية لتعبئتها». نفس المرجع.

(٣) مقابلة مع سعيد إبراهيم يونس مرجع سابق.

(٤) الجريد الرسمية، العدد ١٤، مرسوم اشتراعى رقم ٦٢، تاريخ ٤/ ٤/ ١٩٥٣م، الصفحات ٨٢٨ - ٨٦٠.

كباقي المحافظات والأقضية نصف آلي، وكان من نوع REF)) بقدرة استيعابية قدرت بحوالي (٢٠٠٠) خط فقط، وشمل هذا العدد مشتركين من القرى المحيطة على نحو كان لا يتجاوز فيه العدد في كل بلدة عن عشرة مشتركين. وبطبيعة الحال كانت بلدة عبّا واحدة منها، واعتمد دكان توفيق ندّة (جفال) مكانًا لوضع الهاتف. وكان عبارة عن آلة لها قرص دوار يُحرك باليد، وكان عامل الصيانة يأتي إلى البلدة من حين لآخر للصيانة[١]. وبذلك يكون الهاتف أول قطاع عام من أعمال البنية التحتية وخدماتها ومشاريعها الأساسية الخاضعة للدولة (الاتصالات) نفّذت في البلدة قبل تمديدات المياه والكهرباء. وهكذا مقارنة بالفترة السابقة، وجد العبّاوي تغيّرًا شاسعًا ومذهلًا مسّ بعض الظواهر المادية في حياته الاجتماعية، إذ أتاح له الهاتف فرصة للتفاعل عن بعد دون مشقة الانتقال، التعرف على تشعبات الحياة الاجتماعية للبيئات الأخرى المحيطة به أو البعيد التي تتمثل بالمدينة. إلا أن هذا التحول لم يدم وتراجع تدريجيًّا بدءًا من العام (١٩٧٥م) تاريخ بدء الحرب الأهلية.

بداية التراجع لخدمة الهاتف في سنترال النبطية كان «بسبب غياب الموظفين وانعدام الصيانة في القرى وكثرة الأعطال. ولم تستطع الشبكة الاستمرار بالعمل باتجاه القرى في وقت لم تسدد فيه الاشتراكات، وتوقف العمل بالشبكة تلقائيًّا

---

(١) «اعتمد دكان توفيق جفال، وكان يكنّى باسم والدته ندّه وكان مخصص للحلاقة وبيع السكاكر والقضامة. أمّا شكل الهاتف فكان عبارة عن آلة لها قرص دوار يدار باليد».مقابلة مع شريف أمين أحمد خليل، مرجع سابق. وعن كيفية عمل سنترال النبطية، يقول نمر بشارة ابن النبطية وكان موظفًا في السنترال « كانت آلية عمل سنترال النبطية والهاتف في القرى كالتالي: تتوزع شبكة الخطوط من السنترال باتجاه القرى على اعمدة خشبية، يحمل كل عمود سلكين من النحاس غير المغلّف ويتصلان مباشرة بعلبة تحويل يوجد بداخلها دينمو عبارة عن جهاز يحوّل الطاقة الميكانيكية إلى طاقة كهربائية بقوة ٧٥ فولت لشحن بطارية آله الهاتف اليدوي (قرص دوار) وتشغيل الجرس. ويوضعان في دكان أو أي مكان آخر، ويتولى شخص تشغيله دون أجر. وتتم عملية الاتصال عندما يقوم المشغّل ببرم القرص الدوار مرات عدة، يرسل بنتيجتها إشارة رنين إلى السنترال وعند رفع السماعة يقوم العامل بالسؤال عن الرقم والشخص المطلوب الاتصال به. مثال على ذلك: إذا كان الشخص المتصل من عبّا والشخص المطلوب من بلدة حاروف يقوم العامل بشبك خط عبّا بخط حاروف ومن ثم شبك خط المتصل والمُتلقي به وتتم المكالمة. في حينه لم يكن يوجد رقم تسلسلي للمشترك إنما رقم الترتيب التسلسلي للإشتراك، مثال على ذلك: إذا كان عدد المشتركين في عبّا ١٧ يكون الترتيب من ٢ لغاية ١٧، لأن الرقم ١ هو رمز عام للقرية فقط». مقابلة مع نمر بشارة تولد ١٩٣٧م، بتاريخ ٢٦/ ٧/ ٢٠١٢م.

وأصبحت بمرور الزمن غير ذي جدوى، وعادت القرى إلى سابق عهدها دون هاتف إلا ما ندر في القرى القريبة جدًّا من النبطية»[١]. فترة انعدام التواصل بالهاتف الثابت (الأرضي) بين عبّا والخارج استمرت لغاية العام (٢٠٠٣م) عندما أعلنت وزارة الاتصالات عن وضع سنترال جبشيت نوع AXE في الخدمة سعة (٢٥٦٠) خطًّا رقّمت ضمن مجموعة تبدأ من الرقم (٠٧/٥١٠٠٠٠) لغاية (٠٧/٥١٢٥٥٩)، وأعلمت المواطنين في جبشيت وعبّا بأنه بالتنسيق مع هيئة أوجيرو ستقوم الفرق الفنية بتوزيع طلبات الاشتراك عليهم في منازلهم، وأرفق الإعلام بالتوجيهات والتعليمات اللازمة للحصول على خط هاتفي[٢]. وهكذا في الرابع من أيلول (٢٠٠٣م) تم التأسيس والاشتراك بأول خط هاتف أرضي في عبّا حمل الرقم (٥١٠٥٠٠) باسم علي محمد حسين موسى ترحيني، وهو موظف في إدارة أوجيروا - دائرة النبطية. وبسبب التردي والدمار الحاصل في شبكة الهاتف الثابت سعت الدولة اللبنانية لتنظيم وخصخصة قطاع الهاتف النقال. وفي (٩/ ١٢/ ١٩٩٢م) صدر قرار عن مجلس الوزراء رقم (١٨) تضمن الموافقة على مشروع قانون معجل أجاز للحكومة إجراء استدراج عروض دولي لتحقيق مشروع النظام الراديو الخلوي الرقمي المتطور. أول محطات ليبانسيل أقيمت في منطقة المتحف - العدلية وجرى في (٢٣) كانون أول (١٩٩٤م) أول اتصال خلوي في لبنان، ليمتد بعدها إلى المناطق اللبنانية كافة بعد قيام الشركة بافتتاح سبعة فروع لها في: طرابلس، جونية، شتورة، بيروت، صيدا، النبطية، صور. وسجّل اشتراكات بالمئات لعبّاوين من المقيمين في البلدة. أمّا قطاع الإنترنت السريع (DSL) فكان أول من اشترك بهذه الخدمة بتاريخ (٢٦) أيار (٢٠١٦م) أيضًا كان علي محمد حسين موسى ترحيني. سبق ذلك قيام عدد من المستثمرين من أبناء البلدة منهم حسين أحمد حسن آل (علي حسين) بتوزيع هذه الخدمة عبر أجهزة بث هوائية لقاء مبلغ (٥٠) ألف ليرة بدل اشتراك شهري. وهكذا تجاوزت عبّا الحدود والتضاريس

(١) مقابلة مع نمر بشارة من النبطية موظف سابق في سنترال النبطية مرجع سابق.
(٢) الجريدة الرسمية: بلاغ رقم ٨تاريخ ١٢/ ٣/ ٢٠٠٣م، العدد ١٥ تاريخ ٢٠/ ٣/ ٢٠٠٣م، ص١٥٣٠.

الطبيعية، وغاب عنها طابع البساطة، وأصبحت كغيرها من البلدات تتمتع بخدمات واهتمامات مشابهة للمدينة. ومن عاصر المجتمع (العبّاوي) من قبل، يدرك جيدًا كيف أوجد هذا التحوّل، الكثير من التشابه المفرط بين ما هو مجتمع ريفي وما هو مدني، أقله على مستوى العلاقات الاجتماعية. الأمر الذي أضعف من انبهار الريف بالمدينة، والعكس صحيح. كما أفقد المدينة بعض سماتها الأساسية الاقتصادية، وكذلك الريف لكن بنسبة أكبر، حتى أصبح هذا التحوّل عنصر تفكيك وتخريب للحياة الريفية، صار بنتيجته الريف أقل ارتباطا وظائفيًّا بالمدينة.

بعض الاستنتاجات:

بدخول وسائل المواصلات والاتصال إلى عبّا وتطورها، لم يعد يعتبر التواصل مع المحيط عملًا شاقًّا، كان الأهالي فيما مضى يحجمون بسببه عن الانتقال إلا عند الضرورة، الأمر الذي جعل البلدة تعيش بعضًا من العزلة الاجتماعية والاقتصادية عن محيطها. ولأن المجتمعات الحضرية سواء الريفية منها أو المدنيّة لا يمكن لها أن تتطور وتتفاعل بمعزل عن محيطها الضيق والواسع، شكّل شق الطريق العام التي تصل البلدة بمحيطها وتعبيده قاعدة انطلاق تحديثية أولى بداياتها اعتماد وسائل نقل حديثة، كالسيارات، تزامن ذلك مع افتتاح أول شركة في النبطية لنقل الركاب، تعمل على خط النبطية - بيروت وبالعكس.

ورافق تطور حركة نقل الركاب، حركة أخرى تمثلت في نقل المنتجات الزراعية. تطورٌ وإن كان خجولًا، قد أسس لمرحلة أحدثت تغييرًا في هوية البلدة بشقيه: الاجتماعي والاقتصادي. فمع بداية الثمانينات توالى اقتناء السيارات السياحية (خصوصي) لمن أتيح لهم العمل في بيروت، ومارسوا المهن الحرة والتجارة أو عملوا في الوظائف العامة والمؤسسات الخاصة. لكن هذا الانفتاح، لم ينقل البلدة من مجتمع زراعي راضٍ بالكفاف من مستلزمات العيش، إلى مجتمع لديه ركيزة للأعمال التجارية ومنخرط إنتاجيًّا بكامل الدورة الاقتصادية. ويعود السبب في ذلك إلى أن السلطة المركزية، لم تواكب حركة مدن الأطراف وقراها ومن بينها

عبّا بخطوات تنموية، خاصة شبكة الطرق التي تصلها بغيرها من قرى المحيط، التي بقيت حتى وقت قريب عبارة عن مخططات مرسومة على الخرائط، ولم تبلغ مرحلة التنفيذ لتمكينها أن تكون عقدة وصل بين البلدات المجاورة، ومكان عبور يجلب الاستثمارات إليها. ومع تطور شبكة الطرق الداخلية في البلدة بدت مرحلة التسعينات مختلفة كليًّا عما سبقها، وشهدت وتيرة متسارعة في اقتناء السيارات من كافة الأنواع، وكان أصحابها عمال بناء وعاملين في المؤسسات العامة والخاصة والمهن الحرّة كافة، يساهمون نتيجة أعمالهم في نمو البلدة.

وأحدثت وسائل الاتصال الحديثة التي دخلت عبّا كالهاتف الثابت والنقال والإذاعة والتلفاز والشبكة الدولية للاتصال والحاسوب فرقًا بين الأمس واليوم وتجاوزت عبّا بسببها الحدود والتضاريس الطبيعية. حيث منحتها فرصة لتشارك المدينة بعض مظاهر المعرفة، كما أتاحت لها اكتساب مفاهيم اجتماعية متعددة ومتقدمة على تلك الموجودة لديها. وهكذا مقارنة بالفترة السابقة، وجد العبّاوي تغيّرًا شاسعًا ومذهلًا مسّ بعض الظواهر المادية في حياته الاجتماعية، مما أفقد المدينة بعض سماتها الأساسية الاقتصادية، إلا أنه في جانب آخر أصبح هذا التحول عنصر تفكيك وتخريب للحياة الريفية، بدت نتائجه تظهر سريعًا.

الفصل الثالث:

الدور الوظيفي للمرافق العامة والخاصة في عبّا

(تلبية الاحتياجات الإنسانية والدينية والاجتماعية والاقتصادية)

الساحة العامة:

السَّاحة أو الناحية، هي فضاء واسع يتوسط دُور حيّ من أحياء القرية. وهي أيضًا وصف يطلق بحسب بالهندسة المعمارية على مكان محدد داخل القرية، يكون ملتقى طرق، أوسع عرضًا وطولًا من الطرق التي تنتهي إليها. وأقرب وصف لساحة بلدة عبّا، هو عام (١٩٤٩م). يقول محسن عبدو حسين أحمد ترحيني» كنت في سنّ الحادية عشرة من عمري، وكانت الساحة موّزعة على قسمين (جلّين) الأول فوقاني يبدأ من دكان يوسف الحلاق حتى قاسم قاووق وصولًا إلى ساحة بيت هارون. أما القسم التحتاني فينتهي عند الحدود الحالية للساحة، وكان مقرًّا لتجمع العجّال قبل انطلاقة للرعي. ما حدث هو، تم جرف القسم العلوي وتسويته بالقسم السفلي فأصبحت الساحة أرض منبسطة تم رصفها بالإسفلت»[1]. ويشير خليل توفيق ترحيني في مدونته العرايس إلى أن التغيير بشكل الساحة حصل عندما بُوشر بشقّ الطريق العام بدءًا من بلدة جبشيت وصولًا إليها. آنذاك، وما إن وصلت الأعمال بالطريق إلى منزل الحاج عبدو معلّم، استجدّت مشكلة الساحة. فالساحة

(١) مقابلة مع محسن عبدو ترحيني، مرجع سابق. وهناك من يقول: أن الساحة المعروفة الآن كانت قطعة أرض مملوكة من (آل خليل) ويوجد فيها بئر ماء (حاليًّا البئر موجود داخل بيت الأستاذ محسن عبدو). وكان النسوة يملأن منه الماء بمقدار جرة لكل بيت. مقابلة مع شريف أمين أحمد خليل، مرجع سابق.

العامة ملك لآل خليل، تزرع مشاتل ودخانًا وقمحًا. فيها تلّة في الوسط وطريق فرعية في طرفها... طلب كبار القوم... حلّ هذه القضية وتقديم الساحة للبلدة... فشرعت حالًا ورش العمال في جرف وتسوية الجلالي والتلال وأصبحت سهلة واسعة ومفرجة للأهالي في البلدة والوافدين إليها من الخارج»[١]. وكان يتفرع من الساحة العامة قبل تغيير شكلها، زواريب تؤدي إلى ساحات، نظرًا لأهميتها ومكانتها في نفوس العبّاويين، اقترن أسماؤهما، بأسماء بعض العائلات، كساحة آل هارون وساحة آل خليل، ساحة آل ياسين، لكون القاطنين حولها يشكلون الغالبية العددية فيها.

وكان للساحة وظيفة اقتصادية، وهي عبارة عن تجمّع سكاني يخالطه مجموعة دكاكين تبيع مختلف الحاجيات الإنسانية من ضروريات العيش فقط. واقتصرت على دكان أحمد يوسف أسعد، علي جواد هارون، حسن عز الدين (سمرة)، أبو خليل محمد حسن خليل، داوود يوسف أسعد»[٢]. كما كانت مكانا لتجميع العجّال (قطيع من البقر والمواشي) مع طلوع الشمس، للانطلاق نحو البيدر للرعي»[٣]. وأخرى اجتماعية، حيث كانت ملتقًى لجميع العبّاويين رجالًا ونساء، عند «مصطبة ساحة آل هارون ومصطبة التنور ومصطبة أم قاسم فاطمة السمرا، جدة الدكتور محمد قاسم قاووق[٤]، وكان الهدف من الملتقى نسج علاقات اجتماعية أساسية ومتشعبة بالنسبة للفرد والجماعة، تعكس الترابط والتضامن الاجتماعي في البلدة. كذلك كان لها وظيفة إخبارية، كساحة تنّور آل علي حسين وتنّور آل عميس (منزل قاسم الحاج إبراهيم) وكانت تُعرف بساحة الضيعة، يحيط بها بيوت السادة: علي حسين، ومهدي حسين أسعد، والشيخ محمد معلّم، والشيخ علي معلّم، ووهبي

(١) مدونة العرايس: السنة ١٧، مرجع سابق، الصفحات ٢٥ – ٢٦..
(٢) نفس المرجع والصفحات.
(٣) نفس المرجع، ص ٤٨.
(٤) نفس المرجع والصفحة.

خليل، وعلي جفال، وحسين سعيّد (جفال)[١]. في هذه الساحة كان أحدهم يعتلي سطح أحد البيوت، وينادي بأعلى صوته، «يا سامعين الصوت صلوا عالنبي أولكم محمد وتانيكم علي، اللي شاف حبل وقع عطريق البيدر يبينو وياخد حلوانتو»[٢] وكان أعلى سطح في الضيعة، سطح بيت الحج يونس عميس[٣].

حافظت ساحة عبّا لفترة طويلة على وظيفتها كمركز حضري يتكون من حجر وناس يعيشون في تجاور وتقارب في حيّز مكاني يطبقون فيه درجة عالية من الاتصال اليومي بفعل الحجم السكاني والمكاني ومجالات العمل والنشاط الإنساني المحدود، واستمرت حتى وقت قريب محطّة للعباويين يحطون رحالهم فيها ذهابًا قبل أن يستقلوا السيارة إلي مقاصدهم، وإيابًا عند عودتهم إلى منازلهم[٤]. أمّا الآن فقد تلاشى دورها، بعدما صغُر حجمها نتيجة التعديات وأصبحت محاطة بالأبنية التي خضع أغلبها للترميم العشوائي فأصبح طرازها المعماري خليطًا ما بين القديم والحديث. ولعل الساحة اليوم هي المكان الوحيد في البلدة الذي لا يعرف الهدوء، حيث تمرّ فيها الشاحنات والحافلات من جميع الأحجام ذهابًا وإيابًا، وتحولت مرآبًا لوقوف سيارات القاطنين بمحاذاتها والزائرين والمرتادين للنادي الحسيني. وبذلك فقدت خصوصيتها ووظيفتها وتحولت إلى مكان لا يصلح لأن يكون مساحة مفتوحة، ولا يمكن إقامة النشاطات فيها إلا نادرا جدًّا. وباستثناء المسجد والنادي الحسيني، هي خالية في منتصفها من أي معلم كنافورة مياه أو تمثال أو نصب تذكاري كبير أو مقرّ عام كمبنى البلدية.

بناء المسجد - الجامع والحسينية والجبانة:

المسجد - الجامع: في الاصطلاح الشرعي هو المكان الذي أُعِدّ للصلاة فيه

(١) مدونة العرايس: السنة ١٧، مرجع سابق، الصفحات ٧-٨-٥٤.

(٢) مقابلة مع شريف أمين أحمد خليل، مرجع سابق.

(٣) نفس المرجع السابق، ص٦.

(٤) مقابلة مع شريف أمين أحمد خليل، نفس المرجع السابق.

على الدوام. وهو كل موضع من الأرض يسجد فيه للّه. أما الجامع فهو نعت للمسجد، سمي بذلك لأنه يجمع أهله، فيقال المسجد الجامع، ويجوز مسجد الجامع ... بمعنى: مسجد اليوم الجامع. ويقال للمسجد الذي تصلى فيه الجمعة، وإن كان صغيرًا؛ لأنه يجمع الناس في وقت معلوم[١]. إِذ لا يوجد اختلاف كبير بين المسجد والجامع، من حيث المساحة أو الغرض. فكل مسجد هو جامع، أو الاثنان معًا. المسجد - الجامع الموجود في عبّا، هو مسجد، وهو جامع. وكذلك هو المسجد الجامع مهما كانت مساحته. في الشكل لا يوجد فرق بين مساجد السنة ومساجد الشيعة. فكل المساجد متشابهة، مع بضع الفروقات البسيطة في داخلها وخارجها. كل المساجد لديها صالة طويلة ليس فيها لا صور ولا كتابات. لذلك عندما نقارن بينهما لا يكاد يكون هناك أي فروق.

والشيعة أسوة بسائر المسلمين لهم مساجد وجوامع. ورغم أن الشيعة والسنة مذهبان مختلفتان «تستحب الصلاة فيهما من دون فرق بين مساجد المسلمين وطوائفهم ...»[٢]. وبالتالي يُسمَح للشيعة أن يؤدوا صلواتهم في مساجد السنة والعكس صحيح. ووظيفة المسجد، لم تكن سوى ذلك المكان المتعارف عليه بالنسبة للمسلمين لإقامة الصلوات الخمس، وفي بعض الأحيان لإقامة صلاتي عيدي الفطر والأضحى إلى جانب صلوات أخرى تخضع للمناسبات كصلاة التراويح في ليالي شهر رمضان أو صلاة الاستسقاء لطلب المطر أو صلاة الخسوف والكسوف.

وحتى أواخر الأربعينات كان الطراز البسيط سمة مسجد عبّا «وكان عبارة عن حيطان مبنية من حجر الصخر أما السقف فكان من ألواح الخشب وحشائش البلان يكسوها التراب وكان السقف قبل حلول فصل الشتاء يُحدل مرات عدّة لكيلا يتسرب

(١) سعيد بن علي بن وهف القحطاني: المساجد مفهوم، وفضائل، وأحكام، وحقوق، وآداب في ضوء الكتاب والسنّة، تاريخ الطبع ٢٠٠٠م، توزيع مطبعة الجريسي - الرياض، الصفحات ٢-٣.

(٢) فقه الشريعة، طبقا لفتاوى سماحة آية اللّه العظمى السيد محمد حسين فضل اللّه (دام ظله)، الجزء الأول، العبادات، دار الملاك للطباعة والنشر والتوزيع بيروت- حارة حريك، الطبعة الثانية، منقحة ٢٠٠٠م، صفحات ٢٧٤- ٢٧٥- ٢٧٦- ٢٧٧- ٢٧٨.

الماء إلى داخله. والأرضية كانت أيضًا من التراب يغطيها حصير مصنوع من نبات السمّار. المسجد - الجامع في عبّا بنيّ على العقار (٢٦١١) مساحته (٣٢٧م٢). تبرع بتكلفة بنائه السيد علي حسين والد السيد إسماعيل، وعند وفاته دفن في فنائه. كان بجانب الجامع، أي مكان الحسينية الحالية، دار وشجرة زنزلخت»[١]. ورغم كونه من الأماكن التي تحظى بالقداسة لم يهتم أهالي البلدة بعمارة المسجد بسبب ضيق ذات اليد، ولم يتفانوا في بنائه وتزينه وكان همهم أن يتناسب حجمه مع عدد المصلّين. لذا كان صغيرًا نسبيًّا «عبارة عن غرفة مساحتها) ٧) أمتار عرض بطول (١٠) أمتار. وكان يظلله لجهة الغرب عريشة وشجرة زنزلخت ويتوسط باحته بئرين ماء، وكان يصطف على جنبتيه أباريق الوضوء المصنوعة من التنك. ويفصله عن دار حسن سمرا (أبو عزات) تصوينة ومنحدر صغير بمحاذاته (٧) قبور، والمنحدر مرصوف بالحجارة يصل إلى حيث كان دكان حسن سمرا أسفل بناء الحسينية. يحده من الشمال، جلّ مزروع بشجر التين ومصطبة صخرية تظللها شجرة زنزلخت، كثيرًا ما كانوا يجلسون عليها عصر كل يوم. أما في ناحية الشرق فقد أقيمت له بوابة يتقدمها بعض القبور منهم قبر محمود قاسم آل حسين، يقابله دكان محمد حسن خليل (أبو خليل، وقبر دفن فيه محمد قاسم محمد آل خليل. ومن الجنوب (الأبلة) ساحة بيت حسين أحمد»[٢].

ولما كان تحديد القبلة التي أمر اللّه عباده بالاتجاه إليها في صلواتهم، كانت الحاجة ملحّة لإيجاد محراب في مسجد البلدة «بُناةُ المسجد اهتموا بإقامة محراب ولم يرضوا كما كان معتمدًا في بعض الأحيان بأن يوضع علامة على الجدار، كدهان جزء منه بلون مميز، أو وضع بلاطة، يقفون أمامها لتأدية الصلاة. المحراب كان عبارة عن تجويف صخري نُحت في الجدار باتجاه الكعبة المشرفة، بارتفاع

(١) مقابلة مع محمد خليل يونس أحمد، مرجع سابق. الاسم العلمي لنبتة السمار هو Juncus arabica، تنمو في الأماكن الرطبة والمستنقعات https://www.almrsal.com

(٢) مقابلة مع سعيد إبراهيم يونس مرجع سابق.

المتر والنصف وبعرض حوالي (٧٠) سم وعمق (٢٠) سم»[١].

وكان ذلك جريًا على تقليد قديم كان معتمدًا عند الشيعة، وأكد عليه محسن الأمين في كتابه خطط جبل عامل « إن المآذن في مساجد جبل عامل لم تكن معروفة قبل هذا العصر إلا نادرًا؛ لأن عملهم كان جاريًا على استحباب جعل المأذنة مساوية لسطح المسجد وغير عالية عنه ولكنهم في هذا العصر بنوا بعض المآذن العالية»[٢]. لذا لم يكن لمسجد عبّا مئذنة، ولم يُحد عن هذا التقليد إلا حديثًا، بمسعى من السيد إسماعيل علي حسين حيث أقيمت مئذنة لم يتجاوز ارتفاعها عن سطح المسجد أكثر من متر واحد، مربعة الشكل في داخلها درج يتسلقه من أوكل إليه رفع الأذان[٣]. وقبل تكليف السيد محمد علي إبراهيم بإمامة البلدة كانت الصلاة في المسجد تتم فرادى، وكان المناداة لأدائها يتم برفع الأذان «وكان يؤُمّ الصلاة الشيخ إبراهيم زين الدين من برج البراجنة. وأحيانًا كان ولده يقف على سطح البوابة لرفع الأذان. لم تكن تقام صلاة يوم الجمعة أو صلاة الجماعة، وكان بعض كبار السنّ مثل السيد علي موسى، الحاج موسى قاووق، السيد عبدو حسين أحمد والسيد علي محمود ينطلقون عند العاشرة صباحًا ممتطين ظهور دوابهم باتجاه بلدة الدوير للصلاة يوم الجمعة خلف السيد مهدي. وبمجيء السيد محمد علي إلى البلدة أوصاهم السيد مهدي بالصلاة خلف السيد محمد علي»[٤]. وهكذا أصبحت الصلاة اليومية والجماعة يوم الجمعة تقام بإمامته، إنما بأوقات غير منتظمة بحسب واقع الحال «لأن عدد الأهالي كان قليلًا مقارنة بما هو اليوم ومعظمهم منشغل بتدبر معيشته من العمل بالأرض وغيره. أما من هم في مقتبل العمر، فكانوا نادرًا ما يدخلون المسجد للصلاة»[٥]. وجاء تعيين السيد محمد عام

---

(١) مقابلة مع محمد خليل يونس مرجع سابق.

(٢) محسن الأمين: خطط جبل عامل، حققه واخرجه حسن الأمين، الطبعة الأولى، ١٩٨٣، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان - بيروت، ص١٧٥.

(٣) نفس المرجع السابق.

(٤) نفس المرجع السابق.

(٥) نفس المرجع السابق.

(١٩٥٠م) قاضيًا على بعلبك ثم مرجعيون ثم مستشارًا لمحكمة التمييز الجعفرية العليا في بيروت «ليقلّص إمامته للملصين إلى مرة أو اثنتين على مدار الشهر. وكان في غيابه يتولى السيد علي موسى خليل ياسين رفع الأذان فقط مناداة للصلاة، وكانت تقام فرادى»[١].

أواخر الخمسينات، عندما انهار السقف الترابي للمسجد وأزيل ركامه» استعيض عنه بآخر من القرميد. الدخول إلى المسجد كان من باب خشبي ويتوزع داخله حوالي خمس شبابيك»[٢]. ومع ازدياد عدد سكان البلدة لم يعد المسجد يتسع للمصلين الأمر الذي دعا عددًا منهم إلى تقديم مقترحات لتوسعتة. إلا أنه بداية السبعينات وبعد جمع التبرعات من أهل البلدة، أُزيل بالكامل بإشراف المهندس بهيج منصور من برج البراجنة بعد أن تطوع لبناء الجامع والحسينية الحاليين دون أجر»[٣]. عن وقائع تلك المرحلة يروي خليل توفيق ترحيني في مدونته العرايس، أنه « بعد إنجاز الطريق إلى الساحة العامة تنادى الأهالي بهمّة السيد محمد علي إبراهيم والسيد علي يونس أحمد هارون والسيد عبدو حسين أحمد، لبناء مسجد وحسينية على قطعة أرض قدمها هبة السيد علي أحمد حسن خليل (أبو سعداللّه) وتولى الحاج عبد الحسن يونس عميص التنسيق مع المهندس لإعداد التصاميم والإشراف على البناء حتى الإنجاز الكامل»[٤]. أولى التبرعات المالية «افتتحها آنذاك السيد خليل يونس أحمد هارون بمبلغ ألف ليرة، جاء ذلك بعد سؤال السيد خليل للسيد محمد عن حقيقة بناء المسجد والحسينية وكان جواب السيد التأكيد على الخطوة»[٥]. وكانت وقفة أهالي البلدة

---

(١) مقابلة مع محمد خليل يونس مرجع سابق.

(٢) مقابلة مع محسن عبدو حسين مرجع سابق.

(٣) نفس المرجع.

(٤) يراجع مجلة العرايس: شهرية، وثقافية وبلدية خاصة، السنة ١٧، مرجع سابق، الصفحات ٢٦- ٢٧.

(٥) مقابلة مع خليل توفيق ترحيني(أبو بشّار) تولد ١٩٣٧ والدته فاطمة إسماعيل بتاريخ ١١/ ٩/ ٢٠١٥م. حول هذه الواقعة يروى أن عبد اللّه [عبد اللّه هو الأسم المستعار للدكتور فايز ترحيني في روايته دائرة الشوك] سأل والده من أين جاء جدي بالمال الوفير؟ أجاب: من عمله المضني. هو فلاح يزرع أرضه =

جريئة عندما هبوا « لجمع رصيد الكلفة بمساهمات مالية ابتداء من الليرة إلى الخمس دون أن يمدّوا يدهم للغير من خارج البلدة.هي شهادة بأهل البلدة أدلى بها عام (١٩٦٧م) الإمام المغيّب سماحة السيد موسى الصدر في احتفال بناء حسينية زوطر الشرقية»[١].

وكان علي أحمد حسن خليل (أبو سعدالله) قبيل البدء بالبناء، وبهدف حثّ الأهالي على التبرّع «تعهد لجميع الأهالي بأن يكون سعر الكيلو الواحد للتبغ (٧) ليرات ونصف، شرط أن يدفعوا فارق السعر بين السنتين السابقتين (تبرّع) لبناء الجامع والحسينية»[٢]. وأصبح (التبرّع) تقليدًا درج عليه الأهالي، وكانوا يتنافسون أيهم يدفع أكثر، لا سيما أن مؤذن المسجد محمد على موسى يقوم بالإعلان بالمذياع عن أسماء المتبرعين يوميًّاعقب كل صلاتي مغرب وعشاء، يطلب في نهايته الثواب للمتبرّع ونيل قراءة الفاتحة عن نفس متوفى له، أو الدعاء لشفاء مريض، أو لقضاء حاجة، ما زال هذا التقليد متّبعًا حتى الآن.

وفي أواخر السبعينات كان المسجد قد أنجز بناؤه بالكامل، وهو ملحق ببناء

= الواسعة بأصناف الغلال ويقوم بأودها، ثم يعمل فلاحًا مرابعًا عند إقطاعيين... كما أنه يمتهن حفر الآبار لقاء أجر لكنه كان يوقف بعضها كسبيل للعامة... وقد رثاه أحد الزّجالين بثلاثين بيتًا، نذكر منها:

ياسيد خليل كتير بكّرت الرحيل — وصارت دموع العين ع فراقك تسيل
ووين يا عبّا الّ فجّر للميْ عين — بأرض مقطوعة الرّجا والمستحيل
والميْ حلّل بعدما تعبو اليدين — وع حسابو للبشر فاتح سبيل
ومن قصر عمرو بها لدّني عالحالتين — تاريخ فعل الخير بالدنيا طويل

ثم أردف والد عبد اللّه : كنت في مثل سنك يوم علق بمعولي في اثناء الفلاحة في منطقة العتبات/ إناء فخاري فيه ليرات ذهبية لم أستطع إحصاءها أو عدّها، فشكلت تلك نواة ثروته التي أنفقها على الأعمال الخيرية والفرائض الدينية من حج زاد على عشر مرات، ومثلها للعمرة، وعلى زيارات متكررة للأماكن المقدسة في الشام والعراق وإيران، فضلًا عن قيامه بواجباته الديني من خمس وزكاة وإسهامات في بناء المساجد والحسينيات، ومساعدات لرجال دين ومحتاجين. كما أنه كان يمتهن حفر الآبار لقاء أجر، لكنه كان يوقف بعضها كسبيل للعامة يستقون منها ويسقون دوابهم. فايز ترحيني: دائرة الشوك حكاية، مرجع سابق ص٤٩.

(١) مجلة العرايس: السنة ١٧، مرجع سابق، ص٢٦.

(٢) أخبار متفرقة عن بلدة عبّا، جمعها حسن (نجل السيد محمد حسن ترحيني).

الحسينية يفصل بينهما حائط مشترك، ولا يوجد بناء آخر فوقه. كباقي المساجد عند الشعة ليس لمسجد عبّا من الخارج صحن أو رواق[١] أمّا من الداخل فهو عبارة عن قاعة طولها يقارب العشرين مترًا وعرضها عشرة الأمتار وارتفاع السقف فيه ستة أمتار. وفي منتصف الحائط من الجهة الجنوبية أقيم محراب من حجر الرخام من نوع (كراره) مستطيل الشكل في وسطه تجويف لا يتجاوز عمقه الـ(٢٠) سم، على جنبتيه عمودان صغيران بطول المتر والنصف تقريبًا يعلوهما قنطرة على شكل العقد الموتور، وفي الزاوية الجنوبية الشرقية من الحائط يوجد نافذتان مستطيلتا الشكل أعلاهما قنطرة على شكل العقد الموتور. والحائط من الجهة الغربية يتوسطه نافذتان مستطيلتا الشكل تقريبًا. والحائط من الجهة الشرقية يتوسطه نافذتان مشابهتان لتلك الموجودة على حائط الجهة الغربية وبجانبهما باب رئيسي بارتفاع المترين ونصف وعرض المترين يتم الدخول للقاعة منه. أما الحائط من الجهة الشمالية فهو مقفل تمامًا لكونه مشتركًا مع حائط القاعة السفلى من الحسينية. في حين يُعَدُّ فيه المنبر جزءًا أساسيًا من مقومات المسجد الجامع، ويخلو مسجد عبّا من (منبر) وهو مرقاة متنقلة ذات درجات. كذلك ليس له قبّة، فيما الثابت أن القباب باتت جزءًا أساسيًا في معظم المساجد. في الوقت الذي أصبحت فيه المئذنة قطاعًا قائمًا بذاته وفنًّا من فنون العمارة في مساجد الشيعة، وتلاقي عناية كبيرة في التصميم، من ارتفاع وشكل وزخرفه وزينة ونقوش، اكتفى القيمون على البناء بمئذنة عبارة عن منارة مبنية من الحجر الأبيض الصلد عليه نقوش في أماكن محددة. وجُعِل في داخل المئذنة درج ينتهي بردهة تعلوها قبّة بيضاوية الشكل مسنّنة من الأعلى، خالية من أي نقوش أو زخرف ومكسوّة ببلاطات مربّعة صغيرة الحجم خضراء اللون. ومنها يرفع الأذان والدعوة إلى الصلاة بالمذياع في المواقيت المعروفة. ولمّا كان المسجد من أهم الشعائر الإلهية التي أمر اللّه بإقامته

---

(١) «الصحن هو المساحة المكشوفة منه، التي تتصل بحرم المسجد وأروقته وجدرانه الخارجية، وفي كثير من المساجد يضم الصحن مصادر للمياه يتوضأ منها الناس، كذلك يستفاد منه في استيعاب المصلين إذا زادوا عن طاقة الحرم. أمّا الرواق فهو ممر عريض مسقوف يحيط بجميع أو معظم جهات المسجد تستخدم لتدريس العلوم الدينية وتحت هذه الأروقة كان العلماء يلقون دروسهم على المتعلمين».

ليكون المنطلق الأول لبناء الإنسان عقائديًا ومنشأ سلوكه ببعده الاجتماعي، وجب أن يلتزم رواده حفاظًا على قدسيته بمجموعة من الآداب الإسلامية، يسهر على تطبيقها إمام الخطب المسجدية. كما وجب المحافظة عليه والاهتمام بشؤونه، فكان تكليف أبو عبد حسونة بمهمة (خادم المسجد) وأمضى في خدمته قرابة (٢٥) عامًا من دون انقطاع، ولم يعتزل إلا بعد أن اقعده المرض عام (٢٠١٣م) ليكمل مهمته ماجد عبد اللّه ترحيني»[١].

في العام (٢٠١٢م) وبعد أن تكفل الخيّرون من أبناء البلدة بمستلزمات توسعة المسجد كافة بُوشر بالأعمال، وأُزيل جزء من الحائط الفاصل بين المسجد والطابق الأرضي من الحسينية) قاعة عاشوراء) واستحدث مكانها ثلاث قناطر على شكل (العقد الموتور) وبذلك أصبحت القاعة جزءًا من المسجد. وكذلك أُقيم ساتر من الزجاج يفصل بين المسجد والممر المؤدي للطابق الأول من الحسينية. وهكذا أصبح الدخول إلى المسجد يتم من الفناء الخارجي للحسينية عبر بوابة حديدية يقارب عرضها المترين.

في السنوات الأخيرة، أدت التحولات الاجتماعية والديموغرافية في عبّا، دورًا في إحداث طفرة عمرانية تركزت في نواحي البيدر- بيدر راس الدوري، وادي عالي، راس الدوري. وتشكل هناك طفرة عمرانية ليست معزولة عن وسط البلدة وباقي أطرافها. ولأجل تفعيل العلاقات المجتمعية لا سيما الدينية منها كانت الحاجة ماسّة « لبناء (مسجد البيدر) الذي رفع ركائزه على أرض مُشاع كامل عبد الحليم ترحيني، ثم أكمله بعد حزب اللّه، وكُلّف بإمامته السيد مسلم علي هاشم ترحيني. كذلك أقيم جامع الإمام علي في حي رأس الدوري تكفّل ببنائه المغترب إلى أفريقية الحاج محمد قاووق، وافتتحه عام (١٩٩٧م) العلاّمة السيد محمد ترحيني، ولمّا توفي الحاج محمد قاووق دفن هو وزوجته بجانبه، يرتاده بعض المصلين بين الحين والآخر، وكلّف الحاج داوود حريري بالإشراف عليه. وكان في وقت سابق، قد شيّد مسجد لآل عميص في أحد أحياء البلدة القديمة محاطًا

(١) أخبار متفرقة عن بلدة عبّا، جمعها حسن (نجل السيد محمد حسن ترحيني).

ببيوت آل عميص، لا يرتاده المصلون.

الحسينية ـ النادي الحسيني: مؤسسات دينية ـ ثقافيه لم تظهر إلا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. وكان شيعة العراق أول من بدأ ببناء الحسينيات على شاكلة التكايا الصوفية، لإقامة الشعائر والطقوس الدينية وبخاصة العزاء الحسيني. ولذلك اتخذت اسم الحسين شعارًا لها وسميت بـالحسينية. «وكانت أولى الحسينيات التي شيدت هي الحسينية الحيدرية في الكاظمية عام (١٢٩٧هـ/ ١٨٧٦م) وتبعها حسينية أخرى في بغداد، ثم ثالثة في الكاظمية أيضًا»[١]. وكان الهدف البعيد من إنشائها، ذكر مصيبة كربلاء والدروس والعبر المستوحاة من تلك الواقعة لإشعال جذوة التضحية في نفوس الناس ليستمر الخط فلا تخمد تلك الروح التحررية التي يحتاج إليها الإنسان في كل زمان ومكان لرفض الظلم ودفعه بشتى الوسائل.

حتى بداية السبعينات لم يكن هناك في عبّا شيء اسمه حسينية، أو منبر حسيني، أو عرّيف حسيني، بالشكل القائم حاليًّا. واقتصر الأمر على وجود مكانين لإقامة الشعائر ومناسبات تأبين المتوفين من أبناء البلدة (ذكرى أسبوع) هما قاعة المسجد ومبنى الحسينية القديمة»[٢]. وهي أقيمت على العقار رقم (٢٥٩٤) مساحته (٩٨م٢)، عبارة عن « بناء صغير ما زال موجودًا لغاية الآن يتألف من طابق أرضي وهو عبارة عن دكاكين يشغلها أبناء البلدة، وطابق علويّ من غرفتين يتم الدخول إليهما من ردهة متوسطة الحجم»[٣]. أمّا البناء الحالي فقد بُوشر ببنائه بداية السبعينات بالتزامن مع بناء المسجد ـ الجامع، على العقار المحاذي له رقم (٢٦١٢) وهو مدرج على الصحيفة العقارية باسم كل من: موسى وحسن علي خليل الترحيني / ماشاء اللّه حسين علي الترحيني. يتكون المبنى من طابق سفلي لا تتجاوز مساحة

(١) إبراهيم الحيدري: تراجيديا كربلاء- سوسيولوجيا الخطاب الشيعي، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧م، قم ـ ميدان المعلّم، ص٦٨.

(٢) مقابلة مع حسن محمد حسن حسين تولد ١٩٤١م، والدته مريم حريري سجل ٨٠ بتاريخ ٢٢/ ٤ / ٢٠١٨م.

(٣) « تشغله شعبة حركة أمل في البلدة لعقد اجتماعاتها التنظيمية الدورية. الأرض ملك لآل خليل قام ببنائه مؤسس حزب الطلائع رشيد بيضون حيث قدّم ما يلزم من مواد بناء وكان أول ناد حسيني يقام في البلدة». مقابلة مع شريف عبد اللّه جواد خليل، مرجع سابق.

(١٠٠م٢)، وهو أدنى مستوى من سطح الساحة العامة، بمحاذاة الطريق المؤدية إلى البيدر. ويضم من الداخل حمامات وحوض ماء وردهة للوضوء ومن الخارج أربعة دكاكين (وقف) مؤجرة من أحمد يونس (أبو علي) وحسن عزّ الدين (أبو عزات). وطبقتين أرضي وأول. الأرضي، أو ما تعرف (بقاعة عاشوراء) عبارة عن قاعة، طولها يقارب العشرين مترًا، وعرضها عشرة الأمتار وارتفاع السقف ستة أمتار. ويتم الدخول إليها من جهة الشرق عبر بوابة حديدية بعرض ثلاثة أمتار وارتفاع مترين ونصف وأربع نوافذ اثنان منهما مربع الشكل يتخللهما أربعة أعمدة من الصخر المنحوت، والآخران مربعا الشكل ينتهيان بعقد حدوة الحصان. تنتهي القاعة عند إحدى زواياها الغربية بدرج يصل إلى الطابق السفلي ودرج إلى الطابق الأول. ومن الجهة الجنوبية الشرقية مطبخ صغير لإعداد ما يلزم من ضيافة عن روح أبي عبد اللّه خلال إحياء مجالس عاشوراء، كما يستخدم للوضوء. أما الجهة الشمالية فتتوزع فيها نوافذ مستطيلة الشكل تنتهي بقنطرة على شكل عقدة حدوة الحصان. سقفها محمول على ثلاث قناطر مطلية بالدهان، القنطرة الوسطية بعرض ثمانية أمتار على شكل العقد الموتور والاثنتين الجانبيتين بعرض المتر ونصف على شكل عقدة حدوة الحصان. يحمل القناطر الثلاثة عمودان مكسوان ببلاط مربع الشكل صغير الحجم، أسود اللون من الأسفل والوسط وفيروزي عند العنق، شبيه ببلاط الفسيفساء. والأرضية مكسوة ببلاط الموزايك ذات اللون الأبيض المطعّم بالحصى الأسود ومغطاة بالسجاد. والقاعة منذ إنشائها بقيت خالية من أي أثاث سوى مكتبة تضم مصاحف وكتب ادعية. وكانت منفصلة تمامًا عن قاعة المسجد، ومخصصة فقط لإقامة المجالس الحسينية خلال الأيام العشرة من المناسبة. عام (٢٠١٤م) ولأجل توسعة المسجد بعد أن غصّ بالمصلين قامت لجنة الوقف بإزالة أجزاء من الجدار الذي كان قائمًا بين المسجد والحسينية واستحدث ثلاث قناطر على شكل عقد نصف دائري، مكسوة بإطار مصنوع من (خشب الماغنوم) المطلي باللون الجوزي. وبذلك أصبحت القاعة بعد أن فُصِلت عن الرواق بساتر من الزجاج، مساحة ملحقة بالمسجد وليست جزءًا منه.

أما الطابق الأول فهو مخصص لإقامة حفل التأبين للمتوفين، وما يتخلله من ثناء ورثاء وخطب دينية ومجالس عزاء. وإقامة محاضرات دينية في المناسبات الخاصة بأهل البيت. ويتم الدخول إليه من مدخل الطابق الأرضي مرورًا برواق ينتهي بدرج يؤدي إليه. والطابق الأول مشابه تمامًا للطابق الأرضي من حيث المساحة والشكل، ما عدا جدار الجهة الشرقية وفيه سبع نوافذ، وجدار الجهة الشمالية وفيه خمس، وجميعها مستطيلة الشكل تنتهي بعقد حدوة الحصان. ومن الجهة الغربية المنبر الحسيني ونافذتان مستطيلتا الشكل.

وكان المنبر على شكل قوس في وسطه محراب، مستقيم الأطراف مكسوّ بالرخام الأبيض الداكن. وفي عام (٢٠١٣م) ولأجل توسعة مساحة القاعة أُزيل المنبر الحسيني واستعيض عنه بآخر أقل حجمًا وتم إكساء الحائط الخلفي، بحجر صخري، ويتوسطه ثلاث جداريات صخرية تحمل كل واحد منها منفردة اسم الجلالة - النبي الأكرم محمد - أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. وتولى تغطية التكاليف المحسنون من أبناء البلدة. وعلى جانبي المنبر خصص لجهة اليمين مقاعد لذوي المتوفين، ولجهة اليسار لأصحاب السماحة والفضيلة والوجوه السياسية والاجتماعية، وأمام المنبر مقاعد للعامة تتسع القاعة لحوالي (٢٠٠) شخص.

وحسينية الزهراء مخصصة للنساء. بُوشر العمل ببنائها أواخر ١٩٩٢ بعد أن قام بوضع التصاميم الهندسية والانشائية كل من المهندسين محمود أمين ترحيني وعباس حرب من جبشيت وأعمال البناء المعمار قاسم محمد ترحيني تجاور جبانة البلدة في محلّة الحمّارة.» تكفل بجزء من كلفة البناء الحج صلاح شعبان من مدينة النبطية[1] وما تبقى من كلفتها، هي تبرعات من آل قاووق بـ(٢٠) مليونًا، وأبو سعد اللّه علي حسن خليل ترحيني بمبلغ مماثل. بنيت على العقار رقم

(١) مغترب في أفريقيا، كان رحمه اللّه على صداقة بالسيد العلّامة محمد حسن ترحيني، واظب على حضور المجالس الحسينية التي كانت تقام في البلدة. من عطاءاته أيضًا، عقارشيّد عليه مدارس المصطفى في النبطية.

(٢٠١٦) مساحته (٤١٩ م٢) وقف على بناء حسينية من صاحبه محمد عبدو حسن علي يونس معلّم والد الحاج أحمد وانيس وما تبقى، فهو قسم ضئيل من العقار رقم (٢٠١٣م) لصاحبه أحمد إسماعيل علي حسين. وقدم العلاّمة السيد محمد ترحيني مولد كهرباء صدقة جارية عن روح شقيقه يوسف. قاربت مدة البناء ثلاث سنوات، حضّ خلالها العلاّمة السيد محمد ترحيني على تقديم المال للانتهاء من بنائها»[١].

وتتألف حسينية الزهراء من طابقين. أرضي: يحوي غرفة لغسل الموتى تكفّل بتجهيزها عصام أحمد علي وهبي محمد خليل عند وفاة والده. ويقوم بتأدية فريضة غسل الموتى إبراهيم علي مصطفى ترحيني، وماجد عبد اللّه حمود ترحيني. وغرفة أخرى عبارة عن موقف لسيارة إسعاف البلدة، وقاعة كبرى مجاورة للغرفتين مخصصة للنشاطات العامة وإقامة صلاة الميت. أما الطابق الأول، فهو بالكامل قاعة كبرى، الدخول إليها يتم عبر درج متوسط الارتفاع يصل إلى ردهة، يليها بوابة حديدية. القاعة مربعة الشكل، مساحتها حوالي (٢٥٠م٢) يعلو جدرانها الأربعة، سقف محمول على أربعة أعمدة، مثمّن الأضلع في وسطه، والمثمن يرتفع قليلّا مع نوافذ صغيرة مستطيلة، عبارة عن (منور) يدخل منها ضوء الشمس. والجدران الأربعة تحوي نوافذ مستطيلة الشكل تنتهي بشكل نصف دائري. القاعة تتسع لحوالي (٢٠٠) شخص تقريبًا، مخصصة لإقامة المجالس الحسينية وتأبين المتوفين النساء من أبناء البلدة ونشاطات أخرى.

وفي عبّا مصلّى عبارة عن بناء مستطيل الشكل بُنِيَ على العقار رقم (٢٠٢١) مساحته (٣٩٢ م٢) هو ملك لأحمد علي حسين ترحيني، قام بوقفه على مصلى والده إسماعيل علي حسين في أوائل الستينات من القرن الماضي، نظرًا لقربه من الجبّانة، وحاجة أهالي البلدة إليه للصلاة على المتوفين، ومكان مخصص للنساء لإقامة حفل تأبين، حين لم يكن لهم حسينية مخصصة لهذا الأمر. وهو الآن في

(١) من مرويات المجالس الخاصة للعلاّمة السيد محمد حسن ترحيني» نقلها إلينا نجله حسن بتاريخ آذار ٢٠١٨م.

عهدة حزب اللّه، يقيم فيه شتى النشاطات الاجتماعية والتربوية.

اكتسبت مساجد عبّا خصائصها العمرانية ومضامينها ومدلولاتها ومتطلباتها من ثقافة البيئة المتواجدة فيها. فقد كانت وما زالت دار عبادة وعلم، وحافظت على خصائصها العمرانية، ولم تتأثر بخصائص بالبيئات الأخرى التي نراها بوضوح في بيروت وغيرها من المدن والقرى التي تتخذ من مذاهب أهل السنّة والجماعة معتقدًا لها. ولا من خصائص أقاصي آسية وأفريقية والصين وشبه القارة الهندية ولا من الطراز العثماني بمميزاته الواضحة المعروفة. كذلك الحسينيات، فقد اكتسبت مدلولاتها وخصائها العمرانية أيضًا من فلسفة حركة الإمام الحسين المحفورة في الوجدان الشيعي. ولأن لكربلاء بعدًا إنسانيًّا، لم ينطبق على الحسينيات أحكام المسجدية لعدم وقفها كمسجد، ومن ثمّ فإن الغاية من إنشائها هي إقامة مجالس العزاء والمحاضرات في المناسبات الخاصة بأهل البيت والعامة كتأبين المتوفين وتقديم الخدمات والمسابقات والمهرجانات التجمعات الشعرية والأدبية والفكرية وما إلى ذلك. والحسينيات أكثر تحررًا من الشروط التعبدية المفروضة على المسجد لناحية مشاركة عموم الناس من دون أن يمنعهم شيء كما هو الحال في المساجد حيث تحضر الحائض والنفساء والمجنب والنجس والمتنجس والأطفال على نحو سواء.

ولأن المساجد والحسينيات في عبّا كما سائر البلدات في لبنان هي وقف خيري يرتبط بتحقيق مصلحة الجميع، وليست ملكًا لأحد، وريعها يعود لجهة من جهات البر لأجل أن يعم نفعها على الجميع، أراد المشترع تنظيم شؤون الطائفة الإسلامية الشيعية في لبنان لا سيما أوقافها والعمل على إحيائها والعناية بها[1]

(١) «ينشأ للطائفة الاسلامية الشيعية في الجمهورية اللبنانية مجلس يسمى المجلس الاسلامي الشيعي الاعلى يتولى شؤون الطائفة ويدافع عن حقوقها ويحافظ على مصالحها ويسهر على مؤسساتهم ويعمل على رفع مستواها وهو يقوم بصورة خاصة بشخص رئيسه بعد استطلاع رأي الهيئتين الشرعية والتنفيذية كل فيما يعود اليها بالمهام التالية: اولا: ينظم اوقاف الطائفة ويعمل على احيائها والعناية بها». الفقرة اولا من المادة رقم (٢) من قانون رقم ٧٢تاريخ: ١٩/ ١٢/ ١٩٦٧م، الجريدة الرسمية العدد ١٠٣، تاريخ ٢٥/ ١٢/ ١٩٦٧، الصفحات ١٩٤٩-١٩٥٢م.

فعدّ المساجد والحسينيات والمصليات وما شابهها من دور عبادة والتي تدخل ضمن نطاق سلطة وقف الطائفة الإسلامية الشيعية، أوقافًا خيرية عامة لهذه الطائفة أوجب قيدها على اسم وقف الطائفة الإسلامية الشيعية(١). إلا أنه لغاية الآن بقيت المساجد والحسينيات في عبّا غير مقيّدة في خانة وقف خيري خاضع لسطة ووصاية المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، ومن ثمّ لا تستفيد من أية تقديمات مادية تسهم في العناية بها، أو تنظيمية فيما خصّ الإشراف على شؤونها. وبقيت إدارته محصورة بإمام البلدة يعاونه لجنة تعتمد في وارداتها المالية على ما يتأتى من بدل الإيجار السنوي لبعض المحال التجارية والعقارات المقيّدة وقفًا لعموم أهالي البلدة، ومن تبرعات المحسنين، وما يبذل من مستحبات عن أنفس المتوفين. ولأن العبّاويين متمسكون بشعائر دينهم وحبهم لأوليائهم ظهر العديد من المؤسسات بمختلف وظائفها اقترنت أسماؤها بأسماء الأولياء، وهذا يعكس متانة العلاقة بين الفرد ومعتقداته يظهرها في مختلف الجوانب العمرانية والاجتماعية والدينية والاقتصادية والثقافية.

الجبّانة - المقبرة: اسم يحتمل معاني عدة تختص بالحياة اليومية للإنسان، ومنها ما يرتبط بصيرورة الإنسان، أي المدفن حيث يشيّع المتوفى إلى مثواه الأخير. والمقبرة شرعًا هي دِيار الموتى ومنازلهم، وعليها تُنزِل الرحمة على محسنهم، فإكرام هذه المنازل واحترامها من تمام محاسن الشريعة. في عبّا، هناك اعتقاد لدى البعض، بوجود مقبرة بالقرب من الساحة العامة بمحاذاة مبنى الحسينية الحالي ومنحدر الطريق المؤدي إلى البيدر. وهي قديمة جدًّا تعود إلى مئة وخمسة وسبعين عامًا مضت، كانت تسمى تربة البستان. إلا أن عوامل عدة أدت إلى زوال عدد من القبور وبقي منها واحد أو ثلاثة أزيلت بالكامل مطلع سبعينات القرن الماضي(٢). وبحسب هذا الاعتقاد، يكون تاريخ إنشائها في حدود العام (١٨٣٧م) وأغلب الظن

(١) الفقرة اولا من المادة (١) من القرار رقم ٢٠تاريخ: ١٦/ ٠٨/ ٢٠١١م. الجريدة الرسمية، العدد٤، تاريخ ١/ ٩/ ٢٠١١م، الصفحات ٣٣١٨ - ٣٣١٩.

(٢) مقابلة مع محمد خليل ترحيني، مرجع سابق.

أنه صحيح. ومبعث الصحة يعود لأمرين، الأول: أن أحدًا من أهالي البلدة ممن ولد في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات العشرين، وبقي على قيد الحياة حتى السبعينات، لم يعترض على إزالتها، لجهله لسبب أو لآخر لمن تعود هذه القبور، لا سيما أن للقبور في المعتقد الديني والشعبي، حرمة توجب المحافظة عليها، لدرجة يحرم الجلوس عليها عند زيارة الموتى. أمّا الثاني: فهو الاعتقاد بأن المكان الذي وُجِدَتْ فيه المقبرة كان صغير المساحة، ويبدو أنها امتلأت عن آخرها، الأمر الذي دفع بالأهالي للدفن في مكان آخر، وهذا الأمر يفسّر وجود عدد محدود من القبور في ساحة آل هارون، وهو مكان ليس بمقبرة، تعود لأفراد من آل حريري وفحص، من بينها قبر للشيخ داوود حريري دفن فيه عام ١٩٤٠.

أمّا ما هو قائم الآن، فهو مقبرتان. الأولى، تقع في مقابل حسينية الزهراء وتسمى مقبرة الحمّارة، نسبة إلى اسم المحلّة (الحمّارة). بداية أنشئت على العقارات التالية: رقم (٢٠٠٨) لصاحبه حسن حسين محمود ترحيني (وقف على جبّانة) ورقم (٢٠١٠) لصاحبه محمد وهبي ترحيني (وقف على جبّانة)، ورقم (٢٠١١) (مُشاع لعموم البلدة)، ورقم (٢٠١٢) (طليق) أي مُشاع لعموم البلدة.

بداية كانت المقبرة من دون سور إلى أن سوّرت بدايات الثمانينات. ويبدو أن اختيار المكان كان صائبًا نظرًا لقربها من مركز البلدة. والمقبرة قديمة العهد، تعود إلى ما قبل مئة سنة ويزيد. يستدلّ على ذلك من شاهد قبرًا عائدًا لـحسين الحاج علي عميص متوفّى عام (١٩١٥م). وفي المقبرة أيضًا عدد من القبور، قد تكون أقدم منه، وتأكيد ذلك أو نفيه متعذر؛ لأن معالمها درست بفعل العوامل الطبيعية، وصار معرفة صاحب القبر وتاريخ وفاته مهمة مستحيلة؛ لأن أحدًا من ذوي المتوفين لم يبادر إلى ترميمها كما رُمّمَ قبر الحاج حسين عميص[١]. وبقيت مقبرة

(١) القبر عبارة عن منبسط مستطيل الشكل من حجر الصخر المنقوش لا يتجاوز ارتفاعه ٤٠ سم، يعلو المنبسط قاعدتان واحدة على شكل العقد المنكسر، والثانية مربعة يعلوها دائرة. ويبدو اسم صاحب القبر وتاريخ وفاته كانت نقشت عليها ولم تعد مقروءة، لأن أعمال الترميم شملت ناحيتين من القبر. الأولى تركيب لوحة رخامية على القاعدة المربعة تشير إلى الاسم وتاريخ الوفاة، والثانية تليّس منبسط القبر بالإسمنت مع كتابة الاسم وتاريخ الوفاة. صورة رقم (١٣).

(الحمّارة) معتمدة من الأهالي حتى أصبحت تحوي قبورًا حديثة العهد لناحية تاريخ وفاة أصحابها وشكلها ومواد البناء المستخدمة في بنائها. وبعدما استنفد دفن الموتى فيها، توسعت المقبرة عندما بادر حيدر عميص إلى وقف قطعة الأرض رقم (٢٠٠٧) المحاذية لها على جبّانة، ودُفن فيها عام (١٩٧٨م). وجرى لاحقًا هدم الحائط الفاصل بينهما لتصبح مقبرة واحدة يحيط بها سور من جميع الجهات لا يتجاوز ارتفاعه المترين. ويتم الدخول إليها من الجهات الشمالية الغربية والجنوبية عبر بوابات أصغرها من الجهة الشمالية. وبذلك تُعَدُّ مقبرة الحمارة الأكبر مساحة في البلدة، وهي تكاد اليوم تمتلئ عن آخرها.

والجدير بالملاحظة، أن التدقيق بخارطة السجل العقاري لبلدة عبّا - محلة الحمّارة، حيث توجد المقبرة، يظهر وجود طريق مدرجة تمرّ بين العقارات (٢٠٠٧ - ٢٠٠٨ - ٢٠١٢) والعقارات (٢٠١٠ - ٢٠١١) وتفصل المقبرة إلى نصفين. أمّا ما هو منفّذ منها فهو نصف الطريق ويبدأ من العقار (٢٠٥٩) وأمتار قليلة من العقار (٢٠٥٧) وما تبقى منها بين العقار (٢٠٠٨) والعقار (٢٠١٢) فقد امتلأت بالقبور. ولأن وقف بعض العقارات في عبّا أصبح أمرًا تقليديًّا كلّما دعت الحاجة إليه، فقد بادر البعض ممن لديهم عقارات محاذية لمقبرة الحمّارة، إلى وقفها على جبّانة، وهي: رقم (١٩٩٨) لصاحبه عبد الحسن عميص، رقم (٢٠٠٠) لصاحبه حسين علي يونس، رقم (٢٠٠٢) لصاحبه سعيد إبراهيم يونس، رقم (٢٠٥٧) لصاحبه محمد إسماعيل علي حسين، رقم (٢٠٥٩) لصاحبه محمد إسماعيل حريري، ولا يزال دفن الموتى في هذه العقارات في بداياته.

أمّا الثانية فهي جبّانة (آل خليل). وفي واقع الأمر، وليس كما هو شائع، أنها وقف على جبّانة، فإن هذا العقار وبحسب ما هو مدرج على الصحيفة العقارية، مُشاع لعموم البلدة، ورقمه (٦٤٣) ومساحته (٧١٧م^{٢})، يقع على منحدر بالقرب من الساحة العامة. والجبّانة مسوّرة من جميع الجهات الدخول إليها يتم عبر بوابة، ويبدو أنها أنشئت هي وجبّانة الحمّارة في وقت واحد، يستدّل على ذلك من أقدم قبر يعود لـزينب سيد خليل توفيت عام (١٩١٤م)، عدد القبور فيها

يقارب الخمسين موزّعة بين القديم والحديث. وهي كمقبرة الحمّارة امتلآت عن آخرها إلا أن الدفن بين القبور وجنباتها الفارغة مازال مستمرًّا إلى اليوم. وما تبقى لغاية الآن في ساحة آل هارون، هو أربعة قبور من آل حريري، وهي للشيخ داوود حريري توفي عام ١٩٤٠ وحُسن علي معلّم حرم الشيخ إبراهيم حريري توفيت عام (١٩١٠م)، وإبراهيم الشيخ إبراهيم حريري توفي عام (١٩٤١م) والآخر من آل فحص لـموسى إبراهيم فحص توفي عام (١٩٢٦م).

وفي مقابر عبّا نماذج عديدة منها ما هو قديم مبني من الحجر الصخري الطبيعي مع شاهد مسطّح من الإسمنت، ومنها ما هو مصنوع من الموزايك بارتفاع مسطحين أي إن ارتفاعه يصل إلى متر وأكثر أحيانًا. ومنها ما هو مصنوع من الرخام بارتفاع مسطحين يحوطه قفص من الحديد مضافًا إليها أهداب زخرفية ومنها ما هو داخل غرفة. أما الجديد، فقد أسهم زيادة الوعي الديني عند الناس في تغيير عادات بناء القبور وتجهيزها، وأصبح القبر على نسق واحد مصنوع من الرخام الأبيض أو الأسود ومسطّح بارتفاع يتجاوز مستوى ارتفاع الأرض بقليل، وهو بمنزلة شاهد، مائل من الأعلى. وساعد انتشار الآلات التكنولوجية الحديثة، على إتمام عملية نحت الشاهد، وتخّلى نحّاتو شواهد القبور عن الأدوات البدائية، والطرق اليدوية للنحت. وأصبحوا لا يحتاجون للمطرقة والإزميل، إذ يستخدم في عملية الحفر آلة عبارة عن إبرة حديدية متينة. وتطلى الكتابات بالأسود ليسهُل قراءتها. فيما مضى كان حفر القبر وتجهيزه للدفن يتم على همّة متطوعين من أبناء البلدة، وهم: أمين عبدو معلّم (أبو حسن)،عبود محمد قاسم (أبو محمد)، خليل إبراهيم يونس (أبو علي)، حسن جفّال (أبو حسيب) وكانت الحفرة على قدر الميت، ويُبنى جانباها بالحجارة حتى تعزل عن التراب، ويرفع السقف قليلًا وتسقف ببلاط ثم يهال التراب. أمّا اليوم فيتم الحفر بجرافة صغيرة الحجم (بوكلن)، وتكون الحجارة والبلاط مصنوعة من الإسمنت، وكذلك الردهة التي يغطيها فيما بعد بلاط البورسلان. وإلى جانب القبر ينصب ركائز حجرية للجلوس عليها عند زيارة الميّت. الجدير بالملاحظة، أن القبور متلاصقة

أكثر مما كانت عليه من قبل، حيث لا يوجد فسحات بينها، وذلك عائد إلى حاجة الأهالي إلى مزيد من المساحات، في ظل تكاثر حالات الوفيات. وما زال أهالي البلدة على تقليدهم الأسبوعي، وهو زيارة القبور ليلة كل جمعة، وفي مناسبات الأعياد للدعاء للميت والترحّم عليه.

راعي العجّال وناطور البلدة:

وراعي العجّال هو شخص يسير خلف قطيع البقر نحو المرعى المقصود. وكان السيد المُطاع، في حين أنه في واقع الأمر، عامل يتقاضى أجرًا في نهاية كل سنة، عند موسم تذرية القمح، أجرًا يكاد لا يسد رمق أسرته. أمّا ملكية القطيع فلا يعود لفرد واحد بعينه بل لعدد من أهالي البلدة، الذين يجدون من مصلحتهم أن يُوكلوا أمر رعي أبقارهم إليه، فيتحرروا، بذلك من عبء ثقيل عليهم، من شأنه أن يعطل عملهم اليومي المعتاد الموزّع بين الحقل والدار.

ورعي العجّال عبارة عمل يومي منتظم بدوام محدد يبدأ من شروق الشمس حتى منتصف النهار باستثناء الأيام الشديدة المطر. في عبّا تناوب، على الرعي كل من: علي سعيّد ومحمد علي محمود أحمد (آل خليل) وأحيانًا الناطور توفيق جفّال[١]. وعملية الرعي تبدأ من تجميع البقر وغيره من الماشية في الساحة العامة مع شروق الشمس لينطلق نحو البيدر. وفي الخمسينات كان عدد العجّال ما بين مئة أو مئة وخمسين رأسًا[٢]. فور الانطلاق صباح كل يوم، كان العجّال يندفع أمام الراعي منحدرًا من الساحة باتجاه المرعى، وكان الراعي ينشّ وينهر على مؤخرة العجّال مرة، ويصيح مرةً أخرى بصوت يخرج من أعلى رأسه، حين تمدّ بقرة برأسها إلى زرعِ الحواكير تفاديًا للتلاسن مع أصحابها. وكان دبيب مرورِ العجّال ذهابًا وإيابًا، يشعر المرء ان الدار تميد به وأن جداره يكاد يسقط. ونهرة الراعي، وتلويحة بعصاه، مشهد لا

(١) مقابلة مع السيد سعيد إبراهيم يونس، مرجع سابق.

(٢) مدونة العرايس، السنة ١٧، مرجع سابق، ص٤٧.

يغادر مخيلة أحد ممن عاصر تلك المرحلة[١]. وفور الوصول إلى خراج البلدة، عند بيدر رأس الدوري وخلايله المعقودة، ينحدر العجّال نحو وادي السيد وينتشر في التلال المحيطة حيث المساحات الواسعة من مُشاع البلدة التي تضم أنواعًا عديدة من الأعشاب البرية ذات الفائدة العالية. فضلًا عن ذلك، للرعي فائدة للأرض فهو يخصّب التربة بسماد الأبقار الطبيعي وبكميات تستطيع التربة امتصاصها.

الناطور: غداة إعلان دولة لبنان الكبير وفرض الانتداب الفرنسي أوجب القانون النافذ في (٢٤ تموز ١٩٢٤م) على كل محل جامع خارج المدن سواء أكان فيه مجلس بلدي أو لم يكن أن يكون له ناطور أو أكثر[٢]. وبحسب المادة (٤) منه كان على الناطور أن يكون لبنانيًّا عمره (٢٥) سنة على الأقل و(٥٠) سنة على الأكثر، وأن يعرف القراءة والكتابة، وأن يكون ذا سيرة حسنة وأخلاق حميدة، وأن يقدم شهادة طبية تثبت أهليته للقيام بوظيفة ناطور، وألّا يكون ممن حكم عليهم لجناية أو جرم شائن.

وكان الناطور يعيّن من قبل القائم مقام بناء على اقتراح يقدمه المجلس الاختياري معتمدًا رأي أكثرية الملاكين ومدة خدمته عام واحد قابل للتجديد. في عبّا كان الناطور يعيّن في الأول من أيلول من كل عام، ويُعَدُّ ضابطَ عدل وشكواه مقبولة في السرايا، وعمله ينحصر بالمحافظة على الأرزاق في البلدة والزرع والكروم. وكان عند الاتفاق بينه وبين الأهالي يجري الاختلاف على نفقات حذوته: فهو بحاجة إلى زوجين من الركوب أو البسطار في السنة. وكان جوهر الخلاف تحديد من يتحمل نفقاتها، الناطور أم أهالي الضيعة؟. وكانت تسوى القضية بالمساهمة معه في النفقات[٣]. ويحق للناطور في وقت القيام بمهامه وأن يحمل بندقية صيد يشتريها من ماله الخاص حينما يكون ذلك ضروريًّا. ويضع دائمًا على ذراعه قطعة

(١) بعض من ذكريات ومشاهدات المؤلف عندما كان يقضي أيام عطلة المدارس في فصل الربيع.

(٢) قرار المفوض السامي رقم ٢٦١٨ «نظام نواطير الحقول»، الجريدة الرسمية، العدد ١٧٨٥، تاريخ ٢٤/ ٧/ ١٩٢٤م.

(٣) مدونة العرايس، السنة ١٧، مرجع سابق، ص٤٧.

قماش تسلم له من القائم مقام مكتوبًا عليها اسم المكان والناطور.

من الأمور الداخلة في اختصاص الناطور، أن يحرس المزروعات والحاصلات ويحميها قبل حصادها أو حينما تكون على البيادر، والأشجار والشجيرات وحمايتها من القطع ومن إضرار الحيوانات بها. ولمّا كان هناك أراضٍ مخصصة لرعي الماشية «ولأجل منع الرعاة من الدخول إلى الأراضي الزراعية، اتفق أهالي البلدة على تعيين ناطور يتولى هذه المهمة. وعيّن لأجل ذلك كل من: إبراهيم حسن خليل ومنيف يوسف علي حسين، وحدد لهما راتب سنوي عبارة عن (١٠٠) مدّ من القمح على أن يبيع قسمًا منه لشراء باقي مونة البييت»[١]. وكان وجود الناطور يحول دون نشوء نزاعات بين أهالي القرى حيث «كان أهالي عبّا والدوير في صراع شبه دائم بسبب رعي أهالي عبّا ماشيتهم في أراضيهم، ذلك أن مساحة مراعي الدوير تفوق مساحة مراعي عبّا»[٢]. وكان المجلس الاختياري يقوم بتقدير أجرة الناطور معتمدًا رأي أكثرية الملاكين وتوزع هذه الأجرة على الملاكين بنسبة أهمية أراضيهم بموجب قائمة ينظمها مجلس الاختيارية.

وإلى جانب ناطور الحقول والمزروعات كان هناك ناطور آخر لـ(عين البلدة). يقول محمد خليل ترحيني (أبو فايز) كان معتمدًا قبل أن أولد عام (١٩٢٦م) أذكر جيدًا أن موسى حسن قاووق، تولى هذه المهمة وقبله كل من توفيق جفال وعلي سعيد جفال. ومن خيمة أقامها بالقرب من العين، كان الناطور يتابع مهمة أساسية، وهي منع تحويل مياه الأقنية وانصبابها على الأراضي والطرق العامة وتطبيق نظام الري الذي يتبعه المختار. وكان يتولى خلال فصل الصيف تنظيم تعبئة مياه الشرب، بحيث يحق لكل بيت تعبئة جرة واحدة باليوم، وخصص له أجرًا سنويًّا مشابهًا لراتب ناطور الضيعة، ومسألة تعيين ناطور للعين كانت خاضعة لنفوذ العائلات، وكانت المنافسة تشتد بين آل خليل وعلي حسين، أما آل هارون، فكانوا خارج

(١) مقابلة مع محمد خليل يونس ترحيني، مرجع سابق.

(٢) نفس المرجع.

المنافسة لعدم اهتمامهم بالأمر»[١].

وبقي الناطور معتمدًا في البلدة لغاية السبعينات من القرن الماضي يمنع كل إضرار وإحراق في الحقول والأعشاب المحزومة، وسرقة للحطب للتدفئة أو للفحم أو للبناء، وقطع الاشجار القائمة في ممتلكات المباني الدينية، والأثرية والمتنزهات والطرق والساحات العامة. والسهر على تنفيذ أنظمة الصيد لا سيما ما يختص بمنع الصيد في بعض الفصول وإعلام المختار بوجود مرض وبائي في الحيوانات عند ظهوره، وعزل الحيوانات المريضة وقتل المضرة.

الداية - المصطبة - البركة - التنور:

الداية- القابلة القانونية: مصطلح لمهنة كانت صاحبتها علَمًا بين النساء تقوم بمتابعة المرأة الحامل خصوصًا في فترة ما قبل الولادة بأسابيع وحتى بعدها بأسبوع تساعد الحوامل وقت الإنجاب وتصف لهنّ الأعشاب بعد الولادة وتعتني بصحه المولود. في عبّا، كانت فاطمة حريري حرم إبراهيم حريري تمارس عمل الداية بأجر، وهو عبارة عن صابونة عربية. الولادات كانت تتم بشكل طبيعي، باستثناء البعض، والمتعسرة منها تنقل إلى المستشفى[٢]. وكان دور الداية لا ينتهي إلا في اليوم السابع من عمر المولود حيث تقوم بتغسيله وتطييبه، وعند ذلك يقوم أهل المولود بإعطائها ما تجود به أنفسهم من مال جزاء لما قدمته لهم من خدمات. ولذلك كانت الداية تفضل بعض العائلات على أخرى حسب كرم العائلة وجودها وكان لكل داية منطقة نفوذ.

وكانت الكثير من الحوامل يلجأْنَ إلى الداية لاستشارتها ومعرفة موعد الولادة ووضع الجنين، فكانت تفحص النساء بوضع يدها على بطن الحامل ثم تحدد موعد الولادة. وبصدور القانون النافذ بالمرسوم رقم (١٦٥٧) تاريخ (١٧/ ٠١/ ١٩٧٩م) (تنظيم مهنة القبالة)، أصبح لا يحق للقابلة أن تمارس مهنة

(١) مقابلة مع محمد خليل؛ يونس ترحيني، مرجع سابق.

(٢) نفس المرجع.

القبالة إلا بعد الحصول على إجازة من وزارة الصحة العامة(١). وهكذا بعدما كانت الداية لا تحمل أي شهادة وتتوارثها من أمها أو جدتها بالممارسة، أصبحت تتطلب لمزاولتها، دراسة للحصول على شهادة من جامعة أو معهد تمريض. ولاحقًا أدى التقدم العلمي والطبي إلى اندثار المهنة تدريجيًّا، فلم يبق منها إلا بقايا ذكريات.

المصطبة: في الحضارة الفرعونية، هي واحدة من نماذج المقابر القديمة وهي بناء مرتفع عن سطح الأرض مستطيل الشكل، ذو سطح مستوٍ وجوانب منحدرة نحو الخارج. شيدت إمّا من الطوب اللبن وإمّا من الحجر، واستخدمت في العصور القديمة كمثوى أخير لبعض الفراعنة. أمّا في التعريف اللغوي فهي مكان غير مرتفع يجلس عليها الناس للسمر وتبادل أطراف الحديث. ما يعنينا هو التعريف اللغوي باعتبار المصطبة واحدة من التراث الشعبي في كل قرية من جبل عامل. في عبّا كانت المصطبة، تقام أمام البيوت والساحة العامة، حيث يتجمع عددٌ من الجيران وكبار العائلات لمناقشة مشاكل القرية، ومنها مصطبة، يوسف أسعد، موسى علي، أحمد يونس، محمد وأحمد خليل، حسن قاووق، ساحة آل هارون، والتنور. وفي الساحة العامة، مصطبة فاطمة السمرة (أم قاسم) جدّة الدكتور محمد قاسم قاووق»(٢). وفي حي بيدر زيدان كانت مصطبة علي كلوت (أبو حسن)، وبقيت حتى وقت متقدم من الثمانيات وأزيلت بالكامل عندما جرى توسعة الطريق(٣). وكذلك مصطبة أحمد يونس (أبو علي) مازالت لغاية الآن، إلا أنها فقد وظيفتها كباقي مصطبات البلدة منذ زمن بسبب وفاة البعض وتقدم العمر عند من بقى حيًّا، بالإضافة إلى تبدل نمط الحياة الاجتماعية، حيث ساد اليوم ما يعرف بالاتصالات

(١) الجريدة الرسمية: العدد ١٠، تاريخ النشر: ٨/ ٣/ ١٩٧٩م، الصفحات ١٨١ - ١٨٣.

(٢) مدونة العرايس: السنة ١٧، مرجع سابق، ص٥٤.

(٣) كنت لا أتجاوز ست السنوات من العمر عندما كنت أرافق والدتي عصر كل يوم، إلى مصطبة علي كلوت، وكانت بمحاذاة الطريق العام عبارة عن منحدر صخري أملس لكثرة الجلوس عليه ارتفاعه دون المتر. وأكثر ما اشتهرت به المصطبة أنها كانت ملجأ لغالبية نساء الحي. وكان حديثهن يتركز على طرح مشكلاتهن اليومية بأذن صاغية وبدون ضجر، وكان يتخلل الحديث من وقت لآخر بعض العتاب والمصارحة على بعض القضايا الخلافية بينهنّ وعند المساء ينصرفن إلى بيوتهنّ.

التي توفر لروادها من الشباب شتى الألعاب، فيما تغيب هذه الظاهرة عند الفتيات.

البركة: يعود الأصل في انتشار البرك الاصطناعية في جبل عامل إلى ضعف الموارد المائية حيث كانت البلدات تفتقر إلى المجاري والعيون المائية الكبيرة. ومن ثمّ شكلّت البرك ضرورة حياتية يومية وانتشرت منذ مئات السنين. وكان حجمها وسعتها في بلدة ما، يشيران إلى مدى اتساع البلدة وعدد سكانها وحجمها الاقتصادي، لا سيما الزراعي كمورد اقتصادي وحيد للقرى.

وكانت البركة تشكل المقصد الرئيسي للعباويين من أجل غسل الأواني والثياب قبل أن تصل مياه الشبكة الرسمية إلى المنازل. وأقيمت بركة مياه الضيعة على قطعة أرض، هي بالأساس ملك خاص لآل خليل قدّموها هبة لإقامة المشروع وأطلق عليها تسمية (بركة السيد)[١]. ومن ثم استخدموها في الزراعة، لا سيما زراعة التبغ، التي تحتاج إلى كميات كبيرة من المياه، خصوصًا خلال فترتي التشتيل والغرس، إضافة إلى كونها موردًا لسقاية المواشي وقطعان الأبقار خلال مواسم الجفاف. وكانت «تتغذى من مياه الأمطار التي تتجمع في الساحة العامة بواسطة قناة قام بحفرها وتجهيزها أحمد بك الأسعد، تصل إليها نزولًا من بيت الحاج محمد معلّم بمحاذاة بيت السيد يوسف علي حسين، وهناك كانت تلتقي بقناة أخرى آتية من ناحية عين جويد، وعين الفوقا»[٢].

وكانت بركة السيد حفرت في أرض ترابية لسهولة الحفر فيها، ثم أحيطت بحائط من الحجارة الصخرية ووضع طبقة من الطين عليه لكيلا تتسرب منه المياه. واختير إنشاء البركة في هذا المكان المنخفض عن مركز الضيعة لسهولة جر مياه الأمطار إليها التي تُعَدُّ المصدر الرئيسي لتغذيتها. وكانت المتساقطات في ذلك الوقت تشكل المقياس شبه الرسمي للمزارعين العبّاويين عن حجم الأمطار بغياب موازين القياس الرسمية في القرى والبلدات. ولمّا كانت البركة تحتاج باستمرار

(١) مقابلة مع حسين سليمان حريري، مرجع سابق.

(٢) نفس المرجع.

للتنظيف من الترسبات الناجمة عن الوحول التي تحملها سيول الأمطار، «كان السيد علي حسين يتولى مهمة تنظيفها قبل حلول فصل الشتاء، وكان يوكل هذه المهة للنساء، أما الرجال فكانت مهمتهم فتح القنوات المؤدية إليها»[١]. ويتم ذلك عادة في نهاية فصل الصيف حيث تكون المياه عند أقل مستوى لها. حاجة البلدة إلى المياه حتّم وجود بركتين فكانت الأخرى في حي البيدر مشابهة تمامًا للأولى وكانت تستخدم لري المزروعات ونقل مياهها إلى البيوت بواسطة أوانٍ (قناني) مصنوعة من التنك تحمل على ظهر الدواب بواسطة سلّة حديدية تسمى (أنتل) يثبّت جوزين متقابلين منها على ظهر الدآبة بواسطة حبل مصنوع من الليف.

منتصف السبعينات، ومع مدّ شبكة مياه الشفة إلى البلدة وإنشاء خزان على مرتفع في حي عين جويد، منه تصل المياه إلى البيوت، أخذ الاعتماد على مياه البركتين يقلّ تدريجيًّا، وأصبحتا لا تشكلان حاجة ملحّة للبلدة. لذلك، قام مختار البلدة شريف يوسف أسعد ببيع الأولى لـ(أبو نزيه حريري) بمبلغ (٤) آلاف ليرة لبنانية استخدمها في بناء مدرسة للبلدة، والثانية في حي البيدر أيضًا بيعت لـعبد الرزاق ترحيني[٢]. وإلى جانب البركتين، كان في البلدة مصادر مياه أخرى لا تقلّ شأنًا عنهما واحد منها عين الفوقا على العقار (٤٠) – عين الفوقا وكان سرداب تحت الأرض يخرج منها، وينقل المياه منها إلى حاووز بالقرب من منزل علي (الإمام) حاليًّا. شكله هرمي، إنما مسطح السقف، مبني من الحجر الصخري المنقوش، وعند قاعدته المحاذية للطريق جرن مستطيل يتيح التزّود بالمياه بواسطة حنفيات وضعت لهذه الغاية. العين والحاووز اختفيا بعدما انتفت الحاجة إليهما. وهناك عين ماء أخرى واحدة تسمى عين السفلى، وكانت تقع في الجهة الشمالية الشرقية لمحلّة خلّة الزيتونة وتستعمل لسقاية مواشي الرعيان. ومن الجهة الغربية ما زالت لغاية الآن عين الحاج حسن وهي مسوّرة بحائط، أعلاه على شكل قنطرة، النزول إليها عبر درج من حجارة صخرية. وإلى جانب البرك وعيون الماء

(١) مدونة العرايس: السنة ١٧، مرجع سابق ٢٠١٣م، ص٥٤.

(٢) مقابلة مع حسين سليمان حريري، مرجع سابق.

أنشأ المزارعون إلى جانب حقولهم صهاريج ماء مبنية من حجر الصخر، مليّسة بالإسمنت من الداخل، وكانت الصهاريج إمّا مسقوفة فيها فتحة صغيرة لنزول مياه الأمطار إليها، وإمّا مفتوحة وإلى جانبها منحدر صغير مليّس بالإسمنت للتسهيل نزول الماء. وما نحن عليه اليوم في عبّا، أن هذه المصادر المائية لم تُعَدُّ من الأساسيات الإنمائية، وبعدما كانت تسمية ساحات وأماكن في البلدة باسم البركة أو أحد اشتقاقاته كـالحاووز أو العين، وتدل على محوريتها في حياة العبّاويين، لم تعد تلك المصادر تشير إلى ارتباط ما، بين الماء والسكان وتشكل أمكنة رئيسة للتجمعات الأهلية والاحتفالات.

التنور: من أهم الأدوات التي لازمت العبّاويين طويلًا هي خبْز المشطاح أو (البعابيق)، حتى أمست سمة التراث الشعبي في البلدة. ولم يكن في كل بيت تنور، إنما اشتُهِر في البلدة كلها تنّوران، تنور آل علي حسين، وتنور آل عميص (منزل قاسم الحاج إبراهيم)[١]. «وكان داخل دار آل هارون (تنور) تم وضع اليد عليه وحوّل إلى بيت»[٢]. وتنور علي محمود حاج علي، وهو الآن دار محمد وهبي يونس (أبو غازي). وكان التنور يركّب في إحدى زوايا غرفة واسعة، وإلى جانبه مسطبة صغيرة، يستفاد منها في رق العجين بالزيت قبل إدخاله ولصقه على جدرانه. والتنور أقدم عهدًا من الصاج، وهو عبارة عن فخارة أسطوانية الشكل يلصق العجين المرقوق على جدرانها. تولّع داخله النار من البلان، وكانت (حملة البلان) تحضّر مسبقًا والمرأة التي تساعد في التنور تأخذ أجرها مشاطيح[٣]. ويُبنَى التنور من الطين والقش، ويتم استبداله كل سنتين أو ثلاث سنوات لأنه يبدأ بالتشقق. ومشطاح التنور صحي أكثر من أي نوع خبز آخر، لكونه جافًّا، يخبز وينضج بشكل طبيعي، حتى طريقة عجنه، ونادرًا ما كان يتم إضافة نوع آخر من طحين الزيرو كي يسهل رقّ الطحين البلدي، وكان يقال (إن الطحين حيّل)، أيضًا يضاف إليه

(١) مدونة العرايس: السنة ١٧، مرجع سابق، ص٥٤.

(٢) مقابلة مع شريف عبد الله جواد خليل، مرجع سابق.

(٣) نفس المرجع السابق والصفحة.

الخميرة والملح والسمسم واليانسون ويعجن بالماء ويقرص العجين، ويروّج بطحين الذرة، ثم يمدد في لكنّ معدني ويترك لثلاث ساعات حتى يخمر»[١].

بعدها تحمل النسوة لكنّ العجين على رؤسهن إلى التنور. في هذه الأثناء تكون عملية وقدْ النار داخل التنور بحشائش البلان قد بدأت بانتظار أن يحمى جيدًا، ثم تمدّ قطعة قماش رطبة ليصار إلى تنظيفه من الداخل من أثر (الشحتار) تمهيدًا للبدء بالخبز.

في تنور آل علي حسين «كانت العبدة شحوري تبدأ خبز العجين بعد دهنه بالزيت وتمديده برشاقة بين اليدين، ومن ثم تلطخه بيدها داخل كور التنور فيتورد وينزع ويوضع على طاولة خشبية ليبرد قليلًا، وهكذا تستمر عملية الخبز وتنتهي، لتبدأ من جديد بلكن عجين آخر. وهكذا طوال اليوم»[٢]. ومن ميزات المشطاح المهمة إمكان حفظه لفترة طويلة (حوالي أسبوعين) بلا تبريد، من دون أن يفسد. لذلك، كان يعدّ زاد العبّاويين عند ذهابهم إلى بيروت بعد انقضاء عطلة فصل الصيف. وأصبح مشطاح الجريش، خبزًا تقليديًّا يحمل التقاليد الغذائية المحلية، كما أنّه زاد صحيّ؛ لأنه غني بالألياف الطبيعية.

في الآونة الاخيرة أصبح المشطاح سيد المائدة، يفضّل على غيره من أنواع الخبز، وأحيانًا كثيرة يكون مفاجأة المائدة لمن لم يتذوقه من قبل. إلا أن خبزه أصبح يتم في الفرنية بدلًا من التنور، أو الأفران الحديثة التي تعمل على الغاز، وهي انتشرت في غير مكان من عبّا مثال على ذلك فرنية خيرية (أم محمد)، وليلى (أم خليل)، وإبراهيم حمود. وكذلك مكوناته، بعد أن طوّره الجنوبيون، وأضافوا إليه التوابل والبهارات الخاصة به، فمنهم من يزيد عليه العقدة الصفراء، ومنهم من يستعمل المحلب أو دقّة الكعك. وهكذا أصبح طعمه يختلف من بلدة إلى أخرى، بحسب خلطة التوابل المستعملة، ولم يعد القمح البلدي، الكامل المجروش، المكوّن الأساسي الذي اعتمد في تصنيع المشطاح الجنوبي.

---

(١) مقابلة مع علية علي ترحيني، تولد ١٩٣٦م، والدتها زيني معلّم بتاريخ ٢٥/ ٧/ ٢٠١٤م.

(٢) نفس المرجع.

شبكة مياه الشفة والكهرباء:

المياه: حتى العام (١٩٦٧م)، وهو تاريخ إنشاء مصلحة مياه نبع الطاسة (١) كان العبّاويون لا يزالون يعتمدون في إمداد بيوتهم بمياه الشفة والاستخدام المنزلي، على وسائل تقليدية غير مستدامة، تكون في بعض الأحيان فاقدة للشروط الصحية. من هذه الوسائل نذكر: الغدير، البركة، العين، البئر. والأخير كان لا يخلو أي بيت منه، في حين كانت البقية يعتمد في جلبها على النسوة بقدر ما تستطيع حمله من جرار على رأسها. أمّا الكميات الكبيرة فكانت على ظهور الدواب بواسطة أوعية مصنوعة من (تنك الزنك). وكان البئر يحفر عميقًا في أرض الدار على عمق عشرة أمتار وما دون، وتُجمع فيه مياه الأمطار المنسكبة من أسطح البيوت، مما يجعل نشل الماء منها بالدلاء (سطيلة) عملية شاقة، ومن ثم يُفرغ ماؤها في أوعية أو في الحوض الملاصق للبئر للاستعمال عند الحاجة إليها. أما البركة فهي مكان كبير ذو حاجز ترابي أو صخري ضخم تتجمع فيها مياه الأمطار، وقد تظل فيها المياه طيلة فترة الصيف. وتكثر في البرك ديدان العَلَق. والغدير: مستنقع من الماء في مكان منخفض من واد عريض ذي أرضية صخرية أو في مسيل للمياه، يظل فيه الماء فترة طويلة تدوم أسابيع وشهورًا، وعادة ما تكون مياهه نظيفة نقية صالحة للشرب(٢). أما العين: فهي مكان تنبع منه المياه الجوفية، وتظل مياهها تسيل طيلة أيام السنة. وبطبيعة الحال لم يكن صُّنْبُورُ (حنفية) في البيوت. «وكانت خدمة مياه الشفة والخدمة المنزلية تؤمّن، بواسطة إبريق الفخّار للشرب والتنك واللّكن المصنوع إما من الحديد «وإمّا من الألمنيوم، وإمّا من النحاس، لقضاء الحاجة والاغتسال مرة واحدة في الأسبوع»(٣).

---

(١) قانون رقم ٨٥ تاريخ ٢٨/ ١٢/ ١٩٦٧م، إنشاء مصلحة تدعى «مصلحة مياه نبع الطاسة» الجريدة الرسمية العدد ١٠٤، تاريخ ٢٨/ ١٢/ ١٩٦٧م، الصفحات ١٤٠ – ١٤١.

(٢) «يمكن رؤية الصخور التي في أسفلها بوضوح وهذا يدلّ على نقائها، وعادة ما تملأ منه النساء جرارهن، ويَرِد عليه الرعاة بمواشيهم لتشرب منه، وكان الناس يقولون إذا كانت مياه الغدير على عمق شبر من الأرض فهي طاهرة، وكنا صغارًا عندما نعطش نشرب منها حتى لو كان عمقها أقلّ من ذلك». مقابلة مع شريف عبد اللّه جواد خليل، مرجع سابق.

(٣) مقابلة مع الأستاذ محمود حسين معلّم، مرجع سابق.

عندما أُنشئت مصلحة مياه نبع الطاسة وتوابعه كانت الغاية منها إدارة مياه الشفة المأخوذة من نبع الطاسة والينابيع الأخرى التي تلحق بهذه المصلحة وتوزيعها واستثمارها[١]. وكان على العبّاويين الانتظار حتى تباشر المصلحة عملها بمد شبكة التوزيع وإنشاء خزان توزع منه المياه على بيوت البلدة. ولم يستمر الأمر طويلًا حتى باشرت المصلحة بمدّ خط (قسطل) من نوع الأترنيت متفرع من الخط الرئيسي في بلدة عدشيت باتجاه عبّا، بقطر (٣) إنش وبضغط (٥٤) بار- يضخّ بواسطة الجاذبية، لينتهي عند تلّة (عرض نخالة) حيث بُني خزانان أرضيان من الباطون، سعة كل واحد منهما (١٠٠ م^{٣}) يغزيان كامل البلدة[٢]. وباكتمال تجهيزات الشبكة الداخلية بين الأحياء، وكانت أيضًا من نوع إترنيت بضغط (٢٤) بار وبقطر (٢) إنش، باشر الأهالي الواحد تلو الآخر بالتقدم من المصلحة بطلب اشتراك، برسم سنوي (٥) ليرات لكل (١/ ٢م^{٣}) من المياه. وسجلت الأشهر الأخيرة من عام (١٩٦٨م) عددًا من المشتركين، أسماؤهم واردة في الجدول التالي:

جدول بالمشتركين بشبكة مياه الشفة من مصلحة مياه نبع الطاسة[٣]

العقار	عدد الأمتار	نوع القياس	الاسم	رقم الإشتراك	التاريخ
/	١/ ٢ م^{٣}	عيار	علي زينو قاووق	١٠٠٢	١٩٦٨
/	١/ ٢ م^{٣}	عيار	إبراهيم هاشم هاشم	١٠٠٤	١٩٦٨

(١) المعطيات والإحصاءات الواردة تحت عنوان (شبكة مياه الشفة في عبّا) مستقاة من مسؤول الصيانة والتوزيع في مؤسسة مياه لبنان الجنوبي محمد حجازي في مقابلة اجريت معه بتاريخ ٢٠ آذار ٢٠١٩م.

(٢) الخزان ما زال قائمًا لغاية الآن، وهو ملك خاص للمصلحة بالإضافة إلى الأرض وكذلك خط النقل من عدشيت لغاية الخزان، وهو مفصول عن الشبكة. ومؤخرًا جرى في بعض الأماكن نزع الخط بعد استرداد استملاكات العقارات من أصحابها.

(٣) محفوظات مؤسسة مياه لبنان الجنوبي. ملاحظة: الأوراق الثبوتية المرفقة بطلب الاشتراك كانت عبارة عن تذكرة الهوية وسند ملكية العقار المبني عليه. يلاحظ في الجدول المرفق عدم وجود وقوعات في خانة رقم العقار وسبب ذلك أن جداول المشتركين المنظّمة حديثًا تلحظ ذلك في حين لم يكن هذا الإجراء معتمدًا سابقًا.

العقار	عدد الأمتار	نوع القياس	الاسم	رقم الإشتراك	التاريخ
/	١/ ٢ م٣	عيار	إبراهيم أحمد سلامه	١٠٠٥	١٩٦٨
/	١/ ٢ م٣	عيار	هاشم محمد ترحيني	١٠٨٩	١٩٦٨
/	١/ ٢ م٣	عيار	هاشم محمد ترحيني	١١٠٢	١٩٦٨
/	١/ ٢ م٣	عيار	علي حسن دياب	١١٠٧	١٩٦٨
/	١/ ٢ م٣	عيار	علي حسن يوسف دياب	١١٠٨	١٩٦٨
/	١/ ٢ م٣	عيار	عبد الحسين موسى قاووق	١١١١	١٩٦٨
/	١/ ٢ م٣	عيار	إبراهيم علي ترحيني	١١١٦	١٩٦٨
/	١/ ٢ م٣	عيار	شريفة أمين ترحيني	١٢٥٥	١٩٦٨

وخلال وقت قصير من تقديم طلب الاشتراك باشرت المصحلة بوصل البيوت بخطوط جرّ حديد من نوع روسي نسبة الرصاص فيه مرتفعة جدًّا تتيح له الالتواء في أي اتجاه كان، قطر الخط يتراوح بين (٢) و(٣) قمحات[١] ينتهي بـ(عيار). مهمة العيار كيل كمية الماء المفترض وصولها إلى المشترك بحسب نسبة الاشتراك[٢]، وكان يلفّ بشريط معدني بطريقة ملتوية معتمدة بين عمال المصلحة، ومن ثم يختم في نهايته بكتلة من الرصاص عليها اسم المصلحة ورقم المراقب. وكان يُعَدُّ العبث بالشريط والرصاصة فعلَ تلاعب بكمية المياه الخارجة منه، ممّا يوجب قطع المياه

(١) هي مقياس دون النصف إنش.

(٢) وهو عبارة عن جهاز مصنوع من مادة النحاس بداخله عزقة وكاوتشوكة، وبداخل الكاوتشوكة فحمة (كتلة شبيهة بحبة المسبحة مصنوعة من البلاستك) وكان عمال المصلحة يقومون بتوسعة الفحمة من داخلها ليتناسب ضغط الماء مع المسافة بين العيار وخط الجر الرئيسي. وكانت مقدار (نصف متر ماء) يكال بواسطة مكيال وفقًا لقاعدة معتمدة تقوم على افتراض أن المكيال يحتاج إلى دقيقة ونصف حتى يمتلئ عن آخره فإذا تأخر أو تجاوز الوقت المحدد يصار إلى تعديل فتحة الفحمة. وكان التحكّم بعمل العيار يتم بمفتاح خاص اسمه دملج، وهو يختلف عن المعروف حاليًّا بالرنش.

كليًّا وتنظيم محضر ضبط بغرامة توازي القسط السنوي.

واعتمد في توزيع المياه برنامج يغطي مدار الساعة (٢٤/ ٢٤) قرى عبّا - جبشيت - حاروف - عدشيت - القصيبة- بريقع - صير الغربية - كفرصير- قعقعية، الجسر دون انقطاع، إلا في حالات وجود أعطال. واستمر العمل بهذا البرنامج حتى العام (١٩٨٧م)، وبسبب شحّ المياه خلال فصل الصيف، وزيادة عدد المشتركين، الّذي كان وصل حتى عام (١٩٨٠م) إلى حوالي (٣٠٠) مشترك، اعتمد برنامج تقنين آخر بإشراف المسؤول عن الخط (نمر ياسين)، يغطي هذه القرى طيلة الأسبوع باستثناء يومي الاثنين والخميس.

ومع بدايات عام (١٩٩٥م) كانت مياه نبع الطاسة لا تزال تغذي البلدة، مدة يومين في الأسبوع، الاثنين والخميس فقط. وفرضت الزيادة السكّانية، بعدما وصل عدد المشتركين في عبّا إلى حوالي (٥٠٠) مشترك، وشح المياه من المصدر، للتفتيش عن حلول واقعية لأزمة المياه المستجدّة. ففي عبّا كما سائر البلدات، في العام نفسه، بُوشر من قبل مجلس الجنوب، بحفر بئر ارتوازي، وإنشاء قصر مائي في محلة عين البيارة في العقار رقم (٢٢٠) (مُشاع)، ووضع بتصرف مصلحة مياه نبع الطاسة للإشراف عليه وتشغيله. وقامت المصلحة بإيصال المياه إليه بواسطة شبكة جرّ رئيسية جديدة، نوع حديد بقطر (٦) إنش وتوزيعها منه إلى الأحياء الداخلية بشبكة موازية جديدة آخذة في الاعتبار تعديلات في التفريعات إلى بعض الإحياء. وبذلك أصبحت عبّا تتزوّد بالمياه من البئر الارتوازي حصرًا، وانتهت التغذية من نبع الطاسة بتوقف خط الجرّ من عدشيت إلى الخزّان القديم عن العمل كليًّا.

ولأن شبكة المياه تُعنى بإمداد المستخدمين بالمياه الصالحة للاستخدام البشري، وهي شبكة مبنية داخل الأحياء، وتقوم بالربط بين مختلف المستخدمين ومصادر المياه، تطلب تصميمها، دراسات خاصة أخذت بالاعتبار التعداد السكاني وطرق التجميع والتوزيع وحساب معدلات الاستهلاك الحالية والمستقبلية. وجاء إلغاء مصلحة مياه نبع الطاسة وإنشاء مؤسسة عامة بدلًا منها تدعى مصلحة مياه لبنان

الجنوبي ودمج بعض مصالح ولجان المياه فيها ليصبّ في هذا الاتجاه[١]. ففي عبّا عملت المؤسسة عام (١٩٩٨م) على تحديث شبكة التوزيع، واستبدلت الخطوط الحديدية بأخرى من نوع بولي - إتلين (بلاستك) بعد التصديق على تخطيط خط الجرّ رقم (14E6/P8.1) لمياه الشرب[٢]. إلا أن قدرة البئر التشغيلية لم تعد تلبي حاجات البلدة بعدما أصبحت أبنيتها السكنية عند أطرافها المترامية. وبرزت الحاجة لحفر بئر إضافي، فكانت مبادرة عبد الرسول ترحيني وأولاده بحفر بئر في العقار رقم (٢٢٠) (مُشاع) وتقدمته لأهالي البلدة بذلًا عن نفس زوجته زينب ترحيني. وتكفّل الصليب الأحمر الدولي بتجهيزه، ووضع بتصرف مؤسسة مياه لبنان الجنوبي للإشراف عليه، وافتتح بتاريخ (٢٣ تموز ٢٠١١م). إلا أن هذه الإجراءات لم ترفع من نسبة التغذية؛ لأن تشغيل خط الضخّ من البئرين مرهون ببرنامج التغذية بالتيار الكهربائي المعتمد من قبل مؤسسة كهرباء لبنان، واستمر العمل بالبرنامج وما زال. وفي عامي (٢٠٠٦م) غداة انتهاء حرب تموز و(٢٠١٢م)، تم استبدال ما تبقى من الشبكة الداخلية الحديدية بأخرى بلاستيكية[٣]. ولم تسلم هذه الخطوط من التعديات، ربما بسبب النقص بالتوزيع، لذلك بادر مجلس الجنوب في العام (٢٠١٨م) بالتنسيق مع البلدية إلى حفر بئر ارتوازي في العقار رقم (٢٢٠) (مُشاع) وتجهيزه بخط جرّ منه إلى قصر مائي سعة (٣٠٠م^3) استحدث في العقار (١٠٢٥) (مُشاع)، وبمحاذاته حفر بئر آخر جارٍ العمل على تجهيزه. وعليه، تكون خطة التغذية بمياه الشفة لبلدة عبّا، بدءًا من (١٩٩٥م) ولغاية (٢٠١٨م) قد وصلت إلى

---

(١) مرسوم رقم ٩٦٣٠ تاريخ ١٣/ ١٢/ ١٩٩٦م، الجريدة الرسمية عدد ٢ تاريخ ٩/ ١/ ١٩٩٧م، ص١١١ - ١١٢.

(٢) مادة ١: صدق تخطيط خط الجر في منطقة عبا العقارية المحدد بالأحرف (أ - ب - ج - د - هـ- و - ز - ح - ط - ك - ل - م - ن - س - ع - ف - ص- ق - ر - ش - ت -ث - أ) على الخريطة المرفقة بهذا المرسوم. مادة ٢: تستملك أقسام العقارات الواقعة ضمن تخطيط خط الجر موضوع المادة الاولى المذكورة أعلاه والمبينة على ذات الخريطة المرفقة بهذا المرسوم واللائحة المرفقة بها وفقًا للأحكام التشريعية والتنظيمية النافذة. مرسوم رقم ١٢٨٦، تاريخ ٠٨/ ٠٨/ ١٩٩٨م، الجريدة الرسمية عدد ٣٨، تاريخ ٢٠/ ٠٨/ ١٩٩٨م، ص٣٦٦٨.

(٣) من مرويات المجالس الخاصة للعلّامة السيد محمد حسن ترحيني» نقلها الينا نجله حسن بتاريخ آذار ٢٠١٨م.

مراحل متقدمة جدًّا، فما هو موجود الآن أربعة آبار ارتوازية، ثلاثة منها في العقار رقم (٢٢٠)، وقصر مائي، والرابع في العقار رقم (١٠٢٥) مع قصر مائي أيضًا، وجميعها بإدارة مؤسسة مياه لبنان الجنوبي.

الكهرباء - لم تنعم بيوت العبّاويين بإمدادات الكهرباء كالمياه قبل العام (١٩٦٦م). حتى وسائل الإنارة التقليدية التي أصبحت اليوم شيئًا من التراث كانت خاضعة لسنّة التطور. وكان أول وسيلة إنارة تعرّف عليها العبّاويون بحسب ما تواتر من أخبار عن الأولين، كان «السراج: وهو عبارة عن حاوية تم صنعها من الحجر، ويحتوي على فتحة توضع الفتيلة بداخلها، فيبقى أحد اطرافها في الزيت المتواجد في الوعاء، وطرفها الآخر على حفة السراج لإشعاله»[١]. ولجأ الإنسان إلى البحث عن وسائل إنارة متطورة وذات فائدة أكبر. ولم يمض وقت طويل حتى بدأت تظهر تباعًا وسائل كانت تُعَدُّ في ذلك الوقت أكثر رفاهية. وكان العبّاوي في كل مرّة يسارع إلى اقتنائها[٢].

شكّل العام (١٩٦٤م) بداية التغيير، وهو العام الذي تأسست فية مصلحة كهرباء لبنان[٣]. وكان ذلك إيذانًا ببدء عهد جديد من حياة اجتماعية في عبّا حافلة بكل ما هو جديد، تمثل باقتناء العبّاويين تباعًا أدوات كهربائية مطبخية لم تعهدها بيوتهم من قبل فضلًا عن التلفاز والراديو والمروحة الكهربائية وغيرها. وكان فاتحة التغيير

(١) «لغاية العام ١٩٦٦م كانت إنارة المنازل لا تزال تعتمد على كل ما يضاء بالزيت أو الكاز. وكان الأهالي يقصدون كامل قبيسي (أبو سمير)، وهو رجل من بلدة زبدين تزوّج من عبّا وأقام فيها، احترف مهنة إصلاح القناديل الذي استعمل في عشرينيات القرن الماضي وكان يتقن إصلاح بابور البريموس» صورة رقم (١٤). مقابلة مع شريف أمين ترحيني، مرجع سابق.

(٢) وهي: «المصباح ويعرف على أنه قاعدة دائرية تستخدم لتخزين الكاز بداخلها، وفي أعلاها تاج مصنوع من المعدن لوضع زجاجة رقيقة قابلة للفك تمنع انطفاء الشعلة، ويتوسط التاج فتيلة ينغمس طرفها في الكاز. ثم الفانوس، ويشبه المصباح إلى حد ما، قاعدته دائرية لتخزين الكاز، وعليه زجاجة رقيقة مثبتة بمقبضين من الطرفين. وأخيرًا اللوكس، وهو عبارة عن فانوس متطور، يمنح إضاءة أكبر من التي يعطيها الفانوس» مقابلة مع محمد خليل ترحيني مرجع سابق صورة رقم (٨).

(٣) قانون منفذ بالمرسوم رقم ١٦٨٧٨ تاريخ ١٩٦٤م، انشاء مصلحة كهرباء لبنان، الجريدة الرسمية العدد ٦٥ تاريخ ١٨/ ٣/ ١٩٦٤م، الصفحات ٢٣٦٠- ٢٣٦٤.

تخصيص مبالغ مجموعها (١٠٦١٦٠٠٠) ل.ل لإكمال مشروع تعميم الكهرباء على مختلف المناطق اللبنانية، ومنها بلدات قضاء النبطية[١]. وبعد الانتهاء من مدّ شبكة الكهرباء في قرى قضاء النبطية، عمدت المصلحة إلى تقسيم قرى القضاء إلى مجموعتين. وخصصت للأهالي في كل مجموعة ثلاثة أيام من كل أسبوع لتقديم طلبات الاشتراك بالتيار الكهربائي. وهكذا سارع عدد من أهالي البلدة إلى تقديم طلب اشتراك. فيما يلي جدول بأسماء أول ثمانية مشتركين:

جدول بأسماء أول ثمانية مشتركين من عبّا في مؤسسة كهرباء لبنان- دائرة النبطية[٢]

الاسم	تاريخ الاشتراك	رقم الشعبة
خليل محمد عز الدين	١٣/ ١٠/ ١٩٦٦	٣٣٢١/ ٠٥٣١٤٢١٧٠٠١
رشيد أمين ترحيني	١٣/ ١٠/ ١٩٦٦	٣٣٢٧/ ٠٥٣١٤٢٥١٥٠١
حسين علي محمود ترحيني	١٣/ ١٠/ ١٩٦٦	٣٣٢٨/ ٠٥٣١٤٢٢٦٠٠١
خليل علي ترحيني	١٣/ ١٠/ ١٩٦٦	٣٣٢٩/ ٠٥٣١٤٢٤٥٥٠٢
حسين محمد عز الدين	١٣/ ١٠/ ١٩٦٦	٣٣٣٠/ ٠٥٣١٤١٨٥٠١١
أحمد حسين ترحيني	١٣/ ١٠/ ١٩٦٦	٣٣٣١/ ٠٥٣١٤٢٧٧٧٠١
عبد الرضا محمد ترحيني	١٣/ ١٠/ ١٩٦٦	٣٣٣٢/ ٠٥٣١٤١٩٣٠٠١
شريف يوسف أسعد ترحيني	١٣/ ١٠/ ١٩٦٦	٣٣٣٣/ ٠٥٣١٤٢٥٤١٠١

وبعد ما يقارب أربعة عقود على وصول الكهرباء إلى البلدة التي اتسع عمرانها، أصبح عدد المشتركين من البلدة بشبكة الكهرباء من مؤسسة كهرباء لبنان (١١٧٩) مشتركًا[٣].

(١) قانون رقم ٦٢ تاريخ ٢٨/ ١٢/ ١٩٦٥م، الجريدة الرسمية العدد ١٠٤، تاريخ ٣٠/ ١٢/ ١٩٦٥م.

(٢) احصاءات مؤسسة كهرباء لبنان – دائرة النبطية.

(٣) نفس المصدر.

في الموازاة لم يكن ليمضي على وصول الكهرباء سوى تسعة أعوام حتى اندلعت في العام (١٩٧٥م) حرب أهلية دمرت البنية التحتية لقطاع الكهرباء، وحالت دون مواكبته التطور والزيادة السكانية، وانخفضت ساعات التغذية بالكهرباء معدلات مرتفعة. وبذلك عدنا في عبّا كما في باقي المناطق إلى استخدام الشمع وسراج الكاز واللوكس، ومولدات البنزين والمازوت. وظهر تطور البدائل الكهربائية مع نوع آخر من اللمبات والتي تعرف باسم الفلورسنت، التي تستمدّ طاقتها من البطارية المزوّدة بوسائل الشحن ويتميز بإعطائه إنارة مرتفعة وبدرجة عالية من الوضوح والانتشار وبأقل تكلفة من اللمبات السابقة. وأخيرًا ظهر الاشتراك بالكهرباء من المولدات الخاصة (لشركة التاج) التي عمدت إلى تركيب شبكة رديفة لشبكة المؤسسة، وتوزعت على أحياء البلدة دون استثناء توزّع الكهرباء وتجبي ثمنه شهريًا بفاتورة أصبحت رديفة لتلك الصادرة عن مؤسسة كهرباء لبنان.

بعض الاستنتاجات:

تراجع الدور الوظيفي للمرافق العامة والخاصة في عبّا، بعضها لم يعد ملتقى جميع العبّاويين رجالًا ونساء، بهدف نسج علاقات تعكس الترابط والتضامن الاجتماعي. والبعض الآخر تطور دورها بحيث أصبحت أكثر مواكبة وتلبية للاحتياجات الإنسانية، الدينية والاجتماعية والاقتصادية.

في المعطى الأول لم تعد الساحة العامة، ذلك الفضاء الواسع الذي يتوسط أحياء القرية، ومركزًا حضاريًا يتكون من حجر وناس يعيشون في تجاور وتقارب يطبقون درجة عالية من الاتصال اليومي، ومحطّة للعباويين يحطّون رحالهم فيها ذهابًا وإيابًا. فقد تلاشى دورها، بعدما صغُر حجمها، وأصبح طراز الأبنية المحيطة بها خليطًا، بين القديم والحديث، وخالية تمامًا من أي معلم حضاري. ولعل الساحة اليوم، بعدما فقدت خصوصيتها السابقة، أصبحت المكان الوحيد الذي لا يعرف الهدوء، بعدما تحولت إلى ممرّ ومرآب للآليات، غير مؤهلة لإقامة النشاطات فيها. حتى الساحات الرديفة لها، لم تعد موجودة أصلًا، إلا في الذاكرة الجمعية لقلّة من

العبّاويين، كانوا فيما مضى قد منحوها أسماءهم، كساحة آل هارون، وآل خليل، وآل ياسين وغيرها. إلا أن الوظيفة الاقتصادية للساحة، ورغم تحولها من تجمّع سكاني يخالطه مجموعة دكاكين صغيرة، تقتصر على بيع الضروريات، إلى ما يشبه سوقًا استهلاكيًّا للضروريات كما للكماليات، وقد بقي حجم النشاط الاقتصادي فيها محدودًا جدًّا، يقتصر على أهالي البلدة الذين في أحيان كثيرة يقصدون أسواقا أخرى، أملًا في الحصول على وفر أكثر في الأسعار.

في المعطى الثاني بعدما أحدثت التحولات الاجتماعية والديموغرافية في عبّا، طفرة عمرانية واكبها تزخيم العلاقات المجتمعية لا سيما الدينية، كانت الحاجة ماسّة لإعادة بناء المساجد أو تطويرها إلا أن ذلك لم يخرج على تقليد قديم كان معتمدًا عند الشيعة، أبقى المساجد على خصائصها العمرانية، ولم تتأثر بخصائص بالبيئات الأخرى. أمّا الحسينيات التي اتخذت من اسم الحسين شعارًا لها، فقد اكتسبت مدلولاتها وخصائها العمرانية من فلسفة حركة الإمام الحسين المحفورة في الوجدان الشيعي، يعبّرون عنه يوميًّا (بالتبرّع) الذي أصبح عند العبّاويين، تقليدًا اجتماعيًّا ـ دينيًّا يتنافسون عليه.

واكب هذا التطور ظهور المنبر الحسيني أو عرّيف المنبر الحسيني، وغايته إقامة المجالس والمحاضرات الأدبية والفكرية وما إلى ذلك. ولأن العبّاويين متمسكون بشعائر دينهم وحبهم لأوليائهم ظهر العديد من المؤسسات بمختلف وظائفها، اقترنت أسماؤها بأسماء الأولياء. أمّا الجبّانة ـ المقبرة، فقد أسهم زيادة الوعي الديني عند الناس في تغيير عادات بناء القبور وتجهيزها، وأصبحت عبارة عن مسطح واحد من الرخام، لا يعلو عن (٤٠) سم، ومتلاصقة أكثر بحيث لا يوجد فسحات بينها، وذلك عائد إلى حاجة الأهالي إلى مزيد من المساحات، في ظل تكاثر حالات الوفاة.

ما نحن عليه اليوم، يسجل غياب تام لمرافق كانت تُعَدُّ أساسية في حياة العبّاويين، وهي: راعي العجّال، الناطور، الداية، المصطبة، البركة، التنور. إمّا لانتفاء الحاجة اليهم، وإمّا لحلول وسائل كهربائية ومائية وغذائية بديلة عنها،

آخرها ظهور الاشتراك بالكهرباء من المولدات الخاصة التي أصبحت رديفة لتلك الموزّعة من مؤسسة كهرباء لبنان.

الفصل الرّابع:

نشوء الملكيّة العقاريّة والزّراعيّة الخاصّة وتطوّرها في عبّا

النّظام العقاريّ العثمانيّ سندات التّملّك (الدّفترخانه) وعقد البيع (حجّة بلديّة):

لمّا كان لبنان الحالي خاضعًا لسلطة السلطنة العثمانية المباشرة، وموزّعًا بين نظام حكم المتصرفية والولايات والسناجق، كان التنظيم العقاري فيه خاضعًا للقانون العثماني الذي نظّم طريقة تسجيل الحقوق عليها بما يعرف (بالدفترخانة). وبموجب هذا القانون يتم قيد الحقوق وحقوق الارتفاق والانتفاع والتحريرات والفراغ والانتقال والاتفاقات على العقارات، بموجب قيد بسيط يذكر فيه مركز المحله أو القرية واسمها من دون أدنى وصف طبوغرافي أو مساحة واضحة ودقيقة. كما أن تسجيلات الدفترخانة والسندات المعطاة على أساسها لأصحاب الشأن لم تكن موضوعة على أساس قانوني واضح، ولم تبيّن للملّاكين المتاخمين موافقاتهم ولا تلحظ خطة للإعلان عن الحقوق العقارية. وفيما بعد أصبح تسجيل الحقوق والمعاملات يتم في المحاكم المدنية، ويوثق قيدها في سجلات خاصة للعمل بها بين الأفرقاء.

ومن غير المؤكد لدينا ما إذا كان أهالي عبّا في تلك الفترة يعتمدون هذا النظام لقيد عقاراتهم، لكوننا لم نعثر على أي مستند يثبت ذلك. كالمستند الذي عثرنا عليه (سند طابو) لأرض أميري مؤرخ سنة (١٢٩٧هـ- ١٨٧٦م) يتضمن قيد

عقار في سجلات الدفترخانة تابع لقرية قبريخا قضاء مرجعيون[١]. هذا الأمر يدعو للتساؤل: هل اعتُمد هذا القيد في عبّا كما اعتُمد في قبريخا؟ سيما أن كلا البلدتين كانتا تابعتين لسنجق بيروت. وما هو ثابت لدينا أن العبّاويين كانوا متوافقين مشافهة (عُرف) فيما بينهم على مواقع عقارات كل واحد منهم وحدودها، بدليل الإفادة التي تقدم بها أعضاء اختيارية ووجوه البلدة أمام محكمة صلح النبطية، وفيها إقرار منهم بملكية أرض كانت موضوع شكوى بأنها أرض مُشاع[٢]. وأن أشكال انتقال الملكيات العقارية سواء بالبيع اوالإرث أو المهر، كانت تتم بموجب عقد بيع عادي، اصطلح على تسميته بـ(حجة بلدية)[٣]. وهي بقيت معتمدة حتى بعد نيل لبنان استقلاله، ولم يرد في هذه الحجج أي ذكر لسند الطابو، وعليه يبقى التساؤل قائمًا إلى أن يظهر بالدليل القطعي ما يؤكد اعتماد (سند الطابو).

عائلات المكانة العقارية في عبّا وأساليب الملكية وأشكالها:

في عهد الانتداب الفرنسي نظّم المفوض السامي أشكال الملكية العقارية، والحقوق العينية غير المنقولة على الأراضي اللبنانية[٤]، بهدف ضمان سير الانتظام العام، وبما يتماشى مع المصلحة العامة للدولة والمواطنين. ولأجل ذلك، صنّف الأراضي إلى مجموعات، منها: العقارات الملك: وهي العقارات الكائنة داخل مناطق الأماكن المبنية كما هي محددة إداريًّا والقابلة للملكية المطلقة. والعقارات

(١) وثيقة رقم (٢٧)، سند طابو لأرض أميري مؤرخ سنة ١٨٧٦ يتضمن قيد عقار في قرية قبريخا..

(٢) جاء في الفقرة الحكمية الصادرة عن محكمة صلح النبطية ما يلي: وحيث إن المدعى عليه ادّعى ملكية الأرض موضوع النزاع وأبرز شهادة من أعضاء اختيارية ووجوه قريته بأنه لا يوجد أرض مشاع في محلة الكسارة... وثيقة رقم (١٢).

(٣) «(الحجة البلدية) مصطلح شاع تداوله والعمل به بين العامة من الناس في الولايات التي كانت خاضعة للسلطنة العثمانية وفي ما بعد الانتداب الفرنسي والبريطاني للمشرق العربي. إلا أنه بالتعريف القانوني هو خطأ شائع والصحيح أن يقال: إقرار بيع عادي». مقابلة مع الأستاذ موسى محمد نعمة كاتب عدل النبطية في مكتبه بتاريخ ٦/ ٣/ ٢٠١٨م.

(٤) قرار المفوض السامي رقم ٣٣٣٩ تاريخ ١١/ ١٢ ١٩٣٠م، نظام الملكية العقارية والحقوق العينية غير المنقولة، الجريدة الرسمية، العدد ٣٤٧٩ تاريخ ٢٧/ ٣/ ١٩٣١م، الصفحات ١ لغاية ٢٠.

الأميرية، وهي العقارات التي تكون رقبتها للدولة ويجوز أن يجري عليها حق تصرف. والأراضي المتروكة (المُشاع): وهي التي ترك حق الانتفاع بها لعامة الناس أو لأهالي قرية أو قصبة أو قصبات متعددة مع أن رقبتها عائدة لبيت المال فلا يجوز لأحد استملاكها أو الاستئثار بها. وهذه الأخيرة صنّفت على أنها أراضٍ متروكة لعامة الناس، كالطرق والأسواق والساحات ونحو ذلك، والأراضي التي تركت لأهالي قرية أو قرى للانتفاع بها كالمراعي والبيادر.

وبناء على هذا التصنيف سُلِكت في عبّا أساليب الملكية العقارية وأشكالها. وتبوأت بها عائلات المكانة العقارية مركز الصدارة. ويقال: «إن ملكية معظم الأراضي تعود لفروع من عائلة واحدة هم: آل خليل، آل هارون، آل حسين. تليها عائلات أخرى مثل آل ياسين وآل قاووق. آل عميص كان لها أراضٍ واسعة. وبحسب ما هو متوارد عنهم أنهم كانوا مكلفين بتخزين مواسم الميرة في دار الحاج حسين عميص، ومن ثم يتم نقلها إلى صيدا مركز الولاية. أمّا ملكية آل علي حسين فتعود إلى وراثتهم من أمهم أمون بنت خليل أبو دلا»[1].

وقديمًا كانت الملكية العقارية من أهم المواضيع وأعقدها على الإطلاق، فالعقار هو الشيء الثابت المستقر في مكانه، غير قابل للنقل إلى مكان آخر. أمّا المتحرك فهو المالك سواء كان سلطة أم فردًا. وكان التملّك أو الحيازة يتمّ إمّا من خلال القوانين والمراسيم والأوامر، وإمّا من خلال أشكال الاستثمار الزراعي وعلاقات الإنتاج، في عبّا لدينا نماذج عن أشكال التملك والانتقال بموجب القانون والتشريعات العقارية، أحد أشكالها كان بداعي التهرب الضريبي، وبحسب ما يُنقل عن العلاّمة السيد محمد ترحيني، أنّ خليل (أبو دلا) زار والي صيدا وتنازل للسلطنة عن أراضٍ شاسعة في قلعة ميس - مزرعة شلبعل- مزرعة دمول- وطى عبّا، في محاولة منه للتهرب من دفع ضريبة الويركو والأعشار. وعند عودته من عند الوالي استقبله أهالي البلدة في محلة عقبة الدوير بالطبل والزمر تقديرًا له على

(١) مدونة العرايس، السنة ١٧، مرجع سابق، ص٣٢.

إنجازه[١]. وهناك نموذج آخر عن الاستثمار الزراعي، وأحد أشكاله نظام المرابعة، وهو ما فعله « آل ياسين مع المرابعين. فقد كانوا أصحاب أملاك واسعة في البلدة يعطونها للفلاحين بالمرابعة أو الإيجار لخمس سنوات[٢]. وكانت مجمل أراضيهم يستملكها من يصلح ويفلح هذه الأراضي بالحصة. هذان النمطان من التملك عبر التشريعات العقارية، وأشكال الاستثمار الزراعي وعلاقات الإنتاج، إضافة إلى ذلك بالإرث اوالمصاهرة، أو البيع. وجميع هذه الأشكال أسهمت في تفكك ملكيات عديدة وانتقالها من عائلات المكانة، وكان جلّهم من آل خليل وهارون وحسين إلى عائلات أدنى منها. هذه العوامل شكّلت عنصرًا طاغيًا في هذا التحوّل، والتاريخ العبّاوي لديه نماذج منها، في طليعتها أثر المصاهرة.

من الأشكال الانتقال بالمصاهرة: «عندما استقر الشيخ إبراهيم حريري في البلدة، وتزوج من السيدة حُسن معلّم ابنة حسن معلّم (هو جدّ مختار البلدة حسن محسن معلّم)، وبذلك أصبح بين آل حريري وآل معلم صلة قرابة، وأنجب منها الشيخ ستة أولاد هم: علي- موسى- أحمد- حسين- داوود- وإبراهيم ولد بعد وفاته. ويقال: إن والد حُسن وهبها حوالي مئة دونم من الأرض لتيسير معيشتهما»[٣]. ومع «آل حسين أحمد، وكان فلاحًا بسيطًا من صغار الملّاكين. ولمّا توفيت زوجة حسين أحمد الثانية، فاطمة بنت الوجيه الكبير يوسف علي هارون عام (١٩٢١م)، وكانت أنجبت منه طفلًا (عبد اللّه) وهي الوريثة الوحيدة لوالدها، انتقلت الثروة

(١) من مرويات المجالس الخاصة للعلّامة السيد محمد حسن ترحيني» نقلها إلينا نجله حسن بتاريخ آذار ٢٠١٨م.

(٢) للاطلاع: نموذج عن عقد بيع بين مريم محمد الحاج حسين عميس السيد توفيق علي حسين أحمد من شروطه غرس الأرض لمدة ست سنين مقابل تملك نصفها. وكان البيع بهذا االشكل شائعًا حتى لو كانت الحيازات صغيرة. وأصبح هدفًا عند من لا يستطيع غرس أرضه. من أبرز اشكال المزارعة التي سادت في جبل عامل وسائر انحاء المشرق العربي كانت انظمة المحاصصة ومنها: المرابعة والمخامسة وأحيانًا المثالثة والمناصفة محمد مراد: التملك والسلطة في الجنوب اللبناني (١٩٢٠ - ١٩٧٥، منشورات الجامعة اللبنانية قسم الدراسات التاريخية ٤٩ - بيروت ٢٠٠٩، ص ٧٩.

(٣) مقابلة مع حسين سليمان حريري، مرجع سابق، ٢٠١٢م.

بكاملها للطفل عبد اللّه، فأدارها والده السيد حسين السيد أحمد مع أراضيه»[١]. وعندما امتلك عبدو حسين أحمد أرضا من زوجته آمنة عبد الرسول خليل أبو دلا أيضًا. وهكذا بالإرث والمصاهرة امتلك حسين أحمد، وعبدو حسين أحمد من آل خليل وآل هارون، ارضا وأصبحا من الفلاحين الملاكين في البلدة، إذ حيثما توجهت ترى أراضيهما قسيمة آل هارون و آل خليل[٢]. ومع آل إبراهيم، يروى أن حسن خليل أبو دلا توافق مع العلامة السيد مهدي آل إبراهيم لتسمية نجله العلامة السيد محمد علي أن يكون إمامًا للبلدة وكان ذلك عام (١٩٣٨م)، ولمّا استقر فيها قدّم له قطعة أرض هي ملك لابنته وهيبة، بنى السيد عليها منزلًا ولاحقًا اقتطعه كل فلاح من البلدة قسمًا من ممتلكاته، فكانت له ملكية أرض ناهزت (١٠٠) دونم ونيّف»[٣].

وكان البيع شكلًا آخر من أشكال انتقال الملكية، ولدينا منه نموذج يعدّ أقدمَ عقدٍ نظّم بين طرفين، يعود تحريرة إلى ما قبل (١٥٠) عامًا. وهو عقد مصالحة وإعادة توزيع حصة مقابل مال حرّر عام (١٢٨٧ هـ- ١٨٦٦م). يتبين من العقد أن البائع هو علي الحفيد غير المباشر لـ(أحمد)، وهو الجد الأعلى لآل علي حسين. أمّا الشاري فهو خليل أبو دلا جدّ آل خليل. وفحوى العقد: أنه بتاريخه أدناه قد

(١) «وابنه السيد عبدو تزوج من الحاجة آمنة عبد الرسول خليل أبو دلاّ والدتها صالحة هارون وكان لها شقيقين =هما محمود وداوود. وكانت الحاجة آمنة قصدت أيام سفربرلك مشيًا على رجليها فلسطين للتفتيش عن أخيها داوود فتبين لها أنه مات في قرية صفد ودفن فيها. وبوفاة الجميع ورثتهم جميعًا. أيضا حفيده حسين عبدو حسين أحمد تزوّج من ما شاء اللّه حسين علي الوحيدة لوالدها، فورثت مقسمًا لفدانين زهاء مائة دلم». وكذلك فعل «السيد حسن خليل تزوج من شاة الريم من آل هارون وهي كانت سابقًا تزوجت من محمد جواد خليل (ذهب إلى تركيا ولم يعد) وبما أنها كانت وحيدة لوالدها صالح ابن محمد هارون ولم ينجب ذكورًا فقد آل ميراث والدها إليها حصرًا، وبعد وفاتها ورثها زوجها حسن خليل وبذلك أصبح يملك حصة في دار آل هارون، وهو الآن لأبو محمد سعيد». مدونة العرايس، العدد الأول، ١٥ شباط ٢٠١٦م. العدد الإلكتروني.

(٢) حسنة ابنة عبدو حسين أحمد تزوّجت من حسن خليل يونس فكان من مهرها حوالي١٥ دونمًا من أملاك السيد خليل يونس، وونسه ابنته الثانية تزوّجت من حسن علي جواد والمهر أيضًا أرض من أملاك جواد هارون. نفس المرجع.

(٣) خليل توفيق ترحيني: وجهاء بلدة عبّا الجنوبية مرجع سابق.

صالح السيد علي أحمد السيد خليل أبو دلي على أربعة قراريط ونصف من سهمه في البير التي من أربعة وعشرين قيراطًا بثمن وقدره ثلثمائة وسبعين قرشًا برفع الغبن وإسقاط جميع الخيارات بخاطره ورضاه بيعًا صحيحًا شرعيًّا يتصرف بهما حيثما شاء لا داعي ولا مدّعي. لأجل البيان حررنا بينهما هذا الشعار للحاجة[١].

وكانت الضائقة المادية تدفع بالبعض إلى رهن أراضيهم عند المتمولين والملاك الكبار سواء في داخل أو خارج البلدة. والرهن بطبيعة الحال هو بيع مؤقت، نفيه أو تأكيده رهن بإعادة المال واسترجاع الأرض. من داخل البلدة وقعنا على عقد رهن أرض، البائع هو إبراهيم حسن خليل، والشاري علي محمود خليل ياسين. ورد فيه أن مدّة البيع سنة، وشرط نفاذ البيع حال لم يسدد المبلغ بعد تمام السنة على العقد[٢]. ومن خارج عبّا لدينا إخبار أنه بعد وفاة يوسف علي هارون، وهو في طريقه لزيارة الأماكن المقدّسة، وكان صاحب أملاك وأراضٍ، تسرّبت أيدي المراهنين من ولاية صيدا، لارتهان بعض الأملاك والأراضي في البلدة وتملكتها أيديهم. لكن ابن عمه يونس أحمد هارون استعادها بعد مجيئه من المهجر»[٣].

وكان البيع يأخذ شكل المزايدة العلنية أحيانًا، فبعدما كانت معظم أراضي البلدة لآل خليل، حدث ما لم يكن في الحسبان، وهو أنه من جراء دين على حسن خليل، بيعت أملاكه عام (١٩٣٥م) بالمزاد العلني. ومع عدم موافقته على البيع، وعدم حضوره بقيت معاملات الأراضي المباعة غير قانونية لحين وفاته عام (١٩٤٦م)، بعدما أمر أمام البلدة سماحة السيد محمد علي إبراهيم بأن البيع فيه غبن، فعلى

(١) حرر العقد في ١ جمادي الأول سنة ٨٧ - القائم فيهما السيد علي أحمد هذه بصمة ابهامه - الشهود: أسعد أبو دلا من (آل حسين) حسن حمود إسماعيل من (آل حمود) وشاهدان آخران هما: جميل يونس ومحمد موسى - راقمه، أي (حرره) حسن مصطفى وهبة. أما الشاهدان الآخران جميل يونس، ومحمد موسى، فلم نعثر لهم على أية قيود في شجرة انساب (السادة التراحنة)، والأرجح أنهما ليسا من أهالي عبّا، وجدا عند محرر عقد المصالحة حسن مصطفى وهبي، وهو أيضًا من غير أهالي البلدة، وقت تحريره. وثيقة رقم (٣).

(٢) وثيقة رقم (٢٨) عقد رهن أرض.

(٣) مدونة العرايس، السنة ١٧، مرجع سابق، ص٣٢.

المستفيدين دفع المتوجب عليهم للقيام بواجب العزاء»[١]. عبر الطرق التقليدية للبيع، وهي تلك المعروفة بالبيع الصحيح الشرعي بدون جبر ولا إكراه بل بتمام الرضا والاختيار بيعًا جامعًا للشروط فاقدًا للموانع[٢]. وقد تم بعضها بين عبد اللّه حسين أحمد ترحيني من المشتري توفيق علي حسين أحمد ترحيني.

والملاحظ في جميع هذه العقود على اختلاف مسمياتها القانونية، أن جميعها خالية من تحديد من بعض المحددات، كمساحة العقار، وكان يكتفى بتحديد اسم العقار وما يحدّه من الجهات الأربع، وأحيانًا كان يتم تحديد نوع الأشجار المغروسة؛ لأن الأرض كانت مسوّرة بحوائط من الجهات الأربع، ولم تكن خاضعة بعدُ لأعمال التحديد والتحرير (المساحة) كان متعذرًا معرفة مقدار المساحة. وبما أن القسم المستصلح منها فقط كان يزرع، فإن تقدير المساحة كان يعتمد على مقدار ما تُزرع، من هنا يقال هذا العقار بذار مُدّ (مكيال قديم) أي إن مساحته أقل أو أكثر من دونم. وبانتهاء أعمال التحديد والتحرير، ظهرت المساحة الفعلية للعقارات، ومن ثمّ صارت عمليات التملّك تتم على أسس قانونية ومحددات واضحة لا لبس فيها.

قرار التحديد والتحرير وانطلاق الأعمال:

غداة إعلان دولة لبنان الكبير عمل الانتداب الفرنسي على تنظيم العقارات وتحديدها وتحريرها، وإنشاء لجان مختصة للقيام بأعمال المسح والإشراف القضائي تمهيدًا لقيدها في سجل الملكية لأصحابها. لأجل ذلك صدر بتاريخ (١٥/ ٣/ ١٩٢٦م) عن المفوض السامي الفرنسي قرارًا حمل الرقم (١٨٦)، قضى بتحديد وتحرير العقارات[٣]. مع ذلك وبالرغم من نيل لبنان استقلاله عام (١٩٤٣م)

---

(١) مدونة العرايس، السنة ١٧، مرجع سابق، ص٣٢.

(٢) لدينا من هذه االعقود أكثر من ١٥ عقدًا.

(٣) الجريدة الرسمية: العدد ١٩٥٧م، تاريخ ٢٣/ ٠٣/ ١٩٢٦م، الصفحات ٣٢ - ٣٣ «واتبع بالقرارين ١٨٨ و ١٨٩ اللذين نظّم بموجبهما دائرة السجل العقاري وكيفية افتتاحه ومسكه وقيد الحقوق فيه وعلانيتها واستفادة الجمهور منها. ثم المرسوم الاشتراعي رقم ١٢ في ٢٨ شباط من سنة ١٩٣٠م. الذي يختص بتنظيم مكاتب التسجيل ومكاتب الطابو وينص على أصول خاصة لمعاملات التسجيل» الجريدة الرسمية، =

بقي عقد البيع العادي (حجة بلدية) مستندًا تعاقديًّا يعمل به في مختلف قرى لبنان الجنوبي، بين طرفين هما البائع والشاري، موقعًا من شهود الحال. يقول الكاتب بالعدل في دائرة النبطية موسى محمد نعمة» إنه بعد نيل لبنان استقلاله عام (١٩٤٣م) وانطلاق الجمهورية الأولى، كانت (الحجة البلدية (لا تزال تنظّم من قبل متعاقدين لسببين: الأول: عدم وجود كتّاب بالعدل معتمدين من قبل السلطة في مناطق الأطراف، ينظّمون العلاقات الحقوقية بين الناس. والثاني: وهو الأهم أن جميع الأراضي لم تكن بعد، قد خضعت بكاملها (للمساحة)، أي للتحديد والتحرير[1]. وبحسب ما قاله حسين سليمان داوود حريري نقلًا عن والده، فإن عقود البيع في عبّا من أراض وبيوت وخلافه، كان أغلبها يحرّر في النبطية، وتنظّم بين البائع والشاري، عند شخص يُدعى محمد علي، لا يعرف كنيته، إنما كان لديه دكان في النبطية، وقد عُرف عنه إجادته الخط، وكان الفريقان يذهبان إليه مع الشهود لتحرير العقد[2]. وبنتيجة التقصي عن محرّر العقود، تبيّن لنا أن له حفيدًا يدعى محمد حاليًّا يملك دكانًا بمحاذاة الملحمة العصرية. صرّح لنا أن جدّه الحاج محمد علي حماده (أبو قاسم) وكان مختارًا لحي السراي، ينظم عقود البيع في دكانه. والدكان يشغله حاليًّا مجوهرات جابر، وكانت قبلًا دكانًا للمختار عبد الأمير جعارة»[3]. لدينا من هذه

= العدد ١٩٨٠م، تاريخ ١١/ ٦/ ١٩٢٦م، الصفحات ٩ لغاية١١ و ١٧ لغاية ٢٢.

(١) «من الناحية القانونية يتمتع هذا الإقرار بكامل الصفات لجهة إثبات شخصية المتعاقدين والشهود وتحديد العقار بالاسم وما يحدّه من الجهات الأربع. وهو اعتمد لإثبات الحقوق قبل وأثناء الشروع بأعمال التحديد والتحرير وما زال معتمدًا في النواحي التي لم تشملها بعد تلك الأعمال. في المقابل من لم يكن بحوزته إقرار بيع كان يكفي لتثبيت ملكيته للعقار والاستحصال على سند تملّك، التصريح أمام فرقة التحديد أنه داوم على استصلاح وزراعة الأرض مدة عشر سنوات.
هي كافية لوضع اليد الهادىء والعلني للعقار من نوع الشرعي أميري، وخمس عشرة سنة، من نوع الشرعي خاص». مقابلة مع الأستاذ موسى محمد نعمة كاتب عدل النبطية في مكتبه بتاريخ ٦/ ٣/ ٢٠١٨م.

(٢) مقابلة مع حسين سليمان داوود حريري، مرجع سابق.

(٣) للتوسع بالموضوع استمعنا إلى شهادة عساف حنا فاضل وكان على صلة وثيقة به. يقول: «معرفتي بالحاج محمد علي حماده (أبو قاسم المختار) قديمة ووثيقة، رجل وقور، استطاع بعصاميته أن يكسب محبة الجميع واحترامهم حتى غدا مرجعية لمن أراد مشورة في أمر ما. وكان أبو قاسم يتمتع بخط ممتاز ويستقبل في دكانه البائع والشاري من كافة قرى القضاء لتنظيم العقود. وكان بعد أن يتثبّت من هوية الفريقين =

العقود ثلاثة نماذج[١]. من حيث الشكل، هي غير معنونة بعبارة (عقد بيع) ممهورة بتوقيع منظمها، وشهود الحال، وتوقيع كلّ من البائع والشاري وبصمة إبهاميهما، وملصق عليها (طابع) عبارة عن رسم أميري. ومن حيث المضمون تتمتع بكل الاعتبارات القانونية والشرعية حيث ورد فيها العبارات التالية: تمتع البائع بالصفة الشرعية - أن البيع حصل بصورة قطعية لا رجوع عنه - اسم العقار ومكان وقوعه وحدوده من جهة الجنوب (القبله) والشمال والشرق والغرب- شكل تملك العقار (بالإرث) - قبض ثمن العقار (ألف ليرة لبنانية) - البيع تم بدون جبر أو إكراه بصحة جسم وتمام عقل - اسم المشتري مع ضمان حقه بالتصرف بالعقار أو أي دعوى أو معارضة - التعهد في حال فسخ العقد إعادة المبلغ إلى المشتري مع تعويض له مقداره مائتي ليرة بدل عطل وضرر- التحسينات التي يكون قد أجراها المشتري على العقار- بعض العقود حدد فيها مدة زمنية للرجوع عن البيع من دون تعويضات - بعض العقود ذكر فيها مغروسات من نوع أشجار. وبذلك يكون العقد مستوفيَ الشروط من الناحية القانونية، وهذه دلالة واضحة على تمتع محرر العقد بالثقافة التعاقدية والقانونية. وهناك نماذج أخرى مجهول محررها، وبعضها رديئة الخط، وهذه العقود، خالية من تحديد رقم العقار. واستمر العمل بها في عبّا إلى حين اختتام أعمال التحديد والتحرير فيها، في (٢٦ تشرين الثاني ١٩٥١م).

بالعودة إلى القرار رقم (١٨٦ في ١٥ آذار ١٩٢٦م) المختصّ بأعمال التحديد والتحرير في الجمهورية اللبنانية، فإنه لم يصدر قرار المباشرة بالتحديد في عبّا، إلا بعد انقضاء عقد على صدوره، كان ذلك بتاريخ (١٦ شباط ١٩٤٠م) عندما صدر المرسوم رقم (٢٧٠)، وشمل القرار افتتاح الأعمال في عدة مناطق عقارية في كل من قضائي صيدا وصور[٢]. إلا أنه لم تتم المباشرة بالأعمال في عبّا، إلا

= والشهود، ويتأكد من موقع القعار والعقارات المحيطة وكم مدّ يزرع (هو وعاء من حديد أو خشب يعتمد لكيل الأوزان) يعمد إلى تنظيم (الحجة). أحيانًا كان يتقاضى بدل مالي مقداره ليرة ونصف عن كل عقد». مقابلة مع عساف حنا فاضل من بلدة الكفورتولد ١٩٣١م والدته هندومة بتاريخ ٣٠/ ١/ ٢٠١٨م.

(١) وثيقة رقم(٢٩).

(٢) «المادة ١: بناء على المرسوم رقم ٢٧٠الصادر في ١٦شباط سنة ١٩٤٠م، تفتح أعمال المساحة اعتبارًا =

سنة (١٩٥٠م). وبذلك يكون قد مضى ربع قرن على صدور القرار الأول. يقول من تمّت مقابلتهم من معاصري تلك المرحلة من أبناء البلدة: إن المباشرة بأعمال التحديد في عبّا جاء على خلفية المباشرة بالتحديد في بلدة الدويرعام (١٩٤٨م) « ولأجل ذلك نُظمت من عبّا زيارات متكررة لوفود إلى دارة الطيبة، وكان البيك رئيسًا للمجلس النيابي، وطالبوه بتحديد مساحة أراضي البلدة أسوة ببلدة الدوير، فاستجاب البيك للطلب»[1]. وهكذا وبحسب ما هو مدوّن في محضر التحديد والتحرير الخاص بعقارات البلدة الذي اطّلعنا على مضمونه من محفوظات أمانة السجل العقاري في النبطية، فقد بوشر العمل في (١٠ حزيران ١٩٥٠م) واختتم في (٢٦ تشرين الثاني ١٩٥١م). وعليه فإن عام (١٩٥٠م) هو التاريخ الفعلي للمباشرة بالأعمال وليس عام (١٩٤٠م) تاريخ صدور مرسوم الافتتاح رقم (٢٧٠)، وتكون المباشرة بالأعمال قد تأخرت (١٠) سنوات، وفي ذلك تجاوز صريح وواضح للمادة (٧) من القرار (١٨٦) تاريخ (١٥ آذار ١٩٢٦م)، وهذا نصّها: بصورة مبدئية تفتتح أعمال التحديد والتحرير كل سنة ابتداء من أول آذار، ويمكن الشروع بها في أي وقت كان، وينشر القرار الخاص بافتتاح الأعمال في كل قضاء أو محافظة قبل

= من أول أيار سنة ١٩٤٠م، في المناطق العقارية الآتي بيانها قضاء صيدا: كفرحتى - بنعفول - حومين التحتا - خزير - اركي - عزه - بفروة - النميريه - كوترية السياد - خرطوم - مزرعة سينى - أنصار- مزرعة بصفور- مزرعة -شلبعل - مزرعة دمول- مزرعة قلعة ميس- **عبّا**- جبشيت -كفردجال - عدشيت -قصيبة - بريقع - الزرارية - سير الغربيه - كفرصير -وقاقعية الجسر. قضاء صور: مزرعة طرسمحات -فرون - طويري - نيحا - دير كيفا - سلعه - كفردونين - البياض- دير عامص- رشكنانيه - صديقين -جبال البطم - زبقين. يترتب على السلطات الإدارية في محافظة لبنان الجنوبي تأمين نشر موعد افتتاح الأعمال المذكورة فيما تقدم في المناطق العقارية صاحبة الشأن، وفي المناطق العقارية المجاورة. يستهدف للعقوبات المنصوص عليها في المادتين٥١ و٥٢ من القرار ١٨٦ المعدل بالقرار٤٤ ل.ر الصادر عن المفوضية العليا كل موظف وكل شخص آخر يرتكب مخالفة أثناء عمليات المساحة المذكورة آنفا سواء كان مرتكبًا أو معاونًا للمحافظة أو مشتركًا فيها». الجريدة الرسمية، العدد ٣٩٥٧، تاريخ ٢٢/ ٢/ ١٩٤٠م، ص٦١٢٣.

(١) مقابلة مع محمد خليل ترحيني مرجع سابق. للتذكير: افتتحت أعمال تحديد وتحرير عقارات في أقضية صيدا من ضمنها (**بلدة الدوير**)- الشوف كسروان بموجب المرسوم رقم ١١٣٠٣ تاريخ١١/ ٠٣/ ١٩٤٨م،الجريدة الرسمية العدد ١١ تاريخ ١٧/ ٣/ ١٩٤٨م، ص١٩٦. واختتمت بموجب القرار رقم ٩٣ تاريخ ١٥/ ٤/ ١٩٥٣م. الجريدة الرسمية، العدد ١٦ تاريخ ٢٢/ ٤/ ١٩٥٣م، ص١٨٩.

تاريخ افتتاحها بشهرين على الأقل»[1].

لا أحد ممن تمّت مقابلتهم من معاصري تلك المرحلة لديه تفسير لهذا التأخير، سوى أن الظروف الاجتماعية التي كانت سائدة في البلدة، وانعدام الوسائل الإخبارية، ساهمت في عدم درايتهم بصدور القرار، وأنه عندما بُوشر بالأعمال في بلدة الدوير شعروا بالغبن والتهميش، فتحرّكت لديهم غريزة المطالبة بالحقوق، وكانت زياراتهم المتكررة إلى دارة الطيبة. من جهتنا، ونرى أن سبب التأخير يعود لعوائق إدارية ولوجستية كون القرار (٢٧٠) صدر بافتتاح أعمال (٤٠) قرية، منها (٢٧) في قضاء صيدا و (١٣) في قضاء صور. وبما أن الأعمال كانت مناطة بالأجهزة الإدارية للدولة فقط، فإن افتتاح هذا الكمّ من الأعمال في وقت واحد كان يفوق قدرة فرق التحديد والتحرير، الأمر الذي أتاح للزعماء والمسؤولين فرصة الإيعاز للدوائر المعنية بمباشر الأعمال في قرى معينة لكسب الرضا والتأييد، وهو الأمر عينه حصل في عبّا بعد تدخّل البك شخصيًّا.

ولمّا بُوشر بالأعمال كان (بحسب المادة ١١ من القرار ١٨٦) أنه يتعين على المختارين والملاكين وذوي الشأن والمجاورين والمدعين بحق ما، الوجود في اليوم المعيّن للمباشر بالمسح والتحديد المؤقت للعقارات، لتثبيت اليدّية والحقوق العينية العقارية الموجودة، سندًا إلى تصريحات ذوي الشأن والمجاورين والمختارين[2]. وهكذا باشرت فرقة التحديد والتحرير (المساحة) عملها. أحد المساحين ويدعى علي فرحات (أبو حسين) وكان متزوجًا دون أولاد أقام مدة (٣)

(١) «المادة ٧... ينشر القرار الخاص بافتتاح الأعمال في كل قضاء أو محافظة قبل تاريخ افتتاحها بشهرين على الأقل وتدرج في لائحة صحيحة بالقرى أو المحلات التي يجب أن تجري فيها الأعمال. على أن ينشر في الجريدة الرسمية وفي ثلاث جرائد محلية، ويتم كل ذلك بهمة مدير الدوائر العقارية. قرار المفوض السامي رقم ١٨٦تاريخ: ١٥/ ٠٣/ ١٩٢٦م، الجريدة الرسمية: العدد ١٩٥٧تاريخ ٢٣/ ٣/ ١٩٢٦م.

(٢) «المادة ١١... كان على مدّعي الحق أن يوضح بالتصريحات عن مصدر الحقوق المدعى بها، وإذا كانت اليد جارية بدون سند، فعن سببها وتاريخ وضعها من قبل واضعها الحالي أو من قبل سلفه، كما يجب إيضاح صفتها الهادئة المستمرة العلنية منذ ذلك التاريخ». قرار المفوض السامي رقم ١٨٦تاريخ: ١٥/ ٠٣/ ١٩٢٦م، الجريدة الرسمية: العدد ١٩٥٧تاريخ ٢٣/ ٠٣/ ١٩٢٦م.

سنوات في بيت (أبو فايز) محمد خليل يونس[1]. اعتمدت لجنة المساحة، المؤلفة من المسّاح وناطور البلدة (أبو نايف) وممثل عن المختار على ما يدلي به الأهالي حول ملكيتهم لأي عقار، بشرط أن يكون مقرونًا بشهود. كذلك اعتمدت (الحجة البلدية) مستندًا معترفًا به لإثبات انتقال ملكية عقار من شخص لآخر، بالبيع أو الإرث، أو ما هو مدوّن في عقد الزواج كمهر بالنسبة للنساء[2].

في الحالة الأولى عند عدم وجود مستند، يقيّد العقار على اسم الشخص واضع اليد عليه، وذلك بموجب الفقرة (٣) من المادة (٣٧) المعدّلة بالمادة الرابعة من القرار رقم (٤٤/ ل. ر) تاريخ (٢٠/ ٤/ ١٩٣٢م)[3]، كما في حالة العقارت رقم (٥٢٩ ـ ٥٣٠ ـ ٥٣٢ ـ ٥٤٣)، وهي بالأساس أرض مُشاع تبلغ مساحتها مجتمعة

---

(١) مقابلة مع محمد خليل يونس، مرجع سابق.

(٢) ورد في (حجة بلدية) حررت سنة ١٩٤٣م ما يلي: بتاريخه قد حضر الفريقان مريم بنت محمد الحاج حسين عميس من قرية عبّا والفريق الثاني السيد توفيق علي حسين أحمد من قريتنا المذكورة واتفقا على الشروط الآتية أدناه اولًا الفريق الأول وهيا مريم المذكورة لها قطعة ارض تسمى جلالي التبقه المتصلي اليها من اصل مهرها من زوجها أمين موسى إبراهيم... ملاحظة (تم كتابة مضمون الحجة كما هي بأخطائها الإملائية) وثيقة رقم (٣٠).

(٣) «الفقرة ٣ من المادة ٣٧: إذا كان واضعًا يده على العقار أو على المال غير المنقول بصورة هادئة وعلنية وبدون انقطاع مدة خمس سنوات هو بنفسه أو بشخص مورثه بواسطة شخص آخر لحسابه، وذلك بمستند محق مدة عشر سنوات، أو خمس عشرة سنة، حسب النوع الشرعي للعقار أو للمال غير المنقول إذا لم يكن بيده مستند محق. ويفهم (بالمستند المحق) في هذا القرار الفعل أو الحادث المثبت لإحراز العقار بإحدى الوسائل التالية كإشغال الأرض الموات، أو كانتقال الملك بالوراثة بغير وصية أو بوصية، أو كالهبة بين الأحياء بغير عوض أو بعوض أو كالبيع أو الفراغ. إذا ثبت انقراض أو خلو الملك وكان واضع اليد الحالي غير متمم للشروط المذكورة في الفقرة الثالثة من هذه المادة يكون القيد خاضعًا لأحكام المادة ٣٨ المعدّلة بموجب المادة الخامسة من القرار رقم ٤٤/ ل. ر تاريخ ٢٠/ ٤/ ١٩٣٢م.
المادة ٣٨: عندما يكون عقار أو مال غير منقولًا مهما كان نوعه، غير مقيد أصلًا في الدفتر خانة أو في دفاتر التسجيل في جبل لبنان وكان مملوكًا بدون سند، فيقيد حق الملكية أو حق التصرف، حسب الحالة باسم واضع اليد الحالي، إذا كان أشغله بصورة هادئة علنية، وبدون انقطاع بنفسه أو بشخص مورثه أو بواسطة شخص ثالث لحسابه بمستند محق أو بدون مستند محق مدة عشر سنوات أو خمس عشرة سنة، حسب ما يكون نوع العقار أو المال غير المنقول أميريًّا أو ملكًا صرفًا وإذا كان واضع اليد الحالي غير متمم لهذه الشروط فيقيد باسمه حق الملكية أو حق التصرف حسب الحالة، إذا رضي بأن يدفع بدل المثل مخمنًا وفقًا لأحكام المادة ٤٢ التالية وإذا رفض فيسجل العقار ملكًا للدولة». قرار المفوض السامي رقم ١٨٦ تاريخ: ١٥/ ٠٣/ ١٩٢٦م، الجريدة الرسمية: العدد ١٩٥٧م تاريخ ٢٣/ ٠٣/ ١٩٢٦م.

(٧١٨م٢) انتقل إشغالها من حسن خليل أبو دلا إلى يونس أحمد هارون بعدما دفع له مبلغًا من المال بدل إخلاء. ومن ثم انتقلت بالوراثة إلى ولده خليل، الذي قيّدها ملكًا خاصًّا له عندما جرى تحديد أراضي البلدة وتحريرها عام (١٩٥٠م)، وبنى عليها لاحقًا دارًا له ولأولاده(١).

وبحسب المادة (١٢) من القرار المذكور كان على فرقة التحرير والتحديد إذا تخلّف صاحب المُلْك عن الحضور، أن يجري التحديد استنادًا إلى معلومات المختارين والمجاورين الحاضرين، على أن يذكر ذلك في محضر تحديد العقارات. وإذا وقع خلاف على حق ملكية، كان الشخص شاغل العقار يقيد في المحضر على أنه المالك المفترض، والمدعي بحق، معترض. إلا أنه وبحسب ما روي شريف أمين أحمد خليل (أبو علي) لم يتم التقيّد بمضمون هذه المادة، وبقيت بعض العقارات دون تحرير وتحديد وقيد، بعد رفض فريق التحديد ومختار البلدة شريف يوسف علي حسين، تحديد أراضي أشخاص كانوا غير موجودين في البلدة بعدما أخذوا إلى الحرب مع الأتراك. وهكذا بقيت العقارات كما هي من دون تحديد وقسمت لاحقًا على الورثة(٢). تلك الثغرة في تطبيق قرار التحرير والتحديد لم تكن الوحيدة، إذا تكررت ثغرات وأخطاء عديدة، يعود سببها إلى قلّة اكتراث وجشع فريق التحرير، وقلّة دراية وخبرة المختار والملاكين وذوي الشأن والمجاورين، المولجين مرافقة الفريق خلال عمله.

يُجمع من تمت مقابلتهم من أبناء البلدة، المعاصرين لأعمال التحرير والتحديد وكانوا شهودًا عليها، إن أخطاء عديدة حصلت، وهناك أمثلة عديدة منها، امتناع اللجنة عن القيام بتحديد مساحة أرض في غياب مالكها. أو قيامها من دون إعلام صاحب حق، بتحديد وتحرير وقيد ممر فرعي (طريق) عائد له، يؤدي إلى بيته، ينتهي ببوابة حديدية، على أنه من أملاك شخص آخر(٣). إلا أن أحدًا ممن تحدثوا

---

(١) مقابلة مع محمد خليل ترحيني مرجع سابق.

(٢) مقابلة مع شريف أمين ترحيني، مرجع سابق.

(٣) قام فريق التحديد من دون إعلامي بالأمر، بتحديد مساحة ممر فرعي (طريق) يؤدي إلى بيتي وينتهي بوابة =

عن أخطاء لم يقم بتسجيل اعتراضه بالرغم من أن المادة (٢٠) من قرار التحديد أجاز ذلك خلال مهلة الثلاثين يومًا لتقديم طلب الاعتراض قبل أن يصدر حاكم الصلح أو القاضي العقاري قرارًا باختتام عمليات التحديد والتحرير نهائيًّا، ولصقه على باب قاعة الجلسات وإعلامه إلى أصحاب العلاقة بواسطة المختارين وإبلاغه لمحاكم المنطقة ونشره في الجريدة الرسمية[١]، ومن ثمّ لم يتم تدارك الأخطاء وتصحيحها.

ولم تقتصر تداعيات أخطاء التحرير والتحديد على المستوى الشخصي، بل طالت المصلحة العامة لعموم البلدة. ذلك أن فساد فريق التحرير وجشعه، وعدم إذعان من أوكل مهمة مرافقتهم من أبناء البلدة لطلباتهم، حال دون تحرير وقيد حق مرور مكتسب خاص للعقارات الواقعة خلف طريق عام أو فرعي. يومها رفض وجهاء البلدة الخضوع لابتزاز اللجنة عندما طلبت ربع ليرة عن كل سند، كونها تتقاضى أجرًا من الدول، وبذلك سكروا البلد على عماها»[٢]. ومن ثمّ أصبح

= حديدية بتحريره وتحديده ضمن تحديد أرض لجاري محمد مهدي أسعد حسين، بحجة أن الممر محاذي لأرضه، وقام جاري لاحقًا بزراعة الممر بنصوب أشجار لجعله أمرًا واقعًا. إلا أن البوابة ما زالت في مكانها لغاية الآن. مقابلة مع محمد خليل ترحيني مرجع سابق. كذلك: «حصلت عدة أخطاء أثناء إجراء المسح مثالًا على ذلك تم مسح ٥ دونمات في ناحية القصر عائدة لي، باسم هاشم محمود حسين، لأن عمليات المسح كانت تتم بغياب أصحاب العلاقة وبإشراف ناطور البلدة إبراهيم حسن خليل يعاونه منيف يوسف علي حسين أبو نايف». مقابلة مع سعيد إبراهيم يونس هارون مرجع سابق.

(١) « هذه الآلية تتم بطريقتين: ١- بطريقة الاعتراض فيما لو وقع خلاف على حق ملكية أو على مدى هذا الحق، وعلى الحدود.بطريقة طلب القيد، في حالة وجود ادعاءات باستعمال حق عيني قابل للتدوين في السجل العقاري ٢.- يحق بنوع خاص، للأوصياء، وللوكلاء الشرعيين، وللأقارب أو الأصدقاء، ولوكلاء مصالح القصر والغائبين والمفقودين أن يتدخلوا بطريقة الاعتراض أو طلب القيد، باسم القاصرين وغير البالغين سن الرشد، والغائبين والمفقودين على أنه يتحتم على الأقارب والأصدقاء أن يثبتوا وكالتهم ليحق لهم إقامة دعوى أمام السلطة القضائية ذات الصلاحية باسم المعترض أو مدعي الحق». قرار المفوض السامي رقم ١٨٦تاريخ: ١٥/ ٠٣/ ١٩٢٦م، الجريدة الرسمية: العدد ١٩٥٧تاريخ ٢٣/ ٠٣/ ١٩٢٦م.

(٢) مقابلة مع محمد خليل ترحيني مرجع سابق. في التفاصيل:
«حين باشرت المساحة عملها، كان السيد شريف يوسف علي حسين مختارًا للبلدة، هو وعمه السيد إسماعيل تنازعًا مع المسّاح أنطوان الدرعوني من بلدة دير ميماس قضاء مرجعيون عندما طلب إكرامية لتسجيل حق مرور للعقارات، وبذلك حررت سندات الملكية لعموم البلدة من دون مرور». مقابلة مع =

الوصول إلى العقارات المحبوسة في الوقت الراهن، يتطلب موافقة أصحاب العقارات المحاذية للطريق، وهذه مشكلة تعاني منها البلدة.

انتهاء الأعمال (مساحة البلدة وسندات التملك):

بانتهاء مهلة الثلاثين يومًا الواردة في المادة (٢٠) من القرار اختتم القاضي العقاري أعمال التحديد والتحرير نهائيًّا في المنطقة العقارية عبّا في اليوم الحادي عشر من شهر تشرين الثاني سنة (١٩٥١م)[1]، وبلغت مساحة البلدة (٧٢٨٤٤٣٦م٢) سبعة ملايين ومئتين وأربعة وثمانين ألفًا وأربعمائة وستة وثلاثين مترًا مربعًا أي ما يساوي (٧٢٨) سبعمائة وثمانية وعشرين هكتارًا، نصفها صالح للزراعة[2]. وتشير إحصاءات إدارة حصر التبغ والتنباك إلى أنه حتى عام (١٩٧٢م) كان يزرع منها (٧٠٠) دونم تبغًا، ومساحات أخرى من مختلف أصناف الحبوب، إلا أن هذه المساحات تقلصت بعد هذا التاريخ إلى مستويات قياسية، واستبدلت بزراعات أخرى (خيم البلاستيك). وتراوح متوسط مساحة الملكية الفردية في البلدة بين (١٥) إلى (٢٥) دونمًا، وهي الآن في تناقص مستمر نتيجة الزيادة السكانية. فالبلدة التي كان عدد سكانها (٥٣٦) نسمة في عام الإحصاء (١٩٣٢) أصبحت مملوكة اليوم لـ(٨٠٥٣) نسمة وفق تقدرات وزارة الداخلية – دائرة الأحوال الشخصية (لوائح شطب (٢٠١٨)).

= حسين سليمان داوود حريري، مرجع سابق.

«حين باشرت المساحة عملها في البلدة كُلّف بالمهمة كل من: أنطوان درعوني ويوسف نهرا بإشراف كل من منيف يوسف علي حسين أبو نايف مساعد مسّاح وإبراهيم حسن خليل وكان ناطور الضيعة. عندما أنجز حوالي ٥٠عقارًا طُلب من المسّاح تسجيل حق مرور للعقارات، فطلب إعطاءه ربع ليرة عن كل عقار، السيد يوسف علي حسين رفض، وهكذا بقي معظم العقارات دون حق مرور». مقابلة مع حسن محسن معلّم (المختار) تولد ١٩٤١ م، والدته صبحية ترحيني، بتاريخ ١٠/ ٧/ ٢٠١٢م.

«عندما باشرت فرقة التحديد والتحرير بإشراف المسّاح أنطوان إعمال المساحة للأراضي في البلدة بمعاونة المختار شريف يوسف علي حسين طلب المسّاح من البلدة ربع ليرة لتسجيل حق مرور عن كل عقار المختار ووالده السيد يوسف وعمه السيد إسماعيل، رفضوا فكرة الدفع، وبذلك سجلت عقارات البلدة دون حق مرور». مقابلة مع سعيد إبراهيم يونس هارون (أبو محمد) تولد ١٩٢٩م، بتاريخ ٧/ ٦/ ٢٠١٢م.

(١) أمانة السجل العقاري في النبطية، محضر اختتام تحديد وتحرير منطقة عبّا العقارية.

(٢) وزارة المالية، المديرية العامة للشؤون العقارية، مصلحة المساحة – النبطية.

ولمّا كانت أسماء عديدة لعقارات البلدة شائعًا ومتداولًا بين أهالي البلدة في الفترة السابقة على أنها أعمال التحرير والتحديد، فقد جرى اعتمادها من قبل فرقة التحرير بناء على تصاريح أصحابها للدلالة عليها بصورة رسمية، ودونت هذه الأسماء على سندات الملكية (العرايس) نموذجًا. واللافت في الأمر أننا لم نتوصل مع من تمت مقابلتهم، إلى سبب تحديد تلك التسميات وأوانها. وكان إجماع منهم، على أنها وصلت إليهم بالتواتر، وهي على الشكل التالي:

- من المغاريق حتى أول البلدة لجهة جبشيت: المغريق، السلّم، البلايط، كرم دقماق، قلعة المغريقة، قلعة ستوت، قلع الدرجة، جل المغاير، قلعة الصعبة، سيرة قلعة الصعبة، الرجم، عين السفلي، عين الجديدة، قلعة الزيتونة، بيدر آل معلّم، عين الفوقا، الكوع.
- ومن الجهة الشرقية الجنوبية: الحمّارة، بيدر زيدان، عين بيارة، المدوّر، عرض التين، جل الدرب، الرجم، خلة الزيتونة، عريض عين السفلي، المهمبر، عين الفوقة، السموقة، سماميق العكر، عين جواد، المفلسة، السليخة، البطحة، خلة ياسين، خلة الشيخ عيسى.
- ومن الجهة الغربية من وادي عالي أو (علي) إلى عين الحج حسن وحدود بلدات الزرارية - بريقع- القصيبة - عدشيت - وجبشيت: كسارة الخروبة، السموقة، قلعة طربية، وادي عالي، السرجة، المعقب، وادي الحاج، الطبقات، جلالي الدوري، خلالي الطبقة، وادي الزعرور، وادي المقطع، حواكير المشتى، بلايط بيت حمود، جلالي بو حيدر، وادي السيد، الدبشة، القصر، عريض الهوى، كسارة التواقي، قلعة جواد خليل، خلة العرجا، جل الطويل، جل المعصرة، جورة العليقة، الوعورة، العتبات، سيرة علي رضا، جلالي مخايل الروم، جورة العين، الخانوق، الجزيرة، ظهور النور، عين الحج حسن، بو شمعة، خلة القدام، سيرة نجيم، المنطرة، الرويسة، البلايط، القلع، عرايس شومان، كتف الغسيل، جل القنديل، الدبشة، خلة الشركة، شقيف الرفيع، الكسارة، خلة النمرة،

العرائس، خلة اللبوة، العتبات، جل السطايح (لآل حمود)، أحمد مالك، السدر.

- ومن جهة القسم الغربي: المحاطط، دوارة الحاجة، حاكورة المشتى، قلعة المغريقة، كسارة عذبة، جل بو محمد، بيدرالفوقاني، بركة البياض، العوسجيات، المغاريق، كرم الصائغ، التون، خلة إسماعيل، سيرة القلعة، خلة الحمص، قلعة جواد خليل، الوربة، بيادر بيت خليل، سيرة البلوط،، كرم بحليق، قلعة الواوية، وادي السيد، البياض، بيدر رأس الدوري، العقبة، البحباصة، جلالي الروم، جلالي السلطان، شقيف البومة، وادي أبو كوارة، خلة إسماعيل، الخانوق، جورة العين، جل المالح، النجاصة، جل المعصرة، جل الطويل، وادي السيد حيدر، كسارة جميلة، كروم الهندي، وديان علي صالح.

في تقديرنا أن هذه الأسماء تكونت في فترات سابقة، نتيجة خبرات ومشاهدات، تعكس تعدد أنماط الحياة الاجتماعية لأهالي البلدة، ومع الوقت دخلت هذه الأسماء في صلب التراث الإنساني والمعرفي للبلدة. بعضها على سبيل المثال، اكتسبت أسماء عائلات (خلة إسماعيل) أو حيوانات (قلعة الواوية) أو طيور (بيدر رأس الدوري) أو حبوب (خلة الحمص) أو أشجار مثمرة (وادي الزعرور- النجاصة) أو حِرف ومهن أو بعد تاريخي (جل المعصرة) إذ لا تزال آثار المعصرة الرومانية بادية لغاية اليوم. أو بعد اقتصادي، وادي (أبو كوارة) وهو يمتاز بتربة خصبة ويصلح لزراعة الحبوب على أنواعها، والكوارة مكان يوضع في المحصول. أو بعد صناعي (التون) وهو مكان منخفض من الأرض يوقد فيه النار لشي الحجر لصناعة الكلس.

بنتيجة تطبيق أعمال التحرير والتحديد لأراضي البلدة واعتمادها رسميًّا في دوائر المساحة والسجل العقاري، ظهرت العقارات بصورة واضحة ودقيقة لجهة المساحة أو الملكية أو الحقوق الواردة عليها وأصبحت هذه العقارات بعيدة عن الخلافات والمنازعات. ساعد ذلك على إنماء الحركة العقارية والعمرانية في البلدة،

وهيأ لأهلها الفرصة لعمليات التسليف القصيرة أو الطويلة الأمد، والضمانات لكل الأطراف. هذه الخطوة من قبل السلطة أرست مبدأ إصلاحيًّا- تنمويًّا أساسيًّا لمناطق الأطراف، فثبّتت الملكية الفردية وصحّحت القيود والحقوق، وأصبح للأفراد وسائل كاملة وآمنة لتداول العقارات والأموال وحسن استعمالها لتأمين حسن سير العجلة الاقتصادية التي لا غنى للمجتمعات الحديثة عنها.

بعض الملكيات العقارية في عبّا (الوقف الخيري - الوقف الذري - المُشاع):

يُعرف الوقف الخيري على أنه كل شيء يُتصدّق به على جهة من جهات البرّ التي لا تنقطع أبدًا، ويقوم الوقف الخيري على حبس عين معينة بشرط ألّا تكون ملكًا لأحد، ويُجعل الوقف وريعه لجهة من أجل أن يعم نفعها على الجميع من الفقراء، ومساكين، ويتامى، ومحتاجين. ومن أمثلته بناء بيوت اللّه، وقف المدارس، حيث تُدرّس علوم الشريعة، وكافة علوم الحياة. كما ويتعلق الوقف الخيري ببناء المستشفيات، والأسبلة. أما الوقف الذري: فهو مستحدث لا يوجد اختلاف بينه وبين الخيري سوى التخصيص في الانتفاع، وقوامه أو شرطه أن يكون للذرية ونحوها من الأقارب والتوابع. يبقى الأراضي المتروكة (المُشاع) وهي لعامة الناس، كالطرق والأسواق والساحات ونحو ذلك، أو تلك التي تركت لأهالي القرية للانتفاع بها كالمراعي والبيادر.

في عبّا تتوزع بعض الملكيات العقارية على الأنواع الثلاثة نبدؤها بالوقف بالخيري وهو قديم جدًّا يعود بداياته لعشرات السنين بعضه ملكًا خاصًّا، والبعض الآخر عام، هو بالأساس ملك مُشاع وُضع اليد عليه فترة من الزمن سابقة لأعمال التحديد والتحرير، وجرى تركه شرط أن يكون وقفًا على منفعة عامة للجميع. وهذه الوقفيات بنوعيها العام والخاص خصصت لإقامة جبّانة ومساجد وحسينيات ومصليات ومستوصفات وسبيل ماء. وهذه الوقفيات مقارنة بالوقف الذري تبدو محدودة جدًّا. ذلك أن غالبية الوقف هو من النوع الذري، إذ إن أغلب الواقفين من أبناء البلدة سواء المتوفين منهم أو الأحياء خصصوا وقفياتهم للانتفاع الخاص،

كأن يؤدى لهم بعد وفاتهم، ما فاتهم من صلاة أو صوم أو حج أو زيارة الأماكن المقدّسة. يبدو ذلك من بعض التصنيفات الواردة في الجدول التالي:

جدول بعقارات الوقف في بلدة عبّا – المساحة الإجمالية = ٣٢،٢٨٢ م٢[(١)]

الرقم	المساحة	نوع الوقف	الموقع
٤	١٤٣٩	يوسف أمين ترحيني	ملاصق لمنزل حسن علي حسن
٦١	٤٠٢٩	وقف	جنب معمل بلاط علي ترحيني
٢٣١	١٠٣٢	حسين علي ترحيني	عين بيارة خلف أبو بلال
٤١٤	٢٣٦	سهجنان مصطفى هارون	
٥٥٨	٧٣٨	محمد إبراهيم هارون	تحت عقار المهندس سالم / البيدر
٥٦٣	١٣٧٠	أحمد حسين ماضي	تحت منزل أحمد محمود الطحان
٥٧٤	٢١٦	ذيبة خليل ياسين الترحيني	منزل أبو الفضل
٥٧٠	٧٥٤	حسين أحمد ترحيني	فوق منزل أبو الفضل
٥٧٥	٣٧٨	وقف خيري / جامع القرية	ملاصق لمنزل أبو الفضل
٥٨٤	٨٤٩	علي عثمان ترحيني	ملاصق لمنزل محمود عثمان
٦١٣	١٤٨٧	رحمة ديب عباس	خلف منزل أحمد محمد السيد حسين
٦١٨	٢١١	ديب عباس ترحيني	تحت بناية أبو هشام
٦١٩	١٢٣	ديب عباس ترحيني	تحت بناية أبو هشام
٦٢١	٣٤٢	سهجنان حسين أبو دلا	تحت بناية أبو هشام
٦٢٤	٤٥٢	حسن أحمد ترحيني	وسط المغاريق
٦٧٣	١٩٣٧	محمد هارون ترحيني	خلف عقار زكريا في كرم دماء

(١) إحصاءات بلدية عبّا.

الرقم	المساحة	نوع الوقف	الموقع
٦٧٨	٢٦٩٢	علي حسين ترحيني	مقابل منزل حسين كلوت
١٠٢٩	٩٧	وقف	بير عند عقار علي شعيتو
١٣١١	١١٢٦	فاطمة حسن ترحيني	طريق الوادي بعد محمد عبد الرسول
١٣٢٤	١٨٧٠	حسين موسى معلم	طريق الوادي قبل محمد عبد الرسول
١٤٢٤	١٥٠٩	حسين موسى معلم	طريق الزغارين بعد بنت بدور
١٤٧٣	١٩٦	زمزم حسن معلم	تحت منزل نعمة ترحيني
١٥٠٤	٨	يونس أحمد هارون الترحيني	بير إمام علي أحمد يونس
١٥٢٦	١٠٨	محمد إبراهيم ترحيني	بير عند عباس سليم
١٦٠٦	٤٥	علي حسين ترحيني	بير عند محمد نور الدين
١٨٨١	٦٣٥	إبراهيم حريري	تحت منزل محفوظ حريري
١٩٢١	٧٦٤	وقف عبّا الخيري	كوع وادي عالي
١٩٧٧	١٠٧٤	علي عبد اللّه سلامي	تحت معمل أبو كمال في عين جويد
٢٠٧٣	١٠١٠	وقف	بعد أبو قاسم عميص عين جويد
٢٠٩١	٥٢٥	وقف	خلف منزل كاظم قاووق
٢٠٩٣	٤٧٢	وقف	مقابل قاسم قاووق
٢١٣٤	٨٤٢	يحيى محمد ترحيني	مفرق وادي الحاج
٢١٣٦	١٢١٣	حسن خليل الترحيني	مفرق وادي الحاج
٢١٩٦	٨٧٤	هدلا هارون الترحيني	خلف معمل أبو حسن يونس
٢٢٣٧	٤٣٠	وقف	وادي الحاج من تحت الطريق
٢٢٣٨	٢٨٢	وقف	وادي الحاج من تحت الطريق

الرقم	المساحة	نوع الوقف	الموقع
٢٢٥٢	٢٤٨	وقف	قبل عباس عميص
٢٣٢٣	٢٩	خديجة ترحيني	منزل أبو أنيس
٢٣٢٧	٢٧	وقف	منزل أبو انيس
٢٣٩٦	٥٤	وقف جامع قرية عبّا	جامع آل عميص
٢٥٦٦	١٦	علي حسين ترحيني	دكان كلوت
٢٥٩٤	٩٨	حسينية لعموم أهالي البلدة	الساحة
٢٦١٠	١١٨	لعموم أهالي البلدة	ضمن الساحة
٢٦١١	٣٢٧	جامع لعموم أهالي القرية	الساحة

وهناك عقارات وقفية خيرية أخرى من كلا النوعين غير محددة المساحة واسم واقفها، وهي غير واردة في الجداول، وتحمل الأرقام التالية: (٦٤٣ـ ١٠٢٥ـ ١٠٢٩ـ ١١٦٢ـ ١٥٣١ـ ١٥٣٦ـ ١٦٠٨ـ ١٦٣٠ـ ١٩٤٦ـ ١٩٩٨ـ ١٩٩٩ـ ٢٠٠٠ـ ٢٠٠١ـ ٢٠٠٧ـ ٢٠٠٨ـ ٢٠١١ـ ٢٠١٢ ٢٠١٦ـ ٢٠٢١ ـ٢٠٥٧ـ ٢٠٥٩ـ ٢١٢٧ـ ٢٢٣٧ـ ٢٢٣٨ـ ٢٣١٥ـ ٢٣٢٣ـ ٢٢٥٣ـ ٢٣٢٧ـ ٢٥١١ـ ٢٥٣٠). وهذه العقارات، بالرغم من مضي وقت طويل على وقفها، وصدور القرار رقم (٢٠ تاريخ ١٦/ ٨/ ٢٠١١م) الذي عَدَّ جميع المساجد والحسينيات والمصليات ودور العبادة أوقافًا خيرية عامة على قيد المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى[1]. فقد بقيت هذه الوقفيات مسجّلة على قيد أصحابها في دائرة السجل

(١) جاء في حيثيات القرار: حيث إنه بموجب المادة الأولى من القانون رقم ٧٢/ ٦٧ فإن المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى يعمل ويصدر أحكامه طبقًا لأحكام الشريعة الغراء وفق المذهب الجعفري في نطاق الفتاوى الصادرة عن مقام المرجع العام للطائفة في العالم، وحيث إن المادة الثالثة من القانون رقم ٧٢/ ٦٧ أعطت رئيس المجلس صلاحية تنظيم أوقاف الطائفة والعمل على احيائها والعناية بها، وحيث أن المجلس هو شخص معنوي عام بموجب المادة ٢٨ من القانون رقم ٧٢/ ٦٧، وحيث إن المادة ٣١ من القانون ٧٢/ ٦٧ أعطت المجلس سلطة اتخاذ القرارات النافذة بذاتها في كل ما يتعلق بشؤون الطائفة الدينية وإدارة =

العقاري في النبطية، ولم تأخذ الشكل القانوني كأوقاف على قيد المجلس. وبإمكان الورثة من الناحية القانونية استردادها من وقف البلدة والتصرف بها كملك خاص. إنما لاعتبارات دينية لم يحدث حتى الآن شيء من هذا القبيل، وهكذا بقيت مقيدة عرفًا وقفًا خيريًّا لعموم البلدة، وتكتفي لجنة الوقف في البلدة المشكّلة من: السيد أمين شريف ترحيني رئيسًا، وعضوية كل من: محمد علي موسى (أمين صندوق)، حمزه أحمد دياب،علي أحمد محمود يونس ترحيني، كاظم علي قاووق، عماد سعيد ترحيني، محمد علي مصطفى ترحيني، بتنظيم وتشغيل وصيانة المسجد والحسينية وملحقاتهما والجبّانة، ولم يسجّل لها إنجاز على مستوى إنشاءات جديدة، وسبب ذلك شح الموارد المالية المتأتية من إيجار بعض المحلات التجارية وعددها دون العشرة، وبدلات إيجارها زهيدة.

في حين يوجد عقارات هي بمثابة طرق عامّة وخاصة، وتحمل الأرقام التالية: (٢٥٤٠ـ ٢٥٥٠ـ ٢٥٥٦ـ ٢٥٥٩ـ ٢٥٦٦ـ ٢٥٧٠ ـ٢٥٧١ـ ٢٥٨٦ـ ٢٥٩٣ـ

= أوقافها، وحيث أن المادة ٣٠ من القرار رقم ١٥ (النظام الداخلي للمجلس) نصّت على أن «تتولى الهيئة التنفيذية للمجلس تنظيم الأوقاف العائدة للطائفة الإسلامية الشيعية على أن تستشار الهيئة الشرعية في الأمور التي تعود للمسائل الدينية المتعلقة بالوقف. وكذلك إصدار النظم والتعليمات التي يقتضيها تنظيم شؤون الطائفة وإدارة أوقافها الخيرية على اختلاف أنواعها وغاياتها....، وإلحاقًا للكتاب الصادر عن رئاسة المجلس والموجّه إلى معالي وزير المالية الأستاذ محمد الصفدي والوارد برقم ١٠٩٧٤ تاريخ ١٢ تموز ٢٠١١م والذي في مضمونه يطلب اعتبار المسجد والحسينية والمصلى وما شابهها والتي تدخل ضمن نطاق سلطة وقف الطائفة الإسلامية الشيعية أوقافًا خيرية عامة لهذه الطائفة وقد تمت إحالة الكتاب المذكور إلى أمانات السجل العقاري ودوائر المساحة والقضاة العقاريين كافة للدرس وإبداء الرأي وإن إحالة ذلك الكتاب ليس واقعًا في محله، وحيث وبعد التعليل والشرح السابق فإن المجلس يؤكد أنه هو الجهة الوحيدة التي لها سلطة اتخاذ القرارات ووضع النظم والأحكام المتعلقة بهذا الموضوع وان باقي الدوائر والمحاكم تلتزم مضمونها، بناء على القانون ٦٧/٧٢ تاريخ ١٦/ ١٢/ ٦٧ لا سيما المادة الثانية (تنظيم أوقاف الطائفة والعمل على إحيائها والعناية بها)، بناء على القرار رقم ١٥ الصادر في ٢١/ ٨/ ١٩٦٩ (النظام الداخلي)، بناء على القانون ٢٠/ ٨٦ والذي أخضع أوقاف وشؤون الطائفة الإسلامية الشيعية لقانون إنشاء المجلس ولنظامه الداخلي، لذلك يقرر ما يلي: أولا: اعتبار المساجد والحسينيات والمصليات وما شابهها من دور عبادة والتي تدخل ضمن نطاق سلطة وقف الطائفة الإسلامية الشيعية أوقافًا خيرية عامة لهذه الطائفة ووجوب قيدها على اسم وقف الطائفة الإسلامية الشيعية». الجريدة الرسمية، العدد٤، تاريخ ١/ ٩/ ٢٠١١م، الصفحات ٣٣١٨ - ٣٣١٩.

٢٥٩٨ـ ٢٧٠٨ـ ٢٧٢٣ـ، ٢٧٢٩ـ ٢٧٤٠ـ ٢٧٥٤ـ٢٧٥٨ـ ٢٧٨٧ـ ٢٧٩٤ ـ٣٨٠٤ـ ٢٨١٦ـ ٢٨١٧ـ ٢٨٦٣ـ ٢٨٦٥).

بحسب أمانة السجل العقاري - دائـرة النبطية تبلغ مساحة بلدة عبّا (٧٢٨٤٤٣٦م٢). سبعة ملايين ومئتين وأربعة وثمانين ألفًا وأربعمائة وستة وثلاثين مترًا مربعًا أي ما يساوي (٧٢٨) سبعمائة وثمانية وعشرين هكتارًا»[١]. تصنّف منها بلدية عبّا مُشاعات محدَّدة تبلغ أكثر من (١٠٢٠) دونمًا، يضاف إليها مساحات أخرى غير محددة. وجميعها يبلغ (٣٣) عقارًا تعود ملكيتها حسب الإفادات العقارية لعموم أهالي قرية عبّا (هذا النوع يصنّف ما بين المُشاع البلدي والمُشاع الجمهوري) بمساحة إجمالية (١،٠٧٨،٦٨٣) مترًا مربعًا أي حوالي (١٠٨٠) دونمًا. بُني على بعضها وحدات سكنية تقدر بحدود (١٤٩) وحدة على مساحة أرض (٨٥) دونمًا. كما قام بعض الأهالي بزراعة مغروسات من أشجار الزيتون والصنوبر والصبار على أراضٍ مساحتها (٢٢٥) دونمًا تقريبًا. كما استخدم جزء منها حوالي (٧٠) دونمًا للمصلحة العامة (مدرسة، ملاعب، طرقات، مقابر، عيون مياه، ....). يبقى من المساحة الإجمالية (٧٠٠) دونم من معظمها من الجهة الغربية والشمالية للبلدة لم يطلها تعدٍّ حتى الآن. قامت البلدية على فترات، بزراعتها أشجارًا حراجية بلغت نسبته لغاية الآن (٣٠٪) من المساحة المذكورة. والجدول التالي يبين أرقام ومساحة عقارات المُشاع وهي:

جدول بعقارات في قرية عبّا وردت تحت بند مُشاع[٢]

رقم العقار	المساحة ـ م٢	رقم العقار	المساحة ـ م٢
٤٠	٣٢٤	١٦٣٠	٨٠٦
٨٤	٤٩٣	١٦٣٩	٤٨٥١٢

(١) وزارة المالية، المديرية العامة للشؤون العقارية، مصلحة المساحة - النبطية.

(٢) زهرة الصبّار: مرجع سابق، ص٤٥.

رقم العقار	المساحة ـ م٢	رقم العقار	المساحة ـ م٢
١٦٧	٥٢٢	١٨٤٩	١٨٩٢٠
٢٢٠	٢٠٨١٢	١٨٤٦	٢٠٧٨٠
٢٢١	٩١	١٩٩٩	١٠٥
٢٦٣	٣٧٠٠٠	٢٠٠٦	٢٩٠
٦٠٥	٤٠٨	٢٠١١	١٤٣٠
٦٤٣	٧١٦	٢٠٩٥	٤٥
٧٣٠	١٨٥١٨	٢١٢٦	١١٦٠
١٠٢٥	٨٨٣٦	٢١٢٧	٦٤٠
١١٦٢	١٦٢	٢٢١١	٧١٦٣
١٢٣٢	٧٠٩٧٠	٢٣١٥	٥٩٧
١٢٨٣	٢٣٠١٥٠	٢٥١١	١٩٨
١٥٣١	٢٢٢٩٤	٢٥٢٠	٧٥
١٥٣٦	١٣١٣	٢٦٤٧	١٣٥٢٢١
١٦٠٨	٦٩٢	٢٦٤٨	١٩٠٧٣٨
١٦٢٩	٧٦٦٧٢		

من بين هذه العقارات ما هو مستهدف بالتعدي منذ عقود سابقة على فترة الحرب الأهلية، وهي فترة فاقمت هذه الظاهرة. والتعدي الحاصل صنفان، إمّا تعدٍّ بالزراعة بعد الاستصلاح، وإمّا بالبناء لحاجة بعض الأهالي إليها، وبعضها شُغل لأجل المصلحة العامة. وهذه العقارات سنذكرها بأرقامها دون التطرق إلى أسماء شاغليها وهي: (٨٤ـ ١٦٧ ـ ٢٢٠ـ ٢٢١ـ ٢٦٣ـ ٦٤٣ـ ١٠٢٥ـ ١٠٣٢ـ ١٥٣٦ـ ١٦٠٨ـ ١٦٣٠ـ ١٦٣٩ـ ١٩٩٩ـ ٢٠٠٦ـ ٢٠١١ـ ٢٠٩٥ـ

٢١٢٦- ٢١٢٧- ٢٢١١- ٢٣١٥- ٢٥١١- ٢٥٢٠- ٢٦٤٧) وبلغ مجموع الأبنية المقامة على بعضها (١٤٩) وحدة سكنية أي إن المساحة المستغلة في البناء هي (٨٣٢٢٦ م٢) والمستغلة في الزراعة (٢٢٦٦٥٠م٢) والمستغلة في خدمات عامة (٦٨٩٤٩م٢) والمتروكة دون استغلال (٦٩٩٨٥٨ م٢) وبذلك يكون المساحة الإجمالية (١,٠٧٨,٦٨٣م٢).

بعد انتهاء الحرب عام (١٩٩٢م) سعت السلطة المركزية لإيجاد حلّ للتعديات على الملك المُشاع وتسوية أوضاع المخالفات التي أقيمت عليها، باعتبارها صارت أمرًا واقعًا. لذلك أصدرت في (٢٤آذار ١٩٩٤م) القانون رقم (٣٢٤) يتعلق بآلية التسويات. ونص في المادة (٢) منه على: تطبق على الأبنية أو أجزاء الأبنية المنشأة في غير الأملاك الخاصة بمالكيها أحكام البند (أ) من المادة الثانية من المرسوم الاشتراعي الرقم (١٣/ ٨٣) تاريخ (٢٥ شباط ١٩٨٣م) والمعدل بالمرسوم الاشتراعي الرقم (١٣٠) تاريخ (١٦/ ٠٩/ ١٩٨٣م) باستثناء الفقرة الأخيرة من هذا البند المتعلقة بالغرامة والتي تطبق عليها أحكام المادة الثالثة من هذا القانون: لا تباع الأملاك الخصوصية العائدة للدولة أو للمؤسسات العامة أو للبلديات أو المُشاعات العائدة للقرى التي أُنشىء عليها خلافًا للقانون، كليًّا أو جزئيًّا، أبنية أو أجزاء أبنية قبل صدور هذا القانون، ما لم يوافق مجلس الوزراء بناء على اقتراح الوزير المختص على بيعها من المخالف شرط أن يقوم المخالف بدفع قيمة التسوية وفقًا لأحكام هذا القانون. يحدد قرار مجلس الوزراء القواعد والشروط الواجب توافرها لإجراء البيع[1]. في عبّا وتنفيذًا للقانون بادر بعض الأهالي ممن بنى على أرض مُشاع بإجراء المقتضى الإداري لتسوية المخالفة ودفع ابتداء رسمًا ماليًّا بانتظار أن تستكمل الدوائر المعنية إجراءات التنفيذ. إلا أن شيئًا من هذا القبيل لم يحدث. وعاد الأهالي واسترجعوا مستنداتهم والرسم المالي من دون أن يطرأ شيء إيجابي بهذا الخصوص. وما زالت لغاية الآن جميع المخالفات على الأرض المُشاع دون تسوية وعليه فهي مخالفة للنص.

(١) الجريدة الرسمية: العدد ١٥ تاريخ النشر ١٤/ ٤/ ١٩٩٤ م، صفحات ٤٤٩ لغاية ٤٥٥.

بعض الاستنتاجات:

غير مؤكد لدينا، ما إذا كان أهالي عبّا في الفترة التي كانوا فيها خاضعين لسلطة السلطنة العثمانية المباشرة، يعتمدون في قيد ملكياتهم، القانون العثماني أو ما يعرف بـ(الدفترخانة) الذي ينظّم قيّد الحقوق، وحقوق الارتفاق والانتفاع والتحريرات والفراغ والانتقال والاتفاقات. في حين أن انتقال الملكيات العقارية بشتى أشكالها ثابت لدينا، وكانت تتم بموجب عقد بيع عادي، اصطلح على تسميته بـ(حجة بلدية). والأخيرة لا تختلف عن تسجيلات (الدفترخانة)، والسندات المعطاة على أساسها. فكلاهما كان تسجيل العقارات يتم بموجب قيد بسيط، يذكر فيه مركز المحلة أو القرية واسمها، من دون أدنى وصف طوبوغرافي أو مساحة واضحة ودقيقة للعقار. وبالرغم من قيام الانتداب الفرنسي بتنظيم قيود الملكيات العقارية والحقوق العينية غير المنقولة على أراضي الجمهورية اللبنانية بهدف ضمان سير الانتظام العام، وبما يتماشى مع المصلحة العامة للدولة والمواطنين معًا، فقد بقيت (الحجة البلدية) معتمدة لديهم، حتى بعد نيل لبنان استقلاله عام (١٩٤٣م).

هذا النمط من (القيد العقاري)، وفي ظل غياب التحرير والتحديد (المساحة)، أتاح للعبّاويين الاستمرار في عمليات انتقال الملكيات العقارية بكافة أشكالها، بين عائلات المكانة العقارية وبين الأفراد، أو بين الأفراد أنفسهم، بالرغم من تصنيف القانون الصادر عن المفوض السامي الفرنسي، الأراضي إلى مجموعات، منها: العقارات الملك، والعقارات الأميرية، والأراضي المتروكة (المُشاع) كالطرق والأسواق والساحات والمراعي والبيادر. وهكذا نشأ في عبّا نماذج من أشكال التملك والانتقال، من أشكاله، بالمرابعة، الإرث، المصاهرة، البيع.

والملاحظ أن جميع عقود الانتقال السابقة على أعمال التحديد والتحرير، كانت خالية من بعض المحددات، مساحة العقار، مثال على ذلك. وبانتهاء الأعمال، ظهرت المساحة الفعلية للعقارات، وصارت عمليات التملّك تتم على أسس ومحددات واضحة قانونية لا لبس فيها، باستثناء منح العقارات المحبوسة حق مرور من العقارات غير المحبوسة.

كرّست أعمال التحديد مسميات شتى لعقارات البلدة وأكسبتها صفة قانونية، بعدما كانت متداولة شعبيًّا، وظهرت العقارات بصورة واضحة ودقيقة لجهة المساحة أو الملكية أو الحقوق الواردة عليها وأصبحت هذه العقارات بعيدة عن الخلافات والمنازعات. إلا أنها في مكان آخر أوجدت لبعض الملكيات العقارية (الوقف الخيري - الوقف الذري - المُشاع) ازدواجية في الملكية. فمن جهة هي ملكيات وقفية لعموم البلدة أو ملكيات بوضع اليد لأشخاص محددين، وهي في الوقت نفسه، مملوكة من أشخاص، أو ملك عام للعموم. وهذه إشكالية لا يمكن الخروج منها، إلا بتشريعات أو تسويات تقوم بها السلطة.

الباب الثالث:

البنية الاقتصادية وعلاقات الإنتاج وتطور قطاعي التعليم والصحة في جبل عامل وعبّا

الفصل الأول:

بنية القطاع الزراعي: اقتصاديات جبل عامل أبان الحكم العثماني

لم تقتصر البضائع المصدرة من صيدا على ما ينتجه الريف اللبناني - الفلسطيني، بل تعدَّتْ ذلك إلى مواد آتية من دمشق ومن الداخل السوري. وأهم صادرات صيدا القطن الخام، المغزول والمنسوج، ويليه في الأهمية الحرير، ثم الرماد، ثم الحفص، والقمح، والزيت، والرز، والصابون، والأقمشة الحريرية الآتية من دمشق، وبعض المواد الأخرى. غير أن القطن يشكل وحده أكثر من نصف الصادرات. وتشير بعض الدراسات التاريخية إلى أن منطقة صيدا) أي جنوبي لبنان وشمال فلسطين (كانت تُعَدُّ من أهم المناطق المنتجة للقطن في العالم، ومن أكبر أسواق المشرق على الإطلاق، وقد بقيت كذلك حتى بدأت زراعة القطن في مصر عام (١٨٢١م)...[(١)]. ومن ثمّ يبدو من الطبيعي أنْ تكون بلدة عبّا من بين البلدات العاملية التي راجت فيها زراعة القطن، لكن يبقى ذلك مجرّد افتراض، لا إثبات عليه.

(١) وكان التنافس بين التجار شديدًا للحصول على أكبر كميات منه، حتى إنهم أخذوا يضمنون المحاصيل في كل البلاد قبل موعدها، ويدفعون لمشايخ القرى المبالغ التي يطلبونها. والقطن يغزل تباعًا من قبل النساء، وهن يبعن أسبوعيًّا ما غزل طوال الأسبوع. ..والمعروف أن الأسواق الأسبوعية في مختلف قرى جنوبي لبنان تؤمن تجميعه ثم ينقل بعد ذلك إلى صيدا...وأهم هذه الأسواق على الإطلاق هي » الأول سوق النبطية التحتا من قرى الشقيف وهو يقام كل يوم اثنين من كل أسبوع. لمزيد من التفصيل حول زراعة القطن في جبل عامل يراجع: أنطوان عبد النور، تجارة صيدا مع الغرب من منتصف القرن السابع عشر إلى أواخر القرن الثامن عشر، منشورات الجامعة اللبنانية - قسم الدراسات التاريخية (٣٦)، بيروت (١٩٨٧م)، الصفحات ١٦٥ لغاية ١٧٦.

وعلى الرغم من انتعاش اقتصاديات جبل عامل ونمو الثروة فيه، غالبًا ما كان الأهالي يُنهبون كمستهلكين ومنتجين، عن طريق شراء محاصيلهم بالأسعار البخسة، خاصة بعد عام (١٨٦٤م) عندما ألحق بولاية بيروت عملًا بالتنظيمات الجديدة لبلاد الشام، وأصبح جزءًا من ولاية متسعة، على عكس وضعه السابق أيام الحكم الإقطاعي المحلي. وإن كانت العلاقة بين جبل عامل وجبل لبنان قد اتسمت بشيء من الهدوء نتيجة خضوع الأخير لنظام المتصرفية، إلا أنها على المستوى الاقتصادي اتخذت مسارًا جديدًا لا يقل استنزافًا وصِدامية «حين أصبح جبل عامل وفلاحيه رهائن للمرابين القادمين من بيروت وجبل لبنان، واتكأت هذه البرجوازية في مدّ سيطرتها عليه، على ازدهار زراعة التبغ فيه في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ازدهارًا كان على حساب المزروعات الغذائية التي تقلصت مساحاتها[(١)].

لكن في بدايات الربع الأخير من القرن التاسع عشر ضُربت زراعة التبغ من جديد بعد احتكارها من قبل شركة الريجي الفرنسية التي فرضت شروطًا قاسية عليها «منها حصر الإنتاج في أماكن ضيقة تسهل مراقبتها لمكافحة الإنتاج اللاقانوني وتهريبه. وكل فلاح يود زراعة التبغ كان مطالبًا بالحصول على إذن من الشركة، ولم يكن الفلاح قادرًا على نوال هذا الإذن. فلكي يحصل الفلاح عليه، كان لا بد له بحسب نظامها، التصرف بأرض لا تقل عن خِمس الهكتار، على أن تكون محاطة بسياج، وإلا تكون المسافة الفاصلة عن المدينة بأقل من (٣) كلم، وأن تكون صالحة لزراعة التبغ»[(٢)].

هذه الشروط مجتمعة في منطقة كجبل عامل تضيق فيه الملكية الصغيرة، وتقل

---

(١) صابرين ميرفان: حركة الإصلاح الشيعي، علماء جبل عامل وأدباؤه، من نهاية الدولة العثمانية وحتى بداية استقلال لبنان، صدر هذا الكتاب بالفرنسية عام ٢٠٠٠م تحت عنوان sabrina mervin Un reformise chiite KARTHALA -CERMOC- IFEAD ترجمه عن الفرنسية هيثم الأمين، راجع النص العربي جودت فخر الدين، دار النهار للنشر، بيروت، تشرين أول ٢٠٠٣م، ص ٤٣.

(٢) بدر الدين السباعي: أضـواء على الرأسمال الأجنبي في سورية ١٨٥٠- ١٩٥٨م، دمشق دار الجماهير١٩٦٧م، ص.٤٣.

عن الحد المطلوب قانونيًا، أدت إلى تدهور الزراعة. ولكي يستطيع الفلاح أن يزرع تبغًا كان عليه استئجار أرض إضافية وبأسعار عالية، وأن يكسب رضى أصحاب العلاقة ليقرروا إن كانت أرضه صالحة لزراعة التبغ. هذا التدهور» أدى إلى تجميع الملكيات الصغيرة وانتقال الملكيات الكبيرة، نتيجة عمليات الربا والرهن إلى أيدي قلة متمولة من خارج جبل عامل هي البرجوازية البيروتية (آل العظم يملكون مطاحن وادي الحجير). وكانت الفئآت المتمكنة في جبل عامل (آل الأسعد والفضل) غير قادرة على تخطي أصولها الاجتماعية والدخول في شبكة العلاقات الرأسمالية»(١). وبذلك، أنتجت السيطرة الاقتصادية علاقة صدامية، بين جبل عامل والتاجر الأجنبي الذي يبقى أجنبيًا دومًا، على الرغم من أن اقامته، أكسبته صفات وعادات الجبل. واستتبعت هذه السيطرة بأخرى سياسية خولت هؤلاء ليصبحوا المرجع الأول في القضايا العامة.

وعلى مستوى التجارة وطرق المواصلات، لم يستفد جبل عامل من تنامي التبادل التجاري الحاصل من تغلغل الأوروبيين، ولا من تطور الطرق، ولم يُدفع به إلى خضم الاقتصاد الرأسمالي العالمي، ولم يشهد التحولات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية الكبرى التي شهدها جبل لبنان. وكان إذا أصابه من هذه التحولات نصيب، فإنما يكون ذلك بطريق غير مباشر ونتائجه سلبية في أغلب الأحيان.» فالزراعة إمكاناتها غنية نسبيًا، ومرتبطة باقتصاد السوق الذي فرض عليها زراعات جديدة، فبدأت زراعة الحبوب تستبدل شيئًا فشيئًا بالتبغ(٢). وهكذا بدأ المزارعون بالاستدانة من تجار ووسطاء آخرين. وفيما كان رأس المال البيروتي يحقق الأرباح من تجارته العاملية، كان يعيد استثمار هذا المال في إنشاء المعامل في جبل لبنان، ومن ثمّ لم يراكم جبل عامل رأس المال ولا الاستثمار في الصناعات الحرفية، لأن « الموارد المالية كانت تستعمل في شراء الأراضي وكذلك الأموال التي كان يرسلها المهاجرون إلى ذويهم. ولم تدخل إليه الآلات ذات المحركات إلا في

(١) محمد جابر آل صفا: تاريخ جبل عامل، مرجع سابق، ص.٥٩

(٢) صابرين ميرفان: حركة الإصلاح الشيعي، مرجع سابق، ص ٤٣.

مجال واحد، هو طحن الحبوب، حين استورد أحد العامليين سنة (١٨٩٩م)، وبمساعدة من شريك بيروتي، مطحنة وبدأ بتشغيلها»[١].

هذا النمط الاقتصادي الأحادي الجانب القائم على الزراعة، وبالقيود المفروضة عليها نتيجة ارتباطها باقتصاديات السوق استمر مهيمنًا على جبل عامل فترات طويلة، حتى إن أثره السلبي طال أهم مكونات القطاع الزراعي، الأرض. ويؤشر إلى ذلك، ارتفاع نسبة حيازة الأراضي الزراعية فيه، لدى قلّة من المالكين، مقارنة بباقي المحافظات.

توزّع الملكيات الزراعية في عبّا:

كما مرّ سابقًا، فإنه من غير المؤكد، ما إذا كان أهالي عبّا في فترة سيطرة السلطنة العثمانية يعتمدون نظام الدفترخانة لقيد عقاراتهم، أو أنها لم تكن مقيّدة أصلًا، فإن ذلك، يدعو للافتراض، أن أراضي البلدة، كانت متاحة لأي كان من الأهالي لاستصلاحها واستغلالها في الزراعة لسنوات، تصبح بعدها، ملكًا له. هذا النمط من الاستملاك، نجد دليلًا عليه، فيما رواه إبراهيم يونس محمد هارون لولده سعيد (أبو محمد) من أن « جده محمد ابن هارون كان وحيدًا لوالدته، وكان هارون غير راض عن ولده محمد فقام بطرده. التجأ محمد إلى بلدة الدوير حيث عمل أجيرًا، وسكن هناك لفترة إلى أن طلب منه أعمامه) خليل وحسين (العودة إلى البلدة؛ ولأن والده لم يورثه أرضًا زراعية قدّما له المساعدة لاستصلاح أرض من الأرض المتروكة (المشاعات)، فاستطاع تملكها لاحقًا، وهذا الأمر يفسّر كيف أن جميع ورثة محمد لا يملكون أراضيَ زراعية جيدة»[٢]. ثم إن نظرة سريعة على تضاريس عبّا، من هضاب وتلال ووديان وسهول ضيقة، أينما اتجهت، شرقًا، غربًا، شمالًا، جنوبًا، وتمعّنت في طبيعتها، يتبيّن، أن اليدّ عملت فيها طويلًا حتى أصبحت صالحة للزراعة، وجرى تثبيتها ملكًا خاصًّاا بشهادة قيد، وهذا يفسّر، حجم الحيازات

(١) صابرين ميرفان: حركة الإصلاح الشيعي، مرجع سابق.

(٢) مقابلة مع سعيد إبراهيم يونس، مرجع سابق.

الكبيرة عند بعض العائلات.

هذا في الواقع الذي فرض نفسه على توزّع الملكيات الزراعية في عبّا، نجد شبيهًا له على امتداد لبنان. فحتى بداية الثمانينات من القرن الماضي كانت الإحصاءات، لا تزال تشير إلى «أنّ عائلات المكانة، تملك قرابة (١٠) في المئة من الملكيات الزراعية في محافظة جبل لبنان و(٢٠) في المئة في محافظة لبنان الشمالي و٢٥ المئة في محافظة البقاع و(٣٠) في المئة في محافظة لبنان الجنوبي»[١]. هذا التوزيع، مرتبط أيضًا بالظروف الطبيعية، الناتجة عن أسباب بنيوية، تتصل بضآلة نسب الأراضي المروية التي تشكل حوالي (٣٧٪) من الأراضي المزروعة، أوجدت أشكالا أخرى من الحيازات، منها المُلكية صغيرة الحجم والحجم الصغير لقسم من الحيازات الزراعية، وتجزئة الأراضي، والإيجار، والمحاصصة لمدى قصير[٢].

وإذا اعتمدنا لبنان الجنوبي نموذجًا لتوزّع الملكيات، نجده يسجّل نسبة، هي الأعلى بين باقي المحافظات. وهذا الأمر ينطبق تمامًا على بلدة عبّا. فيها كبار الملاّكين، الذين انحصروا بشكل أساسي في « فروع عائلات الأخوة هارون وخليل وحسين، يقابلهم متوسطي الملاّكين وصغارهم عند فروع عائلات آل ياسين وقاووق وعميص وعلي حسين، وكذلك فحص وحسين أحمد»[٣]. ونجد أيضًا في عبّا عائلات أفرادها اليوم أقل عددًا من نظيراتها، كان جدّهم الأعلى استقر فيها نتيجة ظروف اجتماعية حتّمت مجيئه. فالشيخ إبراهيم حريري حاز بالمصاهرة على ملكية عقارية واسعة من آل معلم، كذلك العلاّمة السيد محمد علي إبراهيم، وهُب عدد كبير من العقارات[٤] وقس على ذلك، عائلة حسين أحمد وعلي حسين،

---

(١) الجمهورية اللبنانية، وزارة التصميم العام، النشرة الإحصائية الشهرية، آب١٩٧٢ م المجلد١٠ ، العدد٨ ، ص١٠٥.

(٢) الاستخدام والتنمية المستدامة في لبنان، الجزء الثاني، نبيل خوري وموسى جدعون (تحرير) المؤسسة الوطنية للاستخدام، الدراسات التفصيلية، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م، ص٧٧.

(٣) مدونة العرايس، السنة ١٧، مرجع سابق، ص٣٢.

(٤) اقتطع له من العقار رقم ١٢٨٣ (مشاع- البلدة)، عقارين استصلحا لاحقًا، وسجّلا على الصحيفة العقارية =

فإن قسمًا كبيرًا من ملكياتهم الزراعية، هي بالوراثة من آل خليل وهارون.

ولمّا كانت الزراعة في جبل عامل، إحدى القطاعات الرئيسة المكونة لاقتصاده والمورد الأساسي الذي يهيّئ أسباب المعيشة لثلثي سكّانه. فإن مردودها كان متوقفًا على النمط الاقتصادي الذي ساد لفترات طويلة امتدت من السيطرة العثمانية مرورًا بالانتداب الفرنسي واستمرت بعد الاستقلال، وعلى قدرة المزارعين على استخدام التقنيات الزراعية في إنتاج المحاصيل، وتصريف ما يفيض من إنتاج، بالإضافة إلى ذلك، كان الإنتاج في عبّا مرهونًا بحجم الحيازات، التي لم تكن تزيد مساحة الواحدة منها على نصف هكتار واحد، وكانت مبعثرة في جميع أنحاء البلدة واتجاهاتها. وكما هو معروف، أن هذا القدر من المساحات الزراعية هي ذات أثر سلبي، لكونها تحدّ من الإنتاجية الكبيرة، ومن ثمّ القدرة على التصدير.

أدوات الفلاحة والأرض ووسائل الإنتاج في عبّا:

يختصر الشيخ سليمان ضاهر حال فئة من الفلاحين في جبل عامل بالقول « كان الفلاحون يقضون عمرهم في العمل، وكان طعامهم يقتصر على الخبز والبصل، نظرًا لما كان يثقل كاهلهم من ضرائب وديون»[(١)]؛ هذا لأنهم قبل الإصلاحات العثمانية وبعدها لم يملكوا أرضًا، وفي الحالتين تارة كانوا يزرعون أرض الأمير، وأخرى أرض الزعيم. أما الملاّكون من متوسطي وصغار الحيازات كما في عبّا مثلًا، ولو أنهم كانوا أوفر حظًّا من أولئك، فقد كانوا يعيشون من مدخول محاصيلهم الآنية بدلًا من محاصيل السنة؛ لأنهم كانو يستدينون عليها. ولم تكن أدوات الفلاحة ووسائل الإنتاج أفضل حالا مما سبق؛ لأن حداثة القرن التاسع عشر التي نعم بها الغرب، وجعلته يعتمد الآلة في الزرع والري والحصاد، افتقدها الفلاح العبّاوي كغيره من الفلاحين في جبل عامل. وبقيت عدة الشغل المستعملة

= للبلدة، كملك خاص، الأول برقم (١١٩٨) والثاني (١١٩٩)، وتولى الأخوان محمود وحسن قاووق زراعتها بالمحاصصة.

(١) سليمان ضاهر: «جبل عامل والفلاح والفلاحة» مقالة منشورة في مجلة البيان، بيروت العدد ٤١١، تاريخ ١٦/ ٨/ ١٩٢٠م.

لديه في الزرع والحصاد على ما هي عليه تتألف من: «البلانة – المعول – القزمة – المخل – الشاكوش – الكماشة – السندان – المجرفة – الشاعوب– الحاشوشة – مشط الأرض– المنجل – النورج – المدّ – المذراة»(١). والغاية من استعمالها في الفلاحة والزراعة مدرج في الجدول التالي:

الاسم	وجهة الاستعمال
البلانة	حزمة من حشائش البلان تربط بعصا طويلة تُستعمل في كنس البيادر
المعول	يشبه الفأس له رأس صلب مصنوع من المعدن يستعمل في كسر السطوح الصلبة وتقسيم التربة الجافة باستخدام الطرف الحاد منه.
القزمة	يستعمل في عملية الحفر والحراث التي يتم القيام بها قبل زراعة الشتلات، وله عدة أحجام.
المخل	عصا مصنوعة من الحديد تُستعمل لرفع الصخور من الحفر
الشاكوش	يُستعمل لإيصال قوة صدم للأشياء وعادة لدسر المسامير
الكماشة	أداة صغيرة من حديد ذات فكَّين ومقبضين مثبتين معًا، ليعملا على نحوٍ متعاكس في نزع المسامير، ونحوها.
السندان	أو السندال يسمى أيضًا الصَّلايَة والصَّلاءَة الآلة الحديدة التي يطرق عليها المعادن.
المجرفة	تتكوّن من صفحة فولاذيّة، وعصا خشبيّة، وتُستعمل في قلب التربة، والنكش حول الأشجار والنباتات.
الشاعوب	عصا عشبية، وقطعة حديدية لها أربعة رؤوس، وتُستعمل لجمع المحاصيل، ووضعها في ماكينة الدراس
الحاشوشة	أداةٌ معدنيةٌ مُسننةٌ تُشبه المِنجل تمامًا، إلا أنّها أصغر حجمًا، وأكثر تقوسًا، وتُستعمل في حصاد المحاصيل كالقمح، والشعير.

(١) مدونة العرايس: السنة ١٧، العدد الأول – أول نيسان ٢٠١٣م، ص٤١. نموذج عن المنجل صورة رقم(١٥).

الاسم	وجهة الاستعمال
مشط الأرض	قطعةٍ معدنية مستطيلة الشَكل، ولها أصابع أو أسنان، ويتمُ تركيبها على عودٍ خشبي طويلٍ، تُستعمل لتنظيف الأرض من الحجارة الصغيرة، والأعشاب.
المنجل	آلةٌ فولاذيةٌ أو حديدية صغيرة الحجم، ولها مقبضٌ خشبي، يكون شكلها مثل الهلال، وحافتها الداخلية حادة لتساعد الفلاح في قطع النباتات.
النورج	لوح خشبي ذو ثقوب عديدة تُشبه وظيفته وظيفة الحصادة تمامًا؛ حيث يُوضع على المحصول بعد توزيعه، وتجره الدّوابّ، لفصل الحبوب عن القش.
المدّ	يساوي من القمح (١٢,٥)كغ دائري الشكل مصنوع إمّا من الخشب وإمّا من الحديد يستعمل في كيل الحبوب.
المذراة:	عصا لها ستة أصابع خشبية، ويستعملها الفلاح لفصل المحاصيل عن التبن، ويتمّ ذلك عن طريق رفعه عاليًا في الهواء، فتنزل المحاصيل في مكانها، بينما يتطاير التبن بعيدًا.

بالإضافة إلى هذه الأدوات، كان العود والنير في سلّم الأولويات، وكان يُؤتى بهما من بلدة معركة وكذلك المنكوش والمجرفة والشاعوب المنجل والحاشوشة **والنقير**، وهو وعاء خشبي مسطح يلقي فيه روث البقر لكيلا تتسخ تربة البيدر»[١]. وبينما كانت حراثة الأرض تعتمد على الفدان وهو (جوز من الثيران)»كان القلّة من الرجال في البلدة يجيدون حراثة الأرض بواسطة الفرس وكان إبراهيم حمود واحدًا منهم»[٢].

أمّا الزراعة في عبّا بطريقة جيدة، فكان دونها عوامل تتطلب وسائل إنتاج واحتياجات يجب أخذها فى الاعتبار. منها، التربة وخصوبتها، وذلك يساعد على نمو النباتات، ورأس المال يساعد على شراء الأسمدة والمخصّبات، والأيدي العاملة من ذوي الخبرة والكفاءة وهي الأهم، والمناخ المناسب للإنبات، والسوق

(١) مقابلة مع شريف عبد اللّه جواد ترحيني، مرجع سابق.
(٢) من مدونات حسن محمد ترحيني (نجل العلّامةالسيد محمد) عن الأحوال العامة في عبّا.

وحاجته للمنتجات. وكانت» الأراضي الزراعية محدودة بسبب وعورتها، وإمكانية توسيع مساحتها لتصبح صالحة للزراعة أو لاستصلاحها يحتاج للمال. لذا كان على المزارع العباوي أن يكدّ بنفسه أو عياله أو بمساعدة آخرين باستمرار لتجديدها وإبقائها صالحة للإنتاج»(١). مع ذلك بقيت الأرض بطبيعتها مهيّئة لإنتاج ذات طابع موسمي، وليست بحاجة سوى لمعدات بسيطة من عمل الفلاح وأسمدة من مخلفات الأبقار والمواشي وأيدي عاملة يحددها عدد أفراد العائلة ذكورًا وإناثًا.

هذا النمط بأدواته وطابعه أوجد وسائل إنتاج مساعدة قائمة على الشكل المجتمعي للإنتاج، أو ما اصطلح على تسميته في الأرياف بـ(العونة) وهي وسيلة مبتكرة لسدّ النقص في الأيدي العاملة. في عبّا «الاندفاع في الحصاد عند الفطور، تشتد حرارة الشمس فتعمل آلات الحصاد عملها في أيدي الحصّادين ... على البيدر يجمع القشّ ويمدّ طرحة طرحة، ليصار إلى درسه بالنورج ويعرّم استعدادا للتذرية (فصل الحب عن القش). وتتجمع العونة من الرجال، وتبدأ التذرية عند هبوب الريح ... من ثمّ يبدأ الكيل(٢). تجمع الحبوب في شوالات بعد دفع الزكاة وأجرة الحلاق والناطور وراعي العجّال... ويدعى الجميع للأكل... من هذا البيدر يتم التكافل الاجتماعي... وهكذا تتجدد المواسم كل عام»(٣).

والعونة أيضًا، تشمل أيضًا (التتبين) وهي أن «يجتمع الأهل والجيران في اليوم المعلوم لجمع قش (التبن) الذي يتطاير بعيدًا بسبب الريح، ومن ثمّ يعبأ في أكياس من الخيش وتنقل على ظهر الدواب إلى البيت حيث ينتظر مجموعة أخرى تتولى تفريغ الأكياس في التّبانة (غرفة يوجد في سقفها فتحة يسقط منها التبن)، وتستمر

---

(١) مقابلة مع محمد خليل ترحيني، مرجع سابق.

(٢) أما دراسة المحاصيل فكان يرمى بطرحة من سنابل القمح أرضًا ليسيرعليها الفدان حيث تكسّر وتنعّم وتدرّى في الهواء لينفصل الحب عن القش. ولمعرفة مقدار المحصول من القمح وغيره من أنواع الحبوب يستعمل مكيال عبارة عن وعاء مصنوع إما من الخشب وإمّا من الحديد يقال له (مدّ) توضع فيه الحبوب وتفرغ في أكياس من الخيش وتتكرر هذه العملية مرات متتالية وبنتيجتها يعرف مقدار المحصول. مقابلة مع حسين سليمان حريري، مرجع سابق.

(٣) مدونة العرايس، السنة ١٧، العدد الأول، مرجع سابق، الصفحات ٤٢ - ٤٣.

الدواب روحة وجيئة لآخر النهار»[1]. وهذه الأساليب كان لها دور مهمّ في تشكّل القرية، فالأرض التي تزرع لم تكن تبتعد كثيرًا، وغالبًا ما كان الفلاح يجمع أراضيه الزراعية قريبًا من مركز البلدة كي يسهل والوصول إليها. وبقيت الأدوات والوسائل تتغيّر حتى أصبحت أكثر يسرًا على الفلاح، وأحيانا يستغنى عنها، وذلك بحسب طرق الفلاحة المعتمدة. كاستعمال الجرار بدل الثيران، ومضخات الديزل بدل طرق السقي التقليدية، وصولًا لتقنيات الاستغلال الحديثة، التي تراعي نوعية المزروعات (تقليدية - عصرية) وليس انتهاء بالإمكانات المالية والتكنولوجية المتوفرة.

المزارعة - المساقاة والإعارة (إعارة الدواب - إجار الآدمي):

لطالما كانت المزارعة والمساقاة نوعًا من التعاقد يجري في ظل القانون[2]. هي شراكة على كون الأراضي من طرف والعمل طرف آخر. يعني أن الأراضي تزرع والحاصلات تقسم بينهما. وركن المزارعة هو الإيجاب والقبول فإذا قال صاحب الأراضي للفلاح أعطيتك هذه الأرض مزارعة على أن حصتك من الحاصلات كذا، وقال الفلاح قبلت أو رضيت أو يقول قولًا يدل على الرضى أو قال الفلاح لصاحب الأرض أعطني أرضك على وجه المزارعة لأعمل فيها ورضي الآخر تنعقد المزارعة.

في عبّا، وبحسب ما وصل إلينا، اعتمدت المزارعة مرات معدودة، عندما كان مالك الأرض غير قادر على استغلال أرضه بنفسه، مثال على ذلك، مريم ابنة محمد الحاج حسين عميس يوم اتفقت مع توفيق علي حسين أحمد على أن تسلمه قطعة الأرض العائدة لها على أن يغرسها تينًا وعنبًا، شرط أن يكون له نصف قطعة الأرض بدلًا من أتعابه وثمن الغرس، وقد جعلا مدة التصرّف بالأرض ستّ سنين،

(١) مقابلة مع عبدو إسماعيل ترحيني، مرجع سابق.

(٢) المادة الثامنة من قانون تاريخ ١/١/١٩٠٠م، المزارعة والمساقاة، الجريدة الرسمية عدد١ تاريخ ١/١/١٩٠٠م.

فإن أثمرت الأرض كانت مناصفة، وإن لم تثمر لا يكون له حصّة في الأرض. ومن يخالف الاتفاق يدفع ثلاثمائة ليرة عطلًا وضررًا[١]. الشائع في هذا النوع من التعاقد، وجوب تعيين حصة الفلاح جزءًا شائعًا من الحاصلات كالنصف والثلث، وإلا فالمزارعة غير صحيحة. إنما في هذا العقد عيّنت الحصة بأن تكون الأرض مناصفة بين الفريقين. كذلك العلّامة السيد محمد علي إبراهيم، بصفته رجل دين لا يستطيع العمل بالأرض وهب (بالمغارسة) عدد كبير من عقاراته، للأخوين محمود وحسن قاووق لزراعتها وتقاسم المحصول. ونجد أيضًا أن المحاصصة، سلكت طرقًا تعاقدية أخرى برضى القانون، بعدما سعى بعض صغار المزارعين من البلدة إلى ضمان رخص التبغ من أصحابها الفعليين. وكان المحصول يتوزع على نحو: الثلث (لأبو سعد اللّه) صاحب الأرض والترخيص والباقي للمزارع على أن يتحمّل المزارع كامل المصاريف المتأتية من إنتاج المحصول بصورته نهائية حتى تسليمه للإدارة»[٢].

أمّا المساقاة ومعناه اصطلاحًا، عقد على خدمة شجر وزرع ونحو ذلك. وهو نوع آخر من الشركة كأن تكون الأشجار من طرف والتربية والاهتمام والرعاية بكافة أشكالها من طرف آخر، على أن يقسّم ما تحصّل الأرض من ثمّر، بين الطرفين بحسب نص الاتفاق. وقد عرفت عبّا في العقود الثلاثة الأخيرة الكثير من حالات المساقاة، وكان ذلك، وما زال، نتيجة العجز الجسدي للملاّكين عن خدمة مزروعاتهم، في وقت ينشغل أولادهم أو ورثتهم بممارسة مهن مختلفة تمنعهم من ذلك. وأكثر ما طالت المساقاة كروم الزيتون التي زرعت من قبل مالكيها منذ عقود وتحتاج اليوم بعدما هرمت إلى عناية مستدامة إضافة إلى قطافها[٣].

---

(١) وثيقة رقم (٣٠)، عقد مزارعة.

(٢) مقابلة مع شريف عبد اللّه جواد ترحيني، مرجع سابق.

(٣) هناك العديد من حالات المساقاة لا مجال لذكرها، يتضاعف عددها نتيجة التحوّل الذي طرأ على البنية الاجتماعية لعبّا وتحول العديد من أبنائها إلى الوظيفة العامة والخاصة والمهن الحرّة. حتى إن البعض من هؤلاء يجد صعوبة في إيجاد شريك له بالمساقاة.

والإعارة ليست كالمزارعة والمساقاة، بل هي شكل من أشكال الاستعمال المؤقت لكائن ما (دواب) أو (عمالة محلية) في عمل ما. وفي كلا الحالتين تكون الإعارة لقاء أجر متفق عليه. قديمًا اعتمدت الإعارة وكانت تقتصر على الدواب» وكان إذا جاء يوم الطحن، ولا يوجد في البلدة مطحنة حبوب كانت «تؤمن (الدابة) بالأجرة لنقل الطحنة من قمح أو ذرة صفراء إلى مطحنة القصيبة أو قعقعية الجسر أو حبوش أو دوار سرور في بريقع. وكانت وسيلة النقل الوحيدة في البلدة «حمارة أبو جواد، وكان صاحب المطحنة يتقاضى أجرة الطحن (ثمينة) وهي تساوي جزء من ثمّانية أجزاء المدّ»[١]. وفي بعض الأحيان، كان النقل يتم بواسطة الجمل عندما يكون المحصول وافرًا. وعرف ممن عمل في مهنة الجمّالة من البلدة كل من: وهبي يونس محمد هارون – إبراهيم يونس محمد هارون – علي مصطفى علي هارون – محمود قاووق وأحمد عيسى حسين محمد يونس معلّم»[٢]. أمّا إجار الآدمي، فكان يشمل بعض الخدمات الموسمية، كفرز السميد حالما ينتهي من جرشه. وكانت رقية يونس محمد هارون وابنتها منيفة محمود علي حسين، تنتقلن من بيت لآخر لتساعدن النسوة في فرز(تعريب) السميد لقاء أجر. وبعد أن باتت الأرض عبئا على مالكيها شاع في البلدة الإجار وشمل متفرعات العمل الزراعي كافة، بدءًا من زراعة التبغ بجميع مراحل إعداده وتوضيبه، وحراثة الأرض وتنظيفها من الأعشاب وتسميدها، وتقليم الأشجار. وهي أعمال تكرست مع الوقت مهن وصارت تمارس بشكل دائم من قبل أشخاص معروفون. وبذلك انقطعت تلك العلاقة الخاصة بين الإنسان والأرض، وتم استيلاد إشكالية، ستبقى لصيقة بذاكرة وحاضر ومستقبل المجتمع العبّاوي، ليس من السهل تخطيها.

أساليب الزراعة المنتجات الزراعية والمحاصيل في عبّا:

لم تكن الأعمال الزراعية في عبّا وغيرها من بلدات الجوار تعتمد في توقيتها

(١) مدونة العرايس: السنة ١٧، العدد الأول – مرجع سابق، الصفحات ٤٦ – ٤٧.

(٢) نفس المرجع.

أيًا من الأساليب الحديثة لمعرفة أحوال الطقس؛ لأن الفلاح لم يكن على دراية بها لعدم توفر وسائل الاتصال لديه. لذا أجاد تفسير التقلبات المناخية معتمدًا على ما يتلمّسه بالحواس. كان على معرفة بتلك المعادلة القائمة على «الحساب الشرقي والغربي، وهي، (الأربعينية في الشتاء، البواحير والقمائم في أيلول، المستقرضات والنير الزعروري عندما يزهر الزعرور في أواخر شباط)»[١]. يروي شريف عبد اللّه جواد خليل أن الأعمال الزراعية في ذلك الوقت اقتصرت على الفلاحة والحصاد نهارًا وأحيانًا ليلًا عندما يكون القمر بدرًا.

لم يذكر أحد ممن عاصروا بداية العشرينات من القرن الماضي، أنه وصل إليهم بالتواتر، شيءٌ عن زراعة القطن في عبّا وجوارها. ربما لأن هذه الزراعة كما تذكر المصادر انتقلت إلى مصر ابتداء من عام (١٨٢١م). في حين يروى[٢] أن جميع الفلاحين في عبّا، كانوا مهتمين بزراعة القمح والباقية والعدس والحمص والترمس والحلبة. وهي زراعة بعلية من السهولة ممارستها، ولا تتطلب إنشاء أقنية للري، كان جبل عامل يفتقر إليها. وبالرغم من محدودية المساحات المزروعة لكون أغلب أراضي البلدة بحاجة إلى استصلاح، غالبًا ما كان الزرع على تعدد مراحله يجري يدويًّا. وكان ما ينتج منها كافيًا للاستهلاك الشخصي، وما يفيض يباع «حيث كانت تنقل على الجمال إلى صور والقرى المجاورة لتباع هناك»[٣]. ومع الوقت دخلت أصناف جيدة على الروزنامة الزراعية لفلاحي (عبّا) حيث انتشرت بداية الأربعينات زراعة المقتي والبطيخ بكثرة، ويُروى أن «خلّة المغاريق، كانت بكاملها مزروعة بهذه الأنواع»[٤].

التين: لم تعرف عبّا زراعات من نوع الأشجار المثمرة من حمضيات أو لوزيات وما إلى ذلك. والصنف الغالب كان شجرة التين، وكانت منتشرة بكثرة سواء

(١) مدونة العرايس: السنة ١٧، مرجع سابق، الصفحات ٤٣ - ٤٤.

(٢) مقابلة مع محمد خليل ترحيني مرجع سابق.

(٣) مقابلة مع شريف عبد اللّه جواد ترحيني، مرجع سابق.

(٤) مقابلة مع سعيد إبراهيم يونس مرجع سابق.

بالقرب من البيوت أو في الأراضي البعيدة نسبيًّا. يروى سعيد إبراهيم يونس «أنه في أحد الأيام أعطى يوسف بك الزين والده (٢٥) مطعومًا من التين، كان قد أحضر عددًا كبيرًا منها من إيطاليا، فما كان منه إلا أن أقام مشتلًا لهذه الغاية.[١]» وبعدما عرفت هذه الزراعة وفرة في الإنتاج بادر الأهالي إلى ابتكار طريقة لتصنيع التين عن طريق تجفيفه للاحتفاظ به أطول فترة ممكنة من السنة والاتجار به. فقد كان «عموم الضيعة (يتيّن) أي إن الجميع كان يقيم في الحقل ليلًا نهارًا لتجفيف الثمار. وعملية التجفيف كانت تتم بمحاذاة جذوع الشجر وتسمى تشريح أو دحروب، بحيث يوضع التين الأخضر الناضج على حصير مسطح من عشبة ويترك مدة حتى يجف نهائيًّا. وما كان يفيض عن حاجة الاستهلاك الشخصي كان يباع في الأسواق المجاورة»[٢]. وكان الإنتاج يشكل للعبّاويين مصدرَ دخلٍ سواء أكان البيع يتم بالمقايضة مع أصناف زراعية أخرى كالعنب أم بالنقد الذي كان رائجًا في ذلك الوقت.

الزيتون: حتى عام (١٩٤٢م) كانت زراعة الزيتون في عبّا قليلة جدًّا، ولم تكن شائعة كما هي اليوم. عن تلك المرحلة، يقول محمد خليل ترحيني (أبو فايز)، إن أول من باشر بزراعتها، كان والده خليل يونس أحمد هارون وعبدو حسين أحمد عندما قاما بإحضار عدد من أغصان الزيتون من بلدة دير المخلص، وتقسيمها إلى أجزاء صغيرة زرعت مباشرة في الأرض. حتى ذلك التاريخ كانت الزراعة تتم بهذه الطريقة، ولم يكن إجمالي إنتاج الزيت في البلدة يتجاوز الـ(١٠٠) كيلو»[٣]. وبحسب سعيد إبراهيم يونس، أن المرحلة اللاحقة شهدت تطورًا في أسلوب الزراعة بهدف زيادة أعداد النصوب في فترة زمنية قصيرة واستبدل الغرس المباشر بالأرض «بغرس جذوع الزيتون البريّ في أوعية من التنك يلي ذلك التطعيم، أي (التهجين) لتصبح النبتة قادرة على حمل الثمار. عام (١٩٦٥م) جلب إبراهيم

(١) مقابلة مع سعيد إبراهيم يونس، مرجع سابق.

(٢) مقابلة مع محمد خليل يونس، مرجع سابق.

(٣) نفس المرجع.

يونس (أبو سعيد) من بلدة الرميلة عددًا من النصوب ووزعها على الأهالي لزرعها. وبذلك حلّ الزيتون تدريجيًّا مكان التين، مثال على ذلك، أرض عين البيارة كانت مزروعة بالتين استبدلت لاحقًا بالزيتون»[١]. ولمّا كانت شروط زراعتها ملائمة، أصبحت شجرة الزيتون من أهم الزراعات الصناعية البعلية لكونها من الأشجار المعمرة، دائمة الخضرة، تعيش لفترات طويلة، ومعدل نموها بطيء، وهي ذات ثروة بيئية واقتصادية.

شكلت بداية الثمنانينات انطلاق مرحلة جديدة تحولت معها زراعة الزيتون من عمل فرديّ يقوم به الفلاح العبّاوي لنفسه إلى عمل مهني تجاري كان له الأثر الكبير في الانتشار سواء داخل البلدة أو خارجها. عن تلك المرحلة يقول عبد الرسول محمد عبدو (أبو علي) «كان أول من بدأها في البلدة كزراعة بهدف تجاري محمد داوود ترحيني (أبو داوود) والأستاذ محسن عبدو. وكان خروجي من الجيش عام (١٩٧١م) فرصة للعمل بهذه الزراعة»[٢]. وتوسّعت زراعة شتول الزيتون في عبّا حتى امتهنها العديد من المزارعين باعتبارها تشكل دخلًا سنويًّا إضافيًّا مضمونًا، خاصة بعد اعتماد وزارة الزراعة برنامج دعم للمزارعين بأن تشتري منهم المحصول وتعيد توزيعه على البلديات التي تعيد توزيعه على الأهالي لزراعته.

وقدّرت مساحة الأرض المزروعة بالزيتون عام (٢٠١١م) بحوالي ثمن مساحة البلدة، أي حوالي (٩٣) هكتارًا ما يعادل (٩٣٠) دونمًا، ويقدّر عدد أشجار الزيتون بـ(٢٣٢٥٠) شجرة، أي بمعدل (٢٥٠) شجرة للهكتار الواحد[٣]. في الوقت الراهن، قد تكون هذه الأرقام تضاعفت أو تناقصت قليلًا. إلا أن الظاهر، هو أن أشجار الزيتون باتت اليوم تغطي معظم تلال البلدة ومنخفضاتها حتى تكاد لا تجد

(١) مقابلة مع سعيد إبراهيم يونس، مرجع سابق.

(٢) مقابلة مع السيد عبد الرسول ترحيني والدته منيفة نصر الله تولد (١٩٣٧م) بتاريخ ٢/ ٣/ ٢٠١٨م.

(٣) عام ٢٠١١م، وفي إطار مشروع الدعم الاقتصادي والاجتماعي لمنتجي الزيتون في المناطق المهمّشة في لبنان الذي ينفذه معهد باري (BARI) بالتعاون مع وزارة الزراعة اللبنانية وبتمويل من الحكومة الإيطالية قامت بلدية عبّا وبالتعاون مع الجمعية التعاونية الزراعية في بلدة عبّا بإجراء إحصاء بالعينة مساحة الأرض المزروعة بالزيتون وخلصت إلى النتائج المذكورة أعلاه.

عائلةً إلا وهي تملك حقلًا من الزيتون نظرًا لما تنتجه من زيتون وزيت يُخصص جزء منه للمائدة والآخر يباع في الأسواق المحلية.

العنب والحمضيات: لم يكن حال العنب والحمضيات حتى الأربعينات من القرن الماضي أفضل حالًا من الزيتون، وكانت زراعتة في عبّا قليلة جدًّا على ما يروي سعيد إبراهيم يونس(١). وقد يكون مردّ ذلك إلى جهل الفلاح العبّاوي في ذلك الوقت بالتقنيات الزراعية لهذه الشجرة التي تتطلب بصفة عامة مناخًا متوسط الحرارة، لا هو شديد البرودة ولا شديد الحرارة، وفي الوقت نفس هو يحتاج إلى الدفء حتى ينمو بصورة جيدة، فضلًا عن وجود تربة ينبغي أن تكون خصبة، وغنية بالعناصر الغذائية ورطبة. يقول شريف أمين ترحيني: كان البعض من أبناء البلدة، يعمد إلى « مقايضتة بالحبوب مع قرية مجدل بلحيص - البقاع الغربي، وكان يستبدل حمل دابّة (حمارة) بصحارتين (صندوقين) عنب ومن ثمّ يستبدل الفائض منه بالزيتون في بلدة دير قانون»(٢). وبطبيعة الحال كان العنب يفتقر إلى مواصفات النوعية والجودة لكثرة تداوله ومن ثمّ كان غير قادرعلى المنافسة. وكالعنب باقي أنواع الفاكهة والحمضيات لم تكن معروفة ومتداولة في عبّا(٣). وبالرغم من تطور الأساليب الزراعية والتقنيات وانفتاح الأسواق، لم يتطور هذه القطاع ليصبح موردًا اقتصاديًّا كباقي البلدات ويسهم في زيادة دخل الفلاح، بل اقتصر الأمر على زراعات تستهدف إشباع حاجات الاستهلاك الشخصي فقط، وبقيت حتى اليوم كغيرها تعتمد على المبادرة الفردية ولم ترتقِ إلى مستوى الإنتاج التجاري والصناعي.

التبغ: بدءًا من العقد الرابع من القرن الماضي وبطلب من الانتداب الفرنسي، أخذت بلدات جبل عامل ومنها عبّا، تنحو باتجاه زراعات مقوننة، خاضعة لرقابة السلطة الإدارية ذات الاختصاص. وتأسست بموجب قرار المفوض السامي رقم

(١) مقابلة مع سعيد إبراهيم يونس، مرجع سابق.

(٢) مقابلة مع شريف أمين، مرجع سابق.

(٣) نفس المرجع السابق.

(١٦ تاريخ ٣٠/ ٠١/ ١٩٣٥م) وكالة حكومية شبه مستقلة لبنانية سورية مشتركة، اعتمد في إنشاء مبانيها تصميم موحد في كلا البلدين، أطلق عليها تسمية إدارة التبغ والتنباك (الريجي) مهمتها احتكار التبغ والتنباك وتنظيم زراعتة وضبط عملية التهريب الحاصلة آنذاك.

وهكذا بحسب المادة السابعة من القانون، لا يجوز لأي كان أن يزرع تبغًا ما لم يقدم بذلك تصريحًا، وما لم يستحصل على الرخصة المنصوص عليها في المادة العاشرة منه [١]. وأصبح التوسع في زراعة التبغ مرهون بعدد الرخص الممنوحة من قبل إدارة (الريجي) التي صنفت الأراضي الصالحة للزراعة، وبلغت المساحة الملاءمة) ٤٠٢٢٢) دونمًا، والمساحة المزروعة) ٢٧٢٢٠ (دونمًا في عموم لبنان[٢]. وكان «أبو شكيب رشيد جابر من النبطية استحصل عام (١٩٤٧م) على ضمان أراضي البلدة لمدة عامين في الحواكير والمغاريق والحمّارة والوديان حتى عين الحاج حسن لزرعها تبغا بطرق غير شرعية. وشيّد خيمة كبيرة لهذه الغاية في محلة (خلة النبيه) لشكّ التبغ ونشره ليجفّ، ومعظم العمال كانوا شبانًا وصبايا من البلدة. لم يرق هذا الأمر للأهالي الذين طالبو بعريضة رفعها السيد توفيق إلى أحمد بك الأسعد، طالبوا فيها منحهم تراخيص خاصة بهم»[٣]. وهكذا بدءًا من أواسط ذلك العام منحت التراخيص لقلّة من صغار المزارعين بعدما منع رشيد حيدر جابر من الزراعة إثر إخبار من الأهالي للريجي»[٤]. وكان هؤلاء قد تعلموا زراعة التبغ من العمل لدى كبار المزارعين المتنفذين في بلدة تول. ومن بين الذين منحوا ترخيصًا، محمد خليل يونس أحمد هارون (أبو فايز) بمساحة نصف دونم[٥].

(١) الجريدة الرسمية: قرار المفوض السامي رقم ١٦ تاريخ (٣٠/ ٠١/ ١٩٣٥م)، يتعلق باحتكار التبغ والتنباك، العدد ٣٠٩١، تاريخ ١/ ٣/ ١٩٣٥م، ص٢ لغاية ١٧.

(٢) الجمهورية اللبنانية، وزارة التصميم العام،النشرة الإحصائية الشهرية، آب ١٩٧٢ م، المجلد١٠ ، العدد٨ ، ص١٠٥.

(٣) مدونة العرايس: السنة ١٧، مرجع سابق، الصفحات ٣٣- ٣٤.

(٤) مقابلة مع علي محسن معلّم، مرجع سابق.

(٥) مقابلة مع محمد خليل يونس مرجع سابق.

وبما أنها لا تعطي مردودًا ماليًّا كافيًا اشترى تراخيص أخرى أحدها (٣) دونمات من حسن صادق، وأخرى بمساحة دونم باسم زوجته، وباشر زراعة التبغ وبعض الحبوب. وكذلك حصل سعيد إبراهيم يونس محمد هارون (أبو محمد) على عدد من التراخيص. وتشير إحصاءات إدارة حصر التبغ والتنباك اللبنانية - فرع النبطية، إلى أن عدد المزارعين في عبّا، الذين منحوا تراخيص حتى عام (١٩٧٣م) بلغ (٣٣٠) مزارعًا[١]. وهذا العدد يُعَدّ كبيرًا إذا ما قُورن بعدد السكان الإجمالي في ذلك الوقت وهو (٢٠٥٠) نسمة[٢]. وكانت عائدات زراعة التبغ تشكل لهم موردَ رزقٍ مهمًّا وبضمانة من الدولة.

ولتنظيم عملية الزرع، ألزم القرار رقم (١٦) لا سيما المادة (١٣) منه، المزارعين الاستحصال على البذور التي يحتاج إليها من إدارة الاحتكار، والإدارة تعطيه البذور المنتخبة اللازمة للتشتيل بأدنى الاسعار الممكنة[٣]. بناء عليه اشتهرت عبّا وجبل عامل بزراعة (البذرة البلغارية) وكان هو الصنف الرائج للزراعة، وتحوّل في العام (١٩٧٣م) إلى بذرة (سعدي ستة)[٤] وهي بذرة مؤصلة طوّرت لاحقًا بمزيج من البذرة البلغارية والإزميرلية[٥]. وكانت إدارة الريجي فور الإنتهاء من الزرع، تُبقى الحقل موضع متابعة دقيقة من قبلها بواسطة موظف أطلق عليه مجازًا لقب (مراسل). وانتدب لعبّا مراسلًا هو محمود مروة من بلدة يحمر وكان متزوجًا من البلدة، وحسين السيد من بعلبك. يساعدهما عمال من البلدة ومهمتهما كيل مساحة الأرض طولًا وعرضًا، ومن ثمّ إحصاء عدد شتلات التبغ، بحيث لا تزيد عن (٢٠) شتلة في المتر المربع، وكل شتله إضافية كانت تقتلع. كذلك فرضت على المزارع إتلاف مشاتل الزرع في مهلة تنتهي في الخامس عشر من أيّار في

(١) إحصاءات إدارة حصر التبغ والتنباك اللبنانية.

(٢) الشيخ سليمان ضاهر، معجم قرى جبل عامل، مرجع سابق، الصفحات ٧٤- ٧٥.

(٣) الجريدة الرسمية: قرار المفوض السامي رقم ١٦ تاريخ، (٣٠/ ٠١/ ١٩٣٥م)، يتعلق باحتكار التبغ والتنباك، العدد ٣٠٩١ تاريخ ١/ ٣/ ١٩٣٥م، ص٢ لغاية ١٧.

(٤) هذه التسمية منسوبة إلى مختبر الإدارة في بلدة السعديات قضاء الشوف.

(٥) مقابلة مع علي محسن عبدو حسن علي يونس معلّم، تولد ١٩٤١ بتاريخ٢ / ٧/ ٢٠١٢م.

السواحل والخامس عشر من حزيران في الجبال، أي إن نقل الشتل وزرعه يجب أن يكون قد انتهى في هذين التاريخين. وما تبقى في المشاتل تُعَدّ كأنها زرع غير مصرح به بدءًا من الدقيقة التي يبلغ فيها طول الورق ٢٠ سنتمترًا[١]. وبموجب المادة ١٤ من القرار اُلزم المزارع في المدة المتراوحة بين أول نيسان و٣٠ أيلول - أن يقود مأموري الاحتكار إلى مزرعته، وأن يسهل لهم سبل القيام بوظائفهم، وأن يسمح لهم بالدخول عند أقل طلب يبدر منهم سواء أكان إلى مناشف التبغ الورق، ومخازنه، ومستودعاته، ومكان السكن، وسوى ذلك من أقسام المنزل، أم إلى المناشف والمخازن والمستودعات التي تخص مرابيعه. وبعد الانتهاء من تسليم المحاصيل تنتشر دوريات الجمارك في كل مكان، يسبقهم الدساسون ليلقوا القبض على مهرّب من هنا، أو مقطع أي إداة لفرم التبغ من هناك، فضلًا عن مداهمتهم بيوت الفلاحين بحثًا عن لفافة تبغ تركها الفلاح لإستعاله الشخصي[٢]. وكان في أحيان كثيرة كما يروي محمد خليل يونس أحمد هارون» نعمد إلى فرم كمية من التبغ للاستعمال الشخصي أو لبيعها لأشخاص محددين، وكانت إدارة الريجي تمنع ذلك وتعاقب من يُضبط لديه تبغ مفروم، بسحب الرخصة منه وتغريمه. ذات مرة وشى أحدهم بأن خليل أحمد يونس لديه عدد من ربط التبغ كان ينوي تقديمها هدية لإمام البلدة السيد محمد علي. ولحُسن الحظ لم ينتبه من قام بمداهمة البيت للربط رغم أنها كانت معلقة بالسقف»[٣].

ولأجل ضبط زراعة التبغ وتنظيمها، كانت الإدارة تعيّن لكل قطاع (عدد من البلدات) مراقبًا يقوم بعمل الوسيط بين المزارع والإدارة، يعاونه عامل، مهمته كيل مساحة الأرض للتثبّت من عدم تجاوز المزارع للمساحة المصرح له زراعتها. وتفاصيل هذه المهمة يرويها علي محسن عبدو حسن علي يونس معلّم (أبو شوقي)

(١) الجريدة الرسمية: قرار المفوض السامي رقم ١٦ تاريخ، ٣٠/ ٠١/ ١٩٣٥م، يتعلق باحتكار التبغ والتنباك، العدد ٣٠٩١ تاريخ ١/ ٣/ ١٩٣٥م، ص٢ لغاية ١٧.

(٢) فايز ترحيني: دائرة الشوك حكاية مرجع سابق، ص١٩.

(٣) مقابلة مع محمد خليل يونس مرجع سابق.

بالقول: «لم يقم أحد من مزارعي عبّا بشغل مهنة مراسل. لذا مرّ على البلدة حتى العام (١٩٧٥م) كل من: حنا يونس، عبد اللّه مكي، أحمد جابر، عبد اللّه عياش، حسن جفال ورفيق طه. وكان لباس المراسل عبارة عن قميص وبنطال مع قبّعة لون كاكي وحذاء طويل السَّاق يبلغ نحو الركبة لون أسود. ويحمل بيده شريطًا (أداة قياس) مقسم أجزاء عشرية ومئوية، مع سجل يدوّن عليه حصيلة عمله. بعد الانتهاء من الكيل تأتي مرحلة التخمين أي احتساب (الكثافة) مثالًا على ذلك: كل كيل عبارة عن ألف متر مربع، يجزأ إلى أمتار، بحيث ينبغي وجود (٢٠) شتلة في كل متر مربع كحد أدنى و(٢٦) كحد أقصى بحسب طبيعة الأرض، وما يزيد عن ذلك تتلف وترمى جانبا»[١]. وكانت عملية الكيل تبدأ قرابة الساعة السادسة صباحًا، ولا تنتهي قبل غروب الشمس، وكان ينجز كيل حوالي (٢٠) دونمًا لا أكثر في اليوم الواحد، بحيث تستغرق مدة كيل البلدة بكاملها حوالي الشهر والنصف. إلا أنه بعد العام (١٩٧٥م) وبسبب سوء الأوضاع توقف عمل المراسل وأصبح التخمين يتم وفقًا لتصريح المزارع نفسه، بعد أن اعتمدت إدارة الريجي وزنًا مقطوعًا مقداره (١٠٠) كيلو تبغ حدّا أقصى كمحصول لكل دونم. وأحيانا كان المراسل «يتقاضى رشوة ليتجاهل وجود كمية زائدة»[٢]. وبموجب المادة (١٥) من القرار (١٦)، يتوجّب على المزارع عند نضوج الشتل وقبل الابتداء بقطفها، أن يقدم قبل الخامس عشر من تموز في السواحل ومثله من أيلول في الجبال تصريحًا، يقال له: (تصريح المحصول)، وفيه يقدر وزن الأوراق الناشفة التي ينتظر الحصول عليها من مزارعه. وهذا التصريح يجب أن يقدم أولًا إلى المختار بعد أن تلصق عليه الطوابع القانونية، ومن ثمّ يبدأ القطاف.

والعمل في زراعة التبغ وتصنيعه متداخل يكاد لا ينتهي. فالصيف مثقل بقطاف أوراق التبغ وشكّه، والخريف موسم التصفيط أو التسفيط والتّدليك، وفي الربيع

(١) مقابلة مع علي محسن عبدو حسن علي يونس معلّم مرجع سابق.

(٢) مقابلة مع سعيد إبراهيم يونس مرجع سابق.

يبدأ تجهيز المساكب تمهيدًا لزراعة البذور»[١]. في عبّا يشارك في القطاف أغلب أفراد العائلة، ويبدأ منتصف الليل باستخدام وسائل إنارة، ويستمر حتى ساعات الصباح الأولى. وبعد الانتهاء من القطاف كانوا ينقلونه بواسطة الدواب للمباشرة بـ(الشكّ) ومن ثمّ التنشير[٢]. وكانت عملية التنشير واقتلاع الشتول من الأرض بعد انتهاء الموسم تخضع لمعايير وضعتها الإدارة. فبحسب المادة (١٨) من القرار، «لا يجوز للزارع أن يقتني سوى منشف واحد لسائر مزارعه الموجودة في قرية واحدة، علاوة على أجهزة التنشيف الموجودة في المزارع نفسها، ويجوز لمأموري الاحتكار أن يدخلوا إلى محلات التنشيف بصورة دائمة. وأوجبت المادة (١٩) على الزراع أن يقتلع الشتل والجذور فور قطف الاوراق وعلى أقصى تعديل فور انقضاء مهلة تحددها إدارة الاحتكار لمختار البلدة»[٣]. حتى إنه كان يحق لمأموري الريجي بموجب المادة (٢٢)، وبعد وزن التبغ أن يتحروا، ضمن الشروط الواردة في المادة (١٤)، منازل الزارع ومحلاته، للتثبت مما إذا كان لا يوجد فيها تبغ مخبأ. ويعد التبغ الذي يعثر عليه كأنه تبغ مهرب وتفرض عليه العقوبات المنصوص عليها في هذا القرار[٤].

---

(١) لمزيد من التفصيل يراجع فايز ترحيني: دائرة الشوك ... مرجع سابق، ص١٦.

(٢) من عايش تلك المرحلة من سكان بيروت الذين كانوا يمضون عطلة فصل الصيف في البلدة والمؤلف منهم، كان يُدهش وهو يشاهد عشرات (قطّيفة الدخان) وأنوار (اللوكسات) مضيئة في الوطى وأماكن أخرى غيره، وكان يخيّل للناظر أنه في عزّ النهار.»وسائل الإنارة كانت عبارة عن لوكس يشتعل بمادة الكاز ويركّز على قضيب من حديد يثبت في الأرض ويجرى نقله بين الحين من مكان لآخر وفقا لتقدم عملية القطاف داخل الحقل. من مشاهدات المؤلف. نموذج من عملية شك التبغ وتنشيره. صورة رقم (١٦).
«كنّا نجمع التبغ في صناديق قياس (١٠٠/ ٧٠)سم مصنوعة من الخشب والتنك، ويثبّت الصندوقان مقابل بعضهما على ظهر حمارة وتنقل إلى البيت لتبدأ عملية الشك بواسطة (ميبر) سيخ من الحديد مسنن من الرأس شبيه بأبرة الخياطة طوله حوالي ( )٣٠وعرضه حوالي نصف سم، لتنتهي عملية الشك بتجميع التبغ في خيط طوله حوالي متر ونصف من ثم يعلّق، لمدة شهر أو يزيد على منشر مصنوع من وتد خشبي وسلك معدني ليجف التبغ. بداية الخريف يعمد إلى رصفه بالخيش ويسمى (دنك) بواسطة مكبس ليكون جاهزا للتسليم للريجي». مقابلة مع محمد خليل يونس أحمد مرجع سابق.

(٣) الجريدة الرسمية: قرار المفوض السامي رقم ١٦، تاريخ، ٣٠/ ٠١/ ١٩٣٥م، يختص بزراعة التبغ في لبنان خلال سنة ١٩٤٨م، العدد ٣٠٩١ تاريخ ١/ ٣/ ١٩٣٥م، ص٢ لغاية ١٧.

(٤) جنّدت إدارة الريجي فرقة مسلحة لهذه الغاية، مهمتها منع اقتناء وفرم وبيع التبغ .أذكر ذات مرة كان فيها =

ولمّا كانت إدارة الريجي تحتكر حصرية شراء التبغ من المزارعين، كانت في غالب الأحيان تعمد إلى تأخير موعد الاستلام، وكان هذا الأمر يتسبّب بتلف جزء من المحصول. وأحيانًا كان الفلاح في أثناء التّدليك يقوم بوضع كمية من التبغ رديئة النوعية، إلا أن خبير التخمين كان «يعرف الأماكن التي يمكن أن يغشّ فيها الفلاح. فإن لم يكن من الراشين، أو لم يوص به أحد السماسرة أو المتعهدين، فالفقر آت لا محالة، لأن المرابين سيأخذون المرهون من أرض أو عقار ومتاع. لذلك كان الفلاح مضطر للانصياع أو الاستزلام، لذلك يُعد مكسبًا له إذا حصل على رخصة تسليم قبل تلف المحصول، أو إذا استطاع تحصيل ما يسدّ ديون المرابين. وتبدأ السبحة تكرّ من جديد»(١).

وإلى جانب صغار المزارعين سواء في عبّا أم في باقي بلدات جبل عامل، منح بعض المتنفذين أمثال رياض الصلح وسامي الصلح وكمال جنبلاط والأمير مجيد أرسلان وآل الضاوي من صيدا وآل عسيران، تراخيصَ كان بعضها يُزرع في أراضي عبّا وبريقع باستعمال عمال مزارعين، بلغت في بعض الأحيان (٢٥٠) دونمًا. وأحيانًا كان هؤلاء يوزعون تراخيصهم على المزارعين بواسطة وكيل عنهم لقاء مبلغ مالي سنوي (ضمان). وفي عبّا لدينا نموذج عن مزارعين كبار، هو علي أحمد حسن خليل (أبو سعد اللّه) فقد كان على علاقة وطيدة ببعض السياسيين،

= السيد أحمد يونس هارون (أبو علي) متوجهًا لزيارة العتبات المقدسة في العراق، ضبط وهو يدخّن سيجارة من قبل كمين اقيم في بلدة زفتا، حرر بحقه ضبط بقيمة خمس ليرات لم يدفعه في حينه. لاحقًا اكتشف وجود مخالفة على سجلّه العدلي، ليتبين له أن المخالفة (تبغ) ولم تُزل عن سجلّه إلا بدفع قيمة المخالفة مضاعفة عدة مرات وبلغت ١٥٠ ألف ليرة. أشخاص كثيرون من عبّا ضبط معهم تبغ مهرب وحولوا إلى المحكمة. عملية الضبط كانت تتم بوشاية من مخبر يتقاضى نسبة مئوية مقدارها ٤٠٪ من قيمة الضبط. وعام ١٩٥٥م حُرر محضر ضبط بحق والدي واقتيد إلى محكمة النبطية، حينها كان النائب عبد اللطيف الزين يعمل في مهنة المحاماة، ادعى أمام المحكمة أن كمية التبغ المهرّبة وتبلغ ٦ كغ وهي مصادرة من بيت مهجور هي لمحمد عبدو معلّم والمكبس المستعمل في عملية الفرم هو لمحمود الشيخ صالح. ردّ عليه والدي متهمًا إياه بالكذب نافيًا أن يكون التبغ عائدًا له . حُكم على والدي بغرامة مالية الغيت لدى القاضي، بتدخّل مباشر من أبو سعداللّه. يذكر أن السعر الرائج للتبغ المهرب في تلك الفترة كان تراوح بين ليرة وربع ثم ليرتان و(٣) ليرات ليصل في العام ١٩٥٨م إلى ٨ليرات. مقابلة مع علي محسن معلّم. مرجع سابق

(١) فايز ترحيني: دائرة الشوك حكاية ... مرجع سابق، ص١٩.

استطاع أن يوظفها بالحصول على عدد كبير من التراخيص تجاوزن الـ(٢٠٠) رخصة منها (١٠٠) استعملها في أراضي عبّا، والباقي في قرى أبو الأسود وكوثرية الرز. واستعمل لهذه الغاية في مراحل الإنتاج كافة، ما يقارب (١٠٠) عامل وعاملة من فلسطينيي مخيم الرشيدية، حيث أنشأ مبنى كبيرًا مخصصًا في محلة أبو الأسود، باشراف وكيل عنه هما: حسن عثمان وإبراهيم حسن خليل (أبو نايف)، وتراوحت أجرة العامل من (٣) إلى (٥) ليرات بدل ساعات عمل تمتد من الصباح حتى المساء[١]. كذلك أوكل إلى بعض المزارعين الصغار زراعة المتبقي من الرخص بالمحاصصة. وهؤلاء ليس لديهم لسدّ حاجاتهم الخاصة مورد رزق آخر سوى زراعة التبغ وبعض المزروعات وتربية الماشية، وكان المحصول يتوزع على النحو التالي: الثلث لأبي سعد اللّه، والباقي لهم شرط تحمّل كامل المصاريف المتأتية من إنتاج المحصول بكافة مراحله حتى تسليمه للإدارة»[٢].

ما بين النصف الثاني من القرن الماضي والربع الأول من الحالي، عرفت زراعة التبغ في عبّا فترات ازدهار ثم ركود ناتج من جهة، عن تقصير السلطة المركزية في سياستها التنموية والرعائية تجاه الأرياف، التي تكفل ريّ الأراضي ورفع مستوى التعليم وإحداث جمعيات تعاونية وتحسين الطرق الزراعية. ومن جهة أخرى توجه الاقتصاد اللبناني بدءًا من أواسط الستينات للتخلي شيئًا فشيئًا عن الزراعة

(١) يذكر أن علي أحمد ترحيني (أبو سعد اللّه) كان عضواً في نقابة مزارعي التبغ، يزرع أكثر من ٢٠٠ دونم، وهو شريك مدير الريجي رزق اللّه الطم سلم قسماً من محصوله بسعر ٢٨٥ قرشاً للكيلو الواحد، يتحرك الآن في قرية جبشيت بالتعاون مع المختار محمد علي فحص بغية إفشال الاضراب وهو يحث المزارعين على تسليم محصولهم في مستودع الغازية إذا كانوا خائفين من تعدي المضربين لهم. مجلة الحرية – العدد ٥٢٢ – السنة الثانية عشرة – بيروت ١-٢-١٩٧١، ص ١٥.

(٢) مقابلة مع شريف عبد اللّه جواد ترحيني. كان هذا النوع من التعاقد يتم بصورة استثنائية عملاً بنص المادة الثامنة من قرار المفوض السامي، التي أجازت، للمزارعين المرخص لهم بزراعة التبغ في قرية ما، بصورة استثنائية للموسم الزراعي لعام ١٩٤٨م، أن يطلبوا نقل كل أو جزء من رخصتهم إلى القرية غير التي رخص لهم فيها شرط أن يكونوا مالكي الأراضي التي يرغبون في زرعها وأن تكون زراعة التبغ مرخصًا بها في تلك القرية على أن يقدموا بذلك طلبًا خطيًّا إلى القائمقام ضمن المهلة مرعاة لمصالح هؤلاء. الجريدة الرسمية: قرار المفوض السامي رقم ٩٩١ تاريخ، ٧/ ١٢/ ١٩٤٧م، يتعلق باحتكار التبغ والتنباك، العدد ٥١ تاريخ ١٧/ ١٢/ ١٩٤٧م، الصفحات ٨٠٢ – ٨٠٥.

والاعتماد على قطاع الخدمات والتجارة أكثر منها، ويظهر الجدول التالي عدم ثبات هذه الزراعة وتراجعها بوتيرة متسارعة بدءًا من عام (١٩٨٠م).

جدول بإنتاج التبغ في عبّا حسب السنوات وعدد المزارعين والمساحة المزروعة والكمية والأسعار والقيمة الإجمالية للمنتج [١]

السنة	عدد المزارعين	المساحة المزروعة دونم	كمية الإنتاج كغ	قيمة الإنتاج ل.ل	مجموع كمية الإنتاج كغ	مجموع قيمة الإنتاج ل.ل
١٩٧٣	٣٣٠	/	/	/	/	/
١٩٨٣	١٦٢	٥٣٤	٥٣٤٢٩	/	/	/
١٩٩٢	٢٣	٤٢	٤١٨٥	٣٨,٧٣٦,٠٠٠	٤١٨٥	٣٨,٧٣٦,٠٠٠
١٩٩٤	٨٠	٢١٠	٢١٠٤٥	٢٢٨,٥٩٧,٠٠٠	٢١٠٤٥	٢٢٨,٥٩٦,٠٠٠
من ١٩٩٥ لغاية ٢٠١٧ كان عدد المزارعين يتطور صعودًا وهبوطًا وكذلك المساحات المزروعة	ما بين ١٣٦ و ٢٠٧	ما بين ٤٦٤ و ٦٤٥	ما بين ٤٦٤٧٧ و ٦٤٥٣٣		١,٢٩٦,٦٥٣	٨٤,١٢٨,٤٢٨
المجموع العام للإنتاج / كغ				**١,٢٩٦,٦٥٣**		
المجموع العام لقيمة الإنتاج/ ل.ل				**٨٤,١٢٨,٤٢٨**		

(١) الجمهورية اللبنانية، وزارة المال، إحصاءات إدارة حصر التبغ والتنباك اللبنانية (الريجي).

يسجّل الجدول تناقصًا حادًّا في عدد المزارعين بلغ حوالي (٥٠٪)، فبعد أن استقر العدد على (٣٣٠) مزارعًا في العام (١٩٧٣م)، وهو رقم مرتفع نسبيًّا بالنظر إلى عدد السكان، انخفض بشكل حاد عام (١٩٨٣م)، أي خلال عشر سنوات ليصبح (١٦٢) مزارعًا. مصدر في إدارة الريجي ردّ سبب الانخفاض إلى أجواء الحرب الأهلية عام (١٩٧٥م) والاجتياح الإسرائيلي للبنان عامي (١٩٧٨م) و (١٩٨٢م). يؤكد ذلك « توقف علي أحمد حسن خليل (أبو سعد اللّه) عام (١٩٧٥م) عن العمل بزراعة التبغ نهائيًّا لينتقل إلى محلة أبو الأسود والغازية وصيدا للعمل بالتجارة والعقارات والبستنة»[1]. واستمرّ العدد بالانخفاض ليسجّل عام (١٩٩٢م) انخفاضًا حادًّا بلغ (٢٣) مزارعًا أي ما نسبته (٣٨ , ٣٩٪). بالموازاة تم الحدّ من تراخيص المتنفذين لتبلغ (١٠) إلى (١٥) ومن ثمّ جمدت تمامًا، واستعيض عن تراخيص صغار المزارعين بأذونات زراعة. لذلك شهد القطاع ما بين (١٩٩٥م) و (٢٠١٧م) تأرجح العدد صعودًا ثم هبوطًا تراوح ما بين (٢٠٧) إلى (١٦٣) مزارعًا، لعدم تمكّن أصحاب الرخص من زراعتها إما بسبب الوفاة وانتقالها إلى الورثة الذين لا يعملون في الزراعة، وإمّا بسبب العجز الجسدي لكبار السن. تراجعت مساحة الأرض المزروعة أيضًا ومن ثمّ تراجع الإنتاج. وشهدت الفترة الممتدّة ما بين (١٩٩٥م) و (٢٠١٧م) هبوطًا وصعودًا، لم تتجاوز في أحسن الأحوال (٦٤٠) دونمًا أرض مزروعة و (٦٤٥٣٣) كغ كمية الإنتاج.

وحاليًّا تكاد بلدة عبّا تفتقد زراعة التبغ، حيث لا يعمل فيها، سوى (١٧) شخصًا، ليسوا بمزارعين متفرغين، إنما يتعاطون هذه الزراعة كمصدر دخل إضافي، وهم: حسن محسن، محمد علي محمود، جميل بو خليل، أديب عميص، حسين حسين، علي حسين حسين، خديجة أحمد حسن قاووق، أنيسة نعيم معلّم، أحمد حسين ترحيني، خديجة أحمد يونس، علي حسين ترحيني، منير سليمان، الحج يوسف حسين أحمد ترحيني، علي محمد مرتضى، محمد مرتضى، عبد اللطيف يوسف علي حسين. ومقدار ما يزرعون لا يتجاوز (٧٠) دونمًا. وهكذا أصبحت أراضي

(١) مقابلة مع علي محسن عبدو حسن...، مرجع سابق.

الوطى وغيرها موطن لزراعات بديلة في طليعتها أشجار الزيتون أو أماكن لتربية الشتول وأشجار الزينة والأشجار المثمرة.

إذا كانت زراعة التبغ في عبّا وصلت إلى هذا المستوى من التراجع، أصبح من المفيد معرفة من أين وكيف بلغ العدد (٢٠٧) مزارع و (٦٤٥) دونمًا مساحة الأرض المزروعة بحسب الجدول المنظم مابين (١٩٩٥م) و(٢٠١٧م). الجواب هو أن العدد لا يعبّر عن الواقع فأغلب هؤلاء ليسوا من مزارعي عبّا إنما حصلوا من أصحاب الرخص الحقيقيين، على ضمان لقاء بدل مالي زهيد لا يتجاوز في أحسن الأحوال الـ(٢٠٠) ألف ليرة سنويًّا، ومن ثمّ لا يعمل في هذه الزراعة عمال من البلدة، ولا يستفاد من عائداتها سوى القليل، وهو قيمة ضمان الأرض فقط. وبحسب الجدول فإن ما قيمته (٨٤,١٢٨,٤٢٨) أربعة وثمانون مليارًا ومئة وثمانية وعشرون مليونًا وأربعمائة وثمانية وعشرون ليرة تؤول معظمها لضامني الرخص، ويبدو أن مزارعي بلدة عدشيت يشكلون غالبية الضامنين، ويتصدرون القائمة في مجموع بلدات القضاء. وبحسب مصدر في إدارة (الريجي) لا تُعَدّ إعارة ضمان الترخيص من شخص آخر مخالفة للشروط. وأن الإدارة تتابع بواسطة مراسليها مراحل الزراعة والإنتاج وهناك ندوات إرشادية، وتوجه لمنح تراخيص جديدة سيما وأن جيل الشباب لديه ميل لهذه الزراعة، لكونها مدعومة من الدولة ويمكن أن تشكل مصدر رزق دائم لهم.

الصبّار- التوزّع الجغرافي لزراعة الصبّار غير واضح المعالم، إنما يقال منشؤها الأصلي أميركا الجنوبية - فنزويلا. في بلدة عبّا توزعت هذه الزراعة التي ورثها الأهالي عن آبائهم وأجدادهم، على مساحات واسعة من الأراضي البعلية والجبلية الصخرية، من دون تحديد فترة زمنية لها. والشائع أنها زُرعت منذ عقود كثيرة، يقول محمد خليل يونس أحمد هارون (أبو فايز): «تفتح وعيي على الحياة ونبات الصبار موجود في البلدة، أذكر جيدًا أنه في أثناء تَذْرِيَة القمح في البيدر كانوا يملؤون السلّة بالصبّار لتناولها للتخفيف من الظمأ. حينها كانت ثمار العنب قليلة جدًّا ومقتصرة

على من لديه عريشة أمام داره»[١]. كان الصبّار يوفر سياجًا جيدا للكروم المثمرة والحقول الزراعية أيضًا، لحماية أثمارها من العابثين والمتطفلين.

حتى فترة الأربعينات كان عدد شجيرات الصبار قليلًا جدًّا، يقول سعيد إبراهيم يونس «لاحقًا كثر الزرع وكثر الإنتاج وبما أن أسواق التصريف كانت معدومة كنا نطعم ما يفيض عن حاجتنا للأبقار. وعندما توفرت طرق المواصلات مع المحيط ومدينة بيروت أصبحنا نصدر الفائض من صبّير وتين لبيعه هناك»[٢]. من الناحية الاقتصادية في ظل الظروف الصعبة اعتمد مزارعو عبّا اعتمادًا كليًّا على زراعة الصبار الذي بات إنتاجه إلى جانب زراعة التبغ موردًا ماليًّا إضافيًّا لهم، بخاصة أن الصبّار العباوي هو من النوع (البراوي) الذي يعيش في البرية. وبحسب المزارع إسماعيل ترحيني « فإن من أسباب تفوق شجرة الصبّار على الزراعات الأخرى، أنها تنتج بعمر الثلاث سنوات، ويبدأ قطافها في بداية شهر تموز، وينتهي في بداية شهر أيلول، كما أنها تعطي من دون مقابل، وتعمر طويلًا»[٣].

قدّر إنتاج عبّا من الصبّار بمئات الأطنان، وبلغ ثمنها عشرات الآلاف من الدولارات، ومتوسط دخل المزارع الواحد حوالي خمسة آلاف دولار، إذ ما بيع الإنتاج في الأسواق المحلية أو اسواق الجملة. بدءًا من تسعينات القرن الماضي تراوح سعر الـ(١٠٠) حبة منه بين سبعة وعشرة آلاف ليرة في البلدة، وعشرين ألف ليرة في الأسواق المحلية، كما بيع في أسواق الجملة في النبطية وصيدا وبيروت ومختلف المناطق اللبنانية. يروي خليل علي محمود خليل ياسين(أبو

(١) مقابلة مع محمد خليل يونس، مرجع سابق. أيضاً ورد في رواية سالم المعوشي بعنوان «صواب» – دار الفارابي – الطبعة الأولى – ٢٠١٧ ص ١٣٩: «... ما بين عبّه (عبّا) والقرية التي تسبقها مسافة غير بعيدة لكنها مغطاة بشجيرات الصبّير التي امتدت كثيفة من خراج البلدة وبالقرب من بيوتها...» يذكر ان الرواية لم تحدد الجهة إنما يحيط بعبّا من الجهات الأربعة عدد من القرى هي: جبشيت – الدوير – مزرعة دمول – الزرارية – بريقع – عدشيت – القصيبة.

(٢) مقابلة مع سعيد إبراهيم يونس، مرجع سابق.

(٣) عدنان طباجة: «المن القطني يقضي على الصبّار» مقالة منشورة في جريدة السفير بتاريخ ٤١/ ٧/ ٢٠١٤م، ص٦.

علي) تجربته في بيع الصبّار في بيروت، فيقول: «سنة (١٩٥٥م) كنت أبيع الصبّير ولم يكن عندي ما يكفي سوى للاستهلاك الشخصي. وكنت أشتري حاجتي، من الفائض عن حاجة أهالي البلدة. ولم أكن الوحيد، أذكر من باعة الصبار، عبد الحسن كلوت، أحمد إبراهيم حمود، أديب قاسم عميص. عام (١٩٦٥م) عندما أيقنت أن تجارة الصبّار مربحة، ابتعت عربة خشبية بثلاثة دواليب، شراكة مع إبراهيم سارة وأصبحنا نؤمن حاجة السوق، من ضمان محصول العام الكامل من الصبّير بـ(٣٠٠) ليرة للموسم، من: الحاج علي دياب وقاسم الحاج إبراهيم، وبقينا حتى الثمانينات. وكان إبراهيم سارة يتولى قطاف الصبّير وأنا أبيعه في بيروت، بسعر ليرتين ونص لكل (١٠٠) كوز»[١].

وعمل عدد لا بأس به من أهالي البلدة في بيع الصبّير في بيروت والقرى المجاورة منهم: «نجيب مهدي ترحيني، محمد يونس (الطحان)، محمد محمود يونس، قاسم أحمد ترحيني، علي محمد ترحيني (علي زهرة)، إبراهيم قاووق، محمد أحمد يوسف ترحيني، إبراهيم خليل قاووق، حسن علي جواد، ومحمد علي يونس»[٢]. وكان الإنتاج يباع في بيروت الغربية وأحياء الضاحية الجنوبية لا سيّما برج البراجنة والشياح - الغبيري. وكان ثمن محصول الموسم كافيًا لإعالة عائلة لمدة سنة مقارنة بالتبغ. وبدءًا من سنة (١٩٨٠م)، وحتى أوائل القرن الحالي كان هناك عدد آخر يبيع محصوله لأشخاص، ليعاد بيعه في بيروت. من هؤلاء «محمد خليل ترحيني (أبو فايز) وحسين علي يونس وعلي حسن خليل يونس (أبو حسن) ومحمد داوود (أبو داوود) وآخرين كثر»[٣]. ومجمل إنتاج الصبار على مدى عقود طويلة كان يؤمن لمئات العائلات العبّاوية دخلًا موسميًّا من المستحيل احتسابه، تفاوتت قيمته الإجمالية من عقد لآخر رهنا بتطور أسعار السوق. أمّا إذا احتسبنا المعدّل الوسطي لعدد بائعي الصبار وكمية الإنتاج الموسمي وعدد

(١) مقابلة مع خليل علي محمود تولد ١٩٤٣ م، والدته شاتو جفال بتاريخ ٢٧/ ٤/ ٢٠١٨م.

(٢) نفس المرجع.

(٣) نفس المرجع.

السنوات والقيمة الإجمالية للمبيع لكل مئة (كوز صبّار) يكون مجموع القيمة الإجمالية هو عشرات الآلاف ومئات الملايين من الليرات اللبنانية.

وبذلك «تحولت نبتة الصبّار إلى ملجأ لمئات العائلات من أهالي البلدة؛ نظرًا لوفرة إنتاجهما وانخفاض كلفتهما وسهولة العمل فيها (تقتصر على قطاف الإنتاج فقط) مقارنة مع زراعات أخرى»[١]. إلا أنه في عام (٢٠١٣م) أصاب المرض نبات الصبّار في عبّا وبلدات الجوار وسبب خسارة مورد مادي لا يُستهان به، ويسمى المرض بحسب الخبراء الزراعيين الذين عاينوا الصبّار بتكليف من وزارة الزراعة، بـ(المن القطني)[٢]، ما جعل الثمار تصفرّ وتذوي قبل أوانها، إذ يميل لونها إلى الأصفر الفاتح الذي يشبه لون الموز الناضج بدلًا من اللون الوردي الطبيعي لنضوج الثمرة. وقد منع المرض (٨٠٪) من مزارعي عبّا من قطاف مواسمهم، لاعتقادهم بخطورته على صحتهم وعلى صحة المشترين منه في وقت قلّل الخبراء الزراعيون من خطورته، مؤكدين أنه بالإمكان تناول الثمار وبيعها طبيعيًّا. ولم تفلح الجهود التي بذلتها الجهات المختصّة للقضاء على الحشرة، لا سيّما بلدية عبّا التي «نظّمت بإشراف مهندس زراعي حملة إرشادية للمزارعين في حسينية البلدة، تضمنت إرشادات حول كيفية مكافحة المرض عبر رشه بالمبيد الزراعي اللازم وأحضرت كميات وافية منه، وسلمتها لمن يرغب من المزارعين»[٣].

(١) عدنان طباجة «المن القطني يقضي...، مرجع سابق، ص٦.

(٢) مصدر في مصلحة الزراعة في في النبطية أوضح أن المرض المعروف بمرض البطليموس أو المن القطني بدأ يظهر قبل حوالي ثلاث سنوات في بعض مناطق الجنوب اللبناني. وينتشر حاليًّا بشكل لافت للانتباه وعلى نحو كبير، وهناك امكانية لمكافحته والسيطرة عليه، وان بعض أدوية المكافحة موجودة في وزارة الزراعة، داعيا المزارعين إلى مراجعة المصلحة للقيام بما يلزم، سواء عبر تقديم الأدوية المتوفرة أم إرشاد المزارعين إلى استخدام أدوية غير متوفرة لديها التي تساعد على وقف انتشار المرض الذي يتسبب سنويًّا بقتل مئات النباتات.

(٣) نفس المرجع السابق والصفحة.

بعض الاستنتاجات:

كانت منطقة صيدا، أي جنوب لبنان وشمال فلسطين حتى العام (١٨٢١م) من أهم المناطق المنتجة للقطن في العالم، ومن أكبر أسواق المشرق على الاطلاق. وكانت زراعته إلى جانب منتجات زراعية أخرى تُعَدّ ركيزة أساسية من ركائز اقتصاديات جبل عامل. رغم ذلك كانت العلاقة بين جبل عامل وجبل لبنان تتخذ مسارًا استنزافيًّا، بدأ حين لم يستفد من تنامي التبادل التجاري الحاصل من تغلغل الأوروبيين، ولا من تطور طرق المواصلات، ولم يُدفع به إلى خضم الاقتصاد الرأسمالي العالمي، ولم يشهد التحولات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية الكبرى التي شهدها جبل لبنان، وحين أصبح فلاحوه رهائن للمرابين المحليين.

هذا الواقع الاقتصادي الأحادي الجانب القائم على الزراعة، والمثقل بالقيود، طال أثره السلبي من أهم مكونات القطاع، وهي الأرض، مما أدى إلى ارتفاع نسبة حيازة الأراضي الزراعية، لدى قلّة من المالكين. في عبّا مثلًا، تمكنت عائلات المكانة الاجتماعية من الاستحواذ على مساحات كبيرة من الأرض لأسباب متعددة. منها ما يتصل بعدم الخضوع لقانون القيد العقاري، حيث كان متاحًا لها استصلاح ما أمكن من أراضٍ واستغلالها لسنوات تصبح بعدها ملكًا خاصًّا لها. ومنها لأسباب اجتماعية تتصل بالدور الذي تؤديه في المجتمع، وكلاهما مثبت من حجم الحيازات الكبيرة عند بعض العائلات. ومع ذلك كان حجم الإنتاج الزراعي لدى هذه العائلات مرهونًا بشكل الحيازات، فقد كان أكثرها مبعثرًا في أنحاء متفرقة من البلدة. وكما هو معروف، أن هذا الشكل من الحيازات، هي ذات أثر سلبي لكونها تحدّيًا من الإنتاجية الكبيرة، ومن ثمّ القدرة على تصدير الفائض. لذا كان مردود الحيازات متوقفًا على قدرة المزارعين، على استخدام التقنيات الزراعية في إنتاج المحاصيل، وتصريف ما يفيض من إنتاج. فضلًا عن ذلك، لم تكن أدوات الفلاحة ووسائل الإنتاج أفضل حالًا مما سبق؛ لأن حداثة القرن التاسع عشر التي نعم بها الغرب، وجعلته يعتمد الآلة في الزرع والري والحصاد، افتقدها الفلاح العبّاوي كغيره من الفلاحين في جبل عامل. كذلك الزراعة بطريقة جيدة كان دونها

عوامل منها: التربة وخصوبتها، ورأس المال، والأيدي العاملة، والمناخ المناسب للإنبات، والسوق وحاجته للمنتجات.

هذا النمط بأدواته وطابعه أوجد في عبّا وسائل إنتاج مساعدة قائمة على الشكل المجتمعي للإنتاج، أو ما اصطلح على تسميته في الأرياف بـ(العونة) وهي وسيلة مبتكرة لسدّ النقص في الأيدي العاملة. كما أوجد المزارعة والمساقاة، وهما نوع من التعاقد وشراكة على كون الأراضي من طرف والعمل طرف آخر. واعتمدت هذا الأسلوب مرات عديدة، عندما كان مالك الأرض غير قادر على استغلال أرضه بنفسه، والأمر نفسه ينطبق على إجار الآدمي. وجميع هذه الأشكال صارت أعمالا ومهنًا تكرست مع الوقت، ومارسها بشكل دائم أشخاص معروفون. وبذلك انقطعت تلك العلاقة الخاصة بين الإنسان والأرض، وتم استيلاد أنماط، ستبقى لصيقة بذاكرة المجتمع العبّاوي، ليس من السهل تخطيها.

=

الفصل الثّاني:

عبّا تدخل دائرة المنافسة
وعلاقات الإنتاج في اقتصاديّات السّوق

التّبادل التّجاريّ وعلاقات العمل مع الدّاخل الفلسطينيّ (الجليل الأعلى):

مع اندلاع الحرب العالمية الأولى عام (١٩١٤م)، كان جبل عامل يرزح تحت كابوس الفقر والعوز، والسلطنة العثمانية تلاحق رعاياها ليس فقط لتجبي منهم الضرائب، بل لسوقهم إلى جبهات القتال. وكان يترامى إلى أسماع العبّاويين أن في الخارج بلدانًا غنية، يستطيعون فيها تحقيق طموحاتهم في وقت قصير، فعزم هؤلاء على الهجرة إليها، وشجعهم على ذلك التحسّن الذي طرأ على وسائل النقل العالمية بعد أن حلّت السفن البخارية محل الشراعية، وانتشرت السكك الحديدية. وكان من الذين أقبلوا على الهجرة باتجاه الأرجنتين وكندا، وأفريقيا، «يونس أحمد هارون، علي السيد حسين السيد أحمد، وهبي جواد خليل، هاشم حسن خليل، أحمد يونس محمد هارون، محمد خليل أبو دلا، أمين سيد حسين أحمد، (موسى حسن خليل وتوفيق حسن خليل - لم يعودا من الأرجنتين)، (علي مهدي أسعد حسين- توفي في كندا)، (حسين محمد مهدي أسعد حسين - توفي في كندا)، (إبراهيم علي حسين عميص- توفي في السنغال)، (داوود عميص- عاد من أمريكا عام (١٩٥٠م)[1]، جعفر ومحمد وحيدر يونس عيسى وحسين محمد يونس

(١) عندما عزم على العودة إلى لبنان نظمت له القنصلية اللبنانية في بوينس آيريس وثيقة هوية، هذه وقوعاتها: الجمهورية اللبنانية بطاقة هوية - وطنية، قنصلية لبنان بونس ايرس- الأرجنتين، محمد داوود عميص- والدته شملكان حرب تولد ١٨٨٥م جبشيت - صيدا - لبنان، الرقم الوطني: NL460/n، تاريخ الإصدار: =

معلم - (هاجروا ولم يعودوا)، يوسف أحمد خليل، عبدو حسين أحمد، عطا اللّه عميص، حيدر عميص، محمود عثمان. ويقال إن العدد بلغ حوالي العشرين»[١]. ومع انتهاء الحرب وإعلان تأسيس دولة لبنان الكبير، لم يعد من هؤلاء إلى لبنان سوى عشرة منهم. ولأن فترة الإقامة في المهجر كانت قصيرة لم يتسنَّ لهؤلاء جمع المال لاستثماره، وجل ما أتوا به مبالغ ضئيلة سرعان ما نفذت[٢]، وبذلك لم يسهم الاغتراب في تحقيق طموحاتهم وإنعاش اقتصاديات البلدة على غرار ما فعل غيرهم من المغتربين.

ولأن الهجرة لم تُؤتِ ثمارها اتجه البعض من عبّا للعمل في فلسطين، واستمروا حتى عام (١٩٤٨م). ساعدهم على ذلك، قرب المسافة، ومتانة العلاقات الاجتماعية والتجارية التي نسجها العبّاوبون مع بعض عائلاتها، ومنها عائلة بربش، من هؤلاء الأشخاص: توفيق حسين أحمد وأخواه محمد وأحمد وعمهما عبد اللطيف وجارهما كامل كلوت[٣]. غير أن العلاقة التجارية الأوسع مع فلسطين - الجليل الأعلى، يروي تفاصيلها محمد خليل ترحيني (أبو فايز) فيقول: «كانت عائلة بربش في فلسطين تعمل في التجارة، وأسست علاقات تجارية مع بعض رجالات البلدة، منهم، السيد علي يونس، أبو نايف إبراهيم حسن خليل وكذلك طعان قانصو من بلدة الدوير. ومهمة هؤلاء كانت، جمع ما يتوفر من بيض الدجاج من البلدة والبلدات المجاورة وإرسالهم إلى عائلة بربش. ومن ثمّ يأتي تجار يهود وطنيون لنقلها إلى الداخل الفلسطيني. يضيف (أبو فايز)، قبل النكبة كنت قصدت

= ١٢ كانون ثاني ١٩٥٠م، الإمضاء، القنصل حبيب صالح. وثيقة رقم (٣١).

(١) مقابلة مع سعيد إبراهيم يونس، مرجع سابق.

(٢) عندما عاد أحمد يونس محمد هارون من الأرجنتين، كل ما أتى به، هو ساعة جيب مصنوعة من الذهب الخالص. امتاز أحمد بشخصية وبنية قوية جدًّا، وكان حاد المزاج، لدرجة أنه ذات يوم، وقبل زواجه من تفاحة مقدّم من زبدين، قصد بلدة أنصار بطلب الزواج، وعندما اشترط عليه أحد أنسباء العروس، إبراهيم فيّاض (مدير ناحية النبطية أواخر العهد العثماني) وهو من كبار ملاّكي أنصار إعطاءه الساعة، وكانت معلّقة في عروة الجاكيت (مدخَلُ زِرِّه) رفض الأمر وانتفض قائلًا، عدلت عن الزواج وخرج. مقابلة مع سعيد إبراهيم يونس، مرجع سابق.

(٣) مدونة العرايس: السنة ١٧، مرجع سابق، ص ١٣.

أنا والسيد علي يوسف أسعد ترحيني (أبو حسين) بلدة هونين وكذلك طبريّة. وكان معنا أيضًا حسن عبدو وعلي قاووق وجميل سارة وسلمان علي حسين أحمد»[١]. والسيد علي يوسف أسعد، كان على معرفة جيدة بتجّار من بلدة مركبا المحاذية للحدود مع فلسطين، وهكذ عملنا سويًّا معهم لمدة أربع سنوات»[٢]. وكان هذا النوع من التجارة مخالفًا لقوانين إدارة الانتداب الفرنسي ولشروط السلامة العامة، لأن نقل البيض والمواشي بين لبنان وفلسطين كان يخضع لشروط ومراقبة صحية، بناء لقرار المفوض السامي[٣]. فضلًا عن بعض التجار، الذين كانوا يعدّونها منافسة غير مشروعة لتجارتهم.

ولم يقتصر العمل باتجاه فلسطين على نقل البضائع، بل شمل مجال قطاع الخدمات. يضيف (أبو فايز)» أيضًا قصدنا مدينة حيفا، وهناك من عمل في المرفأ لمدة شهرين أو ثلاثة، بأجر (٦٠) قرش فلسطيني، كذلك شبّان من بلدة جبشت.

---

(١) مقابلة مع محمد خليل يونس، مرجع سابق.

(٢) «منزل والدي السيد خليل وعمي السيد على كانا مكانين لتجميع البقر والبيض، وكنت اختار البقرات ذات البنية القوية، لكونها لديها القدرة على قطع المسافات ولا تثير المتاعب. ليلًا، كنّا ننقلهم إلى هونين، لم يكن أهلها قد تهجروا بعد. كنّا نتقاضى ١٠ليرات، ونجتاز مياه نهر الليطاني ونتحاشي المرور على الجسر. كان تجّار البقر يسيرون أمامنا لإستكشاف الطريق خوفًا من وجود دورية للدرك. العودة من هونين كانت سيرًا على الأقدام، لأن العودة بالباص سوف تعرضنا لاستجواب حواجز منع التهريب. ذات يوم، ليلًا، بالقرب من مزرعة برنبا القريبة من بلدتي فرون والقنطرة، وكان السيد يوسف الريّس علينا، كنّا نقود حوالي ١٥٠ رأس بقر وعدد من البغال والحمير المحمّلة بالبيض. كنت مكلفا بالمسير بعشر بقرات، ولأن المسير كان صعودا تباطأ مسير بقرة واحدة، ولأن من كنت برفقتهم تعجلوا المسير بسبب إطلاق نار تعرضنا له من ناحية مزرعة برنبا، تركت البقرة واستعجلت اللحاق بهم. لما عرفوا بالأمر أصروا على الرجوع والعودة بالبقرة المفقودة. كانت المفاجأة أننا وجدنا البقرة قد ذبحت وتركت مكانها. يهود فلسطين كانوا يشترون البيض، نظرًا لعدم وجود مزارع دجاج لديهم». مقابلة مع محمد خليل يونس، مرجع سابق.

(٣) المادة الأولى القرار: ممنوع، إلى أن يصدر أمر آخر، استيراد جميع المجترات من كبيرة وصغيرة (الأبقار والأغنام والماعز والجمال) والخنازير وجلودها وكل ما يستخلص منها والطيور الداجنة الحية الآتية من فلسطين إلى الدول المشمولة بالانتداب الفرنساوي. غير أنه يسمح باستيراد جلود ومستخلصات هذه الحيوانات المذكورة أو غيرها من الحيوانات إذا كانت مملحة ومنشفة ومرفقة بشهادة من السلطات البيطرية في بلد مصدرها. تم تكليف تنفيذ قرار المراقبة، إلى أمين السر العام ومندوبي المفوض السامي لدى الدول والحكومات المحلية ومدير الدائرة الصحية البيطرية ومفتش الجمارك العام. قرار المفوض السامي رقم ٣٦ تاريخ ٠٥/ ٠٤/ ١٩٣٢م، الجريدة الرسمية، العدد ٢٦٤٧، تاريخ ٢٢/ ٤/ ١٩٣٢م، ص٢.

ومرفأ حيفا كانت ترسو فيه شهريًّا حوالي (١٥) باخرة في حين كان يرسو في مرفأ بيروت باخرة واحدة .بالنسبة لي بقيت أعمل في مرفأ حيفا من عام (٤٢) لغاية (٤٦) وكنت أدّخر ما بين (٣٠) و(٤٠) ليرة، وكانت الليرة الفلسطينية تساوي (٧) ليرات لبنانية، وليرة الذهب تساوي (٥) ليرات ونصف لبناني. لم يعمل أحد في فلسطين بالزراعة، أولاد السيد علي حسين أحمد (محمد وأحمد (عملًا في مقهى يقع في شارع الملوك. في حيفا استأجرنا غرفة في دار يملكه شخص من آل خزعل من النبطية، مقدار الإيجار كان ليرة شهريًّا عن كل شخص»[١]. وقصد آخرون فلسطين للعمل فيها ومن ثمّ قصدوا الشام وبيروت، من بينهم كان محمود علي أحمد دياب. تلك المرحلة يروي تفاصيلها، شقيقه محمد (أبو عباس) فيقول: « في عمر (١٧) عامًا قصد أخي محمود فلسطين للعمل، واحترف هناك مهنة الحدادة الإفرنجية ومن ثمّ عمل بإشراف وكيل يهودي في ثكنة لجيش الانتداب البريطاني. وعند انطلاق شرارة الحرب بين العرب واليهود، عاد إلى عبّا بطلب وإلحاح من والدتي التي ذهبت بنفسها إلى فلسطين لهذه الغاية»[٢]. غداة الحرب انقطع العمل في فلسطين كليًّا لا سيما في مرفأ حيفا. فبعدما كان نفوذه قد امتد مع امتداد المنطقة التي أمّن مواصلاتها خط الحجاز، وشملت سهول عكا وغور الأردن وحوران ودمشق، شكّل عهد الرئيس كميل شمعون العصر الذهبي للاقتصاد اللبناني، بعدما أقفل مرفأ حيفا في وجه التجارة العربية وانتقال النشاط إلى مرفأ بيروت، بتدفق الرساميل الفلسطينية ومعها اليد العاملة، وتاليًا رؤوس الأموال السورية على إثر القطيعة الاقتصادية معها. كل ذلك شكّل عامل جذب للعمالة العبّاويّة التي تسابقت للنزوح إلى بيروت للعمل فيها، عمالة شملت مختلف الفئات والمهن.

(١) مقابلة مع محمد خليل يونس، مرجع سابق.

(٢) مقابلة مع محمد علي أحمد دياب، مرجع سابق.

عبّا بين النزوح للعمل في بيروت والهجرة إلى الخارج:

لم تُحدث نكبة فلسطين تغيرًا جوهريًّا في الواقع الاجتماعي العبّاويّ سوى أنها سرّعت وتيرة النزف البشري. فمن كانت وجهته للعمل، فلسطين تحوّل الي بيروت، بعد اعتماد مرفئها محطة انطلاق للبضائع إلى الداخل العربي. ومن ثمّ فقد أوجد هذا الأمر فرص عمل وحافزًا للقدوم من قرى الأطراف للعمل في بيروت والمرفأ.

إذ إنّ هجرة القوى الشابة من عبّا للعمل في بيروت بسبب ضيق الأحوال، كان عنوانًا لمرحلة جديدة، فضّل فيها البعض النزوح والعمل في مهن لم يمارسها أو يتقنها من قبل، من بينها الحمّالة ومسح الأحذية. وكان صغار العمال والطاعنين في السنّ يحملون على ظهورهم (سلّ) يجوبون به الأسواق الشعبية، وأشهرها سوق النورية، أو الشوارع المتفرعة منها بحثًا عمّن يحمل له أثقاله لقاء قروش قليلة، فيما البعض اختار مسح الأحذية. أمّا الشباب، فقد فضلوا العمل في المرفأ أو البور (Port) وهو الاسم الشائع، ينقلون على ظهورهم الأحمال الثقيلة من السفن إلى البر[١]. وهؤلاء كانوا يعملون طيلة النهار في ظروف مناخية واجتماعية قاسية جدًّا، لقاء القليل من المال. من هؤلاء شريف عبد اللّه جواد خليل الذي قصد (المدينة)، وعمل في مهن متعددة وخبِر عن قرب إشكالية العلاقات الاجتماعية السيئة مع أهل السنّة في بيروت[٢]. وأيضًا كان محمد خليل يونس أحمد هارون (أبو فايز)

(١) فايز ترحيني: دائرة الشوك حكاية الولد...، مرجع سابق، ص٣١.

(٢) « في أربعينات القرن الماضي قصدت والعائلة بيروت حيث أقمت في حيّ ساقية الجنزير، وكانت لا تزال منطقة زراعية بامتياز، ومن ثم انتقلت إلى حيّ البسطة، وكذلك فعل قاسم محمد مهدي أسعد حسين حسين.عملت حمالًا في سوق النورية وسوق درج خان البيض وسوق اللحامين ومن ثم ماسحًا للأحذية وبائع كستنا وخضار على عربة صغيرة (كرّاجة)، لقد كانت أيام فقر وعوز. ولم أعمل في المرفأ بسبب خوفي من العمل على الباخرة والبحر. ثم عملت في فندق (نيو رويال) الكائن في حي الزيتونة بصفة بواب حوالي سبع سنوات. تعرفت خلالها على سيدة تدعى روزلي صرّوف من بلدة المتين ورثت عن زوجها بعد وفاته. كانت سيدة لطيفة يزورها من حين لآخر عدد من الأشخاص من بينهم عزّت الزين نجل يوسف بيك الزين وكان شابًّا وسيمًا يقيم في حيّ الأشرفية بالقرب من (حاووز الماء) وكانت العلاقات الاجتماعية بين الشيعة القادمين من جبل عامل والبقاع والسنّة في بيروت يسودها بعض الفتور. عندما كنا ندخل مساجدهم =

واحدًا من هؤلاء الذين دفعتهم الأحوال المعيشية السيئة المتأتية من قلّة مردود الأرض، للنزول في عمر مبكّر إلى بيروت والعمل في المرفأ لدى شركة القيسي. ثم في العام (١٩٥١م) للعمل في إحدى مطاحن القمح»[١]. وكانت مغريات العمل في بيروت التي تناهت إلى مسامع من بقي في البلدة، تدفع بهم للانضمام إلى من سبقهم.

إلا أن البعض منهم، وبسبب ضيق مساحة الأمل لديهم بغد أفضل، في وقت بدأ فيه ربّ العمل يضيّق الخناق على عمّاله (الحمّالة) من المؤيدين للمعارضة، منهم: شريف عبد اللّه جواد[٢]، وسعيد إبراهيم يونس[٣] وعبدو إسماعيل، وكان في عمر (٣٠) سنة عندما عمل في مرفأ بيروت لمدة خمس سنوات متتالية[٤] وشريف

= للصلاة، كنّا نحبو على الرِكبْ» مقابلة مع شريف جواد خليل، مرجع سابق.

(١) مقابلة مع محمد خليل يونس، مرجع سابق. عن تلك المرحلة يذكر فايز تحيني في كتابه دائرة الشوك انه «في هذه الأثناء لاحت للأب فرصة ذهبية إذ استبدل الحمالة العشوائية على البور التي لا يحكمها ضوابط بحمّالة دائمة في مطحنة للقمح بإيجار يومي مقداره خمس ليرات لبنانية، وهذا المبلغ يحسد عليه. وأصبح للأب دخل ثابت لذا قرر أن يأتي بأسرته إلى إحدى ضواحي العاصمة فايز ترحيني: دائرة الشوك حكاية الولد...، مرجع سابق، ص٣٢.

(٢) « بعد ان مللت من العمل في الفندق، ولم يعد الراتب يكفي حاجيات عائلتي المكونة من خمس بنات، وانطلقت زراعة التبغ في جبل عامل، طلبت من السيدة صرّوف التدخل لدى عزّت الزين للحصول على إجازة لزراعة التبغ (رخصة دخان)، وهكذا كان، فقد حصلت على إجازة خمسة دونمات». مقابلة مع شريف جواد خليل، مرجع سابق.

(٣) «كالعديد من شبان البلدة، قصدت بيروت. بداية عملت حمّال سلّ في سوق النورية، ومن ثم في مرفأ بيروت عند آل القيسي لمدة سنتين، لم يكن أصحاب العمل يحسنوا معاملتنا فكانوا يكيلون لنا الإهانات والشتائم. بسبب ذلك انتقلت للعمل في مطاحن بقاليان للحبوب في منطقة الكرنتيا لمدة أربع سنوات. خلال هذه الفترة كنت قد تزوجت وأصبح لديّ ثلاثة أولاد زينب ١٩٥١م- محمد ١٩٥٣ م- علي١٩٥٥م ونزلت عند رغبة زوجتي بالعودة إلى البلدة والعمل فيها. «. مقابلة مع سعيد إبراهيم يونس، مرجع سابق.

(٤) « عندما عدت إلى البلدة عملت في زراعة التبغ بعد أن اشتريت رخصة أربع دونمات من دير الزهراني. بالإضافة إلى حفر البيارة في كل من بلدات زبدين والنبطية والنميرية. وفي عدشيت حيث تمكنت من قطع حوالي ٢٠٠٠ حجر بمدة أسبوع. وعملت أيضًا في مقلع حجارة في البلدة قرب بيدر بيت القاووق وآخر قرب عين الفوقا، ومن هذين المقلعين تم بناء الحسينية القديمة. أيضًا عمل في مهنة مقلع الحجارة علي جواد هارون كنت استعمل مادة البارود لتفجير الصخور دون ترخيص من الدرك، كنت اشتريها من شخص يدعى أحمد يحيى من بلدة الشرقية، وعندما شاع استعمال حجر الباطون توقفت عن العمل». مقابلة مع =

أمين[1] ولم يجدوا سبيلًا لردعه [رب العمل] قصدوا زعيمهم السياسي علّه يجد لهم حلًّا. وبوصولهم وجدوا أن الباحة الخارجية للقصر قد اقتظت بالناس، وأن كراسي القش الصغيرة قد ضاقت بشاغليها... وما إن علم الزعيم بحاجة زواره الجدد حتى تناول هاتفًا، وأخذ يهدد ويتوعد، وأغلب الظنّ أن الهاتف كان مقفلًا... لكن أحوال العمّال بقيت تسير من سيئ إلى أسوأ[2]. فما كان منهم إلا أن عملوا لفترة قصيرة وقفلوا عائدين إلى عبّا.

وكان يونس أحمد هارون قصد في عشرينات القرن الماضي بيروت وعمل في مهنة حفر الأباروالجوّر، وكانت مهنة شائعة. واستمر يعمل فيها من حين لآخر حتى أوائل الأربعينات. هناك تعرف على إبراهيم نور الدين، الذي عمل معه، بالإضافة إلى محمد عز الدين، وأحمد ساره، وحسين علي ساره، وجميعهم سكنوا حي خندق الغميق. وكان ليونس شقيقان، هما (محمود ويوسف) توفيا في أثناء عملهما بحفر الجور، وكانت تنهار فجأة من دون سابق إنذار، ووسائل الإنقاذ كانت بدائية[3]. أيضًا عمل في بيروت عارف إبراهيم نور الدين ماسح أحذية وسكن في محلة قصص، وبقي فيها لحين وفاته[4]. أمّا محمود علي دياب شقيق (أبو عباس)، وبعد مجيئه إلى عبّا من فلسطين حيث عمل فيها في مهنة الحدادة الإفرنجية، فلم تدم إقامته في البلدة طويلًا، بعدما «تعرّف على أحد المهندسين وذهبا سويًّا إلى الشام وافتتحا دكانًا للحدادة الإفرنجية، عمل فيها (أبو عباس وكان

= عبدو إسماعيل علي حسين تولد ١٩٢٢ م، مرجع سابق.

(١) «اول عمل مارسته في بيروت كان بيع العلكة والملبن والراحة، ثم حمّال في سوق الخضار أو سوق النورية، ثم ماسح أحذية. في ذلك الوقت كان عادل عسيران رئيسًا للمجلس النيابي وكنّا نطلب منه عبر وسطاء تأمين عمل أفضل، حارس أو عامل تنظيفات في بلدية بيروت، وكان جوابه دائمًا (روح اشتغل بالأرض). ولأن الزراعة لم تكن ذات مردود ومربحة، أستطيع القول إن غالبية شباب عبّا عمل في مرفأ بيروت حمالًا لدى شركة القيسي حيث كان الواحد منهم يحمل على ظهره كيس القمح زنة ١٥٠ كيلو ويصعد به على ظهر الباخرة.» مقابلة مع شريف أمين أحمد خليل، مرجع سابق.

(٢) فايز ترحيني: دائرة الشوك حكاية الولد...، مرجع سابق، الصفحات ٣٨ – ٣٩.

(٣) مقابلة مع محمد خليل يونس، مرجع سابق.

(٤) نفس المرجع.

في الثانية عشرة من عمره (وأخوه أبو علي لمدة خمس سنوات. كانوا يصنّعون الحزانات الحديدية للجيش السوري. ثم انتقلوا بعدها إلى مدينة اللاذقية لمدة سنتين. ثم إلى محلة الدورة شمال شرق العاصمة بيروت مدة أربع سنوات استطاع خلالها أبو عبّاس، تملك عدد من العقارات في محلة برج حمود[١]. وكان حسين سليمان حريري قد عمل في مهن عدة منها: الحدادة الإفرنجية، ثم في مطار بيروت ولم يكن يتجاوز الـ(١٥) عامًا، ليعود لاحقًا للعمل في مهنة الحدادة عند أبي عباس في النبطية، ثم عامل بناء إلى أن استقر أخيرًا على الزراعة»[٢]. أيضًا طال النزوح إلى بيروت النساء. فقد كان ليوسف أحمد هارون ابنة فقط تدعى سكنة عملت خادمة لدى إحدى عائلات برج البراجنة، ولمّا توفيت دفنت هناك[٣]. وهناك من نزح من البلدة ليس طلبًا للعمل، إنما لأسباب اجتماعية قاهرة. كالزواج من خارج البلدة، أو بسبب فقدان معيل الأسرة، أو نتيجة نزاع عائلي. منهم من نزح قبل إحصاء (١٩٣٢م) لذا جرى قيدهم في سجل المقيمين في البلدة التي نزحوا إليها. منهم حسين محمد إبراهيم - هارون ١٩٠٥ - ٢٠١٢ وذلك بعد أن توفى والديه وهو رضيع ولقب بـ(الخدراوي) أو (الخضراوي) وهو اللقب الأصح. كذلك سيرة عمه حسن إبراهيم - هارون الذي انتقل أيضاً للعيش خارج بلدة عبّا كفرصير أولاً ثم بيروت وأنجب ولدين هما محمد وأحمد. لاحقاً جرى قيد نفوسه ومحل إقامته تحويطة النهر - فرن الشباك - شرق العاصمة بيروت. في بلدته كفرصير ينادونه (بالعباوي) نسبة إلى مسقط رأسه الأول بلدة عبّا. إلا أنه سجل في دوائر النفوس بكنية ترحيني وليس (إبراهيم) كنية ابن أخيه (حسين)[٤]. وحسن وحسين محمود

(١) عن تلك المرحلة يقول أبو عباس «حدث معي أن عملت توكيلاً لأبو أحمد معتوق وكان يعمل مخلّص معاملات في الدائرة العقارية، لأجل الاستحصال على سندات ملكية لعقارات برج حمود سنّ الفيل فما كان منه إلا انه باع العقارات وسجلها بأسماء مشترين من المسيحيين والأرمن الأمر الذي تسبب لي بخسائر فادحة، ولم أتقدم بشكوى ضده لعدم وجود دليل بحوزتي. مقابلة مع محمد علي دياب، مرجع سابق.

(٢) مقابلة مع حسين سليمان، مرجع سابق.

(٣) مقابلة مع محمد خليل ترحيني.

(٤) الأب إبراهيم كان مجندًا في الجيش العثماني واختفى أثره والأم خديجة علي حسين (ترحيني) توفيت نتيجة مرض، فتكفله جدّه علي حسين (ترحيني) وكان فاقدًا للبصر وطاعنًا في السن. وكان حسين يتردد من =

أحمد هارون نزحا إلى الشياح بعد وفاة والديهما، وعلي أحمد هارون نزح إلى الغازية بعد زواجه من إحدى بناتها. أما أحمد يونس محمد هارون، وبعد عودته من الأرجنتين، فقد تزوج من تفاحة أمين مقدّم من بلدة زبدين وأقام في غرفة في دارة والده يونس الكائنة في ساحة آل هارون. وعندما جرى إحصاء سنة (١٩٣٢م) كان لا يزال مقيمًا في البلدة، وقيّد على خانة المقيمين فيها سجّل (١١٧)، إلا أن خلافات عائلية اضطرته للانتقال إلى بلدة زبدين والعيش فيها[1].

وكانت الإقامة والسكن في بيروت في غاية الصعوبة من حيث شروط الإيجار وكلفته. لذا كان العبّاويون يحبذون السكن الجماعي بهدف تقاسم بدل الإيجار. يروي (أبو علي) شريف أمين، أنه أقام في «غرفة مشتركة مع آخرين لقاء بدل شهري (٣) ليرات، وكان المتاع، كلّ ما هو ضروري من أثاث ولِباس ولوازم

= وقت لآخر على دارة خاله إسماعيل ويوسف علي حسين. وبعد سنة على وفاة والدته ولأن وضعه الأسري على هذا النحو كان غير مستقر، أخذه خاله إسماعيل إلى كفرصير للعيش عند الحج محمد حسن سبيتي (أبو حسن) وهو زوج خالته الحجة عليّا علي حسين (ترحيني) واستقرّ في كفرصير إلى حين إحصاء سنة ١٩٣٢م حيث سجّل على خانة المقيمين فيها بكنية (إبراهيم) اسم جده وليس (ترحيني) كباقي أفراد العائلة وذهبت كنيته مع ولده علي (إبراهيم) في سجلات الأحوال الشخصية رقم القيد ٤٤ ثم نزح إلى بيروت حيث واجه مرارة العيش. واستقر بصورة نهائية في كفرصير بعد الزواج منها وتكوين عائلة.
وحول لقب «الخدراوي» أو «الخضراوي» وهو اللقب الأصح فذلك يعود بحسب ما قاله لي ولده علي «إبراهيم» نقلاً عن ما سمعه من خاله السيد إسماعيل ترحيني: إن والده حسين عندما كان في عمر لا يتعدى الـ ١٤ سنة كان مولعاً ومواظباً على وضع طاقية بيضاء اللون يحوطها قطعة قماش خضراء اللون على رأسه في إشارة منه وإصرار على أنه ينحدر بالنسب من (السادة) آل البيت وكان مصراً على ذلك فكنّي بهذا اللقب وأصبح متداولاً على ألسن الأهل والجيران في عبّا. مقابلة مع علي حسين محمد إبراهيم (ترحيني) بتاريخ ٨ حزيران ٢٠٢٥.

(١) « ظروف إقامته في زبدين، يرويها محمد خليل يونس، مرجع سابق، كالتالي: السيد أحمد يونس محمد هارون لقّب في عبّا بـ(الزبديني) لكونه أقام في البلدة قرابة ثلاثة عقود. ظروف إقامته في بلدة زبدين مختلفة عن غيرها. السيد أحمد كان يملك غرفة في دارة والده يونس محمد هارون. لكن عندما قامت الحجة عدرا زوجة شقيقه وهبي والحجة عبلة زوجة ابن عمّه علي جواد بافتعال المشاكل لزوجته الحجة تفاحة لدرجة قيامهن بضربها في الساحة العامة، رفضت الاستمرار بالعيش في عبّا اصرّت على زوجها السيد أحمد المغادرة إلى زبدين للسكن هناك، بداية اعترض على طلبها ثم نزل عند رغبتها وانتقل للعيش في زبدين. اهل البلدة أبدوا له كل الاحترام والتقدير والمحبة. وبقي فيها عقودًا من الزمن، وحين وفاته دفن في جبانة بلدته عبّا ». مقابلة مع محمد خليل يونس، مرجع سابق.

(طراحة إسفنج ووسادة مع غطاء من قماش) فقط لا غير. عند الصباح كانت تحزم بحبل وتوضع بجانب الحائط»[١]. ووجد العبّاويون ضالتهم في دار المصيطبة، عند الحاجة ألماظة. من هؤلاء، حسن علي جواد ترحيني (أبو أنيس) وعلي أحمد يونس هارون (أبو حسين) كان ذلك عام (١٩٥٤م)[٢]. ومنهم من أقام في محلة الغبيري لدى ديب درغام واستأجر غرفة مع مطبخ صغير ومرحاض مشترك بين عدد من العائلات»[٣].

قبل اكتشاف النفط، لم يكن الاغتراب اللبناني إلى الدول العربية ذات شأن؛ لأن الأحوال الاجتماعية والمعيشية فيها لم تكن أفضل مما كانت عليه في لبنان. إلا أنه مع بداية الحرب عام (١٩٧٥م) ونظرًا للأوضاع المأساوية التي سادت فيه، وخصوصًا في جبل عامل نتيجة الاحتلال الإسرائيلي تكثّفت موجات الهجرة والاغتراب. لكنّ ما ميّز اغتراب الشباب العبّاوي أنه اكتسب صفة المؤقت، خاصة عند أولئك الذين اتجهوا نحو دول الخليج العربي وأفريقيا بحثا عن فرص عمل أفضل. ومن قصد منهم دولًا كبرى مثل الولايات المتحدة وأستراليا وكندا وألمانيا وبريطانيا وفرنسا وغيرها، معظمهم لم يحصلوا على جنسيات بديلة. وساهمت وسائل النقل السريعة في تقريب المسافات، وأتاحت للمغترب العبّاوي، زيارة الأهل بصورة منتظمة.

(١) مقابلة مع شريف أمين أحمد خليل، مرجع سابق.

(٢) هي من آل قاووق شقيقة عبد الكريم ساره قاووق، تزوجت رجلاً من آل شاهين ميسور ماديًّا. كانت تتمتع بشخصية قوية ولها حضور فاعل لدى عائلتها. امتلكت دارًا في محلة البسطا، وعندما توفي زوجها انتقلت إلى محلة المصيطبة. الدار كان عبارة عن غرف مستقلة، تؤجرها لعمّال وعائلات عبّاوية يعملون في العاصمة. مقابلة مع حسن علي جواد محمد هارون (أبو أنيس) والدته عبله بتاريخ ٣٠/ ٥/ ٢٠١٢م.

(٣) عن ظروف السكن في الغبيري، يذكر فايز ترحيني في كتابه دائرة الشوك، انه « بعد خروجه من المستشفى اصطحبه والده إلى حيث يسكن كي يبيت ليلته قبل العودة إلى الضيعة. للوهلة الأولى ظنّ أن أبناء ضيعته وأبناء القرى المجاورة أتوا جميعًا لعيادته، لكن حين أتى موعد النوم أدرك أن هؤلاء الذين تجاوز عددهم خمسين يعملون جميعًا في الحمالة أو العتالة، ويتقاسمون النوم في غرفتين صغيرتين ما أعاد إلى ذهنه صورة النوم تحت الأرجل طوال عامين دراسيين. فايز ترحيني: دائرة الشوك حكاية الولد...، مرجع سابق، ص٣١.

في هذه المرحلة تميّز الاغتراب العبّاوي، بأن أفراده كانوا من ذوي المهن والكفاءات التي تحتاج إليها أسواق العمل، في مشروعات التنمية، لا سيّما تشييد المباني والبنى التحتية في بلاد كانت في طور النهوض. واستطاع هؤلاء الحصول على أفضل تقديمات فرص العمل مقارنة بباقي الجنسيات. ومع بدء تراجع الليرة اللبنانية أمام العملات الأخرى عام (١٩٨٦م)، وانعكاس ذلك جمودًا في الحركة الاقتصادية وشللًا في معظم القطاعات العاملة، تصاعدت وتيرة الاغتراب العبّاوي وهذه المرة طالت فئة الاختصاصات المهنية العليا وأصحاب المهن الفنية المختلفة والعمال في محلات البيع والتجارة والعلوم الرياضية والكومبيوتر وإدارة الأعمال والمحاسبة والتجارة.

وبحسب الإحصاءات تبين أن مجموع المغتربين إلى أفريقيا والخليج والأمريكيتين على مدى سنوات الحرب والسنوات التي تلت بلغ حوالي (١٧٠) مغتربًا وهم[١]: محمد قاووق، جواد حسن محمود أحمد هارون، عبد الرؤوف علي مصطفى، أحمد علي مصطفى، حسن عبدو إسماعيل، علي عبدو إسماعيل، أحمد عبدو إسماعيل، إسماعيل شريف علي حسين، طلال شريف علي حسين، سليمان حسين علي حسين، علي حسين مرتضى،حسن رضا، محمد رضا، علي رشيد أمين، محمد رشيد أمين، جعفر عبد اللّه حمود، أحمد خليل محمد خليل، إبراهيم عبد اللّه حمود، محمد عبد اللّه حمود، أحمد عبد اللّه حمود، حسين عبد اللّه حمود، عبد الكريم عثمان، عبد العزيز عثمان، علي محمد موسى محمد عبود، علي عبود، عبد الحليم قاووق، قاسم محمد عبدو، حسن أمين معلم، حسين أمين معلم، علي نعيم معلّم، إسماعيل موسى، حسين علي يوسف، يونس محمد يونس، يوسف محمد يونس، أحمد محمد يونس، علي جفال، حسين زينو قاووق، أبو نبيل قاووق، حسن إبراهيم ترحيني، محمد إبراهيم ترحيني، السيد

(١) استندنا في إعداد هذه اللائحة من الأسماء، على إحصاء قام به علي مصطفى محمد قاسم محمد خليل(أبو مصطفى) اغترب في دول الخليج فترة تزيد على الربع قرن. وهوعلى معرفة بجميع من اغترب من أبناء جيله.

أبو ايمن، علي الإمام، ديب محمد عبد الرسول، علي حسين أحمد، نايف منيف، عفيف منيف، علي منيف، محسن سليم، حسين محمد ترحين، حسن محمد إسماعيل، أسعد سعيد ترحيني، محمود حسن ترحيني، علي مصطفى ترحيني، محمد مصطفى ترحيني، عفيف محمد علي جواد، علي محمد علي جواد، أحمد يونس، حسيب جفال، نجيب جفال، قاسم سلامي، وهب علي حسن أحمد ترحيني، مصطفى علي ترحيني، هيثم علي ترحيني، هشام علي ترحيني، حسين علي رضا، يوسف علي رضا، أحمد معلم، محمود حريري، فهد حريري، حسن خليل ترحيني، علي دياب، إبراهيم دياب، محمد علي يوسف، أحمد علي يوسف، حسن حسين علي محمود، الدكتور علي شريف، قاسم محمود هاشم، علي سلامة، ابرهيم محمد حمود، جمال عبد الحليم، عدنان عبد الكريم، علي سلمان، يحي الحاج حسن، محمد حسن عميص، محمد محمود ترحيني، علي خليل محمود، محمد أحمد إسماعيل، حسين علي حسين، أحمد حسين علي حسين، الدكتور حسين أحمد ترحيني، الدكتور أحمد عبد الحسن عميص، فرج أمين ترحيني، حسين أمين ترحيني، إبراهيم أمين ترحيني، قاسم محمد كلوت، علي عبد الحسن كلوت، إبراهيم محمد السيد حسين، أحمد شريف عبد اللّه، قاسم أحمد قاسم، حسين أحمد قاسم، محمود علي حسين، محمد علي حسين، أحمد علي حسين، ايهاب محمود معلم، أسعد شريف، رفيق شريف، محمد محمود سعد الدين، حسن محمود سعد الدين، هاني معلم، انيس قاووقن جميل قاووق، عبد الحليم قاووق، رياض محسن السيد، حسن محمد قاووق، عباس عميص، حسن عميص، حسن محمد عميص، حسن أحمد نجيب ترحيني، علي أحمد نجيب ترحيني، غالب مصطفى ترحيني، محمود أمين ترحيني، محمود قاسم ترحيني، عبد اللّه قاسم ترحيني، علي حسين بو علي، محمد صالح، فؤاد عميص، علي عميص، عدنان عميص، زهير السيد أسعد شريف المختار، موسى علي يونس ترحيني، محمد علي يونس ترحيني، يوسف علي يونس ترحيني، مصطفى شريف يونس، خليل مرعي وغيرهم، قد يكون سقط منّا سهوًا ذكر أسمائهم.

وفي السنوات التي تلت توقف الحرب عام (١٩٩٠م) استمرت موجات الاغتراب العبّاوي، وشهدت هذه المرة إقبالًا واسعًا من قطاعات علمية متعددة، من حملة الشهادات الجامعية العليا، والماجستير والدكتوراه، في العلوم الإنسانية والرياضيات والطب والهندسة والاقتصاد والإعلام والفنون، ليس لدينا بشأنهم إحصاءات دقيقة تبيّن عددهم وأسمائهم، إنما يقدرون بالعشرات.

المتتبع لتاريخ الاغتراب العبّاوي منذ أواسط الثمانينات وحتى اليوم، يلاحظ أنه لم يسجل حالات توطّن في تلك الدول، لكن ذلك لم يلغ وجود حالات فردية ارتبطت أساسًا بالمصالح المادية للمغترب نفسه. ومرد ذلك أن الاغتراب إلى البلدان الإفريقية والخليج العربي كان يرافقه ضغوط تمارسها السلطات على المعتقدات والشعائر الدينية، فضلًا عن شروط الإقامة. كما يلاحظ صعوبة مراكمة ثروات كبيرة، كما كان حال الذين اغتربوا مطلع القرن الماضي إلى الأمريكيتين، حيث مجالات الاندماج في المجتمع وفرص الإثراء السريع متوفرة أكثر. لذا لم تسهم أموال الاغتراب الحديث في إيجاد مشاريع استثمارية توفر فرص عمل لأبناء البلدة، لأن كل ما جرى تحويله صُرف في قطاعات البناء والخدمات والصحة والتعليم.

الإنتاج الحيواني في عبّا (تربية المواش - الطيور - النحل):

تربية المواش والطيور- حتى ثمانينات القرن الماضي كانت عبّا نسبيًّا لا تزال على طابعها القروي حيث كان معظم قاطنيها يمارسون حياة الزرع والرعي كباقي من جاورها من البلدات. ومعظم العائلات تقتني المواشي، كالأبقار والأغنام والماعز. والدواجن، كالدجاج والحمام، وأحيانًا يكون مرقدها قريبًا جدًّا من مكان إقامة ساكني البيت[1]. وكانت تؤمن لهذه العائلات، غذاءها الكامل والمفيد، وغير ذلك فضلًا عن مخلفاتها لتسميد الأرض والخدمة المنزلية. إلا أن الحداثة من سائل اتصال وانتقال وتنوع في الغذاء وتعدد في مصادره، التي اجتاحت القرى

(١) مقابلة مع سعيد إبراهيم يونس، مرجع سابق.

كما المدن بدّلت في أنماط الحياة الاجتماعية، وأسهمت بنسبة كبيرة في تَمَدْيَنَ القرى اجتماعيًّا واقتصاديًّا.

وإذا عدنا إلى الفترة السابقة للحداثة، كان يوجد في كل بيت، عدد لا يستهان به من المواشي، قدّر عددها بعض الذين عايشوا تلك المرحلة أو التي سبقتها على الشكل التالي: جِمال (٢٥)، حمير (٥٠)، بقر (٤٥٠)، ماعز وغنم (١٥٠)، دجاج حوالي (١٥٠٠)[١]. ولم تكن تربية المواشي والطيور ذات هدف تجاري بقدر ما كانت لسد الحاجات الشخصية للفلاح من حليب ومشتقاته من الجبن واللبن والزبدة، وما يفيض منه القليل القليل يباع داخل البلدة لمن ليس لديه مواشي وفي حال كان المولود ذكرًا (عجل) كان يباع للقصّاب، للذبح في حال صودف يوم عيد.

ولمّا كان كل بيت في عبّا لديه عشر بقرات على أقل تقدير كان مجموع ما في البلدة، يؤلف عجّال، يتولى أمره راع يقال له (راعي العجّال). وكان محمد (ياسمين) علي أحمد يتقاضى عن كل بقرة تستطيع فلاحة الأرض، مدّ قمح (مكيال وزن) ومدّ ونصف عن التي لا تقوم بالفلاحة. وعند الانتهاء من الرعي، كانت كل مجموعة من البقرات، وهي في طريقها إلى البلدة، تنحرف عن العجّال من تلقاء نفسها، بمجرد وصولها إلى محاذاة دار صاحبها، كي تدخل إلى الدار[٢].

ولم تكن الإفادة من المواشي تقتصر على ما تنتج من حليب ومشتقاته، أو لحم، بل تعدى ذلك إلى الاستفادة من الختي (الخذير). مرة عند استعماله كسماد طبيعي للأرض وهذا أمر شائع، ومرة أخرى عند جعله قطعًا ملساء مستطيلة الشكل تلصق أما على حشائش البلان الجاف أو حائط الدار. وتترك تحت أشعة الشمس أيامًا لتجف، بانتظار استعمالها في الموقد لطهي الطعام، أو تسخين الماء للاستحمام وغسل الثياب، أو لإشعالها مساء لطرد البعوض والحشرات»[٣]. وكان مألوفًا

(١) مقابلة مع شريف عبد اللّه جواد خليل، تولد ١٩١٩م، مرجع سابق.

(٢) مقابلة مع عبدو إسماعيل ترحيني، مرجع سابق.

(٣) مقابلة مع شريف أمين أحمد خليل، مرجع سابق.

لدى القادم إلى عبّا، وبمجرد دخوله البلدة، يتنشق رائحة خَثَي البقر من دون أن تحدث عنده اشمئزاز وانزعاج. هذه الظاهرة، نجد تفسيرًا لها عند أهل الخبرة من فلاّحي البلدة منهم، شريف أمين الذي ما زال لغاية اليوم يقتني في حظيرة بجانب داره عددًا من الأبقار ذات المنشأ الهولندي يبيع منها يوميًّا ما تنتج من حليب يقدر بحوالي (٤٠) كيلو تؤمن له دخلًا لا بأس به. يقول (أبو علي) في السابق لم يكن لروث البقر رائحة كريهة كالتي نعرفها اليوم، هذا لأن البقر كان يتغذى من رعي الحشائش على اختلافها من الحقل مباشرة، عكس ما هو سائد اليوم، يتغذى من أعلاف متنوعة المكونات، منها ما هو طبيعي ومنها كيميائي وهذا له تأثير كبير حتى في نوعية الحليب، بحيث يختلف المنتج منه في فصل الصيف عن المنتج في فصل الربيع، حيث تشكّل الأعشاب الغذاء الرئيسي للأبقار»[١].

تربية النحل - لم يُذكر أن عبّا اشتهرت بتربية النحل وإنتاج العسل، مع أن رئيس نقابة النحّالين في الجنوب هو من أبنائها، هذا لأن تربية النحل وإنتاج العسل دونه صعوبات ليس فقط على مستوى البلدة، والعمل في هذا القطاع فيه مخاطرة عالية الكلفة. ذلك أن التغير المناخي الذي يشهده لبنان والعالم، ساهم بشكل رئيسي في تهميش هذا القطاع وضربه. أضف إلى ذلك ضغط الوضع الاقتصادي وكلفة الإنتاج العالية المفروضة على المربين لا سيما صغار النحّالين. فضلًا عن أن تربية النحل تتطلب قيام النحّالين بمختلف الأعمال من توزيع للقفران وتركيزها في الأماكن الصالحة والكشف عليها بشكل دوري والاهتمام بسلامتها وعدم تعريضها للآفات، وهذا يتطلب جهدًا وكلفة مادية قد لا تتأمن بسبب ركود سوق العسل نتيجة الاستيراد المفرط للأصناف الأجنبية.

في وقت سابق لم تعرف البلدة رواجًا في عدد المربين واقتصر الأمر على عدد ضئيل جدًّا. حتى إنه في الوقت الراهن، بحسب قول رئيس نقابة النحّالين في الجنوب مهدي عبد الرسول ترحيني[٢]: إن إنتاج العسل في عبّا لا يرتقي

(١) مقابلة مع شريف أمين أحمد خليل، تولد ١٩٤٠ م، مرجع سابق.

(٢) رئيس نقابة النحّالين في الجنوب منذ العام ١٩٩٧ م، وتضم حوالي ٢٠٠٠ عضو نسبة من هم من عبّا ضئيل.

إلى مستوى الإنتاج التجاري، ويقتصر على الاستعمال الشخصي للنحّال، وما يفيض عنه يباع بالمفرق لمن يرغب[١]. وعلى الرغم من تقديم النقابة بالتعاون مع المؤسسات الدولية خاصة UNDP مساعدات للنحالين ودعم مشاريع تنفيذية تتعلق بفرز العسل وسحب الرطوبة منه وتربية الملكات وتصنيع الشمع، فإن عدد النحّالين في عبّا بلغ (٢٠) فقط لغاية (٢٠١٣م) والإنتاج قدّر بـ(١٥٠٠) كغ. وعلى ضآلة هذا العدد، لم يستمر منهم سوى، حسين سليم ترحيني وهو أول من بدأ بتربية النحل عام (١٩٧٠م) ويُعَدّ من أهمهم في البلدة، محسن محمد فحص، قاسم محمد محمود خليل ترحيني، أحمد حسين ترحيني، علي يونس، هشام يوسف ترحيني. وما بين عام (٢٠١٤م) و (٢٠١٨م) تدنّى عدد العاملين، وكذلك الإنتاج بنسبة وصلت الى (٨٠٪)[٢]. ويعود سبب ذلك إلى تراجع مساحة المراعي الطبيعية وانعدام التنسيق بين المزارعين ومربي النحل، حيث يقوم المزارعون في البلدة برش حقولهم بالمبيدات السامة التي تؤذي النحل من دون الأخذ في الاعتبار مصلحة النحل الذي يحتكّ مباشرًا بعناصر الطبيعة كالأشجار والأزهار.

شيوع الزراعات التجارية في عبّا (شتول - اشجار مثمرة - نباتات زينة):

الزراعات التجارية (شتول - اشجار ونباتات الزينة والمثمرة) - بدءًا من منتصف ثمانينات القرن الماضي أخذت عبّا كباقي البلدات تشهد تحولًا جذريًّا في النمط الزراعي الإنتاجي والتسويقي، في وقت كانت فيه الزراعات التقليدية من أشجار مثمرة كالتين والرمّان والكرمة وزراعة الحبوب والبقوليات التبغ في تناقص مستمر. ساعد على ذلك، التحول الذي طرأ على نمط الحياة الاجتماعية والتعليمية والاقتصادية، مترافقًا مع وضع أمني مضطرب، لا سيّما الحرب الأهلية والاجتياحات الإسرائيلية المتتالية للجنوب اللبناني. الأمر الآخر، هو خروج شريحة واسعة من الفئات العمرية ما بين سنّ الـ(٢٠) و(٣٥) من الحيّز القروي

(١) مقابلة مع مهدي عبد الرسول ترحيني، تولد ١٥/ ٧/ ١٦٧، والدته زينب ترحيني بتاريخ ٢٥/ ١٠/ ٢٠١٨.
(٢) نفس المرجع.

الضيّق إلى الفضاء الأوسع في المدينة وبلاد الاغتراب. ومن ثمّ لم يعد الفرد العبّاوي، زراعيًّا بالمعنى الحصري للوصف، بل أصبحت الزراعة لديه وسيلة للولوج إلى عالم الأعمال من استيراد وتصدير.

يكفي نظرة سريعة الآن، على ناحية من نواحي البلدة (الوطى) مثلًا. ومقارنتها بمرحلة ما قبل الثمانينات، يظهر لنا حجم التحوّل. كان (الوطى) بمجمله أراضي خصبة موسمية تزرع حبوبًا وتبغًا وقرعيات (صحاري) وقليل من أشجار الزيتون. أصبحت اليوم موضعًا لزراعة الأشجار والشتول ونباتات الزينة والمثمرة واستيرادها وتوريدها. بدايات هذا التحول كانت عام (١٩٧١م) بحسب عبد الرسول ترحيني (أبو علي). يقول «سرّحت من الجيش اللبناني بناء لطلبي لأسباب صحية، بعدما أمضيت في الخدمة (١٨) عامًا، إلا بضعة أشهر. حينها كنت مقيمًا في بيروت، انتقلت للعيش في البلدة بهدف العمل بزراعة الشتول. يومها كان يعمل في هذه الزراعة محمد داوود (أبو داوود). وكانت البداية بأن جهّزت قطعة أرض لهذه الغاية واشتريت ألفًا من نصب الزيتون البري وعملت على تطعيمها بنوع مثمر. بعد مضي أربع سنوات بعت المحصول إلى نجل الشهيد معروف سعد مصطفى الذي بدوره قام ببيعها إلى الجماهيرية العربية الليبية. وهكذا كانت انطلاقتي واستمرت وتطورت علاقاتي حتى مع زبائن من سورية. وعندما أصبح أولادي في عمر يسمح لهم بالعمل، كنت أجهّز مشتلًا لكل واحد منهم. وهكذا انطلقوا الواحد تلو الآخر إلى أن أصبحوا على ما هو عليه اليوم»[1].

ولمّا كان هذا النوع من الزراعة منتجًا ويؤمن دخلًا وافرًا للعاملين فيه ولديه قابلية التطور تشجّع كثيرون من أبناء البلدة للعمل فيه. وكان العام (١٩٨٢م) بداية دخول زراعة الأشجار المثمرة وشتول الليمون والكاردينا والتويا والروزمارينا دائرة الإنتاج التجاري، بالتعاون مع عبد الكريم حمود من جبشيت، ومساعدة مهندس زراعي ألماني يدعى مولر. بنتيجة ذلك أقام عبد الرسول ترحيني مشتلًا آخر في محلّة خلّة وادي السيد خصّصه لزراعة الصنوب. وبعدما تكاثر عدد العاملين في

(١) مقابلة مع عبد الرسول محمد عبد... مرجع سابق.

هذا القطاع، شكّل بالتعاون مع أحمد حسين موسى وأبي أحمد الماروني لجنة لمتابعة شؤون زراعة الشتول مع الجهات المختصة. فيما يلي جدول بأسماء العاملين في هذا القطاع:

جدول بعدد المشاتل الزراعية وأسماء أصحابها في عبّا[١]

اسم المشتل	صاحب المشتل
مشاتل علي ترحيني	حسين عبد الرسول ترحيني
مشاتل حسين عبد الرسول ترحيني	حسين عبد الرسول ترحيني
مشاتل الأمل	أبو عبد اللّه ترحيني واولاده
مشاتل قاسم المعلم وأولاده	قاسم المعلم
مشاتل مصطفى المعلم	مصطفى المعلم
مشاتل يوسف عميص	يوسف عميص
مشاتل نور الهدى	حسن عبدو ترحيني
مشاتل حسن عبد الرسول ترحيني	حسن عبد الرسول ترحيني
مشاتل وهبي	علي وهبه
مشاتل الربيع	حسين عبد اللّه ترحيني
مشاتل علي حوماني	علي حوماني
مشاتل محمد فحص	محمد فحص
مشاتل ياسين ترحيني	ياسين ترحيني

(١) الجدول من إعداد المؤلف.

وبذلك، باتت عبّا تحوي في ناحية الوطى حوالي (١٥) مشتلًا معتمدًا بصورة دائمة تضم أكثر من ثلاثة ملايين وحدة زراعية موزعة بين الاشجار المثمرة كالحمضيات والرمان والتين والكرمة وأشجار الزينة كالحور والصفصاف والكينا وشتول الزينة الداخلية والخارجية. ولم تعد هذه المشاتل تعتمد على ما تنتجه محليًّا بل أقام البعض منها علاقات مع الأسواق المحلية والخارجية مواكبة لحركة السوق. وبذلك غلب على هذه الزراعة الطابع التجاري استيرادًا وتصديرًا للأشجار المهجّنة من إيطاليا، وتنسيقها وإعادة بيعها محليًّا اوتصديرها إلى الداخل العربي. وأدخل إلى هذه الزراعة أحدث التقنيات الزراعية، فاعتمدت الأدوية والمبيدات والأسمدة والبيوت البلاستيكية على نطاق واسع، وأدخل إلى القطاع تقنية تجميلية مبتكرة تعتمد تقليم الأشجار يدويًّا وآليًّا، لتغيير شكلها، وأعطت نتائج جيدة.

جدول بمشاتل الأشجار المثمرة ذات المنشأ الأوروبي والآسيوي في عبّا[1]

الصنف	بلد المنشأ
منغا	آسيوي
ليتشي	/
كيوي مهجّن/ أنثى وذكر	/
سبع فواكهة passion fruit	/
عريش أجنبي / بزر وبدون بزر	أوروبي
Black & blue berry	/
كرمبوك	آسيوي
حمضيات أجنبية مشكلة	أوروبي

(١) الجدول من إعداد المؤلف وإدارة مشاتل جبل عامل.

الصنف	بلد المنشأ
إسكيموات (ليمون صغير)	/
Limequat (حامض صغير)	/
توت عليق بلدي	/
Ribes	/
Fiejoe (فجوا)	/
Raspberry (توت أجنبي)	/
Nashi (تفاح مطعّم على اجاص)	/
كستنا	آسيوي
بندق	/
فستق حلبي	/
فواكهة مشكلة أجنبي وتضم(تفاح- إجاص- خوخ دراق- مشمش- لوز- تين- خرمة- كرز)	أوروبي
رمان أجنبي	/
أفوكا إسباني (ethinger- lamb hass- pinkerton)	/

لائحة بأصناف أشجار ونباتات مثمرة وزينة ذات منشأ بلدي[1]:

زيتون، صنوبر، خروب، تفاح، إجاص، خوخ، جانورك، جوز، لوز، أنكيدنيا، كرز، حمضيات، ورد جوري، آسينيا، فلفل هندي، حور، صفصاف، دفلة، عريش، سنديان، أرز لبناني، زنزلخت، خزامي، إكليل الجبل، حبق، مردكوش، أزهار

(١) الجدول من اعداد المؤلف وإدارة مشاتل جبل عامل.

موسمية، حور هندي، ياسمين بلدي، ياسمين عراقي، غاردينيا، فلّ، بلح. وهناك العشرات من الأصناف لا مجال لإيرادها.

لائحة بأصناف أشجار ونباتات مثمرة وزينة ذات منشأ آسيوي[١]

Aylandi, lagerstamia, laurus, lantana, magnolia, metrosideros, nandina nerrium, olea, pttosporum, passiflora, photenia, rosmarinus, soliv, thuja, taxus, viburnum,abies, albizia, acer, bougainvillea, buxus, cedrus, cupressus, chamaerops, daracaena, euonymus, ficus, carica, gardenia, hedera, ilen, gacanrnda, jaminum.

ما هو سلبي في هذا التحول أن البلدة خسرت موردين زراعيين مهمّين كانا يشكلان دخلًا سنويًّا ثابتًا لعشرات العائلات هما زراعة التبغ والحبوب. إذ بحلول الأصناف الجديدة وهي زراعات تجارية، تعتمد للنهوض بها على عدد وافر من العمال، في معظمهم من جنسيات عربية وأفريقية وآسيوية، نظرًا لتدني أجورهم وغياب أي ضمانات اجتماعية وصحيّة لهم. ومن ثمّ هي زراعات لا تستقطب يدًا عاملة محلية، أضف إلى ذلك، أن الأرباح المتأتية من هذه التجارة، تتوزع على عدد محدود جدًّا هم أصحاب المشاتل حصرًا، ومن ثمّ لا تسهم في تحريك عجلة الدورة الاقتصادية فيها نظرًا لغياب المشاريع التشغيلية.

المهن الزراعية والحرفية والصناعية والإدارية المتداولة في عبّا:

إلى جانب الفلاحة، شاعت في عبّا، أواسط القرن التاسع عشر وحتى بدايات الثمانينات من القرن الماضي، مهن عديدة، بعضها مارسها العبّاويون، منها: المكاري، حفر الآبار، صناعة الكلس، المكانس، السجاجيد، مصلّح البابور (الببور) خبّاز، حلاق، بنّاء، نجارة الخشب، نجارة الحديد (حداد إفرنجي) صناعة زيت الزيتون، قابلة (داية). والبعض الآخر كان يستقدم شاغليها إلى البلدة بمواقيت محدّدة أو عندما تدعو الحاجة إليها. وهذه المهن على قلّتها هي: الإسكافي، المبيض، المجلّخ. وكان البعض من أبناء البلدة قد مارس خارجها مهنًا ظرفية

(١) اللائحة من اعداد المؤلف وإدارة مشاتل جبل عامل.

فرضت عليه نتبجة العوز وسوء الحال منها: فرّاش في نُزل أو ماسح أحذية أو حمال سلّ في الأسواق الشعبية أو بائع سكاكر. وهذه المهن جميعها كانت وليدة ظروف سياسية واجتماعية واقتصادية رزح تحتها جبل عامل لفترة طويلة امتدت إلى ما يزيد على المئة عام.

المكاري - ساهم في ازدهار هذه المهنة، عدم توّفر طرقات ووسائل نقل من عبّا وإليها. واقتصر الأمر على الطرق الترابية والحمير والبغال كوسائل تواصل ونقل وبقي الوضع على حاله حتى فترة الخمسينات من القرن الماضي. وهناك من عمل خارج البلدة ناقل بضائع (مكاري) متنقلًا بين الجلبل الأعلى في فلسطين وبين بيروت وصيدا والبقاع. تذكر أحد المصادر التاريخية أنه في عام (١٨٦١م) «كان (فلانًا) البغّال من بلدة (عبّا) عائدًا من بيروت، ومعرّجًا على الدامور يستريح مع بغاله من السير على عادة المكاريين، وكان هو وولده يتناولان طعام الغداء، عندما...»[١]. إذا صحت هذه الرواية وتمت مقارنتها والمرويات عن بعض أهالي البلدة ومنهم آل عثمان، يكون ذلك البغّال علي عثمان، وولده عبد اللّه . حالهما كحال أغلب عائلته آل عثمان، كانوا يتعاطون نقل المحاصيل ما بين عبّا وصيدا وبيروت.

وعمل العديد من أبناء عبّا في مهنة (المكاري)، منهم: محمد يوسف أسعد (١٨٨٨ - ١٩٧٢م) عمل تاجرَ سواد (خَشَي الماشية) في مختلف مناطق جبل عامل. كذلك موسى علي خليل (١٨٩٠ - ١٩٧٥م) عمل هو وأخواه حسن وحسين حمّالين ينقلون التبن مع أقرانهم من فلاحي البلدة إلى قرى جزّين وبرج البراجنة في ضاحية بيروت[٢]. وسعيد إبراهيم يونس محمد هارون، وكان صغير السنّ بدأ العمل عن عمر ناهز (١٣) عامًا، كان يقصد بلدة الغازية لبيع محصول التبن. يوقظه والده قبل طلوع الفجر، ولأنه لم يكن لديهم ساعة تضبط الوقت، كان يعتمد حركة

(١) لمزيد من التفاصيل، يراجع، محمد تقي الفقيه: جبل عامل في التاريخ...، مرجع سابق، الصفحات ٣٣٤-٣٣٥.

(٢) مدونة العرايس: السنة ١٧، مرجع سابق، ص ١٥

النجوم. ينطلق بما يستطيع الجمل حمله من التبن مرورًا ببلدة الشرقية، الكوثرية، الغسانية، قعقعية الصنوبر، الغازية، ثم إلى المية ومية، القرية، عين الدلب. وفي طريق العودة يبيت في بلدة الغازية، بالعراء والجمل راقد بقربه[١]. وعلى هذا النحو انتقلت المنتجات بين عبّا والجوار وغامر المكاريون بحياتهم للعب دور الوسيط بين المُنتج والمستهلك، وبقيت حتى خمسينات القرن الماضي.

حفر الآبار - منذ القدم عرفت المجتمعات القروية أهمية توفير المياه وجمعها في بئر خلال فصل الشتاء بهدف استعمالها في باقي أيام السنة. وهو أسلوب اعتمد على تجميع مياه الأمطار على أسطح البيوت، ونقلها عبر استعمال المِزْراب إلى موقع التخزين، أي البئر. وأصبحت مهنة الحفر تقليدًا اجتماعيًّا عريقًا برِع فيه من أهل البلدة «يونس أحمد هارون واولاده علي وخليل، أيضًا عمل في هذه المهنة حسين الشيخ من آل (معلم) وخليل موسى علي. وكان عند الانتهاء من الحفر يطلي البئر بالكلس وقش التبن منعًا لتسرب الماء»[٢]. وكان الشائع في مقياس الحفر مقدار اللحد (القبر) أي طول قامة رجل دون أن يكون رافعًا يديه. وهناك آبار ثلاث قامات مع رفع اليدين. أما العرض فالقامة الأولى بعرض قامة، والقامة الثانية بعرض قامتين، والقامة الثالثة بعرض ثلاث قامات. وكان السادة من آل يونس أحمد هارون إذا وجدوا أثناء الحفر بلاطة مسطحة تصلح لتكون غطاء للقبر أحضروها معهم للبلدة»[٣].

وإلى وقت قريب، كانت الآبار المنزلية في عبّا البديل عن ماء الصنبور (الحنفية). والعائلة التي تمتلك بئرًا في باحة الدار، كان لديها خاصية عن غيرها، عندما تنقطع مياه الشرب الرئيسة ولا تأتي لأيام. إلا أن هذه الآبار أهملت وذلك بعد استخدام شبكات توزيع المياه، وتم تحويل عدد منها إلى جورٍ صحية بعد ما باتت الحاجة إليها ملحّة في ظلّ عدم وجود شبكة لمياه الصرف الصحي.

(١) مقابلة مع سعيد إبراهيم يونس، مرجع سابق.

(٢) مقابلة مع محمد خليل يونس، مرجع سابق.

(٣) يراجع: مدونة العرايس: السنة ١٧، مرجع سابق.

حاليًّا، وبمعزل عن ارتباطها بشبكات المياه تُعَدُّ الآبار سواء المحفورة في الصخر أو المبنية من مادة الخرسانة، مصدرًا احتياطيًّا إضافيًّا لري الحديقة أو للشرب أو للخدمة المنزلية. ونظرًا لارتفاع كلفة حفر البئر في الصخر وقلّة العاملين فيها (حاليًّا لا يوجد سوى مصطفى علي يونس أحمد وقاسم محمد مرتضى) يعمد غالبية أهالي البلدة إلى تشييد خزانات مياه خرسانية يتسع الواحد منها لحوالي (٨٠) ألف متر مكعب. إلا أن بعض الأهالي يفضلون الحفر الطبيعي لتميزه عن الخرساني، ببرودة مياهه صيفًا. وهناك من يعمد إلى حفر آبار صغيرة (جور)، لايتعدى عمقها وعرضها المترين لاستعمالها لمياه الصرف الصحي.

قد تطول المعاناة من عدم توفير مياه الشرب عبر الشبكة الرئيسية وقد يطول الاعتماد على مياه الآبار المنزلية. لذا يجب على من تبقى لديه آبار، أن يوليها الاهتمام والمتابعة للتأكد من مدى جودة المياه وصلاحيتها للشرب. خاصة ما هو متعلق بالنظافة، والأمان في أن يكون موقع البئر بعيدًا عن الحفرة الامتصاصية، وألا تصل المياه الملوثة، كالمياه العادمة والصرف الصحي إليه.

صناعة الكلس - عرف المجتمع العبّاوي بحكم الضرورة والحاجة مهنًا صناعية تقليدية أخرى، تعتمد أساسًا على العمل اليدوي، وتتناول بعض أنشطة الإنتاج والتحويل لتلبي له حاجيات أساسية في دورة حياته اليومية. وهي صناعات متداولة في قرى الجوار تعتمد عليها في جميع شؤونها، وصناعة الكلس واحدة من تلك الحاجات. وقديمًا كانت البيوت تبنى من الحجارة وتثبت بالكلس، ولمّا كانت البيوت معتمة من الداخل بسبب قلة نوافذها وصغرها، كان معظم الناس يطرش (يطلي) الجدران من الداخل بالكلس الناصع البياض لزيادة الإضاءة وللحماية من الحشرات الضارة. وكان في كل قرية أشخاص جعلوا من صناعة الكلس مهنة لهم. ومن هؤلاء بحسب ما يروي (أبو فايز) أن والده السيد خليل وعمه السيد علي، عملا أيضًا في هذه المهنة إلى جانب مهنة حفر الآبار. ولعمل الكلس يتم قطع أحجار كلسية من الجبال ويحملونها على ظهور البغال، ويحفرون في الأرض حفرة على شكل هرمي يقال عنها الكباره وباللهجة الفلاحيه (التشباره) وهي بعمق

يزيد عن الـ (٣) أمتار تقريبًا، ويجعلون فيها فتحة صغيرة من أسفلها توضع بداخلها الحجارة الكلسية والبلان وتوقد لمدة ثلاث أيام متواصلة ليلًا نهارًا. وكانت تحتاج لتخمد نهائيًّا مدة أسبوع كامل فتصبح الحجارة كلسًا، وبعد طحنها تباع لمن يرغب. ولطرش البيت يوضع الكلس داخل برميل فيه ماء فتصبح مادة غروية تحتاج إلى يوم كامل حتى تهمد، من ثمّ يوضع معها زيت الزيتون والملح وتُحرّك ويطرش بها البيت»[١]. يروي العديد ممن عاصروا تلك المرحلة، أن من أراد بناء منزل كان يعمد قبل مدة سنة إلى شراء حِمْلِ جمل أو اثنين من الكلس ومزجه بالماء والتبن، ومن ثمّ يطيّن به السقف بعد أن يدعم بـخشب الزنزلخت والقصب والبلان الشوكي المتواجد بكثرة في البلدة. وقبل حلول الشتاء كانوا يقومون بحدل السقف بواسطة محدلة حجر منعًا لتسرب الماء، بعد إضافة المزيد من التراب الأبيض الذي كانوا يأتون به من ناحية عين الفوقا.

صناعة المكانس - هي مهنة أخرى شاعت في البلدة، أتقنها وانفرد بها دون غيره، حسن داوود عميس الذي عرف باسم (حسن عبد المطّلب) فذاع صيته في بلدات الجوار. (ولهذا الاسم حكاية أخرى نجد شرحًا لها في فصل أعلام ووجهاء بلدة عبّا). وتقوم هذه المهنة على شدّ مكانس الذرة (نبات من الفصيلة النجيلية يستعمل القش الذي ينتجه في صناعة المكانس) وكان الحاج حسن يشدّ المكانس بأحجام وأشكال متعددة، مستعملًا عدة يدوية غاية في البساطة والسهولة في الاستعمال وهي بمجملها عبارة عن: مسلّة (إبرة كبيرة)، حزام، مقعد خشبي، مقص، سكين كبير الحجم، خيطان، مدقة خشبية، مشط معدني. المعروف أن قصبة (قش المكنس) الواحدة منها يتفرع من منتصفها وإلى نهايتها الكثير من الأعواد الناعمة الرفيعة وهي التي يتم الاعتماد عليها في عملية الشدّ. وتتضمن العملية المراحل التالية: «كان الحاج حسن يجمع حوالي خمسًا وعشرين قصبة من (المكنس) ضمن مجموعة واحدة ويربطها بخيوط قطنية من طرفها الغليظ ويضعها بالماء حوالي أربع وعشرين ساعة حتى تصبح طرية ليسهل عليه جمعها وشدّها.

(١) مقابلة مع محمد خليل يونس، مرجع سابق. نموذج عن التون، صورة رقم (١٧).

بعد ذلك يفتحها عن بعضها عكس وجهتها الأساسية للحصول على القبضة الخاصة بالمكنسة، ويضعها على خشبة الشدّ وهي خاصة (لجمع المجموعة القصبية وضغطها إلى بعضها)، ومن ثمّ وبواسطة المسلّة يقوم بتشبيك القصبات بشكل متجانب ومتجانس لتأخذ شكلًا عرضيًّا. أخيرًا يقوم بتنظيف القصبات من البذور بواسطة مشط معدني خاص، لتصبح المكنسة جاهزة للاستعمال. ويعاونه بعض الأحيان زوجته وأولاده، ويتقاضى أجرًا بحسب عدد المكانس إمّا نقدا وإمّا عددًا منها، حيث كان يبيعها للأهالي الذين لا يزرعون قشًّا، وهم بالغالب كانوا من المقيمين في بيروت»[١]. والجدير بالذكر أن صناعة الكلس والمكانس كحرفة صناعية يدوية تقليدية نشأت في الريف، لم تحافظ على مكانتها ولم تثبت قدرتها على مواكبة العصر. فانعدمت وخسرت دورها الاقتصادي في امتصاص ظاهرة البطالة في ظل الصناعات الميكانيكية والتكنولوجية التي تتطلب مهارات فنية عالية تفتقر إليها الأرياف بشكل عام. وكان سبق الحاج حسن في مهنته، الشيخ إبراهيم زهر الدين من برج البراجنة (عمل أستاذًا في مدرسة عبّا) يصنع من عسف النخل مصليات (سجادة للصلاة) ويبيعها في سوق النبطية[٢].

مصلّح البابور[٣]- أو ببور الكاز كما هو متداول. حلّ (البابور) مكان موقد الحطب وأصبح حينها موضة في عالم المطبخ. وكثيرًا ما استعملته الأسرة العباوية لهذا الغرض، من هنا «ظهرت ضرورة وجود (مصلّح) وكان من سكان البلدة يدعى كامل قبيسي (أبو سمير) نسبة إلى زوجته (نمرة علي عز الدين) وهو ليس من البلدة إنما من زبدين تزوج من عبّا وأقام فيها وأنجب ولدًا كان أهل البلدة ينادونه سمير

(١) من ذكريات المؤلف: كنت شاهد عيان مرات عدّة على حرفة شدّ المكانس. فقد كان بيتنا في حي بيدر زيدان مجاورًا نسبيًّا لبيت الحاج حسن وكنت أتردد عليه صيفًا لمشاهدته وهو يقوم بعمله. فضلًا عن ذلك كانت والدتي ترسلني إليه حاملًا حزمة من قش المكانس كان جدي (لوالدتي) علي يونس يزرعها لنا في العقار العائد لوالدي (جل الزحزلون- رقم ٢٣١٦) المجاور أيضا لبيت الحاج حسن. صورة رقم (١٨)

(٢) مقابلة مع شريف عبد اللّه جواد خليل، مرجع سابق.

(٣) قبل مئة عام وأكثر تم اختراع بابور الكاز (البريموس) وقد أطلق عليه هذا الاسم بريموس نسبة إلى اسم بلدة في دولة السويد اشتهرت بأنها أول من قام بصنع بابور الكاز في العالم.صورة سابقة رقم (١٤).

نمرة. أقام أبو سمير في بيت دفع تكاليف بنائه المحسنون من أهل البلدة، ويقع عند المنخفض المحاذي للمقبرة الكائنة في الساحة العامة. مهمة أبو سمير كانت تسليك (الفونية الخاصة بالشعلة) أو تغيير الإبرة أو تلحيم أرجل البابور أو تغيير جلدة الحقنة أو البخاخ كذلك لوكسات وقناديل الكاز»[١].

صناعة الخبز- في الوقت الذي كان فيه العبّاويون يعتمدون في قوتهم اليومي، إمّا خبز التنور وإمّا الصاج، وهما نوعان من الخبز شائعان منذ القدم في الوطن العربي، سميك بعض الشيء له طعم مختلف عن الخبز (العربي) الحالي. شكلت خطوة الأخوين أحمد يونس أحمد وخليل يونس أحمد في النصف الأول من القرن الماضي محاولة لإحداث تغيير في السلوك الغذائي لأهالي البلدة عبر صناعة الخبز بواسطة الفرن كانت في حينه تُعَدّ حديثة. وكانت حالة مؤقتة لم تستمر لأكثر من أسبوعين. فهما كانا أول من بادر إلى إنشاء الفرن العربي (الحطب أو المازوت)، وليس شريف أمين أحمد خليل (أبو علي) بحسب ما هو شائع. يروي حسين علي يونس أحمد (أبو علي) تفاصيل عن تلك المحاولة بالقول: «أذكر جيدًا كيف بادر أعمامي السيد أحمد والسيد خليل عام (١٩٤٧م) إلى إنشاء فرن يعمل على الحطب. كنت حينها في عمر الخامسة عشرة من عمري، في دارة عمي السيد أحمد في الغرفة الواقعة أول مدخل الدار لجهة اليسار. وكيف استقدما لهذه الغاية شخصًا من بلدة كفر صير ليبني (بيت النار) وتجهيزه بما يلزم من معدات. وبقدر ما يتمتعان به من خبرة، كانا يقومان بتحضير العجين وخبزه. إلا أنهما أقفلا الفرن بعد أسبوعين بسبب إحجام الأهالي عن الشراء، وعادت الغرفة إلى سابق عهدها. كانت التجربة فاشلة بسبب قلّة الخبرة لديهما وعدم ملائمة طحين الشعير المستعمل للخَبْز»[٢]. استمر الأهالي بعد إقفال الفرن بالاعتماد على خبز الصاج والتنور.

بعد هذه المحاولة ولأكثر من عقدين لم يبادر أحد من أبناء البلدة إلى تكرار تجربة الأخوين، سوى شريف أمين أحمد خليل (أبو علي) الذي شرع في العام

(١) مقابلة مع شريف أمين أحمد خليل، مرجع سابق.

(٢) مقابلة مع حسين علي يونس، مرجع سابق.

(١٩٧٥م) بإنشاء فرن عصري بتصنيف تلك المرحلة، يعمل على المازوت ومعدات آلية كهربائية. يروي (أبو علي) تفاصيل خطوته بالقول: «عام (١٩٧٥م) كنت أول من افتتح مخبزًا في البلدة بمواصفات حديثة، برأسمال (٥٠٠٠) ليرة، أخذت الفكرة من بيروت، بعد أن تعلمت طريقة العجن والخبز من مقهى الفرانة بمحلة المعرض وسط بيروت. كان عملًا ناجحًا، كنت أخبز يوميًّا حوالي) ٣٠٠) كيلو طحين أي (٣) أكياس، أبيع كل (١٠) مناقيش بـليرة واحدة، نوعية الخبز كانت ممتازة (سميك) بعكس نوعية الخبز الحالي»[١]. الذين عاصروا تلك المرحلة وأنا واحد منهم يذكرون جيدًا كيف أسهم إنشاء الفرن بالمواصفات المذكورة في إيجاد تحول في الحياة الغذائية، عندما أضاف أصنافًا جديدة إلى مائدة الطعام لم تكن موجودة قبلًا مثل: الخبز العربي، منقوشة الزعتر، اللحم بعجين، الفطائر، خَبز بعض أصناف الحلويات، وبعض الأطعمة التي يتطلب طهوها بالفرن. فضلًا عن ذلك أوجد فرص عمل لبعض أفراد أسرة (أبو علي) وآخرين.

مع بداية الثمانينات ظهرت الأفران النصف أتوماتيكية، وانتشرت في مختلف المناطق اللبنانية، ثم في العام (١٩٩٣م) أسس ورثة علي أحمد حسن خليل (أبو سعد اللّه) في الطابق الأرضي لمنزلهم الحديث الكائن أول البلدة لناحية جبشيت مخبزًا أتوماتيكيًّا عمل لأشهر وأقفل نهائيًّا لأسباب تتصل بضعف التسويق خارج حدود البلدة. وكان لظهورها تأثير سلبي على الأفران العادية التي لم تستطع الاستمرار، إلى أن أقفلت نهائيًّا، منها فرن أبو علي شريف، وحلّ مكانها أفران وفرنيات صغيرة الحجم، تعمل على الغاز تختص فقط بإنتاج المنقوشة والمشطاح، بإدارة رجال ونساء، هم: علي محمد إسماعيل، إبراهيم قاووق، محمد فحص ووالدته خيرية، محمد علي ترحيني (أبو حنان)، ليلى علي ترحيني (أم خليل) إبراهيم حمود ترحيني، حسين سعيد ترحيني وآخرين، وأصبح الخبز العربي يوزع بالسيارات من قبل أفران معتمدة ليباع في الدكاكين، كأي سلعة أخرى.

الحلاق – مارس هذه المهنة في البلدة توفيق (ندّه) اللقب منسوب لوالدته،

---

(١) مقابلة مع شريف أمين أحمد خليل، مرجع سابق.

وهو توفيق جفال، وكان دكانه لحين وفاته سنة نهاية السبعينات في الساحة العامة أسفل بناء الحسينية القديمة، صغيرة الحجم نسبيًّا، على أحد جدرانها وُضع صورة لملك الأردن حسين. ومن سقفها تدلى حصير من القش وضع في أعلاها قضيبًا من الخشب لتثبيتها بالسقف. وفي أسفلها قضيب آخر موصول به حبل يقوم من ينتظر دوره بشدّ الحصير بالاتجاهين فتتأرجح وتحدث موجة من الهواء للتخفيف من الحرّ في فصل الصيف. كنت واحدًا من زبائنه، ومستمعًا لنقاشات الزبائن حول أوضاع البلدة، والأخبار المتداولة حول عبد الناصر وفلسطين. وكانت وزارة البريد والبرق وضعت في إحدى زوايا الدكان هاتفًا لعموم البلدة، وغالبًا ما كان معطلًا، أو رديء الخدمة، تولى إدارته توفيق نفسه. كما امتهن حسن إبراهيم حريري (١٩٠٠ - ١٩٧٥م)، الحلاقة من دون أن يكون له دكّان، إلى جانب مهنة النجارة والسمكرية وإصلاح الأسنان، ولا تزال (الكَلْبَة) أَداة الخلع عند نجله علي. كذلك أحمد حسين أحمد (أحمد السيّد حسين - أبو علي) وكان دكانه في الساحة العامة، وفي السبعينات استأجر دكانًا عند شريف أمين ترحيني، واستقر أخيرًا لحين وفاته في دكانه بحيّ بيدر زيدان حيث شيّد بيتًا له»[1]، أما في بيروت، فكان «قاسم الحاج إبراهيم عميص. وكان دكانه عند أطراف حيّ خندق الغميق في الجهة المقابلة لما كان شائعًا تسميتها آنذاك بـ(المْدِينةْ). ولما كنّا أواسط الستينات من سكان حي الشياح - الغبيري، كان والدي يصطحبني وإخوتي معه في يوم يحدده هو لنقصّ (لنحلق) شعرنا في وقت واحد، واستمر أبو عباس كما كنّا نناديه، يعمل حتى بدء الحرب الأهلية عام (١٩٧٥م) بعدما أصبح الحي والدكان إلى خط تماس بين المتقاتلين»[2]. كما عمل في هذه المهنة يوسف حسين علي محمود خليل، وكان دكانه أسفل منزله قرب الساحة العامة.

بدءًا من تسعينات القرن الماضي ومع التبدّل الذي طرأ على نمط الحياة الاجتماعية تنوعت مهنة الحلاقة في البلدة لتشمل تزيين النساء، وكثُر عدد العاملين فيها، منهم: قاسم محمد علي يوسف، حسن كلوت، حسين علي قاووق، حسن علي

---

(١) مقابلة مع شريف أمين أحمد خليل، تولد ١٩٤٠م، مرجع سابق.

(٢) من ذكريات المؤلف.

قاووق، علي ترحيني، محمد علي جواد ترحيني. ولم يقتصر عمل هؤلاء على قصّ الشعر وحلق اللحية، وشمل أعمال أخرى كتدليك ونزع الشعر الزائد من الوجه بالملقط أو الخيط ومؤخّرًا بالشمع. وقصّ وتمليس الشعر وتثبيته بواسطة سبراي أو كريم خاص. ومع الانفتاح الثقافي على الغرب وسهولة الاطلاع على أحدث القصات العالمية، برع حلاّقو عبّا كغيرهم في تقليد تلك القصّات، لا بل تفوقوا على مبتكريها وشملت أعمالهم اللحية أيضًا. أما بالنسبة للنساء فالمزين عادة يكون أنثى حفاظًا على العادات والقيم الدينية، وهي تغسل الشعر وتقصّه، وتؤدي جميع الأعمال المختصّة بتزينه وصباغه وأشكاله، كلفّه بأنبوبة خاصة (رولو) لتجعيده بواسطة سوائل خاصة بذلك يقوم بتحويل الشعر الأجعد إلى أملس وبالعكس، كما تقوم بتجهيز العرائس، وبتثبيت شعر مستعار. وبلغ عدد المزينات ثلاثة هنّ: فاطمة سعيد ترحيني، نوال محمد ترحيني، سوسن حريري.

الإسكافي - المبيض - المجلّخ: عرفت المجتمعات العربية لا سيما المشرقية منها كثيرًا من المهن التي لاقت ازدهارًا ثم ما لبثت أن انقرضت. والسكافة مهنة لم يتقنها ولم يعمل بها أحد من أهالي البلدة، بالرغم من وجود عدد غير قليل من الدواب في البلدة وحاجة أهلها على الدوام لتجديد حدواتها بل كانوا يستقدمون شاغليها من خارج البلدة بمواقيت محدّدة أو عندما تدعو الحاجة إليها. ومهمة الإسكافي تنحصر في تركيب حَدوة (نعل حديدي) للدواب، وكان يجوب القرى ويتخذ من الساحة العامة مقرًّا مؤقتًا له حيث تتجمع حوله الدواب. ولمّا كان في عبّا عدد من البغال، وخمسون من الحمير بصورة دائمة كان الإسكافي بحسب سعيد إبراهيم يونس «يأتي من النبطية، لتجديد حَدوات الحمير والبغال وبعض رؤوس البقر مع اقتراب موسم الحصاد تمهيدًا لدرس القمح. وكنّا نشتري الحَدْوات من النبطية وهو يتولى تركيبها»[1]. دائمًا في الساحة العامة وبمحاذاة دكان أبي خليل، كان المكان المخصص للإسكافي لإنجاز عمله. كانوا يتجمعون حوله بانتظار أن يأتي أحدهم موعد دوابه. الصبية كانوا يحتشدون للتفرّج على طريقة تركيب

(١) مقابلة مع سعيد إبراهيم يونس، مرجع سابق.

الحَدوة، كانوا يرتعدون خوفًا، عندما يباشر الإسكافي بقصّ الحافر ودقّ المسامير فيه لتثبيت الحدوة، كأن قدمهم، هي من تبضّع بالسكين ويدقّ بها المسمار. إلا أنّ الخوف كان يزول، عندما يعلمون أن الحمير لا تشعر بالألم لأن الجزء السفلي من الحافر ميت لا إحساس فيه.

أمّا (**مبيّض النحاس**)، فكان مقصد النساء، لأن الأواني النحاسية يتحول لونها مع مرور الوقت إلى اللون الأخضر، وهذا الأمر يعدّ طبيعيًّا بالقياس إلى تركيبة الكيميائية. تحضير القطعة النحاسية للتبيض كان يبدأ بوضعها على النار لتسخينها، من ثمّ يضع بداخلها الرمل ويقوم بفركها بقطعة من الجلد بواسطة قدميه لحين التخلص من الصدأ والأوساخ العالقة بها. هذا العمل كان يستغرق وقتًا وجهدًا كبيرَين، ثم يذيب مادة القصدير مع النشادر ويفرك داخل الوعاء بواسطة قطعة من القطن، حتى تبيض ومن ثمّ تفرك ثانية بالرمل وتغسل بالماء[1].

أمّا (**المجلّخ**) فكان يحمل ما تيسر من عدة الشغل على ظهره يجوب أحياء البلدة، يضع سيبة (طاولة خشبية لها شكل هرمي) مثبّت فيها دولاب خشبي كبير من الأسفل، وآخر صغير من الأعلى فيه حجر دائري معدني صغير، متصلين بقشاط جلدي يتحركان عندما يدوس بقدمه من أسفل، وعند الدوران يمرر طرفي السكين لشحذه. كان عندما يصل القرية، ينادي أسن السكاكين والمقص أو (مجلخ مجلخ)[2]. وأثّر التطور التكنولوجي وعوامل أخرى، سلبًا في استمرار هذه المهن، ومع انتشار أواني الـ(ستانليس ستيل) والمعادن الأخرى، تمّ الاستغناء عنها، وعن الحطب لصالح الطبّاخ (الغاز- الكهرباء) بحجميه الصغير والكبير منه. وتحوّلت صينية وطنجرة النحاس والبابور إلى قطعة أنتيكا في المنزل العباوي.

عِمارة البيوت - لمّا كان بناء البيوت في البلدة لا يتطلب معلّم بناء يتمتع بالخبرات المتوفرة اليوم، كان الاعتماد بشكل أساسيّ على مالكه، يعاونه الأقارب والجيران،

(١) مقابلة مع محمد خليل يونس، مرجع سابق.

(٢) مقابلة مع شريف عبد اللّه جواد خليل، مرجع سابق صوررقم (١٩).

وهي خطوة تنمّ عن التضامن والتكافل الاجتماعي الذي كان سائدًا في ذلك الوقت. ومع تطور نمط البناء والبدء باستخدام مادة الحجر الصناعي والإسمنت لصبّ الأسطح، كان الأهالي يلجؤون إلى بنّائين من جبشيت والقرى المجاورة أو البعيدة. أحد هذه البيوت عائد إلى عبدو عيسى معلّم قام ببنائه عام (١٩٣٤م) بحسب ما هو منقوش على عتبة باب الدار، المعلم حسن من بلدة جون[١]. ولم يدم الوقت كثيرًا حتى اكتسب عدد محدود من عبّا الخطوات الأولية للبناء وبعض المهارات منهم أحمد يونس أحمد. يقول محمد خليل (أبو فايز) إنه بعدما عاد من بيروت إلى عبّا تشارك مع عمه السيد أحمد بصب أسطح المنازل، أما السيد نعمة فحص فقد كان يتولى رصف الحجارة وكانا الوحيدين الذين عملا في صبّ الأسطح بعدما أتقنها عمي من إبراهيم فحص»[٢]. مع ذلك استمرت الاستعانة ببنّائين من جبشيت، وكان منهم الإخوة والأبناء من آل فحص ونصور. ولمّا استجدّت طرق البناء الحديث وتعددت الطبقات، استلزم ذلك دراسات وتصاميم ومواصفات وجمع وتركيب وفكّ لقوالب الخشب للأساسات والأرضيات والجسور والأعمدة والأدراج والسقوف وقطع ولوي ومدّ وربط قضبان الحديد وصبّ الباطون، كانت الحاجة ماسة إلى تعلّم عدد من شبان البلدة مهارات المهنة كنجارة الباطون وحدادته. وهكذا لمع من أبناء البلدة أسماء اكتسبت مع الوقت خبرات أهّلتها لمجاراة المهندسين، من هؤلاء نذكر: قاسم محمد حسين ترحيني، حسين محمد حسين ترحيني، علي محمد حسين ترحيني، صالح علي أحمد صالح ترحيني، حسن علي أحمد صالح ترحيني، أحمد علي أحمد صالح ترحيني، مصطفى علي أحمد صالح ترحيني، ياسين محمد ترحيني، الصبوري – محمود محمد خليل علي محمود (أبو الريش)، حسين محمد مرتضى ترحيني[٣].

(١) ما زالت موجودة لغاية الآن، مكتوب عليها العبارة التالية: «نصر من اللّه وفتح قريب وبشّر المؤمنيتن يا محمد ارخ هذه المعلم حسن من جون لصاحبه عبدو عيسى سنة ١٩٣٤»م. صورة رقم (٢٠).وهناك في احياء في البلدة تحوي ابنية مشابه بنيت في الفترة ذاتها منها بيت محمد علي موسى .

(٢) مقابلة مع محمد خليل يونس، نفس المرجع.

(٣) الأسماء من إعداد المؤلف.

ولما كان هؤلاء يملكون الخبرات العملية الكافية لتنفيذ الأعمال الإنشائية، تم اعتمادهم من قبل مهندسين معماريين لتنفيذ أعمالهم التي خطّوها على الورق، فأسهموا في زيادة المساحة العمرانية للبلدة عموديًّا بطبقات متعددة، وأفقيا لتشمل نواحي كانت حتى فترة السبعينات يشار إليها بأنها من خراج البلدة. واستتبع مهنة البناء وجود مهن مكمّلة لها، كمهنة الوراق، التي لم يمتهنها من أبناء البلدة سوى اثنين هما: علي نجيب ترحيني وخليل مرعي اللذان ذاع صيتهما بعدما أجادا تأديتها باحتراف. وهناك من امتهن التبليط أمثال، محمد نعيم قاووق وعلي محمد علي مصطفى ترحيني، ومهنة السمكرية: إبراهيم محمد علي موسى ترحيني وحسن مصطفى علي يونس ترحيني وحسين توفيق محمود أحمد خليل، ومهنة كهربائي تمديدات وصيانة منزلية: علي حسين خليل ترحيني وعلي حسين كالوت وخضر شريف يونس. يضاف إلى هؤلاء من عمل في مهنة نجارة الصخور والرخام والغرانيت وتركيبها داخل وخارج البيوت، من هؤلاء نذكر: محمد عبد الرسول ترحيني وعلي محمد علي مصطفى ترحيني اللذين أسسا مصنعًا لهذه الغاية في حين عمل كل من حسين أحمد عبد اللّه حريري وجهاد قاسم محمد عبدو ترحيني في تركيب الصخور والغرانيت.

بموازاة هذه المهنة، كان أول من عمل في مهنة تشييد أبنية تجارية (مقاولات) محمد علي أحمد دياب (أبو عباس). وكانت البداية بيع وشراء الجاهز منها، حول تجربته يقول « عام (١٩٧٨م) كنت أعمل في بيع العقارات وشرائها، ثم أعمال البناء في مرج بلدة حاروف ودير الزهراني، وبرج حمود وكنت الوحيد في البلدة الذي امتهن هذا العمل وبرع فيه. في هذه الأثناء كانت محلة مرج حاروف شبه خالية من أي بناء وبدأت تشهد طفرة عمرانية»[١]. ساعد على ذلك ظروف الحرب الأهلية في العاصمة والضواحي وتأثيرها على حركة النزوح العكسي، وعلى بنية القطاع الصناعي وخريطة انتشاره، ونشاط الوحدات الحرفية الصغيرة، بعد تدمير المدن الصناعية والأسواق المركزية، في العاصمة والضواحي، والتحول نحو إقامة

(١) مقابلة مع محمد علي أحمد دياب ،مرجع سابق.

أسواق مناطقية في ضواحي مدن الأقضية. وهكذا استفادت قطاعات البناء على تعددها من موجات النزوح والنزوح العكسي للسكان، ومن الرساميل الصغيرة والمهارات. وأُنشِئَت الأحياء الصناعية نهاية السبعينات في جانبي مرج حاروف ابتداء من بلدة زبدين حتى مفترق حاروف - جبشيت - عبّا. وامتدت أعمال دياب إلى البلدة، حين بنى في الثمانينات أول مجمع تجاري عند مدخلها، يضم شققًا سكنية ومحالَّ تجارية.

وبقيت تجربة دياب في مجال المقاولات أحادية حتى العقد الثاني من القرن الحالي عندما بادر علي عبد الحسن الخياط الصبوري ببناء أول مجمع سكني عبارة عن (١٢) بلوك تم إشغاله بشكل كامل. كذلك مشروع سكني آخر عبارة عن (٦) بلوكات قام ببنائه حسن إبراهيم ترحيني في محلة رأس الدوري أيضًا تم إشغاله بالكامل. ومثله حسن عبد الحسين سبيتي (٦) بلوكات، وهؤلاء لم يستمروا في بناء مشاريع أخرى، لأسباب خاصة بهم. تبقى تجربة المهندس علي محمد ترحيني رائدة في هذا المجال بدأت بمشروع -A- ٣ بلوكات في محلّة عين جويد، وأكملت بمشروع -B- في محلة رأس الدوري (٦) بلوكات، ومشروع -C- قيد الإعداد، يقدّر المهندس ترحيني حجم القطاع في عبّا بحوالي (٣) مليون دولار. أسهمت في تحريك الدورة الاقتصادية في البلدة بإشراك قطاعات رديفة لقطاع البناء من محلات بيع مواد البناء على تنوعها محلات أحمد دياب (أبو علي) ومقاولين وعمال غالبيتهم من العمالة المحلية.

إن رواج هذا القطاع في مجتمع قروي ما كان ليتم بمعزل عن عوامل تتصل بالزيادة المضطردة لعدد السكان التي أصابت في الصميم مسألة توزيع الأراضي على ورثة أصبح عددهم يزداد بوتيرة سريعة. فبعدما كانت الحيازات العقارية موزعة على عدد قليل من السكان بلغ عددهم (٥٦٣) شخصًا في إحصاء عام (١٩٣٢م) أصبحت اليوم موزعة على (٨٠٥٣) نسمة. ومن ثمّ فإن عدد الذين يملكون أرضًا للبناء هو في تناقص مستمر. أضف إلى ذلك عدم توفر المال الكافي في ظل أزمة البطالة ومحدودية الدخل. وعليه بالإمكان القول: أن دياب كان رائدًا في مجال

المهن الصناعية والأعمال، سيما أنه امتهن أيضًا صبّ النحاسيات (مسكات أبواب وثريات وتحف) وتصديرها إلى السعودية، عندما كان الأرمن يشكلون عصب هذه الصناعة[١].

قطاع بيع المحروقات - وتميّز دياب في إنشاء محطة للوقود عام (١٩٨٥م) وكانت الأولى في البلدة وما زالت تعمل لغاية تاريخه، بعقد ضمان مع يونس محمد يونس، تبعه ذلك علي محمود قاووق (أبو عفيف)عام (١٩٩١م)، وكانت عند مدخل البلدة لجهة الدوير. إلا أنها لم تستمر طويلًا وأقفلت بصورة نهائية أواخر (٢٠١٠م). ومؤخرًا أنشأ مصطفى محمد أحمد عيسى معلّم محطة عند مدخل البلدة لجهة الدوير، ومثله فعل إسماعيل شريف إسماعيل علي حسين عند محلة عين الفوقا.

نجارة الخشب - مع التقلص التدريجي للمساحات المزروعة وبوار الأرض، في مقابل تمدد عمراني خارج المساحة التقليدية للبلدة بفعل الزيادة المضطردة للسكان، واعتماد نمط بناء مختلف بدأ بالظهور بداية الأربعينات[٢]، ظهرت حاجة ماسّة لوجود مهن لم تكن معروفة من قبل. يروي حسن محسن (مختار البلدة) ظروف تعلّمه المهنة بالقول: « قبل سنة (١٩٦٠م) كان هناك شخص يدعى جان عبد النور من النبطية يقصد البلدة من حين لآخر لتصنيع وتركيب أبواب وشبابيك خشبية لمن يرغب من الأهالي. بداية عملي كان بالزراعة ومن ثمّ (مورّق) إلى أن تعلمت مهنة النجارة في صيدا. كان ذلك عام (١٩٦٠م) وباشرت العمل وافتتحت دكانًا عند بيت الحاج علي دياب بالقرب من بيت إبراهيم سارة بإيجار سنوي (٣٠) ليرة. عدة الشغل كانت يدوية ومؤلفة من منشار ورابوخ ومقدح ومغراية، الغراء الأبيض الموجود حاليًّا لم يكن موجودًا، وكنّا نسنعيض عنه بغراء هو عبارة عن خلطة توقد على النار لمدة من الوقت. وكنّا نأتي بالخشب من النبطية من دكان شريف مكي وشريكه عبد الرؤوف قديح، وكان سعر المتر المكعب (٢١٠

(١) مقابلة مع محمد علي أحمد دياب، مرجع سابق.

(٢) (بيوت متباعدة نسبيًّا عن بعضها البعض وتصاميم جديدة).

(ليرات، المصنوعات كانت عبارة عن أبواب، شبابيك، وأدوات تُستعمل في توضيب التبغ، هي: دنك، صندوق، فرش. عملت في الدكان لمدة عام انتقلت بعدها للعمل في البيت. العمل اليدوي بالخشب كان صعبًا ومع ذلك كان يتصف بالجودة والمتانة»[١]. وهكذا من عبّا كانت تورّد الشبابيك والأبواب وغيرها من مستلزمات البيت الخشبية إلى بلدات كفر صير، وبريقع، كفرتبنيت. وأحيانًا جزين، بنت جبيل، صور، كونين، دير قانون النهر، كان ذلك قبل العام (١٩٧٨م)[٢]. إلا أن هذه المهنة، وإن استمرّت مزاولتها في البلدة لغاية اليوم، إلا أنها لم تواكب تطور الآلة لا سيّما الرقمية منها، وبقي عدد العاملين فيها على مستوى فردي محدودًا قياسًا على مهن أخرى. فالمختار علّم نجله زهير، وأتقنها عندما أدخل إليها صناعة المفروشات المنزلية. ومن أبناء البلدة لم يعمل بها حديثًا في العام (٢٠١١م)، سوى إبراهيم علي مصطفى علي هارون ومحمد حسن عبدو إسماعيل وما زالا.

الحدادة الإفرنجية – أدى التوسع العمراني خارج المساحة التقليدية للبلدة وحاجة الأهالي إلى زيادة عامل الأمان وخوفًا من السطو خاصة أولئك الذين يقيمون في بيروت شتاء، فضلًا عن الفارق في الأسعار، كانت الأبواب والنوافذ الحديدية مطلبًا يلبي حاجات هؤلاء. وهكذا دخلت مهنة (الحدادة الإفرنجية) حلبة المنافسة، وكان أول المبادرين محمد علي أحمد دياب. يروي (أبو عباس) ظروف تعلّمه المهنة من أخيه محمود، والتي بدأها من الشام وأكملها في النبطية، بالقول: «عندما احترفت المهنة جيدًا قصدت عام (١٩٦٥م) مدينة النبطية وافتتحت دكّانًا للحدادة في مبنى يقع مكان مقابل المهنية الحالية في حي بيدر بئر القنديل. حتى هذا العام كانت الأبواب والنوافذ خشبية، ثم بدأ الناس في النبطية والقرى المجاورة بما في ذلك عبّا يميلون إلى تجهيز بيوتهم بأبواب وشبابيك حديدية. ومن كفر رمان كان أحمد ضاهر وصلاح بشّاغة وآخر من آل الأرناووط منافسين لي. حتى العام (١٩٨٣م) بقيت أمارس المهنة وعمل معي، نايف دياب، حمزة

(١) مقابلة مع حسن محسن عبدو، مرجع سابق.

(٢) مقابلة مع محمد علي أحمد دياب، مرجع سابق.

دياب ومن جبشيت محمد فحص، وآخرون من كفر تبنيت ودير الزهراني بالإضافة إلى فلسطينيين وبلغ مجموعهم (٤٠) عاملًا، وخلال فترة وجيزة تمكنت من رفع نسبة القيمة السوقية لعملي لتشمل قرى مرجعيون والشريط الحدودي المحاذي لفلسطين المحتلّة، وكانت علاقتي بهم جيدة إذ كنت أصنّع لهم أبوابًا حديدية للملاجئ والمستودعات.»[١]. وإلى جانب مهنة الحدادة الإفرنجية عمل مبكرًا في مهنة قصّ زجاج الأبواب والنوافذ وتفصيله أحمد علي أحمد دياب وأنشأ دكانًا لهذه الغاية. عدم وجود منافس لمهنة الحدادة الإفرنجية فضلًا عن الخصائص التي يتمتع بها الحديد في الصناعات المنزلية، واستجابته لمتطلبات سوق العمل، شجع العديد من أبناء البلدة الواحد تلوَ الآخر، إلى تعلّم المهنة والانخراط في سوق العمل، وهؤلاء هم: علي أحمد ترحيني، محمود أحمد قاسم ترحيني، نايف حسين دياب، أحمد شريف ترحيني، حسين قاسم ترحيني، عبدلله كامل سليمان، علي حسن حريري، حسين يوسف ترحيني، محمد أحمد عبدلله حريري، حسين إبراهيم قاووق[٢]. وهؤلاء افتتحوا محالًّ لهم في البلدة، وأسهموا في إيجاد فرص عمل لعدد من الشباب، بعد الانفتاح على أسواق البلدات المجاورة. إلا أن ظهور معدن الألومنيوم كعنصر أساسيّ في صناعة الأبواب والنوافذة والتجهيزات المنزلية الأخرى، أدى إلى تراجع مهنة (الحدادة الإفرنجية) نتيجة إحجام العديد من شبان البلدة عن العمل بها، والإقبال على (نجارة الألومنيوم)، التي سرعان ما لاقت رواجًا واسعًا سواء عند العاملين فيها، أم الأهالي الذين وجدوا فيها مميزات يفتقدها الحديد، في طليعتها عدم الصدأ. وأبرز أصحاب ورش هذه المهنة: عباس عميس، نعمة علي يونس ترحيني، حسين قاووق، حسني قاووق، علي حريري، رضا علي جواد، إبراهيم ترحيني، محمد قاووق[٣].

وأحدث التغيير العام الذي أصاب نمط البناء القروي، والذي كان في غالبيته

(١) مقابلة مع محمد علي أحمد دياب، مرجع سابق

(٢) الجدول من إعداد المؤلف.

(٣) نفس المصدر.

العظمى حتى ستينات القرن الماضي يعتمد تصميم البيوت العربية التقليدية ذات الطبقة الأرضية الواحدة، التي تحافظ على الخصوصية وتسمح لأهل البيت التحرك بحرّية بين الغرف وصحن الدار، تفاوتًا واضحًا في اعتماد أهالي البلدة على الخشب والحديد والألومنيوم كمادة لصناعة التجهيزات المنزلية من أبواب ونوافذ وغيره. وكان في صدارة التراجع الخشب يليه الحديد فيما حافظ الألومنيوم على حضوره داخل البيت وخارجه وتنوعت استعمالاته من خزائن المطبخ الأبواب والنوافذ وحتى درابزين وواجهات الشرفات، وكذلك في المحلات التجارية والمؤسسات، وتجاوز الاعتماد عليه حدود البلدة.

صناعة زيت الزيتون - من الصناعات التي استمرت وتطورت نظرًا لاستمرار حاجة العبّاويين إليها وانتفاء البدائل عنها. كانت صناعة زيت الزيتون. إذ كان الزيتون المنتج في عبّا، يدرس خارجها، في بلدة دير قانون، حيث كان يوجد معصرة واستمر هذا الوضع فترة طويلة. وكان الأهالي يبيتون ليلهم هناك وفي اليوم التالي يؤتى بالعصير غير المصفى، لتتم تصفيته يدويًّا بطرق بدائية مضنية[(١)]. يُجمع من عاصر مرحلة ما قبل ستينات القرن الماضي على رواية واحدة حول كيفية عصر الزيتون واستخراج الزين منه بالقول «على قلّته وحيث لم يكن شائعًا زراعة الزيتون كانت عملية عصر الزيتون خارج البلدة تنتهي بإحضار المزيج إلى البيت ويوضع في وعاء ويترك حتى يركد الماء في القعر ويطفوا الزيت أعلى الإناء، من ثمّ تقوم النسوة بتمرير راحة يدهن على الزيت وتنقلها إلى وعاء آخر وتزيله، وهكذا إلى أن ينتهي آخر قطرة من الزيت ومن ثمّ يرمى الماء المتبقي»[(٢)]. عن هذه التجربة، يقول محمد خليل يونس أحمد هارون (أبو فايز) « نصف تنكة هو مقدار ما كان ينتجة المزارع»[(٣)].

بداية السبعينات طرأ تحول جذري في صناعة زيت الزيتون، بأن أصبح إنتاج

(١) مقابلة مع شريف أمين أحمد خليل، مرجع سابق.

(٢) مقابلة مع سعيد إبراهيم يونس، مرجع سابق.

(٣) مقابلة مع محمد خليل يونس، مرجع سابق.

الزيت بكامله يتم في عبّا، بعدما تم استجلاب آلات، كانت تُعَدّ بمقايس تلك المرحلة حديثة. فقد أحضر معصرة تُسيّر بواسطة الخيل، وتقوم بتصفية الزيت تلقائيًّا بواسطة مكبس آلي «كان ذلك سنة (١٩٦٥م) عندما أنشأ محمود يونس وإسماعيل علي حسين معصرة للزيت، وكانا أول من تشاركا للعمل في هذه المهنة»[1]. تزامن ذلك مع ازدياد عدد الأراضي المزروعة، وقيام عدد من المزارعين بمضاعفة النصوب في مساحات بعد استصلاحها، وكذلك فعل المقيمون في بيروت. شكّل ذلك حافزًا لآخرين للعمل في هذا القطاع، وتضاعف عدد معاصر الزيتون في عبّا ليصبح في الوقت الراهن أربعة، هذه أسماء أصحابها: محمود يونس- أحمد محمود يونس - محمد علي دياب وعلي أحمد محمود يونس ومصطفى معلّم. وهؤلاء واكبوا التحديثات التي طرأت على صناعة الزيت، وأصبح خط الإنتاج يبدأ بوضع الزيتون في مستوعب كبير يتم غربلته وتنقيته من الحبوب الصغيرة واليابسة، ومن ثمّ يعرّض لضغط الهواء لتنظيفه من الأوراق ويغسل بمياه نقية بعدها يُهرس في جرن كبير بواسطة عجلتين كبيرتين مصنوعتين من الصخر الصلد. يلي ذلك وضع الزيتون المهروس على إطارات مصنوعة من الليف الصناعي القاسي وترصف الواحدة تلو الأخرى ويوضع بين كل عشرة إطارات، صحن حديدي يساعد في ضغط المكبس وتضخ عصارة الزيتون إلى خزان، لتبدأ عملية التكرير بواسطة آلة أوتوماتيكية (مصفاة) تفصل الزيت عن الماء.

وهكذا أصبحت عبّا مقصدًا لمزارعي البلدات المجاورة، لعصر زيتونهم، بإنتاج يقدّر بالآلاف الكيلو غرامات محملًا بالشاحنات الخاصة أو تلك التي يرسلها أصحاب المعاصر إلى من ليس عنده وسيلة نقل. الجدير بالملاحظة أن الطاقة التشغيلة لمعاصر الزيتون في عبّا، ذات قدرة عالية، تستوعب ما ينتج من داخل وخارج عبّا، من دون أن يتأثر خط الإنتاج. هذا وتقدّر كمية ما ينتجه مزارعو عبّا من زيت سنويًّا، ما يقارب (٦٥) طنًّا (أي بمعدل (٢٠٠) غرام زيت لكل كيلو غرام زيتون). وتؤمن هذه الزراعة دخلًا سنويًا للبلدة يقدّر بـ(٥٠٠ - ٦٠٠) ألف دولار.

---

(١) مقابلة مع سعيد إبراهيم يونس، مرجع سابق.

ومثله تقريبًا ما ينتج من خارج البلدة. وبما أن كلفة العصر هي (١٠٠٠) ليرة عن كل كيلو زيت، فإن مجموع ما يتقاضاه أصحاب المعاصر هو (١٣٠) مليون ليرة[١]. وبعد احتساب كلفة الإنتاج وأجرة العمال وهم بغالبيتهم من العمالة الأجنبية، فإن جزءًا كبيرًا من هذا المبلغ يذهب بمجمله لأصحاب المعاصر حصرًا، ومن ثمّ فإن دورة الحياة الاقتصادية في البلدة لا تتأثر بهذه المداخيل إلا بقدر محدود جدًّا.

وإلى جانب الرجل مارست المرأة العبّاوية بعض المهن والأعمال المنزلية، فبالإضافة إلى عملهن في البيت، كنّ يعملن إلى جانب أزواجهن في خدمة الدواب. ويبدأن «بعد تناول طعام الصباح وحين ينام الأطفال، تذهب الأم إلى عمل آخر، كان عليها أن تحشّ أي تأتي بالحشيش أو التبن اللازم لإطعام الحيوانات التي ستأتي من العجّال بعد ظهر كل يوم. من دون أن تنسى شك أرواق التبغ فضلًا عن عملهن في الحقل وقت الزرع والحصاد والبيدر. وعمل البيت بانتظارهن، وكان لا يقتصر على العناية بالأطفال، بل يشمل الطبخ والغسل وتنظيف المنزل والزريبة، ونقل السواد أي خثي الحيونات إلى الحقل، ولطع الخذير»[٢]. لذلك كانت الحوامل منهن تتعرض للإجهاض وموت الأجنة، وكان أمرًا مألوفًا نظرًا لما تقوم به المرأة من أعمال شاقة طوال العام.

على مدى العقود الأربعة الماضية فرض انفتاح المجتمع العبّاوي على ثقافات مختلفة عنه نتيجة العولمة التي جعلت من الكرة الأرضية قرية صغيرة، وجود مهن هي على جانب كبير من الضرورة، لا يمكن بدونها أن يستقيم إيقاع الحياة اليومية. منها، مهنة البقالة كما كان يعبّر عنها في الخمسينات من القرن الماضي عندما كانت تتمركز في الساحة العامة، منها: حانوت علي جواد محمد هارون الذي جمع بين البقالة والقماش. وبحسب ولده حسن علي جواد (أبو أنيس)، كان والده السيد جواد هارون أول من افتتح دكانًا في الساحة العامة لبيع الأقمشة الرجالية والنسائية استأجره من السيد محمود يونس، وكان مصدر بضاعته من فلسطين وأحيانًا قليلة

(١) إحصاءات بلدية عبّا ٢٠١١.

(٢) فايز ترحيني: دائرة الشوك حكاية الولد...، مرجع سابق.

من بيروت»[١]. وانفرد حسين جفال ببيع (البقالة) ورضا مرتضى أحمد خليل (اللحم) وكذلك قاسم الحاج إبراهيم. وكان بعض الأهالي يقولون له « أجو البيارته ادبح يا قاسم لأن مواعيد الذبح كانت يوم الجمعة من كل أسبوع»[٢]. وحسين عبدو حسين أحمد فقد اختصّ بـ(البقالة) ثم أضاف إليها لاحقًا تعبئة الكاز ثم بيع قوارير الغاز. «وقاسم الحاج إبراهيم عميص (حلاّق) وأحيانا كان الحلاق يتولى ذبح الماشية وبيع اللحم وأحمد يوسف أسعد حسين بيع (القماش)»[٣]. ومحمد حسن خليل (أبو خليل) بقالة، وداوود يوسف أسعد حسين وعلي جفال، بقالة. وأحمد يونس أحمد (بقالة وفحم ومازوت) وحسن عز الدين (أبو عزات) بقالة. وكان مجمل هذه الحوانيت يبيع ما توفر من مواد غذائية وتموينية كانت سائدة في تلك المرحلة ومعروفة لدى الأهالي، ويقبلون على شرائها كلما دعت الحاجة إليها، وهي: السكر، الشاي، الرز، الزيت، السمنة، أعواد الكبريت، الصابون، بعض أنواع السكاكر والبزورات، الشمع، السِّراج ومستلزماته، ومستلزمات شك التبغ، الأقمشة، التمر. وما فاض عن حاجة بعض أهالي البلدة من محصول البطيخ والشمام والقرعيات. وكان بعض الحاجيات التي تصنف في خانة الكماليات يُؤتى بها من النبطية أو صيدا أو بيروت. أمّا تجهيزات هذه الحوانيت فكانت تقتصر على بعض الرفوف الخشبية والموازين اليدوية بكفتين مع عِيَارات بأوزان مختلفة، وأكياس ورق بأحجام مختلفة. وكان جلّ الزبائن طيلة أيام الأسبوع من أهل البلدة، الذين كانوا يقصدون كل أسبوع سوق الاثنين للتبضّع بحاجيات غير موجودة في حوانيت البلدة. لذا عرفت عبّا بمحدودية حركتها التجارية فهي ليست بلدة مقصد أو عبور إلى بلدات أخرى، وقاصدوها هم من أهل البلدة. وكان البعض من أهل البلدة قد افتتح حوانيت في مدينة النبطية وهم: محسن إبراهيم ابن السيد محمد علي وأحمد بن رضا مرتضى وعملا في بيع البقالة. أما محمد خليل (أبو فايز) فقد

(١) مقابلة مع حسن علي جواد، مرجع سابق.

(٢) مقابلة مع شريف أمين أحمد خليل، مرجع سابق.

(٣) مقابلة مع سعيد إبراهيم يونس، مرجع سابق.

افتتح عام (١٩٦٧م) محلاً لبيع الملابس، وكان يقصد بيروت للتسوق[1].

بدءًا من تسعينات القرن الماضي، ومع تغيّر نمط البناء، لا سيّما الواقع منه على الطرقات الرئيسية، صار الطابق الأرضي مخصصًا قسمًا منه للمحلات التجارية. التي ازداد عددها خلال عقدين، بوتيرة سريعة، من دون الأخذ بالاعتبار حاجة السوق إليها. وبعدما قمنا باستطلاع ميداني شمل جميع شوارع البلدة الرئيسة بما في ذلك الساحة العامة، وتبين لنا أن عدد المحلات التجارية بلغ (٣١٩) لغاية (٣١ آذار) منها (١٢٣) دون إشغال أي ما نسبته (٣٨,٥٥٪)، وهي نسبة مرتفعة إذا ما قورنت بعدد الشاغل منها وهو (١٩٦) أي ما نسبته (٦١,٤٤٪). وتوزع المحلات المشغولة على القطاعات التالية: تعاونيات استهلاكية، محطات وقود، بيع أجهزة الخليوي والستالايت، بيع الأدوات المنزلية، والألبسة النسائية والأطفال، بيع اللحوم والأفران، صالونات الحلاقة الرجالي والنسائي، بيع البقالة، الحدادة الإفرنجية ونجارة الألومينيوم، حدادة وكهرباء السيارات صالات بيع القهوة الجاهزة والنسكافيه والأراكيل، مطاعم، صيدليات، قرطاسية وألعاب، مواد ولوزام البناء من إسمنت والحديد والبحص والرمل، وتجهيزات وتمديدات كهربائية وسمكرية (بيع الاسمدة والتجهيزات الزراعية كالبذور والأسمدة والشتول والمبيدات والمخصبات وتجهيزات الري بالجملة والمفرق[2]) وغيرها. فيما يلي أسماء بعضهم: أحمد علي أحمد ذياب (مواد بناء)، ياسين محمد علي موسى ترحيني (تمديدات كهربائية وصحية)، هشام يوسف علي يوسف ترحيني (تمديدات كهربائية وصحية)، أبو علي حسن حمود (تمديدات كهربائية وصحية)، أبو حسين علي مهدي (تمديدات كهربائية وصحية)،علي حسين ترحيني (تمديدات كهربائية وصحية)، علي عبد اللّه قاسم ترحيني (تجهيزات صناعية وزراعية)

---

(١) مقابلة مع محمد خليل يونس، مرجع سابق.

(٢) قرار رقم ٩٣٨ تاريخ ٢٤/ ٧/ ٢٠١٧م، الماد ١: يرخص بتعاطي مهنة بيع الأسمدة الزراعية لصالح السيد حسن ترحيني، صاحب محل :مشاتل حسن عبد الرسول ترحيني، عنوان المحل :الدوير - قضاء النبطية - الشارع العام - حي المطبرة - عقار رقم ١٣١٠، الجريدة الرسمية، العدد ٣٩، تاريخ ٣١/ ٨/ ٢٠١٧م، الصفحات ٣٠٩١- ٣٠٩٢.

أحمد محمد سلامي (آليات أبنية وإنشاءات)، علي محمود ترحيني (آليات أبنية وإنشاءات)، محمد ترحيني (آليات أبنية وإنشاءات)، هيثم ترحيني (آليات أبنية وإنشاءات) حسن عبد الرسول ترحيني (أسمدة زراعية). ومعظم هذه المحلات، حجم الاستثمار فيها صغير، لذلك تقتصر على عامل واحد، إضافة صاحب العمل، ومن ثمّ، لا يعتمد عليها في إيجاد فرص عمل؛ هذا لأن الوضع التجاري في البلدة بقي على سابق عهده، ولم يسجل حركة استثمار من خارج أبنائها، إلا بقدر قليل.

شجعت سياسة النقل العام في لبنان وغياب خطوط النقل المشترك، خاصة من المدن إلى قرى الأطراف على تعميم وسائل النقل الفردية، ومن ثمّ زيادة عدد السيارات الخاصة. وكغيرها من البلدات، لم يعد في عبّا، وجود السيارات مقتصرًا على العمومية منها. وبدءًا من ثمّانينات القرن الماضي أصبح لكل فرد سيارته الخاصة يتنقل بها أينما أراد. هذا الواقع أكّد الحاجة إلى أيجاد مهن متخصصة في صيانة السيارات. واستقطبت هذه المهنة عدد لا بأس به من شبان البلدة الذين بادروا بعد أن اتقنوها، إلى إنشاء ورش صيانة خاصة بهم في محلة مرج حاروف توزعت على أقسام الحدّادة، الدهّان، الكهرباء، تركيب الزجاج. وهناك من عمل في صيانة مكانيك السيارات، وآخر في تعليم القيادة (الملك) والاستحصال على رخص سوق، وهؤلاء هم[1]: دهّان سيارات: نزيه حسين معلم، حسين نعيم معلم، حسن علي رضا، عصام كلوت، محمد حسين ترحيني، مالك أحمد ترحيني – دهان وقطع سيارات، مصطفى هارون، زين ترحيني، هلال حريري. حدادة السيارات – محمد كلوت، محمد هارون، عباس ترحيني، حسين محمد ترحيني، حسين جميل ترحيني، مرعي سبيتي، حسن علي حريري، عفيف أحمد ترحيني. صيانة ميكانيك السيارات – جهاد عوالي. كهرباء آليات – محمد علي حسن ترحيني، محمد نجيب يوسف ترحيني، محمد علي ترحيني، حسام علي ترحيني. تركيب زجاج سيارات– عدنان إسماعيل يوسف حسين عميص. تعليم قيادة السيارات علي حسين أحمد ترحيني. ويعمل نسبة كبيرة من من هؤلاء في المنطقة الصناعية من مرج حاروف.

---

(١) الجدول من إعداد المؤلف.

وعملهم يتراوح بين الدائم والمتقطّع. وهي مهن تصنّف مؤسسات صغيرة الحجم تُستعمل أقل من أربعة عمال ويغلب عليها الطابع الخدماتي، بحيث أن العاملين فيها هم ذات وضعية منخفضة نسبيًّا من حيث الدخل، وهؤلاء ينتمون عند تصنيف مستوى أحوال المعيشة، إلى فئة الإشباع المتدنية فيما يتعلق بالصحة والتعليم والترفيه وغيره من أحوال المعيشة.

حتى اندلاع الحرب الأهلية، لم يكن في القرى العاملية وعبّا منها، إلّا حياة اجتماعية وثقافية تتوازى مع الكفاف والاكتفاء الذاتي، إلى أن بدأت بيروت ودول الخليج وأفريقيا، تشهد بوتيرة متصاعدة، نزوحًا واغترابًا أسَّس لتحولات اجتماعية واقتصادية وثقافية لاحقة تختلف عن حياة الريف التقليدية الخاصّة. وعلى قاعدة هذا التحوّل، ظهرت في سنوات ما بعد الحرب، حركة تعليمية في عموم جبل عامل والضاحية وبيروت شبيهة إلى حد ما بالتي عند المسيحيين. وهكذا انتشرت في المناطق ذات البعد الإسلامي، مؤسسات تعليمية لكافة مراحل الدراسة بما في ذلك الجامعي، استوحت من الإرساليات المسيحية برامجها، ونافستها. وبطبيعة الحال استفادت عبّا من هذا التطور، وكان تلامذتها روّادًا في مجالات اختصاصهم وهؤلاء مهندسون من كافة الاختصاصات، يقومون بوضع تصاميم الأبنية التي يشرفون بصورة عامة على تشييدها وتنفيذها. وكذلك يدرسون وينجزون تصاميم التجهيزات والإنشاءات الكهربائية والميكانيكية والإلكتروميكانيكية ويتابعون إجراءات تركيب وتشغيل وصيانة أجهزة الاتصالات والمقاسم الإلكترونية المركزية والفرعية أو يصلحون أجهزة الراديو والتلفزيون والأجهزة اللاقطة بها في المشغل أو في أماكن استخدامها. وهؤلاء هم: زكريا حسين ترحيني، زكي حسين ترحيني، كميل عبد الحليم ترحيني، علي أحمد ترحيني، هاشم سليم ترحيني، محمد شريف ترحيني، عباس يوسف ترحيني، محمود يوسف ترحيني، محمد حسن ترحيني، صبحي عبد الحليم ترحيني، إبراهيم علي ترحيني، نصر اللّه حسين ترحيني، حسين علي ترحيني، حسين علي ترحيني، اكرم محسن ترحيني، عبد المجيد أحمد ترحيني، محمد أحمد ترحيني، فضل حسن ترحيني،

رفيق حسن ترحيني، كمال مصطفى ترحيني، علي محمد ترحيني، خليل علي ترحيني، قاسم محمد ترحيني، انور محسن ترحيني، جودت محمود ترحيني، حسن حسين ترحيني، محمد يونس ترحيني، وسام محسن ترحيني، حسن محمد ترحيني، بلال حسن ترحيني، وليد حسين ترحيني، شادي إبراهيم ترحيني، محمد أمين ترحيني، حسين حسن ترحيني، هيثم علي ترحيني، هادي إبراهيم ترحيني، حسين علي ترحيني، حنان حسين ترحيني، حسين محمد ترحيني، محمد حسين ترحيني، محمد نايف ترحيني، محمد علي ترحيني، هادي موسى ترحيني، علي عباس ترحيني، رشاد محمد ترحيني، محمد علي ترحيني، تقوى علي ترحيني، محمد خضر ترحيني، علي أحمد ترحيني، سميره إبراهيم ترحيني، زينب أحمد ترحيني، حاتم أحمد ترحيني، حسن علي ترحيني، حسين محمد ترحيني، ميرا كميل ترحيني، عزه زكريه ترحيني، إبراهيم محمد قاووق، زين علي قاووق، أحمد عبد الحسين عميص، يونس محمد عميص، حسن حسين عفيف حريري، حسن محمود يونس، محمد موسى يونس، حسن علي معلم، محمد علي أحمد هارون.
واطباء يقومون بالفحص الجسماني والسريري ويقومون بالإبحاث والفحوص الشعاعية والمخبرية المنوعة بغية وضع تشخيصات فردية أو دراسات جماعية ويصفون العلاجات الطبية أو الجراحية، وهم: يوسف محمد علي إبراهيم، ياسين محمد يونس، علي سعيد ترحيني، أحمد ترحيني، إبراهيم سعيد ترحيني، علي شريف ترحيني، محمد أحمد ترحيني، حسن محمد علي دياب، علي محمد علي دياب، جمال عبد الحسن عميص، حسن محمد أحمد ترحيني، قاسم محمد أحمد ترحيني، عبدو يونس ترحيني، محمد قاسم قاووق، بلال حريري، نصرت حريري، وائل حريري، محمد حريري، عبدو محسن ترحيني، حسين علي يونس، عباس علي يونس، هاشم علي يونس، أحمد علي أحمد ترحيني، حوراء علي أحمد ترحيني، جهاد حسين قاووق، إبراهيم حسين قاووق.

وقضاة ومحامون يرافعون أمام المحاكم في الدعاوى ويدرسون القوانين والأنظمة واجتهادات المحاكم لمعرفة التشريع الواجب تطبيقه في المنازعات المدنية أو

الادعاءات الجزائية، وهم: علي يونس، علي إبراهيم حريري، أحمد محمد على موسى ترحيني. ومخرجون يعدّون البرامج والمسلسلات التلفزيونية والإذاعية والسينمائية ويوجهون العاملين فيها من ممثلين وفنيين ويوجهون التعليمات للمسؤولين عن الإضاءة والصوت والديكور والملابس. وخطاطون ينفذون كتابات زخرفية باللغة العربية طبق قواعد الخط العربي. وأصحاب مكاتب تخليص البضائع في المرافئ اللبنانية يخلّصون البضائع ويشحنونها لحساب الأشخاص والمؤسسات. وهناك فئة الطهاة الذين يعدّون ويطهون الطعام في الفنادق والمطاعم وغيرها من المؤسسات المماثلة وعلى متن البواخر وفي المنازل الخاصة. وإلى جانبهم السقاة في المطاعم، وهم: حسن قاووق أبو ربيع، علي محمد ترحيني، علي رشيد ترحيني، حسن رضا ترحيني، محمد رضا ترحيني، أحمد عبدو إسماعيل ترحيني، علي عبدو إسماعيل ترحيني، داوود محمد ترحيني، إبراهيم أحمد ترحيني، يحي عميص، جعفر علي عميص، الياس قاسم عميص، وسام عبد الكريم ترحيني، علي حسن أحمد ترحيني، حبيب حسن معلم، محمد جفال، إبراهيم جفال، حسين حسن عبد اللّه عثمان ترحيني، حسن خليل ترحيني، علي مصطفى ترحيني، محمد حسن محمود ترحيني (الربوع)، علي أحمد محمود ترحيني (الإمام)، حسن صلاح ترحيني، قاسم صلاح ترحيني، محمد أحمد إسماعيل ترحيني، علي سلمان ترحيني، موسى علي يونس ترحيني، هاني محمد شريف يونس، إبراهيم محمد هارون. وعمال الاستقبال في الفنادق وصناع الحلوى والسكاكر من أصناف غربية وشرقية. وأخيرًا الجزّارون (القصّابون) الذين يبيعون ويعدون كافة أصناف اللحم. وفي الوظيفة العامة والخاصة والمهن العلمية على اختلافها وهم في (الجيش اللبناني) أسد حريري، عميد، حسن معلّم، عميد، نديم موسى جفال، حسين ترحيني، رائد، محمد حسن معلّم، ملازم، عبد الرسول ترحيني، يوسف علي هارون، علي أحمد عميص، محمد أحمد عميص، حسين أحمد عميص، مالك محمد ترحيني، على محمد ترحيني، مالك علي ترحيني، أحمد عبود ترحيني حسين عبود ترحيني، حسين عبود ترحيني، حسن عبود ترحيني، علي سعيد ترحيني، إسماعيل حسين عثمان ترحيني، جميل كالوت، شادي حسين ترحيني، حسين كالوت، حسن كالوت، محمد حسين ترحيني، قاسم

محمد ترحيني، علي محمد ترحيني، حسين محمد ترحيني، حسن إبراهيم ترحيني، إبراهيم محمد ترحيني، محمد حسين دياب، علي كامل ترحيني، محمود حسين دياب، حسن علي ترحيني، حسين علي ترحيني، اشرف ترحيني، إبراهيم ترحيني، محمد يوسف هارون، إبراهيم قاووق، محمد أحمد جفال، محمد حسن جفال، أحمد قاووق، محمد عفيف قاووق، أحمد حسن معلم، حسين علي معلّم جعفر ترحيني، حسن ترحيني، قاسم ترحيني، علي ترحيني، هاني شريف ترحيني، ربيع ترحيني- (شرطي أمن داخلي) أحمد محمد علي إبراهيم، سلمان داوود حريري، موسى يونس، حسن محمد ترحيني، هشام محمود ترحيني، أحمد حسن ترحيني، إبراهيم يونس، خليل محمد ترحيني، أحمد محمد ترحيني، عمّار محمد ترحيني، حسين ترحيني، أحمد حسين ترحيني، حسن حسين ترحيني، سميح ترحيني، حسين أحمد ترحيني، (مفتش أمن عام) محمد مصطفى ترحيني، أحمد يونس هارون، خليل يونس هارون، محمد علي معلّم، كمال قاووق، أحمد جفال، حسين علي ترحيني، حسين معلّم، بلال حسين ترحيني، وسام حسن معلّم، علي حسين ترحيني - مفتش (أمن دولة) أحمد حسن ترحيني، حسين مصطفى ترحيني،أحمد ترحيني، شوقي ترحيني، وسام معلّم، علي معلّم، حسن علي نجيب ترحيني، زكريا ترحيني، هاشم يونس، (مفتش جمارك) حسين عباس ترحيني- (ضابط)، محمود معلم (دائرة نفوس النبطية[1])، علي حسن ترحيني، عبد حسن ترحيني، علي عبد العزيز ترحيني، (كاتب في البلدية) نيبال قاسم قاووق، (شرطي بلدي) محمد نعمة ترحيني، عماد قاووق، (إطفائي)عصام إبراهيم نور الدين - (موظف ضمان اجتماعي) عباس شريف يونس هارون، علي حسن محسن معلّم، محمد علي أحمد هارون، حوراء مصطفى علي يوسف ترحيني، (كاتب محكمة) علي محمود هارون - محمد خليل علي محمود ترحيني، (قاضي)علي يونس، (رئيس دائرة) - (مدير فرع جامعي) انور محسن عبدو ترحيني، (أمين مكتبة المجلس النيابي اللبناني) - (طيار نقل

---

(١) التجأت إلى النائب عبداللطيف الزين الذي أمّن لي الانتقال إلى السلك الإداري والتحق بقلم نفوس محافظة النبطية وبقيت حتى إحالتي إلى التقاعد. مقابلة مع الأستاذ محمود حسين معلّم، مرجع سابق.

جوي) محمد قاسم محمد ترحيني، (مصرفي) علي حسين عبدو ترحيني، عفيف قاووق. وفي مهنة التمريض والمختبرات الطبية نذكر: زين العابدين ترحيني، أحمد محمد ترحيني، أميرة شريف ترحيني، محمد كلوت، خديجة إبراهيم ترحيني، مريم ترحيني، فاطمة جفال، بشير ترحيني، محمد داوود ترحيني، سليم ترحيني، باسم ترحيني، أشواق ترحيني، محمد طلال ترحيني، عبدو نايف ترحيني، شريف هاني يونس، قاسم محمد يونس،)، حسين نعمة عميص، مريم عز الدين (مختبر)، هبة علي ترحيني(مختبر).

ومن بين المهن هناك من مارس مهن تلبيس الجبصين وهو جمال عبد الحليم ترحيني وعمله يعتمد على مدّ طبقة أو أكثر من الجص على الجدران الداخلية وسقوف الأبنية لتنميقها، والقيام بأعمال تزيينية بواسطة الجص ثم تركيبها على الحوائطُ. كما مارس مهنة راتق سجاد: حسين علي مصطفى علي هارون ومن بعد وفاته، ولده محمد. والمهنة المذكورة تقوم على رتق الأماكن التالفة أو الممزقة في السجاد. وهناك من مارس خياط وتركيب البرادي الداخلية والخارجية ويقوم بتركيبها وأغطية المفروشات والبرادي ومن هؤلاء: محمود حسين علي مصطفى علي هارون (أبو هيثم) أبو بشير وعلي خليل ترحيني. بعيدًا عن المهن المتعلقة بالبناء وانفرد من عبّا بمهنة صانعة المراجل والخزانات محمود علي أحمد دياب وأولاده في تفصيل الصفائح المعدنية السميكة بقياسات وأشكال متعددة لزوم محطات الوقود والمؤسسات الصناعية الكبرى وذلك لتخزين المشتقات البترولية وبعض المشتقات الكيميائية. والبعض عمل في مهنة الصيرفة وافتتح مؤسسة له في النبطية وضعت على لائحة مؤسسات الصرافة بموجب القرار رقم (٦٥٢٩) تاريخ (٥/ ٤/ ١٩٩٧م)، أسماها شركة عباس ذياب وشريكه للصيرفة، لتصبح بعد التعديل بموجب القرار (٣٥٥) شركة محمد علي ذياب وشريكه للصيرفة»[1]. وفي خطوة غير مسبوقة أنشأ سنة (٢٠١١م) عصام أحمد علي وهبي خليل مصنعًا لإنتاج مواد التنظيف المنزلية في سهلة الوطى ولا يزال، تبعه بعد فترة ولده عماد

(١) الجريدة الرسمية العدد ٥٣، تاريخ ٢٠/ ١١/ ١٩٩٧م، ص٣٨١٢.

بمصنع لأكياس النايلون في بلدة الغازية، لم يدم طويلًا. وانتشرت الزراعات المحمية وربع المستثمرين فيها هم من الموظفين أو المتقاعدين الذين اعتمدوا هذا الاستثمار لتحسين دخلهم.

هولاء الناشطون اقتصاديًّا بحسب القطاعات الاقتصادية وفرص العمل يشاركون مع المرأة في قطاعات مفضّلة لديها حيث نجد أعلى نسبة منهن في في المجالات العلمية والطبية والفكرية والتعليمية كالتمريض والتعليم والخدمات الشخصية ومجال البيع، أما الذكور فإن أعلى نسبة منهم يعملون في المهن ذات الطابع الحرفي. لقد كانت الحرب الأهلية والإسرائيلية والنزوح والهجرة في جانب منها إيجابيًّا فبرزت قطاعات إنتاجية وعمالية أخرى، ساهمت في إطلاق نهضة على غير صعيد، وكرَّست لأبناء البلدة حضورًا فاعلًا أينما حلوا. وبذلك نافست عبّا البلدات المجاورة لها في المستوى الاجتماعي والثقافي لبيئتها من حيث عدد الاختصاصات في المجالات العلمية والفكرية والطبية والتعليمية والفنية وغيرها.

بعض الاستنتاجات:

لأن هجرة العبّاويين التي بدؤوها باتجاه الأرجنتين وكندا، وأفريقيا مطلع القرن العشرين، لم تُؤتِ ثمارها وتحقق ما كانوا يصبون إليه، اتجه البعض منهم للعمل في فلسطين، ساعدهم على ذلك، قرب المسافة، ومتانة العلاقات الاجتماعية والتجارية التي نسجوها مع بعض عائلاتها، ودخلت عبّا دائرة المنافسة وعلاقات الإنتاج في اقتصاديات السوق، واستمرت في ذلك حتى عام (١٩٤٨م).

لم تُحدث نكبة فلسطين تغيرًا جوهريًّا في الواقع الاجتماعي العبّاويّ سوى أنها سرّعت وتيرة النزف البشري، بالنزوح للعمل في بيروت، وكان ذلك عنوانًا لمرحلة جديدة، مارس فيها البعض أعمالًا لم يعهدها من قبل، من بينها الحمّالة ومسح الأحذية. حتى إن الاغتراب مجددًا إلى الخارج، الذي تميّز، بأن أفراده كانوا من ذوي المهن والكفاءات التي تحتاج إليها أسواق العمل، في مشروعات التنمية، لم تسهم أمواله في إيجاد مشاريع استثمارية توفر فرص عمل لأبناء البلدة، لأن كل ما

جرى تحويله صُرف في قطاعات البناء والخدمات والصحة والتعليم.

وأسهمت الحداثة، بأشكالها المتعددة من وسائل اتصال وانتقال وتنوع الغذاء وتعدد مصادره، في تبدّل أنماط الحياة الاجتماعية، بنسبة كبيرة وفي تمدين القرى اجتماعيًّا واقتصاديًّا. وبذلك فقدت عبّا طابعها القروي، بعدما كان معظم قاطنيها يمارسون زراعات وحِرف ومهن صناعية تقليدية، أصبحوا الآن يمارسون زراعات تجارية من شتول وأشجار مثمرة ونباتات زينة. ومن ثمّ لم يعد الفرد العبّاوي زراعيًّا بالمعنى الحصري للوصف، بل أصبحت الزراعة لديه وسيلة للولوج إلى عالم الأعمال من استيراد وتصدير، لا يستقطب يدًا عاملة محلية، ولا يسهم في تحريك عجلة الدورة الاقتصادية، نظرًا لغياب المشاريع التشغيلية لديه، ولأن عائدات تجارته تؤول إليه حصرًا.

على مدى العقود الأربعة الماضية فرض انفتاح المجتمع العبّاوي على ثقافات مختلفة عنه نتيجة العولمة التي جعلت من الكرة الأرضية قرية صغيرة، وجود مهن هي على جانب كبير من الضرورة، إلا أنها تصنّف مؤسسات حجم الاستثمار فيها صغير، لا يعتمد عليها في إيجاد فرص عمل. يغلب عليها الطابع الخدماتي، بحيث إن العاملين فيها هم ذات وضعية منخفضة نسبيًّا من حيث الدخل، وهؤلاء ينتمون عند تصنيف مستوى أحوال المعيشة، إلى فئة الإشباع المتدنية فيما يتعلق بالصحة والتعليم والترفيه وغيره من أحوال المعيشة.

في المقابل، برز روّاد في مجالات اختصاصاتهم من فئة مهندسين ومحامين وأطباء وأساتذة مدارس وجامعيين وغيرهم من الناشطين اقتصاديًّا، ساهموا جميعًا في إطلاق نهضة على غير صعيد، كرَّست لأبناء البلدة حضورًا فاعلًا أينما حلُّوا. وبذلك نافست عبّا البلدات المجاورة لها في المستوى الاجتماعي والثقافي لبيئتها من حيث عدد الاختصاصات في المجالات العلمية والفكرية والطبية والتعليمية والفنية وغيرها.

الفصل الثالث:

نظرة على التعليم في عصر التنظيمات العثمانية بين الكتاتيب والمدارس الدينية والصراع بين الكتاتيب والمدراس الرسمية

الحالة العلمية في جبل عامل:

مع نهاية القرن التاسع عشر، شهد جبل عامل نهضة علميّة انعكست على المدرسة الدينيّة من خلال تطوير أساليب التدريس وطرائق التفكير التي كانت سائدة من قبل. وقد أُنشِئت مدارس دينيّة على أسس حديثة ومتطوّرة، تأثّرت بحركة النهضة العلميّة في العالم العربي. وقد وصل عدد المدارس الجديدة والمجدّدة إلى أكثر من (١٥) مدرسة في جبل عامل فقط. سبق ذلك أنْ مرّ الجبل بفترات متباينة حادة سببها الأحوال المضطربة التي مرت بها المنطقة عمومًا، بحيث «لم ينتج جبل عامل حتى القرن الثاني عشر للميلاد أي عالم كبير من علماء الإمامية، وكان يُعد منهم في القرن الثالث عشر ميلادي أربعة. وفي القرن الرابع عشر سبعة عشر، وفي القرن السابع عشر...مئة! ثم عادوا إلى ستة في القرن الذي يليه»[١]. ويعود هذا التباين والتراجع إلى المرحلة المضطربة التي مرّت بها المنطقة، ولم تخرج منها إلا بشق الأنفس. وهكذا عاد القرن التاسع عشر ليشهد نهضة في العلوم الدينية قائمة على انطلاق جديد عند جيل من رجال الدين تلقوا علومهم في النجف على

(١) صابرين ميرفان: حركة الإصلاح الشيعي...، مرجع سابق، الصفحات ٣٢- ٣٣.

أسس كلامية وفقهية مجدّدة، وكان الطلاّب المستطيعون بعد الانتهاء من المراحل الدراسيّة الأولى، يقصدون العراق لمتابعة دراساتهم العليا في الحوزات، التي تخرّج منها كبار العلماء اللبنانيّين الذين عرفوا شهرة عربيّة وإسلاميّة واسعة.

التعليم الديني (الحوزات العلمية)[١]:

بعد مقتل ناصيف النصار عام (١٧٨٠م) علي يد أحمد باشا الجزار، تركت تلك الحادثة بصماتها على الحالة العلمية في جبل عامل حيث قلّ عدد العلماء ولكن لم تخلُ البلاد منهم. وبرز السيد حسين نور الدين والسيد حيدر نور الدين في النبطية والشيخ محمد مهدي الفتوني، والشيخ إبراهيم يحيى الذي هجر جبل عامل إلى دمشق هربًا من بطش الجزار، والشيخ علي خاتون برز في مجالات الطب والرياضيات والفقه[٢]. كذلك السيد أبو الحسن بن حيدر الأمين صاحب مدرسة شقراء، وغيرهم من العلماء والشعراء. وبموت الجزارعام (١٨٠٤م)، استعادت الحركة العلمية ألقها، وفتحت مدرسة الكوثرية بإدارة الشيخ حسن قبيسي، وتخرج فيها حمد بن محمود بن نصار المعروف بـحمد بك وهو ابن شقيق ناصيف النصار. كما تخرج فيها السيد علي إبراهيم والشيخ عبد اللّه نعمة، ومدرسة جباع مع الشيخ نعمة نفسه. وبعد جباع ظهرت مدرسة حناويه بإدارة الشيخ محمد علي عز الدين... وبرزت مدرسة بنت جبيل ورئيسها الشيخ موسى شرارة التي خـرّجت العديد من العلماء منهم الشيخ حسين مغنية، والسيد محسن الأمين، والشيخ عبد الحسين صادق، والسيد نجيب فضل اللّه، والسيد يوسف شرف الدين، والسيد حيدر مرتضى والشيخ موسى مغنية، والشيخ عبد الكريم الزين، والشيخ محمد دبوق. كذلك مدرسة أنصار ومدرسة النميرية. ونشأت مدارس في مجدل سلم وفي شقراء وجويا وكفرا وعيناثا، ومدرسة النبطية الصغرى التي تعرف بالمدرسة النورية نسبة

(١) الشيخ عدنان فرحان آل قاسم، مقالة بعنوان «المدارس والحوزات العلمية في جبل عامل» منشورة في مجلة شعائر، العدد الحادي والسبعون، كانون الثاني ٢٠١١م، الصفحات من ١ لغاية١٢.

(٢) ابتلي بظلم الجزار الذي سجنه مرتين ولم يقبل الفدية منه وصادر ماله وأملاكه وأحرق مكتبته في أفران عكا وكانت تحوي خمسة آلاف مجلد من الكتب الخطية النادرة. يراجع: نفس المرجع والصفحات.

لمؤسسيها من آل نور الدين، ومدرسة الحميدية التي أسسها السيد حسن يوسف الحسيني سنة) ١٨٩١م) التي خرج فيها العديد من العلماء والفضلاء ومنهم الشيخ أحمد رضا، والشيخ سليمان ظاهر، ومحمد جابر آل صفا، والشيخ أحمد عارف الزين، والشاعر محمد علي الحوماني، والأديب حسين مروة وغيرهم»[١]. هذه الصروح العلمية صنفت بالمدارس وشكلت البداية لتراتبية المراحل الدراسية ودرّست العلوم الدينية، وتتلمذ على مراجعها العديد من أبناء القرى المجاورة.

رجال الدين في عبّا:

مع استعادة الحركة العلمية في جبل عامل القها، وافتتاح العديد من المدارس (الحوزات العلمية) وانتشارها مجددًا في القرى المحيطة ببلدة عبّا، لم يبادر أحد من أبناء البلدة، إلى إرسال ولده لتلقي العلوم الدينية من مصادرها، ومن ثمّ بقيت البلدة فترة طويلة لا يؤم المصلين إمام، ولا يفتي لهم بمسألة، ولا موعظة، واستمر هذا الأمر، حتى بدايات العقد الرابع من القرن الماضي. هذا الأمر بقي موضع استغراب وتساؤل خاصة وأن معظم عائلاتها تنحدر من نسب السادة الأشراف. يعزو العلاّمة السيد مصطفى ترحيني سبب ذلك إلى « أن الناس في عبّا كما كانوا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، استمروا طوال بدايات العشرين. كانوا منصرفين عن أمر إرسال أولادهم لتعلّم العلوم الدينية وتقلّد عمامة رجل الدين، والهمّ لديهم كان تأمين سبل العيش. وإن اهتم الناس بالجانب التعليمي الديني، كان يقتصر على تعلّم قراءة القرآن وبعض المسائل الحسابية. وبالرغم من تطور الحياة الاجتماعية لاحقًا، انصبّ الاهتمام على تعليم ولد واحد من الأسرة، وكان الاتجاه نحو العلوم الحديثة رغبة بتحسين أوضاع الأسرة»[٢]. وعندما بادر الأهالي في ثلاثينات القرن العشرين، للطلب من إمام بلدة الدوير السيد مهدي آل إبراهيم

(١) الشيخ عدنان فرحان آل قاسم، مقالة بعنوان «المدارس والحوزات العلمية في...، نفس المرجع السابق والصفحات.

(٢) مقابلة مع العلاّمة السيد مصطفى علي يوسف، إمام بلدة عبّا، تولد ١٩٦٣، والدته زهرة حرب، بتاريخ ١٧/٢/٢٠١٣.

إيفاد أحد أبنائه لإمامة البلدة، وسمّى ولده السيد محمد علي لهذه الغاية « لم يكن هذا الأمر يضيرهم بشيء، إن كان الإمام من البلدة أم من خارجها. أولًا، لأن الإيمان الفطري كان متأصلا لديهم. وهذا واضح من حجم الاحتضان الذي حظي به السيد من الجميع لا سيّما وأنه أغنى المرحلة التي عاش فيها»[1]. ثانيًا، لم تكن العلوم الدينية، في ظل وجود رجل دين، تُعَدُّ حاجة لتعلّمها. واستمرت نظرة العبّاويين هذه حتى بداية الثمانينات، عندما التحق محمد حسن ترحيني (آل حمود) في العام (١٩٧٠م)، وكان في سن السابعة عشرة من عمره، بالحوزة العلمية في منطقة النبعة شرقي بيروت التي أصبحت تعرف فيما بعد بالمعهد الشرعي الإسلامي. وبسبب تطور الحياة الاجتماعية وتنوع العلوم وسعة الحال، ازداد عدد الملتحقين إلى ما يربو على اثني عشر طالب علم، هم: مصطفى ترحيني، أمين ترحيني، مصطفى يونس، علي ترحيني، حسين إبراهيم، مسلم ترحيني، إسماعيل حريري، محمد حريري. وجميعهم درسوا على كبار المراجع الفقهية والعلمية في لبنان والنجف وقمّ، وتقلدوا الزي التقليدي الديني وأصبحوا سادة ومشايخ، يقومون بالتوجيه الروحي والأعمال المتصلة بالمذهب وشرائع العقيدة وطقوس العبادة والوعظ والتوجيه والإرشاد.

التعليم في زمن السلطنة العثمانية ودولة لبنان الكبير:

على مستوى العلوم الدنيوية، كان للظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية، أبلغ الأثر، في مسيرة الفكر والمعرفة والثقافة في جبل عامل. خاصة أن جانب التعليم والثقافة فيه كان جزءًا من نظم السلطنة العثمانية. ففي زمنها، ونتيجة لخشيتها من اتساع نفوذ إبراهيم باشا، في بلاد الشام ووالده محمد علي، في مصر أصدرت السلطنة عام (١٨٤٥م) خطًّا همايونيًّا، أكدت فيه الإصلاح، وأنّ إنشاء مدارس صالحة في أرجاء السلطنة كفيل بالقضاء على الجهل المسيطر، وجعل التعليم خاضع لإشراف الدولة. «وفي العام (١٨٦٩م) نصح بعض الخبراء الأجانب،

(١) مقابلة مع العلاّمة السيد مصطفى...، مرجع سابق.

السلطات العثمانية بضرورة تحديث السلطنة لمنعها من الانهيار، وطال التعليم والإدارة والجيش. وهكذا ظهرت المدرسة الرسمية (المعارف) الأولى في السلطنة خارج سلطة المؤسسة الدينية»[١]، إلا أن انتشارها في لبنان، كان محدودًا جدًّا فاقتصر على بعض المدن الساحلية، ذات الغالبية السنية، وكانت في معظمها ابتدائية فقط. وفي العام (١٨٧٦م) صدر القانون الأساسي للدولة العثمانية، ونص على:

«المادة الخامسة عشرة: التعليم حرّ. وكل عثماني يقدر أن يتعلم تعليمًا خصوصيًّا أو عموميًّا بشرط الموافقة على النظامات.

المادة السادسة عشرة: كل المدارس تحت مناظرة الدولة وستعين الوسائل الموافقة لجعل تعليم كل العثمانيين واحدًا. ولكن ذلك لا يمس التعاليم الدينية في كل طائفة»[٢].

وعليه يكون هذا القانون قد جعل التعليم مطلقًا لكل عثماني، لأي مذهب انتمى شرط التقيّد بالقانون، الذي جعل جميع إدارات المدارس خاضعة لمراقبته بحيث يكون التعليم على نسق واحد، وألّا يُحدِث خللًا في أصول التعليم المتعلق بمعتقدات الملل الأخرى. وبموجب هذا القانون تم إنشاء مجلس دائم (للمعارف) يحل مكان السلطة الدينية. الأهم في القانون، أنه أوجد تدرجًّا في التعليم مقسمًا إلى ثلاث مراحل ابتدائي، ثانوي، وعالي. كما نص على مجانية التعليم في المراحل الثلاث، وعدّل في المناهج التربوية بإضافة مادتي التربية الدينية والقراءة والحساب. وكان هذا القانون متقدّمًا على مستوى تنوع الاختصاصات، بأن أجاز إنشاء مدارس عامة للعلوم، والفنون، والصناعة، يشبه المدارس المهنية السائدة اليوم. والاهتمام بطرق التدريس الحديثة واستعمال الجديد من الكتب. وبادىء

---

(١) التعليم: (حسان قبيسي: «الدولة والتعليم الرسمي في لبنان» الفصل الثالث، بحث من سلسلة أبحاث ضمن كتاب «الدولة والتعليم في لبنان» إصدار الهيئة اللبنانية للعلوم والتربية - الكتاب السنوي الأول، لمزيد من التفصيل يراجع الصفحات من ١٠٦ لغاية ١١٨.

(٢) القانون الأساسي، ممالك الدولة العثمانية، في ٧ ذي الحجة ١٢٩٣ هـ[١٨٧٦م]، طبع بنفقة أمين الخوري صاحب مكتبة - مطبعة الآداب بيروت سنة ١٩٠٨م، ص٦.

الأمر عدّت السلطنة، قضية المدارس الخاصة، مسألة تخص الجماعات الطائفية، إلا أنها سرعان ما أخضعتها لمراقبتها.

وكان نمط التعليم في جبل عامل قبل صدور القانون الأساسي يعتمد على الكتاتيب التي تعود بتاريخها إلى زمن موغل في القدم، حيث انتشرت بشكل كبير في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وتكاثرت واستمرت مع ظهور المدرسة الرسمية حتى وجد في كل قرية، أو دسكرة كتّابًا أو أكثر، وكانت في عهدها الأول تقتصر على تعليم القرآن الكريم، وبعد ذلك تم إضافة القراءة والكتابة. ومن ثم مبادئ الحساب لحاجة الناس إليها. وارتبط ظهور الكتاتيب برجال الدين، أو من يدور في محيطهم، أو من يتخرج عليهم. «وكان الكتّاب في جبل عامل جزءًا من المسجد، ويعرف بأنه المرحلة الأولى والتمهيدية، التي يجب على الطالب، اجتيازها في مراحل التعليم القديم وغالبًا ما كان يتولى أمرها إمام المسجد، وبعد ذلك أصبح مكان الكتّاب هو نفسه بيت المعلم أو الأستاذ، وغالبًا ما كان يحسن التعليم فنصف الدرس ضرب ونصفه الآخر ضغط، أما التوجيه فقد كان معدومًا، وكان الطالب يقضي الدرس، وكأنه في السجن»[1]. وكان الطالب يتخرج في الكتّاب، عند ختمه للقرآن قراءة، ويراعى في مسألة الجلوس الطبقة الاجتماعية للطلاب الذكور، أما الإناث فلم يكن لهن نصيب من التعليم، ما خلا بنات كبار القوم. حيث اعتبر تعليمهن، في تلك الأزمنة من الوجاهات، وكانت المدارس، تدين بوجودها إلى تبرعات المحسنين، كذلك مرتبات الشيوخ.

مع بدء الانتداب الفرنسي على لبنان، كان التعليم في جبل عامل، لا يزال يمارس في الكتاتيب. ولأن المدارس كانت تعاني من ندرة الطلاب فيها أخذوا يشجعون المدارس الرسمية. ففي بنت جبيل مثلًا توجد مدرسة رسمية واحدة، أسست أوائل القرن العشرين، في حين وجد ما يقارب سبعة كتاتيب، يضم أحدها حوالي مئة طالب، بينهم (٢٠) فتاة، وكانت بإدارة الشيخ علي شرارة وكتاتيب أخرى، تضم ما لا يقل عن (٣٠) طالبًا. وكانت العوائل العاملية تتحاشى إرسال أولادها إلى

(١) حسان قبيسي: «الدولة والتعليم الرسمي في لبنان» ...، مرجع سابق، الصفحات من ١٠٦ لغاية ١١٨.

المدارس الرسمية، التي اقتصرت هيئتها التعليمية، على معلم واحد، وفي احسن الأحوال معلمين خشية الانحراف.

وتشير إحصاءات العام (١٩٣٢م) إلى أن نسبة الأمية في لبنان، بلغت (٥٤٪ (وارتفعت هذه النسبة كثيرًا في المناطق التي ألحقت بلبنان، فبلغت عند الشيعة (٨٣٪)، وعند السنة (٦٣٪ (، أما عند الموارنة فكانت)٤٨٪)، وعند الكاثوليك (٣٩٪)[1]. لذلك ازداد دعم الانتداب للمدارس الرسمية من خلال تقديم المساعدات المالية. فازدادت في الأطراف، ذات الغالبية الإسلامية الشيعية تحديدًا. وحتى العام (١٩٣٨م) كان عدد المدارس الرسمية، على الشكل التالي: بيروت (٨)، جبل لبنان (١٨)، الشمال (٣٢)، البقاع (٣٥)، الجنوب (٥٥). لكن المؤسف أن هذه المدارس في لبنان الجنوبي، والبقاع، ولبنان الشمالي، ظلت في غالبيتها ابتدائية، وذات معلم منفرد، ومستوى تعليمي متدنٍّ. في مطلع الأربعينات، من القرن العشرين، بدأ الفرنسيون سياسة جديدة في التعليم وتشددوا في ملاحقة الكتاتيب ومشايخها. وسيّروا دوريات من الشرطة والدرك برفقة مديري المدارس الرسمية، لإقفال الكتاتيب بحجة عدم أهليتها، وعدم استحصالها على ترخيص من وزارة المعارف، وكانوا يقتادون طلابها إلى المدرسة الرسمية؛ لرفدها بالعدد المناسب من الطلاب.

عام (١٩٤٠م)، ومع إنشاء أول مدرسة شيعية في بيروت، وهي المدرسة العاملية، بدأ التعليم عند الطائفة الشيعية، بالمعنى المدرسي للكلمة. صحيح أنه قبل ذلك، انتشر العديد من المدارس، الدينية، والكتاتيب في المناطق الشيعية، ولكن عملها، كان محصورًا بالتعليم الديني فقط. دون أن يتعداه إلى تعليم اللغات الأجنبية، والعلوم الوضعية. ولما أنشأ الانتداب، مدارس المعارف وكلها ابتدائية، كان النصيب الأكبر منها في المناطق الشيعية. وخلال السنوات الأولى للاستقلال بادرت الدولة والفئات المسيطرة عليها من كل الطوائف لنشر التعليم في كل المناطق، وذلك لتأمين اليد العاملة، القادرة على النهوض، بأعباء الثورة

(١) حسان قبيسي: «الدولة والتعليم الرسمي في لبنان»...، مرجع سابق يراجع الصفحات من ١٠٦ لغاية ١١٨.

الاقتصادية. ورأت الدولة أن لا شيء يمنعها من التوسع في فتح المدارس الرسمية ودعمها إلى جانب المدارس الخاصة الطائفية فانتشرت المدارس، في الجنوب والبقاع والشمال والجبل الدرزي. كمدرسة لطائفة جديدة، هي فقراء الطوائف.

الكتّاب في عبّا - (المشايخ - المكان - الطلاب - أنظمة الكتّاب - أدوات التعليم):

لم تكن عبّا في مرحلة سيطرة السلطنة العثمانية، ولا حتى ما بعد سقوطها ونشوء دولة لبنان الكبير والسنوات الأولى من الاستقلال، تعرف أي شكل من أشكال المدارس، سوى كتّاب ارتبط ظهوره بمجيء الشيخ إبراهيم حريري إلى البلدة بناء لطلب أهلها، وتأسيسه أول كتّاب فيها[١]. معظم الذين تمت مقابلتهم من أبناء البلدة، وأغلبهم ولدوا في العقد الثاني من القرن الماضي، ليس لديهم تفاصيل إضافية عن التعليم في تلك المرحلة سوى ما ذكر. لذلك لا يمكن الحديث عن شكل التعليم في عبّا إلا مما حَفِظ هؤلاء.

يقول شريف عبد اللّه جواد خليل «تتلمذت للشيخ إبراهيم زهر الدين من برج البراجنة، وكان مقيمًا في عبّا، ومنزله بحارة الضيعة بالقرب من منزل محمد عبدو حسن معلّم. درست عليه علوم القرآن والحساب مدة خمس سنوات كانت كافية للتعلّم، وكان يتم استئجار غرف لهذه الغاية على نفقة أولياء التلاميذ. من الذين تعلموا على الشيخ زهر الدين: داوود حريري، عبد اللّه عثمان، حسين موسى معلّم. ورغم تواضع كلفة التعليم، لم يتجاوز عدد التلاميذ خمسة عشر تلميذًا، بسبب ضيق الحال لدى البعض»[٢]. أمّا سعيد إبراهيم يونس (أبو محمد)، فيقول « لم أتعلم وإخوتي وأولاد عمي وهبي بسبب سوء الوضع المادي، أما أولاد عمي أحمد، علي وشريف ويونس، فقد تعلموا القراءة والكتابة أثناء إقامتهم في بلدة زبدين. والمدرسة كانت تقام في أحد بيوت البلدة، ويقتصر التعليم على قراءة

(١) صورة رقم (٢١). نموذج كتّاب وهو شكل من أشكال المدارس.

(٢) مقابلة مع شريف جواد خليل، مرجع سابق.

القرآن وبعض الدروس في الحساب، على شيخ من آل زهر الدين من محلة برج البراجنة وشيخ آخر من بلدة جباع»[١]. وكان إسماعيل علي حسين لا يعير أي اهتمام للتعليم، بحسب ما قال ولده عبدو» لم يكن والدي السيد إسماعيل مهتمًّا بتعليمنا، فقد كان مولعًا بشراء الأرض لذلك بقيت أنا وأشقائي دون تعليم[٢]، وبحسب محمد خليل (أبو فايز) لم يكن الهدف من التعليم سوى مجرّد القراءة لا غير، لذلك يتم بطرق بدائية، وهو تلقي علوم القرآن عند خاله موسى قاووق وكان يدرّس علوم الفقه ويتقاضى ليرتين ذهب عن كل طالب علم[٣].

واستمر نمط التعليم على حاله حتى فترة متقدمة من الأربعينات، في مرحلة بدأ فيها الأستاذ يتبدّل باستمرار حسب الظروف وكذلك الصف. تلك المرحلة بدأت مع الأستاذ بهيج هزيمة وهو فلسطيني من مدينة نابلس، تتلمذ له حسين سليمان وعلي الشيخ إبراهيم حريري، بعدما اتخذ أهالي البلدة من بعض غُرف بيت كامل كالوت مكانًا للتدريس، ثم افتتح الأستاذ هزيمة مدرسة في بلدة عدشيت المجاورة بعدما انتقل إليها بعد زواجه من الحاجة منيفة إثر طلاقها من محمد عبد الرسول»[٤]. وحلّ مكانه محمد علي شمس الدين من عربصاليم وهو بحسب وصف البعض له « كان في ذات الوقت موظفًا رسميًّ في إحدى إدارات الدولة، يضع طربوشًا على رأسه، تولى تعليم مادة العربي. وتولى التعليم أستاذٌ آخر مسيحي ترافقه والدته تدعى توليا، علّم مادتي العربي والفرنسي»[٥]. يورد خليل توفيق ترحيني في مدونته العرايس، أنه تولى التعليم في عبّا: الشيخ إبراهيم حريري، وكان منزله في دار الحاج عبدو معلّم، اقْتُطع له قطعة أرض في محلة الطبقات وكانت مشاعًا مليئة بالصخور فاستصلحها وزرعها تينًا وعنبًا وخروبًا. ثم الشيخ علي كلوت وهو شقيق

(١) مقابلة مع سعيد إبراهيم يونس، مرجع سابق. صورة رقم (٢٢). الشيخ إبراهيم زهر الدين أحد أساتذة مدرسة عبّا.

(٢) مقابلة مع عبدو إسماعيل علي حسين، مرجع سابق

(٣) مقابلة مع محمد خليل يونس، مرجع سابق.

(٤) مقابلة مع حسين سليمان حريري، مرجع سابق.

(٥) مقابلة مع شريف أمين أحمد خليل، مرجع سابق.

قاسم كلوت مختار البلدة وكان خطاطًا له مخطوطات. كان يعلّم في منزله الكائن في دار السيد إبراهيم عثمان، وحسب ما قالته زوجته الحجة أم عبد الحليم ما تزال لغاية اليوم غرفته في الدار تسمى (غرفة الشيخ علي). ثم الشيخ جعفر منصور وهو من حداثا منزله كان إلى جانب غرفة مريم علي خليل تعاونه زوجته وكانت تلقب بـ(الملّلة) أي معلمة القرآن بحسب أقوال تلميذه أبو جميل خليل قاووق. ثم الشيخ داوود حريري كان شاعرًا وأديبًا، ترك آثارًا شعرية جمعها ولده محمد في ديوان. وجاء بعده الشيخ موسى قاووق وكان كتّابه في قبو داره. كان فقيها ويقال إنه درس على علماء مدرسة حنويه، واستعان بالحاج أبو كاظم مشيمش من بلدة كفرصير لتدريس اللغة الفرنسية. وتلاه الشيخ إبراهيم زهر الدين من برج البراجنة، وكان يجيد لعبة النرد فنهاه إمام البلدة السيد محمد علي إبراهيم عنها، بناء لفتوى من مراجع العراق. ثم الشيخ بهيج حمزة، وكان الكتّاب في منزل الشيخ كامل كلوت وكانت مؤونته ما تيسر من طلابه»[١]، وكانوا يحضرون للشيخ يوميًّا طعام الغداء، وأحيانًا كان يُعطى دجاجة أو ليرة كأجر له[٢]. ثم الشيخ خليل ريحان لم يدم طويلًا وتلاه الشيخ حسين موسى»[٣]. ومن تلامذة تلك المرحلة: أحمد علي حسين، عبد اللّه جواد كان شاعرًا وأديبًا، وأبو جميل خليل قاووق، الشيخ محمد داوود حريري، علي يونس أحمد هارون، وهبي خليل، حسن نور الدين، محمد خليل يونس أحمد هارون، حسن عبدو حسين أحمد»[٤].

وكانوا عند إتمام الطالب دراسته يُحضرونه للوقوف إمام وجهاء البلدة لتلاوة سورة من القرآن تختم بـ(ختم اللّه على قلوبهم...) وبذلك يكون جامع للحرف، وهذا يعني أنه أكمل تعليمه بالتمام ويستطيع ممارسة حياته ومساعدة والده بأعمال

(١) مدونة العرايس، مرجع سابق.

(٢) مقابلة مع محسن عبدو حسين أحمد، مرجع سابق٢٠١٢م.

(٣) المرجع السابق.

(٤) نفس المرجع السابق.

الزراعة»[١]. وكان الطالب يتقدم ورأسه داخل صندوق مزين والشيخ واقف أمام الطلاب وهم يرددون على مسامع الأهل الأنشودة التالية:

يـا بـرق شـامـي بـلّـغ سلامي إلـى مـحـمـد بـدر الـتـمـام
يـا بـرق اطلـع بالليـل والمـع مختـار يشـفع يـوم الزحـام
قصـدي أزور وأحظـى بنـور فحّـت عطـور مسـك الختـام

وفي البيت كان يوزع الملبّس والدحروب وراحة الحلقوم، ثم يعطى الشيخ قيمة الختمة (٥) ليرات ذهبية مع دجاجة. وبحسب ما روى أبو محمد جميل قاووق وأبو محمد حسن عبدو، أحيانًا كان الأهل يتخلّفون عن دفع القيمة، وكان هذا يحصل مع الشيخ إبراهيم زهر الدين، الذي أنشد حينها معترضًا:

لا تظن أنـك مـن يـدي ناجي ولا تقول إني رضيت بدجاجة
هيّر ثماني ليرات أرسلهم صباحًا أوفق لكم ما عاد بدّا لجاجي[٢]

إلى ما قبل بدء التعليم الرسمي، اقتصرت لوازم الكتّاب وأدواته على: لوح تنك، لوح أسود، أصابع من الطبشور، حجر التراوخ، القلم الغزار المصنوع من القصب، الحبر من نبات له ثمر أحمر كان موجودًا في محلة المحاطط غرب البلدة، دفتر ورق، أقلام رصاص»[٣].

ظهور أول بناء مدرسي رسمي ومناهج التعليم في عبّا وخارجها:

بدءًا من خمسينات القرن الماضي أخذ التعليم في جبل عامل يأخذ منحى متقدمًا عما سبقه بالشكل والمضون من حيث مكان ونوعية التعليم. وكانت هذه المرحلة بداية التحول على المستوى الاجتماعي والثقافي لأبناء الجبل، وكان لبلدة عبّا نصيب وافر منه. هذا التحول ما كان ليحدث لولا رغبة جيل العشرينات

---

(١) مقابلة مع محمد خليل يونس، مرجع سابق.

(٢) مدونة العرايس، مرجع سابق.

(٣) نفس المرجع.

بالانفتاح على مجتمعات وثقافات خارج بيئتهم. باكورة التقدم، كان تحوّل التعليم بصورة تدريجية إلى قطاع رسمي حين بدأ الفرنسيون سياسة جديدة في التعليم وتشددوا في ملاحقة الكتاتيب، ومشايخها، وسيروا دوريات، من الشرطة والدرك برفقة مديري المدارس الرسمية، لإقفالها، بحجة عدم أهليتها، وعدم استحصالها على ترخيص من وزارة المعارف. وكانوا يقتادون طلابها إلى المدرسة الرسمية، لرفدها بالعدد المناسب من الطلاب»[١].

هي مرحلة شهدت آخر ظهور للكتّاب في عبّا. وكان من بين الذين شهدوا نهايته وتتلمذوا له: محسن عبدو حسين أحمد، وآخر من درّس فيه الأساتذة أسد الشيخ من بلدة الدوير، وكان مقيمًا في غرفة في بيت أمين معلّم، كان أستاذًا صارمًا أحدب الظهر، كذلك الأستاذ أحمد شمس الدين[٢] من عرب صاليم (لقّب بأبو طربوش كان غير كفء، يكلّف أحد الطلاب وكيلًا عنه، همّه الوجاهة والميل السياسي[٣]. وهكذا تأسست عام (١٩٤٣م) أول مدرسة رسمية، من دون أن يكون لها مبنى خاص ودائم، وكانت مستأجرة. وقع عليها الاختيار في بيت أحمد قاسم المجاور لبيت السيد يوسف علي حسين، ثم في بيت السيد عبدو حسين أحمد، واقتصرت على غرفة، ومن دون اساتذة رسميين»[٤]. لذلك تقدّم

(١) حسان قبيسي: إعدادالدولة والتعليم الرسمي في لبنان...، مرجع سابق، ص ١٢٥.

(٢) لمّا كانت البلدة لا تصلها وسائل النقل الحديثة لعدم وجود طريق معبّدة «أنزلته البوسطة قبيل الغروب بدقائق في ناحية دمول بالقرب من بلدة أنصار فما كان منه إلا أن أخذ ينادي أهل البلدة (يا اهل عبّا انا معلّم المدرسة تعو خدوني) الأستاذ كان يدعى أحمد، والدي حمل فانوسًا وهرع لملاقاته. مقابلة مع محسن عبدو، مرجع سابق.

(٣) «عام ١٩٤٣م تلقيت تعليمي في عبّا على الشيخ بهيج هزيمة حيث كان يقيم في بيت محمد كالوت أبو كامل، واقتصر ذلك على قراءة القرآن وبعض علوم الحساب، لاحقًا على الشيخ إبراهيم درويش (كانت رجله مبتورة) المدرسة كانت بحانب بيت أحمد حسن خليل والد أبو سعد اللّه، عبارة عن غرفة مبنية من الحجر والتراب الممزوج بالقش. بعد ذلك انتقلنا إلى غرفة في بيت محمد يونس الكائن في الساحة العامة ثم غرفة في بيت محمود يونس.أذكر ممن تعلمت معهم: يوسف أمين حسين أحمد وحسين حسن يونس. وكانت المرحلة التعليمية تنتهي بختم القرآن. السيد علي موسى كان أحد أساتذتنا». مقابلة مع محسن عبدو حسين أحمد، مرجع سابق.

(٤) مدونة العرايس، مرجع سابق.

توفيق علي حسين أحمد عام (١٩٤٥م) بعريضة إلى وزارة المعارف والفنون الجميلة موقعة من الأهالي يطالب فيها إيجاد مدرسة رسمية وهذه العريضة نشرتها جريدة صوت الشعب بتاريخ (٨/ ٤/ ١٩٤٥م) في زاوية رسائل وأنباء الجهات، عبّا - النبطية[١]. وكانت تجهيزات المدرسة تقتصر على مقاعد خشبية، أنجزت بناء لطلب الأستاذ أحمد شمس الدين، بعدما قصدوا الحاج حسن إبراهيم حريري، وكان نجارًا فطلب إحضار صناديق خشب من بيروت ونموذجًا عن المقاعد ليصنع مثلها وصنع (١٥) مقعدًا»[٢]. ومع عبد الحسن عميص كان التاريخ الفعلي لظهور المدرسة الرسمية وذلك عام (١٩٥٢م). فبعد نيله الشهادة المتوسطة، استقر سكنه في البلدة وتولى مسؤوليات المدرسة فكان مديرًا وناظرًا ومعلمًا للمراحل كافة، لأن الهيئة التعليمية فيها اقتصرت على معلم واحد، وفي أحسن الأحوال على معلمين. وممّن تلقى تعليمه فيها عام (١٩٥٣م) من الابتدائي الأول حتى الرابع، كان محمود حسين معلّم (أبو أشرف). وزميله في الدراسة أحمد حسن يونس وعبد الرؤوف علي مصطفى وحسن محمد قاووق ومحمد بهيج حريري[٣].

(١) « في قرية عبّا النبطية ألفا نسمة من السكان اللبنانيين. ومع ذلك لم توجد فيها مدرسة رسمية منذ وجدت حتى هذا اليوم. وبعد مساع كثيرة ومراجعات ومشقات مختلفة قام بها مختار عبا وأهاليها نالوا وعدًا من الحكومة السابقة بأن تعيّن لهم معلمًا، على أن يقدموا هم البناء والطاولات والمقاعد وسائر لوازم المدرسة على نفقتهم، وقد هبّ الأهالي بالرغم من فقرهم وقلّة ذات يدهم، إلى بناء مدرسة ملائمة، وإيجاد جميع لوازمها، وباتوا ينتظرون الوعد الصادق ! ولكن عام مرّ، دون أن تفي الحكومة بوعدها، أو بالأحرى دون أن تقوم بجزء من واجبها تجاه مواطنين لا ينالون من الحكومة غير ثقل الضرائب واضطهاد الدرك وعسف الجباة طوال حياتهم. إننا نطلب تعيين معلّم لقرية عبّا وغيرها من القرى المحرومة التي تشكو شكواها. فمن العار أن يحرم الفا نسمة من العلم في عهد نريده ديموقراطيًّا وطنيًّا». مدونة العرايس، مرجع سابق.

(٢) مقابلة مع محسن عبدو حسين أحمد، مرجع سابق.

(٣) «انتقلت بعدها إلى مدرسة الدوير الابتدائية الرسمية لأكمل صف السرتفيكا، وكان الوصول إليها سيرًا صعبًا نظرة لوعورة الطريق خاصة في فصل الشتاء إذ كنّا ننتعل جزمة. وبسبب نقل أساتذة التعليم المتوسط من مدرسة الدوير إلى عكار تأديبيًّا لانتمائهم إلى حزب البعث العراقي المحظور آنذاك، أكملت الصف الثالث المتوسط في المدرسة الوطنية في الغبيري وهي مدرسة خاصة بادارة شريف سليم، وكنت أقيم في منزل أخي محمد. بعدما أنهيت الثالث المتوسط عدت إلى مدرسة الدوير وأنهيت صف البروفيه كان ذلك سنة ١٩٦٥م. تابعت الصف الأول والثاني من المرحلة الثانوية في مدرسة الصباح الرسمية حتى العام =

بدأت مرحلة السبعينات بمحاولة فاشلة لبداية ظهور البناء المدرسي الرسمي. فحتى عام (١٩٦١م) كان البناء لا يزال بدائيا[١] في تلك السنة، عندما قام كامل أحمد بك الأسعد بزيارة عبّا وكان وزيرًا للتربية، وبعد حفاوة الاستقبال طلب منه السيد توفيق علي حسين أحمد بناء مدرسة على نفقة الدولة[٢]. وتكررت المحاولة عام (١٩٦٦م)، عندما كلّف عبد الحسن عميص المهندس بهيج منصور الذي أشرف على بناء المسجد والحسينية الحالية، ووضع تصاميم لبناء مدرسة حديثة[٣]. ولم يبصر البناء المدرسي الثابت، وبوشر التدريس فيه، إلا عام (١٩٧٩م)، وكان عبارة عن طابق أرضي بجدران غير مورّقة، مؤلف (١٠) غرف للمرحلة الابتدائية

= ١٩٦٧م، لألتحق بدار المعلمين وأتخرّج في العام ١٩٦٩م». مقابلة مع الأستاذ محمود حسين معلّم، مرجع سابق.

(١) «غرفتين في بيت عبد اللطيف وأُخريين عند بيت محمود قاووق في حي القلعة، ثم عند بيت أبو إبراهيم وأبو محمود وأبو أسد حريري لمدة سنتين، لتبلغ ٩غرف لمرحلة السرتيفكا وكل سنة دراسية جديدة كنّا نفتتح صفًّا المرحلة التكميلية إلى أن أصبحنا في مرحلة البروفيه. بعد ذلك انتقلنا إلى لبيت أبو صلاح، وقسّمنا مستودع التبغ إلى عدة غرف بالإضافة إلى غرفتين أُخريين تقعان مقابل المستودع والحسينية القديمة وغرفة تابعة لملكة مقابل بيت شريف عبد اللّه ترحيني. صباحًا كنت أجمع الطلاب في الساحة العامة كل إلى صفه المخصص، كذلك نظّمنا دورات صيفية تكميلية بالتعاون مع إبراهيم توفيق علي حسين أحمد، كانت بنتيجتها ترفيع الطلاب الناجحين إلى صف أعلى». مقابلة مع محسن عبدو حسين أحمد، مرجع سابق.

(٢) «وعندما باشر المنهدس إعداد التصاميم تبين أن العقار المتنازل عليه لمصلحة الوزارة يحمل رقم تسجيل واحد، وليس رقمين ومسجّل باسم إسماعيل علي حسين. فتعهد توفيق بمعالجة الأمر وكتب سندًا ماليًّا على نفسه بقيمة ١٠٠٠ ليرة تدفع لإسماعيل عند تعذر الحل بكفالة عبد الحسن عميص، لكن المنية كانت أسرع من توفيق علي حسين أحمد وبقيت المسألة عالقة، وصرف النظر عن بناء المدرسة في المكان المقترح». مدونة العرايس، مرجع سابق.

(٣) « بادئ الأمر، بعد جمع الأموال من تبرعات العلّامة السيد محمد علي والسيد شريف يوسف أسعد والسيد خليل يونس أحمد هارون وعبد الحسن عميص وخليل توفيق علي حسين أحمد، حصل تباين في الرأي حول المكان. واستقر على أرض من مشاع للبلدة مساحتها (٦٠ ألف م٢) في ناحية قلعة الصعبة بناء لرأي المختار شريف يوسف أسعد حسين، قابله تحفظ من السيد محمد علي إبراهيم امتنع على إثره أولًا: تسليم اللجنة المكلّفة بالإشراف على البناء المبلغ المتبرع به وقدره ١٥٠٠٠ ليرة. وثانيًا: الإيعاز إلى عبد الحسن عميص الوقوف على رأي المرجعية في العراق التي جاء جوابها موافقا لرأي السيد(نحن مع رأيه قولًا وفعلًا). وصادف أن كانت اللجنة متواجدة في حسينية النبطية، فاستمزج المختار رأي السادة العلماء فثارت ثائرة السيد بعدما نقل إليه الواقعة أمام النبطية الشيخ جعفر صادق فعدّها مسًّا بمقامه أمام العلماء. لكن سرعان ما هدأت النفوس وسلّمت اللجنة المال وبوشر العمل». مدونة العرايس، مرجع سابق.

والمتوسطة، وكان عدد الأساتذة (١٥) وعدد الطلاب ناهز الـ(١٥٠) جميعهم من عبّا[١]. وبذلك انطلقت مرحلة جديدة من التعليم الرسمي في عبّا على أسس ثابتة أضفت نوعًا من الاستقرار النفسي سواء للطلاب أم للكادر التعليمي، وأوجد مناخًا مؤاتيًا للتحصيل العلمي.

مختار البلدة آنذاك شريف يوسف أسعد ترحيني عمل جاهدًا للنهوض بالبناء المدرسي[٢]. «وكان من بين الأساتذة أربعة من مدينة طرابلس سكنوا في دارة السيد علي يونس أحمد هارون[٣]، واللافت أن أساتذة المدرسة ينتمون إلى مختلف الطوائف، وفي ذلك دلالة على حرص الوزارة على اعتماد هذا النموذج للأستاذ الرسمي الذي يؤمن جودة التعليم والتنشئة الوطنية. وعام (١٩٩٩م) وبناء لطلب تقدم به مديرها محسن فحص، أنجز مجلس الجنوب بناء الطابق الثالث مع كافة متمماته المدرسية من ملاعب وسور خارجي. حاليًّا يبلغ عدد الأساتذه (٤٧) أستاذًا منهم (١٤) متعاقدًا بالساعة مع الوزارة، ومعظمهم من البلدة. بينما يتراوح عدد الطلاب بين (٣٥٠) و (٤٥٠)، ويعمل فيها (٤) أجراء يتولون رعاية شوؤونها كافة وهم: سليمان منير حريري، عبير علي حريري، صباح علي ترحيني، وصفية أحمد ترحيني، إضافة إلى مشغّل مكننة»[٤]. وبذلك يكون قد تعاقب على المدرسة حتى الآن (٩٠) أستاذًا بينهم (٥٢) من خارج عبّا توزعوا على قرى، جزين، كفركلا، حاروف، الدوير، الكوثرية، سير الغربية، النبطية، يحمر، ارنون، جرجوع كفروة، حومين الفوقا وزغدريا»[٥].

---

(١) مقابلة مع محسن محمد فحص، والدته فهيمة عميص، تولد ١٩٥٢، بتاريخ ١٧/ ٤/ ٢٠١٩.

(٢) «تقدم بطلب لبناء طابق ثاني وكلف المهندس خليل فحص بالإشراف على انجازه وتم البناء من تبرعات الأهالي ووزارة التربية والوقف الحسيني بمبلغ ١٣٠٠٠ ألف ليرة بإيعاز من إمام البلدة العلاّمة السيد محمد علي إبراهيم، والحاج أبو عباس دياب الذي تبرع بتقديم السور الحديدي وكذلك من تبرعات المختار والمعلمين من أبناء البلدة» مقابلة مع محسن فحص، نفس المرجع.

(٣) نفس المرجع.

(٤) نفس المرجع.

(٥) نفس المرجع.

واكب إنشاء أول مدرسة رسمية تطوير منهاج التعليم شكلًا ومضمونًا، حيث أرسلت وزارة المعارف والفنون الجميلة إلى البلدة أستاذًا بأجر شهري لتعليم مواد العربي والفرنسي ومادة الحساب، كان ذلك النواة الأولى لتشكل المدرسة بالمعنى الأكاديمي[١]. مع وجود المدرسة الرسمية، كانت السمة الأبرز لتلك المرحلة أنها شكلت الترجمة الفعلية لوعي تفتق عند جيل متنور من أبناء البلدة عندما قرروا إرسال أولادهم للتعلّم (مرحلة التعليم الأساسي) خارج البلدة وكان المقصد النبطية، رغبة منهم في تعليم أفضل. وكانت مهمة مليئة بالمشقة، ولم يكن باستطاعة الكثيرين الحصول عليها. فمع عدم وجود طرقات معبدة وسيارات نقل، كان التلاميذ يضطرون إلى استئجار غرفة في أحد بيوت النبطية لقضاء الأسبوع الدراسي فيها ليعودوا في العطلة إلى بلدتهم سيرًا على الأقدام حاملين متاعهم الشخصي. كانوا يصلون ليلًا مع ما يرافقهم في الطريق من فزع وتخيلات. وبعد قضاء يومين بين الأهل والأتراب يعودون إلى دراستهم. وكان أغلب الطلاب يضطرون للعمل صيفًا في بيروت وغيرها لتأمين كلفة الدراسة للعام القادم. يروي محسن عبدو حسين أحمد تفاصيل ذلك التحوّل بالقول: «أحمد ابن العلاّمة السيد محمد علي إبراهيم، عبد الحسن عميص، نايف إبراهيم ترحيني، وعبد الحليم إبراهيم عثمان كانوا أول من تلقوا تعليمهم في النبطية. وكذلك اولاد عمي السيد توفيق،حسن، خليل، إبراهيم، وسالم) تزوج لاحقًا من مدينة طرابلس وأقام فيها). من ثم التحقت بهم وكنت أبلغ من العمر (٨) سنوات. وكذلك نجيب يوسف علي حسين، حسن محمد حسن حسين، أحمد محمود يونس وشقيقه محمد. للذهاب إلى النبطية كنّا نسلك طريق الزغرين وكان التعليم خلال فترتي الصباح وبعد الظهر. لذا قمنا باستئجار غرفة للمبيت فيها طوال الأسبوع حيث كان كل واحد منّا يدفع ليرتين»[٢]. وعام (١٩٤٩م) فاز الجميع بشهادة السرتفيكا الابتدائية وكان هذا أول

(١) مقابلة مع محسن عبدو حسين أحمد، مرجع سابق.

(٢) نفس المرجع.

عهد بشهادة رسمية في البلدة[١]. كذلك فعل سعيد إبراهيم يونس، إذ بعد عودته من بيروت إلى البلدة، وحتى لا يظل هاجس التعليم يؤرّقه، أرسل ولديه محمد وعلي للتعلّم في مدرسة الراهبات في النبطية، أسوة بآخرين عملوا في بيروت[٢]. وكذلك فعل علي يونس أحمد هارون وشقيقه أحمد وآخرون كثر. وفي الغبيري حيث كان يقيم محمد خليل (أبو فايز)، سنحت الفرصة لولده فايز ليلتحق بمدرسة الغبيري الرسمية لمدة خمس سنوات، حيث كان محمود وعلي ولدي حسن محمود أحمد هارون يدرُسان فيها[٣].

في هذه المرحلة تشكّلت النواة الأولى لكوادر من أبناء البلدة، متخصصة في التعليم. كان أولهم عام (١٩٥٢م) عبد الحسن عميص الذي أرسى في مدرسة عبّا التعليم على قواعد صحيحة يعاونه إبراهيم إبراهيم الذي لم يدم طويلًا، ومحمد علي شمس الدين ووديع نصر من خارج البلدة. عن تلك المرحلة، يقول محسن عبدو» بعد أن أنهيت صف البريفيه انتقلت إلى دار المعلمين في بيروت، وكان في محلّة الأشرفية، رسبت في السنة الأولى، أكملت بعدها مرحلة البكلوريا في مدرسة المقاصد (معهد ليلي) وكنت خلال النهار أعمل لفترة وجيزة، بصفة سكرتير مكتب لدى مهندس بناء أكملت بعدها المراحل الدراسية المتبقية في دار معلمين، وعيّنت في (٦ آذار ١٩٦١م) برتبة أستاذ في تكميلية النبطية لمدة شهر[٤]. بعدها تنقلت بين مدرسة سامي صبّاح، وكان أحد طلابها فايز ترحيني ومحمد أحمد يوسف، ثم مدرّسًا في كفررمان لفترة سنتين. لأنتقل بعدها إلى مدرسة

(١) مدونة العرايس، مرجع سابق.

(٢) مقابلة مع سعيد إبراهيم يونس محمد هارون.

(٣) مقابلة مع محمد خليل يونس، مرجع سابق «واختار الأب لابنه مدرسة بعيدة عن البيت لأن قريبًا له يعمل مدرسًا فيها، وعلى الصغير الذي يبلغ التاسعة أن يقطع تلك المسافة سيرًا على الأقدام صيف شتاء وصباح مساء» فايز ترحيني: دائرة الشوك حكاية الولد...، مرجع سابق، ص٣٣.

(٤) كتاب تبليغ من وزارة التربية رقم ١٣٦٥/ س تاريخ ٣١/ ٣/ ١٩٦١م لـمحسن عبدو ترحيني بتعينه مدرسًا متمرنًا في مدرسة النبطية الرسمية بموجب المرسوم رقم ٦٢٩٤تاريخ ٦/ ٣/ ١٩٦١م و القرار رقم ١٤١ تاريخ ٢١/ ٣/ ١٩٦١م. وثيقة رقم(٣٢).

المنارة للبنات، الكائنة عند طلعة أبو طالب- شارع الحمراء - بيروت بإدارة حياة اللبّان»[١]. وفي العام (١٩٦٥م) عيّن محمود حسين معلّم مدرّسًا لمادة الرياضيات في التعليم المتوسط. وكان من تلامذته: عباس أمين ترحيني، وحسين أحمد السيد حسين وشقيقه عبد المجيد، وأكرم محسن ترحيني، وعبدو محسن ترحيني، وحسام محسن ترحيني[٢]. وكان شائعًا «من يحصل على شهادة السرتيفيكا من الطلاب، يصبح بإمكانه الحصول على لقب أستاذ تعليم رسمي. أذكر أن علي إبراهيم ابن العلاّمة السيد محمد علي إمام البلدة عمل مدرّسًا رسميًّا بعد أن حصل على شهادة السرتيفيكا»[٣]، ولم يكن الوحيد، كذلك فاز عبد اللّه [هو فايز محمد خليل ترحيني] بشهادة السرتفيكا مع أحد عشر تلميذًا من أبناء ضيعته، ما عدا من نجح من مدارس العاصمة، وهذا العدد الكبير من الناجحين في ذلك الزمن إنما هو دليل انفتاح الضيعة والمنطقة على العلم»[٤] وفي عام (١٩٦٧م) تخرج فايز محمد خليل ترحيني في دار المعلمين برتبة أستاذ تعليم رسمي، والتحق بمدرسة حومين الفوقا ومن ثم بمدرسة النبطية[٥]. وعليه يمكن القول إن العلم بالوسائل الأكاديمية الحديثة أصبح غاية ووسيلة لأبناء البلدة لتوسيع مداركهم لنيل الشهادات العليا بعدما أمضوا فترة طويلة من الجهل والأمية، كان للإقطاع، ليس على مستوى جبل عامل فقط، دور رئيس فيه.

وكانت مدرسة عبّا الرسمية الأولى من بين مدارس القضاء التي أدخلت إلى المنهاج تعليم اللغة الإنكليزية كلغة ثالثة، لصفوف االتمهيدي والأول أساسي،

(١) مقابلة مع محسن عبدو حسين أحمد، مرجع سابق.

(٢) «بعدما توليت التعليم في مدرسة عبّا لفترة، تم تشكيلي إداريًّا لأتولى مهمة أمين سر محافظة النبطية خلفًا لإبراهيم فقيه وكان ذلك عام ١٩٨٠م. وبذريعة أن انتقالي إلى السلك الإداري غير قانوني تمت إعادتي إلى سلك التعليم، لألتحق بمدرسة النبطية الفوقا حتى العام ١٩٨٥م، وكنت خلال هذه الفترة أواظب على متابعة طلاب صف البروفيه خاصة مادة الرياضيات وقد لاقت هذه الخطوة استحسانًا من مدير المدرسة الأستاذ محسن ترحيني». مقابلة مع محمود حسين معلّم، مرجع سابق.

(٣) مقابلة مع شريف أمين أحمد خليل...، مرجع سابق.

(٤) فايز ترحيني: دائرة الشوك حكاية الولد...، مرجع سابق، ص٣٩.

(٥) مقابلة مع محمد خليل يونس، مرجع سابق.

العام الدراسي (١٩٩٧ـ ١٩٩٨م) ولمرحلة المتوسط العام الدراسي (٢٠٠٠ ـ ٢٠٠١م) وكان لهذه الخطوة الأثر الإيجابي بحيث أسهم في وفود عدد كبير من الطلاب من خارج البلدة.

مديرون وأساتذة تعاقبوا على المدرسة وكوادر متخصصة في التعليم:

تعاقب على إدارة مدرسة عبّا الرسمية بجميع مراحلها التأسيسية والتعليمية، مديرون كان أولهم عام (١٩٥٢م) عبد الحسن عميص، وفي ذات الوقت تولى نظارة المدرسة وتعليم الطلاب. وكان الأستاذ مرتضى الحر يعاونه. خلفه عبد المجيد عبد اللطيف ترحيني وبقي مديرًا لها إلى أن طلب محسن عبدو من الوزارة (كان يدرّس في بيروت)، تعينه في عبّا مكان عبد اللطيف ترحيني، على أن يحلّ عبد اللطيف مكانه في بيروت. وهكذا كلّف محسن عبدو بتصريف أعمال إدارة المدرسة. وتعاقب على إدارة المدرسة بصفة (تصريف أعمال) كل من: محمد أحمد يوسف ترحيني حتى (١/ ١٠/ ١٩٧٧م)، علي شريف عبد اللّه ترحيني من (١/ ١٠/ ١٩٧٧م) لغاية (٣/ ١٠/ ١٩٧٩م)، علي محمد علي إبراهيم من (٣/ ١٠/ ١٩٧٩م) لغاية (٢٤/ ٩/ ١٩٨٠م). ثم أعيد تكليف محسن عبدو مديرًا أصيلًا من تاريخ (٢٤/ ٩/ ١٩٨٠م) لحين مغادرته إلى مدرسة النبطية الفنية العالية بتاريخ (٢١/ ٦/ ١٩٨٦م). وحلّ مكانه محسن محمد فحص وبقي في منصبه لحين إحالته على التقاعد عام (٢٠١٦م)، وعيّن مكانه بالتكليف رياض مرتضى ترحيني وما زال[1].

لم تخلوا مرحلة تسلّم محسن عبدو إدارة المدرسة من تنافس على إدارتها[2]،

(١) تسنى لنا الاطلاع على قرارات (تصريف الأعمال)، من مصدرها – أرشيف مدرسة عبّا الرسمية.

(٢) تم نقلي إلى مدرسة الدوير وحلّ مكاني الأستاذ محمد أحمد يوسف ترحيني. لم تطل فترة غيابي وعدت ثانية لتعليم مواد اللغة الفرنسية للمرحلة التكميلية مدة خمس سنوات. في هذا الوقت نقلت المدرسة لبيت حسين قاسم الكائن عند ساحة آل هارون مقابل بيت علي وهبي. ومن ثم إلى بيت أبو السبع من آل حمود وكانت ٥ غرف، إضافة إلى بيت أخي حسين، عدة غرف مجاورة لبعضها البعض .استمرت المدرسة على هذا المنوال إلى أن نقل الأستاذ محمد أحمد ترحيني إلى دائرة التربية في صيدا ليحل مكانه علي شريف عبد اللّه «. مقابلة مع محسن عبدو حسين أحمد، مرجع سابق.

وكذلك كانت المرحلة الثانية (١٩٨٠ـ ١٩٨٦م). في الأولى كان البعض بحسب ما رواه محسن عبدو، يتحين الفرص لعزله عن الإدارة، وتم له ذلك عندما عين في مدرسة الدوير الرسمية. وفي الثانية عندما رأى البعض من أهل البلدة، أن النهوض بمستوى المدرسة وزيادة عدد الصفوف للمراحل الدراسية الأعلى، وإجراء دورات التقوية صيفية، وترفيع بعض الطلاب عند انتهائها، مخالفة تقع خارج الصلاحيات المعطاة للمدير. واتخذوا من ذلك وسيلة لإقصائي، وتم لهم ما أرادوا بنقلي إلى مكان آخر(١). وهناك من تولى إدارة مدارس خاصة في عبّا وخارجها، هما: عباس ترحيني وعلي سلامي.

وتعاقب على التعليم في مرحلتي الابتدائي والمتوسط عدد من الأساتذة من أبناء البلدة، هم: عبد الحسن عميص، عبد المجيد عبد الطيف ترحيني، محسن عبدو ترحيني، عبد الحميد عبد اللطيف ترحيني، علي محمد علي إبراهيم، خليل توفيق ترحيني، فايز ترحيني، محمد أحمد يوسف ترحيني، حسين سليم ترحيني، موسى جفال، محمود معلّم، كامل السيد علي، علي شريف ترحيني، محسن محمد فحص، زينب محمد ترحيني، صبحية حسن ترحيني نهاد محمد ترحيني، هدى صباح، رؤوفة يونس، قاسم محمد ترحيني، رياض ترحيني، راوية حسن ترحيني، نورة حسين ترحيني، ليلى ماروني، سناء قاسم ترحيني، زينب مصطفى ترحيني، مها طلال ترحيني، لينا علي قاووق، أحمد حسين ترحيني،ايمان وهبي، أمل أحمد هارون، إكرام ترحيني، إيمان وهبي، زينب حسين قاووق، بتول علي ترحيني. ومن خارج عبّا توالى على التعليم في مدرستها الرسمية، كل من: غنطوس محسن فنيانوس، جورج عبدو عيد، سلمان عبد السلام بدر الدين، محمد حسين الفلو، محمد عبد الحسن سلوم، محمد مضر إبراهيم، محمد هاشم محمد كاظم

---

(١) صدر قرار قضى بنقلي إلى مهنية النبطية، أفيدعن تنفيذه بموجب كتاب مباشرة مهام عدد ٢٠٧٧/ ٦ صادر عن رئيس مصلحة الإدارة والتنفيذ بالتكليف في وزارة التربية يفيد بمباشرة مدير مدرسة عبّا الرسمية محسن عبدو ترحيني عمله في مدرسة النبطية الفنية العالية بتاريخ ٢٣/ ٦/ ١٩٨٦م، بالإضافة إلى تعليم مادة القانون المهني حتى احالتي على التقاعد وثيقة رقم (٣٣). في هذه الأثناء تولى إدارة المدرسة الأستاذ محسن فحص بالتكليف إلى أن عُيِّن أصيلًا من قبل الوزارة. مقابلة مع محسن عبدو، مرجع سابق.

شبو، أحمد حسين عيسى جرادي، منيب صبحي ترشيش، عبد الرحمن علاء الدين مراد، مصطفى عبد اللطيف الصغير، أحمد أسامة أبو النصر اليافي، علي محمد فران، محمد سلوم، محمد حسين ضيا، نعمة خليل أبو رحال، محمد عادل فحص، مصطفى محمد موسى، فرجيني سعدون داوود، علي صبّاغ، عبد اللّه علوش، جورج حبيب، جمال الخياط، علي حايك، عبد الرحمن نجم الدين، محسن جواد، مصطفى حوماني، دورا حجار، أمال غانم، نزيه عاشور، علي فرحات، رضوان إبراهيم الخياط، محمد جميل محيدلي، جوزف بشارة، طانوس حنا اندراوس، ليلى ضو، زهير علي كرشت، علي كريم، غسان رمضان، محاسن حطيط، سناء شوكيني، هيام عز الدين سميحة قبيسي، هبة إبراهيم عفّارة، فاطمة عبد الرضى عيّاش. وهؤلاء جميعًا من قرى أقضية النبطية، ومرجعيون، وجزين، وصيدا، وطرابلس.

وخارج البلدة رفدت عبّا القطاع التعليمي بمراحله التعليمة الابتدائية والمتوسطة الثانوية والمهنية كافة بنخبة من الأساتذة، هم: علي أحمد حسين ترحيني، عباس خليل ترحيني، حسن علي وهبي ترحيني، حسن يوسف ترحيني، سارة حريري، علي يونس هارون، دلال نور الدين، أحمد ترحيني، حنان هارون، حنان كلوت، نبيل معلم، أحمد ترحيني، محمد هارون، حسن السيد علي، داليا سلمان، ليلى ترحيني، عبير ترحيني، علي ترحيني، سحر النابلسي. ومثلهم أساتذة جامعات رسمية وخاصة، هم: فايز ترحيني، محمد أحمد يوسف ترحيني أكرم محسن ترحيني، أنور محسن ترحيني، علي حسن ترحيني، علي حسين هارون، أحمد محمد ترحيني، رنا علي حسين ترحيني، عباس خليل ترحيني، زينب أحمد ترحيني، جيهان علي ترحيني، فاطمة سبيتي.

بعض الاستنتاجات:

بعد مرحلة مضطربة مرّ بها جبل عامل، لم يخرج منها إلا بشق الأنفس، عاد بداية القرن التاسع عشر ليشهد نهضة في العلوم الدينية قائمة على انطلاق جديد

عند جيل من رجال الدين تلقوا علومهم في النجف على أسس كلامية وفقهية مجدّدة، استتبعها بنهضة علميّة أخرى بداية القرن العشرين انعكست على المدرسة الدينيّة التي خرّجت العديد من العلماء، من خلال تطوير أساليب التدريس وطرائق التفكير، وبذلك شكلت البداية لتراتبية المراحل الدراسية.

مع استعادة الحركة العلمية ألقها، لم يخرج من عبّا رجل دين واحد مع أن معظم عائلاتها تنحدر من نسب السادة الأشراف. ولم يكن لدى العبّاويين حرج في أن يستقدموا واحدًا من خارج البلدة، واستمروا في ذلك حتى بداية الثمانينات، عندما خرج منهم ثلة من رجال الدين سادة ومشايخ يقومون بالتوجيه الروحي والأعمال المتصلة بالمذهب وشرائع العقيدة وطقوس العبادة والوعظ والتوجيه والإرشاد.

على مستوى العلوم الدنيوية، كان للظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية، التي سادت في زمن السلطنة العثمانية، ودولة لبنان الكبير، والجمهورية الأولى بعد الاستقلال أبلغ الأثر، في مسيرة الفكر والمعرفة والثقافة. مرحلة، لم تعرف فيها عبّا أي شكل من أشكال المدارس، سوى الكتّاب واستمر نمط التعليم على حاله حتى فترة متقدمة من الأربعينات، حين بدأ الفرنسيون سياسة جديدة في التعليم وتشددوا في ملاحقة الكتاتيب ومشايخها، وكان ذلك آخر ظهور للكتّاب فيها. وهكذا تأسست عام (١٩٤٣م) أول مدرسة رسمية، من دون أن يكون لها مبنى خاص ودائم، واقتصرت الهيئة التعليمية فيها، على معلم واحد، وفي أحسن الأحوال على معلمين. ولم تدرك عبّا مرحلة جديدة من التعليم الرسمي على أسس ثابتة، إلا عام (١٩٧٩م). مرحلة واكبها تطوير في البناء المدرسي والمنهاج التعليمي شكلًا ومضمونًا، كانت فيها النبطية وبيروت، مقصد من لديهم رغبة في تعليم أفضل.

مع هذه المرحلة، تشكّلت النواة الأولى لكوادر من أبناء البلدة، متخصصة في التعليم، مستفيدين من الوسائل الأكاديمية الحديثة لتوسيع مداركهم ونيل الشهادات العليا. ورفدت عبّا القطاع التعليمي بمراحله التعليمية الابتدائية والمتوسطة الثانوية والمهنية والجامعية كافة بنخبة من الأساتذة، بعدما أمضت فترة طويلة من الجهل والأمية، كان للإقطاع ليس على مستوى جبل عامل فقط دور رئيس فيه.

الفصل الرابع:

الأوضاع الصحية في عبّا - المشكلات والمؤشرات:

الوضع الصحي - غياب الجهاز الطبي البشري:

تميزت السنوات الأولى التي تلت الحرب العالمية الأولى بالقسوة على مجموع سكان لبنان. وساهم «نقص التغذية، والسكن الرديء، والجهل بالوقاية الصحية، وغياب الثقافة والتعليم، وموجات الجراد والطاعون والكوليرا والتيفوئيد باعتلال صحة اللبنانيين. وسُجِّل في القرى غيابٌ تامّ لمؤسسات الرعاية الصحية سواء كانت حكومية أم خاصة. غياب كان يملؤه الطب الشعبي أو التقليدي الذي يعتمد استخدام المستخلصات النباتية لعلاج الأمراض وما توفر من أدوات ومعتقدات شعبية لمعالجة حالات معينة. من هذه الوسائل «كان لدى أم نعيم زوجة عبدو عيسى معلّم خرزة زرقاء اللون تُغلى بالماء ويُسقى منها مريض الصفيّرة فيشفى. وشاتو جفال والدة أبو حسن حسين على محمود كانت تشد شعرات القرنين في رأس مريض ليشفى من التهاب اللّوز (بنات الذينين) وكانت إذا فقعت شفى منه. أما معالجة الأسنان فكان أبو حسين حسن إبراهيم حريري يقلّع الأسنان والأضراس بواسطة الكلبة (آلة حديدية تشبه الكماشة)، وهي لا تزال لغاية اليوم لدى نجله أبو حسين علي حسن إبراهيم. وأم سميح زوجة حسن علي خليل وهي من آل عجمي كانت تعدّ قطّارات لوجع العين، عندما يصاب الشخص بطمس العين في موسم التين، كما كانت تقلب الجفن لسحب شوكة الصبير»[1].

---

(١) مدونة العرايس، مرجع سابق، ص٥٢.

أما في مدن الأطراف، كالنبطية مثلًا «فلا وجود لمؤسسات صحية، سوى الطبيب الإيراني الأصل بهيج ميرزا، وكان طبيبًا قاسي القلب. وطبيب آخر مسيحي من آل الغفري، وكان رحومًا»[١]. في ظل هذا الوضع بلغ مستوى انعدام النظافة في القرى والبلدات حدًّا يفوق الوصف لدرجة أنه في عبّا على سبيل المثال « كان الرجل يجلس في الساحة العامة واضعًا ولده بجانبه يفقّص حشرة القمل المعشعش في رأسه. ولكثرة وجودها، كان القمل يمشي على رقبة الولد كخيط ممدود. وكان الرجل ينفض قميص ولده في حجرة التنور وهي مشتعلة، فتسمع فرقعة القمل وتشتمّ رائحة احتراقها»[٢]. كما بلغ مستوى الرعاية الصحية مستوى متدنّيًا، بسبب انعدام خبرة اختصاص الأطباء وتنوعه، هذا إن وجدوا. إذ كانوا يعالجون الإصابات التي يتعرض لها أشخاص بطريقة مرتجلة تؤدي في أغلب الأحيان إلى إحداث إعاقات دائمة، « لدرجة أن أحمد يوسف أسعد حسين أثناء رحلة صيد أصاب يده بطلق ناري عن طريق الخطأ، كان بالإمكان مداواتها من قبل الطبيب ميرزا، إنما قام ببترها»[٣].

وكان أهالي البلدة يضطرون إلى نقل مرضاهم إلى النبطية في ظروف غاية في الصعوبة في ظل انعدام النقل بالسيارة. ولم يكن أمامهم سوى «ركوب الجمال أو الحمير والبغال، أو امتطاء ظهر أحد من الأهل أو الجيران. وإذا كان المريض طاعنًا في السن كانوا ينقلونه على حمالة خشب إلى مكان يوجد فيه سيارة. أكثر شيء كانوا يخافون منه مرض السرطان، وقتها ما كانوا يعرفون سبب موت فلان...سوى القول: (خلص عمره)»[٤]. ومردّ هذا الاعتقاد بالدرجة الأولى انعدام الوسائط

(١) مقابلة مع شريف عبد اللّه جواد خليل، مرجع سابق.

(٢) مقابلة مع محمد خليل يونس، مرجع سابق.

(٣) المرجع السابق السابق.

(٤) «جدي السيد يونس وهو يعمل في الحقل، تعرض لنزف من فمه. احضره والدي إلى البيت للراحة، عمي السيد وهبي يونس كان قاصي القلب وحاد الطبع، اخبروه بحالة والده، نظر اليه وقال له بعدك طيّب ما متت. اخبرني والدي ان السيد علي حسين والد السيد إسماعيل وكان ضريرا فقد بصره وهو كبير في السنّ، كان حاضرا الواقعة، قال، ان السيد يونس لمّا سمع من ولده هذا الكلام شهق شهقتين ومات، عندها قال له السيد =

الطبية التي تنذر في وقت مبكر بوجود مرض ما. وبالدرجة الثانية إيماني على قاعدة التسليم بقضاء اللّه وقدره، هو يعطي وهو يأخذ، وهو اعتقاد راسخ لدى أهل القرى فطروا عليه. لذا، غالبًا ما كان يحدث موت مفاجيء غير متوقع ويتكرر عند عائلة واحدة دون سابق إنذار. يروي شريف أمين أحمد خليل (أبو علي) شيئًا من هذا القبيل حدث لعائلته، فيقول: « كنت بعمر السنتين وكان لي أخ اسمه جميل في عمر الـ(١٨)، وهو أكبر إخوتي وكان من قبضايات البلدة لدرجة أنه كان يرفع العَمدة في الساحة العامة. ذات يوم أصابه مرض، حضر الطبيب علي بدر الدين إلى جبشيت بالسيارة، وإلى عبّا على ظهر الدابة. بعد معاينته قال لوالدي ابنك رايح، أختي الصغرى خديجة وعمرها (١٦) عامًا لشدة حزنها عليه قالت: (انشاللّه ما بيجي سبوعك وبكون ميتة). وبالفعل هو توفي يوم الإثنين وهي يوم الخميس في ذات الأسبوع»[١].

ومع انعدام الوسائل كان أهالي البلدة يلجؤون إلى الأعشاب للتداوي من أي وعكة تصيبهم، معتمدين في ذلك على تجارب البعض ممن استعمل عشبة معينة وشفي من المرض، وكانوا يتداوون من دون أدنى معرفة بتشخيص المرض وخصائص الأعشاب ومدى النفع والضرر جراء استعمالها[٢]. وبعض الأحيان تكون الأعشاب مسممّة كنبات السرخس، وفي هذه الحالة، هناك احتمال، أن تكون الوصفة التي تناولها أمين أحمد خليل والد شريف (أبو علي) مضرّة. فهو بحسب ما رواه ولده شريف، أنه «عام (١٩٥٠م) صادف أن تناول بعض حبوب نبات السرخس[٣] مضافًا إليه ماء ممزوج بملح إنكليزي للعلاج من ديدان المعدة

= علي حسين انت قتلت بيّك». مقابلة مع سعيد إبراهيم يونس، مرجع سابق.

(١) مقابلة مع شريف أمين أحمد خليل(أبو علي).

(٢) «شملت المداواة بالأعشاب أمراضًا كثيرة، على سبيل المثال، للتداوي من السعلة كان يغلى التين مع القمح» مقابلة مع شريف عبد اللّه جواد خليل، مرجع سابق.

(٣) عشبة السرخس هي عبارة عن عشبة يبلغ ارتفاعها حوالي متر تمتد أوراقها من الساق بشكل ريشة الطائر الكبيرة مسننة وفي أسفل الورقة مجموعات صغيرة بشكل دوائر صغيرة أما الجذور مكسوة بقشور سمراء. قال عنها ابن البيطار فى الطب العربى القديم، إذا شرب وزن أربعة مثاقيل بماء العسل، قتل الأجنة الأحياء =

(عفونة) وفك عقدة المصران الغليظ الناتج عن تناوله سلطة بندورة ومقته مع المجدرة. وعندما لم يشفَ نُقل على عجل إلى النبطية على ظهر حمارة لمعاينته عند الطبيب بهيج الميرز، وأجرى له حقنة، وقال له: (يا سيد أنت ضيعت الجمل وعم تفتش عالرسن، لو دبحت دجاجة وعملت شوربا كانت سهلت معدتك)»[١]. وكانت تلك إشارة من الطبيب أن أصل الداء كان تلبّك معوي أدى إلى حدوث إمساك في الأمعاء، لم يكن الشفاء منه إلا بإجراء حقنة، لم تكن متوفرة في البلدة ولا خبرة لأحد بإجرائها.

ولمّا كانت النبطية في ستينات القرن الماضي تفتقر إلى وجود مستشفى أو حتى مستوصف كان لا بد من الانتقال بالمريض الذي يُعجز عن شفائه بوصفات الأعشاب، والطبيب في عيادته، إلى بيروت. في ظروف يكون فيها المرض قد وصل إلى مرحلة متقدمة يصعب معها السيطرة والقضاء عليه. واقع يفسّر ظروف مرض أمين أحمد خليل، في غضون أسبوعين من إدخاله مستشفى سان تريز في بلدة الحدث - الضاحية الجنوبية الشرقية لبيروت.» في تشرين سنة (١٩٦٥م) أصابه المرض مرّة أخرى، نقل إلى الطبيب ميرزا، وبعدما أتم الطبيب الفحوصات قال لولده: (بيك مش مطوّل بعيش شهر، بس يبرد الحجر بيك بيموت). ولسوء حالته أدخل مستشفى سان تريز حيث بقي فيها لمدة (١٥) يومًا دون تحسّن، وقال الطبيب لولده: (بيك بدو يموت، ولا حاجة لبقائه في المستشفى). وفي الليلة التي أخرج فيها توفي. وكان المرض سرطان بحسب ما قاله الطبيب»[٢].

ينشأ الجـدَرِيّ نتيجة للعدوى بفيروس وينتقل من المصابين إلى الأصحاء. وكان

= وأخرج الموتى، وذلك بمرارته وقبضه، وهو مجفف الجراحات تجفيفًا شديدًا لا لذع له. يخرج الدود المسمى حب القرع لعلاج البهاق يدعم صحة العظام. يعزز صحة الإبصار. أما أضراره فبعض أنواع السرخس غير صالحة للأكل وربما تكون سامة للغاية.ويجب تناول السرخس بكميات معتدلة لأن بعض الدراسات أظهرت أن الإفراط فى تناول السرخس يؤدى إلى ضعف العضلات. أحمد عيسى: تاريخ النباتات عند العرب ١٨٧٦ - ١٩٤٦م، دار الفضيلة ١٩٩٥م، ص٧٥.

(١) مقابلة مع شريف أمين أحمد خليل، مرجع سابق.

(٢) نفس المرجع.

الجـدَرِيّ يُعَدُّ من الأمراض المزمنة والقاتلة التي تودي بصاحبها إلى الموت. فهو عبر تاريخه الطويل، فتك وشوه وسبّب العمى لملايين الضحايا. يظهر الجـدَرِيّ على الجلد بشكل طفح يشبه البثور، ثم تتكون قشرة ما تلبث أن تسقط تاركة ندبة في مكانها. في وقت ليس ببعيد ضرب مرض الجـدَرِيّ بلدة عبّا، كان ذلك سنة (١٩٤٢م) عندما «انتقل إليها من بيروت عبر أحد أبناء البلدة، وهو مرتضى محمد علي شقيق السيد عبد الحليم وعبد الكريم»[١]. ولأن الجـدَرِيّ معدٍ وينتشر من خلال الاتصال المباشر مع سوائل جسم المصاب وأدواته، مثل الفراش، الملابس أو عن طريق الحشرات والحيوانات. كذلك من خلال استنشاق قطرات من الغشاء المخاطي للفم، والأنف والبلعوم، وعن طريق الاتصال وجهًا لوجه لفترات طويلة مع الشخص المصاب. ولا تظهر العدوى إلّا عند اكتمال حدوث الطّفح الجلدي. فقد عمدت السلطة إلى إصدار المرسوم رقم (١٣٧٤) تاريخ (٢٣/ ١٠/ ١٩٤٢م) فرضت بموجبه التلقيح الإجباري في عموم الأراضي اللبنانية إجباريًّا على كل فرد في أي عمر كان، كما فرضت إجراءات للحد من انتشاره[٢]. وقام بعض الأهالي بالاحتراز من انتقال العدوى فعمد «السيد موسى علي إلى فصل حيّ القلعة عن الضيعة بحاجز من شوك البلان امام منزل السيد حسين أحمد مانعا الدخول والخروج. وهكذا سلم حي القلعة من هذا الداء الخبيث...»[٣]. وأصيب بالجـدَرِيّ كل من «إبراهيم خليل علي محمود، مرتضى محمد علي حسين، عبد المنعم محمد علي حسين، جميل أمين أحمد خليل وشقيقته وغيرهم، حوالي سبعة كانوا مجدرين»[٤]. وتطوع أفراد لمعاونة الأطباء وخدمة المرضى، من هؤلاء «إبراهيم ابن الشيخ إبراهيم حريري وكان يحضر مع الدكتور وديع الغفري لتلقيح الأهالي في غرفة أبو مصطفى محمد

(١) مقابلة مع محمد خليل يونس، مرجع سابق.

(٢) «من تلك الإجراءات: المادة ٢: لا يمكن لأحد دخول الأراضي اللبنانية أو الخروج منها ما لم يكن حاملاً شهادة تلقيح ضد الجدري يتحتم لقبولها ألّا يسبق تاريخها التاريخ الذي يعينه بقرار وزير الصحة والإسعاف العام. الجريدة الرسمية العدد ٤٠٣٨ تاريخ ٢٨/ ١٠/ ١٩٤٢م، الصفحات ١٠٤٣٧ - ١٠٤٣٨.

(٣) مجلة العرايس، مرجع سابق، ص٩.

(٤) مقابلة مع حسين علي يونس، مرجع سابق.

قاسم»[١]. ولم تجد السلطة مكانًا ملائمًا للحجر الصحي سوى مغارة تقع عند أطراف البلدة، ناحية بيدر زيدان الواقعة عند الجهة الشرقية الخالية تمامًا من البيوت. «وكانت المغارة موجودة أسفل بيت سعيد إبراهيم يونس القائم حاليا لجهة بيت أحمد صالح بوصلاح والسيد محسن إبراهيم. ومن يصاب بالجـدَرِيّ كان يوضع فيها بعيدًا عن الأهالي، وكان أقارب المصاب عندما يضعون له الطعام لا يقتربون منه»[٢]. «ومغارة ثانية تقع بالقرب من بيت حسن أمين معلّم حاليًّا، الدرك كانوا يقيمون حاجزًا بالقرب من بيت حسن كالوت الحالي في ناحية بيدر زيدان. وحواجز أخرى في وادي السيد، وقلعة المغريقة، ووادي عالي»[٣]. وساد البلدة حالة من الهلع، لدرجة الاعتقاد، أن السماع بكلمة الجـدَرِيّ فقط، كان مسبّبًا للموت[٤].

وبادرت السلطة إلى تنظيم لجان تلقيح ثابتة وسيارة مؤلفة من أطباء وممرضين ومن مأموري القوة المسلحة، ووضعت على حدود البلدة ومداخلها حواجز لمنع الدخول والخروج والبحث عن المجدورين وتطبيق جميع التدابير الصحية اللازمة بما فيها وضع الحجر الصحي على الأشخاص المصابين»[٥]. وبواسطة تلك الحواجز كانو يمنعون أي شخص من الدخول والخروج من البلدة للحد من انتشار العدوى[٦]. لكون الجـدَرِيّ لا يوجد لها علاج محدّد وكان يموت (٢٠٪)

(١) مقابلة مع حسين علي يونس، مرجع سابق.

(٢) مقابلة مع عليّة علي يونس، مرجع سابق.

(٣) كنت في عمر العشر سنوات عندما توفي جدي السيد يونس عام ١٩٤٢م. ولمّا اسرعت بطلب والدي لأعلمه بالأمر، وكان يعمل بالأرض في وادي عالي، أوقفني هناك حاجز للدرك ومنعني من إكمال طريقي، ولم يسمح لي بالمرور إلا بعد أن تأكد من صدق روايتي، وعدم إصابتي بالجدري. مقابلة مع حسين علي يونس، المرجع السابق.

(٤) عن حالة الهلع تروي عليّة ترحيني بعضا منها بالقول: «أتذكر جيدًا أن والد أبو سعد اللّه عندما كان مارًّا بالساحة العامة التقى بعمتي هاشمية وكانت في طريقها إلى التنور قرب ساحة بيت هارون وقال: يا جدري خديها، ولشدة خوفها توفيت في اليوم التالي» مقابلة مع عليّه علي يونس أحمد، مرجع سابق.

(٥) لمزيد من التفصيل حول هذه الإجراءات، يراجع نص المادة ٢ و٣ من المرسوم رقم ١٣٧٤ تاريخ ٢٣/ ١٠/ ١٩٤٢م، الجريدة الرسمية العدد ٤٠٣٨ تاريخ ٢٨/ ١٠/ ١٩٤٢م، الصفحات ١٠٤٣٧- ١٠٤٣٨.

(٦) مقابلة مع حسين علي يونس، مرجع سابق.

من ضحاياها، ويصاب الباقي بتشوهات مستديمة، وكان العلاج المتوفر في حينه بعض المراهم فقط للتّخفيف من حدّة البثور وحرقتها وآلامها. أما الوقاية منها فتتمّ عن طريق أخذ المطاعيم في سنٍّ مبكرة .وكان إذا لم يتم التغلب على انتشار المرض في جسم المصاب، يعتبر من الحالات المميتة، وتحدث الوفاة عادة بين اليوم العاشر والسادس عشر للمرض.

استمر الجـدَرِيّ منتشرًا في بلدات جبل عامل وعبّا، إلى ما بعد خروج الجيش الفرنسي من لبنان عام (١٩٤٦م). وبحسب محمد خليل ترحيني (أبو فايز) «حاول الفرنسيون حرق البلدة منعًا لانتشار العدوى، وعمدوا إلى إقامة نقطة حراسة لمتابعة الوضع الصحي، وطلبوا من الأهالي إبعاد المصابين إلى خراج البلدة وتولي رعايتهم دون الاقتراب منهم، وأصيب عدد لا يستهان به بالجدري بمعدل (٢) أو (٣) من كل بيت. ومن كان يتوفى يوارى ويوضع على الجثة مادة الكلس والماء لجعلها تتحلل بسرعة»[١]. وكانت السلطة تتشدد في فرض إجراءات الحدّ من انتشار المرض ومعالجة المصابين. وهي لذلك اتخذت بموجب المرسوم رقم (١٣٩٨٨) تاريخ(٢٩/ ١٢/ ١٩٤٨م)[٢] تدابير إضافية عن تلك المتخذة سابقًا.

(١) مقابلة مع محمد خليل يونس، مرجع سابق.

(٢) «نقل المجدورين للمستشفى الخاص بهم بواسطة سيارة الاسعاف وعزل ذويهم ومخالطيهم ووضع الحجر الصحي بواسطة الدرك أو مأموري البلديات مدة عشرة أيام على منازلهم التي يجري تطهيرها فورًا. إجراء التلقيح بواسطة المفرزات الصحية وأطباء البلديات وأطباء المدارس الخاصة والرسمية وتسليم شهادات فردية تثبت هذا التلقيح. إجراء التنقيب عن الإصابات غير المعلنة ومراقبة الحجر بواسطة الأطباء الرسميين. تكليف السلطات الإدارية المحلية إجابة طلب المفرزات الصحية السيارة بتعيين القوة المسلحة الكافية لإجبار الأهلين على التلقيح والمساعدة على تنفيذ جميع التدابير التي تراها السلطات الصحية لازمة للوقاية. بقرار من وزير الصحة ينفذ كل تدبير وقائي يستدعي الإسراع كتعيين الأشخاص المدعوين لتطبيق أحكام هذا المرسوم ومشترى اللقاحات واللوازم ودفع المكافآت التي تقتضيها المكافحة على أن تسدد النفقات حسب القوانين المالية المرعية الأجراء. منع دوائر النفوس من إجراء المعاملات المؤدية لتسليم تذاكر هوية للمواليد قبل أن تثبت بموجب شهادة تلقيح حكومية أن المولود قد تلقح ضد الجدري». المواد ١ – ٢– ٣– ٤– ٥– من المرسوم رقم ١٣٩٨٨ تاريخ ٢٩/ ١٢/ ١٩٤٨م، الجريدة الرسمية العدد ١ تاريخ ٥/ ١/ ١٩٤٩م، الصفحات ١ – ٢.

وكانت البلدة قبل مرض الجـدَرِيّ قد أصيبت بداء الجَرَبُ[١] إلا أنه لم يكن بشدة وخطورة الجـدَرِيّ، وتمت السيطرة عليه وسرعان ما شفي منه المصابون. يقول حسين علي يونس (أبو علي) «سنة (١٩٣٨م) أغلب البلدة جربت نحنا بالبيت جربنا. وعندما ضرب الجـدَرِيّ البلدة سنة (١٩٤٢م)، كان أهالي البلدة يصطفون أمام غرفة محمد قاسم محمد خليل لتلقي العلاج وجرعة التلقيح للجـدَرِيّ والمداواة من الجَرَبُ من الطبيب وديع الغفري»[٢]. الذي أوصى الأهالي بعدم استعمال أدوات الشخص المصاب وأغراضه أو تشاركها، مثل: الأغطية، والملابس، وغيرها، وعدم الاختلاط في الأماكن والتجمّعات العامة المزدحمة.

ومع أن ختان الذكور (الطهور) لم يأتِ ذكره في القرآن على الإطلاق، فقد اتّفق الفقهاء على مشروعيّته؛ لكونه من سُنن الفطرة التي أُشير إليها في عدد من الأحاديث النبويّة ويجري تنفيذه من جميع المسلمين على السواء. حتى إن البعض يعدّه لا غنى عنه ليكون المرء مسلمًا. وهكذا أصبحت هذه الشعيرة تقليدًا إيمانيًّا اجتماعيًّا درجت عليه عبّا، ولم تحد عنه رغم تواضع الإمكانات الطبية في حينه في البلدة والمحيط. لذلك «كان يأتي إلى البلدة رجل يمتهن ختان الذكور. يجوب الأحياء حاملًا محفظة جلدية، مناديًا بأعلى صوته، (مطهر- مطهر). إيذانًا منه بالوصول واستعدادًا لطهور من يرغب من الأولاد»[٣]. ومع انتشار وسائل التكنولوجيا الحديثة

(١) «الجَرَبُ مرض جلدي يسببه نوع من الحَمَك يسمى حمك الجَرَبُ، وينشأ عنه حكّة شديدة في أثناء الليل. وتسبب هذه الحكة طفيليّاتٍ عثيّةً تسمّى بالقارمة الجرَبيَّة، وتعيشُ داخلَ جحور في الطبقة العلويّة للجلد، فتقوم خلايا المناعة بمهاجمتها، ممّا يؤدّي إلى ظهور طفح جلديّ شديد الحكّة. ويظهر الجَرَبُ عند مختلفِ الأشخاص في جميع الأعمار، حتى عند الذين يحافظون على نظافتهم الشخصيّة». الموقع الإلكتروني لقاموس المعاني. www.almaany.com

(٢) مقابلة مع حسين علي يونس، مرجع سابق.

(٣) «نظرًا لأنعدام الإمكانات الطبية كان الطهور يتأخر سنوات. حتى إن البعض يكون قد تجاوز سن الخامسة وحتى العاشرة من العمر. وكان من يُجرى له الطهور يُلبس عباءة فضفاضة دون سروال داخلي، تجنبًا للألم نتيجة الاحتكاك، وهذا الإجراء من شأنه أن يدلل بكل سهولة على أن فلان أجرى عملية ختان الأمر الذي كان يشكل حرجًا له، لدرجة يمتنع فيها عن مغادرة البيت حتى الشفاء». مقابلة مع محمود حسين معلّم، مرجع سابق.

أصبحت عملية ختان الذكور بسيطة وسهلة عما كانت عليه في السابق، حيث كان يتعرض الكثير من الأطفال للآلام الشديدة والنزف وغيرها من الأعراض، لكن اليوم أصبحت العملية أسهل وأبسط باستخدام الآلات الحديثة والمتطورة، ومن ثمّ لم يعد للمطهّر وجود في عبّا وغيرها من البلدات مع سعي الآباء للتعجيل بختان أبنائهم في المستشفى مباشرة بعد الولادة، على أيدي جراحين متخصصين.

وكان من بينهنّ نسوة من تطوع ليكون داية (ولّادة أو قابلة)، في عبّا وكانت «سعدى معلّم تلد النساء، وهي من قامت بتوليدي وكانت تعالج مرضاها بالدعاء»[1]. ومهمتها الإشراف على النسوة ومساعدتهن بالولادة». وعلى الرغم من انتشار الطب، ظلّت بعض النساء لا تثق سوى بالداية صاحبة الخبرة والباع الطويل، إلا أن انتشار بعض الأخبار عن أخطاء ترتكبها كانت سببًا في فقدانهنّ عملهنّ، وحلّ مكانهنّ الطبيب المختصّ الذي تحثّ العادات والتقاليد العباوية على أن يكون أنثى لا ذكر. واليوم لم يعد لها وجود بالنظر إلى توفّر أطباء من النسوة والرجال تشرف على الحوامل وتتابع أوضاعهن حتى الولادة التي تكون حصرًا في المستشفيات التي افتتحت أقسامًا متخصصة لهذه الغاية.

وكان أهالي عبّا إذا ما شعروا بألم في ضرس، كانوا يلجؤون إلى حسن إبراهيم حريري (أبو حسين)، وكان معروفًا ببراعته «بشلح الأسنان وقلع الأضرس بواسطة (الكلبة) آلة حديدية تشبه (البنسة). وهي لا تزال محفوظة عند نجله (أبو حسين) علي حسن إبراهيم حريري[2]. أيضًا موسى علي خليل، وكان يباشر عمله بالقلع دون استعمال المخدّر. ومن النبطية كان يأتي حسين كلوت مرة في الأسبوع، بعد أن خصص له أهالي البلدة غرفة، وكان بمنزلة طبيب يقوم بقلع الأسنان والأضراس أو ترميمها، أو تركيب وجبة (طقم أسنان). بعد عام (١٩٥٢م)، ذاع صيت محمد جواد صايغ (أبو أديب) من بلدة القصيبة، وكان يحمل لقبًا (مرخّص في طب

(١) مقابلة مع شريف عبد اللّه، مرجع سابق.

(٢) مدونة العرايس، السنة ١٧، مرجع سابق، ص ٥٢.

الأسنان)[١]، وهذا الأمر لم يكن معروفًا عند أهالي عبّا. وغالبًا ما كان الأهالي نظرًا لقرب البلدة من القصيبة يأتون إليه. يتذكر من زبائنه، المختار شريف يوسف أسعد، السيد خليل يونس أحمد، وشقيقه أحمد، الحاج عبد الحسن عميص، حسن محمود حسين يونس. كان عمله يقتصر على خلع الأسنان والأضراس وتركيبها وتلبيسها، ووجبات أسنان كاملة (طقم أسنان). وكانت الكلفة تتراوح بين (٤٠) و(٦٠) ليرة بحسب النوعية، أمّا خلع السن أو الضرس ليرة ونصف[٢].

المستوصف (البناء - التجهيزات - الأطباء):

ساهم غياب المؤسسات الحكومية الرعائية والصحية الفاعلة في منطقة النبطية في اعتماد المستوصف وسيلة للاستفادة من الخدمات الطبية المختلفة. فحتى أواخر سنة (١٩٨٤م) كان مستشفى النبطية الحكومي لم يرَ النور بعد. في (١٧ كانون أول ١٩٨٤م) صدر المرسوم رقم (١٩٦٩) تاريخ (١٧/ ١١/ ١٩٨٤م) بإنشاء مستشفى النبطية الحكومي وتحديد ملاكه[٣]. وكانت الأسر في عبّا وغيرها

(١) الفقرة ٣ من المادة ١:... المتمرنون في طب الأسنان الذين انقضى على ممارستهم المهنة مدة تزيد على عشر سنوات بشرط أن يكونوا قد قدموا طلبًا بمأذونية إلى وزارة الصحة قبل صدور هذا القانون أو في مهلة عشرة أيام من تاريخ نشره على أن ينجحوا في امتحان الكولوكيوم ومن يرسب منهم في الامتحان يعطى رخصة ميكانيكي أسنان. وبحسب المادة ٥ من قانون تنظيم مهنة طب الأسنان، كان يعطى سائر المتمرنين غير المذكورين، ومنهم من رسب في امتحان ممارسة المهنة، لقب، (مرخص في طب الاسنان). قانون يختص بمارسة مهنة طب الأسنان، تاريخ ٢٩/ ١١/ ١٩٤٨م، الجريدة الرسمية العدد ٤٩، تاريخ ٨/ ١٢/ ١٩٤٨م، الصفحات ٩٢٤ - ٩٢٦.

(٢) كنت تعلمت المهنة في بيروت. عام ١٩٤٩م تقدمت من وزارة الصحة للخضوع لامتحان، نلت بنتيجته شهادة ميكانيكي أسنان. مارست المهنة في بيروت من عام ١٩٤٩م حتى ١٩٥٢م، انتقلت بعدها إلى بلدتي القصيبة. حينها كنت خصصت يوم الخميس من كل أسبوع للعمل في بلدة الزرارية ويوم السبت في بلدة جويا، أمّا البلدات المجاورة ومنها عبّا، فكنت أقصدها حين الطلب، كما اليوم كنّا، نعطي مخدرًا قبل بدء العمل، وأدوية التهابات عند الضرورة. طريقة العمل لم تتغير كثيرًا عن اليوم، سوى باستعمال معدات حديثة. مثلًا، لحفّ الوجبة، كنّا نستعمل آلة تشبه تلك التي يستعملها المجلّخ. لم يكن غيري يمارس هذه المهنة على امتداد قاطع بنت جبيل وصور، وكان في النبطية، طبيب واحد يدعى محمد صبّاح. توقفت عن ممارسة المهنة عام ١٩٩٠م، بعدما افتتح ولدي مختبرا لهذه الغاية. مقابلة مع محمد جواد صايغ (أبو أديب)، مرخص في طب الاسنان، تولد ١٩٢٨م، بتاريخ ٥/ ٤/ ٢٠١٩م.

(٣) «مادة١: ينشأ في محافظة النبطية مستشفى حكومي تابع لوزارة الصحة والشؤون الاجتماعية يسمى =

تتوجّه إلى المستوصف للاستفادة من خدمات طبية مختلفة. على أنّ نسبة زيارة المستوصفات هي الأعلى في لبنان الجنوبي (٧, ٤٠٪)، والنبطية (٥, ٣٦٪)»[١]. ولم يكن في عبّا وجود لمستوصف يلبي حاجات الأهالي، ووجوده لاحقًا أتى مصادفة. واقع الأمر أنه «إثر وفاة فاطمة علي جواد ترحيني في (١٤) شباط من عام (١٩٨١م)، تداعي الوجهاء من آل هارون منهم سعيد إبراهيم يونس (أبو محمد) وأحمد يونس أحمد (أبو علي) لاجتماع اتخذ فيه قرار بدفن المرحومة في العقار رقم (٢٠٢٣) تملكه المرحومة على أن يكون وقفية لعموم أهالي البلدة. لاحقًا أقر الرأي على إقامة بناء لمستوصف أطلق عليه عند إنجاز بنائه اسم مستوصف الإمام موسى الصدر، تبرعت بقسم من تكلفة بنائه، السيدة رباب الصدر بمبلغ (٢٥) ألف ليرة»[٢]. ولمّا كان المستوصف عند انطلاقته يعاني بعض الأحيان من قلّة الموارد المالية لتشغيله، بادر سعيد إبراهيم يونس (أبو محمد) إلى زيارة الشيخ محمد مهدي شمس الدين وكان الشيخ يقوم بزيارة عائلية منتظمة لبلدة القصيبة، فطلب منه تولي أمر المستوصف فوافق في الحال على إدارته من قبل المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، وهكذا استمر لأربع سنوات يؤدي كافة الخدمات الطبية لأهالي البلدة[٣].

وجاءت موافقة الشيخ على الطلب مشروطة بأن يتولى إدارته من لديه الخبرة التمريضة. حينها وقع الاختيار على سهام سعيد درويش (أم وسيم) زوجة موسى جفال، لكونها «درست مهنة التمريض في الجامعة الأميركية في بيروت بين عامي (١٩٧٩ ـ ١٩٨٠م) وخضعت لدورات تدريبية في اختصاصات الصحة العامة

= مستشفى النبطية الحكومي. تعدلت تسمية لتبصح، مستشفى نبيه بري الجامعي الحكومي في النبطية بموجب المرسوم ٩٨٥٦ تاريخ ٧/ ٢/ ٢٠١٣ ج ر». الجريدة الرسمية العدد ٤١ تاريخ ٢٩/ ١١/ ١٩٨٤م، الصفحات ٥٥٨ ـ ٥٦١.

(١) إدارة الإحصاء المركزي، دراسات احصائية، الأوضاع المعيشية للأسر ١٩٧٩ في عام ١٩٩٧م، العدد ٩ شباط ١٩٩٨م، ص٦٠.

(٢) مقابلة مع سعيد إبراهيم يونس، مرجع سابق.

(٣) نفس المرجع.

والجراحة والتوليد وغُرف العمليات، وحصلت بنتيجتها على شهادة ممرضة متمرنة. فضلًا عن ذلك راكمت (أم وسيم) من الخبرات التمريضية ما يقارب (٧) سنوات، اكتسبتها من خلال عملها التطوعي مهارات في الإسعافات الأولية وبعض حالات التوليد الطارئة في عبّا وخارجها[١].

كانت انطلاقة المستوصف الثانية في آب (١٩٨٧م) واعدة عندما اعتمدت إدارته دوام عمل من الساعة (٨,٠٠) صباحًا حتى (١٤,٠٠) بعد الظهر. كان خلاله الأطباء يحضرون لمعاينة المرضى وفق جدول مواعيد منتظم استمر لأكثر من عقد ونصف. « بداية اقتصرت الخدمات على اختصاصات، الصحة العامة - النسائي - طب الأطفال - التلقيح. وحُدد في حينه بدل المعاينة الطبية بـ(٢٥٠) ليرة مع تقديم ما هو متوفر في المستوصف من أدوية أساسية لعلاج حالات الالتهاب والحساسية والسعال. وكان المستوصف يستقبل شهريًا بين (٢٠٠) إلى (٣٠٠) مريض وحالة طارئة»[٢]. وبذلك يكون المستوصف قد أدّى دورًا هامًّا في تأمين الخدمات الصحية على مستوى صحة الأم وطفلها، أو خلال الاعتداءات الإسرائيلية المتكررة عندما كانت البلدة تتعرض للقصف. وفي كلا الحالتين شكل المستوصف ضرورة ماسة أسهم في نشر التوعية الصحية في البلدة.

إلا أنه بدءًا من العقد الأخير من القرن الماضي ومع تزايد نسبة المقيمين في البلدة واستفحال الأزمة الاقتصادية والمعيشية خاصة في مدن وقرى الأطراف ووجود عدد كبير من المرضى غير مشمولين بالتغطية الصحية[٣]، صار همّ إدارة

(١) مقابلة مع سهام سعيد درويش (أم وسيم) تولد ١٩٥٦، والدتها نعيمة حطيط بتاريخ ١٦/ ٧/ ٢٠١٨م.

(٢) نفس المرجع.

(٣) «حتى عام ١٩٩٧ يظهر من توزع المستفيدين في لبنان من التقديمات الصحية، أن أكثر من ثلث اللبنانيين ٥٨٪ غير مسجّلين على خانة جهة ضامنة، وهم بالتأكيد يُعالَجونَ (تحت حساب وزارة الصحة). والملاحظ أن غالبية هؤلاء في محافظات الأطراف، لبنان الجنوبي مثلًا٧٦ ٪، يليه لبنان الشمالي٥٤٪، البقاع ٦٤,٤٪، فالنبطية ٦٣,٤٪، في حين تنعم بيروت والضواحي بنسبة أدنى نتيجة انخراط هؤلاء في أعمال الوظيفة العامة والخاصّة، عكس باقي المحافظات؛ لأن أهلها إمّا مزارعون أو عاطلون عن العمل» لمزيد من التفصيل يراجع، إدارة الإحصاء المركزي، دراسات إحصائية، الأوضاع المعيشية للأسر١٩٩٧ في عام ١٩٩٧م، العدد ٩ شباط ١٩٩٨م، ص١٩٩.

المستوصف، هو تقديم خدمات أكبر وأشمل لتغطية كافة الاختصاصات وتأمين الأدوية العامة اللازمة، خاصة تلك المتعلقة بالأمراض المزمنة كالسكري وضغط القلب وترقق العظم والنشاف وغيرها، بأسعار مخفَّضة جدًّا أو مجانًا. لأجل ذلك «باشرت الإدارة بتطوير العمل وأصبح يستقبل في فترة ما بعد الظهر مرضى القلب بعد أن تعاقد مع طبيب اختصاص. وكان الشيخ محمد مهدي شمس الدين يوصي بدوام عمل المستوصف وتطويره ويولي أهمية قصوى لاستمراره ويثني على إدارته، وكان من حين لآخر بالتنسيق مع جمعيات أهلية وخيّرين، يزوده بالأدوية اللازمة وما توفر من لقاحات لدعم حملات التلقيح»[١].

بوفاة الشيخ شمس الدين عام (٢٠٠١م) بدأت مؤشرات التراجع، لا سيّما بعد دخول وزارة الشؤون الاجتماعية شريكًا ثانيًا في إدارة المستوصف إلى جانب المجلس. التجاذب بينهما حول إدارته، وإعفاء الوزارة نفسها من تقديم أي مساعدة مالية للمستوصف، كان سببًا في تراجع خدماته ومن ثمّ عدد الزوار المرضى[٢]. تزامن ذلك مع تشكل أول مجلس صحي في محافظة النبطية، ومباشرته بعض المهام التنموية كإعطاء التراخيص للمؤسسات الصحية المصنفة من الفئات الثانية والثالثة[٣]. بدءًا بـمستشفى النجدة الشعبية، مستشفى الشيخ راغب حرب، مستشفى الحكمة، مستشفى الجنوب - الهيئة الصحية الإسلامية، مستشفى غندور. ومختبرات: الإنماء، السلام، الشفاء، الصباح، الأطباء، الجمعية اللبنانية لرعاية المعاقين، جمعية لجنة الإنماء الوطني. وعيادات من كافة الاختصاصات[٤].

(١) «وكان بدل المعاينة يرتفع عام بعد آخر ليصبح بدءًا من (٥٠٠، ٧٥٠، ١٠٠٠، ٢٥٠٠، حتى ٣٠٠٠)».مقابلة مع سهام سعيد درويش (أم وسيم)، مرجع سابق.

(٢) جلّ ما قامت به وزارة الشؤون الاجتماعية، هو: متابعة الأعمال والحسابات اليومية التقارير الشهرية، ودفع رواتب ومستحقات المديرة والأطباء وصرف فواتير بعض المشتريات والتجهيزات، من إيرادات المستوصف، نفس المرجع.

(٣) «قرار رقم ٢٣ تاريخ ١٢/ ٩/ ١٩٩٠م، محافظة النبطية، إدارة - جغرافيا - تراث، إعداد قلم محافظة النبطية الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، ص٧.

(٤) نفس المرجع، ص٩.

مع انتخاب أول مجلس بلدي في عبّا سنة (٢٠٠٤م)، عقدت الآمال على انطلاقة جديدة للمستوصف. بداية، كان المجلس البلدي ووزارة الشؤون يولون الشق المالي المتعلّق بالمستوصف أهمية، باعتباره من ضمن صلاحياتها كإدارة محلية، متابعة الشأن الصحي في البلدة. «إلا أن هذه الآمال تبخرت بسبب التجاذب بين المجلس والوزارة والمجلس الشيعي وتقاذف المسؤوليات. وانتهى ذلك، بتخلي المجلس الشيعي ووزارة الشؤون عن مسؤوليتهما، وعجز المجلس البلدي عن الوفاء بتعهداته، سيما وأنه مجلس مستحدث يفتقر إلى الإمكانات المادية للنهوض بأعباء بلدة بأكملها ومستوصف يحتاج إلى موارد ثابته تحافظ على ديمومته»[1].

في المحصلة، توقف المستوصف نهائيًّا عن العمل، بعدما منعه العجز المالي يومًا بعد آخر من الوفاء بالتزاماته تجاه الأطباء والكادر الإداري، والأهالي المرضى الذين كان يتناقص عددهم باستمرار نتيجة رغبة لديهم باستشارة الطبيب في عيادته الخاصة سيما وأن بدل الاستشارة في كلا المكانين كان متقاربًا إلى حد ما، والدواء على قلّته ومحدودية استعماله في المستوصف لم يعد متوفرًا إلا في الصيدليات.

بارقة أمل جديدة لاحت في الأفق مع انتخاب مجلس بلدي جديد عام (٢٠١٠م). رئيس لجنة الصحة في المجلس عبد الرضا ترحيني باشر فور تسلمه مهامه بالتعاون مع لجنة الصحة والخدمات في حركة أمل بإعداد الترتيبات اللازمة لإعادة افتتاح المستوصف وتفعيل العمل الصحي في البلدة. وطوال فترة ولايته تمكّن من تكوين ملف إحصائي يتضمن: الاسم - فئة الدم- العمر- الوضع الصحي- رقم الهاتف، لعدد كبير من أهالي البلدة، للطلب إليهم، عندما تدعو الحاجة إلى التبرع بالدم. وألّف لجنة صحية قوامها أطباء وممرضون وممرضات

(١) «رغم أنني كنت أتقاضى راتبًا شهريًّا بدل إدارتي للمستوصف، كانت بعض الأعمال في غالب الأحيان، عملًا تطوعيًّا خارج المهام الموكلة لي، يعاونني في ذلك زوجي الذي كان يتابع عن كثب وبقدراته الذاتية شؤون المستوصف مع الجهات ذات الصلة. وهكذا بالإمكان القول: إن مرحلة التأسيس ورعاية المجلس الإسلامي للمستوصف، كانت مميزة لدرجة أنها ملئت فراغًا رعائيا صحيًّا كان يسود البلدة في وقت كانت فيه مدينة النبطية تشكو الأمر ذاته، وكانت هذه المرحلة تبشّر بديمومة طويلة الأمد». مقابلة مع سهام سعيد درويش (أم وسيم) ... مرجع سابق.

مهمتها الوقوف على الوضع الصحي العام في البلدة وإعطاء الحلول اللازمة.

عمليًّا قام بافتتاح عيادات تخصصية في طب الأسنان، الصحة الغذائية، مسالك بولية، صحة عامة مهمتها استقبال المرضى بكلفة متهاودة. ووفّر لقاحات مجّانية للأطفال بالتعاون مع وزارة الصحة. ودورات إسعافات أولية وتوعية بالتعاون مع كشافة الرسالة الإسلامية والهيئة الصحية الإسلامية. وزيارات عيادية دورية أسبوعية لكبار السن في أماكن سكنهم، مع فحوصات ميدانية لحالات الضغط والسكري بحضور طبيب مختصّ. وعقد اتفاقات رضائية مع مختبرات طبية لإجراء حسم على تكلفة الفحوصات المخبرية للمرضى الموصى بهم من قبل اللجنة الصحة للبلدة.

هذه الخطوات مهدت الطريق لإعادة افتتاح المستوصف، وكانت المحاولة عام (٢٠١٢م)، بشكل رسمي برعاية المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى وإشرافه بالتعاون والتنسيق مع وزارة الشؤون الاجتماعية، وتم إعداد ملف كامل لهذه الغاية، إلا أن التجاذبات أفشلت المحاولة واستعيض بتصريح من وزارة الصحة للمجلس بإعادة الإفتتاح من دون تعهد منها برعايته وتقديم ما يلزم له.

المستوصف مؤلف من طبقتين، أرضية وتضم ضريح فاطمة علي جواد هارون مالكة الأرض) الوقفية (وقاعة تستخدمها شعبة حركة أمل للاجتماعات التنظيمية. وأولى تضم قاعة مماثلة وغرفة وصالة استقبال للمرضى وغرفة مخصصة للطبيب المعاين وأخرى للتمريض وإسعاف الطوارىء والأدويـة. في الوقت الراهن المستوصف مقفل حتى إشعار آخر. وعليه بالإمكان القول، لا الذين آثروا البقاء في البلدة نعموا طويلًا بالخدمات الصحية، ولا الذين نزحوا وأقاموا في ضواحي العاصمة وجدوا أفضل ممّا كان متوفرًا لهم. فخلال سنوات الحرب الطويلة وحتى الوقت الراهن، وفي ظل تقلص قدرات المستشفيات الحكومية، تم اعتماد أسلوب خاص في معالجة الحالات غير المشمولة بأنظمة التأمينات الصحية، وذلك بقيام وزارة الصحة بالتعاقد مع المستشفيات الخاصة، حيث تتولى الوزارة تسديد نفقات عدد من الأسرّة التي يحال إليها المرضى ممن تنطبق عليهم المواصفات.

توزع الصيدليات والأطباء والمستفيدين من التأمين الصحي:

الطب العربي أو التداوي بالأعشاب مسميات يطلقونها على أسلوب علاج يختلف كل الاختلاف عن الطب التقليدي أو الحديث الذي يقوم الأطباء بتقديمه في العيادات التقليدية. قديمًا اعتاد الناس وما زالوا يستخدمون طب الأعشاب. وبحسب تقديرات منظمة الصحة العالمية أن نسبة (٨٠٪) من السكان حول العالم يعتمدون على استخدام الأعشاب كعلاج أولي، يرجع هذا الأمر إلى كون الأعشاب يمكن شراؤها بأسعار أرخص بجانب توافرها وإمكانية زراعتها[١]. بالإضافة إلى ذلك، هناك الكثير من الفوائد، من أهمها، قلة آثاره الجانبية، مع إمكانية استخدام الأعشاب كمستحضر طبيعي للعلاج، لذلك لم يكن وجود الصيدلة في الأرياف حاجة ملحّة.

وعبّا لم تكن استثناء عن هذه القاعدة، فهي حتى منتصف تسعينات القرن الماضي، لم يكن أحد من أبنائها أو من أبناء القرى المجاورة طبيبًا، و من ثمّ كان التداوي يتم في النبطية حصرًا ومن صيدلياتها، على قلّتها، يجلب الدواء. تبيّن إحصاءات أجريت عام (١٩٨٢م) أنه « في بيروت وضواحيها وجبل لبنان هناك صيدلية واحدة لكل (٦٥٠٠) نسمة، أما في الشمال فهنالك صيدلية واحدة لكل (١٣٣٣٣) شخصًا، وفي البقاع صيدلية واحدة لكل (١٦١٥٣) شخصًا، أمّا في لبنان الجنوبي فصيدلية واحدة لكل (٢٢٨٥٧) نسمة، وفي منطقة النبطية وحدها (٤) صيدليات مرخص لها فعليًّا»[٢]. إن هذا التفاوت بين بيروت وضواحيها من جهة وبين بقية المناطق من جهة أخرى يبين سوء توزيع الخدمات التي تؤديها الصيدليات. ورغم الحاجة إلى الصيدلية، باعتبار الصيدلة علم يشمل تركيب وصرف الأدوية، وتقديم الخدمات المتعلقة بالرعاية الصحية، ارتفع بحلول العام

(١) أحمد عبد السلام: موسوعة التداوي بالأعشاب - الطب العربي القديم، تحقيق وضبط وتعليق أحمد الفاضل، طبعة جديدة منقّحة، بيروت دار الفكر اللبناني، ٢٠٠١م، ص٣٢٥.

(٢) النجدة الشعبية اللبنانية، الأوضاع الصحية في لبنان، إعداد مؤسسة البحوث والاستشارات، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، أيار ١٩٨٤م، الصفحات ١٩٥ - ١٩٩.

(١٩٩٨م) هذا العدد إلى (٣١) صيدلية مرخصًا لها. وكان أقرب صيدلية يمكن الوصول إليها من عبّا، صيدلية الوفاء والبتول في جبشيت، يليها شبيب في حاروف، الحسن في تول، المركز في الدوير، وابن سينا في زبدين، الجنان في القصيبة[١]. هذا التحوّل في التوزيع الجغرافي للصيدليات سهّل على أهالي البلدة مهمة الحصول على الدواء، بأقل قدر من الوقت، كما وفّر لهم الحصول على الخدمات والاستشارات الصيدلانية. ولم تعرف عبّا وجود صيدلية فيها، إلا عام (٢٠١٢م)، (صيدلية الكمال) بإدارة الصيدلاني أحمد كمال قعفراني من بلدة بدياس، على الرغم من وجود صيدلانيين من أبناء البلدة، هما: حسن محمد ترحيني، باشر العمل بالمهنة عام (٢٠٠١م) في بلدة حاروف، وسامر علي إبراهيم، باشر العمل بالمهنة، عام (٢٠٠٤م) في بلدة جبشيت.

فيما مضى كان الصيدلاني هو من يقوم بأعمال تحضير الأدوية وتجهيزها وصرفها، لكن في الوقت الحالي، وبدلًا من أن يقضي وقتًا أطول بالاتصال والاحتكاك مع مرضاه، يقوم بمعاونة فني صيدلة بصرف وصفات أدوية جاهزة، بأسماء تجارية متعددة. ومن ثمّ لم تعد متطلبات العمل تحتّم تواجده وقتًا أطول لخدمة مرضاه، بعدما أصبحت الصيدلية واجهة للبيع بالإضافة إلى أماكن لتخزين الأدوية وحفظها بشكل مناسب، بل امتدت لتشمل مستحضرات التجميل والشامبو والسكاكر وبعض المعدات الطبية ومستحضرات الأطفال وغيرها.

الأطباء: إن (٧٦ ٪) من الأطباء مقيمون في بيروت والجبل حيث يقيم (٥٠٪) فقط من السكان، وأن (٣٤ ٪) من الأطباء مقيمون في المحافظات الأخرى حيث يقيم (٥٠٪) من السكان[٢]. وأطباء يقومون بالفحص الجسماني والسريري ويقومون بالأبحاث والفحوص الشعاعية والمخبرية المنوعة بغية وضع تشخيصات فردية أو دراسات جماعية ويصفون العلاجات الطبية أو الجراحية، وهم: علي

(١) محافظة النبطية، إدارة – جغرافيا – تراث، إعداد قلم محافظة النبطية، زينب شريم، علي عواضة، رشيد فحص، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، الصفحات ١١ – ١٢ – ١٣ – ١٤.

(٢) النجدة الشعبية اللبنانية، الأوضاع الصحية في لبنان...، مرجع سابق، ص٢٢٨.

سعيد ترحيني، علي شريف ترحيني، محمد أحمد ترحيني، حسن محمد علي دياب، علي محمد علي دياب، جمال عبد الحسن عميص، حسن محمد أحمد ترحيني، قاسم محمد أحمد ترحيني، عبدو يونس ترحيني، محمد قاووق، بلال حريري، نصرت حريري، وائل حريري محمد حريري، عبدو محسن معلّم.

المستفيدون من التأمين الصحي: قبل خمسينات القرن الماضي لم يكن أحد من أهالي عبّا يستفيد من **أي** تقديمات اجتماعية، لا سيّما الصحية منها، باستثناء بضعة عشرات، تسنى لهم العمل في الأسلاك العسكرية وغيرها. أمّا من تبقى من العبّاويين ممن يعملون في الزراعة فكانوا غير مشمولين بأية تقديمات من أي جهة. وكان منتظرًا ممن ولدوا بُعيد استقلال لبنان عام (١٩٤٣م)، أن يكونوا طليعة التغيير في الواقع الاجتماعي العبّاوي. فقد تسنى لمن أتيح له الدخول إلى الإدارة العامة لا سيما سلك التعليم، ومستخدمو المؤسسات العامة والمصالح المستقلة والبلديات أن يكون مشمولًا هو ووالداه، بضمانات صحية، لحظها قانون الضمان الاجتماعي[1]. إلا أن هناك فئة واسعة بقيت دون تقديمات صحية رغم أن خدمات الضمان امتدت أفقيًّا وبصورة تدريجية، بحيث شملت حتى أوائل الثمانينات الأجراء الدائمين في القطاع الزراعي غير المرتبطين برب عمل[2]. ومردّ ذلك ربما إلى جهل العبّاويين بما كان يصدر من قوانين ترعى شؤونهم، أو أن آلية الانتساب للضمان بجعلها على مراحل جعلتهم يحجمون عنها. وكان العبّاويون غير المشمولين، يلجؤون للاستفادة من تقديمات وزارة الصحة إذا

---

(١) قانون منفذ بمرسوم رقم ١٣٩٥٥ تاريخ ٢٦/ ٩/ ١٩٦٣، حدد المرسوم الأجراء اللبنانيون عمال ومستخدمين دائمون مؤقتون ومتمرنون وموسميون والمتدربون الذين يعملون لحساب رب عمل واحد أو أكثر لبناني أو أجنبي. وأفراد الهيئة التعليمية والاشخاص اللبنانيون الذين يعملون لحساب الدولة أو البلديات أو أية إدارة أو مؤسسة عامة أو مصلحة مستقلة أيًّا كانت مدة أو نوع أو طبيعة أو شكل أو صحة تعيينهم أو التعاقد معهم بما فيهم المتعاملون مع وزارة الإعلام. وأفراد الهيئة التعليمية في مؤسسات التعليم العالي. الجريدة الرسمية العدد ٧٨ تاريخ ٣٠/ ٩/ ١٩٦٣م، الصفحات ١ – ٢٣.

(٢) أجازت المادة ١١ من المرسوم لقسم خاص من المضمونين الاختياريين – أرباب العمل والعمال الزراعيون...الانتساب إلى الصندوق منذ المرحلة الاولى، بعد موافقة مجلس الوزراء، بناء على اقتراح وزير العمل والشؤون الاجتماعية وإنهاء مجلس إدارة الضمان.

ما احتاج أحدهم دخول المراكز الطبية في النبطية أو بيروت للاستشفاء، بعدما بادرت الوزارة إلى التعاقد مع المستشفيات الخاصة[١]. كذلك فإن جيل الستينات والسبعينات ممن أتيح له تلقي علومه في مدارس النبطية وجامعات بيروت ومدارسها، مستفيدًا من تحسن أحوال المعيشة، ونسبة هؤلاء بضع مئات، شكلوا بعد دخولهم الوظيفة العامة رافدًا إضافيًّا لغير المشمولين، بحيث استفادوا بشكل غير مباشر من تقديمات مصادر جديدة، تمثلت بتعاونية موظفي الدولة التي ألزمت الانتساب إليها بجميع موجباتها ومنافعها حتى الموظفين المؤقتين والمتعاقدين والمستخدمين في المؤسسات العامة والمصالح المستقلة والبلديات[٢]. وهكذا أسهم تحسن الظروف المادية وتطور وسائل الانتاج والطفرة الثقافية والانخراط في الحالة المدِنية المتحضرة، في ترقي المجتمع العبّاوي، بلغ معها درجة متقدمة من الرعاية الصحية افتقدها لعقود طويلة.

لم تُجرِ حتى الآن أية جهة حكومية وغير حكومية إحصاءات علمية متخصصة، على مستوى قرى الأطراف تُبيّن بشكل دقيق حجم البنى التحتية والبشرية. إنما من خلال إحصاءات غير شمولية لقطاعات الإنتاج في عبّا، استطعنا تحقيق رقم تقريبي لعدد المشمولين بتقديمات مختلف المؤسسات الضامنة، المقدّر بحوالي (٩٠٠) شخص موزعين ما بين الضمان الاجتماعي، تعاونية موظفي الدولة، المؤسسات العسكرية الضامنة، شركات التأمين، وطلاب الجامعات، أصحاب المهن الحرة من غير المسجلين في الضمان الاجتماعي، إنما هم على عاتق وزارة الصحة. وهذا العدد مقدّر له أن يرتفع أضعافًا، إذا أخذنا بالاعتبار إمكانية استفادة عائلات هؤلاء من التقديمات أسوة بهم. في حين تميز توزع البناء التحتي الصحي

(١) مرسوم رقم ٥٢٠٦ تاريخ ٢١/ ٠١/ ١٩٦٤م، شروط تعاقد وزارة الصحة العامة مع المستشفيات الخاصة الذي عدّل بالمرسوم رقم ٤٢٦٥ تاريخ ٢٥/ ١٠/ ٢٠٠٠م أصول المعالجة في المستشفيات والمؤسسات العامة والخاصة المتعاقدة مع وزارة الصحة العامة والخدمات الصحية المختلفة الداخلية والخارجية في المؤسسات الطبية، الجريدة الرسمية، العدد ٥٠ تاريخ ٢/ ١١/ ٢٠٠٠م.

(٢) تصديق أنظمة تعاونية موظفي الدولة (نظام المنافع والخدمات) مرسوم رقم ٥٦٩٣ تاريخ ٨/ ١٠/ ١٩٦٦م، الجريدة الرسمية، العدد ٨٥، تاريخ ٢٤/ ١٠/ ١٩٦٦م، الصفحات ١٥٠٩ ـ ١٥٩٧.

والخدمات الصحية، على الدوام، بتمركز شديد في العاصمة وجبل لبنان، بينما كان نصيب المناطق الأخرى من هذه الخدمات ضئيلًا، وأحيانًا شبه معدوم، بالرغم من أن المقيمين في هذه المناطق يقدر بنحو نصف إجمالي المقيمين في لبنان[١].

الوقاية الصحية البلدية والمدرسية:

الصحة في مفهومها التقليدي هي الصحة الجسدية، ومع التطور العلمي والاجتماعي، أخذ هذا المفهوم معنى آخر أكثر شمولية. هي ليست الصحة الجسدية فقط، بل الشاملة بما فيها الجسدية والعاطفية وسلامة العقل والإحساس والأعصاب والتفاعل الاجتماعي والبيئة الإنسانية. والتثقيف الصحي لا يعني فقط التحدث عن المشاكل الصحية، بل هو بناء جسم وعقل وخُلق أصحّاء بكل معنى الكلمة، وزيادة نسبة الوعي والإدراك ووقايته من جميع الأخطار، واعتماد الغذاء الصحيح وتحسين والوضع البيئي والاجتماعي. على أهميته « يفتقر قضاء النبطية إلى برامج الرعاية الصحية الأولية، وإذا كان هناك بعض المحاولات في التثقيف الصحي، إلا أنها لا تزال في بداياتها ويقتضي العمل على تطويرها وتعميمها نظرًا لأهميتها الوقائية خصوصًا في مجال صحة الأم والطفل »[٢].

في عبّا، طوال العقود الماضية، لم تكن هذه المفاهيم عن الآداب الصحية العامة، تمارس كعلم له قواعد وأدبيات محددة. لأن الناس بالفطرة، كانت تغالي بالتعبير، عن التفاعل الاجتماعي ضمن بيئتها الإنسانية الضيقة، وبدرجة أقل، وبقدر ما تسمح أحوال المعيشة، تلتفت للصحة الجسدية والعاطفية وسلامة العقل والإحساس والأعصاب. كان جلّ همهم تدبّر شؤون العائلة والقيام بأعباء الحقل وجني المحاصيل وبيعها.

(١) النجدة الشعبية اللبنانية، الأوضاع الصحية في لبنان...، مرجع سابق، ص٤١.

(٢) وزارة الشؤون الاجتماعية - برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، الخصائص السكانية والواقع الإقتصادي والاجتماعي، أقضية لبنان، النبطية (محافظة النبطية) ٢٢، إعداد مركز البحوث في معهد العلوم الاجتماعية - الجامعة اللبنانية ومشروع تحسين أحوال معيشة الفقراء في لبنان الطبعة الأولى، بيروت ٢٠٠١م، ص٧٦.

لذا وُجِدَ العبّاوي في بيئة، ليس فيها ضوابط ترعى وتوجه، المختار: وهو سلطة قديمة العهد في البلدة، لم يكن يمارس من مهامة أكثر من تحشيد الناس لهذا الزعيم أو ذاك وتغليب تجمع عائلات في وجه أخرى طمعًا برضى الزعيم. أمّا إمام البلدة: وهو مقام، لحضوره هالة وقداسة، فقد افتقدته البلدة زمنًا طويلًا ولم تنعم بحضوره إلا نهاية أربعينات القرن الماضي. والمدرسة: وإن حلت مكان الكتّاب، إنما كانت بالشكل دون المضمون، ولم تعرف البلدة المدرسة بالمعنى الأكاديمي إلا بداية السبعينات، ومن ثمّ فإن ضعف دور المواقع الثلاثة واستمراره، وضع عبّا في حالة لا توازن ثقافي، في جانب منه على مستوى الوقاية الصحية البلدية والمدرسية.

مع انتخاب أول مجلس بلدي مستحدث عام (٢٠٠٤م)، كان مؤملًا أن يسير بالتعاون مع المدرسة، بخطة نهوض ثقافية صحية شاملة. لكنّ الإمكانات لم تكن على قدر الطموحات. المجلس كان في مرحلة تأسيس وعدم قدرة على ترتيب الأولويات. لذا لم تكن التنمية البشرية بندًا على جدول أعماله. حتى إن قيامه ببعض الندوات والحملات الإعلامية لتعزيز الوعي والتثقيف الصحي، وطباعة المنشورات، ومعالجة بعض المستجدات الصحية الطارئة، على ندرتها لم تصل إلى غايتها المطلوبة»[١]. وغاب عن المجالس البلدية المتلاحقة، تنظيم أوقات العمل والراحة، وكيف يكون النظام الغذائي الصحيح، وأهمية الرياضة ومفاعيلها على الصحة، أساليب النظافة المتبعة وتأثيرها على الجسم. والأهم من ذلك، الحثّ على الامتناع عن العادات السيئة مثل التدخين، وإذا أخذنا مثلًا أساس أمراض القلب والشرايين، نرى سببها المباشر التدخين وعدم الاهتمام بالنظام الغذائي وممارسة الرياضة والضغوطات الحياتية والاجتماعية والاقتصادية والمشاكل النفسية والعصبية[٢]. وفاته أيضًا تسليط الضوء على الآداب، باعتبارها أولوية، نظرًا لتأثيرها في الحياة اليومية، وفي الأخلاق والسلوك والعادات، وهم

(١) مقابلة مع رئيس بلدية عبّا محمد عبد الحسن عميص تولد ١٩٥٦م، بتاريخ ٥/ ٤/ ٢٠١٩م.

(٢) نفس المرجع.

نتاج النفس البشرية ومظهر الحضارة الإنسانية[١].

المدرسة: هي المبتدأ، والسبيل للنهوض بالتثقيف الصحي، عبر الأطفال أي التلاميذ. وعليه لا بد من أن تكون هذه الخطوة منظمة للوصول إلى أهدافها، وذلك بإدخال مادة التربية الصحية في البرنامج التربوي المدرسي العام. فمثلما نلقنه علومًا عامة وعلومًا عن تكوينه البيولوجي والفيزيولوجي يجب أن يكون هناك ربطٌ في المفاهيم العلمية التي تحدث معه، في وقت تغيّرت فيه الكثير من مفاهيم الوقاية الصحية بعد ازدياد الأمراض والمشاكل الغذائية نتيجة تغيّر طريقة العيش.

للوصول إلى هذه الأهداف لا بد من أن نفرق بين مفهوم الصحة المدرسية ومفهوم التربية الصحية (العلوم الصحية) فهما موضوعان مختلفان تمامًا، فالصحة المدرسية هي مجموعة برامج تتبعها الدولة والمؤسسات تهدف إلى تعزيز صحة التلميذ والوقاية من الأمراض والحوادث ومساعدة أي تلميذ يعاني من وضع صحي غير سليم. بينما التربية الصحية هي إدخال العلوم الصحية في البرنامج المدرسي حيث تتضمن تعرّف التلميذ على مدى تأثير العوامل الطبيعية كالهواء والماء والمناخ والبيئة والعوامل الاجتماعية العائلية والمعيشية والسكنية والعمل، على جسم الإنسان. وأن نعلّم التلاميذ، أنّ الغذاء يلازم الصحة تلازمًا غير قابل للجدل، فليس من صحة سليمة بلا غذاء متوازن. هذا التوازن الغذائي الدقيق الذي تحتمه حاجة الجسم إلى مقادير ثابتة ومحددة من المواد العضوية يسمى النظام الغذائي.

ما هو واقع الصحة المدرسية في عبّا، سؤال يحتاج إلى إجابة. بداية تفرض التشريعات القائمة، إرفاق طلب انتساب التلميذ للمدرسة الرسمية، والخاصة، بشهادة صحية تثبت خلوه من الأمراض المعدية[٢]. كما تفرض مواصفات قانونية يفترض توفرها في الأبنية المدرسية الرسمية والخاصة. بعضها من حيث المساحة وتوفر الملاعب والخدمات الضرورية الأخرى، كما تفرض أن يكون

(١) مقابلة مع رئيس بلدية عبّا... مرجع سابق.

(٢) النجدة الشعبية اللبنانية، الأوضاع الصحية في لبنان...، مرجع سابق، ص٤٣١.

عقار المدرسة سليمًا، غير معرض للملوثات، وبعيدًا عن الضجيج[(١)]. بحسب مدير المدرسة السابق محسن محمد فحص، تشكو المدرسة الرسمية في عبّا من: الإضاءة الطبيعية غير كافية، كذلك الإنارة الصناعية غير كافية، نقص كبير في تجهيز الملاعب لجهة، تسوية وصب أرضية ملعب الروضات بالإسمنت وتجهيزه بالألعاب التربوية وبالسقائف الشتوية، وكذلك أرضية ملعب التربية البدنية وتجهيزه بالألعاب الرياضية. بناء خمسة حمامات وتجهيزها بالمياه والكهرباء بالمباول والمراحيض والمشارب بمعدل عشر حنفيات للروضات. لا تتوافق المساحة المطلوبة للتلميذ في الملاعب، وفق مواصفات الأبنية المدرسية المعتمدة أي بين (٢٥ , ٢) و(٣) أمتار مربعة للتلميذ في (٧٥ ٪) من هذه الأبنية. حيث إن المساحة المخصصة والمصونة للملعب تبلغ حوالي (١٥٠٠) متر مربع، علمًا أن مساحته حوالي (٢٥٠٠) متر مربع، الملعب الشتوي في المدرسة لا يتناسب مع عدد التلامذة لهذا فإن المدرسة بحاجة إلى سقيفة شتوية، وأخرى صيفية قاعة معلوماتية مجهزة حيث إن القاعة الموجودة صغيرة المساحة والأجهزة قديمة وعددها قليل. استحداث قاعة للاجتماعات، وغرفة للتربية البدنية تكون مجهزة بالمعدات الرياضة المناسبة. تطوير غرفة الكشف الطبي وتجهيزها بالمعدات اللازمة إلى جانب الموجودة حاليًّا، وتفعيل دور الكشف الطبي لجهة المتابعة، ومعالجة الحالات المرضية على حساب وزارة الصحة حيث إن التأمين الطبي على التلاميذ غير كاف. والكشف على صحة الأسنان شهريًّا وليس مرة واحدة خلال العام الدراسي. استحداث قاعة مكتبة مجهزة بالكتب كمًّا ونوعًا. بناء مسرح وتجهيزه، وتجهيز الحانوت المدرسي وتطويره في حين تتمتع المدرسة بخدمة صحية مدرسية جيدة، هناك تعاقد مع أطباء لتأمين الفحوصات الطبية الدورية وهذه الخدمات هي فحوصات، لقاحات، إشراف صحي، تجهيزات طوارىء وإسعافات أولية، سجلات صحية، مع سعي لتدريس التربية الصحية.

(١) مرسوم رقم ٢٦٨١ تاريخ ١٩/ ١/ ١٩٧٢م، تحديد مواصفات الأبنية المدرسية الرسمية، الجريدة الرسمية، العدد ٨، تاريخ ٢٧/ ١/ ١٩٧٢م، ص٩٩.

بعض الاستنتاجات:

في ظل الغياب التام لمؤسسات الرعاية الصحية، ونقص التغذية، والسكن الرديء، والجهل بالوقاية، وموجات الجدَرِيّ والجرب، لم يستطع الطب الشعبي التقليدي الذي اعتمد في عبّا، معالجة الأوضاع الصحية المتردية فيها. حتى إن مدن الأطراف، كالنبطية لم يكن فيها وجود لمؤسسات صحية، سوى طبيب واحد يعالج مرضاه بطريقة مرتجلة أدّت في غالب الأحيان إلى إحداث إعاقات دائمة. ولمّا كانت النبطية في ستينات القرن الماضي تفتقر إلى وجود مستشفى أو حتى مستوصف كان لا بد من الانتقال بالمريض إلى بيروت في ظروف يكون فيها المرض قد صل إلى مرحلة متقدمة يصعب معها السيطرة والقضاء عليه.

وعندما ضرب مرض الجُـدَرِيّ عبّا، لم يكن في وسع الدولة سوى فرض التلقيح الإجباري وإجراءات للحد من انتشاره عبر تنظم لجان تلقيح وتطبيق جميع التدابير الصحية اللازمة بما فيها وضع الحجر الصحي على الأشخاص المصابين.

وساهم غياب المؤسسات الحكومية الرعائية والصحية في منطقة النبطية، حتى وقت قريب، في اعتماد عبّا على المستوصف، وسيلة للاستفادة من خدماته الطبية المختلفة. إلا أن التجاذب حول إدارته، كان سببًا في تراجع خدماته وتوقفه نهائيًّا عن العمل. الأمر الذي دفع بفئة واسعة من العبّاويين بقيت دون تقديمات صحية، للجوء إلى وزارة الصحة، والمراكز الطبية في النبطية وبيروت للاستفادة من تقديماتها الصحية. في حين أسهم تحسّن الظروف المادية وتطور وسائل الإنتاج والطفرة الثقافية والانخراط في الحالة المدِنية المتحضرة، في ترقي فئة من العبّاويين، بلغوا معها درجة متقدمة من الرعاية الصحية المباشرة، من مختلف المؤسسات الحكومية المدنية والعسكرية الضامنة.

مع انتخاب أول مجلس بلدي مستحدث عام (٢٠٠٤م)، كان مؤملًا أن يسير بالتعاون مع المدرسة، بخطة نهوض ثقافية صحية شاملة. لكنّ الإمكانات لم تكن على قدر الطموحات، ولم تكن التنمية البشرية بندًا على جدول أعماله. حتى إن قيامه ببعض الندوات والحملات الإعلامية لتعزيز الوعي والتثقيف الصحي،

وطباعة المنشورات، ومعالجة بعض المستجدات الصحية الطارئة، على ندرتها لم تصل إلى غايتها المطلوبة. والمدرسة لم تكن خطواتها منظّمة للوصول إلى أهدافها، وذلك بإدخال مادة التربية الصحية في البرنامج التربوي المدرسي العام، في وقت تغيّرت فيه الكثير من مفاهيم الوقاية الصحية بعد ازدياد الأمراض والمشاكل الغذائية نتيجة تغيّر طريقة العيش.

الباب الرابع:

المجالس المحلية والتبدلات البنيوية في المجتمع التراتبي العبّاوي خطوة باتجاه تنمية وبيئة مستدامة وتقاطع ثقافي متبادل:

الفصل الأول:

المجالس البلدية والاختيارية في عبّا بين سياسة التنمية وتمنية النفوذ السياسي

من الدلائل على الحيوية السياسية لدى العبّاويين، مناصرتهم (ممثل الطائفة) زعيم المرحلة. وهو نهج اعتادوا عليه في محطات، كان فيه الصراع محتدمًا بين النهضة والطلائع، وفي أحداث العام (١٩٥٨م)، وحين كان الصراع بين الإقطاع السياسي والنهج الشهابي على أشدّه بين (١٩٦٠ـ ١٩٧٢م)[١]. صراع يشبه ما كانوا خبروه بأنفسهم في انتخابات المجالس الاختيارية في عبّا وكان آخرها عام (١٩٦٧م)، بعدما أجازت السلطة لنفسها تمديد ولايتها حتى العام (١٩٩٨م). لم يتأخر العبّاويون كبارًا وصغارًا، عن مناصرة زعيمهم كامل الأسعد في صراعه مع النهج الشهابي، عندما نظموا تظاهرة في مدينة النبطية، مجددين الولاء لعطوفة الزعيم كامل بك الأسعد، وأركان اللائحة الشعبية[٢]. تظاهرة أثمرت مع غيرها في تثبيت زعامة الأسعد ما يقارب ربع قرن.

يتبين من قوانين التنظيم الإداري، أن النظام اللبناني هو مزيج ما بين النظام المركزي واللامركزي. فهو مركزي فيما خص وحداته الإدارية على مستوى

(١) ترجم هذا الصراع في الانتخابات النيابية لأربع دورات متتالية. في العام ١٩٦٠م أسقطت الشهابية اللائحة المنافسة لها التي كان يترأسها كامل الأسعد، فأعاد لها الأسعد الضربة، بضربة قاسية وموجعة عام ١٩٦٨م، حيث أسقط لائحتها بالكامل، بعدما جاءت المعركة لصالح الإقطاع السياسي، واستطاع الأسعد بوصوله إلى رئاسة المجلس النيابي أن يعيد لنفسه الدور الأول في الجنوب. تمامًا جاءت معركة عام ١٩٧٢م محققة لرغبتة واستطاع أن يكسب الجولة الأخيرة له، وبقي في المجلس نتيجة الحرب الأهلية حتى عام ١٩٩٢م.

(٢) صورة رقم (٢٣). تظاهرة عبّاوية في مدينة النبطية لتجديد الولاء لكامل الأسعد.

المحافظات والأقضية والمخاتير. ولامركزي فيما خص وحداته الإدارية على مستوى البلديات. فالمحافظات والأقضية ليست إلا إدارات مركزية الحصرية على المستوى الإقليمي والمحلي، وهي تقسيمات إدارية لا تتمتع بالشخصية المعنوية ولا تنطبق عليها تسمية الجماعات المحلية. أمّا المخاتير فهم الركيزة القاعدية للسلطة المركزية، وليس ركيزة قاعدية للسلطة المحلية. فهم يؤمنون ارتباط المجتمع المحلي بالسلطات العليا وفقًا للتدرج الهرمي الذي يبدأ بالقائمقام ويمر بالمحافظ ليصل إلى وزير الداخلية. أخيرًا البلديات، فهي إدارات عامة محلية تتمتع بالشخصية المعنوية والاستقلال الإداري والمالي، وتقوم ضمن نطاقها الجغرافي بممارسة الصلاحيات المرسومة لها في القانون.

المختار والمجالس الاختيارية:

عندما وضع نظام جديد لجبل لبنان عرف بنظام المتصرفية اعتمدت الحكومة المركزية العثمانية قانون الولايات الصادر في العام (١٨٦٠م). وكان هذا القانون أول خطوة تأسيسية لنشوء أول مؤسسة (للمختار والمجالس الاختيارية والبلدية في متصرفية جبل لبنان وباقي المقاطعات اللبنانية. وكان المتصرف هو من يعيّن القائمقامين ومديري الناحية من بين أبناء الطائفة الأكثر عددا في القضاء أو الناحية، كما كان يعيّن مشايخ الصلح، وهو لقب أطلق على الأشخاص الذين يتولون الشأن العام في مدنهم وقراهم وأحيائهم بناء على لوائح الانتخاب التي كان أهالي القرى يوقعونها. هذه المرحلة والتي تليها من تاريخ عبّا، لا تخلو من بعض الحكايا عن انتخاب أو تعيين خليل أبو دلا شيخ صلح في عبّا، ومن بعده ابنه حسن. وكانا يتمتعان بحظوة كبيرة، عند مدير الناحية المعيّن من قبل الوالي العثماني. أو بعض النوادر عن حسين محسن قاووق[١]. وتوالى على هذا المنصب، كل من الشيخ قاسم كلوت، عبد اللّه جواد خليل وأحمد علي حسين.

(١) من نوادر القصص والحكايات «أن شيخ صلح (مختار) حسين محسن قاووق اقتنى حمارة (أتان) وكانت مضرب المثل (حمارة حسين محسن) فلا أحد يؤذيها، وإن تعدّت على الزرع فلا تحاسب لأنها كانت تستخدم لحمل القمح للمطحنة من قبل أهالي البلدة» مجلة العرايس - السنة ١٧، مرجع سابق.

واستمر هذا التنظيم إلى ما بعد إعلان دولة لبنان الكبير. إلا أنه بسبب إدراك الانتداب الفرنسي أهمية الدور الذي يمكن أن يلعبه المختار والمجالس الاختيارية في القرية أو الحي، أصدرت في (١٣ كانون الثاني ١٩٢٨م) قانونًا يختص بالمختارين[١]، ألغت بموجب المادة الأولى منه، الوظيفة التقليدية لشيوخ الصلح التي كانت قائمة على الأعراف والتقاليد، لتحل مكانها وظيفة المختارية كمؤسسة فعلية للسلطة المحلية تعمل في إطار القوانين والانظمة. وأنيط بالمختار يعاونه المجلس الاختياري مهامّ عديدة تتعلق بالشؤون العائدة لانتظام القرية ومنفعتها وردت جميعها في المواد (١٧) و(١٩) و(٢٠) و(٢١) و(٢٢) و(٢٣) و(٢٤) و(٢٥) و(٢٦) و(٢٧)[٢]. هذه

(١) نصت المادة ٣ من قانون المختارين: كل مكان جامع يحوي خمسين على الأقل من السكان المقيمين يقوم بإدارته مختار واحد يعاونه مجلس اختيارية.أما القرى التي يكون سكانها المقيمون أقل من ٥٠فتدخل في دائرة اختصاص أقرب مختار ومجلس اليها. الجريدة الرسمية، العدد ٢١٥٠، تاريخ ١٦/ ٥/ ١٩٢٨م، الصفحات ٥ – ١٦.

(٢) «مادة ١٧: تقوم مجالس الاختيارية بمعاونة المختارين في كل الشؤون العائدة لانتظام القرية ولمنفعتها وعليهم أن يوقعوا مع المختارين على الإيضاحات المتعلقة بفراغ وانتقال الأملاك وفسخها وتعيين الملاك ذوي الشأن أو شركائهم في الملك، والشهادات التي تعطى بهوية المفرغ المفرغ له وإثبات انهما ما زالا في قيد الحياة وأنهما في الحالة المعتبرة شرعًا وأن التفريغ لم يكن صادرًا عن إكراه وعليهم أيضا التصديق على البينات المتعلقة بواضعي اليد على أراضٍ ليس لها صكوك. مادة ١٩: يجب على المختارين، أن يقوموا بإذاعة القوانين والأنظمة والتعليمات طبقًا لما تنص عليه السلطة وبإيفاء الوظائف المذكورة في القوانين والمقررات المرعية الأجراء. وأن يعطوا شهادات حسن السيرة والآداب لكل شخص ممن يعرفون حسن سلوكه. وشهادات الهوية لأجل معاملات جوازات السفر ويجب أن يثبتوا في هذه الشهادات أن طالبيها لم يبق عليهم أقل ضريبة أو رسم للخزينة وأنهم غير محكوم عليهم وغير ملاحقين بدعوى ما وعلاوة عن الواجبات التي يطلب من المختارين أن يقوموا بها بصفة كونهم من ضابطة البوليس العدلي يجب أن يخبروا السلطة الإدارية عن جميع الأعمال التي تبدو لهم أنها تضر بالأمن العام عدا ما تشير اليه القوانين الخصوصية. مادة ٢٠: يجب على المختارين أن يساعدوا الجباة ويعاونوهم في جميع معاملات الحجز القانوني على أملاك المكلفين ويجب عليهم أيضا أن يقدموا للسلطة ذات الاختصاص الشهادات الخطية التي تطلب منهم في شأن مقدرة الكفلاء المالية أو في شأن الضمانات كما يجب أن يقدموا الايضاحات الدقيقة عن حالة المكلفين وأن يعاونوا عند الاقتضاء لجان الضرائب التي تشتغل ضمن منطقتهم. مادة ٢١: في المسائل المختصة بأعشار الحاصلات يقوم المختارون بإعلان جداول التوزيع ويساعدون الجباة في جباية الأموال الواجب أداؤها على المكلفين. مادة ٢٢: يجب على المختارين أن يخبروا دائرة الطابو عن كل أرض تصبح بدون وارث على إثر وفاة مالكها عن غير وريث. مادة ٢٣: فضلًا عما يجب المختارون إجراؤه بصفة كونه من ضابطة البوليس العدلي يجب عليه أيضا أن يلبي كل طلب يرد عليه من السلطة العدلية سواء أكان لمرافقة ممثلها في دخول الاماكن أو في التفتيش الذي يصدر الأمر به على وجه قانوني =

الصلاحيات الواسعة أوجدت دافعًا للتنافس بين من يعدون أنفسهم وجهاء في بلداتهم لتبوُّؤ مركز مختار أو عضو مجلس اختياري. وأوجد القانون المختص بانتخاب المختارين والمجالس الاختيارية، آلية انتخاب تبدأ من دعوة الناخبين بموجب قرار يصدره المحافظ وينشر في القرية أو الحي قبل الانتخاب بعشرة أيام على الأقل. ويجري الانتخاب بالتصويت العام المباشرة بالطريقة المعروفة باقتراع القائمة على أن يبيّن فيها من هو المختار، على ألّا يستمر التصويت لأكثر من يوم واحد، يفتح في الساعة الثامنة ويختم في الساعة السابعة عشرة. وحدد القانون بموجب المادة (٧) منه، ولاية المختارين والمجالس الاختيارية بأربع سنوات على أن يصار إلى انتخاب الخلف لتكميل مدة السلف إذا اقيل أحدهم أو توفي قبل انتهاء مدة ولايته. وكان على المختار والأعضاء قبل أن يستلموا مهام وظيفتهم أن يحلفوا اليمين أمام المدعي العام لدى المحكمة البدائية في المحافظة[١].

وكان مركز المختار موضع منافسة شديدة بين عائلات البلدة للاستئثار به. فبعدما كان حسن خليل، وقاسم كلوت، وحسين حسن محسن، وعبد اللّه جواد

= كما يجب عليه أن يعين المباشر بتبليغ مذكرات الجلب وأوراق الدعوة إلى الأشخاص المختصة بهم وإذا كان الشخص الذي يهمه الأمر غائبًا المختار يعلق عليها الشرح اللازم بحسب الأصول ويخول المختار مع مجلس الاختيارية حق تقدير الأضرار التي لا تتجاوز قيمتها خمس ليرات لبنانية ذهبية التي تقع على مزروعات الأراضي بانواعها والأحراش المشاعة التابعة للقرية ويكون تقرير الهيئة المذكورة في هذا الشأن مدارًا للحكم. مادة ٢٤: يجب على المختار أن يعاون عمال المحاكم الشرعية ومباشريها عند القيام بوظائفهم وأن يلبي كل طلب يبلغ إليه بوجه قانوني من قبل هذه المحاكم. مادة ٢٥: يجب على المختار أن ينفذ جميع التعليمات التي يتلقاها بواسطة السلطة الإدارية من عمال دوائر الزراعة والاحراج في الجمهورية وأن يعطيهم البينات والتعليمات التي يطلبونها منه. مادة ٢٦: يجب على المختار أن يخبر أقرب سلطة إدارية ينتمي إليها عن كل مرض معد يصيب الأشخاص أو الحيوانات وعن وجود أماكن الدعارة وعن الحوادث التي تقع بسبب اكل اللحم المسمم كما يجب عليه أن يهتم بحمل الأهلين على طلب التلقيح وإذا ظهر وباء فيمكنه أن يتوسل بجميع الوسائل الاحتياطية لمنع المخالطة إلى أن تتخذ الحكومة التدابير الصحية النهائية. مادة ٢٧: على المختارين أن يحضوا الاهلين على إرسال أولادهم إلى المدارس وأن يقوموا بحماية المباني الأثرية وأن يخبروا السلطة الإدارية عن كل أمر يصيبها من سرقة وضرر». الجريدة الرسمية، العدد ٢١٣٥، تاريخ ١٦/ ٥/ ١٩٢٨م، الصفحات ٥ - ١٦.

(١) المواد ٦،٧، ١٤، ١٦ من « قانون يختص بالمختارين» تاريخ ١٣/ ١/ ١٩٢٨م، الجريدة الرسمية، العدد ٢١٣٥، تاريخ ١٦/ ١/ ١٩٢٨م، الصفحات ٥ - ١٦.

خليل في زمن الأتراك، والسنوات الأولى من الانتداب الفرنسي شيوخ صلح، أصبح بعد عام (١٩٢٨م) مع أحمد علي حسين، وأحمد حسن خليل، وشريف يوسف علي حسين، وشريف يوسف أسعد، مختارين. وهكذا يكون مركز المختار قد شكّل على الدوام، موضع منافسة بين عائلات خليل وعلي حسين وحسين، أمّا آل هارون فكانوا خارجها. أيضًا كان «دليلًا واضحًا على استئثار عائلات المكانة المحلية بهذا المنصب احتكرت هذا الموقع بوصفه موقعًا عائليًا بالدرجة الأولى يعكس وزن العائلة وتراتبيتها داخل المجتمع المحلي. كما ظل معها رئيس الجبّ العائلي الأقوى، والذي ينتمي إليه المختار، المحور الأساسي لعلاقات السلطة بين مجمل العائلات المتعايشة داخل الحي أو القرية أو المدينة»[١]. وحظي هذا المركز بأهمية قصوى نظرًا للصلاحيات والنفوذ المعطاة له.

في الظاهر كانت المنافسة على مركز المختار تتم بين تلك العائلات، غير أنها في الباطن، كانت انعكاسًا لتنافس الزعامات السياسية التقليدية (آل الأسعد وعسيران). ففي عبّا «آل خليل انحازوا إلى عسيران، أمّا الباقون فانحازوا إلى آل الأسعد لحين ظهور النهضة والطلائع»[٢]. وظهر هذا التنافس في أول انتخابات جرت بعد صدور قانون (١٩٢٨م) وتوزعت ولاءات العائلات بين المُرشحَين، أحمد علي حسين وأحمد حسن خليل. وبنتيجة التصويت العام كان المركز من نصيب آل علي حسين حيث «حاز أحمد بك الأسعد على أكثرية الأصوات وفاز مرشحه أحمد علي حسين، بينما آل خليل كانوا يحظون بتأييد آل عميص وحمود وحريري وعدد ضئيل من آل هارون»[٣].

---

(١) لمزيد من التفصيل حول هذا الموضوع يراجع محمد مراد: التملك والسلطة في الجنوب اللبناني (١٩٢٠-١٩٧٥م) منشورات الجامعة اللبنانية - قسم الدراسات التاريخية ٤٩، دار المنشورات في الجامعة اللبنانية، بيروت ٢٠٠٩م، صفحات ٣١١ لغاية ٣١٦.

(٢) مقابلة مع محمد خليل يونس أحمد (أبو فايز) تولد ١٩٢٦م، بتاريخ ٢/ ٦/ ٢٠١٢م.

(٣) «آل هارون لم يكن لهم دور مهم في البلدة رغم تأيدهم لأحمد الأسعد. المحامي علي هارون ابن السيد حسن محمود أحمد هارون كان على خلاف دائم مع السيد حسين إبراهيم هارون) الخدراوي)، لذا عرف عن آل هارون عدم توحدهم على رأي مع هذا الزعيم أو ذاك ومازالوا حتى الآن» مقابلة مع سعيد إبراهيم يونس هارون، مرجع سابق. يذكر ان التصويت للمختارين جرى خارج نطاق بلدة عبّا وبحسب قرار مدير =

عشية اندلاع الحرب العالمية الثانية في الأول من أيلول (١٩٣٩م)، ومع اقتراب نهاية ولاية المختارين شكّلت الأوضاع الدولية وإضراب السائقين العموميين ضغطًا مانعًا لإجراء الانتخاب لكون الأضراب يعرقل تقديم الترشيحات وجلب السجلات العدلية، وارتأى بعض النواب تأجيل الانتخابات[١]. وبنتيجة المداولات صدر بتاريخ (١٨/ ١٠/ ١٩٣٩م) المرسوم الاشتراعي رقم (٢) بمادة وحيدة قضى بتأجيل الانتخابات العائدة لأعضاء البلديات وأعضاء المجالس الإدارية والمختارين وأعضاء المجالس الاختيارية على أن تملأ المراكز الشاغرة بالتعيين[٢]. وبذلك عيّن في مركز المختار أحمد حسن خليل وبقي إلى ما بعد انتهاء الحرب في الثاني من أيلول (١٩٤٥م)، عندما أجريت عام (١٩٤٩م) أول انتخابات وفقًا للقانون المختص بالمختارين والمجالس الاختيارية الصادر في (٢٧/ ١١/ ١٩٤٧م)، متزامنة مع تقسيم فلسطين وتهجير أهلها[٣]، وفاز فيها شريف يوسف علي حسين، لولاية مدتها أربع سنوات تبتدىء بحسب المادة (١٥) من القانون من تاريخ الانتخاب. وبمناسبة فوزه نظم محمد هاشم خليل (أبو هاشم) رديّة مطلعها:

آل علـــي حســـين والخليـــل عالكــــــون زادو افتخــــــــار
يهنيـــك يـــا يوســـف علـــي بالسـيد شـريف مختـار صـار[٤]

وكانت انتخابات المختارين على موعد مع تأجيل آخر عندما صدر في (١٨ شباط ١٩٥٩م) مرسوم تمديد ولاية المختارين لسنة واحدة اعتبارًا من انتهاء

= الداخلية رقم ٧٠ القاضي بتقسيم منطقة لبنان الجنوبي الانتخابية إلى أقلام اقتراع فقد جرى وضع قلم اقتراع عبّا في بلدة أنصار. يراجع: فارس سعاده: الموسوعة الانتخابية من حياتنا البرلمانية خفايا ومواقف. الجزء الرابع ١٩٣٤-١٩٤٣، ص٦٠.

(١) محاضر المجلس النيابي، الدور التشريعي الرابع، العقد العادي الأول لسنة ١٩٣٩م- محضر الجلسة التاسعة، نقلًا عن: مركز المعلوماتية القانونية – الجامعة اللبنانية.

(٢) الجريدة الرسمية، العدد ٣٧٢٩، تاريخ ٩/ ١١/ ١٩٣٩م، ص٥٢٣٦.

(٣) الجريدة الرسمية، العدد ٤٩، تاريخ ٣/ ١٢/ ١٩٤٩م، ص ٣٤٢٨.

(٤) مقابلة مع حسن محسن معلّم، مرجع سابق.

مدة الولاية[١]. وهكذا استمر شريف يوسف علي حسين في مركزه، لحين إجراء الانتخابات عام (١٩٦٣م)، وكانت المنافسة شديدة بين أبرز مرشحين، شريف يوسف أسعد وحسين على محسن قاووق، وانتهت المنافسة بفوز أبو أسعد بالمركز وبعضوية المجلس الاختياري كل من: علي يونس أحمد هارون، محمد كلوت، حسن عميص وحسين علي محمود وحسن محسن معلّم « وبخسارة حسين على محسن قاووق قرر الانسحاب نهائيًّا من المنافسة ونقل قيد نفوسه إلى بيروت»[٢]. تلك الانتخابات لم تكن بعيدة عن التدخلات السياسية والعائلية. فقد كان «علي أحمد حسن خليل (أبو سعد اللّه) يميل إلى عادل عسيران، لذلك دعم شريف يوسف أسعد وهو من جماعة عسيران، فضلًا عن علاقة المصاهرة بينهما فأبو أسعد متزوج من شقيقته زينب. أما حسين علي محسن قاووق فقد كان أسعديًّا وسخّرت له بعض الخدمات لنيل أصوات الناخبين، بأن قِيل له: (منحطّك مختار ومنجبّلك رخص دخان)[٣]. مع شريف يوسف أسعد حظي مركز المختار بأهمية قصوى نظرًا للصلاحيات والنفوذ المعطاة له،» فالمختار بمنزلة الرئيس والقاضي والملجأ الأول للبلدة وقت النزاعات، كان من أشدهم حرصًا على ممارسة هذه الصلاحيات شريف يوسف أسعد»[٤].

كانت انتخابات العام (١٩٦٣م) آخر مثال على تداول السلطة على مستوى الإدارة المحلية المتمثلة بالمجلس الاختياري، وآخر انتخابات تجري في عبّا؛ لأن

(١) الجريدة الرسمية العدد ٨تاريخ ٢٥/ ٢/ ١٩٥٩م، الصفحات ١٢٨ - ١٢٩.

(٢) مقابلة مع حسن محسن معلّم، مرجع سابق.

(٣) عن تلك الانتخابات، يقول الأستاذ محسن عبدو: «عمي السيد توفيق أيضا كان أسعديًّا وداعمًا لـحسين علي محسن قاووق، حينذاك كنت مديرا لمدرسة كفرمان لذا اعتبرني عمي صلة وصل مع دائرة النفوس في النبطية وباستطاعي تسهيل إنجاز لوائح الشطب وتذاكر الهوية للمقترعين بالتعاون مع رجل دين فلسطيني من مخيم النبطية كلف بهذه المهمة وهو يتمتع بخط ممتاز. بالرغم من الجهد، أتت نتيجة الاقتراع الذي غبت عنه وأبو بشار وعبد الحسن عميص بسبب تكليفنا بمهمة رئيس قلم اقتراع خارج البلدة، لصالح أبو أسعد. بشكل عام اتخذت المنافسة على المركز طابعًا ولم يتطور إلى حدّ التصادم والنزعات كلاميًّا في ظل غياب تام للمال الانتخابي. مقابلة محسن عبدو حسين أحمد، مرجع سابق.

(٤) مقابلة مع محمود حسين معلم، مرجع سابق.

الفترة اللاحقة شهدت أفظع عملية وأد للديموقراطية، حين عمدت السلطة اعتبارًا من (١٩٦٧م) إلى إصدار سلسلة من القوانين أجازت فيها لنفسها تمديد ولاية المختارين واستمرت تمارسه بفعل الظروف القاهرة لحين إجراء أول انتخابات سنة (١٩٩٨م)[١]. وهكذا على مدى (٣٥) سنة لم تجرِ انتخابات المخاتير والمجلس الاختياري في لبنان سوى مرتين فقط، مرّة خلال شهري نيسان - أيّار (١٩٥٣م)، والثانية كانت في حزيران (١٩٦٣م).

لم يكن المختار والمجلس الاختياري خلال ممارستهم لمهمتهم بمعزل عن المساءلة، فقد أجازت المادة (٢١) من قانون المختارين، لوزير الداخلية معاقبة أو كف اليد عن ممارسة المهام لارتكاب أي جرم يتصل بممارسة المهام الاختيارية[٢]. كما أجازت له سندًا للمادة (٥)، تعين أكبر أعضاء المجلس الاختياري سنًّا مختارًا بديلًا عن المختار الأصيل، لإتمام مدة الولاية، عند شغور المركز في أي وقت كان[٣]. في سبعينات القرن الماضي، طبق نص هاتين المادتين في عبّا ثلاث مرات. الأولى: عندما كُفّت يد شريف يوسف أسعد وعين بدلًا منه أكبر الأعضاء سنًّا علي يونس أحمد هارون لفترة قاربت الشهرين، هي فترة النظر في قضية رفعت ضدّه للقضاء، أعيد بعدها لشغل المركز بعدما صدر حكم ببراءته مما نسب إليه. والثانية: عندما «عُوقب جميع أعضاء المجلس الاختياري باستثناء حسن محسن

(١) سلسلة قوانين تمديد ولاية المختارين والمجالس الاختيارية: قانون ٣١ تاريخ ١٩٦٧م (سنتان) قانون ٢٥ تاريخ ١٩٧٣م (سنة) قانون ١٣ تاريخ ١٩٧٤م (٦ أشهر) قانون ١ تاريخ ١٩٧٥م (٥ اشهر) قانون ١٩ تاريخ ١٩٧٥ (٧اشهر) قانون ١ تاريخ ١٩٧٧م (٦ اشهر) قانون ٨ تاريخ ١٩٨٣م (سنة واحدة) قانون ٦ تاريخ ١٩٨٩م (سنة واحدة) قانون ١٥ تاريخ ١٩٩٠م (٣ سنوات) قانون ٣١٧ تاريخ ١٩٩٤م (سنة واحدة) قانون ٤٥٦ تاريخ ١٩٩٥م (سنتان وتسعة اشهر) قانون ٥٩٨ تاريخ ١٩٩٧م (٦ اشهر) قانون ٦٥٥ تاريخ ١٩٩٧م (سنتان وشهران).

(٢) «المادة ٢١: اذا ارتكب المختار أو عضو الاختيارية جريمة تتعلق بالوظيفة فللقائمقام أو المحافظ ان يأمر باجراء تحقيق بحقه يرفع إلى وزير الداخلية الذي يرخص باجراء تحقيق عدلي أو يكف يد المختار أو عضو مجلس الاختيارية عن القيام بالوظيفة إلى ان يبت القضاء بالامر ولا يعود إلى الوظيفة الا اذا حكم ببراءته أو بعدم مسؤوليته». الجريدة الرسمية العدد ٤٩، تاريخ ١٣/ ١٢/ ١٩٤٧، ص٨٣.

(٣) المادة ١٥ من قانون يختص بالمختارين والمجالس الاختيارية تاريخ ٢٧/ ١١/ ١٩٤٧م، الجريدة الرسمية، العدد ٤٩، تاريخ ٣/ ١٢/ ١٩٤٧م، ص ٨٥.

معلّم بعدما تبيّن لوزارة الداخلية توقيع الأعضاء على مستند بقضية بناء تبيّن لاحقًا عدم صحتها»[١]. والثالثة: تطبيقًا (للمادة ٥) في حالتين: الأولى، عام (١٩٨٦م) عند وفاة المختار (أبو أسعد) وتكليف عضو المجلس الاختياري حسن محسن معلّم بدلًا منه. أمّا الثانية عام (١٩٩٧م)، عند شغور المجلس الاختياري في بلدة الدوير باستقالة جميع أعضائه، وتكليف المختارحسن محسن معلّم بتسيير شؤون المخترة، واستمراره في كلا المركزين لحين إجراء الانتخابات عام (١٩٩٨م)»[٢].

كانت أول انتخابات بلدية واختيارية على مستوى الجمهورية، جرت في أيّار (١٩٩٨م)، بعد انقطاع مستمر عن إجرائها دام مدة (٣٥) عامًا. وانحصرت المنافسة في عبّا في انتخاب المختارين فقط. لم تكن هذه الانتخابات كسابقاتها على مستوى حجم التمثيل، بعدما حصر القانون تحديد عدد المختارين بعدد السكان، والزيادات الطارئة لاحقًا، وتمثلت عبّا في هذه الانتخابات بموجب قرار وزير الداخلية والبلديات رقم (١١٤) تاريخ (٣٠/ ٣/ ١٩٩٨م) بمختارين اثنين، وفي انتخابات العام (٢٠٠٤م) بثلاثة مختارين كذلك في انتخابات العام (٢٠١٦م) [٣].

---

(١) مقابلة مع حسن محسن معلّم، مرجع سابق. وفي تفاصيل القضية انه في «سنة ١٩٦٣م جرت انتخابات المختارين والمجالس الاختيارية وانتخبت عن عبّا عضوًا وشريف يوسف أسعد مختارًا وكل من: علي يونس أحمد هارون، حسن عميص وحسن محسن معلّم أعضاء اختياريين. حينها كان الخلاف بالسياسة على أشده بين آل القاووق وآل حسين. بعد الانتخابات صادف أن أقدم أبو جميل قاووق على بناء شرفة لداره من دون نيل الترخيص المطلوب. المختار (أبو أسعد) نظم شكوى بالمخالفة ورفعها إلى المعنيين وعندما طلب من الأعضاء الاختياريين الرأي نظموا بدافع سياسي، أفادة تنفي قيام أبو جميل ببناء الشرفة حديثًا، وأنها كانت قائمة منذ وقت طويل. بالكشف تبيّن للخبير الذي عينته المحكمة عدم صحة ما أفادوا به وحكم على الأعضاء الاختياريين باستثناء حسن محسن معلّم الذي رفض التوقيع على الإفادة، بالحبس مدة شهرين وكف اليدّ. ولم يُخلِ سبيلهم إلا بعد تدخل السياسيين وحنكة المحامي سميح عسيران الذي أدلى في مطالعته أمام القاضي، أنَ الشرفة قسمان قديم وآخر حديث، وأن إفادة الأعضاء كانت حول القسم القديم وليس الجديد الذي ليس لديهم علم به». مقابلة مع حسين محمود خليل ياسين تولد ١٩٢٨م، والدته شاتو جفال بتاريخ ١٣/ ٧/ ٢٠١٨م.

(٢) نفس المرجع.

(٣) نص القرار ١١٤ «إن وزير الداخلية بناء على المرسوم رقم ٩٥٠١ تاريخ ٠٧/ ١١/ ١٩٩٦م، بناء على قانون المختارين والمجالس الاختيارية الصادر في ٢٧/ ١١/ ١٩٤٧م، لا سيما المادة الثالثة منه، بناء على القانون رقم ٦٦٥ تاريخ ٢٩/ ١٢/ ١٩٩٧م، لا سيما المادة ٢٨ منه، يقرر ما يأتي: مادة ١ « تنزل منزلة المدن وتقسم =

الهدف من هذا الإجراء كان إتاحة المجال للمختار ممارسة مهامه عن قرب وعلى تماس مع ناخبيه. وبمقتضى القرار رقم (٢٤ (تاريخ (١٦/ ٤/ ١٩٩٨) تم دعوة الهيئات لانتخاب مختارين ومجالس اختيارية في المدن والبلدات والقرى والأحياء، وحُدد بموجب المادة الأولى منه يوم (٧ حزيران ١٩٩٨م) موعدا لإجرائها في محافظتي لبنان الجنوبي والنبطية[١]. في عبّا بلغ عدد الناخبين المسجلين على لوائح الشطب (٢٦٧٥) ناخبًا من أصل (٦٥٠٠) نسمة هو عدد السكان. منهم (١٢٩٢) ذكورًا و(١٣٨٣) إناثًا[٢]. اقترع منهم (١٦٨٥) أي ما نسبته (٩٩ , ٦٢) تنافس على ملء المركز كل من حسن محسن معلّم وحسن علي حسن خليل مدعومين من حركة أمل وحسن سعيد ترحيني وكامل عبد الحليم ترحيني مدعومين من حزب اللّه.

عام (٢٠٠٣) فرضت المستجدات الإدارية إنشاء أول مجلس بلدي في عبّا ممّا أوجد منافسة حادة بين المرشحين للفوز بعضوية أحد المجلسين الاختياري والبلدي. وبصدور القرار (١٢٧) تاريخ (٢٠٠٤م) المتضمّن دعوة الهيئات الانتخابية للمختارين والمجالس الاختيارية لانتخاب مختارين ومجالس اختيارية في المدن والقرى والأحياء وتحديد عدد المختارين والأعضاء الاختياريين لكل منها، بُوشر في البلدة بالاستعدادات اللازمة لإجراء ثاني انتخابات اختيارية لملء ثلاثة مقاعد اختيارية بدلًا من اثنين[٣] وبنتيجة عملية الإقتراع التي اشترك فيها (٢٣٨٧) من أصل (٣٠٨٤) ناخبًا أي بنسبة (٧٧٪) فاز العدد المقرر(٢) من أصل

= إلى إحياء كافة القرى والمدن التي يتجاوز عدد سكانها الثلاثة آلاف نسمة». الجريدة الرسمية، العدد ١٦ تاريخ ٩/ ٤/ ١٩٩٨م، الصفحات ١٢٥٧ - ١٢٥٨.

(١) الجريدة الرسمية العدد ١٨ تاريخ ٢٣/ ٤/ ١٩٩٨م، الصفحات ١٤١٥-١٤٦٠.

(٢) محافظة النبطية-٣- الانتخابات البلدية والاختيارية ٩٨-٩٩-٢٠٠١م، إعداد قلم محافظة النبطية - الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، ص٨٧.

(٣) «مادة: ١ تدعى الهيئات الانتخابية للمختارين والمجالس الاختيارية في المدن والبلديات والقرى والأحياء لانتخاب مختارين ومجالس اختيارية حسب المواعيد دائرتي الجنوب الانتخابيتين بتاريخ ٢٣/ ٥/ ٢٠٠٤م». الجريدة الرسمية العدد تاريخ ١/ ٤/ ٢٠٠٤م، ص٢٠٢٢.

(٣) مرشحين وعضو اختياري واحد بالتزكية، مختار واحد من لائحة حزب اللّه، وآخر من حركة أمل.

كسابقتها في العام (٢٠٠٤م)، جرت ثالث انتخابات اختيارية، بموجب القرار رقم (٥٩١) تاريخ (١٧/ ٤/ ٢٠١٠م) بدعوة الهيئات الانتخابية للمختارين والمجالس الاختيارية لانتخاب مختارين ومجالس اختيارية في المدن والبلدات والقرى والأحياء وتحديد عدد المختارين والأعضاء الاختياريين لكل منها في كل من دوائر محافظة لبنان الجنوبي ومحافظة النبطية[1] وبنتيجة عملية الاقتراع التي اشترك فيها (١٨٧٢) من أصل (٣٦٢٤) ناخبًا أي بنسبة (٤١, ٥١٪) فاز العدد المقرر (٣) مختارين، اثنان لحركة أمل، وواحد لحزب اللّه، وتزكية عضو اختياري واحد لحزب اللّه.

مع اقتراب موعد انتهاء ولاية المجالس الاختيارية في حزيران (٢٠١٦م) ساد البلاد جو يشي بعدم إجرائها وتمديد ولاية المجالس القائمة أسوة بالتمديدات التي طالت ولاية المجلس النيابي نتيجة الجو السياسي والأمني الذي فرض نفسه بفعل الحرب في سورية. إلا أن التوقعات خابت عندما أصدرت وزارة الداخلية سلسلة قرارات من ضمنها قرار دعوة الهيئات الانتخابية في المدن والبلدات والقرى والاحياء لانتخاب مختارين ومجالس اختيارية وتحديد عدد المختارين والأعضاء الاختياريين لكل منها في دوائر محافظة لبنان الجنوبي ودوائر محافظة النبطية رقم (٥٣٢) تاريخ (١/ ٤/ ٢٠١٦م)[2]. وبنتيجة عملية الاقتراع الرابع للمختارين في عبّا التي اشترك فيها (١٨٧٢) من أصل (٣٦٢٤) ناخبًا أي بنسبة (٤١, ٥١٪)

(١) «مادة: ١ تدعى الهيئات الانتخابية للمختارين والمجالس الاختيارية في المدن والبلدات والقرى والأحياء لانتخاب مختارين ومجالس اختيارية في كل من دوائر محافظتي لبنان الجنوبي والنبطية بتاريخ ٢٣/ ٥/ ٢٠١٠م». الجريدة الرسمية العدد ١٩ تاريخ ٢٢/ ٤/ ٢٠١٠م، الصفحات ١٥٣ – ١٧١.

(٢) «المادة١ : تدعى الهيئات الانتخابية في المدن والبلدات والقرى والأحياء لانتخاب مختارين ومجالس اختيارية في كل من دوائر محافظة لبنان الجنوبي ودوائر محافظة في كل من دوائر محافظة لبنان الجنوبي ودوائر محافظة النبطية بتاريخ ٢٢/ ٥/ ٢٠١٦م». الجريدة الرسمية العدد ١٦، مصدر سابق، الصفحات ١٣٣ – ١٤١.

تنافس فيها سبعة مرشحين فاز منهم العدد المقرر ثلاثة مختارين وتزكية عضو اختياري واحد، أمّا الخاسرون فهم كاظم علي قاووق (٧٠٦) أصوات، عباس محمد ترحيني (١٠٦) أصوات، وإبراهيم محمد يونس.

بشكل عام يمكن القول: إن التنظيم الإداري الذي اعتمدته السلطة المنتدبة للبنان ارتكز على مبدأ المركزية المتشددة الذي سمح لهذه السلطة الممثلة بالمفوضية الفرنسية العليا ومن ثم الجمهورية الأولى بعد الاستقلال؛ لأن تشرف مباشرة على إدارة شؤون الحكم، والإمساك بقوة بجهاز الإدارة، وذلك عبر تأمين الربط المركزي بين المستويات الإدارية المختلفة، ومنها مركز المختار الذي تعاقب عليه في عبّا حتى الآن، كل من: أحمد علي حسين (١٩٣٢م)، أحمد حسن خليل (١٩٤٠م)، شريف يوسف علي حسين (١٩٤٨م)، شريف يوسف أسعد (١٩٦٣م) لغاية (١٩٨٦م)، حسن محسن معلم (١٩٨٦م - ١٩٩٨م - ٢٠١٠م - ٢٠١٦م)، حسن علي حسن ترحيني (١٩٩٨م- ٢٠٠٤م-٢٠١٠م)، حسين قاسم ترحيني (٢٠٠٤م- ٢٠١٠م- ٢٠١٦م)، محمد إبراهيم ترحيني (٢٠١٦م).

المجالس البلدية:

كانت مؤسسة البلدية إحدى الاقتباسات الإصلاحية العثمانية عن النموذج الأوروبي. في عام (١٨٥٦م) تأسست بلدية إسطنبول لتكون أول بلدية تنشأ في السلطنة العثمانية. وما لبثت البلديات، بعد هذا التاريخ، أن أصبحت جزءًا من التنظيم الإداري الذي اعتمدته الحكومة المركزية العثمانية في قانون الولايات الصادر عام (١٨٦٤م) وقانون البلديات الصادر عام (١٨٧٧م). وكانت أول خطوة تأسيسية لنشوء أول مؤسسة للبلدية في متصرفية جبل لبنان وباقي المقاطعات اللبنانية قد بدأت ببلدية دير القمر سنة (١٨٦٤م). وما لبثت البلديات أن انتشرت في متصرفية جبل لبنان. أما في المقاطعات اللبنانية الأخرى فقد تلاحق ظهور البلديات بدءًا من بلدية بيروت (١٨٦٧م)، بلدية صيدا (١٨٧٥م)، بلدية طرابلس والميناء (١٨٨٠م)، وبلديات أخرى في باقي المدن والقرى، وتلازم هذا الأمر مع ظهور المختارين والمجالس الاختيارية.

نصت المادة الأولى من قانون البلديات الصادر بالمرسوم الاشتراعي رقم (٥) تاريخ (١٠/ ١٢/ ١٩٥٤م) المعدل بالقانون (٢٩/ ٣٦) عام (١٩٦٣م) بشكل واضح وصريح على « أنه لا يجوز في كل حال إنشاء بلدية إلا إذا توفرت فيها إيرادات سنوية تبلغ ألفي ليرة لبنانية .وكل بلدية نقصت إيراداتها عن هذا المبلغ وجب إلغاؤها».[1] ولأن المستوى الاقتصادي لبلدة عبّا لم يكن يسمح لها بتحصيل إيرادات، فقد حال هذا الشرط عام (١٩٦٣م) عندما جرت الانتخابات دون إنشاء بلدية. بالإضافة إلى ذلك، فقد شكّلت التمديدات المتلاحقة لولاية المختارين والمجالس البلدية عام (١٩٦٧م ـ ١٩٧٣م ـ ١٩٧٤م) ومن ثم الحرب الأهلية من (١٩٧٥م) لغاية (١٩٩٠م) عاملًا إضافيًّا في عدم إنشاء بلدية. وكان قائمقام النبطية هو من يتولى إدارة الشأن العام للبلدة، سندًا للمرسوم الاشتراعي رقم (٥) تاريخ (٣/ ٢/ ١٩٣٠م)، المختص بتقسيم أراضي الجمهورية اللبنانية إداريًّا، لا سيما المواد (٢٠) ـ (٢١) ـ (٢٢) منه. وكان على القائمقام في البلدات التي ليس فيها بلديات أن يكون دائمًا واقفًا على حالة كل قرية من قرى قضائه ومراقبة نظام المختارين والنواطير، وأن يتولى رئاسة المجلس البلدي ومراقبة أعماله ولجان الأملاك المشاعية»[2]. عندما جرت أول انتخابات بلدية واختيارية عام (١٩٩٨م)، لم يُطلب من وزارة الداخلية استحداث بلدية في عبّا. وكان على الأهالي الانتظار حتى العام (٢٠٠٣م)، حين صدر القرار رقم (٣٩٨) تاريخ (١٦/ ٠٧/ ٢٠٠٣م) ونصّ في مادته الأولى: تنشأ في بلدة عبّا قضاء النبطية في محافظة النبطية بلدية جديدة تعرف باسم بلدية عبّا. وفي المادة الثانية: النطاق البلدي لبلدية عبّا هو النطاق العقاري للبلدة.[3] واتبع بقرار آخر رقم (٤٤) تاريخ (٣١) تموز (٢٠٠٣م) كُلّف بموجبه محافظ النبطية القيام بأعمال مجلس بلدية عبّا قضاء النبطية ـ محافظة النبطية بصورة مؤقتة، لحين انتخاب مجلس بلدي في البلدة المذكورة (٢٠٠٤م)[4].

(١) الجريدة الرسمية، العدد ٥ تاريخ ١٥/ ١٢/ ١٩٥٤م، الصفحات ٨٧١- ٩٠٤.

(٢) الجريدة الرسمية، العدد ٢٣٠٤ تاريخ ٧/ ١٢/ ١٩٣٠م، الصفحات ٧-١٢.

(٣) الجريدة الرسمية، العدد ٣٥ تاريخ ٢٤/ ٧/ ٢٠٠٣م، الصفحات ٤٣٤٤-٤٣٤٤.

(٤) الجريدة الرسمية، العدد ٣٦ تاريخ:٣١/ ٠٧/ ٢٠٠٣م، الصفحات ٤٤٤١-٤٤٤٢.

وهكذا بعد انقطاع مستمر دام (٥٥) عامًا تخللها إصدار قوانين بلدية وتعديل أخـرى[١]، أبصرت بلدية عبّا النور نظريًّا، وبُوشِر في البلدة بالاستعدادات اللازمة لإجراء أول انتخابات بلدية استكملت بصدور القرار رقم (١٢٦) تاريخ (٢٦/ ٣/ ٢٠٠٤م) دعوة الهيئات الانتخابية البلدية، لانتخاب الأعضاء[٢]. وبنتيجة الإقتراع التي اشترك فيها (٢٣٨٧) من أصل (٣٠٨٤) ناخبًا أي بنسبة (٧٧٪) فاز فيها العدد المقرر (١٥) توزعوا بين (١٣) من اللائحة الكاملة المدعومة من حزب اللّه، وخرق بمرشحين اثنين من اللائحة غير الكاملة (١٤) مرشحًا المدعومة من حركة أمل.

ولـمّا كانت اتحادات البلديات المنصوص عنها في المادة (١١٤) من المرسوم الاشتراعي الرقم (١١٨) تاريخ (٣٠ حزيران ١٩٧٧م) تتألف من عدد من البلديات، وتتمتع بالشخصية المعنوية والاستقلالية وتمارس الصلاحيات المنصوص عليها في هذا القانون. وتتولى دراسة المشاريع العامة ذات المنافع المشتركة التي تفيد منها كل البلديات الأعضاء أو بعضها، أو التي تشمل أكثر من نطاق اتحاد واحد، والتنسيق ما بين البلديات الأعضاء وبت الخلافات الناشئة، وإقرار خطة إنمائية ضمن نطاق الاتحاد. اتخذت بلدية عبّا بتاريخ (١١ تموز ٢٠٠٤م) أولى قراراتها بانضمامها في اتحاد بلديات الشقيف، ونفّذ بالمرسوم رقم (١٣٢٧١) تاريخ (٢٨ آب ٢٠٠٤م)، حيث ورد في مادته الأولى ما يلي: ضُمّت كل من بلدية الدوير، يحمر، النميرية، عبّا، شوكين، أنصار، زفتا، عدشيت، أرنون، سيني، صير الغربية، القصيبة، وبريقع في اتحاد بلديات الشقيف قضاء النبطية ـ محافظة النبطية»[٣].

---

(١) قانون البلديات ٢٩/ ٣٦ تاريخ ٢٩ حزيران ١٩٦٣ م، مرورًا بقانون سنة ١٩٧٧ المنشور بالمرسوم الاشتراعي رقم ١١٨ الصادر بتاريخ ٣٠ حزيران ١٩٧٧م الذي الغى بدوره قانون ٢٩/ ٣٦ وإنشاء قانون جديد معدل بالقانون ٦٦٥ تاريخ ٢٩/ ١٢/ ١٩٧٧م الجريدة الرسمية العدد ٤٢ تاريخ ٢٧/ ٥/ ١٩٦٣م، ص٢١٣٥-٢١٤٩. والجريدة الرسمية العدد ٢٠ تاريخ ٠٧/ ٠٧/ ١٩٧٧م، الصفحات ١٩-٤١.

(٢) «مادة ١: تدعى الهيئات الانتخابية البلدية لانتخاب أعضاء المجالس البلدية في المدن والبلدات والقرى وفقًا للمواعيد التالية: في دائرتي الجنوب الانتخابيتين بتاريخ ٢٣/ ٥/ ٢٠٠٤»م. الجريدة الرسمية، العدد ١٨ تاريخ ١/ ٤/ ٢٠٠٤م، ص١٩٨٣.

(٣) الجريدة الرسمية، العدد ٤٨ تاريخ ٧ أيلول٢٠٠٤م، الصفحات ٩٢٣٩ - ٩٢٤٠.

قُبيل انتهاء ولاية مجالس الـ(٢٠٠٤م)، كانت الاستعدادات من قِبل وزارة الداخلية تجري على قدم وساق لإجراء انتخابات ولاية جديدة. وبموجب القرار رقم (٥٨٩) تاريخ (١٧/ ٤/ ٢٠١٠م)، تم دعوة الهيئات الانتخابية البلدية في كل من دوائر محافظة لبنان الجنوبي ودوائر محافظة النبطية لانتخاب أعضاء المجالس[1]. وبنتيجة عملية الاقتراع التي اشترك فيها (١٨٧٢) من أصل (٣٦٢٤) ناخبًا أي بنسبة بلغت (٦٥ , ٥١٪) فاز العدد المقرر (١٥) من أصل (٢٧) مرشحًا. وكان من بين المستقلين كل من: عفيف قاووق، محمد شريف أسعد، فادي نايف ترحيني.

وفي انتخابات العام ٢٠١٦ التي جرت بموجب القرار رقم (٥٣١) تاريخ (١/ ٤/ ٢٠١٦م) ودعي بموجبه الهيئات الانتخابية البلدية في كل من دوائر محافظة لبنان الجنوبي ودوائر محافظة النبطية لانتخاب أعضاء المجالس البلدية[2]. وبنتيجة عملية الاقتراع التي اشترك فيها (١٨٢١) من أصل (٤١٨٨) ناخبًا أي بنسبة بلغت (٤٨ , ٤٣٪) فاز العدد المقرر (١٥) من أصل (٢٥) مرشحًا.

بالعودة إلى أجواء الانتخابات الاختيارية التي جرت في عبّا عام (١٩٩٨م)، أي بعد (٣٨) عامًا على آخر انتخابات جرت عام (١٩٦٣م)، والبلدية التي جرت عام ٢٠٠٤ عندما استحدث أول مجلس بلدي. فقد انطلقت في مرحلة مختلفة بظروفها عن سابقتها، فهي شهدت بدءًا من العام (١٩٧٦م) بدايات أفول الإقطاع السياسي المتمثل بزعامة كامل أحمد الأسعد وصعود أفواج المقاومة اللبنانية (أمل) بقيادة الإمام موسى الصدر، ثم حزب اللّه منتصف التسعينات. لذلك كان من الطبيعي أن تنحصر المنافسة بين أمل وحزب اللّه، «وكان الفارق بين اللائحتين

---

(١) مادة١: تدعى الهيئات الانتخابية البلدية لانتخاب أعضاء المجالس البلدية في المدن والبلدات والقرى في كل من دوائر محافظة لبنان الجنوبي ودوائر محافظة النبطية بتاريخ ٢٣/ ٥/ ٢٠١٠م». الجريدة الرسمية، العدد ١٩ تاريخ ٢٢/ ٤/ ٢٠١٠م، الصفحات ٢٣- ٣٦.

(٢) «مادة ١: تدعى الهيئات الانتخابية البلدية لانتخاب أعضاء المجالس البلدية في المدن والبلدات والقرى في كل من دوائر محافظة لبنان الجنوبي ودوائر محافظة النبطية بتاريخ ٢٢/ ٥/ ٢٠١٦م». الجريدة الرسمية، العدد ١٦ تاريخ ١٤/ ٤/ ٢٠١٦م، الصفحات ١٣- ٢١.

في حدود (١٥٠) صوتًا لصالح أمل نتيجة تأييد العائلات الكبرى لها كآل علي حسين وخليل ومعهما العائلات الصغرى كآل حريري الذين تجنبوا بأكملهم الاقتراع لمرشح الحزب، وعز الدين وكلوت ونور الدين وفحص وجفال ونسب متفاوتة من آل قاووق وعميص وهارون وحسين وحسين أحمد. في المقابل كان حزب اللّه يحظى بتأييد (٩٠٪) من آل حسين وحسين أحمد وعميص و(٦٠٪) من آل هارون وقاووق. وكان من الطبيعي أن تفوز (أمل) بالمقعدين، سيما وأنها على مدى عشرين عامًا سبقت الانتخابات، كانت منخرطة بشكل فاعل في تقديم الخدمات الإنمائية للبلدة عبر لجان اجتماعية شكلت حينها لهذه الغاية، مستغلين حضور الحركة الفاعل في أجهزة الدولة»[١]. رغم جو التنافس جرى الاستحقاق الانتخابي بكل هدوء عكسه حس المسؤولية لدى أهالي البلدة ولم تحصل أي حادثة، وكان اليوم التالي بداية التحضير لانتخابات العام (٢٠٠٤م) التي كانت مختلفة، أولًا لجهة إضافة انتخاب مجلس بلدي هو الأول في تاريخ عبّا، وثانيًا من حيث النتائج التي انتقلت كليًّا لصالح حزب اللّه.

أمّا أجواء انتخابات العام (٢٠٠٤م)، فكانت أكثر حميّة من سابقتها، لسببين: أولهما سعي حزب اللّه في عبّا لرد الاعتبار إليه بعد خسارته انتخابات العام (١٩٩٨م)، ثانيهما هو أنها تشمل انتخاب مجلس بلدي لأول مرّة، وكان في اعتبار الحزب، أن من يمسك بالمجلس البلدي والاختياري معًا، يستطيع أن يمسك بقرار عبّا. لذلك سعى جاهدًا للفوز بهما، وكان له ما أراد، عندما أتت النتائج مخيبة لآمال الحركة التي «استطاعت بصعوبة إيصال مرشحين لها للمجلس البلدي، خسرت واحدًا منهما بعد سنة من عمر المجلس، بطعن انتخابي تقدم به الحزب ضد مرشح الحركة محمد شريف ترحيني، وكان نتيجة الطعن لصالح مرشح الحزب قاسم قاووق. كما فقدت الحركة مقعدًا لها في المجلس الاختياري بخسارة مختارها في المجلس السابق حسن محسن معلّم. وكانت خسارته ناتجة

(١) مقابلة مع رئيس اللجنة الانتخابية لحركة أمل حمزة أحمد ذياب، والدته صبح ترحيني، تولد ١٩٦٠م، بتاريخ ١٢/ ٤/ ٢٠١٩م.

عن دعم محدود له من قبل آل خليل الذين صبوا كامل أصواتهم عند مرشحهم حسن علي حسن، في وقت توزعت فيه أصوات باقي العائلات، كآل هارون وعلي حسين مناصفة، وآل قاووق (٧٠٪) للحزب، فيما كانت باقي العائلات الصغيرة عند الحركة»[١]. وبذلك وبعدما احتفظت أمل بمقعدين، اختياري وبلدي، واحد تكون قد خرجت من المشهد التمثيلي لعبّا على مستوى المؤسسات. «من أهم الأخطاء الاستراتيجبة التي أخرجت أمل من انتخابات (٢٠٠٤م)، وكانت قاتلة أن لائحتها لم تكن مكتملة (١٤) مرشحًا، آل حسين مارسوا ضغوطًا على منسق لجنة الانتخابات في أمل محمد أحمد ترحيني، لترك مقعد فارغ في اللائحة، يستفيد منه مرشحها محمد شريف أسعد. وكان يمكن للمرشح (١٥) فيما لو وجد أن يجيّر للائحة مؤيدين له، ما يؤمن فوزًا للائحة. لم نَعِ خطورة هذا الأمر إلا لاحقًا. أضف إلى ذلك أن (٨) مرشحين على لائحة أمل، كانوا غير متزوجين من عبّا، مما أفقدهم أصواتًا كان عامل (المصاهرة) كفيلًا بتأمينها. شيء آخر مهم، وهو أن أحدًا من عائلات عميص، حسين، وحسين أحمد، لم يكن مرشحًا على اللائحة»[٢].

لكن انتخابات العام (٢٠١٠م)، كانت أجواؤها مختلفة تمامًا، ووجه الإختلاف فيها، تمثل بغياب التنافس، ليحل مكانه التنسيق في مقابل لائحة المستقلين من أبناء البلدة. تنسيق فرض إيقاعه تفاهم انتخابي عام بين قيادتي الحركة والحزب، توزعت بموجبه المجالس البلدية والاختيارية في البلدات الشيعية في الجنوب والبقاع على الفريقين بنسب وافق عليها الطرفان. «في عبّا توزع المجلس البلدي على (٩) أعضاء من ضمنها رئيس ونائب رئيس وأمين صندوق لحزب اللّه، و(٦) لأمل. وتوزّع المجلس الاختياري بين (٢) لأمل وواحد للحزب. حاولت شعبة أمل في عبّا تحسين شروط التفاهم بأن تحصل على (٧) أعضاء من ضمنها نائب رئيس، إلا أن سعيها جوبه بالرفض من قبل القيادتين، منعًا لانسحاب هذا الأمر

(١) مقابلة مع رئيس اللجنة الانتخابية لحركة أمل حمزة أحمد ذياب، مرجع سابق.

(٢) نفس المرجع.

على بلدات أخرى. وجاءت حصيلة الانتخابات بأن فازت لائحتي أمل وحزب اللّه بمقاعد المجلس كاملة دون المستقلين، وتكررت في انتخابات العام (٢٠١٦م) دون تعديل في موازين القوى داخل المجلس»[١].

في المحصّلة «الواقع التمثيلي الذي فرضه التفاهم، لم ولن يرضي الحركيين في عبّا، مع علمهم المسبق أن أي انتخابات تحصل لاحقًا على قاعدة المنافسة لن يكون لهم فيها نصيب وافر، ومن ثمّ هم يرون أن ليس من مصلحتهم فرط التفاهم، لأن المناخ العام على مستوى الطائفة أصبح في مرحلة ما بعد (٢٠٠٤) قد أسس للحزب حضورًا فاعلًا أقله في البلدة، لا سيّما ما بعد عدوان تموز (٢٠٠٦م)، ومفاعليه على مستوى التعاطف الشعبي معه، والحضور التعبوي والخدماتي الوازن، حيث إن التقديرات في عبّا ما بعد (٢٠١٠) - (٢٠١٦) ترجح (٦٠٪) لحزب اللّه، فيما حركة أمل (٢٠٪) والمستقلين (٢٠٪)»[٢]. ومن ثمّ فإن النتائج الحالية الواردة في الجداول التالية، وفي ظل غياب المنافسة، وإحجام نسبة كبيرة من الناخبين عن الاقتراع لا تعكس حقيقة التمثيل.

(١) مقابلة مع رئيس اللجنة الانتخابية لحركة أمل حمزة أحمد ذياب، مرجع سابق.

(٢) نفس المرجع.

جدول بأسماء المخاتير وأعضاء المجلس الاختياري في عبّا - انتخابات ١٩٩٨م[1]:

الاسم والشهرة	الصفة	الولادة	المستوى العلمي	المهنة	الجهة الداعمة	عدد الأصوات	٪
حسن محسن معلّم	مختار	١٩٤١م	متعلّم	مزارع ونجار	حركة أمل	٩٤٣	٥٥,٩٦
حسن علي ترحيني	مختار	١٩٤٤م	متعلّم	مزارع	حركة أمل	٨٣٢	٤٩,٣٧
محمد ترحيني	عضو اختياري	١٩٥٤م	متعلّم	/	مستقل	٨٨٣	٥٢,٤٠
حسين ترحيني	عضو اختياري	١٩٢٨م	متعلّم	/	مستقل	٨٧٣	٥١,٨١
علي حريري	عضو اختياري	١٩٦٧م	متعلّم	/	مستقل	/	/

جدول بأسماء المخاتير وأعضاء المجلس الاختياري في عبّا - انتخابات ٢٠٠٤[2]

الاسم والشهرة	الصفة	الولادة	المستوى العلمي	المهنة	الجهة الداعمة	عدد الأصوات	٪
حسن على ترحيني	مختار	١٩٤٤م	متعلّم	مزارع	حركة أمل	١٣٩٠	٥٨,٢٣
حسين قاسم ترحيني	مختار	١٩٥٧م	بروفية	ناشط اجتماعي	حزب اللّه	١١٧٧	٤٩,٣٠
نايف حسين دياب	عضو اختياري	١٩٥٨م	بروفيه	حدادة إفرنجية	حزب اللّه	تزكية	/

(١) محافظة النبطية-٣- الانتخابات البلدية والاختيارية ٩٨-٩٩-٢٠٠١م، إعداد قلم محافظة النبطية - الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، ص٨٧.

(٢) اللجنة الانتخابية لحركة أمل وحزب اللّه في عبّا.

جدول بأسماء المخاتير وأعضاء المجلس الاختياري في عبّا - انتخابات ٢٠١٠م[١]:

الاسم والشهرة	الصفة	الولادة	المستوى العلمي	المهنة	الجهة الداعمة	عدد الأصوات	٪
حسن على ترحيني	مختار	١٩٤٤م	متعلّم	مزارع - نجار	حركة أمل	تزكية	/
حسن محسن معلّم	مختار	١٩٤١م	متعلّم	مزارع	حركة أمل	تزكية	/
حسين قاسم ترحيني	مختار	١٩٥٧م	بروفية	ناشط اجتماعي	حزب اللّه	تزكية	/
إبراهيم حسين ترحيني	عضو	١٩٥٨م	متعلم	/	حزب اللّه	تزكية	/

جدول بأسماء المخاتير وأعضاء المجلس الاختياري في عبّا - انتخابات ٢٠١٦[٢]

الاسم والشهرة	الصفة	الولادة	المستوى العلمي	المهنة	الجهة الداعمة	عدد الأصوات	٪
محمد إبراهيم ترحيني	مختار	١٩٥٩م	متعلم	/	حركة أمل	١٢٠٤	٧٩,١
حسين قاسم ترحيني	مختار	١٩٥٧م	متعلم	/	حزب اللّه	١١٢٣	٦١,٦
حسن محسن معلّم	مختار	١٩٤١م	متعلم	مزارع - نجّار	حركة أمل	١٠٨٢	٥٩,٤

(١) محافظة النبطية -٥- الانتخابات البلدية والاختيارية ٢٠١٠ م، إعداد قلم محافظة النبطية الطبعة الأولى، أيلول ٢٠١٠م، ص٨٢.

(٢) محافظة النبطية -٦- الانتخابات البلدية والاختيارية ٢٠١٦م، إعداد قلم محافظة النبطية، الطبعة الأولى، أيلول ٢٠١٦م، ص٦٢.

الاسم والشهرة	الصفة	الولادة	المستوى العلمي	المهنة	الجهة الداعمة	عدد الأصوات	٪
مصطفى علي ترحيني	عضو	١٩٧٥م	متعلم	/		تزكية	

جدول بأسماء أعضاء المجلس البلدي في عبّا - انتخابات ٢٠٠٤م(١):

الاسم والشهرة	الصفة	الولادة	المستوى العلمي	المهنة	الجهة الداعمة	عدد الأصوات	٪
محمود يوسف ترحيني	رئيس	١٩٦٤م	إجازة في الهندسة	مهندس	حزب اللّه	**١٢٥٥**	٥٢,٥٧
ياسين محمد ترحيني	نائب رئيس	١٩٦٧م		مقاول	حزب اللّه	**١٢٢٣**	٥١,٢٣
قاسم محمد معلّم	رئيس السن	١٩٤٩م	هنسة زراعية	صاحب مشتل زراعي	حزب اللّه	١٢٥٩	٥٢,٧٤
علي محمد ترحيني	عضو	١٩٦٣م	BT حدادة	صاحب مصنع رخام	حزب اللّه	١٢٨٥	٥٣,٨٣
حسن إبراهيم ترحيني	نائب رئيس	١٩٦٦م	إجازة إدارة أعمال	مدير تعاونيات	حزب اللّه	١٢٥٢	٥٢,٤٥
محمود حسين الترحيني	عضو	١٩٥٩م	سرتيفكا	مقاول بناء	حزب اللّه	١٢٤٥	٢٥,١٥

(١) محافظة النبطية-٤- الانتخابات البلدية والاختيارية ٢٠٠٤م، إعداد قلم محافظة النبطية، الطبعة الأولى، تموز ٢٠٠٤م، ص٨٨.

الاسم والشهرة	الصفة	الولادة	المستوى العلمي	المهنة	الجهة الداعمة	عدد الأصوات	٪
محمد شريف ترحيني	عضو	١٩٥٧م	متعلم	صاحب مشتل زراعي	حزب اللّه	١٢٣٧	٥١,٨٢
حسن رضا ترحيني	عضو	١٩٥٦م	متعلم	أعمال حرة	حزب اللّه	١٢٥٩	٤٦,٨٥
قاسم محمد حريري	عضو	١٩٥٨م	متعلم	أعمال حرة	حزب اللّه	١١٩٩	٥٠,٢٣
علي خليل ترحيني	عضو	١٩٦٧م	متعلم	أعمال حرة	حزب اللّه	١١٦٢	٤٨,٦٨
علي إبراهيم حريري	عضو	١٩٧٦م	إجازة في المحاماة	محام	حزب اللّه	١١٥٩	٤٨,٥٥
عدنان إسماعيل عميص	عضو	١٩٥٦م	متعلم	صيانة سيارات	حزب اللّه	١١٥١	٤٨,٢١
حسن علي ترحيني	عضو	١٩٦١م	بروفيه	مراقب أعمال	حزب اللّه	١١٣١	٤٧,٣٨
محمد أحمد ترحيني	عضو	١٩٥٩م	طبيب	طبيب اسنان	حركة أمل	١١٢٤	٤٧,٠٨
محمد شريف ترحيني	عضو	١٩٦١م			حزب اللّه	١١٢١	٤٦,٩٦

جدول بأسماء أعضاء المجلس البلدي في عبّا – انتخابات ٢٠١٠(١)

الاسم والشهرة	الصفة	الولادة	المستوى العلمي	المهنة	الجهة الداعمة	عدد الأصوات	٪
داوود علي ترحيني	رئيس	١٩٧٩م	إجازة في ادارة الأعمال	مدير في التعليم الخاص	حزب اللّه	١١٣٤	٦٠,٥
حسن إبراهيم ترحيني	نائب رئيس	١٩٦٦م	إجازة إدارة أعمال	مدير تعاونيات	حزب اللّه	١١٩٧	٦٣,٩
محمود حسين الترحيني	عضو	١٩٥٩م	سرتيفكا	مقاول بناء	حزب اللّه	١٣٠٩	٦٩,٩
عبد الرضى ترحيني	عضو	١٩٧٢م	بروفيه	كهرباء صناعية	حركة أمل	١٣١٢	٧٠,٠٨
إسماعيل محمد يونس	عضو	١٩٦٦م	بكلوريا مجاز في قراءة القران شهادة في الصوت والنغم	قارىء وأستاذ في التعليم الديني والتجويد	حركة أمل	١٣٧٠	٧٣,١
صالح علي ترحيني	عضو	١٩٦٨م	سرتيفكا	مقاول بناء	حركة أمل	١١١١	٥٩,٣
حسين أحمد حريري	عضو	١٩٦٩م	بروفيه	مقاول بناء	حركة أمل	١٢٠٢	٦٤,٢

(١) محافظة النبطية –٥– الانتخابات البلدية والاختيارية ٢٠١٠م، إعداد قلم محافظة النبطية الطبعة الأولى، أيلول ٢٠١٠م، ص٨٢.

الاسم والشهرة	الصفة	الولادة	المستوى العلمي	المهنة	الجهة الداعمة	عدد الأصوات	٪
عباس محمد ترحيني	عضو	١٩٦٩م	بكلوريا قسم ثا	أعمال حرّة	حزب اللّه	١١٨٢	٦٣,١٤
علي محمد ترحيني	عضو	١٩٦٣م	BT حدادة	صاحب مصنع رخام	حزب اللّه	١١٤٣	٦١,٠٥
أحمد علي هارون	عضو	١٩٥٧م	دكتوراه في التاريخ	مؤهل أول متقاعد	حركة أمل	١٢٠٩	٦٤,٥٨
زكريه حسين ترحيني	عضو	1958 م	إجازة في الهندسة	مهندس	حزب اللّه	١٠٥٠	٥٦,٠٨
إبراهيم محمد قاووق	عضو	1956 م	إجازة في الهندسة	مهندس	حزب اللّه	١١٨٥	٦٣,٣٠
حسين يحيى عميص	عضو	١٩٧٢م	مهني- إدارة أعمال	تجارة	حزب اللّه	٩٩٦	٥٣,٢٠
علي إبراهيم حريري	عضو	١٩٧٦م	إجازة في المحاماة	محام	حزب اللّه	٩٨٣	٥٢,٥١
حسين علي ترحيني	عضو	١٩٧٦م	/	أستاذ تعليم مهني	حركة أمل	١٢٢٢	٦٥,٢٧

جدول بأسماء أعضاء المجلس البلدي في عبّا – انتخابات ٢٠١٦م[(١)]:

الاسم والشهرة	الصفة	الولادة	المستوى العلمي	المهنة	الجهة الداعمة	عدد الأصوات	٪
محمد عبد الحسين عميص	رئيس	١٩٥٦م	دبلوم علوم اجتماعية وإجازة أعمال مخبرية	أستاذ تعليم ثانوي / ناشط اجتماعي	حزب اللّه	١٣٢٣	٧٢,٦
جعفر حسين جفال	نائب رئيس	١٩٦٩م	مهندس كمبيوتر	صاحب مؤسسة لبيع وصيانة الكمبيوتر	حزب اللّه	١٢٨٦	٧٠,٦
محمد حسن ترحيني	عضو	١٩٧٧م	سرتيفكا	أعمال حرة	حزب اللّه	١٢٤٦	٦٨,٤
حسن سعيد ترحيني	عضو	١٩٦٤م	إجازة ادب عربي	أعمال حرة	حزب الله	١٢٤٥	٦٨,٣
أحمد محمد ترحيني	عضو	١٩٨٧م	دكتوراه فيزياء	أستاذ تعليم جامعي	حركة أمل	١٢٠٠	٦٥,٨
حسن حسين ترحيني	عضو	١٩٧٠م	إجازة في الهندسة	مهندس	حزب اللّه	١١٧٦	٦٤,٥
حسين أحمد حريري	عضو	١٩٦٩م	متعلم	مقاول	حركة أمل	١١٦٦	٦٤

(١) محافظة النبطية –٦– الانتخابات البلدية والاختيارية ٢٠١٦م، إعداد قلم محافظة النبطية، الطبعة الأولى، أيلول ٢٠١٦م، ص٦٢.

الاسم والشهرة	الصفة	الولادة	المستوى العلمي	المهنة	الجهة الداعمة	عدد الأصوات	٪
أحمد حسين ترحيني	عضو	١٩٧٠م	بروفيه	اعمل حرة	حركة أمل	١١٦٢	٦٣,٨
عباس محمد ترحيني	عضو	١٩٦٩م	متعلم	أعمال حرة	حزب اللّه	١١٥٢	٦٣,٢
عصام أحمد قاووق	عضو	١٩٧٧م	إجازة في المحاسبة	محاسبة	حزب اللّه	١١٤٥	٦٢,٨
محمد عبد الحليم ترحيني	عضو	١٩٦٩م	متعلم	أعمال حرة	حزب اللّه	١١٤٣	٦٢,٧
حسين علي محمد ترحيني	عضو	١٩٧٦م	إجازة في المعلوماتية الإدرية	تقني اتصالات	حركة أمل	١١٣٩	٦٢,٥
علي مهدي ترحيني	عضو	١٩٥٥م	إجازة علوم سياسية	أعمال حرة	حزب اللّه	١١١٦	٦١,٢
وليد نجيب ترحيني	عضو	١٩٧٥م	بروفيه	مقاول بناء	حركة أمل	١٠٠٥	٥٥,١
حسين علي ترحيني	عضو	١٩٧٦م	/	أستاذ تعليم مهني	حركة أمل	٩٣٤	٥١,٢

ما هو واقع البلدية اليوم؟. رغم حداثة العمل البلدي في عبّا ٢٠٠٤ - ٢٠١٦، واجه القيّمون عليها، تحديات جمّة للنهوض بها إلى مستوى المؤسسة العصرية القادرة على التخطيط والاستشراف، وتكون ملمّة بالواقع الديمغرافي والاجتماعي والثقافي والبيئي والاقتصادي، مما يسهل عملية التخطيط للمستقبل. ومهما كان حجم العثرات، فهي لم تحجب الإنجازات وإن تكن متواضعة بحكم الظروف

والإمكانات، تبقى خطوة تحسب للمجالس التعاقبة على مدى عقد ونيّف، يمكن إيجازها على الشكل التالي:

إنجازات مجلس ٢٠٠٤م: توسعة مدخل الساحة العامة بعد إزالة البناء القديم العائد لمصطفى معلّم، والسماح له ببناء آخر بتراجع (٦) أمتار، ليصبح عرض الطريق من (٩) إلى (١٢) مترًا معبّدة. توسعة طريق الساحة العامة ـ حي القلعة ـ البيدر بعد إزالة صهريج المياه العائد إلى محمد داوود (أبو داوود) الذي كان قائمًا عند بداية المنحدر على تخوم الساحة العامة، وإزالة غرفة والكاراج العائد لإبراهيم علي يوسف، لتصبح الطريق بعرض وسطي (٨) أمتار وطول (١٠٠) متر. ربط حي خلّة النبية بحي المحاطط بعد فتح وتوسعة الطريق بينهما وبناء جدران دعم لتصبح بعرض (٧) أمتار وطول (٨٠) مترًا، صالحة لعبور السيارات. توسعة وتعبيد طريق حي قلعة الصعبة ـ المدرسة الرسمية وبناء جدران دعم لتصبح بعرض (٧) أمتار وطول (٢٥٠) مترًا. بالتعاون مع النائب محمد رعد، جرى توسعة طريق حي البيدر وتأهيله، وطريق البياض الذي يتصل بالطريق المؤدية إلى بلدة الزرارية، وبناء جدران دعم، لتصبح بعرض (٨) أمتار وطول (٥٠٠) متر. توسعة وتأهيل طريق حي كرم دماء وربطه بالطريق المؤدية إلى بلدة الدوير وبناء جدران دعم ليصبح بعرض (٧) أمتار وطول (٧٠٠) متر، وبذلك جرى ربط أحياء قلعة المغريقة وحي البيدر بالمدرسة الرسمية. تأهيل طرقات الأحياء القديمة كافة وخاصة حي الساحة والقلعة، وتوسعة طريق حي الجبّانة. تعبيد طريق عبّا الدوير بعرض (٦) أمتار وطول (٧٥٠) مترًا. توسعة مدخل البلدة ليصبح بعرض (١٩) مترًا. تعبيد طريق عبّا أنصار بعرض ٥ أمتار وطول (٢٤٠٠) متر بالتعاون مع اتحاد بلديات الشقيف وبلدية أنصار. توسعة وتعبيد طريق عبّا الزرارية، بدعم من وزارة الأشغال ومساهمة من البلدية بنسبة (٤٠٪) من الكلفة، لتصبح بعرض (٨) أمتار وطول (١٠٠٠) متر. بالتعاون مع اتحاد بلديات الشقيف، جرى ربط عبّا ببلدة القصيبة عبر طريق بعرض (٥) أمتار وطول (٢٥٠٠) متر. تأهيل وتوسيع طريق عبّا بريقع بدءًا من مفترق عين الحج حسن باتجاه بريقع بعرض (٨) أمتار وبطول (٧٠٠) متر. بالإضافة إلى

سلسلة نشاطات منها: مدّ يد العون للمحتاجين من الأهالي، مشاركة ودعم أعمال وأنشطة ثقافية منها تكريم للطلاب الناجحين، تنظيم رحلات ترفيهية لكبار السن في مناسبات وطنية، إقامة نصب تذكاري بالقرب من المدرسة الرسمية، تخليدًا لشهداء المقاومة، إغلاق مكبّ النفايات وردمه، حملات نظافة، تركيب أجهزة إنارة، مولد كهرباء لمحطة ضخ المياه في البلدة، تنظيم دورات زراعية[1].

إنجازات مجلس ٢٠١٠م: شراء سيارة خاصة لشرطة البلدية، وضع لوحة إعلانات وصندوق شكاوى على مدخل البلدية، المشاركة والتعاون في حالات اجتماعية معينة كتأمين سيارة إسعاف وبطاقات نعوة وكراسي وصوتيات في حالات الوفاة. مساعدة مادية للمعوزين والمرضى، توزيع حصص غذائية خلال شهر رمضان، تغطية قسم من نفقات التسجيل للطلاب في المدرسة الرسمية، المساهمة في تحسين تجهيز المستوصف الخيري في البلدة وصيانته ومساعدة مساجد وحسينية البلدة، تنظيم رحلة لكبار السن إلى الأماكن الجهادية والعبادية والترفيهية في الجنوب، إعادة افتتاح مكب النفايات وحملة نظافة شاملة للطرقات ووضع حوالي (٢٠٠) برميل لتجميع النفايات، تنظيف مدافن البلدة ورش المبيدات على جانبي الطرق، دعم مشروع زيت زيتون والحصول على معدات زراعية متطورة ومتخصصة في زراعة وقطاف الزيتزن وإقامة ورش تدريب، مواكبة مزارعي التبع وإقامة محاضرات تدريبية لهم بالتعاون مع إدارة حصر التبغ والتنباك، توزيع (٢٥٠) من شجرة البولونيا و(٦٠٠) شجرة فاكهة مقدمة من مؤسسة جهاد البناء الإنمائية، زراعة (٨٠٠) شجرة حراجية بالتعاون مع الحركة الاجتماعية، إقامة دورات تقوية وتأهيل لطلاب الصفوف المتوسطة والثانوية، تجهيز قاعة للمعلوماتية لطلاب المدرسة الرسمية مع أجهزة كومبيوتر، التعاقد مع معلمة لمادة اللغة الإنكليزية لمدة ثلاثة أشهر لسد النقص، إقامة معرض لتبديل الكتب الدراسية المستعملة وذلك بالتعاون مع التعبئة التربوية، المساهمة في تغطية أنشطة قامت

(١) زهرة الصبّار، نشرة يصدرها المجلس البلدي في عبّا، العدد الأول أيار ٢٠٠٧م، الصفحات ١٥- ١٦- ١٧- ١٨- ١٩- ٣٠- ٣١- ٣٢- ٣٣- ٣٤.

بها جمعيتي كشافة المهدي والرسالة في عبّا، إقامة العديد من المحاضرات الطبية والتوجيهية المتخصصة بالتعاون مع الهيئة الصحية الاسلامية، تعبيد وإقامة جدران دعم وبنى تحتية لطرقات كرم دماء، المغريقة، كرم مرمر، الساحة الداخلية، قلعة الصعبة باتجاه المدرسة الرسمية، المغريقة وطرقات الخاصة(١).

إنجازات مجلس ٢٠١٦م: تمديد شبكة مياه الشفة بمقاسات متعددة بمسافة (٣,٥) كم، إعادة تنظيم برنامج توزيع مياه الشفة والخدمة المنزلية على أحياء البلدة بالتعاون مع مؤسسة مياه لبنان الجنوبي – دائرة النبطية، المساهمة في تغطية نفقات مادة المازوت لتشغيل الآبار الارتوازية في البلدة عند انقطاع التيار الكهربائي عن الشبكة العامة، المساهمة في بناء وإنشاء محطة لتكرير المياه وجعلها صالحة للشرب في حي قلعة الصعبة، تكملة تركيب (١٧٥) من أعمدة الكهرباء بمحاذاة المنازل المنشأة أو هي قيد الإنشاء وصيانة وإصلاح الأعطال المتكررة على الشبكة العامة، استحداث طرق زراعية بمسافة (٣) كم، تغيير واستحداث طريق فرعي يصل بئر الماء الارتوازي في محلة عين جويد وخزان المياه الرئيسي في حي عين بيّارة، استملاك أقسام من عقارات لاستحداث طريق عام في محلة (عريض النخالة) لعدد من المنازل، استحداث طريق عام في محلة خلة النبيّة – عريض الخالة وتعبيدها، إعادة تصميم وتأهيل مدخل البلدة من جهة بلدة الدوير وصولًا حتى الطريق العام المؤدية إلى الساحة العامة بمسافة واحد كيلو متر واستحداث أرصفة على جانبي الطريق، توسعة وتأهيل البنى التحتية لطريق حي السموقة وبناء جدران دعم للطريق، استحداث غرفة بمساحة (١٠م٢) لتركيب أجهزة تقوية خدمة الإنترنت (DSL) بالتعاون مع مؤسسة أوجيرو، القيام بحملة تشجير في عموم البلدة حوالي (٣٠٠٠) شجرة، بالإضافة إلى رعاية ما كان مزروعًا سابقًا، تنظيم دورة في غرس ورعاية وتقليم الأشجار وتوزيع شتول نبتة الزعتر على المزارعين، إنجاز مرحلة متقدمة جدًّا من مشروع الملعب الرياضي البلدي وتهيئة الطريق المؤدية إليه، تنظيم ماراتون وعدد من المباريات الرياضية بين الأندية من داخل

(١) محفوظات بلدية عبّا ٢٠١٠– ٢٠١٦م.

وخارج البلدة ولكبار السن، تأهيل عين الحج حسن الواقعة في خراج البلدة والآبار المجاورة لها بالتعاون مع الحركة الشبابية في البلدة، إنشاء مستوعبات ذات مواصفات بيئية عالية في أماكن محددة من أحياء البلدة لتجميع النفايات قبل جمعها نهائيًّا إلى المكبّ، تنظيم دورات رفع مستوى لطلاب الشهادة الرسمية وأخرى في الرسم والخط العربي والمطالعة وتعليم القرآن، إقامة سمبوزيوم رسم في الساحة العامة تكريمًا لأهالي الشهداء، دورات محو أمية بالتعاون مع جمعية النور، تنظيم دورة اسعافات أولية بالتعاون مع الهيئة الصحية الإسلامية، وأخرى على إطفاء الحرائق بالتعاون مع الدفاع المدني في الهيئة، تنظيم دورة في أشغال خياطة وتوزع ماكينات صناعية على المتدربات بالتعاون مع الحركة الاجتماعية، تنظيم دورة في التصوير والمونتاج وأخرى في صناعة الحلوى وأخرى حول الحوادث المنزلية، تمديد وصيانة التجهيزات الصحية والكهربائية المنزلية، تنظيم لقاءات دورية مع فعاليات البلدة وتشكيل مندوبي أحياء للوقوف على آراء الأهالي حيال المشاريع المنوي تنفيذها، تنظيم سهرات ثقافية وتراثية وسلسلة ندوات تحاكي ذاكرة البلدة، منح (١٠٠) رخصة بناء بمساحات مختلفة، تعين جهاز إداري ذات خبرة وكفاءة يعتمد في عمله على التقنيات الحديثة كالمكننة والمعلومات، التعاقد مع مؤسسة متخصصة في علم الأرشفة والمكتبات لتنظيم ومكننة محفوظات البلدية، تحديد وحصر مشاعات البلدة كافة ومنع التعدي عليها سواء في أعمال البناء واستعمالات أخرى، إعداد دراسات ومشاريع تنفيذية لإقامة مجمع رياضي، حديقة عامة، منتزه بلدي، الطاقة البديلة (طاقة شمسية)[١].

في ضوء ما تقدّم وبعد انتهاء ولايتين من عمر المجلس البلدي وبدء الولاية الثالثة، من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن مقومات النجاح والإستمرار مرهونة بوجود علاقة سليمة بين أعضاء المجلس والرئيس، لإنتاج إدارة سليمة وشفافة، شبكة علاقات أفقية وعمودية مع السلطة المركزية والبلديات الأخرى والمجتمع المدني والمواطنين. والسعي إلى تحقيق الإنجازات بالرغم من العوائق بالتعاون

(١) محفوظات بلدية عبّا عن سنتين من ولاية مجلس ٢٠١٦م.

والمشاركة مع أهالي البلدة ومؤسسة عملية المشاركة وتحويلها إلى عملية منتظمة ودورية.

التركيب الاجتماعي لأعضاء المجالس البلدية والاختيارية في عبّا:

بالرغم من المستوى العلمي العالي وبعض المهارات التي يمتلكها معظم المنتخبين إلا أن تجاربهم على صعيد العمل في الشأن العام محدودة، ومن ثمّ هم يفتقرون إلى المعرفة والخبرة للأطر القانونية والإدارية والمسائل المالية بشكل خاص. ورغم انقضاء ما يقارب عقد ونصف على ممارسة المجلس البلدي في عبّا لمهامه كسلطة محلية، تُعَدّ هذه الفترة حديثة العهد مقارنة بغيرها من المجالس، سواء من حيث الإمكانات المادية والمؤسساتية، أو أطر التعاون مع الجهات المحلية والخارجية. مع ذلك يسجّل للمجلس أنه حافظ على ديمومته بكامل أعضائة خلال ولاياته الثلاث، وهذا يدل على وجود حد أدنى من الإنسجام والتعاون المتأتي من مؤهلات ذاتية. فما هي هذه المؤهلات؟. يأتي بالدرجة الأولى وهي الأهم، التداخل بين المكون العائلي لأعضاء المجلس، مع الحيثية الحزبية. فجميع الأعضاء بما في ذلك الرئيس كانوا في الدورات الثلاث (٢٠٠٤م- ٢٠١٠م- ٢٠١٦م) يمثلون الطيف العائلي العبّاوي، من دون إقصاء لأحد. وفي ذات الوقت، هم أمّا يمثلون جهات حزبية، أمل - حزب اللّه، أو مدعومين منهم. وإن كان هذا السلوك في مكان ما أضعف العملية الديموقراطية وأبعد في المحطات الثلاث المستقلين، إلا أنه في مكان ما، شكّل ضابطًا لإيقاع عمل المجلس، ومنع انحلاله. يتبين من تركيب هرم الأعمار لأعضاء المجلس أن غالبيتهم من العناصر الشابة دون سن الـ(٥٠). أمّا المستوى التعليمي والمهني فيعكس حالة نخبوية، موزعة على شهادات الدكتوراه والإجازة الجامعية والشهادة المتوسطة، أمّا المهن فتوزعت بين التعليم والمهن الحرة في الهندسة والمحاماة والطب والتعليم الجامعي والمهني والإدارة والمحاسبة. وهذه جميعها مقدمات واعدة على مستوى التنمية الريفية، بعدما كان غالبية العاملين في الشأن العام في القرى ملمًّا بالقراءة والكتابة، ومن إنتاج الولاءات العائلية.

جدول بالموازنة السنوية لبلدية عبّا للسنوات المالية من ٢٠٠٥م لغاية ٢٠١٨م:

لمّا كان الهدف من إنشاء المجالس البلدية، عملية التنمية فإن مقياس الوصول إلى هذا الهدف هو إدارة العملية المالية وفق خطة (موازنة) تحدد الحاجات بقدر الإمكانات. وغالبًا ما كان المجلس البلدي يواجه صعوبات في تقدير الواردات بسبب غياب الإحصاءات السكانية والاقتصادية، وعدم انتظام الجباية من المكلفين أو من السلطة السياسية والإدارية. مؤسساتيا، حافظت المجالس المتعاقبة في عبّا على إصدار موازنة سنوية لاعتمادات الواردات والنفقات اعتبارًا من (٢٠٠٥م) حتى (٢٠١٨م) دون انقطاع، وبلغت (٨,٩٤٢,٤٤٠,٠٠٠) ثمانية مليارات وتسعمئة واثنين وأربعين مليونًا وأربعمئة وأربعين ألف ليرة لبنانية. رصدت لإتمام أعمال البنى التحتية وإنماء القدرات الذاتية ورفع الشأن الثقافي والتعليمي للشرائح كافة. كما هي مبيّنة في الجدول التالي:

جدول بالموازنة السنوية لبلدية عبّا للسنوات المالية من (٢٠٠٥م) لغاية (٢٠١٨م)[1]:

السنةالمالية	رقم القرار	مجموع اعتمادات الواردات	مجموع اعتمادات النفقات
٢٠٠٥م	٣٠	٤٧٧,٥٠٠,٠٠٠	٤٧٧,٥٠٠,٠٠٠
٢٠٠٦م	٨٢	٤٥٤,٠٠٠,٠٠٠	٤٥٤,٠٠٠,٠٠٠
٢٠٠٧م	٧٧	٣٠٠,٠٠٠,٠٠٠	٣٠٠,٠٠٠,٠٠٠
٢٠٠٨م	٣٤	٣٧٠,٠٠٠,٠٠٠	٣٧٠,٠٠٠,٠٠٠
٢٠٠٩م	٢٤	٤٤٠,٠٠٠,٠٠٠	٤٤٠,٠٠٠,٠٠٠
٢٠١٠م	٢٨	٦٥٠,٠٠٠,٠٠٠	٦٥٠,٠٠٠,٠٠٠
٢٠١١م	٣٦	٦٩٦,٠٠٠,٠٠٠	٦٩٦,٠٠٠,٠٠٠

(١) جداول الموازنة السنوية الصادرة عن بلدية عبّا من عام ٢٠٠٥ لغاية ٢٠١٨.

السنةالمالية	رقم القرار	مجموع اعتمادات الواردات	مجموع اعتمادات النفقات
٢٠١٢م	٤١	٩٧١,٧٠٠,٠٠٠	٩٧١,٧٠٠,٠٠٠
٢٠١٣م	٢٦	٩٧١,٧٠٠,٠٠٠	٩٧١,٧٠٠,٠٠٠
٢٠١٤م	٢٣	٩٥٣,٠٠٠,٠٠٠	٩٥٣,٠٠٠,٠٠٠
٢٠١٥م	٣٧	٩١١,٠٠٠,٠٠٠	٩١١,٠٠٠,٠٠٠
٢٠١٦م	٢٧	٩٥٢,٠٠٠,٠٠٠	٩٥٢,٠٠٠,٠٠٠
٢٠١٧م	١٠٦	١,٤٥١,٠٠٠,٠٠٠	١,٤٥١,٠٠٠,٠٠٠
٢٠١٨م	١٢٣	١,١٠٠,٠٠٠,٠٠٠	١,١٠٠,٠٠٠,٠٠٠
المجموع العام لاعتمادات النفقات والواردات من ٢٠٠٥م لغاية ٢٠١٨م		٨,٩٤٢,٤٤٠,٠٠٠	

يتبيّن من الجدول أن كلفة الموازنة في السنوات الأولى من ولاية المجلس كانت متواضعة قياسًا على ما هي عليه الآن. وسبب ذلك هو أن المجلس البلدي الأول، استحدث قبل أشهر من إجراء أول انتخابات، ولم يكن لديه الاستعدادات والإمكانات المعرفيّة والمادية للإحاطة بخطة عمل حتمًا هي متخمة بالحاجات. إلا أنه في السنوات اللاحقة بدأت الموازنة أكثر طموحًا في وتيرة تصاعدية، وهذا يدّل على حجم التحديات.

ولمّا كانت اعتمادات الواردات البلدية تتأتى من مصادر متعددة، منها الرسوم التي تجبيها مباشرة من المواطنين، والضرائب والرسوم التي تجبيها الإدارات والمؤسسات العامة المختلفة نيابة عن البلديات، ثم تحوّل إليها عبر الصندوق البلدي المستقل، لم يضمن وجود هذا الصندوق توزيع الأموال في موعدها عملًا

بالمادة السابعة من المرسوم (١٩١٧/ ٧٩) في مهلة أقصاها نهاية شهر أيلول من كل سنة، بعد تصفية حصصها من الرسوم. ومن ثمّ كانت المستحقات تتأخر لسنوات، مما شكّل عائقًا أساسيًّا أمام العمل البلدي، عانت منه بلدية عبّا كسائر البلديات، وكان بسببها يتأخر تنفيذ المشاريع أو تتوقف نهائيًّا. إضافة إلى ذلك عجز البلدية عن ملء الشغور في ملاكها الوظيفي، لا سيما في القسم المالي. وغالبًا ما كانت تناط مهام المحاسبة الإدارية والمحاسبة المالية بأحد الأعضاء، والجباية بمتعاقد واحد أو أحد أعضاء المجلس. مما شكّل مخالفة للقواعد والمبادئ المالية ومنها مبدأ الفصل بين السلطات التمثيلية والإدارية. وفي كثير من الأحيان يؤدي هذا الواقع إلى تعطيل الرقابة الداخلية وأفراغ الرقابة الخارجية من مضمونها. فأي رقابة يمكن أن تمارس على شخص يتولى أعمال المحاسب والمحتسب وأمين الصندوق، في آن؟.

حتى نهايات العام (٢٠١٧م) كان الملاك الإداري لبلدية عبّا شاغرًا. وكان يستعان بمتعاقدين لتغطية الحاجات الفعلية المتنامية باستمرار، لذا لجأت البلدية إلى ملء شاغرين اثنين، الأول بتعيين نبال قاسم قاووق (أمين صندوق) بموجب قرار رئاسي رقم (٤) صدر بتاريخ (١٩/ ١٢/ ٢٠١٧م)، والثاني تعيين محمد نعمة ترحيني (شرطي بلدي) أيضًا بموجب قرار رئاسي رقم(٥) بذات التاريخ[1]. مع ذلك، تبقى البلدية تعاني من النقص في الجهاز البشري، وغالبًا ما تناط المهام بموظفين اثنين وهذا يشكل عائقًا أمام تنظيم عملها الداخلي والقيام بمهامها المختلفة، مما يضطر البلدية إلى اللجوء لخدمات المياومين وأجراء الفاتورة

(١) «بناء على أحكام القانون الصادر بالمرسوم الاشتراعي رقم ١١٨ تاريخ ٣٠/ ٦/ ١٩٧٧م قانون البلديات ونظام موظفي البلدية وتعديلاته الصادر بالقرار رقم ٤ تاريخ ٢٣/ ١/ ٢٠١٠م وكتاب وزير الداخلية والبلديات رقم ١٧١٠١ تاريخ ٢٩/ ٩/ ٢٠١٧م المتعلق بملء الوظائف الوظائف الشاغرة في بلدية عبّا محافظة النبطية وبناء على نتيجة المباراة الخاصة بوظيفة أمين الصندوق والمباراة الخاصة بوظيفة شرطي بلدي في ملاك بلدية عبّا في الفئة الرابعة - رتبة ثانية وفي الراتب المخصص لهذه الفئة التي جرت بتاريخ ٢٤/ ١١/ ٢٠١٧م وبتمثيل وزارة الداخلية صدر بتاريخ ١٩/ ١٢/ ٢٠١٧م القرار الرئاسي رقم (٤) بتعيين نبال قاسم قاووق بوظيفة أمين صندوق والقرار الرئاسي رقم (٥) بتعيين محمد نعمة ترحيني شرطي بلدي في ملاك بلدية عبّا». محفوظات بلدية عبّا وثيقة رقم(٣٤).

الذين لا يملكون المؤهلات الوظيفية. يبقى إدارة جلسات المجلس، وهذا أمر بالغ الأهمية يتعلّق بكيفية عقد الاجتماعات والطريقة الواجب إتباعها لإعداد جدول الأعمال، وإدارة المناقشات من قبل الأعضاء وتدوين محضر الجلسة، وهي إدارة ليست سليمة. سبب ذلك عدم وجود أنظمة داخلية تنظم العمل وتحدد الأطر. إذ إن معظم رؤساء البلديات، منهم رئيس المجلس البلدي في عبّا، يعدّون بأنفسهم جداول الأعمال، وكُل بحسب ما يراه مناسبًا بحسب خبرته واطلاعه، ولا يعطى الأعضاء الوقت الكافي لدراسة البنود.

أن تحسّن الأداء المالي للبلدية، رهن بانتظام وارداتها وتنظيم نفقاتها، وهذا الخلل يجب ألّا لم يحجب الرؤية عن ضعف إمكانياتها المالية. من البدهي التذكير بأن أساس تفعيل دور البلديات يكمن في البحث الجدي عن كيفية تطوير مالية البلديات، لا سيما في الأرياف. في عبّا مثلًا لم يتمّ التقيد بقانون الرسوم والعلاوات البلدية وخاصة فيما يتعلق بآلية التحقق والتحصيل، ولم تصدر البلدية جداول تكليف أساسية وإضافية وتكميلية، ولم تنشر الجداول الأساسية في الجريدة الرسمية، ولم تستوفِ بعض الرسوم الواردة في القانون ولا الغرامات الناتجة عن التأخير أو التحقق، في وقت يتلكأ فيه المواطنين في تسديد ما يتوجب عليهم من رسوم.

بعض الاستنتاجات:

أتت خطوة انتخاب المجالس المحلية الاختيارية في عبّا بعد فترة انقطاع دامت عقودًا طويلة، إضافة إلى الانتخابات البلدية المستحدثة، لتشكّل دليلًا على مواكبة العبّاويين للتبدلات البنيوية، ووجود حيوية سياسية لديهم، في مناصرتهم (ممثل الطائفة). وهو نهج توزّع بين سياسة التنمية وتمنية النفوذ السياسي، اعتادوا عليه في محطات عديدة.

على الدوام كان مركز المختار، موضع منافسة بين عائلات عبّا بوصفه موقعًا عائليًّا بالدرجة الأولى يعكس وزن العائلة وتراتبيتها، والمحور الأساسي لعلاقتها

بالسلطة من خلال رئيس الجبّ العائلي، أي (المختار) وانعكاس لتنافس الزعامات والأحزاب. وجاءت انتخابات المجلس البلدي المستحدث في العام (٢٠٠٤م) لتزيد من حماوة الجوّ الانتخابي. باعتبار أن من يمسك بالمجلس البلدي والاختياري معًا، يستطيع أن يمسك بقرار عبّا. قرار كرّسه لصالح حزب اللّه نتائج انتخابات العام (٢٠٠٤م) التي بنيّ عليها التفاهم العام بين الحركة والحزب في انتخابات العام (٢٠١٠م). في المحصّلة الواقع التمثيلي الذي فرضه التفاهم، لم يُرضِ الحركيين، ولم يؤسّس لتعاون مشترك ينهض بالعمل البلدي إلى مستوى المؤسسة العصرية القادرة على التخطيط. وهذا مرهون بوجود علاقة سليمة، تنتج إدارة سليمة وشفافة، وشبكة علاقات أفقية وعمودية مع السلطة المركزية والبلديات الأخرى والمجتمع المدني والمواطنين.

ومع ذلك يسجّل للمجلس أنه حافظ على ديمومته بكامل أعضائة خلال ولاياته الثلاث، وهذا يدل على وجود حد أدنى من الانسجام والتعاون المتأتي من مؤهلات ذاتية، تعكس حالة نخبوية، تمثّل الطيف العائلي العبّاوي، وجهات حزبية، شكّلت على الدوام ضابطًا لإيقاع عمل المجلس، ومنع انحلاله. يبقى تحسّن الأداء المالي للبلدية، مرهون بانتظام وارداتها وتنظيم نفقاتها، وهذا الخلل يجب ألّا لم يحجب الرؤية عن ضعف إمكانياتها المالية الذاتية، الناتج عن تلكؤ العبّاويين عن تسديد ما يتوجب عليهم من رسوم.

الفصل الثاني:

الأنشطة البشرية وعلاقتها بالبيئة الزراعية والصناعية والصحية والاجتماعية

التعريف العلمي للبيئة وإدارة النفايات الصلبة:

للبيئة مفهومان يكمل بعضهما البعض، أولهما البيئة الحيوية، وهو كل ما يختص بحياة الإنسان نفسه من تكاثر ووراثة، إضافة إلى علاقتة بالكائنات الحية، الحيوانية والنباتية. أما ثانيهما فهي البيئة الطبيعية وهذه تشمل موارد الطبيعة من مياه وتربة الأرض والجو ونقاوته أو تلوثه. وهكذا يشمل مفهوم البيئة جميع الظروف والعوامل الخارجية التي تعيش فيها جميع الكائنات الحية.

لطالما تميّزت الحياة الريفية بالبساطة والهواء النقي، حيث يهتم الفلاح بزراعة الأرض من محاصيل الحبوب والتبغ والقرعيات، والخضروات، وأشجار الزيتون والتين والعنب، والمرأة تهتم بالماشية والدواجن فتُطعِم الأغنام والأبقار للحصول على الحليب ثم تصنع منه الألبان والأجبان، وكذلك الحصول على البيض من الدجاج، وتحضّر الخبز بالطرق التقليدية، وهي التي تدير المنزل وتهتم بزوجها والأولاد. على هذه الصورة كانت عبّا حتى أواخر الثمانينات قبل أن تدهمها الحداثة كغيرها من البلدات. ومع الحداثة أصبح المجتمع العبّاوي غير عادل بيئيًّا واجتماعيًّا نتيجة نمط الحياة الاجتماعية فيه، عندما أصبح واقعا تحت هيمنة وتأثير قوى السوق، والربح، والنمو الاقتصادي، ومعايير الرفاهية المتنامية، كما أن النزعة الاستهلاكية لديه أصبحت غير مقيدة ومن ثمّ أدت إلى استغلاله للبيئة غير مقيد،

ظهرت أولى نتائجه بنوعية وكمية النفايات المنزلية. فبعدما كانت في السابق تقتصر على مخلفات ما ينتجه الفلاح وجميعها كان يُطعم للماشية والدواب، أصبح يتكوّن بحسب بيان وضعته إدارة الإحصاء المركزي عام (١٩٩٨م) في عموم لبنان، على الشكل التالي: ورق كرتون (١٧٪)، نسيج (٣٪)، بلاستيك (١٠٪)، زجاج (٩٪)، معادن (٣٪)، نفايات غذائية (٥١٪)، نفايات إلكترونية وغيرها (٧٪)»[(١)]. ولأن الأزمات البيئية في لبنان ناتجة عن غياب التحليل النقدي لأطر السياسية الاجتماعية، لا تزال النفايات من القضايا العالقة داخل الاجتماعات الوزارية رغم حلولها المؤقتة، وحتى اليوم لم يظهر أي حلّ مستدام.

في عبّا ازمة النفايات ليست بلدية، بل هي جزء من أزمة وطنية، وحلّها رهن بالحلّ العام. وبحسب تقرير لوزارة البيئة وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي UNDP، يوجد في لبنان (٩٤١) مكبًّا مكشوفًا، منها (٦١٧) تابعة للبلديات، وأكثر من (١٥٠) يتم الحرق فيها في الهواء الطلق أسبوعيًّا. والحرق يخلق مخاطر صحية كبيرة مثل أمراض القلب، السرطان، أمراض جلدية، الربو، وأمراض تنفسية أخرى. وهو حلّ اعتمدته بلدية عبّا عام (٢٠١٨م) وما قبلها، عندما أقفل معمل الفرز في وادي الكفور ومكبي (شوكين - ميفدون) و(حبوش - عربصاليم)، بقرارات قضائية، فتكدّست النفايات في الشوارع أكوامًا تتخمر وتملأ الأجواء بالروائح وترافقها سحابات من الذباب والبرغش، ما حولّ الشوارع إلى بؤر من الأمراض، عندها لجأت البلدية إلى استحداث مكبّ خاص بها مؤقت في مشاعات البلدة (عين الحاج حسن)، من دون أن يساهم هذا الحلّ في إنهاء الأزمة. هكذا شكلت النفايات إحدى أهم المشكلات التي تواجه الصحة العامة والبيئة، في وقت لا قدرة للبلدية على الانفراد بحلّ دائم. اللافت في موضع النفايات، أن لا وجود لنفايات صناعية وزراعية في البلدة تلوث المياه بالمواد الكيماوية، وتتسبب في إحداث تسمم مميت أو باضطرابات معوية.

(١) الجمهورية اللبنانية، رئاسة مجلس الوزراء، إدارة الإحصاء المركزي، الدليل الإحصائي السنوي ٢٠٠٦م، ص٣٧.

المشاكل الناجمة عن التوسع العمراني في عبّا:

أدى التقدم العمراني الذي عرفته عبّا بداية الخمسينات، ويتم من دون تخطيط، إلى إحداث خلل بنيوي طال قطاعي الزراعة والبناء. ألحق التوسع ضررًا بالرقعة الزراعية الخصبة، زال بسببه زراعات غذائية ومساحات خضراء. أمّا في قطاع البناء، فقد أوجد نمطًا معماريًّا واحدًا جعل من البلدة كتلة بنيان متشابهة، فضلًا عن مشاكل مرتبطة بالتلوث ناتجة من تسرب المياه المبتذلة من الجور الصحية إلى الآبار الجوفية، وبحسب تقرير وضعته عام (٢٠٠١م) وزارة الشؤون الاجتماعية بالتعاون مع برنامج الأمم المتحدة الإنمائي على مستوى قضاء النبطية تبيّن أن خدمات البنى التحتية، خاصة خدمات الصرف الصحي لا يزال يعتمد أساسًا على الجور الصحية بنسبة (٧٨٪) تقريبًا وتصل شبكة المجاري العامة إلى (٢٠٪) فقط من المنازل»[١]. وفي غياب شبكة المجاري العامة، وهو مشروع على مستوى اتحاد بلديات وأكبر من أن تتحمله بلدية عبّا وحدها، وفي ظل تفاقم مشاكل الجور الصحية وفيضانها في الشوراع وبين المنازل، لجأت البلدية إلى خطوة، شجّعت الأهالي على إفراغ الجور قبل فيضانها بواسطة شاحنات متخصصة، بكلفة (٧٠) ألف ليرة للصهريج الواحد منها (٢٠) ألفًا مساهمة من البلدية. وهو حلّ ما زالت تعتمده منذ العام (٢٠١١م)، كما أوجد تسيبًا وفلتانًا في ميدان استغلال الثروة المائية الجوفية للخدمات المنزلية. وحول الغطاء الحراجي في قضاء النبطية تبين عام (٢٠١٠م) أن القضاء يتجه نحو التصحّر بسبب افتقاده للغطاء الحراجي. فمن أصل (٣٠٢٩٦) هكتارًا، هي مساحة القضاء ومن ضمنها عبّا، تقدر مساحة الثروة الحرجية بنحو (٢٤٠٠) هكتارًا، أي ما نسبته (٧,٩٪) فقط[٢].

وأدى التوسع العمراني إلى تلوث بصري وإجهاد ذهني. ومن يتجول في أحياء البلدة يلاحظ بوضوح سوء التخطيط العمراني لبعض الأبنية من حيث الشكل،

---

(١) وزارة الشؤون الاجتماعية، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، الخصائص السكانية والواقع الاقتصادي والاجتماعي، أقضية لبنان، قضاء النبطية الطبعة الأولى، بيروت ٢٠٠١م، ص٢٥.

(٢) نفس المصدر، ص٤٥.

اختلاف دهان وواجهات المباني، استخدام الزجاج والألومنيوم مما يؤدي إلى زيادة الإحساس بالحرارة، انتشار المساكن حول مناطق المقابر، عشوائية اللافتات ولوحات الإعلانات المعلقة في الشوارع، المظلات فوق المحلات التجارية مما يجعلها عرضة لتجمع الأوساخ والقذرات، والإقامة في المباني قبل إتمام الإكساء الخارجي، إنشاءات الأعمدة على أسطح المباني تهيئة لتشييد طابق إضافي .

إن ضعف الإمكانات البلدية، لا سيّما الجهاز الرقابي، أهمل متابعة التلوث الغذائي بالمبيدات والبكتيريا. وهو غالبًا ما يحدث عن طريق الأحياء الدقيقة والتي عادة ما توجد في البيئة المحيطة بالمادة الغذائية كالتربة والهواء والماء، إضافة إلى الإنسان والحيوان. وقد يلعب الإنسان دورًا كبيرًا في إيصال هذه الكائنات إلى المواد الغذائية، كذلك الأدوات المستخدمة في إعداد وتحضير الأغذية، كالسكاكين وألواح التقطيع والأسطح الملامسة للأغذية مباشرة. وتعتبر الحشرات والقوارض إحدى أهم الوسائل في نقل الملوثات الميكروبية. وللمجلس البلدي دور فعّال في الحدّ من حصول التلوث الغذائي، بمراقبة السلع لجهة تاريخ الإنتاج وانتهاء الصلاحية، والتأكد من درجة الحرارة الملائمة لتخزينها، ومن نظافة الأماكن، وخصوصًا بيع اللحوم والدجاج، واستعمال الماء النظيف، وإبعاد المبيدات الحشرية ومواد التنظيف عن أماكن تخزين الطعام وإعداده.

المشاكل الناجمة عن التغيير في البيئة الطبيعية:

التراجع الذي شهده القطاع الزراعي المنتج للغذاء في عبّا، وضيق الرقعة الزراعية المخصصة للرعي، فضلًا عن تحوّل معظم الشباب العبّاوي عن العمل بالزراعة إلى مجالات أخرى، فرضها اقتصاد السوق، تجسّد بشكل أساسي في انقراض الثروة الحيوانية، من رؤوس الأبقار والأغنام والماعز، قياسًا على ما كانت عليه عشية الحرب الأهلية. ومن ثمّ فإن هذا الانقراض غيّب دور الحيوان في الحفاظ على توازن البيئة الطبيعية، فما هو موجود اليوم في عبّا بضع بقرات لدى (أبو علي شريف أمين) يستعملهم في عملية استثمار ناجحة في إنتاج الحليب وبيع

مشتقاته، وهي لا تخرج للرعي مطلقًا، ويشكل العلف الجاهز غذائها الوحيد، إلا ما ندر بضع كميات من الحشائش توضع في المعلف.

يصف أنيس فريحة في كتابه معجم أسماء المدن والقرى اللبنانية، عبّا بالأجمة والحرش، أي إن أشجار السنديان والشوح والبطم والملول، كانت تغطي تلالها والهضاب المحيطة بها. وكانت تلطّف المناخ وتحافظ على رطوبة الجو. إلا أن استمرار القطع على مرّ السنين للتدفئة وغيره قضى على معظم هذا الغطاء. كان آخرها بدايات السنوات الأولى من الحرب الأهلية، عندما هبّ الأهالي، نتيجة انقطاع مادة الكاز والغاز المنزلي وغلاء أسعارها، إلى قطع مساحات واسعة من (وعر البلدة) والمحيط في شلبعل ودمول وقلعة ميس، واستعمال أخشابها، في صناعة الفحم. ولا يقتصر ضرر التعدي على تغيير المناخ بل يتعداه إلى انجراف التربة وزحفها. وأصبح من النادر كيفما توجهت بنظرك، أن تجد غطاء شجريًّا. وجاءت خطوة البلدية بين (٢٠١٤م) و (٢٠١٨م) لتعيد بعضًا منه، بإقدامها على إعادة تشجير مساحات واسعة من مشاع البلدة، بأشجار الخرنوب والصنوبر والكينا. وتقدر المساحات المزروعة بـ(٣٠٠) دونم، فضلًا عن تشجير أرصفة الشوارع الرئيسة.

وتشمل المشاكل الناجمة عن التغيير في البيئة الطبيعية، من الاستعمال المفرط لأسمدة إخصاب التربة، ومبيدات الأعشاب والحشرات والفطريات الضارة. ويؤدي هذا إلى تضرر الثروة المائية أولًا، وانقراض العديد من قفران النحل والطيور البرية والحيونات ثانيًا. وكان تنظيف الأراضي الزراعية في البلدة يجري إمّا بترك المواشي ترعى فيها، أو بقيام الفلاح نفسه بحلشها بالمنجل، وإطعامها لمواشيه. إلا أنه مع إحجام الشباب عن الاهتمام بالأرض، وشيوع المواد الكيماوية، استسهل هؤلاء ومعظمهم أصبح متقدمًا بالعمر، رش حقولهم بهذه المواد التي تفتك بكل ما في الحقل من تنوع بيئي في فترة لا تتعدى الأسبوع. لا توجد حتى الآن إحصاءات دقيقة حول كمية المواد المستعملة، إلا أنه يمكن تقدير ذلك من خلال الكمية التي يحتاجها الدونم وهي ليتر ونصف، موزعة على مساحة الأراضي الزراعية وأغلبها

مزروعًا بالزيتون، قدرت عام (٢٠١١م) بـ(٩٣٠) دونمًا، يكون مجموع ما يستهلك في عبّا، (١٣٩٥) ليترًا. إن الاستمرار في استخدام الأدوية والتوسّع في ذلك سيؤدي إلى مخاطر صحية في حال عدم تطبيق ضوابط لهذه العملية ومراقبتها بصورة فعّالة.

إن ظاهرة التلوث لا تقتصر فقط على التعدي على قواعد الطبيعة وقوانينها، بل تشمل التعدي على المجال الطبيعي، وذلك بإقامة مصانع الحجارة والبلاط والرخام وغيرها من المشاغل مع كل ما تحمله من تشويه في المحيط المناخي من جراء الضجيج وما تلقيه من غبار ومخلفات صناعية، وهذا سببه عدم التقيد بشروط الترخيص، عمل البعض على إنشاء مؤسساتهم داخل التجمعات السكنية أو الانتشار عشوائيًّا على التلال. إن أفضل الحلول الملقاة على عاتق البلديات لحل مشكلة التلوث البيئي، هي تعزيز الوعي الذاتي بمخاطر التلوّث في المدارس وإقامة الندوات، وإبعاد الصناعات الملوثة للبيئة بعيدًا عن أماكن وجود السكان، وكبح الأساليب الملوثة للهواء والقيام بعمليات التشجير على نطاق واسع.

دور المؤسسات العامة والأهلية في عبّا في الحفاظ على البيئة وإعادة تأهيلها:

أظهرت نتائج دراسة خارطة أحوال المعيشة في لبنان، أن قضاء النبطية يأتي في المرتبة الثالثة عشرة بين أقضية لبنان في ترتيبهم حسب الدرجة المتدنية لإشباع حاجات السكان الأساسية[(١)]. وبحسب دراسة أعدتها محافظة النبطية صدرت عام (١٩٩٨م) تبيّن أن الجمعيات الأهلية ذات الصلة بالبيئة، يكاد دورها يكون منعدمًا. إذ تبين وجود (٩٥) جمعية موزعة على الشكل التالي: (٨٢) جمعية بين خيرية، اجتماعية، عائلية، ثقافية، تراثية، رياضية أي ما نسبته (٨٦,٣٪)، و(٣ فقط بيئية أي ما نسبته ٣,١٪) و(٢ زراعية ٢,١٪)، و(٨ إنمائية بنسبة ٨,٤٪)[(٢)]. وهذا ليس بكاف ولا يلبي الحاجات في قضاء يمتد على مساحة (٣٠٣) كلم^{٢}،

---

(١) وزارة الشؤون الاجتماعية، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، الخصائص السكانية والواقع الاقتصادي... ، مرجع سابق، ص٦٥.

(٢) محافظة النبطية، إدارة، جغرافيا، تراث، الصفحات ١٤٦ - ١٤٧ ١٤٨.

بلغ عدد سكانه (٩٢٣٦٣) نسمة بين عامي (١٩٩٤ - ١٩٩٦م)، وعدد المباني فيه (٢٢٨٣٩) مبنى، ويعتمد (٧٨٪) منها على الجور الصحية، وتصل شبكة المجاري إلى (٢٠٪) منها فقط[1].

ولمّا كان دور السلطة المركزية في مجال الحفاظ على البيئة مجزوءًا ومتنافرًا، ويتصف بعدم التنسيق بين الأجهزة الرسمية المعنية بأمور البيئة، وكان من الضروري اضطلاع البلديات بدور مانع للتلوث الغذائي البيئي، وفي أعمال الرقابة والتفتيش على المحلات التي لها علاقة بالصحة العامة لمراقبة مدى توافر الشروط الصحية فيها، والتأكد من مدى صلاحية ما تقدمه من غذاء. وفي سبيل ذلك، على البلديات أن تقوم بأخذ عينات بصفة دورية من جميع محلات بيع الأغذية للفحص بالمختبرات، وتنظيم دفاتر تفتيش للمحلات وخصوصًا المتعلقة بإنتاج المواد الغذائية وتداولها مع متابعة مستمرة لتنفيذ الملاحظات التي تدوّن فيها، ومتابعة مصادر مياه الشرب باستمرار وإجراء عمليات التعقيم اللازمة، وأخذ عينات للتحليل المخبري، ومكافحة الحشرات والذباب والقوارض بصفة مستمرة، ومراقبة نظافة الشوارع، وإيجاد تنسيق مع فروع وزارة الصحة عند حدوث حالات تسمم غذائي، متابعة أوضاع المباني قيد الإنشاء.

في ضوء الواقع المالي الراهن للبلديات، ومنها بلدية عبّا، والتعثّر الحاصل في تنفيذ المهمات، تبقى المخاطر والسلبيات المتأتية عن ضعف الوقاية تتعاظم وتنذر بتدهور شروط البيئة، وتفاقم الأوضاع الاجتماعية في البلدة نتيجة التقلص النسبي في مداخيل فئات واسعة من أبنائها. ومعها لن يصبح المجتمع العبّاوي الحديث في وضع يسمح له ببناء وعي ثقافي واجتماعي والتكيف مع الرؤية العالمية لمجتمع مستدام بيئيًّا وتنمويًّا.

---

(١) يراجع: وزارة الشؤون الاجتماعية، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، الخصائص السكانية والواقع الاقتصادي...، مرجع سابق، الصفحات ١٤-١٧- ٢٣- ٢٥.

بعض الاستنتاجات:

بعدما أصبح المجتمع العبّاوي واقعًا تحت تأثير الحداثة وهيمنة قوى السوق، والربح، والنمو الاقتصادي، ومعايير الرفاهية المتنامية، والنزعة الاستهلاكية غير المقيدة، أصبح غير عادل بيئيًّا واجتماعيًّا، وظهرت أولى النتائج بنوعية وكمية النفايات المنزلية، الناتجة عن حركته اليومية، وهي في أغلبها نفايات غذائية، لا قدرة للبلدية على الانفراد بحلّ دائم لها.

وأدى التقدم العمراني الذي عرفته البلدة بداية الخمسينات، وكان يتم دون تخطيط، إلى إحداث خلل بنيوي طال قطاعي الزراعة والبناء، وألحق ضررًا بالرقعة الزراعية الخصبة، وأزال بسببه زراعات غذائية ومساحات خضراء. وإرهاق للبنى التحتية، خاصة خدمات الصرف الصحي التي لا تزال تعتمد الجور الصحية بنسبة كبيرة جدًّا. فضلًا عن التلوث البصري، الناتج عن سوء التخطيط العمراني لبعض الأبنية.

إن ضعف الإمكانات البلدية، لا سيّما الجهاز الرقابي، أهمل متابعة التلوث الغذائي بالمبيدات، وزاد من المشاكل الناجمة عن التغيير في البيئة الطبيعية، بعدما غيّب دور الحيوان في الحفاظ على توازن البيئة الطبيعية. إن أفضل الحلول الملقاة على عاتق البلدية والجمعيات الأهلية هي تعزيز الوعي الذاتي بمخاطر التلوّث في المدارس وإقامة الندوات، وإبعاد الصناعات الملوثة للبيئة بعيدًا عن أماكن وجود السكان، وكبح الأساليب الملوثة للهواء والقيام بعمليات التشجير على نطاق واسع. وجميع هذه الحلول دونها صعوبات في ضوء الواقع المالي الراهن للبلدية، وتفاقم الأوضاع الاجتماعية في البلدة نتيجة التقلص النسبي في مداخيل فئات واسعة من أبنائها. ومعها لن يصبح المجتمع العبّاوي الحديث في وضع يسمح له ببناء وعي ثقافي واجتماعي والتكيف مع الرؤية العالمية لمجتمع مستدام بيئيًّا وتنمويًّا.

الفصل الثالث:

ملامح الحياة الأسرية والاجتماعية والتبدلات البنيوية في عبّا

مقومات الحياة الاجتماعية والأسرية ودور الأندية والجمعيات الأهلية:

يرى ابن خلدون أن الإنسان اجتماعي بطبعه، لا يستطيع العيش بمفرده، لكونه عاجزًا عن توفير أقل احتياجاته، مهما توفرت له سبل الراحة والرفاهية[1]. ولأن الحياة الاجتماعية والأسرية هي جانب من حياة الإنسان لا يمكن تجاوزها، فقد خُلق الأنسان محبًّا للاختلاط مع غيره من بني البشر. يرتبط بغيره بعلاقات عمل أو صداقة تحكمها ضوابط ونظم اجتماعية، تُعَدّ ركنًا أساسيًّا في تكوين المجتمع. هذه الضوابط النظم تتوزع بين سلطة الدين والدولة على السواء، ومنهما استمد النظام الاجتماعي في عبّا بدرجة نسبية دوام الاستمرار. واتخذ خلال فترة من الزمن نسقًا خاصًّا معترفًا به وموافقًا عليه، ووصل إلى مرحلة القبول بصفة عامة. هذا النسق كان قائمًا على طبقة اجتماعية، الحضور الأول والفاعل فيها هو لرجل الدين، من ثم يليه بدرجات، المختار والناطور والوجهاء، وقاطر الحاشية والمعلّم وحامل السنجق والطبل والنافخ بالمجوز وراعي العجّال.

حتى في الفترات السابقة التي لم يكن فيها لرجل الدين حضور جسدي في البلدة، كان من يلجؤون إليه من البلدات المجاورة، يمثل سلطة دينية، له دور محوري في

(١) يراجع: مقدمة ابن خلدون، الفصل الأول، من الكتاب الأول «في العمران البشري على الجملة وفيه مقدمات» الطبعة السادسة ١٩٨٦م، دار القلم - بيروت، الصفحات ٤٠-٤١-٤٢-٤٣.

إقامة المسجد، وفي توجيه الناس إلى أمور دينهم، والحكم بينهم في أمور كثيرة، وعقد الزواج وحالات الطلاق النادرة، وصولًا إلى الصلاة على أمواتهم. لذا كانوا يتنافسون في نيل ودّه ورضاه، سواء في وهبه قسمًا من أراضيهم، أو بعض غلالها أو في خدمة زوجته وأولاده[1]. دور استمده رجل الدين من نظرة المجتمع إليه، باعتباره المفكّر والمرشد والواعظ والمنفتح على الأفق الأوسع، العارف بالأبعاد الإنسانية للفقه، القادر على تحريك الفكرة والحكمة نحو دين منفتح على الآخر.

في عبّا لم يكن ازدياد عدد رجال الدين خلال عقود قليلة (تسعة معممين وثلاثة ما زالوا طلبة علم) استجابة لفوضى في المجتمع العبّاوي أو قصور في الوعي الجمعي لديهم. وليس بالضرورة رغبة من رجال الدين أن يعتاشوا على عطايا وهبات الناس من خلال التأثير على إيمانهم. لكن من المؤكد أن وجودهم بهذه الكيفية، وفي صدارة التراتب الاجتماعي، مردّه إلى أن التديّن هو غريزة ملازمة للإنسان، وسبب وجوده. دائما ينتابه شعور بالنقص وعدم الكمال ممّا يجعل إحساسه المستمرّ بالانتماء، يضغط عليه. وكانت أدوار بقية هذه الطبقة تتوزع كل بحسب المؤهلات الشخصية والمكانة العائلية لهؤلاء.

في عبّا لم تكن هذه المعادلة حالة استثنائية مقارنة مع مجتمع آخر، بل تكونت من خلال السلوك الجمعي وانتقلت إلى عامة الناس، آخر السلّم الاجتماعي، جيل بعد آخر. على الرغم من غياب الدولة شبه التام، لم تكن الحياة الاجتماعية متفلّتة بل كانت تحكمها اعراف وضوابط يرضح لها الجميع بالقبول أو بالإكراه ويتولى

(١) «أمّا المختار فيمثل السلطة الزمنية، ينتخب غالبًا بالتنافس، ونادرًا بالتوافق، سلطته مطلقة، وبخاصة إذا كان مؤهلًا للقيادة. بيده إبرام عقود البيع والشراء أو إبطالها، وتثبيت الملكية أو نزعها، والتصديق على حالات الولادة والوفاة، وله دور كبير في حلّ النزاعات أو ذرّ قرنها، وفي ترؤس الوفود لإستقبال كبار ضيوف الضيعة وزوّارها وكل ما يتعلق بشؤون الناس. ثم الناطور الذي يعينه المختار بالتوافق مع رجل الدين والوجهاء، والناطور قد لا يحترمه الناس لكنّهم يخشونه ويخافون منه. مهمته حماية أملاك الناس من بعضهم، ومنع راعي العجّال أو الرعاة الآخرين من الرعي في أملاك الخاصة أو محميات متفق عليها. سلاحه كرباج من غرغول العجل أي عضوه الذكري. ثم يأتي دور الوجهاء، والمعلّم المنفرد وحامل السنجق والطبل وقاطر الحاشية والنافخ بالمجوز تلك الآلة التي تصاحب حلقات الدبكة والمناسبات العامة، وراعي العجّال، ومن ثم عامة الناس» فايز ترحيني: دائرة الشوك حكاية الولد ...، مرجع سابق، الصفحات ٢١- ٢٢.

تنفيذها بعض المتنفذين[1]. على العموم، فإن هذه النظم رغم تميزها باستقرارها نتيجة دوامها فترة طويلة من الزمن لم تتحول إلى ما يشبه الطقوس، ولم تستطع لاحقًا أن تصبح عصية على التغير. فبعدما كان المختار، ليس في عبّا فقط، بحسب الصلاحيات التي أولاها إليه القانون يرعى كل الشؤون الإدارية والقضائية للبلدة، وضابطًا عدليًّا، والملجأ الأول وقت النزاعات. والناطور الساهر على تنفيذ الأنظمة التي تصدرها السلطات المحلية ورؤساء البلديات، وضابط العدل وشكواه قائمة في السرايا. والوجهاء، سادة القوم والرأي ومن ذوات القيمة والقبول. والمعلّم باعتباره ممثلًا للثقافة المجتمعية، الذي كاد أن يكون رسولًا. وراعي العجّال السيد المُطاع. كذلك قاطر الحاشية، وحامل السنجق والطبل، والنافخ بالمجوز. أتى على جميع هؤلاء التغير الاجتماعي ببناه الجديدة، وأحدث تحولات جوهرية في وظيفة بعضهم ومقامه، وألغى وجود البعض الآخر، إلا من ذاكرة من عايشهم. هذا التحوّل هو شكل من أشكال التفاعلات الإنسانية، على مستوى العادات والقيم والمعايير، حتى لو كان بعضها ما زال بحمى النظم والقوانين. بعبارة أخرى التغير الاجتماعي عملية حتمية تطرأ على البناء والأنساق الاجتماعية، مترافقة مع تحولات في البنى الاقتصادية والسياسية وكافة الجوانب المادية والمعنوية.

تميز العصر الحاضر بتغيرات اجتماعية كثيرة في مناحي الحياة المختلفة. ولا شك في أن الأسرة أصابها الكثير من هذا التغير. باعتبار أن التغير الاجتماعي الذي يحدث في النسق الكلي أي المجتمع، يمس بالدرجة الأولى نسق الأسرة، بصفته النسق الأساسي الذي يتأثر بمختلف التغيرات. والمرأة العبّاوية أحد أركان هذا النسق، أتى عليها التغير كربّة أسرة، فطال شكل عملها من دون أن يمس الجوهر. وفي كلا الحالتين لم تكن مستقرة في البيت تُعنى بأولادها وزوجها فقط، بل كانت تشارك الرجل «حين تذهب إلى عمل آخر، عندما تكون ملزمة بأن تأتي بالحشيش أو التبن اللازم لإطعام الحيوانات التي ستأتي بعد الظهر من العجّال، دون أن ننسى، أن شك أوراق التبغ وعمل البيت ينتظرها. وعمل البيت لا يقتصر على العناية

(١) فايز ترحيني: دائرة الشوك حكاية الولد...، مرجع سابق ٢٠١٨م، ص١٩.

بالأطفال، بل يشمل الطبخ والغسل وتنظيف المنزل والزريبة ونقل السواد، أي خثي الحيوانات إلى الحقل، ولطع الخذير وغير ذلك»[١]. وهي الآن، ما زالت تخرج. إنما استجابة لعوامل عدة استجدّت، كالعامل الجغرافي والسكاني والبيولوجي والإيديولوجي والتصنيع والتكنولوجيا، والأشكال المتعددة للتحضّر. وبذلك أصبح لزامًا على المرأة أن تقوم بذات الأعمال التي يقوم بها الرجل، ممّا أدى إلى توزيع طاقاتها واهتماماتها بين الأسرة والعمل. وهذا تحول واضح في دور الأم ووظيفتها داخل الأسرة أصبح معه القيام بمهام المنزل من الأعمال الثانوية بالنسبة للزوجة. وبعد أن كان عملًا مضافًا، أصبح من مهام الخدم، ومعنى هذا أن الأسرة فقدت الكثير من وظائفها السابقة، بعد أن أصبحت المرأة العبّاوية تأخذ فرصًا متناوبة مع الرجال في مجالات التعليم والإدارة والتمريض والمختبر، وعلوم الكيمياء والفيزياء والرياضيات والأدب والشعر والرسم وإحياء الشعائر الدينية[٢]. وهذا ما نتج عنه تراجع في الرباط الاجتماعي، واتخذ شكل الأسرة النمط المدنيّ، وأصبح للمرأة مسؤولية مزدوجة فهي مسؤولة عن البيت وتشارك في ميزانيـة. غير أن تمتعها بهذه الخاصية، سبب الكثير من الخلـل في الأسرة من حيث تماسكها ووظيفتها، وأحدث تأزّمًا في العلاقة بين الزوج وزوجته، بسبب الشعور أحيانًا بالفارق في المستوى الثقافي والاجتماعي، والتهرّب من المسؤولية حينًا آخر. مع ذلك بقيت عبّا بلدة غير مأزومة اجتماعيًّا، يسودها الهدوء الأسري.

وفرض التغير الذي أحدثتـه الظروف الاقتصادية والاجتماعية، وارتفاع مستوى الطموح بالنسبة لما يرجوه الآباء لأبنائهم، إيقاعه على الأسرة العبّاوية وعلى القيم الثقافية المرتبطة ببناء الأسرة. وفي هذه الحالة لـم يعد الهـدف إنجاب أي عدد من الأطفال، إنما إنجاب عدد معين، يستطيع الأب، أن يصل بهم إلى مسـتوى لائق من الناحية الاجتماعية، وهكذا تغيّر حجم الأسرة من أكبر أشكالها المعروفة إلى أشكال أصغر فأصغر. واستتبع هذا الأمر تغيرٌ في نمط تربية الأبنـاء بحيث أصبح

(١) فايز ترحيني دائرة الشوك، حكاية الولد...، مرجع سابق ص١٣.

(٢) اعتمدت هذه التصنيفات بناء على احصاءات أجراها المؤلف.

الآباء يعيشون بقيمهم وعاداتهم وأفكارهم بعيدين عن أبنائهم الذين يكونون الجيل الجديد ويعيشون عادات وقيمًا جديدة. وهكذا بتنا نرى أشكالًا من الصراع الفكري، إحدى مظاهره ثورة الجديد على القديم، ووصم القديم للجديد بأنه حالة تحرر، وابتعاد عن قيم المجتمع.

الجمعيات الأهلية: يعد الاستقرار الاجتماعي من أهم الأهداف التي يسعى إلى تحقيقها مجتمع معين وذلك لضرورة العيش السليم، ومن المعلوم أن الضغوط التي تواجه الإنسان في حياته غير اعتيادية، ما فرض على المجتمعات الإنسانية بأشكالها المعاصرة تبني الدعوة لتكوين وإنشاء الجمعيات والمؤسسات الخيرية والأهلية لتؤدي أدوارًا إنسانية اجتماعية داعمة. هذا النوع من الجمعيات عرفته عبّا طوال فترة تاريخها الطويل، مثال على ذلك رابطة أبناء علي حسين التي ضمت في هيئتها الإدارية كل من: إسماعيل موسى ترحيني رئيساً، عبد الحليم محمد ترحيني نائباً للرئيس، نجيب يوسف ترحيني أميناً للسر، يوسف علي حسين ترحيني أميناً للصندوق، حسين عبدو ترحيني محاسباً، والسيدان شريف إسماعيل وحسن أحمد ترحيني عضوان فخريان[1]. إلا مؤخرًا بعضها رسمي بعلم وخبر إداري، والبعض الآخر كان على شكل مبادرات فردية لم تسعَ لنيل الشكل القانوني. وكان سبق هذه الجمعيات أن ساد في المجتمع العبّاوي بحكم الفطرة الإنسانية، شكلٌ من أشكال التضامن والتكافل ومدّ يد العون للمحتاج، على أن يبقى ذلك سرًّا لا يتجاوز اثنين، حفاظًا على شعور المستدين ومكانته، يقول شريف عبد اللّه جواد « أذكر جيدًا واقعة ما زلت أذكرها جيدًا، وهي أن السيد وهبي يونس، كان يعمل جمّالًا، احتاج مبلغًا من المال، فما كان منه إلا أن طلبه من السيد خليل يونس هارون، الذي أبدى رغبة في إجابة طلبه، وقال له: (تكرم هلّق بس تحلّ من الحقلة بحطلك هنّ عمفرق طريق تحت حجر). وهكذا كان من دون أي مستند بين دائن ومدين»[2]. وتميزت العلاقات بين أهل البلدة بالطيبة والعفوية والألفة سواء بالأحزان أو الأفراح، ويعبّر

(١) جريدة الأنوار، العدد ٣٠٤٢، الجمعة ١٨ نيسان ١٩٦٩، ص ١١.

(٢) مقابلة مع شريف عبد اللّه جوادخليل، مرجع سابق.

عن هذه العلاقات بالتكفّل. أحد أشكاله، تكفّل أهل البلدة أولاد علي محسن قاووق عندما توفي، وهو في ريعان شبابه[١]. وأحيانًا أخرى بالمروءة. يقول محمود معلّم « إن والده كان يسارع إلى مساعدة المحتاجين من أبناء البلدة، كأن يذبح ما عنده من ماشية لاطعامهم. ويروى أن أعرابيًّا قصد جدّه) علي معلّم) طالبًا منه دينًا لأجل، وبما أنه يجهل الكتابة أعطاه ما أراد، لكنّ الأعرابي ترك عنده شعرة من لحيته على سبيل الأمانة، وعاد الأعرابي إلى قبيلته وأخبرهم بما حدث معه فما كان من أحد أفراد القبيلة إلا أن قصد (علي معلّم) عارضًا عليه كامل شعر لحيته لقاء إقراضه المال فرفض قائلًا له: (هذا معط مش من يسدّ)»[٢].

ظلّ المجتمع العباوي يتّسم بالمحافظة على القيم الاجتماعية والدينية والأخلاقية والتفاعل، ومظاهره تجلت في غير مناسبة، وظرف طارئ. غير أنه مع انفتاحه على ثقافات مختلفة، كان تعبيره عن القيم وتمسكه بها، يعتمد أسلوبًا كوميديًّا بالشكل، اعتراضيًّا على واقع متردٍّ بالمضمون. فقد تنادى في ثمانينات القرن الماضي عدد من رجالات البلدة إلى إطلاق جمعية سمّوها جمعية الحمير، تقليدًا لجمعية الحمير المصرية[٣]، وكان الهدف منها في عبّا نشر الوعي السياسي للوقوف بوجه الزعماء الذين طال سكوتهم على الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية، واعتراضًا على واقع الشباب العبّاوي الذي ارتضى له الزعماء بمهنة العِتالة ومسح الأحذية وحِمالة السلل في سوق الخضار، يوم نزلوا للعمل في بيروت. وكانت التحية بينهم تؤدى بأن يقوم العضو في الجمعية بضم راحة يده وطرقها على صدره[٤]. وعمد هؤلاء إلى توزيع بطاقات عضوية لمن يريد الانتساب للجمعية، تضمنت عبارات

(١) مقابلة مع سعيد إبراهيم يونس، مرجع سابق.

(٢) مقابلة مع محمود معلّم، مرجع سابق.

(٣) تأسست في عهد الملك فؤاد من اجل اعادة فتح معهد الفنون المسرحية الذي اغلقه تجاوبا مع نصيحة بريطانية بأن ذلك المعهد يشكل خطرًا على حكمه. وانتقلت إلى لبنان بمسعى من المخرج المسرحي علي الزين.

(٤) انضم عدد غير قليل من أبناء البلدة إلى جمعية الحمير، نتحفظ عن ذكر أسمائهم ومنحوا بطاقات عضوية،وثيقة رقم(٣٥).

ذات أبعاد ودلالات اجتماعية، اقتصادية، سياسية، من مثل جمعية الحمير شعارنا السلام، لسان أخرس أفضل من لسان ناطق بالكذب. المؤهلات، بياكل وبيشرب ما بخون صاحبه، بداية مصدرها من حرب لبنان، الجمعية جمعية إنسان بس الاسم باسم حيوان لو تعرف مين الحمار حمار اللي دمّر لبنان، وأخيرًا صنّف نفسك كما تشاء. واتخذت الجمعية من رسم الحمار ختمًا للتوقيع. لم تحقق الجمعية أدنى مطلب لها، سوى تسجيل موقف اعتراض ورفض للواقع، ومن ثمّ لم تدم طويلًا وانفرط عقدها بوفاة أعضائها الواحد تلو الآخر.

بالموازاة كان هناك تعبير آخر عن حراك اجتماعي ظهر أيضًا في ثمانينات القرن الماضي، عندما أسس إبراهيم توفيق ترحيني فرعًا في عبّا للحركة الاجتماعية نفذت بعض المشاريع التنموية مثل: دورات لمحو الأمية - غرس الأشجار- مكتبة عامة في حسينية الإمام الباقر في الساحة العامة، تأمين منح دراسية لطلاّب البلدة لمن يودون إكمال دراستهم في الجامعات خارج لبنان وكانت وجهة المنحة إلى الجزائر. وكان للحركة سلسلة نشاطات اجتماعية منها عام (١٩٦٥م) عندما نظمت استقبالًا جماهيريًّا في ساحة البلدة لمحافظ الجنوب هنري لحود بمناسبة الاحتفال السنوي للحركة، واستقبال آخر مماثل عام (١٩٦٦م) للمطران غريغور حداد[١]. يذكر أن إبراهيم توفيق تبوأ منصب أمين عام اتحاد الفلاحين اللبنانيين[٢]. وفي الشأن السياسي، برزت جمعية نادي الاتحاد، وانحصر نشاطها بالجانب الثقافي والديني التوعوي والتحشيد للانتساب لأفواج المقاومة اللبنانية (أمل). وكان مقر الجمعية في مبنى الحسينية القديمة التي أصبحت في الوقت نفسه مركز إيواء لعناصر أمل، في أثناء تصديهم لهجمات الشيوعيين على البلدة، وكانت الجمعية بإشراف محمود حسن يونس (أبو حسن) وتنسيقه بعد أن ترك حزب البعث العراقي

(١) ينظر مجموعة صور رقم (٢٤).

(٢) جريدة الأنوار، تاريخ السبت ٨ أيلول ١٩٧٩. وفي السياق يذكر أن إبراهيم توفيق بصفته أميناً عاماً تابع عن كثب أوضاع الفلاحين وللغاية نظم بين ١١ و١٥ أيلول مؤتمراً سنوياً لاتحاد الفلاحين حضره ٢٠٠ مندوب من مختلف المناطق اللبنانية بالإضافة إلى ممثلين عن ١٣ منظمة فلاحية وعمالية من الدول العربية، وذلك برعاية ممثل رئيس الحكومة ناظم القادري.

عام (١٩٨٧م)[١]. وكانت تلك أول جمعية في عبّا تتعاطى الشأن السياسي، كفصيل داعم لحركة أمل.

وبهدف تحسين أوضاع البلدة الاقتصادية والاجتماعية والعمل على تنمية وتطوير الزراعة وإنتاجها وتسويقها والعناية بالتربية واستعمال الوسائل والأدوات اللازمة، وتنمية كافة القطاعات المكملة للزراعة من مواشي ودواجن ونحل والعمل بكافة الوسائل الممكنة للحفاظ على البيئة، أنشأت الجمعية التعاونية الزراعية العامة في عبّا، بعد نيلها الترخيص القانوني بالقرار رقم (٦٥/ ١ ق) الصادر بتاريخ (٢/ ٣/ ١٩٨٢م) الصادر عن وزير الاسكان والتعاونيات. حيث إن الجمعية لم تقم بأي نشاط يذكر، صدر قرار بحلّها، وعيّن مصفّيًا لها، وفق الصلاحيات اللازمة لإجراء التصفية[٢]. ومثلها في العام (٢٠٠٢م)، وتخليدًا لذكرى الشهيد حسام، أنشأت باسمه مؤسسة اجتماعية خيرية، بهدف العمل على إنشاء مراكز اجتماعية وتربوية وصحية وإدارتها لأجل تطوير الأوضاع الصحية والتربوية والثقافية والزراعية وإنمائها في البلدة وتسهيل تقديم الخدمات والمساعدات والتوجيه والإرشاد. والمؤسسون لهذه الجمعية: أكرم محسن ترحيني، محمد سلمان ترحيني، وسام محسن ترحيني، نسرين فضل العباس حريري أنور محسن ترحيني، زكي حسين ترحيني، كاتيه مصطفى سرحان، ممثل الجمعية تجاه الحكومة أكرم محسن ترحيني. من أعمالها مكتبة عامة تحوي العديد من المؤلفات تبرع بعدد منها العلاّمة السيد محمد ترحيني[٣].

وكانت الجمعية الثقافية والاجتماعية في بلدة عبّا السبّاقة في سعيها لإنشاء مؤسسات تربوية تعنى بالتعليم المهني والتربوي الأكاديمي وتأمين وتشجيع الخدمات الاجتماعية والعلمية والثقافية وإعانة المحتاج من أبناء البلدة واغاثته. والمؤسسون لها: عباس محمد علي ذياب، هاشم سليم ترحيني، إبراهيم محمود

---

(١) مقابلة مع السيد علي مهدي عقيل ترحيني، مرجع سابق.

(٢) قرار رقم ٩٧تاريخ ٨/ ٥/ ١٩٩٨م، الجريدة الرسمية العدد ٢٦، تاريخ ١١/ ٦/ ١٩٩٨م، ص٢٦٣٧.

(٣) علم وخبر رقم ١٥٠تاريخ: ٣١/ ١٠/ ٢٠٠٢م، عدد الجريدة الرسمية: ٦٢تاريخ ١٤/ ١١/ ٢٠٠٢م، الصفحات: ٧١٠٤-٧١٠٥

ذياب، حسين عادل عز الدين، ممثل الجمعية تجاه الحكومة عباس محمد علي ذياب[١]. وكانت أولى ثمارها افتتاح المعهد الفني التقني في مدينة النبطية.

وجمعية الرحمة الخيرية التعليمية في بلدة عبّا وغايتها الأعمال الخيرية والاجتماعية في الحقول كافة وعلى الأصعدة كلها بما في ذلك التوعية الصحية ومساعدة الفقراء والمعوزين وتأمين الدواء والكتب والمنح المدرسية والجامعية مجانًا. والعمل على فتح مدارس خاصة. وتقديم مساعدات للطلاب المتفوقين ونشر التعليم لغايات غير ذات كسب. المؤسسون لها فدواة محمد سعد، زينب منيف ترحيني، علي محمد سلامي، حيدر محمد عميص، حسين علي عميص، رائد علي يتيم، ممثل الجمعية تجاه الحكومة محمد علي سلامي. وكان أول أعمالها افتتاح مدرسة التنشئة الوطنية لمراحل التعليم الأساسي والمتوسط[٢].

جمعية خير البرية الثقافية والاجتماعية في عبّا تأسّست عام (٢٠٠٦م)، كان الهدف من إنشائها إعطاء الشأن الصحي والبيئي في المنطقة الأولوية، والقيام بكافة الأعمال الخيرية والإنسانية والاجتماعية، وإعطاء منح أو قروض دراسية للطلاب وتشجيع المتفوقين وفي المجالات الاجتماعية والخدمة العامة. والمؤسسون لها: علياء عباس، علي الهزيم، انتصار حسين صالح، هشام حسن حجيج، شفيقة محمد ترحيني، فاطمة حيدر بدير، علي محمد عويدل، ممثل الجمعية تجاه الحكومة شفيقة محمد ترحيني. إلا أنه وبناء على الاستدعاء المسجل لدى المديرية الإدارية المشتركة والمتعلق بطلب سحب بيان العلم والخبر للجمعية المذكورة الصادر عن الهيئة العامة أصولًا، تم سحب البيان بموجب القرار رقم (٨٤٧) تاريخ (١٥/ ٠٥/ ٢٠١٤م)[٣].

---

(١) علم وخبر رقم ١٤٩تاريخ ٢٧/ ٠٩/ ٢٠٠٣م، الجريدة الرسمية العدد ٤٦ تاريخ ٠٢/ ١٠/ ٢٠٠٣م، الصفحات ٥٣٣٢-٥٣٣٣.

(٢) علم وخبر رقم١٦٠، تاريخ٢٤/ ٠٨/ ٢٠٠٥م، الجريدة الرسمية العدد ٣٨، تاريخ ٠١/ ٠٩/ ٢٠٠٥م، الصفحات ٤٣٦٣ - ٤٣٦٤.

(٣) علم وخبر رقم ٣٥٦ تاريخ ١١ / ٠٧/ ٢٠٠٦م، الجريدة الرسمية العدد ٣٧، تاريخ ٢٧/ ٠٧/ ٢٠٠٦م، الصفحات ٤٢٩٦- ٤٢٩٨.

ونادي عبّا الثقافي والاجتماعي من مؤسسيه يوسف حسن إبراهيم، علي حسين محمد (آل حمود) محمود يوسف، حسن سعيد إبراهيم يونس، محمد حسن ترحيني وغيرهم. والنادي عبارة تجمع للشباب الجامعي وهوغير مرخّص استمر بنشاطه لأربع سنوات قام خلالها بحملات تشجير وأصدر دليل هاتف وأقام مهرجانات غنائية وفلكلورية وزجل. كذلك رابطة التعاون والإنماء وهي جمعية زراعية أحد مؤسّسيها مهدي عبد الرسول ترحيني.

هكذا نشأ المجتمع العبّاوي على مقومات حياة اجتماعية وأسرية وبرهن على أنه جماعة اجتماعية امتازت بمكان إقامة مشترك وتعاون اقتصادي، ووظيفة تكاثرية تتفاعل معًا، وفقًا لأدوار اجتماعية محددة. ويحافظون على نمط ثقافي معين مستمد من نظم تلقائية نشأت دون قصد أو وعي، إنما استجابة لقيم متصلة بالدين.

الأنشطة الرياضية: بدأت الأنشطة الرياضية في عبّا لا سيما كرة القدم في مرحلة متأخرة، وكانت انطلاقتها مطلع التسعينات من القرن الماضي، عندما شكّل مجموعة من الشباب نواة فريق لكرة القدم، سمّوه الفجر. وضمّت المجموعة كل من: حمزه دياب، صبحي أحمد صالح ترحيني، محمود الماروني، إسماعيل يونس، مكرم محسن عبدو ترحيني، خليل حريري، حسن حريري (خردق) عماد عبد الهادي ترحيني وشقيقه جهاد، علي عاطف نور الدين وشقيقه فضل وآخرين. وجميعهم كانوا منخرطين في صفوف حركة أمل أو مؤيدين لها. وجعل هؤلاء من قطعة أرض في محلّة الوطى استأجروها من أحد أهالي بلدة الدوير، بجهودهم الشخصية ودعم البعض من أهالي البلدة، ملعبًا للفريق. خاض فريق الفجر خارج عبّا عدّة مباريات مع فِرق رياضية من بلدات: جبشيت، حاروف، القصيبة، وبريقع (فاز عليها الفريق وأخرجها من الدوري) الدوير، الشرقية، أنصار، النبطية الفوقا، كفرتبنيت، زوطر، كفررمان، كفرصير، قاعقعية الجسر سير الغربية. حتى العام (١٩٩١م) كان الفريق لا يزال يتابع نشاطه الرياضي، وتوّجه بماراتون انطلق من الساحة العامة حتى أطراف بلدة جبشيت ذهابًا وإيابًا. وفي موازاة فريق الفجر، أطلق مجموعة أخرى من الشباب أغلبهم ينتمي إلى حزب اللّه فريق سمّوه الاتحاد،

وضمّ كل من: حسين قاسم ترحيني، فادي هارون، علي حطيط من الدوير وآخرين، وانضمّ إليه من فريق الفجر لأسباب إدارية كل من: إسماعيل يونس علي عاطف نور الدين وشقيقه فضل. تميّز فريق الفجر بتأييد جماهيري واسع، لم يحظَ به فريق الاتحاد الذي كان أغلب لاعبيه غير مهتمين بسبب انشغالهم بأعمالهم الخاصة.

في العام (١٩٨٥م)، أدّت الخلافات الإدارية بين أعضاء فريق الفجر، إلى إطلاق فريق ثالث سمّوه فريق أمل الفجر ضمّ مجموعة من الناشئين أمثال: فيصل هارون، محمد علي معلّم، وليد نجيب ترحيني. وكان إطلاقه بمنزلة فورة رياضية. إلا أن نشاطه توقف نهايات العام (١٩٩٩م)، ثم عاد حزب اللّه وفعّل نشاطه داخليًّا وخارجيًّا.

في العام (١٩٩٣م) أُطلق فريق الرسالة الرياضي، وتوالى على إدارته كل من: يوسف رضا ترحيني، حمزه دياب، حسين علي نجيب ترحيني وليد نجيب يوسف ترحيني، عماد سعيد ترحيني، وما زال لغاية الآن، إنما غير نشط. تميّز فريق الرسالة بحرفية بعض لاعبيه، وخاض دورات عديدة لا سيّما افتتاحية مع فريق نادي التضامن - صور، ومع فرق من: القصيبة، أنصار، سيناي، قعقعية الجسر، النبطية. حتى إن لاعبين من نادي النجمة والأنصار، كانوا يلعبون مع الفريق. يعود سبب تراجع الفريق وتجميد نشاطه لعدم توفر الدعم المادي له، وكان ذلك سببًا لبقائه غير مصنّف ومرخّص. استمر فريق الرسالة حتى العام (٢٠٠٦م). في هذه الأثناء أطلق محمد معلم وكاظم قاووق فريق الشعاع الذي استمر (٣) سنوات فقط، ولم يصل إلى مستوى فريق الرسالة. عاد كاظم قاووق وأطلق فريق الصفا بالتعاون مع حسن عبد الرسول ترحيني ومجموعة من اللاعبين واستعانوا بمدرب محترف يدعى أبو مهدي.

وعرفت مرحلة ما بعد العام (٢٠٠٠م) نشوء فرق عديدة منها: (offside 1) برئاسة حسن رضا و(offside 2) برئاسة خليل حريري، فريق (Express) برئاسة علي عميص (أبو عباس)، فريق المحبة ثم فريق شباب عبّا برئاسة أيوب علي خليل ترحيني، فريق الدفاع المدني برئاسة هيثم محمود ترحيني، فريق الدكتور

قاسم محمد أحمد ترحيني، فريق القلعة بقيادة جواد نعمة ترحيني وإبراهيم فادي ترحيني، فريق (fantastic) برئاسة أحمد محمد ترحيني (دركي) وحسن محمد يونس(الشاعر)، ثم فريق حملة الحوراء.

يوجد في عبّا حوالي (٨٥) لاعب كرة قدم بمستوى محلي متفاوت خمسة منهم، يمكن ان يصلوا إلى مستوى محترفين. وهناك جيل جديد واعد دون سن الـ(١٧) يتابع دورات تدريب في معاهد وأكاديميات رياضية تابعة لأندية النجمة والعهد، وهذا دليل على وجود حسّ وطاقات رياضة. إلا أن هذه الاندفاعة نحو النشاطات الرياضية لم ترقَ إلى مرحلة الاحتضان وبقيت غير متبناة، وبقيت جميع الفرق الرياضية في حدود عشرة لاعبين بالإضافة إلى حارس مرمى أي إنها فرق صغيرة (ميني فتبول) نشاطاتها داخلية، ملاعبها ترابية، تحول الخلافات الشخصية بين أعضاء الفرق من دون تأسيس نادٍ، ومن ثمّ جميع الفرق الرياضية في عبّا غير مرخّصة ولا تحمل اسم نادي لكن بعض اللاعبين يتمتعون بمهارات تؤهلهم لأن يكونوا مصنفين.

ما تحتاجه عبّا اليوم فريق رسمي مرخّص بإدارة البلدية ورعايتها، لا سيما أن اللجنة الرياضية فيها أنجزت نشاطًا ملحوظا[1] على غير مستوى ما بين عامي (٢٠١٦ ـ ٢٠١٧م) تمثّل بـ:

- تنظيم ماراتون رياضي للفئات العمرية بين (١٠ـ١٥) و(١٥ـ ٣٥) و(٣٥ وما فوق) حاز بنهايته المركز الأول محمد حرب.
- صيف (٢٠١٧م) تنظيم دورات رياضية على مستوى البلدة للفئات العمرية (١٥ـ٢٧) ودورة للفئات العمرية من (٤٥ـ ٥٠)
- تنظيم يوم رياضي لكل لاعبي كرة القدم القدامى.
- إقامة عشاء قروي، تضمّن مباراة في (الكباش) ـ (الغطس) ـ (رفع العمدة)

(١) للاطلاع على الأنشطة، يراجع ملحق الصور نماذج رقم (٢٥).

- (اسكتشات فكاهية) من تنظيم كشّافة الرسالة الإسلامية وكشّافة الإمام المهدي (إلقاء قصائد) - (مقاطع تمثيلية) قدّمها الممثل الشاب حسين قاووق (طبخ تراثي) - (حلويات عربية).

- ٢٠١٧- ٢٠١٨م تنظيم دورة كرة قدم محلية، استهل الافتتاح بمباراة بين فريقي الأنصار والنجمة وحضرها المعلق الرياضي العالمي حسين ياسين ومحمود ترحيني وكريم سعد.
- تنظيم ماراتون رياضي أقل مستوى من الماراتون الأول.
- إقامة عشاء قروي تميز عن الأول بتنوع نشاطاته منها مسرحية أدى فيها كل من الممثل حسين قاووق ومحمد شمص دورًا مميزًا.

السهرات العائلية - الحكايا والأساطير الشعبية:

أكّد الإسلام وجوب التراحم والتواصل بين الأقارب والجيران، وحثّ على بناء العلاقات الطيِّبة من خلال الزيارات الوديّة بعيدًا عن المُجاملة. على هذه القاعدة بنى المجتمع العبّاوي علاقاته بعضها ببعض. وكانت «البساطة والعفوية والطيبة والألفة صفات تحلّى بها عموم رجالات ونسوة عبّا، وكان تبادل الزيارات وجلسات السمر، لا تنقطع أبـدًا»[1]. ولأن الحياة الاجتماعية تتطلب دخول البيوت وترتبط بمعرفة الأسرار والخصوصِّيات، كان لا بد من بناء علاقات مع الذين يصونون ويحترمون أسرار الآخرين. «وكانت بيوت الضيعة متقاربة، في ليالي الشتاء، يجتمع الجيران في منزل، وكان بعضهم يصطحب أطفاله أو أحفاده للاستماع إلى حكاياتٍ وقصص ونوادر، يقول سعيد إبراهيم يونس (أبو محمد)

(١) مقابلة مع شريف عبد اللّه، مرجع سابق. ويروي خليل توفيق (أبو بشار)» وكانت السهرات عند حسن خليل أبو دلا عامرة إذ كان الوحيد الذي يسقي الزهورات والشاي مع الكعك .كان حسن عبد اللّه سلامة يحصد في الدرجة، مرّ عليه رجل من بلدة الدوير وأخبره بأنه زار السيد حسن خليل في داره في عبا وضيفه شاي أحمر نقي مدونة العرايس، العدد الأوّل، ١٥ شباط ٢٠١٦م، الموقع الإلكتروني .al3arayess.blogspot.com

«كنّا نحن الصغار نحشر رؤوسنا بينهم لما في ذلك من لذَّة واستمتاع»[١]. وكان الجميع يتحلق حول موقد اتخذ مؤنته من أقراص الزِّبل الجَّافة، وهي روث البقر مزجت ببعضٍ من التبن العُوْر النَّاعم، ومن عصاعيص الذُّرة الصفراء أي العرانيس بعد أن أُخذت حبيباتها. «وتُقفل الغرفة بابها ونافذتها وطاقتها مخافة أن يتسرَّب البَرْد أو البَرَد إلى الداخل، فيعبق فيها الدُّخان النّاَتجُ عن الاشتعال وإنارة الفانوس الشاحبة، أو من النَّراجيل والسياجر المُشعلة أصلًا بأقراص الزِّبل، غير آبهين بالسُّعال الحاد إذ إنَّ فنجانًا من الزّهورات كافٍ لإزالته، أو بالاختناق الذي يهددهم بالموت في أيَّة لحظة»[٢].

وكان في البيوت غرفة خاصة للإقامة في الّشتاء، تتميّز بسعة مضاعفة، محكمة، جهزت نوافذها وبابها بإحكام لتقاوم البرد والعواصف والصقيع وفرشت أرضها بعدد من قطع السجاد المصنوع من صوف المواشي ووبر الماعز والجمال. «يا لتلك الأمسيات التي كنا نمضيها في شتاء عبّا، حول الموقد نستمع خلالها، إلى الوالدة تقصّ علينا أعذب القصص وأمتعها، ولا أدري إلى اليوم من أين كانت تأتي بها، ولشدّة ما تكون سعادتنا غامرة حين نلقم النار مزيدًا من قطع الحطب كلما نراها تضاءل تأججها وكان الوالد يتغنم الفرصة المؤاتية ليؤكد فيها ضرورة أن نجمع ما نحتاج إليه من الحطب أيام الصيف»[٣].

ساد في عبّا ولفترة طويلة نمط آخر من السهرات، كانت الغاية منه إيجاد شخصية إسلامية رسالية هادفة لتصحيح الرؤى والأفكار والسلوك والقيم في المجتمع العبّاوي. وكان في طليعة روادها العلاّمة سماحة السيد محمد حسن ترحيني (آل حمود). حينها كان السيد عائدًا لتوه من العراق أوائل العام (١٩٧٥م) ومكث في البلدة ما يقارب العام. وكان لديه رغبة في استغلال وقته بالطاعات والتقرب إلى اللّه تعالى بالإكثار من تثقيف أهل بلدته في أمور دينهم. وتقام في منزل حسين علي

(١) مقابلة مع سعيد إبراهيم يونس، مرجع سابق.

(٢) سردية للدكتور فايز ترحيني حول أيام زمان منشورة على صفحته (الفايسبوكية) بتاريخ٣/ ٢/ ٢٠١٨م.

(٣) مقابلة مع محمود معلّم، مرجع سابق.

يونس (أبو علي)، بعد صلاتي المغرب والعشاء أمسية دينية، في تلك الغرفة المربّعة الشكل، صادف أنها ترتفع قليلًا عن باقي غرف الدار. كان من رواد السهرة، السيد علي يونس وشقيقه السيد أحمد وعدد غفير من رواد المسجد. وكانت أم علي (الحاجة هاشمية)، تجلس بجانب باب الغرفة لتكون جاهزة عند الطلب لإحضار الشاي والزهورات والتين المجفف أو التمر للضيوف. وأحيانًا كانت تتنوع الأحاديث لتشمل القضايا العامة. ولمّا طال أمد هذه السهرات وأصبحت تقليدًا ثابتًا عند روادها، كان البعض من أهل البلدة حين يتندرون على تلك السهرات، يقولون عن دار حسين علي يونس (بيت الطائفة)، من هؤلاء سماحة العلاّمة السيد محمد علي (آل إبراهيم) حين سأله أبو علي حسين عن مسألة، أجابه: (عم تسألني وعندك بيت الطائفة؟)(١).

كما السهرات المسائية كان يقام جلسات عصرونية، في الساحة العامة تمتد إلى ما قبل صلاتي المغرب والعشاء. وكان عدد من الرجال يجلسون بمحاذاة الجامع أو دكان أو خليل، على أرضيات من الباطون مرتفعة عن الأرض قليلًا مستطيلة الشكل تتسع لعدد لا بأس به من الرجال، وأحيانًا بعضهم يقفون. أحوال العائلة ومتاعب الحقل كانت تستحوذ على أحاديثم، عدا ذلك يخفف عنهم أو يرشدهم لحلول عجزوا عن إيجادها.

في تسعينات القرن الماضي منتصف آب من كل عام، درج حسين علي يونس، على إقامة جلسة عصرونية في(الحاكورة) التي كان يتوزع جنباتها الأربعة أشجار الرمّان الحلو والحامض واللفاني من نوع الشوكي والصيفي والمليسي، كان على رأس قائمة المدعوين العلامة السيد محمد حسن ترحيني والسيد أمين وكانوا يفترشون الأرض على حصير من القش بشكل نصف دائري، وأبو علي يظهر أقصى وفادته لضيوفه، يختار أجود ما على الشجر من أكواز. وكانت تمتد الجلسة إلى ما قبل صلاتي المغرب والعشاء، يغادرون وهم يدعون له بوفر الغلال ودوام الحال(٢).

---

(١) مقابلة مع حسين علي يونس، مرجع سابق.

(٢) نفس المرجع.

والكزدورة تقليد شبابي شاع في البلدة أواسط الخمسينات. تقليد عبارة عن خروج الشبّان والشابات للكروسة (طريق ترابية) عصر كل يوم بعد انتهاء الأعمال، والكزدرة ذهابًا وإيابًا باتجاه بيدر رأس الدوري وقلعة الواوية وكان خاليًا من السكن تمامًا، وفي الستينات تطور الأمر بعد أن عبّدت الطريق العام بالإسفلت، وكان الانطلاق يبدأ من الساحة العامة باتجاه عين الفوقا وهو تقليد كان يتجاوز التقاليد العادات الاجتماعية التي تحذّر من اختلاط الجنسين، وكانوا يحملون في أيديهم ما تيسر من بزورات أو سكاكر وكانت الأحاديث تتمحور حول أمور العمل والنكات والزواج والمستقبل وأخبار أهل البلدة وكانت الكزدورة فرصة لكثير منهم لاختيار شريك العمر.

ومن الحكايا التي يرويها خليل توفيق ترحيني (أبو بشار) في مدونته العرايس، أن السيد عبدو حسين أحمد كان من الأذكياء ورد اسمه في مقهى في بيروت ينزل به السيدان محمد جواد خليل ومحمد مهدي. وكان مالكه صاحب نكتة ومروءة وذكاء. في الثلاثينات من القرن الماضي نزل الحاج إبراهيم حريري في المقهى نفسه في بيروت بساحة البرج مقابل السرايا الكبير، تقدم منه صاحب المقهى وهو من حومين الفوقا وسأله: (مشروبك يا حج شاي أو قهوة أو حلبة أو كركدان؟) أجابه: بأن نفسي لا تطلب شيئًا مما ذكرت. ولأنه ذكر له كلمة (نفسي(صرخ به صاحب المقهى، وقال له: أنت الحاج إبراهيم حريري من عبّا. حكاية أخرى مفادها أن السيد عبدو حسين أحمد ترحيني، كان ذات يوم يعمل مع والده السيد حسين بالقرب من قلعة ميس ويقومان برعي الماشية من بقر وأغنام وجمال مرّ بهما عدد من البدو ادعوا أن جملًا من القطيع ملكًا لهم. ولمّا تغلبوا عليهما أخذ البدو الجمل إلى البقاع. قصد السيد عبدو ووالده دارة الطيبة، فأرسل البيك رسولًا إلى شيخ القبيلة واسترجع الجمل فما كان منه إلا أن قدمه هدية للبيك.

ويروي حسن نجل العلاّمة السيد محمد ترحيني نقلًا عن معاصرين أن الحج موسى قاووق جدّ الشيخ نبيل، كان رجلًا تقيًّا ورعًا مبسوط القامة. وذات يوم استدعى الحج قاووق السيد مهدي إبراهيم من بلدة الدوير للصلاة على ميت

وكانت امرأة. وصادف أن امرأة أخرى كانت تقف بجانب حائط الجبانة وشاهدت الحج موسى يرفع بلاطة القبر دون مساعدة أحد فتعجبت من أمره وقالت: (يخرب بيتو حملها لوحدو). فور الانتهاء من الدفن رافق الحج قاووق وكان سليمًا معافى، السيد مهدي إلى عقبة الدوير، وعند رجوعه للقرية اعتلّ. يقال: إن الحج موسى أحسّ ببرقة في الضهر، مات بعد ساعات.

الحكاية الأكثر شهرة وتوافقًا عليها أنه عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى بسنوات جاء شخص إلى عبّا أُطلِق عليه لقب (التركي). أصل الحكاية، أن الأتراك في أثناء الحرب جنّدوا الكثير من شباب عبّا وكان علي الحاج حسين عميص واحدًا منهم. ولمّا انقطعت أخباره أُشيع في البلدة خبر وفاته، فتزوج شقيقه حسين زينو عميص، من زوجته تاجة. عن مجيئه إلى البلدة، تقول الرواية، أن علي يوسف الحاج حسين عميص، كان موقوفًا في سجن بنت جبيل بسبب عِراك في البلدة، وهناك تعرّف على (التركي) الذي كان موقوفًا أيضًا باسم مستعار من آل بزي، وكان قبلًا موقوفًا في سجن صور باسم محمدان مسلّم ودوّن في المحضر أن اسمه محمد مسلّم باز التركي، لذا كان أهل البلدة ينادونه بلقب (التركي). في السجن زعم أمام علي، بأنه أخوه. وكان لعلي أخ آخر ميسور الحال، يدعى) محمد)، عمل على إخراجهما من السجن، بعدها أحضره يوسف إلى البلدة على أنه أخوه. أهالي البلدة صدقوا الرواية إلا إبراهيم يونس محمد هارون (والد أبو محمد سعيد يعرفه جيدًا وعن قرب، كونه كان مصاحبًا له بصورة دائمة في رعي البقر، ويذكر جيدًا أوصافه وطباعه. كان أشقر الشاربين ينادونه بـعلي الفرنساوي، مكسّر العينين، أَخْرَق وسَاذَج. حاول إبراهيم يونس التأكد من حقيقته، نافيا له أن يكون هو فعلا علي الحاج حسين عميص، فردّ عليه (التركي) بسرد واقعة حدثت معه، وهي أنه كان يومًا راكبًا الدابة بمحاذاة الحسينية ويوجد كرم تين، وأن الدابّة التي كان والدي يمتطيها، جنحت به نحو شجرة التين ولم تتوقف فتأذى، وردّ عليه إبراهيم يونس بتأكيد الواقعة. سليمان حريري والد منير حريري قال له: أنت لست علي الحاج حسين عميص، فردّ عليه بأن ذكر أمامه ان زوجته تاجة تزوجت من شقيقه حسين

إثر خبر وفاته بالحرب. وأخذ يذكر أمامه بعض العلامات الفارقة في جسدها، فما كان منه إلا أن صدّقه. وحدث في لبلدة لغط وانقسمت الآراء بين مؤيد ورافض، بينما هو تعاطى بإيجابية مع أهالي البلدة وتزوج من ابنة جواد علي حسن وأنجب منها. كان أهل البلدة يتسابقون على ضيافته مرددًا أمامهم قصصًا منها أنه في حربه مع الأتراك اختبأ في جوف البغل مدة (٤٠) يومًا، وعُرف عنه حنكته ودهاؤه. ولمّا كان فقير الحال طالب إخوته بما له من ميراث في الأرض فأنكروا عليه ذلك. انتقل بعدها إلى النبطية يعمل في بيع (الكشة) وعندما ضاقت أحواله قصد أخاه (محمد) يطالبه بالأرض وكان يحمل بندقية، إثر مجادلة معه انطلق منها عيار ناري أصابه مقتلًا. تمت ملاحقته من قبل الدرك للقبض عليه فالتجأ إلى المغاير وأخذ يمارس أفعالًا شرسة جعلت الجميع يخافونه بما في ذلك الدرك وصار أثناء الليل يداهم البلدة طالبًا الطعام والماء[١]. بداية السبعينات التحق بالمنظمات الفلسطينة خاصة منظمة فتح وقاتل في صفوفها المليشيات المسيحة والجيش السوري في حرب الجبل عام (١٩٧٦م). بوفاته طويت حقيقته الفعلية من يكون؟.

ومن الأساطير الشعبية المشهورة في عبّا وبلدات الجوار التي ما زالت متداولة حتى الآن، سردية (قمر عدشيت ومقتى مغاريق عبّا). وحولها نسجت المخيلة العبّاوية والعدشيتية عدّة احتمالات، أولها: أن (ف.ز) وهي من بلدة عدشيت كانت فائقة الجمال ووجهها كوجه القمر، خطبها (أ.ي) من بلدة عبّا[٢] وهام بها. وكان الحاج رحمه اللّه معروفًا بين أقرانه بـغرمول الكبير[٣] الذي يقارب حجم المربابة. ويوم زفافه مازحه أصدقاءه بالقول: (من عدشيت جبناك يا قمر ومربى شغل المغاريق) فذهبت قولًا مأثورًا.

ثانيها: هي أن ثورًا يدعى قمر فقده الحاج زينو عميص أو والده؟ فكمن رجال القرية على مقربة من عدشيت واستعادوه من سارقيه.

---

(١) مقابلة مع شريف عبد اللّه جواد وسعيد إبراهيم يونس، مرجع سابق.

(٢) نتحفظ عن ذكر الأسماء بأحرفها الكاملة نظرًا لحساسية وحراجة وقائع الرواية.

(٣) (غُرْمُولُ الذَّكَرُ، أو الضَّخْمُ الرِّخْوُ قَبْلَ أن تُقْطَعَ غُرْلَتُه) قاموس المعاني، الموقع الإلكتروني.

أمّا ثالثها: فيرويها حسن نجل السيد محمد ترحيني، وفحواها أنْ أُعجبَ شابٌ عبّاوي (من بلدتنا بفتاة من بلدة عدشيت تُدعى (قمر)، فذهبت العائلة لطلب يدها. كانت الفتاة راغبة بالشاب على خلاف رأي والدها الوجيه. وكان العُرف السائد أن توضع عَمدة في فناء دار العروس ويُطلب من العريس أو ممّن معه رفعها. تعمّد الوجيه المبالغة في وزن العَمدة علّه يجعل من ذلك سببًا لرفضه، ولكنّ الوفد العباوي تجاوز القطوع وتمكّن أحد الشبان من حملها. فقبل والدها على مضض. وفي يوم العرس الموعود، ذهب وجهاء بلدتنا إلى عدشيت لإحضار العروس، فبدأ والدها يتذرّع بحجج واهية بغية عدم إرسالها معهم. فأوعز أحد الوجهاء لابنه بأن يذهب لطلب النجدة من أهل العريس وأقاربه. طار الشاب على صهوة جواده وأبلغ الحشد المتجمهر في الساحة بما جرى، فهبّ الجميع متوجهين إلى عدشيت. ولدى مرورهم بالـ(مغريقة) قطعوا (المربى) وحمل كل واحد منهم (مرباية) على كتفه، وتوجهوا إلى بيت العروس من طريق وادي عالي. ما إن لاح الجمع مدججين بالمرابي حتى تداعى العقلاء في عدشيت ونصحوا والد العروس بإرسالها، ظنًا منهم أنّ القادمين مسلحون يضمرون الشرّ. خاف والد العروس من حدوث مكروه، فقبل بإرسالها مع عريسها. ابتهج القوم وعادوا إلى البلدة حاملين (قمر) وهم يرددون (من عدشيت جبناك يا قمر والمربى (المقتى) شغل المغاريق) [١].

رواية حسن ترحيني ردّ عليها عدشتي برواية رابعة، فكتب: كتب حسن ترحيني من بلدة عبّا قصة تناول فيها طرفة من الزمن القديم، كانت تحدث بين القرى الجنوبية، ولكنه قد أخفق بسردها، حيث إنه لم يتحقق من صحتها ولم يعتمد على ذاكرة أجداده العارفين بأخبار قريته ونوادرها، وتعمد أن يظهر أهل بلدة عدشيت بأنهم غير قادرين على المواجهة وسرد القصة لصالح أهل بلدة عبّا. ونقول: أولا: منطقة المغاريق، هي منطقة تجاور منطقة القصيبة والقعقية وبعيدة عن عبّا ... وليست بوادي عالي ... وكان يزرع بها المقتى، بسبب وجود نبع مياه فتكبر

(١) المرباية وجمعها مرابي: نوع من المقتى ينمو حتى يصبح حجمه بحجم الليف الكبير والمغريقة اوالمغاريق: أرض سهلية في أطراف بلدة عبّا.

المزوعات بحجم كبير بسبب وفرة الماء. ثانيًا: لم يكن في عدشيت فتاة اسمها قمر أبدًا، وهذا ما يجمع عليه أهل قرية عدشيت. الرواية الصحيحة، وكان قد رواها الكثير من الاجداد وقد سمعتها أنا شخصيًّا من أحد الأجداد من بلدة عبّا نفسها، وأيضا أهل القرى المجاورة عدا عن أهل عدشيت. وهي، بعد أن كان بعض الأشخاص قد أحدثوا إشكالًا مع أهل عدشيت، ومن خوفهم من الرجوع إلى بلدة عبّا من الطريق المعروفه بوادي عالي تحسبًا لأي تجمع لشباب عدشيت، قرروا الهرب من جهة القعقعية، مرورًا بالمغاريق وأطراف القصيبة إلى أطراف بريقع والعودة إلى عبّا. وقد صادف أن الليلة مقمرة، فكان يرافقهم القمر حسب ما ظنوا، وهو في كبد السماء، ثابت كما نعرف. وعند وصولهم إلى بلدة عبّا، أنشدوا هذا الشعر لكي يرفعوا القليل من معنوياتهم وأهل قريتهم (من عدشيت جبناك يا قمر والمقتى شغل المغاريق) والدليل أنهم ذكروا اسم قمر بالمعنى الذكوري. تبقى القرى الجنوبية بأبنائها عز ومفخرة لبنان، وأهلها هم مجاهدون أبطال، صمدوا وقدموا الكثير لأرضهم. ولكن نرجو من أصحاب الفكاهة والمزاح، أن يتحققوا قبل نشرهم لأي من القصص، وشكرًا.

وخامسها: أتت على لسان عدشيتي متحمس للقصة ويدّعي صحتها وهي متواترة أبًّا عن جد. تقول الرواية: إنه في يوم من الايام المقمرة كان أهل بلدة عبّا يقيمون عرسًا لشاب من شباب البلدة، وبنفس الوقت أهل بلدة عدشيت يقيمون عرسًا لأحد شباب بلدتهم، وبينما هم في حالة هرج ومرج اختفى القمر بين الغيوم، فقال أهالي عبّا إن أهالي عدشيت سرقوا القمر فغضبوا غضبًا شديدًا فتوجهوا إلى عدشيت وما إن وصلوا إلى أطراف عدشيت حتى فسحت الغيوم وبان القمر فرجعوا يرددون هذه العبارات زعمًا منهم أنهم أرعبوا أهل عدشيت حتى أعادوا لهم القمر، لكي يستكملوا العرس.

ورواية سادسة: وردت في كتاب بانوراما جبل عامل، وفحواها أن أهالي عدشيت توهموا أن غيمة منعت القمر من أن ينشر نوره الأبيض على قريتهم أو حقولهم في حين ظل جانب منه ينشر نوره على قرية مجاورة لعلها قرية عبّا، فثارت

ثائرتهم واستعدوا لقتال أهل عبّا الذين سرقوا القمر فحجبوا نورهم عنه[١].

هم قالو ونحن نقول: تعددت الروايات والردّية واحدة (من عدشيت جبناك يا قمر والمقتي شغل المغاريق) كانت وستبقى موضع إجماع، أمّا الروايات حولها فستبقى موضع نزاع فكري ككل الأساطير، لا أحد يملك دليلًا حسيًّا على صدق طرحه. وإذا كانت هناك فائدة من النزاع فهو يطلق العنان لمخيلة القارىء ليدقق أيهم الأصح، وربما ابتدع حكاية أخرى لا شك ستغني أدب الرواية.

وعن أخبار الجنّ ينقل حسن محمد ترحيني عن والده سماحة السيد قوله: إنه قديمًا كان في شمال البلدة طريق تسمى بطريق السلطانة تأنيث (سلطان)، وإنها شقّت في زمن السلاطين العثمانيين ما بين الساحل والجبل كممر للقوافل التجارية. وأن قردًا هرب من إحداها ووجد مأوى له في جوف عين ماء. والقرد هذا كان صاحبه قد وضع في عنقه جرسًا، كان كلما استشعر بقدوم أحد حرّك عنقه ليطلق رنينًا حتى شاع بين الناس وجود جنّ يسكن قعر العين وهكذا لم يعد أحد يجرؤ على الاقتراب واستمر هذا الأمر أشهرًا إلى أن حان موسم الحصاد. وذات ليلة تجمّع صبية من البلدة في أحد الحقول للقيام بالحصاد وتحدى أحدهم السيد أبو هاشم إن كان يجرؤ على ارتياد العين والإتيان بالماء. قبل الرجل التحدي وقصد العين وعندما همّ بالنزول على درجاتها الأولى حتى تسمرت رجلاه في مكانها ورمى من يده الدلو، بعدما أحس بشيء يتأبط برقبته فما كان منه إلا أن أمسك به وعاد مهرولًا إلى الصبية الذين ينتظرون عودته. وهكذا ربح السيد أبو هاشم التحدي وتنفس الأهالي الصعداء وانتهت أسطورة الجنّ بعدما انكشف أمر القرد.

تبقى أسطورة محمود حسين معلم، أغرب من سابقاتها وهي نقلًا عن والده حسين تولد (١٨٩٤م)، عن والده محمد معلّم (١٨٢٥ـ ١٩٠٥م) كان لشدّة اضطلاعه ومعرفته بالشؤون الدينية والإفتاء قد تقلّد بنفسة عمامة ولقّب بالشيخ. فحوى الرواية أنه في إحدى ليالي الشتاء الباردة وهو قابع في كوخه الكائن حيث

(١) **خليل شرف الدين: بانوراما جبل عامل - سيرة شعب منذ كان**، دار المحجة البيضاء- بيروت، الطبعة الثانية، مصححة ٢٠٠٤م، ص١٨٧.

مكان بيتنا الحالي، وكان منعزلًا عن باقي بيوت البلدة، سمع صراخا آتيا من ناحية الوادي المجاور. حمل فانوسًا قاصدًا مصدر الصوت، وكان ينادي يا شيخ محمد أنقذني من الذئب. لدى وصول الشيخ إلى قرب صخرة مسطّحة وجد عليها أثرًا لبعض الوبر. ظنّ الشيخ أن الوبر عائد لجنّية، وأن الذئب افترسها وهي تصرخ طالبة النجدة، ارتعب الشيخ وأسرع عائدًا إلى كوخه، وأخبر ابنه حسين بما حدث[1].

من أغرب الأساطير المتداولة عن العبّاويين تلك التي تظهرهم، على أن لديهم فائضًا من البلاهة. مختصر الحكاية أن العبّاويين اختلفوا فيما بينهم على استغلال مياه بركة الضيعة مسددين الاتهامات لبعضم بالإسراف وسوء الاستغلال. وانقسموا فريقين وبنتيجة التحكيم اتفقوا على تقسيم البركة. الغريب في الأمر أن القسمة حصلت بوضع حشائش البلان في خط مستقيم على سطح الماء، بين طرفي البركة.

«اترك قمرنا يا حوت احلن ما يفقع ويموت أو دشر قمرنا يا حوت احلن ما نفقع ونموت».

بهذه اللازمة استهل علي خليل ترحيني نجل أبو بشّار، سرديته بالقول: هكذا كنا نسير ليلًا في أزقة بلدتنا صغارًا نحمل العصي والتنك الفارغ نرددها وراء المرحوم سمير نمري. في السبعينيات من القرن الماضي. وأتذكر أني أسرعت إلى دار جدتي في حي القلعة لأتناول (لكن) الألمينيوم لجدتي الحاجة أم شريف ورحت أقرع عليه في قطعة حديد (٦) ملم، وعندما عدنا أدراجنا إلى المنزل ليلًا وانقشع القمر وهرب الحوت. لأحضر علقة ما بعدها علقة بعد أن وجدت جدتي اللكن محدودبًا معوجًا ولم يعد صالحًا للاستعمال. وكلف انتزاع القمر من فم الحوت شراء والدي (لكن) جديدًا لجدتي. التي حزنت مرة أخرى لإخبارها بأني بعته بليرة وربع للبائع المتجول الذي يشتري ويجمع الحديد والنحاس من بلدة أنصار. ومع خسوف القمر كانت تتذكر جدتي بحسرة اللكن الذي كان إلى جانب

(١) مقابلة مع الأستاذ محمود حسين معلّم، مرجع سابق.

حلة نحاس وطنجرتين وغرفة في الدار من حقها يوم زُفَّت لجدي عروسًا. فكان خسوف القمر يحل على جدتي ذكرى نكبة اللكن فتصلي صلاة الآيات وتدعو لي بالإصلاح وهداة البال على ما حل بلكن كان من حقها[1]. أيضًا شاع عنهم لاَزِمةُ تردّد باستمرار تتناول بعض صفاتهم الشخصية فحواها:

«تيوس عبّا ودباب الدوير --- سراقين الشرقية وزعران النبطية»

اللباس القروي واصناف السجائر وادوات التسلية:

رغم اندثار اللباس التقليدي في الأرياف اللبنانية، إلا أنّه لا يزال لباس الفرق الفنية الخاصة بالرقص والزفة. وتراه أيضًا في العقال العربي الذي لم يتخلَّ عنه كبار السن، وفي ألبسة بعض المزارعين، لكونه يتيح لمن يرتديه حرية الحركة في أثناء العمل في الحقول. وكان اللباس القروي يُعد من الأزياء التقليدية، كما يُعدُّ سجلًا يحفظ بين طياته عادات الأمة وتراثها، ويستدل به على كثير من المؤشرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، والمنزلة الاجتماعية، وعلى عمل مرتديها وجنسه وعمره.

وعبّا، كغيرها من البلدات راجت فيها الأزياء، يرتديها وجهاء البلدة ورجالاتها، يعتمرون على رؤوسهم ما يناسب جذورهم وأصولهم « والطربوش عثماني النشأة، تلتف حوله قطعة قماش مزركشة، السادة يعتمرون الطربوش مع لفة خضراء واللقب سيّد والعامة يعتمرون الطربوش مع غبانة صفراء واللقب الحاج والمشايخ طربوش مع لفة بيضاء. والكوفية باللون الأبيض أو الأبيض والأسود. الجاكيت واسعة وفضفاضة ويقال لها سترة. وكذلك الصاكو يمتاز بطوله. ويوضع محرمة بيضاء على الرقبة حتى لا تتسخ الجاكيت من العرق والغبار مع ارتداء السلك على الكتفين. والقميص فضفاض عليه بعض التطريزات بدون قبة أو بلا أزرار وخاصة الأكمام. والشملة تحيط بالخصر بطول مترين، والشروال واسع إما بشميك أو ماهوت إنكليزي لونه أسود بالأساس، وقد يكون لونه بنيًّا أو رماديًّا أو

(١) رواية علي خليل ترحيني حول خسوف القمر بتاريخ ٩/ ٨/ ٢٠١٧م.

أزرق غامقًا. والحذاء جزمة أو مركوب أو مشاية أو صباط وله نضوة من الأمام والكعبية. والحطة والعقال، اعتمار غبانة على الرأس، (سلك مدوّر على الرأس ملفوفة بإحكام) والبعض يعتمر طاقية بيضاء. والشوارب حاجة خاصة واللحية بطول مقبول عند الحلاق، يجمع شعر الذقن حتى لا يداس. وكان يُحلف بالشارب والشوارب. والبعض الآخر فضل الظهور بالشوشة (حاسر الرأس)(١). وكانوا خلال فصل الصيف» الشباب لمّ بدن يتفسحوا (شم الهوا) كانوا يلبسون شنتان أبيض وطربوش من دون لفّة، أما كبار السن فيضعون لفة خضراء اللون للسادة بيضاء للعامي وينتعلون مشاية»(٢).

بحسب ما رواه (أبو محمد سعيد) «جيل الثلاثينات وأنا منهم لم يلبس الطربوش أو اللفة كنّا نعتبرهما عادة قديمة، الطربوش مع اللفة الخضراء دلالة على أن الشخص من نسل السادة الأشراف آل محمد، أما اللفة المذهبّة فهي للدلالة على أن النسب عامي. بينما لبست شروالًا وُضِع على جيبتيه طبشتان. أتذكّر جيدًا أنني اشتريت من برج البراجنة طقمًا فرنجيًّا عبارة عن بنطال وصدرية فوق منها جاكيت(٣) وكان ذلك تأثرًا بالدخول التدريجي للباس الغربي إلى بلاد الشام في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. واستمر اللباس التقليدي في عبّا، عند من بقي حيًّا من مواليد ذلك القرن، حتى بدايات الألفية الثانية، باعتباره وجدان الأمة وذاكرته، وكل ما يتعلق بهويته. أمّا جيل الثلاثينات باستثناء القلة منهم، فقد انساق مع الزي الغربي ولبس الجاكيت والقميص والبنطال وربطة العنق (الكرفتة). ومن يشاهد بعض الصوّر لمناسبات اجتماعية تجمع الجيلين لا يجد صعوبة في التمييز بين من يلبس الزي الشرقي والغربي(٤).

وكانت ألبسة الرجال في السبعينات، قد انطلقت من أوروبا، وسرعان ما

(١) مدونة العرايس، العدد الأوّل، ١٥ شباط ٢٠١٦م، الموقع الإلكتروني al3arayess.blogspot.com

(٢) مقابلة مع محمد خليل يونس، مرجع سابق.

(٣) مقابلة مع السيد سعيد إبراهيم يونس، مرجع سابق.

(٤) ينظر صورة رقم(٢٦).

انتشرت سريعًا في الدول العربية. العبّاويون في بيروت والبعض منهم في البلدة، قلّد تلك الموضة ودعموها بقصة شعر تتماشى مع ألوان الثياب غير المتناسقة وخاصة القميص والسراويل في شكل (الشارلستون) ذات الأرجل الواسعة من الأسفل والضيقة من منطقة الخصر، والحذاء ذات الكعب العالي، واستمرت لأكثر من عشر سنوات. أما اليوم تكاد لا تخلو خزانة من بنطال الجينز الذي أصبح موضة العصر، وكان أخره الممزق منه والموشّح، ويقتصر ارتداؤه على المراهقين والشباب. فيما الرجال يلبسون البطال مع قميص أو طقم مع ربطة عنق.

أمّا نساء عبّا فقد تشابهن إلى حد ما في زيهنّ. لباسهنّ في المناسبات، كان عبارة عن ثوب طويل يغطي كل الجسم مطرز بطريقة خاصة بألوان، مصنوعًا من قماش الصوف، الساتان، القطن، الكتّان، الحرير، المخمل، الدانتيل، البافتا وغيرها. ومطرزًا بأشكال نباتية من وريقات وأغصان وأشكال هندسية وذلك بخيوط ذهبية. وغطاء الرأس أسود أو أبيض، يتدلى منه أمام الوجه غطاء أسود شفاف. أما النساء المتقدمات بالسن، فقد لبسنّ تنورة فضفاضة طويلة، وفي القسم العلوي قميصًا أبيض فضفاضًا، يغطي الجسم كله من الرقبة حتى القدمين، وخيط بشكل مكثف على الصدر ومحيط الرقبة والأطراف والكمين، وغطيّن الرأس بقطعة قماش شفافة (شاشية)، وأحيانًا بقي الوجه مكشوفًا. وهذا اللباس مشابه للباس القرى المجاورة ولا يمكن تميزه، لا من حيث شكله وتطريزاته. كما لبسنّ الشال بألوان مختلفة الأبيض والأزرق والبيج أما الحلي فقد تشكلت بالأساس من المجوهرات الذهبية، سواء العقود أو الأساور أو الأقراط، ولبس بعض نساء الحلي القروية والبدوية المصنوعة من الفضة.

بدءًا من ثمانينات القرن الماضي بدأت تتغيّر مواصفات لباس المرأة العبّاوية، وأصبح ساترًا للبدن، يغطي كامل جسمها من دون أن تظهر منه إلّا الوجه والكفين، ويقال له: (لباس شرعي)، لا يشفّ عما تحته، واسع وفضفاض، فلا يُقسم ويفصّل معالم الجسد، خال من الزينة أو الزركش لكيلا يلغي القاعدة الأخلاقية ويلفت انتباه الرجال إليها، وأصبح ارتداء هذا الثوب تعبيرا عن هويتها تلبسه بالمناسبات

تمسكًا بتراثها. وهناك من اختار لباس آخر أكثر تحررًا عبارة عن قميص فضفاض طويل حتى الركبة وتحته بنطال. وفي كلا الحالتين تلبس المرأء إيشارب يغطي كامل الرأس، من دون غطاء للوجه. ومنهن من اختار أن تلبس الثياب مختلفة الألوان مخيطة بطريق حديثة، ويتفنّن في لبس أنواع الزينة.

التدخين وأصناف السجائر - يصف فايز ترحيني حال المدخنين في عبّا بالقول «لم يكن جدَّاي من المدخنين ككثير من أبناء جيلهم، والقلَّة المدخنة كانت تحشو أوراق عرنوس الذرة الصفراء الناعمة أو ما شابه بالتبغ البلدي المفتوت، ومن كان ذا يسر أو جاه فيستبدلها بـ»دفتر شامي« صنعت أوراقه خصيصًا لذلك»[١]. وكان الدخان العربي، أو التّتُن النوعية الأفضل لدى مدخنيه في سائر القرى حتى تكاد لا تجد قرية لا يوجد فيها مدخنو تّتُن، وكانوا يحرصون على تأمينه بأي وسيلة. وكان يعدّ بالنسبة إلى مدخنيه منتجًا بلديًّا يدركون جيدًا مدى جودته. واهتم المدخنون في عبّا بتحضير مؤونتهم لسنة كاملة، فكانوا « يقطفون أوراق النبتة القريبة من رأسها (التربونة)، ويتم شكّها في خيطان طويلة ونشرها في الهواء لتجفّ، وبعد فترة توضع داخل غرفة لأجل ترطيبها تمهيدًا لمرحلة الفرم الناعم والدقيق ليخرج من بعدها الدخان العربي أشبه بالشعر البني الناعم والمتشابك[٢]. وعن فرم التبغ يقول سعيد إبراهيم يونس، كنّا نقوم بفرم التبغ ناعمًا بواسطة آلة تدعى (الهاون) في بلدة القصيبة، وكان محظورًا. وأحيانًا نأتي به من بلدة الوردانية بعيدًا عن أنظار الدرك لكونه ممنوعًا وتداوله كان حصرًا بإدارة الريجي[٣]. وهذا يبيّن مدى أهمية التبغ العربي عند العبّاويين والحرص على اقتناء النوعية الأفضل على الإطلاق وكانت تسمى قديمًا (يالدز) نخب أول، ويستدل على ذلك من بقاء التبغ مترابطًا بعضه مع بعض إذا ما رفعت كمية منه براحتي اليدين.

وتنوعت قديمًا الأوراق التي كان يستعملها مدخنو التتن العربي للفّ سجائرهم،

---

(١) فايز ترحيني: حول أيام زمان، سردية منشورة على صفحة (الفايسبوكية) بتاريخ ٣/ ٢/ ٢٠١٨م.

(٢) مقابلة مع شريف عبد اللّه جواد خليل، مرجع سابق.

(٣) مقابلة مع سعيد إبراهيم يونس، مرجع سابق.

فبعد قطر الندى وزهر الجنائن والأميركاني المشرشر «لم ينل رضى ذواقة مدخني العربي، إلا (ورق الشام)، الذي يعدّونه الأخفّ بالاحتراق. وكان المدخّن يسحب ورقة لفّ من دفتر ورق الشام، يضع بضع شعيرات من دخانه على الورقة الشفّافة، يُمسّدها بعناية وهدوء، ليبدأ بعدها اللف، وإشعال السيجارة الصغيرة الرفيعة، وينفث دخانها برتابة ولذّة مفرطة بالطعم[١]. وورق الشام ما زال موجودًا لغاية اليوم في كل دكان وعلامته التجارية تاج مرصع. وإلى جانب التبغ العربي شاعت في الستينات والسبعينات أصناف أخرى من التبغ وهي السجائر الجاهزة اللفّ للتدخين. وكان شائعًا في عبّا سجائر أوكي و بافرا. أمّا سجائر التطلي العريضة والرفيعة أو سرت، فكانت غير رائجة نظرًا لغلاء سعرها. وكان ممن يعمل في بيروت من شباب عبّا يضع علبة السجائر في جيب قميصه الأبيض متفاخرًا بذلك[٢].

يُجمع ممّن تمّت مقابلتهم على أن النرجيلة لم تكن شائعة في عبّا كما هي اليوم، وكانت تقتصر على التنباك العجمي الأصلي وكان ممنوعًا اقتناؤه وتداوله ويسيّر دوريات لضبطه[٣]. «ولم يزد عدد مدخني النرجيلة عدد أصابع اليد الواحدة. وكان يُفت التَّبغ ويُفرك بما يناسبه من دبس الخرنوب، ومن كان ذا يسر أو جاه فيضيف إليها قليلًا من المطيبات كالمحلب وجوزة الطيب والبخور، ويسمى في الحالتين» مُدبَّس. لكن النسوة لم يكن بينهن واحدة جرَّبت هذه الآفة أو تلك[٤].

بداية الألفية الثالثة، لم تعد النرجيلة حكرًا على قلّة قليلة من العبّاويين، بل أصبحت ظاهرة ورفيقة درب لهم في الأوقات كافة، وضيفًا دائمًا لقسم كبيرٍ منهم في المنزل كما في النزهات، وجليسة السهراتِ في المطاعم والمقاهي وفي كل مكان. هي النرجيلة التي عرفها لبنان، وتحديدًا عاصمته بيروت منذ الحقبة العثمانية، صارت عابِرة للزمن، تكيّفت مع تحوّلاته وسرعاته وصرعاته، وأصبحت

(١) مقابلة مع حسين علي يونس، مرجع سابق.

(٢) مقابلة مع الأستاذ محسن عبدو ترحيني. صورة رقم (٢٧)، مرجع سابق.

(٣) نفس المرجع.

(٤) فايز ترحيني: حول أيام زمان، سردية...، مرجع سابق.

موضة (نرجيلة الدليفري(، أو ما يشبه بساط الريح، يحمل النرجيلة سريعًا إلى باب البيت. وبـمجرّد كلمة (ألو أرجيلة)، أو (رسالة واتساب)، تطير النرجيلة وغالبًا على دراجة نارية، إلى وجهتها. هي العادة أو التراث، كما يحلو للبعض تسميتها، هزمت قانون مَنْع التدخين في الأماكن العامة المغلقة وأمكنة العمل الذي صدر العام (٢٠١٢م)، وهي الموروث الاجتماعي، الذي كان يرتبط بالوجهاء والقبضايات، تسرّب إلى كل الفئات العمرية من الجنسين، ينتقل من الأرصفة في الأحياء إلى مرتكزات الجلسات العائلية على الشرفات، إلى رفيقة الرحلات، هذا لأن محال الدليفري تفتح أبوابها منذ الصباح الباكر وتستمرّ حتى الساعات الأولى من الفجر.

السيف والترس: في الأربعينات من القرن الماضي، راج في عبّا لعبة السيف والترس. وهذه اللعبة هي أحد جوانب التعبير عن الرجولة والفتوة والشجاعة والذكاء. وهي تأخذ شكل المبارزات الوهمية بغية إيقاد العزيمة في القلوب وتوليد حالة من الجهوزية القتالية. «للعبة حركات ثلاث يجب أن يتعلمها اللاعب أولها حركة الطخ، وهي الضرب من أعلى منتصف الرأس بحيث يصل السيف لدى رفعه إلى آخر فقرة من ظهر اللاعب. وحركة الزخ التي تكون حركات متتابعة كزخ المطر وحركة المطارقة أي ضرب من فوق وضرب من تحت مع توخي الحذر والمهارة في الهجوم والصد»[١]. وكانت المبارزة في عبّا، تبدأ برفع سيف ذو الفقار وتقدم التحية للأئمة ولوجهاء البلدة، وإذا ما اشتدت المبارزة حدّ الخطر يتدخل أحدهم ويرفع راية الصلح بين المتبارزين[٢]. وتبدأ عندما يقوم اللاعب بضرب السيف على الترس ضربة أولى وهي تنبيه الخصم وتهيئته .ثم يقوم بوضع السيف خلف الظهر دلالة الاحترام ويأخذ الخصم السيف تحت الإبط الأيمن والترس تحت الإبط الأيسر، ويقرأ الفاتحة ثم يتناول السيف والترس، ويعيد ضربة الاستعداد والاحترام كما فعل اللاعب الأول. ثم تبدأ المبارزة ويُبدي كل لاعب من اللاعبين

(١) مقابلة مع حسين سليمان حريري، مرجع سابق.

(٢) مدونة العرايس: السنة ١٧، مرجع سابق، الصفحات ٥١-٥٢.

مهاراته في لعبة السيف ويُجري حركات كناية عن التحدي»[١]. وكان توفيق علي حسين أحمد يجيد لعبة السيف والترس، ومن روادها أيضًا محمد مهدي وأحمد السيد علي وإبراهيم حسن خليل. عند وفاة حسن خليل أبو دلا عام (١٩٤٦م) حضر هو ورفاقه وأدوا التحية بالسيف والترس للجنازة مع مناداة أسماء الجلالة والنبوة وإمامة أمير المؤمنين[٢]. كذلك لعبة الخاتم والملك أثناء سهرات الشتاء وكانت تنتهي بضربات موجعة من قشاط الجلاد على الأيدي وهناك ألعاب أخرى مثل الغميضة، أنا يا منا، طق استبري، الكورة على البيدر تشبه لعبة الغولف[٣].

والفونوغراف أو المغنية هو أول جهاز استخدم لتسجيل واستعادة الصوت عبارة عن شكل مخروط، وهو عبارة عن قرص أخدودي حلزوني. يبدأ التسجيل عادة عند طرف القرص وينتهي عند مركزه. «خلال القرن العشرين كان أهل عبّا يتجمعون في منزل حسن السمرة أو في دكانه لسماع الغناء وكانت مغنية أخرى تشبه الفونغراف لدى عارف نور الدين[٤]. ورغم حلول التسجيل الرقمي مكانه بدءًا من الثمانينات إلا أنه لا يزال ينتج ويستخدم كتحف فاخرة. عبارة عن صندوق توضع عليه أسطوانة تحركها إبرة وينطلق الغناء.

والصلّاية: هواية كان أهل البلدة يمارسونها في جوار البلدة لصيد السمّن، أما صيفًا فتُنصب الفخاخ في الحقول وكروم العنب على ترسانة مدود (حشرة) صغيرة تستخرج من قصب الذرة، يغطى بطبقة من التراب لإخفاء الفخ. وعندما يتمايل المدود يشاهده العصفور وينقض عليه فيطبق عليه ترزان الفخ ويقيض عليه. في أثناء عملية الصيد كل عصفور يُغنى له بحسب نوعه فالراموود له أغنية، وكذلك أبو الحن، والعضعيض، وأبو بليق، والزرزور، والصنادل[٥]. والعمدة: عبارة عن جرن

(١) مقابلة مع حسين سليمان حريري، نفس المرجع السابق.

(٢) مدونة العرايس، السنة١٧، مرجع سابق ص٣٧.

(٣) نفس المرجع، الصفحات ٥١-٥٢.

(٤) نفس المرجع، ص٤٨.

(٥) نفس المرجع والصفحة.

كبير في وسطه عصا غليظة يمسكها الشاب ويرفعها عاليًا فوق رأسه أو هي محدلة لها فتحتان عند طرفيها يرفعها الشاب بيديه الاثنين. وكانت وسيلة للتحدي وإظهار القوة والفتوة بين الشباب من البلدة أو خارجها[١]. وهناك الكراجة: وهي عبارة عن دولاب الرصاص، والجمل، والغميضة، والسبعة منارة، والكلة والزحليطة. كلها ألعاب حالها اليوم كحال لعبة السيف والترس، فبعدما كانت رائجة، وتشكل جزءًا من حياة العبّاويين طويت صفحتها وأصبحت من الذكريات في أعماق الوجدان. ربّما يأتي حدث معين يوقظها من سباتها ويستحضرها من جديد.

الأفراح والأتراح وإحياء مجالس العزاء في عبّا:

كان من عادات العبّاويين أن « يتم الزواج في سنّ مبكّر. ولِمَ لا، فحجارة بناء البيت جاهزة، وعفشه بسيط ومتيسّر، ويبقى الإكثار من الإنجاب لأن الأرض تحتاج كل مولود من ذكر أو أنثى[٢]. وجرت العادة أن يقام العرس يوم الخميس ليلة الجمعة. وكانت تمارس بعض التقاليد كأن يصار إلى إلباس العروس الشوبشة لدى خروجها من بيت أهلها، أو لصق عجينة على عتبة بيت العريس لاختبار ما إذا كانت الجازة ستدوم في حالة التصاق العجينة بالعتبة، وإذا لم تلتصق فلن تدوم. وكانت العروس تنتقل إلى بيت العريس على صهوة فرس (مدندشة) بالزينة، والحداؤون في طليعة الموكب يهتفون بالترويدة المناسة:

يـــا شـــمس يللـــي بالســـما أنـــوارك بـتـحـيـى الـنـفـوس
لا تــشــرقــي فـــوق الـحـمـا عـــالأرض في عنّا عـــروس

والنساء في موكب خاص مع دربكّة يزغردْن، وناطور الضيعة يجرّ الفرس ويضبط مسير الموكب، ومن على السطوح والعليات تنثر الورود والأرز والعطر. ويربط في جِيد الفرس قطعة قماش تسمى الطير. وكانت عدّة العرس تتألف من:

---

(١) مدونة العرايس: السنة ١٧، مرجع سابق، ص٤٩.

(٢) فايز ترحيني: دائرة الشوك حكاية الولد العاملي، مرجع سابق، ص٢١.

الطبل والصنج والسنجق. وكانت العادة كما كان يقول أبو جميل قاووق أن يقوم أهل العريس بتوزيع كمية من مادة (البارود) على من يحمل بندقية (جفت)، وهؤلاء ينتظرون في مكان ما من بيت أهل العروس، حتى إذا ما فُرغ من عقد القران وقراءة الفاتحة للتوفيق، يقوم هؤلاء بإطلاق النار دفعة واحدة، ينطلقون بعدها إلى بيت أهل العريس وهم ينشدون:

اللّه يتمّم هالفرح بسعد وسرور وهنا

وعند الوصول إلى بيت العرس توزع المشروبات، ومن ثم تشبك الأيادي، وتعقد حلقة الدبكة على وقع صوت المجوز والمنجيرة على لحن دلعونا، ومن ثم يسير الجميع منشدين:

يخلف عليكم يا شباب ويعيدكم لأمثالها

ومع دورة الدبكة تصدح أغاني الدلعونا فترد عليهن الصبية بردة دلعونا وهكذا طول السهرة. وكان يطلق على الدبكة اسم (ديك وفرخة) ومن ثم تجلس العروس في مكانها فيتقدم الأحبة منها واضعين النقوط (أموال) في حرجها متمنين لها السعادة. وكان لعبارات المجاملة الوقع الحسن في النفوس، مثل: تفرح من ولادك، نقشعلك عريس، تجوز الجميع بحياتك، مبروك يا عريس وإن شاء اللّه تكون جازة الدهر، تهروا بعضكن[١]. يقول سعيد إبراهيم يونس (أبو محمد): «غالبًا ما كان يرافق الأعراس دبكة تقام في الساحة العامة وتوزع الشّربات على الحضور، وهي عبارة عن ماء وسكر وصبغة حمراء وقليل من ماء الورد. وكان الشيخ أو السيّد يأتي إلى بيت العروس لعقد القران. عندما تزوجت عام (١٩٤٨م) تولى السيد محمد علي إبراهيم عقد قراني»[٢].

وعندما أقيم لـمحمد خليل ترحيني (أبو فايز) عرس، «رفض السيد محمد حسن حسين ترحيني والد (أم فايز) إلا أن تزفّ ابنته على وقع صوت الطبل والسنجق.

(١) مدونة العرايس: السنة ١٧، مرجع سابق، الصفحات ٥٧-٥٨-٥٩.

(٢) مقابلة مع السيد سعيد إبراهيم يونس، مرجع سابق.

وطلب السيد خليل من أحمد حسين محمود جدّ (علي الإمام(نظم بيت من الشعر بالمناسبة، فقال:

شــدّو الهــوادج علــى النيــاق وهيئــــو المطايـــا للرحيــل
فــي بـنـت سـلـطـان الـعـراق يـهـنـيـك يـا مـحـمـد خليل

حينها اعترض السيد محمد حسن على عبارة (سلطان العراق) قائلًا له جرصتني، أنا سلطان؟ «رد عليه أحمد حسين محمود، أنت هيك بدّك[1]. وفي عرس رضا مرتضى أنشد محمود علي حسين يقول:

حـسـنـا الـمـصـونـي شـرفِّـت بـتـشـريـفـا أضــوا الـقـضـا
فــي بـنـت ســادات الــورى يـهـنـيـك يـا سـيّـد رضـا

وكان بعض الزيجات يتم من خارج عبّا. والدة أبو علي شريف أمين من النبطية من آل بدر الدين كانت تبلغ من العمر عامين عندما توفي والدها في أثناء الحرب مع الجيش التركي فتكفلها عمها. ووالده كغيره من رجالات عبّا كان يبيع من وقت لآخر محصول المقتي المعبئة بـ(خرج خيش) على ظهر الحمار في النبطية. وكانت تلك وسيلة للتعارف، ونشأت العلاقة بين أمين أحمد خليل وعم والدته، وكان صاحب دكان في النبطية يعمل في تجارة القماش. كان يقول له « بدّي عطيك هلبنت طلبها مني، وهكذا زفّت العروس من النبطية إلى عبّا عالفرس وخلفها جمل محمل بجهاز بيت المؤلف من: نملية وصندوق خشب وفرشتين. لما وصلت العروس إلى مشارف عبّا استقبلت من قبل الأهالي وكان من عاداتهم أن يعلّموا عالعروس بأن يوضع على رأسها عصا وهي راكبة عالفرس وحاملة شمسية تؤدي بها التحية، وبسبب ذلك حصل تعارك بين أهل العروس وأهل عبّا[2].

نقلًا عن والده العلاّمة السيد محمد حسن ترحيني، يقول حسن: غالبًا ما كانت

(١) مقابلة مع حسين سليمان حريري، مرجع سابق.

(٢) مقابلة مع شريف أمين ترحيني، مرجع سابق.

تحدث في الأعراس نزاعات غير متوقعة، كالذي حدث في عرس علي موسى خليل ياسين، فهو تزوج عدة مرات، إلا أنه أبقى على أربع منهنّ «زليخة أمين كاظم، منهل، جميلة ووحيدة أحمد الضايع مظلوم من بلدة خرطوم. ففي هذا العرس، اعترض الزنطوع (من آل جابر) موكب العروس في بلدة خرطوم طالبًا العادة (خوة) فتصداه عبد المنعم محمد علي والسيد محمود علي حسين، الذي أنشد يقول:

مـــن أرض خرطـــوم النبـــي جـــبـــنـــا وحـــيـــدة بـــعـــزهـــا

بالحســـــــن زادت مرتبـــــــي وفـــــازت علـــــى بلقيســـــها

ويتابع حسن:

كان جدي لوالدتي السيد علي موسى خليل ياسين قد أتمّ دينه وأحكم عراه من جهاته الأربع، فجمع في داره أربع نساء، ولكنهن لم يلدن له وريثًا ذكرًا. فوقع في غرام الخامسة ولأجلها طلق اثنين من زوجاته ليفسح في القلب مجالًا لها وفي ليلة العرس الخامس اجتمعت نساؤه في داره وأخذت الرشيدة منهن (لكنّا) لتقرع عليه، منشدة وخلفها النسوة يرددن:

هـــالـــديـــك يـــا بـــو الـــشـــاشـــيـــة زوجـــــي تجـــوز عليـــــــــي

دشـــــر مـــنـــهـــل وزلـــيـــخـــة وتبـــع الجموليـــــــــــــة(١)

كذلك في زفافه لمنهل حصل مشكل بين عبّا والشرقية وبين عبّا والدوير.

وهناك آخرون كثر تزوجوا من النبطية منهم: أحمد حسن خليل والد أبو سعداللّه، وهبي يونس تزوج الحجة عدرا من آل مزهر، وحسن علي ترحيني عم والد علي نجيب. لعقد القران كانوا يأتون بالسيد مهدي إبراهيم من بلدة الدوير وبالشيخ علي حلاوي من بلدة قاعقعية الجسر، الذهب كان مهر العروس، والزفّة على الفرس والدبكة في الساحة العامة. عام (١٩٣٨م)، الحاج قاسم لمع من بلدة عدشيت غنى بعرسي وقال:

---

(١) من مرويات المجالس الخاصة للعلّامة السيد محمد حسن ترحيني» نقلها الينا نجله حسن بتاريخ آذار ٢٠١٨م.

برجاك يا رب العباد اللي رفع السما بدون عماد

يـا رب تـمّ هالفـرح بـدار عبـد اللّـه جـواد

كذلك لما تزوج (أبو فايز) بقيت الرجال تقيم الدبكة كل يوم بعد الغروب لمدة أسبوع كامل. وكانت العادة، أن تركب العروس على فرس مغطى بـ(طيارة – منديل) وفي عنقها عقد من الذهب وعلى وجهها قطعة قماش شفافة تسمى (فيشة) وفي يدها شمسية (مظلة) وتلك ترمز إلى تحية المستقبلين. قبل الوصول إلى الدار كانت تدوس على بيضة، وقبل دخولها كانت تلصق عجينة على عتبة الغرفة التي ستقيم فيها، وإذا لم تستطع الوصول للعتبة كانوا يحملونها أو يعملولا برزة[1]. يروي خليل توفيق ترحيني (أبو بشار) أن السيد علي موسى خليل ياسين، كان ولده محمد علي وحيدًا بين أخواته، في كل عرس كان يظهره بحلة جديدة، طربوش وشمتة زفير شامية حمراء وزرقاء وصفراء ومداس وخيزرانة وطبق ورد في أذنه ومحرمة خرز في جيبه مع قلم بدون حبر مع مزموك يشد وسطه مع بعقور من زعرور. أمّا منهل فكانت تعجن وتخبز وتهيئ الأكل وتمد السفرة للحضور الذين يدعون بدوام الحال في هذه الدار. وكان ذلك تعبيرًا عن مشاركة لأهل العريسين بدوام الأفراح وعمار الدار.

وكانت الأحوال المادية، تحدد مستوى العرس، وكان له تقليد خاص، يستدعي الوضع المادي لأهل العروسين تفاوتًا في مستواه، وهكذا كان يقام ليوم أو اثنين أو ثلاثة، في دار اهل العريس، واستمر حتى سبعينات القرن الماضي أو في الساحة العامة، كما في عرس علي عبد الكريم قاووق عام (١٩٧٢م)، الذي حضره جمع غفير من أهالي البلدة والبلدات المجاورة وشخصيات عامة[2]. وفي الفترة الأخيرة

(١) مقابلة مع محمد خليل ترحيني، مرجع سابق.

(٢) لا زلت اذكر جيدا (المؤلف) ذلك العرس الذي اقامه جدي على يونس أحمد، لولده محمد يوم زواجه من ابنة ابن اخيه فايزه محمد خليل، كان ذلك في سبعينات القرن الماضي. يومها ارسل إلى الشياح، حيث مكان اقامتنا، بوسطة متوسطة الحجم لتقل افراد عائلات اولاده. في ليالي العرس الثلاث، حيث اقيم في حاكورة بيت خالي ابوعلي حسين، كان يقدم ما لذّ وطاب مِن مأكولات ومشروبات خاصة الجلاب والتمر هندي، كان والدي وعمي أبو هاني اعداهما من قبل. اقيمت حلقات الدّبكة على أنغام المِجوزالقصبيّ. =

أصبحت الأعراس تعبيرًا عن طفرة واضحة، من البهرجة والمبالغات جعلت الكثير منها محل استهجان، لفرط الإنفاق. فما معنى أن تتكلَّف ليلة عرس واحدة بضعة آلاف من الدولارات. وهنا تقف مؤسسة الزواج المزمع تأسيسها حائرة أمام المسؤولية، وموازين الأولويات، والكماليات الخاصة بحفلات الأعراس لا لشيء، إلا لأجل طقوس من الشكليات وأنماط من التقليد التي ترهق وتستنزف الجيوب، وتضع حتى غير القادرين في سباق اجتماعي مع القادرين، وتضطرهم إلى اللجوء لقروض طويلة الأمد، هدفها فقط مجاراة الأقارب والجيران، وألا يصير العريس وأهله موقع نقد المدعوّين، أو الأصدقاء. حتّى إنّ الكثيرين من أصحاب الدخل المحدود، يُضطرّون إلى التماشي مع الموضة السائدة، التي يفرضُها تجّار اليوم، لأنّ المجتمع لم يعُد يقبل التواضع، فنرى الأزواج يسيرون طوعًا إلى الذبح، ويسمحون لتجّار الصالات بنهبهم، ويقضون السنوات الطويلة في تسديد الديون التي صرفوها من أجل أشياء مرت من أمامهم كلمح البصر.

نشأ المجتمع العبّاوي على بناء اجتماعي نجح إلى حدّ كبير في تنظيم نشاطاته الإنسانية المتعددة، حتى أصبح هذ البناء، بمنزلة قواعد موضوعية معترف ومسلّم بها من أفراده، يؤدونها بوعي تام، عند ممارستهم لعاداتهم وتقاليدهم وقيمهم وصفاتهم الأخلاقية. منها ما ارتبط بإقامة المآتم على موتاهم في عملية دفن الموتى والطقوس التي تحدث عقب دفن الموتى، التي تظهر الحمية بينهم كافة العائلات الصغيرة قبل الكبيرة، فتجدهم يقفون صفًّا واحدًا لدفن الموتى والوقوف بجانب أسرة المتوفى لحين انتهاء مدة العزاء، والتي تختلف في عدد الأيام والليالي.

فيما مضى، عندما يتوفى أحدهم» كانوا عند سير الجنازة يردّدون بصوت عال

= ونافخ المِجوز لا يُفارق وسط حلبة الدّبكة، فهو لا يكلّ ولا يملّ، فتراه منفوخ الفم، يتصبّب العرقُ مِن جبينه على وجه أحمر بعروق متصلّبة، وهو في حركة دائمة يتمايل مع النّغمات، يُرافقه ضارب الدِّربكّة أو الطبلة بإيقاعه المُثير. تنتهي حلقة لتبدأ حلقة أخرى، وهكذا حتّى منتصف اللّيل أو أكثر. وأنت لا تسمع إلاّ الزّغاريد والحداء والأغاني، وكلّ الأنظار تكون موجّهة نحو العروس والعريس، فالنّاس يغمرونهما بالتّحيّات والتبريكات، ويُحيطونهما بكلّ رعاية وإكبار. والعريس يبقى مستنفرًا، دائم التأهّب، وهو بكلّ أناقته ولياقته. ينظر مجموعة من الصور لعرس علي قاووق رقم (٢٨).

أبياتًا تتضمن مزايا الفقيد، إضافة إلى قرع الطبل والسنجق والتكبير. عندما توفي الحج موسى قاووق، وكان رجلًا وقورًا متدينًا، قيلت في جنازته هذه الردية:

يـا مـن بـرمسـك[1] مستقيم قـم لـلـخـلـيـقـة حـيّـهـا

يـا تـابـع الـديـن الـقـويـم كـنـت لـلـيـتـامـى بـيّـهـا

عام (١٩٤٧م) وعلى مشارف نهاية شهر رمضان، حدث أن توفي السيد داوود يوسف أسعد حسين إثر عملية جراحية أجريت له في المستشفى الفرنسي في بيروت. وكان أن وصل جثمانه ليلًا، فتقاطر الأهالي إلى مشارف بلدة الدوير حاملين النعش إلى البلدة[2]. وكان بالعادة أن النسوة تمزّقن ثيابهنّ وتردّدن:

مات يلكان بيمينو بحر يروي القاصدينو

فيـه أسـرار النبـوة كيـف فيكـن شـايلينو

أما الرجال فكانوا يسيرون خلف النعش في هيئة ويرددون:

حيف محمود المعاني بالتراب يصير فاني

حيـف يـا نصلـة علمنـا تذبلـي قبـل الأوانـي

وكانت فترة الحداد على المتوفى تدوم من (٣) إلى (٤) أشهر يمتنعون فيها عن (دقّ اللحم)، أما الأهل فيلبسون السواد لفترة سنة كاملة، أما باقي أهل الضيعة فـ(٣) أشهر[3]. وعند وفاة شخص ما في البلدة، لم نكن نستقبل المعزين في الحسينية كما هو اليوم، إنما كان يتم ذلك في دارة المتوفى. وكانت النسوة من أقربائه تمزقن ثيابهن، بالإضافة لذلك تعمد زوجته إلى شرواله على اكتافها وتلوّح به. كانت فترة الحداد والحزن تطول لأشهر وربما لسنة كاملة أذكر جيدًا عندما توفي داوود

(١) الرّمْسُ، هو القبر مستويًا على وجه الأرض، قاموس المعاني، الموقع الإلكتروني، / www.almaany.com

(٢) مدونة العرايس، العدد الأوّل، ١٥ شباط ٢٠١٦م، الموقع الإلكتروني al3arayess.blogspot.com

(٣) مقابلة مع شريف عبد اللّه جواد خليل، مرجع سابق.

يوسف أسعد حسين شحّروا الطبل برماد الحطب ونكسوا راية السنجق[(١)].

أما حفل التأبين للمتوفى، فكان يقام في المسجد، وأيام الشتاء عندما كان السقف يدلف الماء كان الرجال يتجمعون داخل الحسينية القديمة بينما يبقى عرّيف الحفل في المسجد يتلوا على مسمع الحاضرين ما تيسّر له من رثاء ووجدانيات عن المتوفى، ومجلس العزاء كان يتلوه أحيانا الحاج عباس حرقوص. يسبق ذلك قراءة سور من القرآن بواسطة أسطوانة يشغلها مذياع يعمل على البطارية، وكان الحفل لا يستمر لأكثر من (٤٥) دقيقة. واستمر الحال على هذا المنوال حتى بناء الحسينية الحالية منتصف الستينات[(٢)].

مع البناء الجديد للنادي الحسيني بداية سبعينات القرن الماضي بدأت مهمة معرّف المنبر الحسيني بأخذ دورها في هيكلية البناء الاجتماعي العبّاوي. تولى هذه المهمة دون انقطاع إلا في حالات الضرورة حسن محمد حسن حسين[(٣)].

(١) مقابلة مع محمد خليل ترحيني، مرجع سابق.

(٢) مقابلة مع حسن محمد حسن حسين تولد ١٩٤١م، والدته مريم حريري سجل ٨٠ بتاريخ ٢٢/ ٤ /٢٠١٨م. ينظر صورة لحفل تأبين في النادي الحسيني لأحمد حسن خليل والد أبو سعداللّه رقم (٢٩).

(٣) عن تجربته كمعرّف للمنبر الحسيني يقول حسن محمد حسن حسين: عندما كنت صغيرًا لم أعتد يومًا الصعود إلى المنبر أو مجلس عام لأقف أمام جمهرة من الناس، إنما كنت من وقت لآخر أردد ما أحفظه من شعر أو نثر. عندما علم والدي بالأمر أراد امتحان قدراتي بأسلوب فيه نوع من الترغيب والترهيب، فوافقت. فنظم لي بيتًا من الشعر مشترطًا علّي إكماله، وأنشد يقول:

جـودي علّـي أسـير حبـك واعطفـي   برضابك [الريق] العذب المتيّم أنصفي

فما كان مني إلا أن أكملت قائلًا:

مـا لـي سـوى لقيـاك أفنانـي النـوى   قَسـمًا بحسـنك عنـي لا تتخلّفـي
لا يقسـو قلبـك فـي رضـاك علـى امرئ   قاصـي المصاعـب فـي هـواك تلطفـي
بـل قـابـلـيـه بـكـل حـب زائـد   عيفـي التغنـج فـي نصيبـك اكتفـي

فكافأني بعشر ليرات، وكان هذا محفزا لي لعتلاء المنبر بعد أن هجرت شعر العزل نحو الوجدانيات والشعر الحسيني. وكانت البداية من بلدة عدشيت عندما طلب منيّ والدي التعريف في حفل ذكرى أسبوع الشيخ الجليل يوسف الحايك، بداية تهيبت الموقف نظرًا للحشود التي تقاطرت من بلدات الجوار، ولمّا كان المنبر مرتفعًا قليلًا، وُضع لي كرسيًّا مكنتني من محاذاته. وقتها أنشد الشيخ حسين زهر الدين (غير معمم) قصيدته المشهورة، هذه بعض من أبياتها، قائلًا:

خـلا الـعـريـن فـلا شـبـل ولا أسـد   يـا لهـف قلبـي علـى الأشـبال والأُسُـد

=

وكان يتولى هذه المهمة محسن عبدو حسين أحمد، أو محمود حسين محمد علي يونس معلّم، أو نايف إبراهيم حسن خليل. ولأن السيد محمد علي مهدي إبراهيم لم يكن يلقي خطبا في مناسبات التأبين، كان الشيخ راغب حرب والسيد هاني فحص من جبشيت والشيخ علي ياغي من زوطر والسيد علي إبراهيم من الدوير يلبوا دعوة أهل الفقيد ويلقون كلمات الرثاء والموعظة الحسنة. وذات مرّة ألقاها السيد موسى الصدر. برنامج الحفل، كما يقول حسن محمد، كان يقتصر على قراءة سور من القرآن، خطبة دينية، مجلس عزاء، وأضيف إليها بسبب الأحداث كلمة لأحد السياسيين الحضور. عام (١٩٦٢م) وفي حفل تأبين محمد بن حسن عبدو حسين أحمد حضر السيد موسى الصدر، واعتليت المنبر واستهللت كلمة التعريف بالفقيد ببيت من الشعر قلت فيه:

لا كانت الماء للأحياء قاضية	**فمن مصائبها كم حزنا العجبُ**
سبط النبي قضى ومعه صحبه ظمئ	**وعند الماء كفرٌ يشربُ**
فالماء سبّب للحسين خلوده	**وكذا نراه للفقيد مسببُ**

ولمّا أنهيت أرسل السيد موسى بطلبي قائلًا لي: «أحسنت ولو أنك مجازًا (كفرت)، كيف تقول عن الماء ما قلت؟ والله يقول في كتابه العزيز: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ... ﴾ لكنّك أحسنت التشبيه.

كلمة آل الفقيد والبلدة لم تكن من ثوابت برنامج الحفل، إنما كانت تُدرج بحسب الحال، أي كسبب الوفاة، العمر، والمكانة الاجتماعية للمتوفّي. ومع مجيء السيد محمد حسن ترحيني (آل حمود) وإمامته للبلدة، داوم من دون انقطاع على خطبة المنبر الحسيني سواء بمناسبة ذكرى عاشوراء أو حفل تأبين المتوفين. وفي العام (١٩٩٨م) تولى إمامة البلدة السيد مصطفى ترحيني وانخرط في الحياة الاجتماعية

= وكنت أستقي مادة برنامج التعريف بالفقيد والمتكلمين من مطالعاتي لأمهات الكتب المتنوعة المضمون. ولم يكن عندي رهبة لا من الحضور. وهكذا تآلفت مع المنبر ونجحت حتى صار جزءًا مني لدرجة أبعدني كثيرًا عن مناسبات الفرح التي قد أفشل فيها إذا ما أوكل إليّ تنظيمها.

للبلدة، وخطيبًا على المنبر الحسيني في مناسبات عاشوراء وتأبين المتوفين.

يسجّل للمجتمع العبّاوي تميّزه عن غيره من أبناء القرى المحيطة، فهو مشارك فعّال في مختلف المناسبات الدينية والاجتماعية، لا سيّما مراسم دفن الموتى وحفل تأبينهم. ولا يقتصر الحضور في الجبّانة أو النادي الحسيني، إنما في بيوت أهل الفقيد، تعبيرًا عن شديد تأسفهم لفقد عزيز ومواساتهم، وما زالوا حتى اليوم. لدرجة أن قاعة النادي الحسيني غالبا ما تمتلىء عن آخرها، بحيث لا يعود متسع لآخرين، يعمد من بالداخل إلى المغادرة فورا وإفساح المكان للقادمين، لا سيّما من خارج البلدة. وكان أن درجت العادة أن يقام حفل التأبين، صباح يوم أحد وليس أي يوم آخر، حتى ولو مضى على يوم دفن الفقيد أكثر من سبعة أيام، وفي ذلك مرعاة لأعمال الناس وحرصًا على حضورهم. كما درجت العادة من باب التكافل والتضامن الاجتماعي، إقامة مآدب طعام عن روح المتوفين، ليس فقط من جانب اهل الفقيد إنما من جانب أي شخص، هو على معرفة بأشخاص من خارج البلدة حضروا الحفل. ومؤخرًا أصبحت إقامة الحفل في اليوم الثالث للدفن عصرًا ما هو ملفت في والوقت الراهن هو عدم مشاركة الشباب من الفئات العمرية دون الثلاثين إلا ما ندر. وهذا مؤشر سلبي قد يتحول لاحقًا إلى نمط اجتماعي يعبّر عن فردية شبيه إلى حدّ ما بما هو جار في بلاد الغرب. ولا شيء في الأفق يُنبِئ بمعالجة الظاهرة في ظل غياب تام لدور التوجيه الأسري والروابط العائلية والأحزاب.

إحياء مجالس العزاء:

الأسرة هي المكان الطبيعي التي يتلقى منها الطفل مبادئ التربية الاجتماعية والسلوك والآداب، كما يتعلّم المداومة على القيام بالواجبات. وتُعَدّ الأسرة بالنسبة للطفل مدرسته الأولى لنشأة العقائد الدينية والشعائر الإحيائية واستمرارها. وتُعَدّ مجالس العزاء التي تقام في عاشوراء، من أبرز تلك الشعائر. وتكتسب هذه المجالس أهميتها من الدور الكبير الذي كانت وما زالت تلعبه على مرّ التاريخ، في توعية المجتمع تجاه العديد من القضايا الفكريّة الهامّة، خصوصًا تلك التي تتعلّق

برفض الحاكم الظالم ومحاربته، وعدم الاستسلام له.

لم تكن المجالس العاشورائية معروفة ومشهورة ومعلنة في عبّا، أو غيرها من القرى والمدن الشيعية في لبنان والعراق، نتيجة القمع والمنع الذي مارسته السلطنة العثمانية، لذا كانت تقام في البيوت وأحيانًا بصورة سرية[١]. «وكانت المجالس الحسينية تقام في المنازل عشرة أيام، يتناوب على تلاوتها علي موسى خليل ياسين والد (أبو علي) كذلك عبدو معلم جدّ المختار حسن معلم[٢]. وساعد هذا الإحياء على إبقائها حيّة في نفوس العبّاويين أقله على مستوى العاطفي المرتبط بالمشهدية المفجعة للواقعة. وهذا النمط من الإحياء أوجد الركائز الأساسية للبناء العاشورائي الذي لا يمكن أن يهدم بأقوى المعاول وأشدّها، مهما مرّت السّنين. في حين لم يكن بمقدور قارئ العزاء جذب عقول المستمعين من باب العلم والثّقافة والتربية.

غيّب قارىء العزاء علي موسى خليل ياسين من النص العاشورائي الذي خطّه بريشته عام (١٣٥١هـ- ١٩٣٠م)[٣] كليًّا الخطاب التنويري التثقيفي، لدرجة أن المتصفّح لنصوصه لا يجد صعوبة في تلمّس مغالاته في البعد العاطفي، لاستجرار الإبكاء باعتبار ذلك هدفًا، ومقياسًا لنجاح القارئ، من دون أن يكون لهذا الخطاب إسناد بالمعنى المعروف في منهج كتابة التاريخ. هو يقول في أحد النصوص «ثم مضى إلى القتلى فاءل ما وقع نضره على أخيه أبي الفضل العباس فجلس حوله ونادى يا أخي ومساعدي إن ابنة أخيك فاطمة الكبيرة تقرئك السلام، ثم بكى حول أخيه العباس ومضى إلى جثة ولده علي الأكبر، وسلم عليه نيابة عن فاطمة وقال يا

---

(١) لم يكن في النبطية أي ممارسة علنية لإحياء مراسم عاشوراء إلى حين انتقال الطبيب الإيراني بهيج ميرزا إلى النبطية. بعد أن أقنعت عائلة بهلافي الإيرانية العثمانيين بالسماح للسكان الإيرانيين في البلدة بإحياء الشعيرة بالفارسية. وكان يجري إحياء الذكرى في مسجد حي السراي في النبطية وفي المنازل بشكل سري جدًا. آنا ماريا لوكا صحافية أجنبية تكتب عن عاشوراء في النبطية.... فماذا كتبت ؟؟؟، نقلًا عن http://www.nabatieh.org، ٥/ ١١/ ٢٠١٥م.

(٢) مقابلة مع السيد شريف عبد اللّه جواد، مرجع سابق.

(٣) ورد على غلاف المخطوطة العبارة التالية: هذه السفينة للفقير للّه السيد علي موسى خليل ياسين من أهالي قرية عبّا سنة ١٣٥١هـ من بعد الألف من الهجرة النبوية على مشرفها أفضل السلام والتحية والإكرام وصلى اللّه على محمد وآله الطاهرين في رثاء سيد الشهداء أبي عبد اللّه الحسين عليه السلام. مخطوطة رقم (٣٦).

ولدي إن أختك فاطمة تقرئك السلام، ثم وقف على جثة ابن أخيه القاسم وسلم عليه نيابة عن فاطمة، ولما جاءت وقفته على الرضيع تحسر وخطر بباله ماؤصت به فاطمة وذالك انها كانت - ذكرة في الكتاب بائبي اوحشتموني خصوصًا اخي الرضيع فسلموا عليه وقبلوا لي يديه ورجليه وعينيه فانكب الحسين يقبله ويشمه ويبكي وينادي يا ولدي بك أفجعوني وبعدك يقتلوني فلما رأته النساء ثاويًا على ولده أجلسوه وأخذوا الطفل من تحته وتنحوا به ناحية عن أبيه الحسين ووضعوه بينهم وأحاطوا به ونصبوا العزاء وجدّدوا النواح وأكثرو البكاء»[١]. وأوجدت المجالس العاشورائيّة التي كانت تقام في البلدة، بُعدًا اجتماعيًّا وشكّلت فرصة للاختلاط وهيأت أجواء التواصل بين العبّاويين[٢]. وسار على هذا النمط غيره،

(١) تعمّدنا نقل النص بحرفيته كما ورد في السفينة من دون تصحيح بعض الأخطاء الإملائية.

(٢) في ما يلي أسماء بعض أهالي البلدة ممن اقام مجلس عاشورائي من تلاوة علي موسى خليل ياسين، وهم: حسين داهوك، ذيبة خليل جابر، خديجة محمد هارون، رحمة بنت الماضي، مظلوم معلم، الحاجة طبية، ذيبة عباس، السيد علي عثمان، الحاج قاسم كلوت، محمود جفال،السيد عبد اللّه جواد، السيد يوسف علي، السيد إسماعيل، السيد خليل يونس، السيد علي يونس، السيد أحمد يونس، الحاج موسى، السيد صالح، السيد علي، السيد علي مصطفى، السيد عبد حسين، السيد أمين حسين، السيد علي حسين، السيد محمد يوسف،السيد علي يوسف، السيد أحمد يوسف، السيد يوسف، السيد إبراهيم يونس، السيد أمين أحمد، السيد أحمد علي حسين،السيد وهبي يونس، السيد محمود محسن، حسين قاسم، علي جواد، عبد الحليم هاشم، محمود قاسم أحمد عيسى،علي قاسم، السيد حسن علي حسن، محمود يوسف، ماشاءاللّه، محمد كلوت، محمود حسن عبد اللّه، محمود يونس، محمد علي الحاج موسى، السيد محمد يوسف، السيد أحمد يوسف، السيد خليل يونس، السيد أحمد يونس، السيد علي يونس، السيد عبد اللّه جواد وولده السيد شريف، السيد حسن مرتضى، السيد إسماعيل، السيد إبراهيم عثمان، أبو خليل، السيد صالح، علي محمود، علي وهبي. لم يرد في السفينة اي توضيح حول ماهية هذه الأسماء الواردة على احدى صفحات السفينة. نحن بدورنا نفترض أن من وردت أسماؤهم، قرأ لهم السيد مجالس عزاء في بيوتهم. ما يعزز هذه الفرضية، هو إدراج عملية حسابية في الصفحة المقابلة، يبدو منها، أن الرقم ١١٧ هو حاصل ما تم تقاضيه من هؤلاء، وهي وردت بالترتيب التالي:

١٨
٩٠

١٠٨
٠٠٩

١١٧

أمثال «الحاج عبدو معلم، (جدّ المختار)، وكانت مجالسه تقام في البيوت قُبيل مغرب الشمس، في التسعة الأولى من محرّم،، أما اليوم العاشر فكان يقام في الجامع، ولم تكن تُقام مآدب طعام أو أي شيء آخر(١). وخارج البلدة كان لبعض العباويين مشاركات في المجالس لا سيّما في مدينة النبطية، يقول (أبو فايز) الأيام التسعة الأولى كنّا نحييها في البيوت وأحيانًا في جامع البلدة لأنه لم يكن يوجد وقتها حسينية، القارئ كان السيد علي موسى، وأحيانا شخص آخر من خارج البلدة. وعند شيوع آلة التسجيل اعتمدت بعض الأحيان كوسيلة للاستماع عندما لا يوجد قارىء. وقبل اليوم العاشر كنّا نقصد النبطية لـ(نعوشر)، المحطة الأولى كانت في بلدة زبدين، كنا نصلها مشيًا غروب اليوم التاسع، ونبيت الليل عند ابن خالي السيد أحمد يونس هارون وكان مقيمًا فيها، صباح اليوم التالي نشارك جموع المحتشدين لمشاهدة تمثيلية مصرع الحسين(٢). وخلف علي موسى خليل ياسين نجله محمد، واستمر فترة طويلة، إلى جانب (أبو ياسين) وكان قارئًا حافظًا للسيرة الحسينية عن ظهر قلب. وبسبب الشحّ المالي عند الأهالي كانت الضيافة تقتصر على توزيع حلوى الراحة من دون الهريسة أو أي صنف من الطعام. اللافت في أجواء محرم، أن الوجوم كان باديًا على مُحَيّا الأهالي تأثرًا بالفاجعة(٣).

فيما عرفت بعدها التلاوة نمطًا آخر يعتمد المقامات والأطوار، وكانت بداياتها سماعيًّا مع عبّاس نجل محمد علي موسى(٤). وعبّاس ترحيني (أبو الفضل) الذي

(١) مقابلة مع سعيد إبراهيم يونس، مرجع سابق.

(٢) مقابلة مع محمد خليل ترحيني، مرجع سابق.

(٣) نفس المرجع.

(٤) لما كانت مجالس العزاء من الشعائر الحسينية التي أُمر الأئمة عليهم السلام بإقامتها، ونظرًا للظروف التي أحاطت بها على مرّ التاريخ، كان لزامًا على الخطباء تطويرها مع الحفاظ على جوهر النص. وهكذا أخذت التلاوة بالتطور شيئًا فشيئًا، وأصبحت خاضعة لمناهج وقواعد. وقسم الخطباء، البناء المجلسي إلى ثلاثة: (القصيدة - الموعظة - النعي). وحتى يؤدي الخطيب القصيدة على أكمل وجه ويتفاعل معها الجمهور لا بد له أن يعتمد على أطوار، باتت معتمدة من أغلب القراء، أبرزها: الدرج - المثكل- التخميس- العاشوري - البحراني... وبالطبع فإن اعتماد هذه الأطوار، لا شك، يستدر الدمع ويحرّك المشاعر، ومن ثمّ يزيد التفاعل. إن تطبيق هذه الاطوار لا يأتي إلا بالتجربة والخبرة والتوفيق من اللّه تعالى. ولا يشترط بالخطيب =

بدأ مسيرته بالتلاوة سماعيًّا، ومن ثم خضع لدورات مكثفة في فن الخطابة، وتعلّم قواعد المقامات والأطوار، فضلًا عن النحو والصرف وتفسير القرآن والفلسفة والمنطق. كما استمع إلى كبار القراء أمثال الكاشي والوائلي[1]. ومعها أصبحت التلاوة أكثر تخصصًا ومهنية بالمعنى الأدائي، تعتمد المقامات والأطوار، وقادرة على صناعة الوعي. ومن النسوة، وفاء حسين ترحيني، انتصار حريري، زليخة محمد علي موسى ترحيني، وآداؤهن لا يعتمد النمط السائد عند الرجال. وتعددت شعائر الليالي العاشورائية في عبّا، وكان يتم فيها استعادة واقعة استشهاد الإمام الحسين. فبالإضافة إلى قراءة المجالس في النادي الحسيني والبيوت، كان هناك نمط آخر اعتمد الندب واللطم والمسيرة العاشورائية والتطبير. وهناك من عمد إلى رفع اللافتات الأعلام والرايات السوداء تعبيرًا عن الحزن والحداد وإضاءة الشموع وتوزيع الماء وتقديم الطعام، وأصبح هذا التقليد الحجر الأساس في وجدان العباويين يحرصون على ممارسته سنويًّا وعند كل مناسبة.

= عند تلاوته للقصيدة، أن يطبق جميع الاطوار، ويمكنه أن يأتي على ثلاثة أو أربعة منها تبعًا للظرف المحيط به ومدى انسجام الجمهور بالتلاوة. أمّا الموعظة، فإن أمرها يتوقف على مدى ثقافة الخطيب واطلاعه وتمرسه. فكلما كان بارعًا، يجيد انتقاء المواضيع، كأن يستهلها بآية أو حديث شريف أو بيت من الشعر، ويغوص في شرح المعاني والمدلولات بإيجاز ممنهج كي لا يشتت ذهن المستمع، يكون قارئا محترفًا. وتظهر حرفيته، في كيفية الانتقال إلى الشق الأخير من التلاوة وهو طور النعي. والانتقال إليه لا يتم إلا بفقرة، اصطلح على تسميتها بـ(الكوريز) أو (التمهيد) للنعي، بشرط، أن يكون مضمون (الكوريز) مشابهًا لكل من الموعظة والنعي ومرتبط بهما. كأن يكون عنوان الموعظة (الصلاة)، ويكون الرابط، هو عدم ترك الإمام الحسين للصلاة حتى في أحلك الظروف وأشدها قساوة. ومن ثم ينتقل القارئ إلى النعي وهو عبارة عن أي مصيبة من مصائب عاشوراء (علي الأكبر أو القاسم...). ومن ثم، يختمها ببعض الأبيات الشعرية من القريض أو العامي التي تناسب المقام لينتهي بالدعاء للمؤمنين وقبول الاعمال. هذا ما أطبقه أنا منذ سنوات طويلة. خبرة، اكتسبتها بالتدريب والتأهيل والتطوير الذاتي. في الثمانينيات، عندما كان لي شرف التعلّم من والدي وقبله جدي، لم أكن أتلو المجالس وفقًا لهذه القواعد. فهما كانا يتلوان المجالس بالفطرة، من دون إلمام بهذه القواعد. لا شك، فقد تأثرت بكبار القراء والخطباء أمثال، المالكي – الشاهرودي – الطويرجاوي– الوائلي– الكاشي، وأخذت عنهم فنون الخطابة وقواعد الأطوار.

(١) أصبحت التلاوة العاشورائية فن خاضع لمنهجية قائمة على مقامات وأطوار، لا بد من إتقانها. ومعها أصبح لزامًا على القارىء أن يلائم بين ثلاث: القصيدة – الموضوع – النعي، بشكل متناسق. مقابلة مع عباس ترحيني (أبو الفضل) والدته فاطمة ترحيني تولد ١٩٦٩ بتاريخ ١٩/ ٤/ ٢٠١٦م.

في العام (١٩٨٢م) انطلقت في عبّا أولى المسيرات العاشورائية، بتشجيع من بعض العائلات النبطانية التي أقامت في البلدة لفترة وجيزة بسبب انعدام الأمن في مدينة النبطية غداة الاحتلال الإسرائيلي. بداية اقتصرت الأعمال على المسيرات الليلية، وكان يشارك فيها أحمد محمود علي حسين حسين علي محمود خليل علي محمود أبو حسين حريري ويرددون شعارات من مثل (أيَّ شريعة حللت قتل الحسين بن علي)، وعلى مسيرة اليوم التاسع، وكان يتخللها لطميات وترداد للشعارات الكربلائية، عبر مذياع وضعه محمد حسن محمود يونس (أبو ياسين) بتصرّف المسيرة. وكان سماحة العلاّمة السيد محمد ترحيني يشارك فيها، واستمر في ذلك حتى العام الذي وقع فيه التصادم بين القوى الحزبية في البلدة. يومها قرر الامتناع عن المشاركة في التنظيم أو السير في أي مسيرة في البلدة. في موازاة المسيرة، كان بعض الشبّان منهم: حسن حريري (خردق)، محمود محمد محمود ترحيني، علي البرجاوي، يقصدون في اليوم العاشر مدينة النبطية للمشاركة في مسيرات التطبير. في العام (١٩٨٦م) تطورت المسيرات بعد أن أضيف إلى اللطميات (ضرب الحيدر) يومها لم يكن العلاّمة السيد محمد ترحيني يجاهر بمعارضة ظاهرة التطبير. وربما ساير الظاهرة باعتبارها شائعة، إلا أنه بدأ انتقاده لها في أواسط التسعينيات وتوّجها برأي له في كتابه (الشعائر الحسينية المنصوصة)[1]. وظهرت الحماسة عند المطبّرين حدًّا جعلهم يدخلون القاعة السفلى للنادي الحسيني فيما هم اليوم لا يتجاوزون الباحة الخارجية. وتميزت المسيرات بالتزامها برفع الأعلام والشعارات الحسينية فقط دون غيرها. عُرف من (ضرّيبة الحيدر): علي البرجاوي، أحمد سعيد جفال، أحمد على مصطفى (أبو سمير) ماجد ماجد (أبو حسني) حسن حريري (خردق)، محمود محمد محمود ترحيني، صبحي أحمد ترحيني، علي حريري، محمد حريري[2]. ورغم كل الانتقادات وحملات التحريم ما زال التطبير في عبّا مستمرًّا بدعم من مجموعة الشباب المشاركين وأهل الخير (ذات مرة تبرعت أم

---

(١) لمزيد من التفصيل، يراجع السيد محمد حسن ترحيني: الشعائر الحسينية المنصوصة، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م، الصفحات ٥٥-٥٦-٥٧-٥٨.

(٢) مجموعة صور رقم (٣٠).

سعد اللّه بثوب من القماش الأبيض لزوم صنع الأكفان وعصبات الرأس)[١].

في موازاة مسيرات اللطم والندب وضريبة الحيدر، أتت في العام (٢٠١٢م) وبصورة تلقائية فكرة قيام مجموعة من الشباب ضمت كل من: أحمد ومحمد صادق حمزه دياب، حسن محمد شريف ترحيني، محمد حسن حمود، حسن نجيب ترحيني، حسن وحسين ماجد ترحيني، علي يوسف ترحيني، محمد حسين ترحيني، إبراهيم محمد ترحيني، محمد عماد ترحيني، خليل إبراهيم ترحيني، عبد اللّه أحمد ترحيني، محمد رفيق ترحيني، بخطوة رفع اللافتات والأعلام والرايات الحسينية السوداء في الساحة العامة والطرق المؤدية إليها، تحت عنوان التقرب إلى اللّه انطلاقًا من الآية الكريمة ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ [الحج: ٣٢]، وقول الإمام الصادق (أحيوا أمرنا ...) وإظهار أجواء الحزن بهذا المصاب الجلل. ولم يطلق أصحاب هذه الخطوة أية تسمية على تحركهم، إنما أصبح شائعًا بين الناس ومتداولًا اسم (لجنة عاشوراء). ونفّذت الخطوة بالتشاور من الجهات الدينية والحزبية في البلدة، وبتمويل ذاتي ومن المتبرعين. ولاقت الخطوة تجاوبًا من الجميع ظهر ذلك من حجم الدعم لها. وكانت اللجنة تعمد في كل عاشوراء، بحسب الظروف وطبيعة العمل الميداني، إلى تطوير أساليب التعبير عن المناسبة، للتعريف بثقافة عاشوراء ونشر المبادىء والمُثل التي استشهد لأجلها الإمام الحسين.

ظروف الحياة القاهرة وتعقيداتها التي قلّصت من أعداد المجموعة، لم تحل دون انضمام مشاركون جدد، وتنفيذ أفكار جديدة من مثل: مشهديات ثابة ومتحركة، إعداد وتنفيذ مسرحيات التوعوية وتمثيليات معبرة عن كربلاء على مدى سنتين متتاليتين، كذلك إقامة مآدب طعام، رفع (قوس عاشوراء) بمحاذاة منزل العلاّمة السيد محمد ترحيني، كدليل على انتصار الحق على الباطل، تغطية الشوارع المؤدية إلى الساحة العامة بالكامل، بأشكال متعددة من القصاصات الورقية السوداء اللون تعبيرًا عن قتامة المشهد واكفهراره وازدياد ظلمته. رغم ذلك

(١) مقابلة مع حسن أحمد حريري والدته ريمة ترحيني، تولد ١٩٥٩م، بتاريخ ١٠/ ٧/ ٢٠١٩م.

لم تتبنَّ المجموعة فعل التطبير ولم تدرجه في برنامج نشاطاتها[(١)].

سمحت المجالس الحسينية في عبّا بمساهمة بعض العائلات بالأعمال الخيريّة وحملات التبرع ومساعدة الفقراء، فضلًا عن إقامة المجالس والمآدب طيلة الأربعين يومًا، فضلًا عن قيام الهيئات الحزبية بمسيرات تؤكد على الدور الثقافي والسياسي لكربلاء، باعتبارها حركة دائمة تبثّ روح الوعي في الأمة، من أجل مواجهة الأعداء، والتنبّه إلى المخاطر التي تهدّد الواقع الإسلامي[(٢)]. ومع استمرار المسيرة الحسينية، لم تعد السيرة، تأسرها الدمعة ولا تسقطها المأساة التي تصادر العقل وتخرج الإنسان عن توازنه، بل أصبحت من أهم الشعائر مصداقًا لإحياء أمرهم على منهج الإسلام القائم على نظافة الغاية التي لا بدّ أن تنعكس على الوسيلة. وهو نهج داوم عليه لعقود طويلة سماحة العلاّمة السيد محمد حسن ترحيني إلى جانب صاحبي السماحة السيدين أمين ومصطفى ترحيني، بإقامة السيرة طيلة الأيام العشرة وفي الأيام الثلاثة التي تليها بمشاركة القارئ عباس محمد على موسى ترحيني، والمسيرة الحسينية في اليوم التاسع بمشاركة أهالي البلدة[(٣)].

الأدعية: في موازاة المجالس الحسينة برز من عبّا من اهتم بالدعاء باعتباره عبادة تقوم على سؤال العبد لربَّه والطلب منه. ولمّا كان الدعاء من أفضل العبادات التي يحبها اللّه خالصةً له تميزت سفينة الأدعية التي خطّها بيده جواد بن محمد هارون قبل (١١٩) عامًا، واستهل صفحتها الأولى بالتعريف بكاتب السفية. أمّا الصفحة الثانية فقد أكّد فيها انتماءه للإسلام والولاء لمحمد وآل بيته[(٤)]. في الشكل عدد

---

(١) مقابلة مع كل من: أحمد حمزه ذياب والدته مفيدة صفا تولد ١٩٨٩م و حسن محمد شريف ترحيني والدته جوهينة تولد ٣٠/ ١/ ١٩٩١، بتاريخ ٨/ ٧/ ٢٠١٩م.

(٢) وكان تقليدًا درج عليه أحمد علي حسين: في عاشوراء من كل عام بعد نهاية المصرع يقدم الطعام للمعزين، ولاحقًا عبد الرسول محمد ترحيني ولجان من حركة أمل وحزب اللّه تمثل جانب من النشاط خلال شهر محرم.

(٣) صورة رقم (٣٠).

(٤) هذه السفينة الا [إلى] السيد جواد ابن السيد محمد هارون مؤرخة في غرة جمادي الثاني سنة ١٣٢٠هـ [١٨٩٩م] كاتبها الحقير السيد جواد ابن السيد محمد هارون ترحيني.

=

صفحات السفينة (٢٠٧)، الكتابة بالقلم الغزار والريشة، يتحسّن الخط عندما يتحسّن القلم والريشة، يوجد عدد من الإخطاء الإملائية. في المضمون حوى فهرست السفينة الأدعية التالية: شهور السنة، أبيات شعرية منسوبة لأمير المؤمنين، دعاء اليقين، دعاء المجير، دعاء يستثير، دعاء طوبية، قنوت العيد، دعاء عظيم القدر، دعاء اعتصام، دعاء غياث المستغيثين، زيارة أبي الفضل، زيارة أمير المؤمنين، زيارة الأئمة، زيارة وارث، دعاء العديلة، زيارة أمير المؤمنين، زيارة دعاء الغدير. أظهر الداعي جواد محمد هارون في سفينته توحيده للّه في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، متممًا شرط إجابة اللّه للدعاء، بطاعته وترك معصيته، والإخلاص له، عملًا بقوله اللّه تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

قبل الفترة التي قدم فيها الشيخ إبراهيم حريري إلى عبّا ليكون شيخًا للكتّاب، بطلب من خليل أبو دلا، لم تذكر المصادر الشِفاهية شيئًا عن كيفية تعلّم قراءة وتلاوة القرآن (الترتيل). لكن ما وصل إلينا بعد هذا التاريخ، يشير إلى أن علي موسى خليل ياسين، انفرد بالتلاوة، ومعه أصبحت تقام على المنابر في المناسبات الدينية والاجتماعية. وكانت التلاوة غير خاضعة لأحكام المقامات الصوتية والتجويد، وتعتمد على التقليد السماعي. واستمر هذا النمط من التلاوة، حتى مرحلة متقدمة من ثمانينات القرن الماضي، وكان أبرز القراء موسى قاووق يليه محمد علي موسى، ثم أبو محمود حريري، أحمد محمود علي حسين، محمد حسن يونس

=

بسم اللّه الرحمن الرحيم
رضيت باللّه ربًّا وبالإسلام دينًا ومحمد صلى اللّه عليه وآله كتابًا وبالكعبة قبلة وبالصلوات فريضة **وبعلي** عليه السلام إماما **وبالحسن والحسين وعلي** بن الحسين ومحمد بن علي **وجعفر** بن محمد **وموسى** بن جعفر **وعلي** بن موسى **ومحمد** بن علي **وعلي** بن محمد **والحسن** بن علي **ومحمد** بن الحسن صاحب العصر والزمان وخليفة الرحمن ومظهر الإيمان وسيد الأنس والجان صلوات اللّه عليه وعليهم أجمعين يا أللّه يا أرحم الراحمين اللّه إني أودعتك يقيني هذا الإقرار بك وبالنبي والأئمة ﷺ وأنت خير مستودع فرده علي وقت سؤال منكر ونكير برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى اللّه على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين. وثيقة رقم (٣٧).

(أبو ياسين)، خليل علي محمود، وعلي أحمد هارون[١]. وكان النادي الحسيني هو مكانًا للتلاوة، التي لم تكن تتجاوز الدقائق العشر، على اعتبار أنها خطوة لازمة لافتتاح الحفل. ورغم معرفة هؤلاء بوجوب تطبيق أحكام التجويد والترتيل، استجابةً لقوله تعالى: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ [المزمل: ٤]، وكان متعذرًا عليهم تطبيقه، فقد آثروا الاستمرار، لأن غايتهم كانت التقرّب إلى اللّه باعتبارها من أعظم القربات، وأفضل الطاعات.

مع إسماعيل محمد يونس، أخضع الترتيل لقواعد وأحكام المقامات الصوتية والتجويد. وكانت البداية عام (١٩٨٤م)،عندما اعتلى المنبر لأول مرة يتلو القرآن في المدارس والبيوت، وفي المجالس الحسينية، فقد كان قارئًا أجاد تقليد أصوات كبار المقرئين من دون أدنى معرفة بقواعد الترتيل. عام (١٩٨٨م) عندما أقيمت دورة للتجويد في عبّا بإشراف كمال طفيلي وعلي فرج اللّه، كان مشاركًا فيها وحاز على المرتبة الأولى أمام أربعة منافسين علي مستوى لبنان، وبعد تقييم من الشيخ سلمان الخليل، نال إجازة تلاوة من سماحة العلاّمة السيد محمد حسين فضل اللّه مع مكافأة مالية. وأتبعها في العام (١٩٩١م) بإجازة أخرى من الشيخ أحمد العجوز رئيس جمعية المحافظة على القرآن، بمباركة من الشيخ عبد السلام ساتر، وبذلك حاز تقدير مرجعيتين في تلاوة القرآن من الشيعة والسنّة.

في العام (٢٠٠٨م) خضع لدورة أخرى في مقامات - سطحي صوت ونغم

(١) والده السيد أحمد يونس محمد (آل هارون) من مواليد عبّا ١٩٢٨ م، سجل ١١٧، عاش فترة طفولته حتى سنّ العشرين في بلدة زبدين مسقط رأس والدته تفاحة أمين مقدم. باكرًا قصد بيروت للعمل، ولمّا تزوج أقام في ضواحيها، واستقر في منطقة الغبيري. وكان يعمل في بيع الفاكهة شتاء والمشروبات صيفًا. كان مولعا بالمطالعة، لاسيما الكتب الدينية، وكان من رواد مكتبة النجف الأشرف في الغبيري لصاحبها الشيخ مهدي أبرز مطالعاته، مكارم الأخلاق، مفتاح الجنّات بأجزائه الثلاثة، نهج البلاغة، الشيعة الحاكمون، قصص الأنبياء، إسرائيليات القرآن، يوم الخلاص والتفسير الكاشف للشيخ محمد جواد مغنية، إضافة إلى القراءة اليومية للقرآن الكريم. عرف عنه حفظه لمعظم سور القرآن حتى لا نقول جميعها وكان يتلوا ما تيسّر من السور غيبا في النادي الحسيني في مناسبات حفل التأبين. اشتهر بأنه جعل من صندوقة (عربة بيع الخضار) موضعًا لكتبه، يستل منها ما يشاء منها كلّما سنحت له الفرصة، أي إن كل مطالعاته كانت في أثناء العمل. توفي عام ٢٠٠٥م عن عمر ناهز الثمانين عامًا.

في بيروت، من تنظم شاه ميوه وأتبعها بأخرى في إيران دامت حوالي الشهر، حاز في نهايتها على درجة الامتياز من الفئة الثانية أمام (١٤) متباريًا من لبنان. وهكذا أصبحت التلاوة عنده خاضعة لقاعدة (صنع بسحرك) وهي تعني مجموع المقامات على الشكل التالي: ص (صبا)- ن (نهوند)- ع (عجم)- ب(بياتي)- س(سيكا)- ح(حجاز)- ر(رست)- ك(كورد). مما أهله للتدريس، وتتلمذ له العديد من الطلاب. كما شارك في مناطق حارة صيدا والنبطية وصور وبنت جبيل بأمسيات قرآنية متعددة، مع كبار قراء مصر أمثال أحمد عبد الحي، محمد الشرقاوي، والزيناتي. إضافة إلى ختميات دولية، لا سيما في مقام الإمام الحسين. وفي سلطنة عُمان، وبناء على دعوة رسمية عامي (٢٠١٦م) و(٢٠١٧م) أقام حلقتي تدريس لصفوف السنة الجامعية الأولى تحضيري، وكان مقدرًا له الإشراف على مدرسة علوم القرآن.

صيام شهر رمضان والحج والزيارة إلى الديار المقدسة وإحياء يوم العيد:

لاستهلال شهر رمضان، يتم التحري عن الهلال بالعين المجردة وذلك في اليوم الـ(٢٩) من شهر شعبان. في هذا اليوم يغيب القمر قبل أو مع الشمس منذرًا ببدء شهر الصوم. وعند استحالة الرؤية، يعتبر اليوم الذي يليه متممًا له. وبما أن شهر شعبان لا يزيد عن (٣٠) يومًا فإن شهر رمضان يبدأ حكمًا بعد يوم منه.

في عبّا يتم مراقبة الهلال بعد غروب الشمس، وتكون مدة المراقبة ساعة واحدة فقط، وبعدها يختفي الهلال فلا يمكن رؤيته. ولرؤيتة بشكل واضح كانوا يقصدون مكانًا مفتوحًا بعيدًا عن الجبال والتلال والمباني لأنّ هذه المعوقات تحدّ من الرؤية الصحيحة للهلال، وكان يقوم بهذه المهمة عبدو عيسى معلم، ومؤخرًا العلاّمة السيد محمد ترحيني (يسهر بالنبطية ويجيب معو الفتوي) كما كانت بلدة دير قانون النهر وجهة السيد لاستهلال يوم العيد. وغالبًا ما كان الغبار والغيوم يؤثران في رؤية الهلال بشكل صحيح. وبمجرد ثبوت الرؤية، كان علي موسى خليل ياسين يقصد الجامع ابتداء من الليلة الأولى فجرًا للمناداة ببدء فترة السحور ولا يغادر

المسجد قبل المناداة باقتراب فترة الإمساك والامتناع عن الأكل وأحيانًا يجول ليلًا بين الحارات، وما إن يصل إلى منزل أحدهم يناديه بالاسم، يا سيد خليل قوم وحدّ اللّه(١). وبعض الأحيان كان يعاونه صالح أحمد خليل ياسين، وكان صوته جهوريًّا، ومن بعدهما محمد علي موسى وما زال لغاية الآن دون انقطاع منذ ما يقارب السبعين عامًا. فهو إلى جانب ذلك يداوم على خدمة المنبر الحسيني في أوقات الآذان للصلوات الخمس. ولمّا تولى أبو سمير نمرة وولده سمير هذه المهمة كان يجول أحياء البلدة وحاراتها يطرق على طبلة وينادي، يا نايم وحّد الدّايم، يـا غافي وحّـد اللّه، قوموا إلى سحوركم جايي رمضان يزوركم. أو يطرق الأبواب والنوافذ، ولا يتركها إلا بعد أن يتأكد من استيقاظهم، وفي فترة التسعينات كلفت حركة أمل وحزب اللّه بعض الشبان بهذه المهمة. أمّا وقت الإفطار، يقول (أبو فايز) «أذكر جيدًا أن أول صيام لي لشهر رمضان، كنت أبلغ من العمر (١٠) سنوات، لم يكن يوجد في البلدة ساعة لضبط والوقت، وكانوا إذ أرادوا الإفطار عند المغيب، كانوا يقولون: روحوا اسألوا حسن كلوت»(٢).

مع تقدّم الزمن وتطور المجتمع تكنولوجيًا، لم يصمد المسحراتي أمام التحديات وأصبح في ذمة التاريخ، يتذكّره كبار السنّ فقط الذين عاصروه، يروون قصصه لأبنائهم وأحفادهم على أنها من الأساطير القديمة. وأصبحت الأجهزة الذكية والمنبهات قادرة على إيقاظ الناس، لا سيّما بعد اتساع القرية عمرانيًّا وصار من المتعذر على الصائمين سماع صوت المذياع. كذلك بعدما اعتاد الناس السهر في ليالي الشهر الكريم، لتناول السحور وأداء صلاء الفجر، قبل الخلود للنوم، ومن ثمّ هم ليسوا في حاجة إلى من يطرق عليهم ليوقظهم كما في السابق.

كان في الصوم مشقة لا توصف، في ظل غياب وسائل الراحة والترفيه، إن كان لجهة طعام الإفطار أو العمل، لا سيّما عندما يصادف حلول الشهر الفضيل في أيّار وحزيران وهما شهري الحصاد والدراسة والتتبين. أمّا طعام الإفطار، فكان عبارة

(١) مقابلة مع محمد خليل يوسف، مرجع سابق.

(٢) نفس المرجع.

عن المجدّرة، بقلة حمص، برغل مع بندورة، الصايت، كبّة بلبنية، لبنية ذرة صفرا أو بيضا، الرشتاية، كبّة حيلة الفريك، وقليل من لحم البقر والدجاج، أمّا الحلويات، فكانت الهيطلية.

أما إفطارات اليوم، فبعضها يحرف الشهر الفضيل عن روحانيته، بعدما بات شيوع ظاهرة الإسراف في الميزانيات الأسرية، والمبالغة في الإقبال على شراء السلع الغذائية بكميات كبيرة تقليدًا دائمًا لدى أغلب العائلات العبّاوية دون تحديد للأولويات. لدرجة أن موائد رمضان تحولت لدى بعض النساء إلى نوع من أنواع التباهي والاستعراض عبر وسائل التواصل الاجتماعي، من خلال نشر صور الموائد، التي يكون مصيرها في مكبّ النفايات. ولعل سيل البرامج والمسلسلات التي تدعي أن غايتها الترفية، التي أصبحت تتقدم على غيرها من الواجبات الدينية والاجتماعية، هي في واقع الحال انحطاط يذهب بفضائل الصيام وتفسد روحانياته. ومن المخجل ربط شهر رمضان بالكسل، وتأجيل الأعمال، فتلك أكبر إساءة لفضيلة هذا الشهر الذي كان في التاريخ الإسلامي شهر العمل والانتصارات.

الحج إلى الديار المقدسة، بدأ نظام النقل الحديث إليها بشكل فعال، عندما أنشأت الهيئة السعودية للنقل العربي وشركة النقل بأخشاب بين عامي (١٩٤٦م) و (١٩٤٨م) شراكة مهمتها نقل الحجاج في مختلف المواقع، وأثبتت فعاليتها العالية. مع ذلك لم ينتهِ فعليًّا استخدام الإبل كوسيلة للنقل إلا عام (١٩٥٠م). وفقًا لإحصاءات مواسم الحج بين (١٩٤٦ - ١٩٥٠م)، وصل نحو (٨٠) في المئة من إجمالي الحجاج الأجانب عن طريق البحر، و (١٠) في المئة عن طريق البر، و (٧) في المئة عن طريق النقل الجوي. وشهدت عقود السبعينيات والعقود اللاحقة زيادة هائلة في عدد الحجاج بسبب توفر نظام النقل الجوي. وكان خليل أحمد يونس عندما أراد الحج، اختار البحر وسيلة للوصول إلى مكة. يقول فايز ترحيني في كتابه دائرة الشوك، إن جدّه « اختار طريق البحر

فرافقه الأهل والأصحاب والأعيان إلى العاصمة مودعين»[١]. وعند الوصول إلى ميناء جدة كان يتمّ إنزال الحجاج من البواخر إلى البر في الصباح الباكر أو آخر النهار حتى لا يتكلّف الحجاج من حرّ الظهير[٢]. وكان السفر بالبرّ مرهقًا، يعتمد الإبل وسيلة ويتطلب وقتًا طويلًا للوصول، إذ كان على القافلة ان تقطع ما يزيد على (١٥٠٠) كيلومتر للوصول، فضلًا عن المخاطر التي كانت تواجه الحجيج من غارات البدو، مع مرافقة كل قافلة رجال مسلحون من رجال ابن مبيريك لمراقبة أعمال الجمّالة والمحافظة على سلامة القوافل[٣]. أضف إلى ذلك، كانت الحكومة السعودية تلزم كل حاج يريد الانتقال إلى المدينة المنورة أن يكون سفره بمعرفة مطوفه[٤]. «ومدة الحج كانت تدوم حوالي الشهر أو يزيد، بما في ذلك مدة الذهاب والإياب ولم يكن يحدد مهلة زمنية لأداء ما تبقى من مناسك بعد الانتهاء من الوقوف في عرفة»[٥]. والعائد من الحج « كان يستقبله أهل الضيعة بالطبل والسنجق والزمر مهللين مزغردين ناثرين الأرز على تراب داسته قدماه فأضحى أكثر قداسة. وبعد استراحة قصيرة، يتوافدون إلى داره مرتدين حللهم الجديدة أو النظيفة، حاملين معهم بعض الغلال والمؤن أو ما

(١) فايز ترحيني: دائرة الشوك حكاية الولد العاملي، مرجع سابق، ص٤٦.

(٢) عبد العزيز بن محمد بن فهد العيسى: أرشيف مملكة الحجاز وسلطنة نجد وملحقاتها من ١٣٤٣هـ إلى ١٣٤٦ هـ، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، الطبعة الأولى، آذار ٢٠١٣م، ص٧٣. صحيفة أم القرى: العدد ٢٣ تاريخ ٦/ ١١/ ١٣٤٣هـ الموافق ٢٩/ ٥/ ١٩٢٥م.

(٣) نفس المرجع والصفحة. للتوضيح ابن مبيريك هو: إسماعيل بن مبيريك بن حمدي الغانمي الزبيدي الحربي، أحد أمراء قبيلة حرب وأمير رابغ، لقب بأسد البر والبحر، الابن السادس للأمير مبيريك بن حمدي آل مبيريك. كان يتولى تأمين الطريق لضيوف بيت اللّه طيلة السنة، فكان يخيم في الطريق ويقوم بالخفر حتى يتأكد من سلامة ضيوف بيت اللّه في فترة الحج و فترات العمره الموسوعة الحرة wikipedia.org/wiki

(٤) إن الذي دعا إلى هذا الإجراء، أن بعض الأشرار يغوون الحجاج لأخذهم على رواحلهم بدون علم من الحكومة ثم إذا خرجوا بهم للخارج سلبوهم ما معهم أو فعلوا فيهم غير ذلك من إنواع الإيذاء والحكومة لا علم لها بالشخص الذي إخذ الحاج ويصعب التحقيق عنه لذلك إوجبت على كل من يريد السفر إلى المدينة المنورة إن يسافر بمعرفة مطوفه ومخرجه حتى إذا فقد له شيء توجه الحكومة المسؤولية على المعتدين. نفس المرجع. لا يوجد رقم أو تاريخ للوثيقة.

(٥) مقابلة مع حسين علي يونس، مرجع سابق.

استطاعوا من هدايا، وكان هو بدوره يقدم لكل واحد منهم الصغير والكبير ما تيسّر من بركة الرسول»(١).

لأداء المناسك، يتوجب على الحاج دفع الرسوم التي تفرضها الحكومة السعودية بدل تكاليف السفر، والخدمات التي تقدم للحجيج، في أماكن الإقامة، بإشراف هيئة شؤون الحج ومتابعتها(٢). لذلك، وبحسب من أدى المناسك عام (١٩٦٥م) بلغت الكلفة (٥٣٥) ليرة ثمن التذكرة ورسوم أخرى وغير ذلك بحسب إمكانات الحاج المادية، وتشمل مصاريف مختلفة في مكة والمدينة وشراء الهدايا، لدرجة أن مبلغ (١٠٠) ليرة كانت كافية لشراء لفّة كاملة من القماش (ثوب قمصان) نوع كندي (ومناديل وسُبْحَات نوع اليُسر) وهي مصنوعة من حجر اليُسر الكريم المستخرج من البحر الأحمر، وهي نادرة جدًّا ولها كرامات معروفة) وساعات ماركة جوفيال وحرامات، لأن سعر الريال السعودي كان أقل قيمة من الليرة»(٣).

غداة أول رحلة له إلى مكّة لأداء المناسك، عمل أحمد يونس أحمد (أبو علي) بالتعاون مع المعرّف معروف فرحات من عين قانا وعبد النبي شريم على تنظيم أداء الفريضة لمن يرغب من أهالي البلدة، وكان يعاونهما أيضًا الحاج علي، وكان

(١) فايز ترحيني: دائرة الشوك حكاية الولد العاملي، مرجع سابق ص٤٦.

(٢) وتشمل الآتي: كل منزل يسكنه حجاج يكون تابعًا للتفتيش الصحي، يجب على الشخص الذي يريد أن يُعد الدار التي بحيازته للحجاج أن يقدم طلبًا رسميًّا إلى مصلحة الصحة العامة والإسعاف قبل إسكان الحاج للكشف عليها واخذ التصريح الصحي لأجلها، يجب أن تكون البيوت المعدة لسكنى الحجاج مطلاة جدرانها بالرخام ومفروشة ببلاط الإسمنت ومجهزة بالسيفون أو بسدادة خاصة وذلك بالتدريج، بحيث لا تمر خمس سنوات إلا وتكون المنازل حازه [حائزة] على هذه الشروط، يجب على المطوف أن يمسك دفترًا خاصًّا يسجل فيه اسم الحاج وعمره وجنسيته وصنعته ورقم جوازه وتاريخ وصوله إلى جده والى مكة وخروجه إلى عرفات وعودته وذهابه إلى الزيارة ورجوعه إلى بلاده والوقوعات السائرة حسب النموذج، يجب على المطوف ان يحافظ البيوت ولا سيما الماء والمراحيض. عبد العزيز بن محمد بن فهد العيسى: أرشيف مملكة الحجاز...، مرجع سابق، ص٢٥٦.

(٣) عام ١٩٦٥م توجهت إلى الديار المقدسة لأول مرّة على متن خطوط شركة ليا. كان برفقتنا الشيخ خليل صادق من بلدة الخيام والحاج أحمد مشيمش من بلدة كفرصير والحاج أحمد شكرون من كفررمان. لم تكن الأجراءات بهذه الصعوبة كما اليوم، أتذكر أن الحاج أحمد مشيمش أبو كاظم أتى بالمصوّر حنقير إلى البلدة وحدّد لنا موعد السفر مسبقًا. مقابلة مع حسين علي يونس ، مرجع سابق.

يتولى جمع الأموال، يلبس حزامًا جلديًّا يضع فيه ما يجمعه من الحجاج من أموال هي كلفة أداء المناسك. وأحيانًا كان إبراهيم عثمان وكامل كلوت يعاونان المعرّف الحاج عبد النبي شريم وإعداد الزوار لزيارة الأماكن المقدسة وأداء فريضة الحج»[١]. وفي السبعينات بدأ أبو ياسين بتنظيم حملات. وكان عدد الحجاج من البلدة لا يتجاوز الـ(١٢) حاجًّا في كل موسم.

خلال رحلات الحج تحدث بعض التجارب الإنسانية من نوع الطرائف والمواقف المضحكة، التي تحفر عميقًا في الذاكرة. من تلك الطرائف، يرويها حسين علي يونس، وفيها، «أن الشيخ خليل صادق من بلدة الخيام، وكان (مسقف حالو) أي جاعلًا لنفسه شأنًا رفيعًا، وحدث قبل هبوط الطائرة، أن بادر قائدها إلى توجيه الشكر لشركة النقل، على سلامة الرحلة، فما كان من الشيخ، إلا أن انتفض رافضًا شكره، قائلًا له: (تشكّر عن حالك، نحنا ما بدّنا حدا يتشكّر عنّا)»[٢] وفي طرفة أخرى يروي أبو علي: «أن حسن خليل أحمد يونس (أبو علي (كان دائمًا يقول: (يلي بودّع الحج أنا بكرهو). وذات يوم رأى أبو علي والده المرحوم السيد خليل يونس في منامه، يقول له: (رحت عالحج يا حسن، قلو لا، قلو ليش ما بتروح). ذكر أمامي حسن خليل أنه استيقظ مرعوبًا، وتوجه من فوره إلى السيد أحمد يونس طالبًا منه اصطحابه للحج. السيد أحمد قال له: لست ذاهبًا هذا الموسم. ردّ عليه، دبّرني مع الحاج حسين ضاهر، وكان له ما أراد. وكان في عداد الحملة بعض النسوة الأرامل أحضرن معهن عددًا من أقراص الكبّة المقلية، ولأن السفر كان عن طريق البرّ، فسدت الأقراص من شدّة الحرارة. مع ذلك بادرت النسوة إلى إطعامها له، مما سبب له إسهالًا شديدًا اضطره إلى إيقاف الباص والهرولة سريعًا بين كثباب الرمل لقضاء حاجة ومن تم نقل إلى المشفى للمعالجة»[٣]. وأحيانًا،

(١) مقابلة مع حسين علي يونس، مرجع سابق. من الأشخاص الذين أدوا المناسك، آمنة عبد الرسول ترحيني موسم حج ١٩٧٢م وحسين علي يونس ترحيني موسم حج ١٩٨٠م، وثيقة رقم (٣٨).

(٢) نفس المرجع.

(٣) نفس المرجع. ويروي خليل توفيق ترحيني طرفة مفادها، أنه أثناء تأديته علي موسى خليل ياسين فريضة الحج مع ابنه السيد محمد علي، ظهر عليه التعب وخفت همته وتثاقل مشيه. نادى على ابنه محمد علي بأن =

كان إداء المناسك لا يكتمل، بحدوث وفاة مفاجئة نتيجة الإرهاق أو حوادث طارئة، كالذي حدث مع تفاحة مقدم حرم أحمد يونس هارون، ودفنت هناك(١)، ولم تكن حالة الوفاة تلك الأخيرة. حتى العقد الأخير من القرن الماضي، كانت رحلات الحج، يُعتمد فيها الإجراءات التقليدية غير الخاضعة للنظم المؤسساتية، وغالبا ما كان الحجيج يتعرضون لعصوبات في السفر والإقامة والمأكل والتنقّل وأثناء إداء أركان الحج. يروي فادي نايف ترحيني، شيئًا منها، حدثت له أثناء رحلة (١٩٩٠م). يقول «كانت لي أول رحلة لأداء فريضة الحج، برفقة جدتي. حينها كان السفر برًّا، ولشدة ما صادفنا من متاعب، توفيت جدتي نتيجة قصور واهتمام بشؤون الحجيج أثناء السفر والتنقل داخل الديار المقدسة، وسوء التغذية وتردي أوضاع أماكن السكن»(٢).

هذه التجربة تركت في نفس الحاج أثرًا سلبيًّا، وولّد رغبة لديه دفعته للخوض

= يعطيه (الكمر الخاص بالأموال) وعندما لبسه اشتد عزمه وقويت شكيمته وقوي عصبه لأن المال عصب الحياة وسار إلى منى سير الشباب قائلًا له «إذا وضعت المال في الجرار رقصت» مدونة العرايس، العدد الأوّل، ١٥ شباط ٢٠١٦م، الموقع الإلكتروني al3arayess.blogspot.com

(١) روى مختار بلدة عبّا حسن محسن معلّم، أنه عام ١٩٦٠م رافق قريبه حسين الشيخ معلّم إلى مطار بيروت، وهو في طريقه لأداء فريضة الحج، وكان من بين ركاب الباص الذي أوصلهم إلى المطار، الحاجة تفاحة مقدم، وعند عودة الحاج حسين أخبره أن الحاجة تفاحة لم تكمل مراسم الحاج بعدما أدخلت إحدى المستشفيات في مكة بسبب المرض ومن ثم توفيت، ولمّا تعذر إعادة الجثمان لأسباب عدة دفنت هناك. مقابلة مع حسن محسن معلم ، مرجع سابق.

(٢) مقابلة مع فادي نايف ترحيني (صاحب شركة حملة الحوراء للحج والعمرة والزيارة) تولد ١٩٦٧، والدته ليلى كنعان، بتاريخ ٢٨/ ٤/ ٢٠١٨م. غالبًا ما كان سوء الأوضاع يتسبب بوفاة حجاج، بالرغم من اتخاذ هيئة الحج، العديد من الإجراءات الوقائية، منها: أن توضع أثقال الحجاج وعفشها خارج غرفة المنامة ما عدا الأشياء الضرورية، الطبخ ممنوع في غرف المنامة، أن تكون البيوت نظيفة في كل وقت، أن ترش المراحيض والمحلات اللازمة بمادة مطهره كالأسيدفينك، إرسال المرضى إلى الصحة، أو الإخبار عنهم بظرف أربع وعشرين ساعة من مرضهم، ممنوع رمي الأوساخ أو صب المياه المستعملة من النوافذ أو الطيُّق، وضع الزبالة والكناسة وبقايا الطعام وما شابه [ذلك] داخل صفائح ذات غطاء على ان تفرغ وتنظف كل يوم ويعطى محتوياتها لمأموري التنظيف، لا يجوز تنوير الغرف بالسرج بل ينبغي تبديلها بسرج ذات زجاج، على كل مطوف ان يحفظ نسخة من هذه المواد عنده، أن المطوفين والذين يخالفون هذه المواد يجازون بموجب نظام القضاء الصحي. عبد العزيز بن محمد بن فهد العيسى: أرشيف مملكة الحجاز... مرجع سابق، ص٢٥٩.

في قطاع تنظيم حملات الحج والزيارة. عن هذه التجربة يقول: «كانت البداية عام (١٩٩٢م) من المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، بعدما أنهيت دورة معرّف بنجاح بدرجة (ممتاز) وحصلت على ترخيص منه تحت رقم (١) باسم شركة حملة الحوراء للحج والعمرة والزيارة. حينها لم يكن أحد ممن يعمل في هذا القطاع حائزًا على ترخيص تحت عنوان (شركة)، إنما كان هناك مسميات مختلفة تشير إلى أسماء أصحابها»[١]. وبذلك يكون أول من أنشأ في عبّا مؤسسة تعنى بتنظيم رحلة الشعائر، بعدما كان سبقه على مستوى فردي محمد كامل كلوت ورفيق شريف يوسف أسعد. كانت غاية من تأسيس الشركة، وضع قواعد وخطة عمل ممنهجة لتلافي الثغرات والأخطاء التي كان منظمو الحملات يقعون بها والتي كانت ترتد على الحجيج معاناة لا حدّ لوصفها[٢]. في خطة عمل الحوراء، نظامًا إداريًّا غاية في الدقة والتنظيم يديرها (٩) موظفين وحوالي (٥٢) معرّفًا ومرشدًا، يجري تقييم أدائهم سنويًّا، على قاعدة الثواب بالمكافآت، والعقاب باستبدال المقصرين بآخرين. هذا الأداء نال استحسان ورضى وتنويه الجهات ذات الصلة، لا سيّما هيئة إدارة شؤون الحج في مكة المكرّمة التي تربطها بإدارة الحملة علاقات مؤسساتية ممتازة. وبطبيعة الحال والمتابعة، توسعت أعمال الحوراء بافتتاح فروع لها في صور بيروت مشغرة وبنت جبيل وبعلبك. وبذلك خرجت الحوراء من فضاء عبّا، إلى فضاءات أوسع كان بنتيجتها قيامها على مدى ربع قرن بالعديد من حملات الحج والزيارة، موزعة على الشكل التالي:

---

(١) مقابلة مع فادي نايف ترحيني صاحب (شركة حملة الحوراء للحج والعمرة والزيارة) تولد ١٩٦٧م، والدته ليلى كنعان، بتاريخ ٢٨/ ٤/ ٢٠١٨م.

(٢) عن بداية الإنطلاقة، يقول: في حملة الحوراء، كنّا في كل رحلة من كل عام سواء إلى الحج أو العمرة أو الزيارة نلحظ تطويرًا على مختلف الصعد سواء الإدارية أم التي تخص إتمام المناسك. وكنا نلمس من الجميع الرضى والثناء. هذا الأمر شكّل لنا حافزًا لنا للمضي قدمًا نحو الأفضل. وهذا لا يلغي حدوث ما هو قضاء وقدر، كحادث الاصطدام الذي تعرض له الموكب في مكّة ليلًا ونتج عنه وفاة أربعة أشخاص من بينهم أبو أحمد قاووق وعدد من الجرحى، أو إصابة أحد الحجاج بفقدان الذاكرة، أو أعطال الطائرة وهي في الجو.

جدول بعدد حملات الحج والعمرة لشركة حملة الحوراء من (١٩٩٢م) ولغاية (٢٠١٧م):

الحج إلى مكّة			
حج		عمرة	
عدد الحملات	عدد الحجاج	عدد الحملات	عدد المعتمرين
٢٧	٣٦١٢	٢٧	٣٤١٨
المجموع العام لعدد حملات الحج والعمرة: ٥٤			
المجموع العام لعدد الأشخاص ال الحج والعمرة: ٧٠٣٠			

جدول بعدد حملات الزيارة لشركة حملة الحوراء من (١٩٩٢م) ولغاية (٢٠١٧م):

زيارة					
عراق		إيران		مصر	
عدد الحملات	عدد الزوار	عدد الحملات	عدد الزوار	عدد الحملات	عدد الزوار
٧٠	٤٥٧٦	٧٠	٣٠٥٠	٤	٧٠
المجموع العام لعدد حملات الزيارة: ٢١٤					
المجموع العام لعدد الأشخاص للزيارة: ٧٦٩٦					

مؤخرًا تنوع نشاط الحوراء ولم يعد يقتصر على الحملات الدينية، وشملت الجانب السياحى الترفيهي، وكانت البداية إلى مصر حيث جرى تنظيم (٥) رحلات ضمت (٩٠) شخصًا. وإلى تركيا عام (٢٠١٨م)، حيث نظّمت (٤) رحلات ضمت (٧٠) شخصًا. وهناك إجراءات لتنظيم رحلات إلى الهند وماليزيا قطعت

لغاية الآن شوطًا بعيدًا. وعلى مستوى السياحة الداخلية افتتحت الشركة فرعًا في عبّا لتأجير السيارات. حاليًّا تخطط الشركة لإنجاز برنامج تواصل يعتمد على نظام Gps لتعقّب أثر الحجاج في تنقلاتهم في الديار المقدسة كافة، وبرنامج آخر يمكّن من التواصل مع الحجيج لتلقينهم الفرائض والتعليمات أثناء أداء المناسك.

لم تعد حملات الحج والعمرة والزيارة في عبّا تقتصر على حملة الحوراء، فحتى العام (٢٠٠٩م) كان مهدي عبد الرسول ترحيني لا يزال يعمل معرفًا ومرشدًا للحجاج في حملة الحوراء، مما أكسبه خبرة وسعة واطلاع على نظم إدارة الحملات. بعد ذلك التاريخ استحصل من المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى على إجازة تنظيم حملات حج برقم (١٩) باسم حملة جنة الرضوان. وفي العام (٢٠١٣م)، استحصل على ترخيص آخر باسم شركة جنة الرضوان، وهي أوسع نشاطًا من الحملة[١].

إلى جانب الحوراء وجنة الرضوان، هناك ناشطون يهتمون بتنظيم حملات إفراديًّا، منهم: محمد كامل كلوت، رفيق شريف يوسف أسعد، إسماعيل يونس، الشيخ كمال حريري، زهير معلم، عبد الرضا ترحيني، كمال عبد الحليم ترحيني. إلا أن هؤلاء لا يستطيعون التواصل والتنسيق مع هيئة الحج في المملكة، لتسير بعض الأمور اللوجستية للحجيج لذلك ينتظمون مع حملات الحوراء وجنّة الرضوان.

وكان إذا جاء يوم عيد الفطر أو الأضحى، يبادر حسن خليل أبو دلا، إلى ذبح عجل ويُولم لأهالي البلدة. كان يضع أمام منزل مريم علي خليل طاولة كبيرة عليها حلوى. يعايده الأهالي ويأخذون لحمة العيد والحلويات[٢]. وليلة العيد

(١) يقول مهدي عبد الرسول تشمل أعمال الشركة: الحج والعمرة وحجوزات السفر إلى جهات العالم الأربع. أستطيع القول: إن نشاط الحملة والشركة يتعدى نطاق البلدة والقضاء، ليشمل بنت جبيل- صور -إقليم التفاح -الزهراني- بيروت - البقاع. ونسجل على مدى عام كامل تنظيم ٢٦رحلة ونقل ما يقارب ٥٠٠٠ شخص ما بين حج ومعتمر وزائر وسائح، تبلغ نسبة من هم من البلدة ٥٪ من مجمل العدد. مقابلة مع السيد مهدي عبد الرسول ترحيني، بتاريخ ١٨/ ٥/ ٢٠١٨م.

(٢) مدونة العرايس، العدد الأوّل، ١٥ شباط ٢٠١٦م، الموقع الإلكتروني، مرجع سابق.

اعتاد العبّاويون زيارة أضرحة موتاهم، لتنظيفها من الأتربة والحشائش من حولها. وصبيحة اليوم التالي يتوافد الرجال لأداء الصلاة، ويكبرّون تقرّبًا إلى اللّه، بينما يتوافد آخرون كبارًا وصغارًا للترحّم على الموتى وقراءة فاتحة القرآن عن أنفسهم. وكان العيد مناسبة لتجديد الأحزان خاصة إذا كان المتوفى في ريعان شباب. كانوا يشعلون النار بالمريمية (العيزقان)، لإضفاء جوّ الحزن على المكان. وكما جاؤوا ينصرفون مسلمين بقضاء اللّه وقدره. وغالبا ما كانت اجتماعهم في المسجد أو في الساحة العامة، بعد الصلاة للمعايدة. جوّ الحزن، ما كان ليفسد عليهم فرحتهم بالعيد. بعد الانتهاء من الإفطار، يذهبون لمعايدة شيوخهم وكبارهم في مساكنهم. وكان مهمًّا أن يقوم الآباء والأمهات باصطحاب أبنائهم فى زيارتهم للتعرف على الأقارب والجيران والأصدقاء عن قرب، لتقوية الروابط الرحمية والاجتماعية. أمّا الأولاد فكان معنى العيد بالنسبة لهم، مختلفًا عن الكبار. كان حلمهم أن يلبسوا ثيابًا جديدة، فمعظم الناس لا يلبسون الجديد إلا يوم العيد، لقلة ذات اليد، كذلك الحصول على العيدية (بضع نقود) من الأب والجدّ والعم والخال، وأرجوحة العيد، وصندوق الفرجة، وبعض المأكولات. أمّا المسحّراتي فكان لا يأخذ أجرة، بل ينتظر حتى أول أيام العيد فيمرّ بالمنازل ومعه طبلته المعهودة، فيوالي الضّرب عليها نهار العيد، فيهبُ له النّاس العيدية والهدايا والحلويّات ويبادلونه عبارات التّهنئة بالعيد.

اليوم، أصبح العيد عبئًا اقتصاديًّا بالإسراف والمبالغة وبالترفيه وتحول إلى مشكلة أسرية. فقد أفقدت وسائل التواصل الاجتماعي بريق العيد، بعدما اكتفى الناس برسائل الواتسآب بدل اللقاء. وكذلك الأطفال لم تعد تفرحهم الملابس الجديدة كما من قبل، ولا العيدية البسيطة. وتحول العيد إلى الحالة الفردية بدل الجماعية، حيث لكل فرد، أو عائلة عيدها المختلف عن غيرها ولم يعد للعيد الكبير (عيد الأضحى المبارك) أهمية مقارنة بعيد الفطر الذي كان يكتسب أهمية على المستوى الاجتماعي بكافة أوجهه[١].

(١) مقابلة مع الحج محمد علي دياب، مرجع سابق.

وزيارة أضرحة آل البيت، عمل مستحب، حث عليه الأئمة في نصوص كثيرة رواها علماء المذهب في كتب مستقلة الفوها لهذا الغرض. وقد جمع تلك النصوص بأسانيدها الشيخ محمد باقر المجلسي في كتابه بحار الأنوار (مجلد المزارات). وليس هذا التأكيد على الزيارة إلا باعتبار ما تهدفه من الاتعاظ والسير على أهداف المزور. والزيارة بحدّ ذاتها رابطة إسلامية بين الزوار الذين تجمعهم عقيدة واحدة وهدف واحد ويجدد في نفوسهم مفاهيم التضحية والخير والجهاد[١]. على هذا الاستدلال، كان من المعتاد والمألوف عند العبّاويين بعد إتمام واجب الحج، تأدية الزيارة. ويقال: إن هارون وهو الجدّ الأعلى لآل هارون كان ذهب لزيارة الأماكن المقدّسة ولم يعد، كذلك كان مصير حفيده يوسف علي هارون، وإن علي موسى خليل ياسين، كان ينفذ وصايا ائتمنه عليها أهالي البلدة للقيام بما يلزم من صوم وصلاة وواجبات دينية متفرقة كالحج وزيارة أضرحة الأئمة. وكانت فاطمة عبد اللّه سلامة حرم حسين علي عميص بدأت زيارة الأضرحة في العراق وإيران في الأول من تشرين أول (١٩٣٥م)، ودامت الزيارة شهرين[٢]. حينها لم تكن وتيرة الزيارات بالشكل القائم الآن، وكان يحدّ من حركتها، اعتبارات عدة، تبدأ بكلفة السفر، ولا تنتهي بخاطر السفر ومشقته وطول المدة، وهي موانع، لم يعد لها اعتبار، سيما أن مكاتب السفر باتت أكثر من أن تحصى وجميعها يتنافس على تقديم الأفضل. وأصبح انطلاق الحملات بمعدل مرتين شهريًا، لدرجة لا يكاد يمر أسبوع إلا وأشخاص من عبّا أمّا في العراق أو إيران أو الشام.

نماذج لبعض الخلافات العائلية:

تُعَدّ الخلافات العائلية من الظواهر الاجتماعية الحتمية، لدرجة، لا يكاد يخلو منها أي مجتمع. هي قديمة قدم الوجود البشري، ومن أخطر ما يهدد سلامة وأمن وسكينة المجتمعات، عندما تتمدد وتتحول إلى ثأر، وثأر مضاد، فتصبح من أعقد

(١) لمزيد من التفصيل يراجع: محمد حسين الحسيني الجلالي: مزارات أهل البيت وتاريخها، منشورات الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة ١٩٩٥م، الصفحات ١٥-١٦- ٢٥.

(٢) وثيقة رقم (٣٩). بطاقة تعريف زيارة الأضرحة لفاطمة عبد اللّه سلامة.

الظواهر التي تؤثر في حياة المجتمع وأصعبها، وأسوأ العادات التي تؤدي إلى سفك الدماء.

ما يميّز المجتمع العبّاوي طوال تاريخه المتداول، أن أيًّا من خلافاته العائلية، وإن تكن اتخذت في بعض الأحيان طابعًا عنفيًّا، وأدت إلى سقوط جرحى، وفي بعض الحالات إزهاق أرواح، إلا أنها لم تتدحرج وتتحول إلى ظاهرة ثأر عائلية، كالتي تشهدها بعض المجتمعات[١]. لأن العبّاويين بطبعهم مفطورون على التعقّل، بالرغم من انقيادهم في بعض الحالات وراء غرائزهم العصبية والعائلية، مثال على ذلك «يوم طعن حسن موسى قاووق السيد علي موسى بسكين فدارت معركة في الساحة. آل علي حسين ناصروا حسن موسى قاووق كون أمه بنت السيد علي حسين. وعلي موسى أمه عدلة هارون ابنة عم يوسف علي هارون لذا قامت قيامة فتحداهم في زاوية السيد عبد اللّه جواد وقطع عليهم الطريق»[٢].

على الدوام كان العبّاويون يصغون لصوت العقل، ومشورة أولي الأمر منهم، العقلاء ممن لهم حضورهم المؤثر في التركيبة الاجتماعية للبلدة، منهم « محمد علي قاووق (أبو علي) الذي تميّز بالهدوء والصدق، فعند كلّ خلاف كانوا يتقاضون عنده فسمّي القاضي، وعندما عيّن عالم البلدة العلّامة السيد محمد علي إبراهيم عام (١٩٥٠م) قاضيًا في المحاكم الشرعية، قيل: أصبح عندنا في

(١) التاريخ الحديث للمجتمع العبّاوي مليء بتلك الخلافات، منها، على سبيل الذكر: الوشاية بأبناء البلدة ممن كانوا يتهربون من التجنيد الإجباري أيام حكم السلطنة العثمانية. قتل التركي لأخيه على خلفية نزاع على ملكية أرض، عِراك العبّاويين من أنصار النهضة والطلائع مرات عدة، والدسائس والنكايات التي حيكت لبعضهم البعض. العراك الشهير الذي حدث في صيدا بين آل القاووق وآل حسين، على خلفيات انتخابية وسقط بنتيجته جرحى وكاد أن يسقط قتلى. مقتل الشاب عبد الحسين سبيتي، بالخطأ على يد أبو نزيه حريري وردة فعل ذويه بإحراق منزله. مقتل الشاب حسني حريري، أيضا بالخطأ، على يد علي محمد علي موسى ترحيني. مقتل فاطمة علي جواد ترحيني واتهام شقيقها وسجنه. ملاحظة: نتحفظ عن ذكر تفاصيل تلك الخلافات، نظرًا لحساسيتها، وكي لا نكون في موقع نكأ الجراح سيما وأن هذه الخلافات مضى عليها ما يزيد على النصف قرن، إضافة إلى أن عددًا من المعنيين بها أصبحوا في ذمّة اللّه .

(٢) مدونة العرايس، العدد الأوّل، ١٥ شباط ٢٠١٦م، الموقع الإلكتروني، مرجع سابق.

البلدة قاضيان»[(١)]. لذا بقيت تلك النزاعات، ضمن إطارها الفردي ولم تصبح حالة عائلية، بالمفهوم العشائري السلبي، للحديث الشريف (انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا)، بل كانت تحلّ بأقل الأضرار، بتدخل الوسطاء وسعاة الخير. بعض تلك النزعات متأتٍّ من تذبذب العلاقات الشخصية بين الأفراد، التي كانت تتأرجح بين الغضب والخصومة والرضى والمودة والمحبة، طلبًا لود زعيم أو متنفذ، وهو في غالب الأمور يعمل لذر الصراع بدل وأده، وتأجيج نار الانقسام والتشرذم بدل إطفائه، يتلذذ إن اشتد نزاع أو سفكت دماء، لأن ذلك يزيد من حاجة الناس إليه»[(٢)].

واحدة من أهم الخلافات كانت وما زالت حاضرة بقوة في المجتمع العبّاوي، هي (الحصول على حق المرور لعقار محبوس عليه). في عبّا يُعَدُّ الخلاف على حق المرور، من الأمور الشائعة التي اعتاد عليها العبّاويين، ومرده أن غالبية أهالي البلدة لا يسلّمون بالمنطق القائل: (إن كان هناك حق لأي صاحب عقار بالمرور من عقار آخر، حق كفله القانون منذ ثلاثينات القرن الماضي)[(٣)]. الحدّ الأدنى من تلك الخلافات كانت تحلّ بتدخل الوسطاء، أمّا أغلبها، يبقى عالقًا، أو يتولى القضاء العقاري معالجتها. في واقعة غير مسبوقة، لم تتكرر في عبّا، ولن تتكرر، وهي علامة فارقة في سجل العلاقات الاجتماعية، وتعبير واضح عن الانحياز للمصلحة العامة. عن تلك الواقعة « يروي أحد أهالي البلدة أنه احتاج أحد من البلدة طريقًا

---

(١) ايضا عبدو حسين أحمد ترحيني كان يحل الكثير من المشاكل منها مشكلة بين السيد أحمد يوسف أسعد والسيد علي يونس أحمد على قطعة أرض في محلة المشتى. أجرى الصلح بينهما قائلًا للسيد علي يونس: «زيح وتد جحا من دارك» مدونة العرايس، العدد الأوّل، ١٥ شباط ٢٠١٦م، الموقع الإلكتروني، مرجع سابق.

(٢) لمزيد من التفصيل يراجع فايز ترحيني: دائرة الشوك حكاية الولد العاملي، مرجع سابق، الصفحات ١٠٣- ١٠٤- ١٠٥- ١٠٦- ١٠٧.

(٣) تنص المادة ٧٤ من القانون على: يحق لكل صاحب عقار محاط من جهاته وليس له منفذًا إلى الطريق العمومي أن يطلب ممرًّا على الأراضي المجاورة بشرط ان يدفع تعويضًا يقدر على نسبة الضرر الذي قد يسببه. يُعترف بالحق نفسه لصاحب عقار ليس له منفذ غير كاف لاستثمار عقاره استثمارًا زراعيًّا أو صناعيًّا. قرار المفوض السامي رقم ٣٣٣٩، تاريخ ١٢/ ١١/ ١٩٣٠م، نظام الملكية العقارية والحقوق العينية غير المنقولة، الجريدة الرسمية العدد ٢٤٧٩، تاريخ ٢٧/ ٣/ ١٩٣١م، الصفحات ١- ٢٠.

تؤدي إلى عقار بوشر البناء عليه، ولم يبادر أحد من أصحاب العقارات المجاورة إعطاءه (حق مرور) استنجد صاحب العقار المحبوس عليه بالحاج عبد الحسين عميص الذي قصد صاحب أقرب عقار طالبًا منه فتح طريق، إلا أن صاحب العقار رفض متذرعًا بأنه ينوي بيع العقار، وأن فتح طريق فيه يفسد البيع. فما كان من الحاج عميص، إلا أن اشترى العقار ودفع ثمنه واقتطع منه طريقًا للعقار المحبوس عليه وجعل من باقي مساحة العقار وقفًا على مدفن لعموم أهالي البلدة. يضيف الراوي معلقًا على مبادرة الحاج عميص بالقول: أنا أخذت ثمن الأرض وأنفقته، أما الحاج عميص فقد دفع ثمنها وأخذه معه ثوابًا وعملًا صالحًا»[1]. في الوقت الراهن، يُعَدُّ خلاف عين البيارة نموذجًا صارخًا عن تلك الخلافات، فقد أعيد إغلاق طريقها الفرعي، بعد مضى قرابة الـ(٥٠) عامًا على افتتاحة للعموم[2]. الشيء الإيجابي في الأمر أن حدة النزاع الذي استمر شهورًا، بقي ضمن إطار المماحكات الكلامية ولم يؤدِّ بالمتخاصمين إلى العنف الجسدي. ولجأ المتخاصمون إلى رفع شكوى إلى القاضي المنفرد في النبطية الناظر بالقضايا العقارية لحلّ النزاع[3].

بالرغم من أن أغلب الدعاوى وإن طال بها الزمن، يُبَتّ بها لصالح المدعي، ما زال الاتجاه العام لدى غالبية أهالي البلدة يمانعون إعطاء الحق بالتراضي، الأمر الذي يكبد الجهة المدعية والمدعى عليها نفقات باهظة تفوق أحيانًا قيمة تعويض حق المرور، فضلًا عن إيجاد نوع من التنافر بين الجهتين يترك انعكاسات سلبية على النسيج والعلاقات الاجتماعية بين العبّاويين. لكن يبقى لرجال الدين في البلدة

(١) مقابلة مع محمد عبد الحسين عميص (رئيس بلدية عبّا) بتاريخ ١٩/ ٢/ ٢٠١٩م.

(٢) قرار قضائي (دائرة تنفيذ النبطية- في المعاملة التنفيذية رقم ١٠٦/ ٢٠١٧ المتكونة بين المنفذين السيد هارون ترحيني ورفاقه والمنفذ ضدهم إبراهيم ترحيني ورفاقه صدر قرار عن رئاسة تنفيذ النبطية بتاريخ ٢٧/ ٣/ ٢٠١٧م قضى بإنفاذ القرار الصادر عن قاضي الأمور المستعجلة في النبطية والقاضي بإقفال الطريق المفتوحة في العقار رقم ٢٠٩٨ من منطقة عبّا العقارية. بناء عليه إنفاذًا للقرار المنوه عنه أعلاه تم إقفال الطريق وذلك بتاريخ ٣١/ ٣/ ٢٠١٧م بحضور المنفذ السيد هارون ترحيني وبإشراف مأمور التنفيذ مرفت شريم. لذلك يمنع على أي كان إعادة فتح الطريق إلا بوجود قرار قضائي ينص على ذلك تحت طائلة المسؤولية الجزائية. وثيقة رقم (٤٠).

(٣) نموذج عن المئات من الدعاوى، وثيقة رقم (٤١).

دورهم الريادي في الحفاظ على ذلك النسيج، سليمًا من الاخترقات والتوترات. هم حاضرون دائمًا في مدّ يد العون للمحتاج والتوفيق بين المتخاصمين حفاظًا على وحدة المجتمع والأسرة تحديدًا، دور يواكبه باستمرار سعاة الخير من المتمولين من أبناء البلدة. وعليه يمكن القول إن المجتمع العبّاوي بالرغم من بعض الشوائب، يبقى متحابًّا متراحمًا متكافلًا.

بعض الاستنتاجات:

ارتكز النظام الاجتماعي في عبّا على طبقة اجتماعية كان الحضور الأول والفاعل فيها لرجل الدين، يليه بدرجات: المختار، والناطور، والوجهاء، وقاطر الحاشية، والمعلّم، وحامل السنجق والطبل، والنافخ بالمجوز، وراعي العجّال والأندية والجمعيات الأهلية، وعليها تبلورت ملامح الحياة الأسرية والاجتماعية. حاجة العبّاويين، لهذه الطبقة يعود، لدافع فطري لديهم لطلب الكمال الإنساني، ومن ثمّ لم تكن حياتهم الاجتماعية متفلّتة بل كانت تحكمها أعراف وضوابط رضخوا لها طويلًا. ورغم تميزهذه الضوابط بالاستقرار فترة طويلة، لم تتحول إلى ما يشبه الطقوس، ولم تستطع لاحقًا أن تصبح عصية على التغير، بفعل التحولات التي أصابت البنى الاقتصادية والسياسية والجوانب المادية والمعنوية كافة.

عندما أصاب التغيير دور المرأة العبّاوية، سبب للأسرة الكثير من الخلل في تماسكها ووظيفتها، وأحدث تأزّمًا في العلاقة بين الزوجين، أحيانًا بسبب الشعور بالفارق في المستوى الثقافي والاجتماعي، والتهرّب من المسؤولية حينًا آخر. وبتنا نرى أشكالًا من الصراع الفكري، أحد مظاهره، ثورة الجديد على القديم، ووصم القديم للجديد بأنه حالة تحرر في عادات المأكل والملبس وأدوات التسلية والأفراح والأتراح وإحياء المناسبات الاجتماعية والدينية. مع ذلك بقيت عبّا بلدة غير مأزومة، تقوم على مقومات حياة اجتماعية وأسرية امتازت بمكان إقامة مشترك وتعاون اقتصادي، ووظيفة تكاثرية تتفاعل معًا.

حتى إن الخلافات العائلية كظاهرة اجتماعية حتمية، لا يخلو منها أي مجتمع،

لم تتمدد في عبّا وتتحول إلى ثأر، وثأر مضاد، ولم تأخذ طابعًا عنفيًّا، كالتي تشهدها بعض المجتمعات. على الدوام، كان العبّاويون يصغون لصوت العقل، ومشورة أولي الأمر منهم: العقلاء ممن لهم حضورهم المؤثر في التركيبة الاجتماعية للبلدة. لذا بقيت تلك النزاعات، ضمن إطارها الفردي ولم تصبح حالة عائلية، بالمفهوم العشائري السلبي. وأغلب تلك النزعات كانت تحلّ بتدخل الوسطاء من رجال دين ووجهاء، أو الاحتكام إلى القضاء.

الفصل الرّابع:

الطّبقات الاجتماعيّة والسمات الشخصية عند العائلات العبّاوية

على الدوام كان التغيير ظاهرة ملازمة للحياة الاجتماعية، وفي العصر الحديث أصبح أكثر وضوحًا، لجهة علاقته بالتراتب الاجتماعي، وتدرّج الناس في المكانة. على هذه القاعدة، يبرز دور التنمية في بناء التراتب الاجتماعي في عبّا، ومساهمتها في الانتقال به من مجتمع تقليدي إلى آخر حديث، قائم على محددات اقتصادية واجتماعية، وثقافية، سمحت لأفراده التموّضع في ذلك التمايز والتفاوت.

أحيانًا تبدو علاقة التراتب الاجتماعي بالتنمية علاقة تجاذب، وسبب ذلك راجع إلى التمايزات الحاصلة بين شرائح المجتمع. مثلًا عندما يقوم متمول بإنشاء مشروع معين، هو حتمًا يساهم في إيجاد فرص عمل للطبقات الدنيا اجتماعيًّا. لكن الإشكال الذي ينشأ من هذه العلاقة، هو من الاستغلال لتلك الطبقة. بمعنى أن الاستغلال الفاحش من طرف أرباب العمل للعمال يساهم في عدم تحقيق التنمية، ومن ثمّ في عدم ارتقاء هؤلاء في سُلّم التراتب. هذا المثال لا ينطبق على عبّا، لأن المجتمع العبّاوي، عندما انتقل من التقليد إلى الحداثة لم يمرّ بمجتمع طبقي متنافر، ولم تكن نتائج التنمية التي أوصلته إلى هذا التحول، متأتية من عبّا، بل كانت من مرافق العاصمة وبلاد الاغتراب. وهكذا وجدت في عبّا، طبقة وسطى مترقّية، تضم ملّاكين في المرافق الاقتصادية الإنتاجية، معظم أصحابها يعملون في المهن الحرة، وأساتذة جامعيين في كبريات الجامعات الخاصة، ومديرين وكوادر في القطاع الخاص والعام. وبات قسم من هذه الشريحة، تملك مقادير من رأس

المال وأدوات الإنتاج ووسائله يستغلونها فرديًا أو عائليًا أو يعتمدون على عمالة معظمها من الوافدين. ويتميز أعضاؤها، بامتلاكهم رأس المال وقطع الأرض في الزراعة وبيوت السكن. أمّا المصدر الرئيسي لدخل القسم الآخر من هذه الرشيحة فهو الأجر والراتب.

وهناك فئة وسطى أدنى من سابقتها، يمكن تقسيمها إلى ثلاث شرائح: وتضم فئة الإنتاج السوقي الصغير العائلي. فئة وسطى حرفية، وتضم صغار الباعة وأصحاب الحوانيت، وسائقي السيارات العمومية، وأصحاب ورشات تصليح السيارات. فئة وسطى ثقافية، من كوادر وفنيين وتقنيين وموظفين في القطاعين العام والخاص دون مرتبة رئيس دائرة وأساتذة التعليم إلى الثانوي. وهؤلاء يلجؤون إلى العمل الإضافي في الزراعة، وتربية النحل، ومحال تجارية، ومقاولات وعقارات، أو العمل في مؤسسة خاصة بعد الظهر، أو إعطاء الدروس الخصوصية، الخ. يجمع هذه الشرائح الثلاث التمكن من مستوى ما من الخبرة والمهارة وغالبًا المعرفة المتخصصة.

وهناك فئة الأطباء والصيادلة والمهندسين والمحامين، وهؤلاء يتمايزون أيضًا بمستوى مكان العمل كامتلاكهم مكاتب خاصة، المستوى الاجتماعي لعائلاتهم، القوى السياسية التي ينتسبون إليها. وصار من المعروف أن بعض الأحزاب تمنح متخرجيها قروضًا أو هبات للمساعدة على فتح عمل خاص. وثمة شروط إضافية مكمّلة للانضمام إلى فئات الطبقة الوسطى، منها: امتلاك سيارة خاصة وسكن، وإرسال الأولاد إلى مدرسة خاصة والقدرة على الادّخار. يضاف إليه الحد الأدنى من الأدوات المنزلية الكهربائية والإلكترونية كامتلاك الكومبيوتر والهاتف الخلوي، بل الهواتف الذكية، واشتراك الإنترنت المنزلي، وبطاقات الائتمان والخدم المنزلي. وعلى مستوى أرقى، امتلاك السيارات ذات الماركات المشهورة رباعية الدفع، كذلك في الاستهلاك.

في الخلاصة، تعيش الطبقة الوسطى العبّاوية عمومًا فوق مستوى مداخيلها، وتتكل في ذلك على نحو متزايد، على تسليفات القطاع المصرفي الميسّرة أو على

عائدات أبناء الأسرة المغتربين العاملين في الخارج. ولما كان القطاع المصرفي يعاني من فائض سيولة، هو يواصل مواكبة المنافسة الطبقية عن طريق توفير تسهيلات إضافية لتسليفاته وتنويع قروضه، والتخفيف من شروطها، وأصبحت تشمل القروض الشخصية مثل التعليم والسفر والجراحة التجميلية وتمويل المشاريع الصغيرة واقتناء خادمة منزلية، إضافة إلى السكن والسيارة. فيما يلي نماذج من المجتمع التراتبي والطبقات الاجتماعية في عبّا على المستوى والعلمي والثقافي وأنشطة أخرى.

تراجم رجال الدين (العلماء):

السيد محمد علي إبراهيم، ابن السادة مهدي بن حسن بن علي بن إبراهيم، لجده الثالث عشر الأمير محمد بن مقبل - عبد اللّه الأعرج - الحسين الأصغر- الإمام زين العابدين. والده السيد مهدي، مجتهد مطلق بإجماع علماء النجف واحد علماء جبل عامل البارزين. شقيقه السيد حسن من كبار فقهاء الجبل وصاحب زعامة سياسية باعتباره شاهدًا على الديوان العرفي في عاليه عام (١٩١٥م) الذي أقامه جمال باشا. جده السيد حسن كان فقيهًا كاملًا بشهادة السيد حسن الصدر من كبار علماء النجف. كان صاحب مدرسة أنصار ووريث مدرسة النميرية عن والده السيد علي الكبير. ولد السيد محمد سنة (١٩٠٦م) في بلدة الدوير قضاء النبطية، وذلك بعد عودة والده السيد مهدي من النجف الأشرف. والدته السيدة هاشمية صافي التي تنتمي إلى أحد البيوتات العراقية العريقة.

ختم السيد محمد القرآن ودرس مبادىء العربية في بلدته، وشبّ بجوار والده الذي كان يرفع له في كل يوم من أخلاقه وعلمه ويوضّح له مسألة. في عام (١٩٢٠م) سافر إلى النجف الأشرف لطلب العلم وأقام أول مرة عامًا وبضعة أشهر في مدرسة بادكوبيه قبل أن ينتقل إلى دار عائلته الموقوفة على طلاّب العلم في ذريّة جده السيد حسن. بدأ بدراسة علم النحو، فحضر دروسًا قليلة في كتاب قطر الندى على الشيخ عبد الكريم الزين. وأكثر القطر وشرح الفية ابن مالك على الشيخ محمد العسيلي.

بعد ذلك درس السيد مغني اللبيب في النحو، وشرح الملاّ عبد اللّه على التهذيب في المنطق. وقد زامله في دراسة هذه الكتب ابن عمه الشاعر والأديب السيد علي بن السيد محمد إبراهيم. كما درس السيد شرح الشمسية في المنطق، وكتاب المطول في البلاغة وتمكن في اللغة بمتابعة كتب المعاجم والشعر والأدب وكان من أساتذته في دراسة المقدمات أيضًا أستاذ يدعى الشيخ سلم اللّه وشرع السيد بعد إكماله المقدمات بدراسة درس في أصول الفقه واثنين في الفقه يوميًّا، هذا مع متابعة جملة علوم تكمل بها عدّة الفقيه والمبلّغ. في الخارج درس على عدّة أساتذة كبار أبرزهم: السيد أبو الحسن الأصفهاني المرجع الأعلى والمرجع الكبير السيد حسين آل كاشف الغطاء وقد أجازه بالاجتهاد[١]. ودرس كذلك على مقرر النائيمي الشيخ محمد علي الكاظمي فترة طويلة وعلى الآغا جمال الدين الغولبغاني وقد أرسلا له جملة رسائل تدل على كفاءته العلمية. أقام في النجف مدة ناهزت سبعة عشر عامًا وتزوج من فتاة عراقية من أنسبائه ابنة خالته هي السيدة زكية الموسوي. عاد بعدها إلى بلدته عام (١٩٣٩م).

بعودته طلب أهالي قرية عبّا من والده تكيلفه ليكون إمامًا عليهم. لم يمضِ وقت طويل على إقامته حتى حدث أن سرقت محفظة نقود، الأمر الذي أزعج السيد فخاطب الأهالي قائلًا لهم « أنا جيت على بلدة فيها أوادم» في اليوم التالي أعاد السارق المحفظة ووضعها على عتبة باب دارة السيد. عام (١٩٥٠م) تم تعيين السيد قاضيًا على بعلبك ثم مرجعيون ثم مستشارًا لمحكمة التميز الجعفرية العليا في بيروت، تقاعد وصديقه الشيخ محمد جواد مغنية في يوم واحد. عن تعيينه قاضيًا، روى عن أبو هاشم قوله: كان أحمد الأسعد يقدّر السيد مهدي، ولمّا طُلب تعيين قضاة وأساتذة فتوى براتب من بعض البيوتات العاملية المشهورة، قال البيك السيد محمد علي مستواه يؤهله ليكون قاضيًا، والده لم يكن يرغب بهذه الوظيفة. احتياطًا كان السيد يصلح بين المتخاصمين ولا يقاضي، وكان ذلك نابعًا من مخزونه الأخلاقي في الساحة القضائية. كان من الثلّة المؤمنة في القضاء الجعفري

(١) وثيقة رقم(٤٢). من أرشيف حفيده السيد حسين آل إبراهيم

وله وقائع تدل على نزاهته، نظم في بعض القضاة مرثية سمّاها مرثية محكمة. له مؤلفات في الأصول منها: شرح على الجزء الأول للكفاية، رسالة في قاعدة لا ضرر ولا ضرار[١].

تحاشى السيد محمد علي أخذ الحق الشرعي إلا للضرورة القصوى، ولمّا تعين في القضاء امتنع عنه نهائيًّا. ذات مرة جاءه السيد هاني فحص حاملًا له مبلغًا كبيرًا من المال مساعدة من إيران رفض السيد أخذه قائلًا للسيد هاني: لا جاجة لي به، فأنا مكتف وكذلك أهل بلدتي، أعطِه لمن يستحق وأشار إلى الشيخ راغب حرب. نفقات تعليمه كانت من والده الذي كان يعمل كغيره في فلاحة الأرض وزرعها لذلك هو تربى على العفاف. ممتلكاته من أراضٍ في عبّا قسم منها عطايا من الأهالي وقسم آخر اشتراها من ماله الخاص. أما القسم المتواجد في بلدة الدوير فقد انتقلت له بالميراث من والده.

لم يستهوِ السيد العمل الحزبي إنما كان له مشاركات في الشأن والقضايا العامة، منها توقيعه على بيان لمجموعة من العلماء رفضًا لتأجبل انتخابات المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى من هؤلاء: والده السيد مهدي، الشيخ عبد الحميد الحر العاملي، الشيخ إبراهيم الخطيب، الشيخ عبد اللّه شرف الدين، السيد علي نور الدين، قاضي النبطية عبد الحسين نعمة، السيد علي مهدي إبراهيم ... وغيرهم. (البيان الأساس موجود لدى حفيد السيد حسين إبراهيم) كذلك اعتراضه على اغتيال رجل الدين المفكر العراقي الشيخ حسن بن مهدي الحسيني في بيروت في أيّار (١٩٨٠م).

(١) هناك رواية أخرى وردت في مدونة العرايس مفادها: أنه في أثناء زيارة أحمد بك الأسعد إلى عبّا عام (١٩٥١م) خاطب السيد توفيق علي حسين أحمد البيك قائلًا له: لنا طلب وحيد وهو تعيين السيد محمد علي إبراهيم قاضيًا، ردّ البيك قائلًا: ملامتكم على أنفسكم... انشاللّه نلتقي في بيروت. وهكذ حضر السيد توفيق والسيد إسماعيل والسيد محمد يوسف أسعد إلى دارته في النويري وهاتف بحضورهم رئيس الوزارة آنذاك رياض بك الصلح قائلًا له: اذا كنت بتحب تكسب رضى فاطمة يوم القيامة عيّن سماحة العلامة قاضيًا في المحاكم الشرعية. وهكذا صدر القرار بتعينه في محاكم بعلبك. مدونة العرايس: السنة ١٧، مرجع سابق، ص٢٨.

إبان الاحتلال الإسرائيلي كان يقصد يومي الاثنين والخميس حسينية النبطية ويلتقي بالشيخ أحمد صادق. كان يقول له الشيخ: « بدنا نضهر من الحسينية» يجيبه السيد « إذا نحنا ضهرنا لمين منترك الحسينية نحنا بنبقى وهنّي بيضهرو». ولمّا دخل الإسرائيلي عبّا وجمع الناس بالمسجد بقى السيد خارجه جالسًا على مصطبة دكان أبو خليل (محمد حسن خليل) رافضًا الدخول طالبًا العودة إلى داره.

من أصدقائه المقربين الشيخ راغب حرب، وهو من صلى على جثمانه يوم استشهاده.

له مقطوعات شعرية[١] منها ما نظمه للشيخ محمد جواد مغنيّة يقول فيها:

إنــي أعيــذك أن أراك كئيبًــا فــدع التفكّــر والجــرح التقطيبــا
فــلأن خليــت مــن الدراهم ســاعة فلقــد خلينــا أشــهرًا وحقوبــا
أأخـــي لا تــجــزع ولا تقنط فذا أمـر على الفضلاء ليـس غريبا
وكـل الأمــور إلـى مليك منعم يعطــي فيجــزل بكــرة وغروبــا
فأقـول هـذا قـول صاحـب خبـرة لــم يخـشَ فيـه العتـب والتأنيبـا
إن الدراهــم للجــروح بلاســم وكــذ تكــون صوارمًــا وكعوبــا

وقيل فيه يوم وفاته مقطوعة رثاء نظمها أخوه السيد الشاعر محمد مهدي إبراهيم:

حزنًا بفقدك عين الشعر تكتحل هيهـات بعـدك معنـى فيـه يكتمل
أخـي محمـد آي المـوت معجـزة يتلو الأواخـر منها ما تلا الأول
لمـا رحلـت كما مـن قبلنـا رحلوا لم أدرِ من بعد ما قالوا وما فعلوا
لا مـا علمـت وكنـا سـادة علمـوا لكـن جهلـت لأنـا معشـر جهلـوا

توفي السيد عن عمر ناهز الثمانين عامًا أُرِّخَ ببيت من الشعر على قاعدة حساب الأحرف وهو:

(١) وثيقة رقم(٤٣). مكتوبة بخط السيد وهي من أرشيف حفيده السيد حسين آل إبراهيم.

فيك يا قبر صفوة الناس أضحى فيـك مـن كان فـي العبـادة أوجـدْ
فيــك يثــرى مــن آل طــه عظيــم زاده العلــم فــي المحافـل سـؤددْ
إن فقدنــا المصبــاح بيــن ذويــه وتــوارى مــن الكوكــب فرقــدْ
قلــت أرّخ للديــن أنّــا فقدنــا حجــة العصــر والزمــان محمــد

السيد محمد حسن ترحيني: ولد في بلدة عبّا الجنوبية، من قرى جبل عامل وذلك في العام (١٩٥٣م)، من عائلة هاشمية موسوية يتصل نسبها بالإمام موسى الكاظم. والده حسن إبراهيم ترحيني، والدته الحاجة سميرة حسن سعد. تلقّى علومه المدرسية الأولى في بيروت حيث كانت تقيم العائلة، وذلك في مدرسة بيروت العالية، ثم انتقل إلى النبطية والتحق بالمدرسة الرسمية التي كانت تعرف بأمّ المدارس، ونال فيها شهادة المرحلة الابتدائية (سرتفيكا)، ومنها انتقل إلى بلدة الدوير المجاورة لبلدته، فأنهى فيها دراسة المرحلة المتوسطة دون نيل شهادتها الرسمية، ومنها عاد إلى بيروت.

في بيروت في العام (١٩٧٠م) وفي سن السابعة عشرة من عمره انتسب إلى الحوزة العلمية في منطقة النبعة غربي بيروت التي أصبحت تعرف فيما بعد بالمعهد الشرعي الإسلامي، وكان المرحوم العلامة السيد محمد حسين فضل اللّه من مؤسسي هذه الحوزة مع والده السيد عبد الرؤوف فضل اللّه ثم انضمّ إليهما السيد محمد جواد فضل اللّه . فدرس فيها كل المقدمات واختصّ بالدرس على كل من السيد محمد جواد فضل اللّه والسيد نجيب خلف.

رحل إلى النجف الأشرف بعد زواجه، وتابع فيها دراسة كتاب اللمعة الدمشقة والسطوح على يد العلامة السيد محمد رضا الخرسان، وفيها لبس الزي الديني والعمامة على يد السيد محمد باقر الصدر. في أوائل العام (١٩٧٥م) عاد من العراق إلى لبنان ومكث فيه ما يقارب العام، وذلك نظرًا للظروف الأمنية التي كانت تعصف بالعراق والحوزة العلمية في النجف مستهدفة تفريغها من الطلاب.

في (٦ أيار من العام (١٩٧٦م)، شدّ الرحال إلى الحوزة العلمية في قمّ المقدسة، فقضى فيها عشر سنوات من البحث والدراسة والتدريس والكتابة. فأكمل دراسة مرحلة السطوح والسطوح العليا على كل من السيد مهدي الروحاني، والشيخ علي الأحمدي .ثم حضر دروس البحث الخارج على السيد محمد الروحاني في علم أصول الفقه والسيد رضا الصدر في الفقه وواظب على حضور مجالسهما .كما اتّصل في فترة إقامته في قم بالعلامة الشيخ محمد جواد مغنية الذي كان يتردد على الحوزة ويقيم فيها، فاستفاد من مجالسه وفوائده. في (٦) حزيران من العام (١٩٨٦م) عاد من قم إلى موطنه في جبل عامل.

أساتذته في بيروت السيد نجيب خلف، السيد محمد جواد فضل اللّه . في النجف السيد محمد رضا الخرسان. في قم، الشيخ علي الأحمدي، السيد مهدي الروحاني، السيد محمد الروحاني، السيد رضا الصدر.

التدريس الحوزوي: بدأ بالتدريس إلى جانب دراسته في قم فألقى دروسًا في شرح اللمعة الدمشقية، وفيها كتب مسوّدة كتابه الزبدة الفقهية. ثم ألقى دورتين في تدريس شرح أصول المظفّر، وقد قام بتسجيلها بعض فضلاء أهل العلم من الكويت. كما ألقى دروسًا في شرح كتاب كفاية الأصول، وشطرًا من كتاب المكاسب المحرّمة. وبعد عودته من قم استقرّ في العام (١٩٨٦م) في الشام في حوزة السيدة زينب حيث درّس لأكثر من عام كتابي اللمعة وأصول المظفّر، وبقي فيها حتى أواخر العام (١٩٨٧م). انتقل من دمشق إلى بيروت وبدأ بالتدريس في المعهد الشرعي الإسلامي في بئر حسن في ضاحية بيروت الجنوبية، وهي الحوزة العلمية التي كانت بإشراف العلامة السيد محمد حسين فضل اللّه وفيها ألقى على مدى ثماني سنوات دروسًا في السطوح، والسطوح العليا فقهًا وأصولًا حتى نهاية العام (١٩٩٤م). في أواخر العام (١٩٩٤) ترك التدريس في المعهد الشرعي الإسلامي، وألقى دروسًا بشكل مستقلّ في البحث الخارج في الفقه لمدة زادت على الثلاث سنوات حتى نهاية العام (١٩٩٧م) بعدها ألقى دورة كاملة في شرح الروضة البهية حتى أواسط

العام (٢٠٠٠م). بعد العام (٢٠٠٠م)، تفرّغ للكتابة والبحث والتأليف والتبليغ، واكتفى بالمباحثة مع مجموعة محددة من أهل العلم.

تلامذته: الشيخ علي آل محسن (القطيف)، الشيخ محمد علي المعلم (القطيف)، الشيخ علي الجاسم من الإحساء، الشيخ محمد بن علي بن علي العباد من الإحساء، الشيخ عبد اللّه الدشتي من الكويت، السيد عبد اللّه بن حسين النحوي من الإحساء،الشيخ حسين العايش من السعودية، الشيخ أحمد بن رضا بن محمد بن القاسم الصابري، الشيخ حجي بن عايش السلطان من الإحساء، الشيخ عبد الكريم الحبيل (القطيف)، الشيخ جعفر المبارك، الشيخ محمد الحسون من النجف، الشيخ إسماعيل حريري، السيد سامي خضرا، الشيخ أحمد الشهابي من البحرين.

مؤلفاته:

ا تنوعت مواضيع كتبه بين علم الكلام، وعلم الرجال، والفقه وأصوله، والمفاهيم الإسلامية والتاريخ والسيرة: عظمة الدين الإسلامي: كتاب يحتوي على ستة فصول ويتناول فيه المؤلف: فضل الدين، معنى الدين، الحاجة إلى الدين، العلم والفلسفة لا يغنيان عن الدين، العقيدة الإسلامية، قياس التفاضل بين الأديان، معنى العقيدة الدينية، عظمة العقيدة الإسلامية، الهداية النبوية، الشريعة الشاملة. الطبعة الأولى – دار الكاتب العربي – (٢٠١٤م)، التحرير الطاووسي: كتاب في علم الرجال عند الشيعة، لمؤلفه الشيخ حسن صاحب المعالم، استخرجه المؤلف من كتاب (حل الإشكال في معرفة الرجال) للسيد ابن طاووس الحسيني المتوفي سنة (٦٦٤هـ). وأعاد ترتيبه وأضاف عليه الكثير من الفوائد. قام بتحقيقه وعلّق عليه وخرّج مصادره السيد محمد حسن ترحيني العاملي الطبعة الأولى – دار الأعلمي – بيروت– (١٩٨٨م). الإحكام في علم الكلام: كتاب يتناول العقائد الإسلامية من منظار شيعي مبني على أسلوب الاستدلال القرآني وعلى خلاصة أحاديث الرسول و أهل البيت. وقد ابتعد المؤلف فيه عن التعابير المعقّدة، واقتصر فيه على ما يجب على المسلم

الاعتقاد به، الطبعة الأولى والثانية - دار الأمير - بيروت (١٩٩٤م) و(١٩٩٧م)، الطبعة الثالثة والرابعة - دار الهادي - بيروت (٢٠٠٠م) و (٢٠٠٢م)، الزبدة الفقهية في شرح الروضة البهية : موسوعة فقهية تتألف من (٩) أجزاء، وهي عبارة عن شرح استدلالي فقهي لأحد أشهر كتب الفقه الشيعي (كتاب الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية للشهيد الثاني العاملي). وهو من الكتب المعتمدة في عالم الحوزات العلمية الشيعية، الطبعة الأولى دار الهادي بيروت - (١٩٩٥م)، الطبعة الثانية - دار الكاتب العربي -بيروت - (٢٠١١م)، النهضة الحسينية - أخبار ومصادر الأيام المدنية: كتاب في تاريخ وسيرة الإمام الحسين بن علي عليه السلام، يستعرض فيه المؤلف المصادر والكتب التاريخية التي تعرضت لوقعة كربلاء منذ القرن الأول الهجري وحتى القرن العاشر الهجري، مع بيان رأيه بمحتوى هذه المصادر والكتب. كما يتناول الكتاب الأخبار المتعلقة بالإمام الحسين أيام وجوده في المدينة المنورة قبل التوجه إلى كربلاء (الطبعة الأولى - دار الهادي بيروت - (٢٠٠٢م) الشعائر الحسينية المنصوصة: كتاب يستعرض الشعائر الحسينية التي ورد فيها نصّ عن الرسول أو عن أحد أئمة أهل البيت دون غيرها من الشعائر، و قد تناول المؤلف الموضوع من الوجهة الفقهية وناقش العديد من الشعائر المنتشرة، الطبعة الأولى - دار الهادي - بيروت - (٢٠٠١م)، الطبعة الثانية - دار الهادي- بيروت - (٢٠٠٢م)، النهضة الحسينية والنواصب: كتاب يستعرض ما ورد في بعض الكتب التاريخية وغيرها التي جاهرت بنسب الخطأ للإمام الحسين بخروجه على سلطة (يزيد)، وقام المؤلف بالرد على هذه الآراء من خلال فصول الكتاب، الطبعة الأولى - دار الهادي - بيروت - (٢٠٠٢م) الإسلام والعقل: بحث في الفكر الإسلامي، يستعرض فيه المؤلف خطاب الإسلام للعقل دور العقل في فهم الاستخلاف الإلهي للإنسان في الأرض الطبعة الأولى: دار الكاتب العربي - بيروت - (٢٠١١م) الحق والباطل: بحث فكري إسلامي، يسلّط الضوء على مفهومي الحق والباطل في الإسلام، الطبعة الأولى - دار الكاتب العربي- بيروت - (٢٠١١م)، الدين: من ضمن سلسلة كتيّبات المفاهيم الإسلامية، تطرّق فيه إلى مفهوم الدين وأصوله في الفكر الإسلامي إصدار خاص، العبودية للّه: بحث علمي

ضمن أبحاث المفاهيم الإسلامية، يستعرض مفهوم العبودية للّه تعالى إصدار خاص، ماهية الإنسان ودوره: بحث فكري إسلامي يتناول بالدليل العقلي ماهية الإنسان ودوره في الوجود، إصدار خاص، شرح كفاية الأصول: مخطوط، شرح المكاسب المحرّمة: مخطوط، شرح أصول المظفّر: وهو تقرير درسه في شرح أصول الفقه للشيخ المظفّر، قام بالعناية بتفريغه وتقريره أحد الفضلاء من أهل العلم في دولة الكويت. وهو منشور على الإنترنت فقط وليس مطبوعًا طباعة ورقية، تقرير دروس بحث الخارج على كتاب وسيلة النجاة، لباب الاجتهاد والتقليد وقسم من باب الطهارة: مخطوط. المقالات ونصوص المحاضرات المنشورة، الربا: مقال منشور في مجلة اللقاء العلمائي في بيروت، العولمة: نص محاضرة ألقاها في نادي الشقيف في مدينة النبطية، العمل البلدي: مقال منشور في مجلة (زهرة الصبار) التي تصدرها بلدية عبّا، حب الوطن: مقدمة لبحث مقتضب عن تاريخ بلدته عبّا، مصادر النهضة الحسينية: نص محاضرة ألقاها في معهد سيد الشهداء في بيروت.، القصة القرآنية: مقال منشور على موقع الأديبة خولة القزويني، البرامج التلفزيونية: ارتبطت غالب إطلالاته التلفزيونية، بالمقدّم الشاعر الحاج أنور نجم العاملي، وتنوعت مواضيعها بين المفاهيم الإسلامية، والتفسير، والسير، والشعائر، وغيرها من المواضيع، وهي موزّعة على عدة قنوات: في قناة المنار أطلّ عبر قناة المنار من خلال برنامج (الكلمة الطيبة(، حيث تناول فيه المواضيع التالية: علامات الساعة، عالَم الغيب، السحر،الكهانة، الاستخارة، الجن، النفس والروح، الأبراج، التنجيم، وغيرها من المواضيع.

كما كان له برنامج خاص به، بعنوان: (رسول الإنسانية) تناول فيه جوانب من شخصية الرسول والكثير من المفاهيم الإسلامية، وقد استمرّ هذا البرنامج لما يقارب السنة والنصف بشكل شبه أسبوعي. وقد أصدرت جمعية المعارف الإسلامية قرصًا مدمّجًا ضمّ جميع حلقات برنامج (رسول الإنسانية). في قناة الصراط الفضائية أعادت قناة الصراط بثّ حلقات برنامج (رسول الإنسانية)، كما عرضت للسيد محمد حسن ترحيني برنامجًا خاصًّا بعنوان: الدين الحنيف

بما يقارب خمسة وعشرين حلقة. وقد تطرق هذا البرنامج إلى مواضيع كثيرة منها: الحاجة إلى الدين، الفلسفة الإلهية، مصادر الفلسفة الإلهية، غاية الفلسفة الإلهية، عظمة الدين الإسلامي، التدرج في تحمّل العقيدة، معنى العقيدة الدينية، الهداية النبوية، الهداية النبوية في الصراع الإنساني، مراحل الهداية النبوية، الشريعة المثالية، العدل في الشريعة الإسلامية، حكمة الشريعة، خصائص الشريعة الإسلامية، مواكبة الشريعة لكل عصر، الشريعة وقابلية التطبيق. وقد أصدرت جمعية المعارف الإسلامية جميع هذه الحلقات على أقراص DVD بالإضافة لما تقدّم سجل السيد في هذه القناة برنامجًا ثالثًا بعنوان (الطاعة والمعصية)، لم يتم بثّه للآن .وفي رجب (١٤٣٤هـ) بثت قناة الصراط ثلاث حلقات للسيد بعنوان (أمير المؤمنين) في ذكرى ولادة الإمام علي بن أبي طالب. في قناة الكوثر الفضائية، سجّل فيها السيد برنامجًا بعنوان :القصص القرآني، وهي سلسلة حلقات تربو على الستين، تناول فيها بالاستعراض والتحليل حياة الأنبياء وقصصهم، وقد عرّج على بعض المواضيع المتصلّة كالملائكة وغيرها من المواضيع. وقد قامت القناة بتفريغ برنامج (القصص القرآني) وجعلته على شكل نصوص تم نشرها في العديد من المنتديات العامة.

وكان قد سبق له تسجيل برنامج آخر بعنوان (الشعائر الحسينية (وهي كناية عن (١٠) حلقات بثّت عام (١٤٢٩هـ) في العشر الأوائل من محرّم الحرام .المجالس الأسبوعية والمحاضرات، بالإضافة لمواظبته على إحياء العشر الأوائل من محرم الحرام بمحاضرات متصلة بمواضيع النهضة الحسينية، فقد واظب أيضًا على حضور مجالس عديدة في جبل عامل ومنها: مجلس بنعفول: يقام ليلة الخميس من كل أسبوع، في بلدة بنعفول العاملية، وقد تأسس في بداية التسعينيات وما زل مستمرًا منذ أكثر من عشرين عامًا، و قد ألقى فيه السيد محاضرات أسبوعية، فاقت الخمسمائة محاضرة، غالبها مسجّل، وقد نُشر قسم منها في موقع صوت الشيعة' مجلس كفررمان : وكان يقام ليلة الأحد من كل أسبوع، واستمرّ لنحو عامين، وقد

حصر السيد مواضيع محاضراته فيه بمبحث الإمامة[١].

السيد مصطفى ترحيني: بعد الانتهاء من مرحلة البروفيه، وبناء على رغبة من والدته، تكونت لديه قناعة للاتجاه نحو العلوم الدينية. وهكذا بدأت العام الدراسي (١٩٨١- ١٩٨٢م) في معهد العلوم الشرعية التابع لسماحة العلاّمة المرجع السيد محمد حسين فضل اللّه الكائن في حيّ السلّم في الضاحية الجنوبية الغربية لبيروت. ولمّا أقفل المعهد بسبب الاجتياح الإسرائيلي حزيران (١٩٨٢م)، سافر في تموز في العام نفسه إلى إيران والتحق بحوزة قم المقدسة لمدة خمسة عشر عامًا تخرج برتبة بحث خارج (هو مصطلح علمي يدّل على مرحلة من مراحل التعليم الديني تبدأ بـ: مقدمات - سطوح - سطوح عليا - بحث خارج. وكلها عبارة عن مباحث أصولية فقهية استدلالية، المجتهد المرجع يعلّم الطلاب كيفية استنباط الأحكام الشرعية). أواخر العام (١٩٩٧م) عاد إلى لبنان ليتفرغ بعد عام لإمامة البلدة والانخراط في الحياة الاجتماعية والتدريس في بعض الحوزات[٢].

الشيخ إسماعيل إبراهيم حريري: من مواليد (١٩٦٢م) بلدة عبّا العاملية في قضاء النبطية، أستاذ في الحوزة العلمية في بيروت، كاتب ومحاضر. بعد إتمامه دراسة بعض المراحل الأكاديمية، التحق بالمعهد الشرعي الإسلامي في غرب بيروت، وتابع دراسة العلوم الدينية وأبرز أساتذته: السيد محمد حسن ترحيني العاملي: درس عليه في الكفاية والمكاسب، والشيخ إبراهيم الدموندي، والسيد جعفر مرتضى العاملي: حضر عليه في البحث الخارج. هذا وقد اقترنت جميع مراحل دراسته مع زميله المرحوم الشيخ حسين عبد اللّه مرعي. إضافة إلى دراسته، قام بتدريس المقدمات وبعض السطوح في المعهد الشرعي الإسلامي، ثم انتقل إلى معهد الرسول الأعظم وتابع تدريس السطوح والسطوح العليا فيه، إضافة إلى عمله في قسم الاستفتاءات في مكتب الوكيل الشرعي العام للسيد الخامنئي في لبنان.

---

(١) ترجمة حياة السيد وإنتاجه الفكري من إعداد نجله حسن.

(٢) مقابلة مع السيد العلاّمة مصطفى ترحيني، بتاريخ ٢٦/ ٤/ ٢٠١٩.

مؤلفاته: جامع المناسك، ألَّفه بالاشتراك مع الشيخ حسين عبد اللّه مرعي عام (٢٠٠٣م)، خلاصة الأصول، ألَّفه بالاشتراك مع الشيخ حسين عبد اللّه مرعي، الولاية التكوينية - دار الولاء - بيروت، إثبات الوصية في شرح الخطبة الشقشقية - دار الولاء بيروت - (٢٠٠٣م)، أحداث آخر الزمان - دار الولاء - بيروت - (٢٠٠٣م)، الأربعون حديثًا في أحوال سيد المرسلين - دار الولاء - بيروت - (٢٠٠٣م)، الرجعة عند آل محمد - دار الولاء - بيروت - (٢٠٠٣م)، محاضرات في الدعوة والتبليغ - دار الولاء - بيروت - (٢٠٠٧م).

البرامج التلفزيونية: قدّم برنامجًا مستقلًّا على قناة الصراط الفضائية تجاوزت حلقاته الخمسين وهو بعنوان: فاسألوا أهل الذكر، تناول فيه الكثير من نواحي الحياة العامة والكثير من القضايا العبادية: كالحج، والإرث، والغش، والصوم، والخمس، والزواج وغيرها من المواضيع. قدّم في قناة المنار برنامجا بعنوان: أخلاقنا. شارك في العديد من حلقات برنامج (لتكتمل الصورة) على قناة المنار، وهو برنامج ثقافي اجتماعي يعالج المشاكل الاجتماعية.

السيد أمين ترحيني: ولد في بلدة عبّا في (١/ ١/ ١٩٦٦م) تلقى دروسه الابتدائية في مدرسة الراهبات - النبطية، والمتوسطة في مدرسة لبنان الجديد - حاروف. في العام (١٩٨١م) ترك مقاعد الدراسة الأكاديمية، واتجه إلى التعليم الحوزوي، في المعهد الشرعي الإسلامي في منطقة حي السلّم، التابع لسماحة العلاّمة المرجع السيد محمد حسين فضل اللّه . ولمّا أقفل المعهد بسبب الاجتياح الإسرائيلي حزيران (١٩٨٢م)، التحق بحوزة قم المقدسة لمدة خمسة سنوات أكمل بعدها دراسته في سورية لغاية العام (١٩٨٨م). تخرج برتبة بحث خارج (هو مصطلح علمي يدّل على مرحلة من مراحل التعليم الديني تبدأ بـ: مقدمات - سطوح - سطوح عليا - بحث خارج. وكلها عبارة عن مباحث أصولية فقهية استدلالية، المجتهد المرجع يعلّم الطلاب كيفية استنباط الأحكام الشرعية. بعدما عاد إلى لبنان في العام (١٩٨٨م) تولى إمامة البلدة بدلًا من السيد محمد حسن ترحيني، وكان يتابع دراسته في المعهد الشرعي، على السيد محمد ترحيني لغاية

العام (١٩٩٤م)، وفي عبّا بعدما أقام السيد محمد في منزله حلقات تدريس لطلبة من خارج البلدة. عام (٢٠٠١م)، تولى إدارة معهد سيدة نساء العالمين الثقافية، وكانت تعنى بتعليم النسوة العلوم الشرعية الفقهية، والأخلاقيات والتبليغ، ولهذا المعهد فروع في كافة مناطق الجنوب. كما كلّف بمهمات دعوية تبليغية خارج لبنان لا سيّما ألمانيا.

في العام (٢٠١٧م) كلّف بإدارة جمعية أمان للإرشاد والسلوك الاجتماعي(١)- فرع النبطية، ومهمتها تعزيز الأمان الاجتماعي بشكل عام، والأسري بشكل خاص، منتهجة العمل الإرشادي من خلال: الرصد والدراسة الميدانية، لأبرز الظواهر والمشكلات المؤثرة في الأسرة، إصدار الدوريات والنشرات، العلمية والإعلامية المتخصصة، تأهيل العاملين في مجال الإرشاد الأسري والاجتماعي، دعم المراكز المتخصصة بالإرشاد، تبادل المعلومات والخبرات. باختصار مهمة الجمعية علاج المشاكل الأسرية وطرق الوقاية منها.

تراجم كتاب وفنانين وإعلاميّين:

هم العاملون المنتمون إلى هذه المجموعات يجرون الأبحاث ويطبقون المعارف في مجالات العلوم الإنسانية ذات الطابع الاقتصادي والاجتماعي والتربوي والحقوقي والأدب والفن والتعليم ويقومون بأعمال التأليف والابتكار والكتابة. وفي المجالات العلمية المتقدمة حيث يطبقون المعارف. وباكورة هؤلاء في مجال العلوم النووية:

فرح أسد حريري: برعت في الفيزياء النووية بعد أن أنهت دراستها في الجامعة الأميركية في بيروت، وغادرت إلى فرنسا من أجل متابعة دراساتها العليا في مجال فيزياء البلازم. سنة (٢٠١٣م) حصلت على شهادة الدكتوراه عن مشروع (تكوين شمس على الأرض) وأهلتها هذه الفكرة للظفر بجائزتين دوليتين عن أفضل بحث علمي. الأولى كانت من اليابان عندما منحتها الهيئة اليابانية للطاقة

(١) علم وخبر ٢٤٠١، لبنان - بيروت - حارة حريك، بناية الربيع ط ٣.

النووية (th Itoh prize) جائزة أفضل رسالة دكتوراه لطرح إشكالية أساسية في ميدان التفاعل النووي. والثانية كانت من جامعة (AIX_ Marseille) في فرنسا. هذه الإنجازات أتاحت لها الحصول على موقع بارز في المركز السويسري لطاقة البلازما في لوزان (EPFL)، والانضمام سنة (٢٠١٦م) إلى فريق CERN وشغل منصب مستشار، وعضوًا في فريق العمل البحثي في المنظمة الأوروبية للأبحاث النووية (CERN _ Geneva) في سويسرا.

وفي مجال التأليف الأدبي برز:

فايز محمد خليل ترحيني: ألّف إلى الآن واحدًا وعشرين كتابًا، هي[١]: الشيخ أحمد رضا والفكر العاملي - دار الآفاق - بيروت (١٩٨٣م)، الشيخ عبد اللّه العلايلي مفكرًا ولغويًّا وفقهيًّا - اتحاد الكتاب اللبنانين - دار ابن خلدون -(١٩٨٤م)، الشيخ عبد اللّه العلايلي والتجديد في الفكر المعاصر - منشورات عويدات - بيروت - (١٩٨٥م)، الدراما ومذاهب الأدب -المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع -(١٩٨٨م)، أدب الخطابة - دار الفكر اللبناني - (١٩٩٠م)، الإسلام والشعر - دار الفكر اللبناني- (١٩٩٠م)، الشعر غاياته ووسائطه للمازني، تحقيق، دار الفكر اللبناني - (١٩٩٠م)، الأشباه والنظائر في النحو- السيوطي- راجعه فايز ترحيني، دارالكتاب العربي، الطبعة الأولى (١٩٨٤م)، الخطابة والنهج - مؤسسة النخيل للطباعة والنشر والتوزيع - (١٩٩٢م)، أبو نواس وأبو العتاهية بين اللذة والزهد - مؤسسة النخيل للطباعة والنشر والتوزيع - (٢٠٠١م)، الكافي في الصرف - مؤسسة النخيل للطباعة والنشر والتوزيع - (٢٠٠٢م)، النثر في العصر العباسي - مؤسسة النخيل للطباعة والنشر والتوزيع - (٢٠٠٤م)، نحو عربية ميسرة - مؤسسة النخيل للطباعة والنشر والتوزيع - (٢٠٠٩م)، معجم تراثي شعبي، دار روافد، بيروت، (٢٠١٦م)، الأدب أنواع ومذاهب - مؤسسة النخيل للطباعة والنشر والتوزيع - (٢٠١٦م)، الإسلام وتأثيره في الشعر، المحجة البيضاء، بيروت، (٢٠١٦م)،

(١) مقابلة مع فايز محمد خليل ترحيني والدته فوزية ترحيني، تولد (١٩٤٦م) بتاريخ ٤/ ٤/ ٢٠١٨.

معجم الفلاح والأرض والحيوان، النخيل، بيروت، (٢٠١٧م)، معجم الفلاح: الزرع والحصد والنّخيل، بيروت (٢٠١٧م)، معجم القروي: الصفات والغذاء، المحجة البيضاء، بيروت، (٢٠١٧م)، أبو نواس بين الخير والشر وإعادة الاعتبار، المحجة البيضاء، بيروت، (٢٠١٧م)، دائرة الشوك أو حكاية الولد العاملي، دار الولاء، بيروت، (٢٠١٧م).

محمد أحمد يوسف ترحيني: وله مؤلف واحد في التاريخ، هو المؤرخون والتأريخ عند العرب، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، دار الريف، لا تاريخ.

محسن عبدو ترحيني: وله مؤلفان هما: لمن يرفع الآذان في الوطن العربي، دار الولاء لصناعة النشر، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، (٢٠١٢م) ـ مقاومة وانتصار ـ طريق انتصار الوطن العظيم، دار الولاء لصناعة النشر ـ الطبعة الأولى، بيروت ـ لبنان، (٢٠١٥م).

أحمد علي يونس هارون: وله مؤلفان في التاريخ، هما: المسألة اللبنانية عند الشيخ عبد اللّه العلايلي، دار البراق، الطبعة الأولى، بيروت ـ لبنان، (٢٠١٢م)، التحركات السكانية في تاريخ لبنان المعاصر (١٩٤٣م ـ ١٩٩٧م)، دار الولاء لصناعة النشر ـ الطبعة الأولى، بيروت ـ لبنان، (٢١٠٨م).

عباس خليل ترجيني: وله مؤلف واحد هو عكس السَّير، وهو (عبارة عن سلسلة مقالات تعكس رُؤْيَةٌ وَرُؤْيا من مرصد مختلف معاكس) دار لبنان للطباعة والتسجيل والنشر والتوزيع، دير الزهراني ـ لبنان الجنوبي الطبعة الأولى (٢٠١٣م).

هذا التحول بدأ بالظهور في فترة مبكّرة من تاريخ لبنان الحديث وفي (جبل عامل) عبّا تحديدًا نتيجة تغيرات سياسية وأخرى واجتماعية ناتجة عن الفورة الاقتصادية. كان بدايته موجة النزوح الريفي في الخمسينات إلى المدن، بالتحديد من الجنوب، باتجاه بيروت والضواحي، وتعاظمت مع بدء الحرب الأهلية والاجتياحات الإسرائيلية التي رفعت من وتيرة الهجرة إلى بلدان النفط، وأفريقيا، وأوروبا والقارة الأميركية، وأستراليا. وهكذا أسهمت عائدات النزوح والهجرة

في تحسين الظروف الاجتماعية والمادية للعائلات الجنوبية (العباوية) وأتاحت للكثير منهم، تعليم اولادهم، في المدارس الرسمية والخاصة الريفية والمدينية، في وقت ساد فيه اتجاه، «شجعت عليه الدولة لإبقاء التعليم ذات شأن طائفي بحيث لكل طائفة مدرستها الخاصة»[١].

أصحاب مدارس: نايف إبراهيم حسن خليل ترحيني أول من أنشأ مدرسة خاصة في حي برج حمود سنة (١٩٦٣م) باسم مدرسة الصفاء بالاشتراك مع عبد الأمير غريب ومحمود سليم نجم، إلا أنه ولأسباب خاصة تنازل عن أسهمه في المدرسة لمصلحة المذكورين[٢]. أمّا في البلدة فقد صدر في (٢ كانون أول سنة ١٩٩٨م) المرسوم رقم (١١٦٢٦) بفتح مدرسة خاصة في عبّا - قضاء النبطية باسم ثانوية التنشئة الجديدة. ثم في (١١ كانون أول ٢٠٠٠م) صدر المرسوم رقم (٤٤٢٩) بإنشاء معهد فني خاص باسم «المركز المهني للفنون فرع ثان» في النبطية. كذلك في (٣٠ تشرين أول سنة ٢٠١٤م) صدر المرسوم رقم (٨٣٩) بفتح مدرسة خاصة في عبّا - قضاء النبطية باسم ليسيه أمجاد. كذلك صدر في (١٤ شباط ٢٠٠٤م) مرسوم رقم (١١٨٣٧) بفتح مدرسة خاصة في زبدين قضاء النبطية باسم مدرسة الأكاديمية المتخصصة. ومرسوم آخر رقم (١٢٣٢٩)، تاريخ (٢٣ نيسان ٢٠٠٤م) بفتح مدرسة خاصة في منطقة كوثرية السياد العقارية - قضاء صيدا، باسم مدرسة

(١) حسان قبيسي: الدولة والتعليم الرسمي في لبنان، الفصل الثالث، بحث من سلسلة أبحاث ضمن كتاب الدولة والتعليم في لبنان، إصدار الهيئة اللبنانية للعلوم والتربية - الكتاب السنوي الأول، ص١٢٢.

(٢) «بناء على المرسوم رقم (١٢٦٥٢) تاريخ (٢٩/ ٤/ ١٩٦٣م) أُجيز للسادة نايف ترحيني وعبد الأمير حسين غريب ومحمود سليم نجم بفتح مدرسة خاصة باسم مدرسة الصفاء» في برج حمود (قضاء المتن) على العقارين رقم (٤٤٧٧) و(٤٧١٩). بناء على المرسوم رقم (١٤٩٦٢) تاريخ (٣٠/ ١٢/ ١٩٦٣م) تعد مدرسة الصفاء في برج حمود مسجلة على اسم السيدين عبد الأمير غريب ومحمود سليم نجم. بناء على المرسوم رقم (٧٢٠٢) تاريخ (١٩/ ٢/ ١٩٧٤م) القاضي بتعديل المادة الأولى من المرسوم رقم (١٤٩٦٢) تاريخ (٣٠/ ١٢/ ١٩٦٣م) حُصرت إجازة المدرسة المذكورة باسم السيد محمود سليم نجم واقتصرت على المرحلة الابتدائية. الجريدة الرسمية العدد (٢٣) تاريخ (١١/ ٥/ ٢٠٠٦م)، ص٢٤٠٢- ٢٠١٣.

قصر المعرفة، ومدير كلا المدرستين من عبّا[1].

(١) «مادة ١: أجيز للسيد علي محمد سلامي، المولود عام (١٩٦٧م) في عبا (قضاء النبطية)، فتح مدرسة خاصة لمراحل الروضة والتعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي، خارجية، مختلطة، شتائية، نهارية مع حق التدريس صيفًا في عبا (قضاء النبطية) على العقار رقم (١٥١) باسم «ثانوية التنشئة الجديدة». لا يحق للمدرسة المذكورة مباشرة التدريس قبل الحصول على ترخيص يعطى بقرار من وزير التربية الوطنية والشباب والرياضة وتسقط الاجازة حكمًا إذا لم يستحصل صاحبها، خلال خمس سنوات من إعطائها، على الترخيص المذكور ما لم تجدد بمرسوم لمرة واحدة فقط ولاسباب معللة». الجريدة الرسمية: (٢) تاريخ (٨/ ١٠/ ١٩٩٨م)، ص٤٥.
«مادة ١: رخص للسيد عباس محمد علي ذياب المولود سنة (١٩٦٥م) بإنشاء معهد فني خاص باسم «المركز المهني للفنون فرع ثان» على العقار رقم (٦٩٨) من منطقة النبطيه العقارية،قضاء النبطيه. مادة ٢: يسدي المعهد التعليم المهني والتقني على الوجه الأتي: الاختصاص المستوى الشهادة إدارة الفنادق الأطر الوسطى الامتياز الفني والمطاعم التربية الحضانية الأطر الوسطى الامتياز الفني والابتدائية المعلوماتية الأطر الوسطى الامتياز الفني الإدارية الهندسة المدنية الأطر الوسطى الامتياز الفني البناء والاشغال الأطر الوسطى الامتياز الفني العامة التربية الحضانية التنفيذ البكالوريا الفنية مساعد طبيب التنفيذ البكالوريا للأسنان الفنية مساحة التنفيذ البكالوريا الفنية البناء والأشغال التنفيذ البكالوريا العامة الفنية محاسب مساعد التكميل التكميلية المهنية كما ويسدي المعهد التدريب المهني في اختصاصات لا تؤدي لنيل الشهادات الرسمية وهي التالية: أخصائي صيانة وتصليح أجهزة الكمبيوتر حفر وصب قوالب المجوهرات صقل الأحجار الكريمة تصفيف شعر رجالي تزيين نسائي »الجريدة الرسمية العدد (٦٢) تاريخ (٢٨/ ١٢/ ٢٠٠٠م) الصفحات ٥٤٠٤ - ٥٤٠٥.
«مادة ١: أجيز للسيد زكي حسين ترحيني المولود عام (١٩٥٨م) في عبا (قضاء النبطية) فتح مدرسة خاصة لمراحل الروضة والتعليم الابتدائي، والمتوسط، والثانوي، ولتعليم اللغات والتقوية في بعض المواد، ولتعليم الكومبيوتر، نهارية، شتائية، مع حق التدريس صيفًا خارجية، مختلطة، على العقار رقم / ١٧١٠/ من منطقة عبا العقارية (قضاء النبطية) باسم «ليسيه أمجاد». لا يحق للمدرسة المذكورة مباشرة التدريس قبل الحصول على ترخيص يعطى بقرار من وزير التربية والتعليم العالي، وتسقط الإجازة حكمًا إذا لم يستحصل صاحبها خلال خمس سنوات من إعطائه على الترخيص المذكور ما لم تجدد بمرسوم لمرة واحدة فقط ولأسباب معللة». الجريدة الرسمية: العدد (٤) تاريخ (٣٠/ ١٠/ ٢٠١٤م)، الصفحات ٤٢٠٧- ٤٢٠٨.
«مادة: أُجيز للسيد علي قاسم ترحيني المولود عام (١٩٧٣) في بيروت فتح مدرسة خاصة في زبدين - قضاءالنبطية باسم مدرسة الأكاديمية المتخصصة لمرحلتي الروضة والتعليم الابتدائي نهارية شتائية مع حق التدريس صيفًا، خارجية مختلطة». الجريدة الرسمية، العدد (١٠)، تاريخ (١٩/ ٢/ ٢٠٠٤م)، ص٧٨٢- ٧٨٣. «مادة ١: أجيز للسيد عباس قاسم ترحيني المولود عام (١٩٦٦) في بيروت والسيدة رجاء محمد بيطار المولودة عام (١٩٦٩) في الهلالية فتح مدرسة خاصة لمرحلتي الروضة والتعليم الابتدائي،نهارية شتائية، مع حق التدريس صيفًا خارجية، مختلطة، على العقار رقم (٧٨٢) من منطقة كوثرية السياد العقارية -قضاء صيدا، باسم مدرسة قصر المعرفة». الجريدة الرسمية، العدد (٢٥) تاريخ (٥/ ٦/ ٢٠٠٤م)، ص٣٦٥٤.

أنشطة متفرقة: يقول حسن محمد ترحيني: حدثني والدي أنه كان لدى الحج موسى قاووق مكتبة تحوي مجموعة قيّمة تقاسمها بعد وفاته أصهاره. يوجد في مكتبة السيد عباس محمد علي موسى مخطوطتان قيمتان واحدة بخط يد جدّ والدتي مكتوبة بقصب الغزار وهي عبارة عن رثاء ومجالس عزاء، والثانية إشعار رثاء بخط يد أحد العامليين يعود لأكثر من (٢٥٠) عامًا والاثنتان بحالة جيدة ووضوح تام[١].

إعلاميون: أحمد يونس هـارون[٢]، بسمة ترحيني، نسرين عز الدين، ياسر حريري، زينب ترحيني.

منشورات: مدوّنة العرايس، خاصة شهرية - وثائقية- ثقافية، من إعداد وإشراف خليل توفيق حسين ترحيني (أبو بشار)-مدونة مدرسية قام بتحريرها مجموعة من طلاب البلدة منهم يوسف حسن إبراهيم علي حسين محمد آل حمود - مدونة «زهرةالصبار» نشرة يصدرها المجلس البلدي في عبّا العدد الأول آيار (٢٠٠٧م) عدد واحد فقط تناول الشؤون العامة في البلدة.

ناشطون ثقافيون: حسن محمد ترحيني من مواليد العام (١٩٧٩م) له اهتمامات موروثة في الأدب والتاريخ والتراث اشترك مع الأمير محمد الحرفوش في إعداد كتاب (تاريخ الحرافشة) وقد نُشرت غالب فصوله على الإنترنت. نشط على موسوعة ويكيبيديا منذ العام (٢٠١١م)، وله فيها ما يقارب من (١١٠٠م) مقالة أو بذرة مقالة. يُشرف على صفحة طرائف الأدب العاملي على الفيس بوك وله فيها إسهامات في التاريخ والطرائف والتراث العاملي. أنشأ في العام (٢٠١٣م) صفحة (مدونة جبل عاملة) على الشبكة وتحوي اليوم ما يزيد على (٩٠٠) مشاركة

---

(١) من مرويات المجالس الخاصة للعلّامة السيد محمد حسن ترحيني» نقلها الينا نجله حسن بتاريخ آذار (٢٠١٨م). ملاحظة: تحققنا من الرواية، فلم نعثر إلا على المخطوط الأول (رثاء ومجالس عزاء) واستعنا بها في كتابة فصل من الكتاب. ولم نعثر على الثانية.

(٢) عام (١٩٨٢م) عمل (المولف) محررًا في وكالة أخبار لبنان لصاحبها الصحافي عباس بدر الدين، وفي ذات الوقت مندوبًا للوكالة في المجلس النيابي، والمجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، ومقر مجلس قيادة حركة أمل في محلة برج البراجنة، ومندوبًا مرافقًا للشيخ عبد الأمير قبلان. صورة بطاقة، رقم (٣١).

متنوعة بين التاريخ، والأمثال، والأشعار، والأعلام، والطرائف، والكتب، والسياسة والساسة العامليين. له القليل من المساهمات الشعرية غير المنشورة، والعديد من المقالات في التراث والتاريخ تم نشرها. نشط مع مجموعة من الشابات والشباب منذ العام (٢٠٠٠م) إلى العام (٢٠٠٤م) بنشاطات (الشباب الجامعي في بلدة عبّا) وله عدة مساهمات في مجال البيئة والتراث.

فنانون: شريف ترحيني (ملك جمال)، دلال حسن ترحيني (رسّامة)، حسين يونس ترحيني (خطّاط)[١]، علي خليل ترحيني(رسام)، أكرم قاووق (مخرج).

مغامرون: نجح طالب لبناني في وضع اسمه ضمن أصغر متسلقي الجبال في لبنان والعالم، بعد أن تمكن من اعتلاء قمة جبال كلمنجارو في تنزانيا التي يبلغ ارتفاعها (٥٩٠٠) متر، بعد رحلة شاقة برفقة مجموعة من المتسلقين استمرت سبعة أيام، انسحب خلالها البعض، بينما استمر الطالب باسل حيان ترحيني من بلدة عبّا الجنوبية في التسلق ليبلغ هدفه بنجاح، حيث بلغت درجة الحرارة في الأعلى نحو (١٥ ـ ٢٠) درجة مئوية تحت الصفر، بالإضافة إلى هبوط نسبة الأوكسيجين إلى النصف نسبة لما هي على مستوى سطح البحر. وحقق باسل ترحيني (١٤)عامًا،

(١) التحق عام (١٩٩١م) بدورات الخط العربي في بيروت بإشراف الخطاطين محمود بعيون ومختار البابا. بالإضافة إلى الخطوط العربية الكلاسيكية. انتهج أسلوبًا حروفيًّا خاصًّا وأدخل اللون كعنصر أساسي فأخرج اللوحة الحروفية التشكيلية بطابع إسلامي. أقام وشارك في العديد من المعارض الجماعية في لبنان والخارج بدءًا من العام (١٩٨٨م). نال العديد من شهادات التقدير والتنويهات و الدروع. حائز على دكتوراه فخرية في الخط العربي والفنون التشكيلية من المركز الثقافي الألماني الدولي. حائز على دكتوراه فخرية في الخط العربي والفنون التشكيلية من اتحاد منظمات الشرق الأوسط للحقوق والحريات. حاصل على شهادة امتياز وإجازة من نقيب الخطاطين المصريين. حاصل على إجازة في فن الخط العربي من الخطاط الكبير مختار البابا – لبنان. حاصل على إجازة في فن الخط العربي من الخطاط الكبير جاسم النجفي – العراق. حاصل على شهادة المرحلة العالية في الخط من جمعية الخطاطين الإيرانيين. حاصل على وسام المبدعين من رابطة المبدعين العراقيين. عضو مؤسس في الاتحاد العالمي للخط العربي والزخرفة الاسلامية. أمين سر جمعية الخطاطين اللبنانيين وعضو مؤسس لها. عضو تجمع فنانون بلا حدود. عضو شرفي في جمعية الخطاطين العراقيين. عضو المركز الثقافي العراقي للخط العربي و الزخرفة. دخلت أعماله عدة موسوعات عن فن الخط العربي والفن التشكيلي (مصر). يدرِّس مادة الفنون في ثانوية الشهيد بلال فحص – تول منذ عام ١٩٩٦م.

إنجازًا مهمًّا على مستوى لبنان بعد نجاحه في اعتلاء قمة كلمنجارو التي تصنف على أنها أعلى قمة جبلية في أفريقيا، وأعلى جبل قائم بذاته في العالم، وإحدى القمم السبع الشاهقة في قارات العالم، حيث يبلغ ارتفاعها نحو (٥٨٩٥) مترًا، ليكون بذلك أصغر لبناني يحقق هذا الإنجاز للبلاد[١].

تراجم شعراء وأدباء (شعر مناسبات ومجالس أدب):

يُعَدّ الشعر أحد أنواع الفنون الأدبية، وفيه يتم نظم كلمات موزونة حول موضوع يهمّ الشاعر نفسه. ويعتمد الشاعر على أحاسيسه وسرعة البديهة وقدرته على ارتجال وصياغة عباراته، للتأثير على المستمعين. وللشعر موضوعات، تشتمل على: المسرحي، الملحمي، الغنائي، القصصي. وله أشكال، وتشتمل على: الحرّ، العمودي، المنثور، المُرسل. وله لغته، وتشتمل على: العامي والفصحى. وله أغراضه، ويشتمل على: الغزل، الوصف، المدّ، الرثاء، الهجاء، الحكمة، الاعتذار، الفخر.

إن أقدم نص شعري قِيل في عبّا، ذلك الذي نظمه الشيخ إبراهيم حريري، لخليل أبو دلا، ووضع في آخر العجز منه كلمة (فرغب). كان الشيخ يتقصّد من وراءه ذلك أمرين: الأول مدح خليل أبو دلا، أمّا الثاني فكان التأريخ للزمن الذي بنى فيه داره. هذا النوع من الشعر مزيج من القريض، وما يعرف بحساب الأحرف. والقريض يخلو من العاطفة والخيال والصورة، ويعتمد على التقريرية والمباشرة ويجعل من التقفية وسيلة للحفظ. أمّا حساب الأحرف، فهو، احتساب لكل حرف، رقم يقابله. فكانوا من تشكيلة هذه الحروف ومجموعها يصلون إلى ما تعنيه من تاريخ مقصود.

وبيت من المجد شيده كريم   خليل السيد الزاكي المهذّب
وقد زينته بقريض شعري   بأوانه له التاريخ (فرغب)

---

(١) عدنان طباجة «لبناني يتسلّق أعلى قمة جبلية في أفريقيا» خبر منشور في جريدة السفير بتاريخ (٦/ ٨/ ٢٠١٢م)، العدد (١٢٢٥١)، ص٥. ينظر صورة للمتسلّق رقم (٣٢).

وكلمة (فرغب) بحسب علم حساب الأحرف، تعني (١٨٦٢م)، سوى ذلك لم يصلنا من تلك الفترة، ما يفيد، عن نص شعري لأي من أبناء البلدة، ربما لأن التدوين، في تلك الفترة كان عملًا نادرًا. ولولا أن هذا النص لم ينقش على عتبة دار أبو دلا، لكان ضاع أثره.

إلا أن فترة الأربعينان وما بعدها، فقد لاقت رواجًا، وأنشد البعض من عبّا شعر الزجل بموضوعاته المتعددة، المطلوع، الندب، الرويد، الحكمة، الدلعونا، الفخر، القصيد الفصحى، المعنّا، الهجاء، قصيد المفاخرة، القرادي، الغزل والقصيد الرثاء. وهؤلاء هم شعراء الجيل الأول، أرادوا بقصد أو من غير قصد أن يتخلصوا من نظام القصيدة الذي كان سائدًا، فبحثوا عن إطار جديد للقصيدة يتواءم مع واقعهم الجديد، ولكي يحدث ذلك التواؤم كان عليهم أن يتحرروا من القيود التي فرضت على الشعر منذ القدم. في العموم تعاقب على كتابة الشعر أو تلاوته في عبّا، ثلاثة أجيال من الشعراء، كانت موضوعاتهم تتنوع بحسب مناسبات تلك المرحلة، كحفل اختتام تعليم القران، حيث كان الطالب يتقدم ورأسه داخل صندوق مزين والشيخ واقف أمام الطلاب وهم يرددون على مسامع الأهل زجل - المطلوع:

يا برق شامي بلّغ سلامي
إلى محمد بدر التمام
يا برق اطلع بالليل والمع
مختار يشفع يوم الزحام
قصدي أزور وأحظى بنور
فحّت عطور مسك الختام

أو عندما كان الأهل يتخلّفون عن دفع قيمة التعليم لشيخ الكتّاب، وكان هذا يحصل مع الشيخ إبراهيم زهر الدين، الذي أنشد حينها معترضًا:

لا تظن أنك من يدي ناجي ولا تقول إني رضيت بدجاجة
هيّر ثماني ليرات ارسلهم صباحًا أوفق لكم ما عاد بدّا لجاجي

وفي الأتراح كان الشاعر يأتي بالأبيات عفو الخاطر من دون تحضير مسبق. فعندما توفي موسى قاووق، وكان رجلًا وقورًا متدينًا، قيل في جنازته خليط من شعر الندب ما بين الفصحى والعامية:

يـا مـن بـرمـسـك مستقيم قـم لـلـخـلـيـقـة حـيّـهـا
يـا تـابـع الـديـن الـقـويـم كـنـت لـلـيـتـامـى بـيّـهـا

وكانت النسوة تمزّقن ثيابهنّ ويردّدن:

مات يلكان بيمينو القلم بحر العلم يروي القاصدينو

فيـه أسـرار النبـوة كيـف فيكـن شـايلينو

والندب نوع من أنواع الزجل أي الشعر الغنائي التراثي الشعبي، له مكانة مرموقة، يردده العامة. وهو رثاء بأغان شجية مؤثرة يقوم به الرجال، فيتألب النادبون في دارة الميت جماعات ثم يسيرون الهوينى ذهابًا وإيابًا يلوحون بالمناديل وفي مقدمتهم شاب يحمل راية أو رسم للميت، وأحد الرجال يندب ويساعده الباقون مرددين اللازمة بأصول وضوابط.

وفي الأعـراس، كانت العروس تنتقل إلى بيت العريس على صهوة فرس (مدندشة) بالزينة، والحداؤون في طليعة الموكب يهتفون بالترويدة المناسة:

يـا شـمس يللـي بالسـما أنـوارك بـتـحـيـي الـنـفـوس
لا تـشـرقـي فـوق الـحـمـا عـالأرض عـنـا عـروس

حتى إذا ما فُرغ من عقد القران وقراءة الفاتحة للتوفيق، يقوم هؤلاء بإطلاق النار دفعة واحدة، ينطلقون بعدها الي بيت أهل العريس وهم ينشدون، رويد - الفرح:

الـلّـه يـتـمّـم هـالـفـرح بـسـعـد وسـرور وهـنـا

وعند الوصول إلى بيت العرس توزع المشروبات ومن ثم تشبك الأيادي وتعقد حلقة الدبكة على وقع صوت المجوز والمنجيرة على لحن دلعونا، ومن ثم يسير

الجميع منشدين:

يـخـلـف عـلـيـكـم يـا شـبـاب ويـعـيـدكـم لأمـثـالـهـا

وكانت الدلعونا تغنى مقرونة بالة موسيقية تراثية مثل المجوز. ولحنها متعدد ومتغير في آن وخاصة إذا صاحبها رقصة الدبكة، من مثل:

هـالـديـك يـا بـو الـشـاشـيـة زوجـي تـجـوز عـلـيـي
دشـر مـنـهـل وزلـيـخـة وتـبـع الـجـمـولـيـة

أو

برجـاك يـا رب العبـاد اللـي رفع السـما بـدون عماد
يـا رب تـمّ هالفـرح بـدار عبـد اللّـه جـواد

كان كل شيء يأتي عفويًّا بالارتجال، والمتعة في أن تأتي الردّة صحيحة في وقتها، كأن يصادف تسبب توفيق ندّه بحريق في خراج البلدة، وأتى على مساحات واسعة. وبسبب ذلك داهمت فرقة من خيالة مدينة النبطية (الشرطة) البلدة لاعتقاله، فما كان من أحدهم إلا أن وثّق من فوره، تلك الحادثة بالقول:

يـا توفيـق نـدّه يـا توفيـق نـدّه
حرقت الوعر عالبيت ما تعدّي
أجـوا الخيالـة تخبّـا عـا السـدة

كذلك في مناسبة فوز شخص بمنصب مختار. عام (١٩٤٨م)، فاز شريف يوسف علي حسين، فما كان من محمد هاشم خليل (أبو هاشم)، إلا أن قال فيه، زجل مطلوع – مفاخرة:

آل عـلـي حسـين والخليـل عالكـون زادو افتخـار
يـهـنـيـك يـا يـوسـف علي بالسـيد شـريف مختـار صـار

ولـمّا كان عبدو حسين أحمد من المرموقين في البلدة، وفي منزله يودع سنجق البلدة والطبل ومستلزمات الأفراح والأتراح، كانت النسوة والرجال يتجمعون في دارته ومنه تنطلق المواكب بعد أداء التحية له والدعاء بدوام النعمة. ينقل عنه، أنه كان يفخر بنفسه، غير ملتفت لسواه، وذات مرّة قال:

إذا بـــــدّك تـــجـــدد نـخ وإذا بـــــدك تتـــــرك تـــــخ

أمّا العلاّمة السيد محمد علي إبراهيم، فقد كان لامعًا في قصيدته بالفصحى الموزونة على البحر الكامل، وهي قصيدة خطها للعلاّمة السيخ محمد جواد مغنية، بعدما بلغه سوء أحواله. يصف فيها سوء الحالة المادية لرجال الدين ويدعو إلى عدم اليأس والقنوط وتسليم الأمر للّه، لأن المال لا يجلب السعادة دائمًا:

إنـــي أعيـــذك أن أراك كئيبًـــا فـــدع التفكّـــر والجـــرح التقطيبـــا
فـلأن خليـت مـن الدراهم سـاعة فلقـــد خلينـــا أشـــهرًا وحقوبـــا
أخـــي لا تجـــزع ولا تقنـــط فذا أمر على الفضلاء ليس غريبا
وكل الأمـــور إلـــى مليـــك منعـــم يعطـــي فيجـــزل بكـــرة وغروبـــا
فأقـول هـذا قـول صاحـب خبـرة لـــم يخـشَ فيـــه العتـب والتأنيبـــا
إن الدراهـــم للجـــروح بلاســـم وكـــذ تكـــون صوارمًـــا وكعوبـــا

في عبّا، حافظ شعراء الزجل على حضورهم البارز، ضمن بيئتهم الشعبية، التي أنتجت قصصها وحكاياتها وألفاظها وروحيتها، فكانوا قريبين أكثر من القلب والمجتمع، فأصبح زجلهم ملك الناس، يعبّر عن أفراحهم وأتراحهم وعن واقعهم السياسي والاجتماعي. فمنحه الناس المكانة التي يستحقها، فحفظوه عن ظهر قلب ودوّنوه كي لا يضيع، لدرجة، أن بعضهم كان يأتي لبعض الحفظة كي يردد أمامه قصائد، كان قد نساها.

في تلك المرحلة، كان قاسم العبّاوي أبرز الزجالين فلمع نجمه، بعد أن أصبح عضوا في جوقة كروان الوادي ومؤسس عصبة الزجل اللبناني مع الشاعر كروان

الوادي. العبّاوي شاعر محترف من الدرجة الأولى غنى حفلات عدّة مع زين شعيب في الجليل - فلسطين، وشارك في مسابقات شعرية من تنظيم جامعة الدول العربية، وكان الأول من بين عشرين متباريًا. أغلب قصائده غير مدوّنة[١] وما دوّن منها، كان «غيض من فيض، وما قدر التقاطه من ذلك اليم الرحب ينبيك بأصالة شاعر حفر في الوجدان والذاكرة رسومًا لن يمحوها الزمان مهما تقادم»[٢].

من آثاره التي ما زالت متداولة على الألسن ندبة، هي خليط ما بين الفصحى والعامية، قالها يوم دفن حسن خليل أبو دلا:

كـيـف يـا رب الـعـطـايـا تـخـطـفـك أيـدي الـمـنـايـا
أصـبـح الـكـرام بـعـدك لا ركـون ولا زوايـا

وكان للعباوي مساجلات قرادي- مع أبو علي زين شعيب، استهلها زين بالقول:

أنـا زيـن وفعلـي زيـن
ومـا بطعـن إلا بالزيـن
مـن اللبوة مـا رضعتـو بز
ونحنـا اللي رضعنـا بزين

وكان ردّ العبّاوي:

كان عمـري تمـوز وآب
كنت الفرسـان ضعضعها
بهجـم عاللبـوة بالغـاب
بـزت الشـبل وبرضعهـا

كذلك المعنّا، مع سلام الراسي (أبو علي) ومناسبته أن العباوي كان دائمًا

(١) مقابلة مع علي داوود ترحيني، تولد (١٩٤٤م)، والدته شفيقة شعيب، بتاريخ (٢٨/ ٤/ ٢٠١٩م).
(٢) من مقدمة «مقتطفات من شعر السيد قاسم العبّاوي»، بقلم الشباب الجامعي - عبّا.

يخاطب الراسي بعبارة: يا شيخ بو علي، فردّ عليه الراسي: أنا بو علي ولكنني لست شيخًا، وكان رد العبّاوي:

يـا بـو علـي لا تظـنّ أنّـي بجهلكْ   مش شيخ بسّ المشيخة بتلبق إلكْ

شـو ناقصـك للمشـيخة غيـر العَبا   بجبْلك عِبا وشيخ المشايخ بعملك

لمّا اشتد سعير الفتنة في لبنان، وتبادل المسلمون والمسيحيون أعمال القتل والسلب والخطف على الهوية، قام العباوي بزيارة للراسي في إبل السقي وبادره بردّة من الزجل، قال:

يـا بو علي، اسـمك حلي وقـدرك علي

بابنـــك علـــي، ولا فتـــى إلّا علـــي

وإن قلـت بدي رجـال يحموا سـاحتي

بتشـوف حولـك ألـف مـن أمـة علـي

في العام (٢٠٠٢م) كانت مبادرة لافتة من الشباب الجامعي - عبّا، أرادوها تاجًا مرصعًا بياقوت القصائد للعبّاوي، تزين عبّا، وتزيد نجوم سمائها نجمة، فكان صدور مقتطفات من شعر السيد قاسم العباوي، «وهو ديوان زجلي يضم مجموعة من القصائد الموزونة المقفاة تطول حينًا وتقصر حينًا... يتطبع بعضها بطابع سياسي يعكس ما عصف بلبنان والعالم العربي، بل وبعض العالم الإسلامي من أحداث جسام من القرن العشرين، حيث يتألم الشاعر لما يتعرض له الجنوب اللبناني من اجتياحات ... كما يدين من تقاعس عن كشف ملابسات قضية كبرى كقضية تغيب الإمام الصدر. ويشيد بمآثر الثورة الإسلامية وحكمة قائدها وبالمقاومة في جنوب لبنان. في قسم من الديوان يلفت الشاعر إلى هموم الداخل فيؤلمه ألّا تكون دولته دولة العدل والقانون ... ولا ينسى الآخرة وعقابها وثوابها فيحث في أكثر من قصيدة على العمل الصالح والتقوى ... ولا يخلو هذا

الديوان من قصائد المناسبات»[1]. وهذه نماذج منها:

«عيد المعلّم»

عيــدك يــا معلـــم تهليـــل تـشـريـف ومـجـد وتـأهـيـل
أنــت البهجــة وأنــت الــذوق ونـــور بـالـعـتـمـة قـنـديـل

«أهل العروبة»

قديـش عـم ننـده لـرب العاميـن تنعيـش مـع دولـة باللّـه مقربـي
وتكون هالدولة لها منهاج ودين تمشـي مـع القـرآن وبخـط النبـي

«يا ماخذ الدنيا بعين الاعتبار»

يـا ماخـذ الدنيـا بعيـن الاعتبـار خدهـا ولكن شـد بالتقـوى الزنود
هالأرض بدها من التقي شوية بذار قـادم علـى أمرين بهبـوط وصعود

من الأهمية بمكان القول: «إنّ العبّاوي لم يدوّن شعره، فإن أغلبه قد ضاع، وما تضمنه المقتطفات جمع من كراس وجد في بيته. وهناك من يقول إن بعض الأشعار نسب إليه، وما انتقل بالتواتر من شخص لآخر تعرض للتشويه غير المتعمّد، فكان أغلبه مكسور الوزن، أو قد يكون التكسير حصل نتيجة خطأ أثناء التدوين. مهما يكن يبقى أن كل شعر العباوي، هو من نوع الزجل المتحرر من قواعد الوزن والتحريك»[2].

أحيانًا كان الشاعر قاسم العبّاوي، يجيز لنفسه في شعر الندبة، الخلط ما بين العامية والفصحى، وهذا يدلّ على براعة في السكب الشعري، مثال على ذلك، ندبيته عام (١٩٧١م)، يوم اغتيال عبد اللّه عادل عسيران، عندما تجمّعَ رجال البلدة في صيدا للتعزية، وساروا في الشارع العام باتجاه دارة البيك، وهو يردد أمامهم:

(١) من مقدمة «مقتطفات من شعر السيد قاسم العبّاوي»، بقلم محمد أحمد ترحيني، عبّا (٧/ ٧/ ٢٠٠٢م).
(٢) مقابلة مع علي داوود ترحيني، مرجع سابق.

يــا أمّــة الـعــدل انـزلــي قـولــي فـلا حــولا ولا
صابَــك عنــد شـيعة علــي متــل الحسيــن بكـربــلا

اهتم العبّاويون بالندبة، ويقال إن محمود علي حسين، كان زجالًا من الطراز الأول وكان منذ صغره يردد وينظم الزجل وله مداخلات كثيرة مع زملائه في المنطقة وخاصة حمود سبيتي من كفرصير. وإنه قبل وفاته عام (١٩٤٨م) نظم ندبة، هي مزيج ما بين الفصحى والعامية، أودعها محمد هاشم كي ينشدها أمام المشيعين، يقول فيها:

حــيـف مـحـمـود الـمـعـانـي بـالـتـراب تـصـيـر فـانـي
حــيـف يـازهــرة شـبـابـو تذبــل قبــل الأوان
حــيـف يـا مـحـمـود صابـك صــرت غـائـب عــن أحبابك
قــوم شـاهــد لـشـبـابـك يـنـدبـوك والـظـهـر حـانـي

وبرع محمود في هذا اللون من الشعر، ونظم منه في العديد من المناسبات، وأجاد القول:

يــا فـجـعـتـيـن بـيــن الـمـلا والــحــزن عــم الـخـافـقـيـن
فــي مـتــل وقـعــة كـربـلا الـيـوم انقتـل فيهـا الحسـيـن
والـحــزن مـا عـاد ينجلا ابـكـو بـدمـع الـنـاظـريـن
يــا خـلـق كـل مـنـو عـلا وجــه الـبـسـيـطـة مـرتـمـي

وفي ذكرى أسبوع الشهيد الشيخ راغب حرب حضر وفد من عبّا يتقدمهم العلاّمة السيد محمد علي إبراهيم[١]. وانشد حينها أبو حسين حريري واحمد محمود علي حسين ندبة، تكريمًا وتفخيمًا للشيخ الشهيد:

غبة [غـبـت] يـا بـدر المعالي صــرلـنـا عـالـعـتـم جمعة

(١) صورة رقم (٣٣).

وسبع تيام [أيام] بليالي ما نشف للعين دمعة

وفي ذكرى الأربيعين:

من عامل وأرض الجنوب بلسان واحد قائلين
تايفهمو كل الشعوب كل يوم عنا الأربعين[١]

كما في الأتراح كذلك في الأعراس فقد شاع لون الرويد – فرح وكان محمود علي حسين في طليعة المنشدين كما في عرس رضا مرتضى حيث قال:

حسنا المصوني شرفِّت بتشريفا أضوا القضا
في بنت سادات الورى يهنيك يا سيّد رضا

وعرس علي موسى خليل ياسين، على وحيدة أحمد الصايغ مظلوم من بلدة خرطوم. ففي هذا العرس، اعترض الزنطوع (من آل جابر) موكب العروس طالبًا (خوة) فتصداه عبد المنعم محمد علي، أمّا محمود علي حسين، فأنشد رويد – الفرح:

من أرض خرطوم النبي جبنا وحيدة بعزها
بالحِسن زادت مرتبي وفازت على بلقيسها

وكان للنسوة نصيب من إنشاد الشعر، أحيانا بدافع الغريزة والغيرة. ففي ليلة العرس اجتمعت نساء على موسى في داره وأخذت الرشيدة منهن (لكنّا) لتقرع عليه، منشدة وخلفها النسوة يرددن:

هالديك يا بو الشاشية زوجي تجوز عليي
دشر منهل وزليخة وتبع الجمولية

بعض الأحيان كان المنشدون يبالغون في المديح والافتخار، لدرجة انزعاج

(١) صورة رقم (٣٤).

الشخص المقصود بالمديح. ففي عرس محمد خليل ترحيني (أبو فايز عرس)، رفض محمد حسن ترحيني والد (أم فايز) إلا أن تزفّ ابنته على وقع صوت الطبل والسنجق. فطلب والد أبو فايز من أحمد حسين محمود نظم بيت من الشعر بالمناسبة، فقال:

شدّو الهوادج على النياق وهيئو المطايا للرحيل
في بنت سلطان العراق يهنيك يا محمد خليل

فما كان من محمد حسن، إلا أن اعترض على عبارة (سلطان العراق) قائلًا له جرصتني، أنا سلطان؟! رد عليه أحمد حسين محمود «أنت هيك بدّك».

من الفرح إلى الهجاء، فقد كان للعبّاويين نصيب منه، وهم عبّروا فيه عن مشاعرهم وأحاسيسهم ومظلوميتهم ببراعة، من غير تكلّف، فظهر الحديث عن اليوم الآخر والحساب في أحسن صوره. ومناسبة الهجاء، إنه ذات يوم قامت بقرات حسن إبراهيم حريري، بالرعي في قطعة أرض عائدة لحسن خليل أبو دلا، الأمر الذي أثار غضبه فقام بالتهجم عليه وضربه ورماه أرضًا التسبب بأذى له، فما كان منه إلا أن نظم فيه هذا القصيد من الهجاء، قال فيه:

يا خليل خليت عضمي يا خليل تعديت عليي لا ذنوب ولا خطا
لا تقول حسن للمتلك ذليل كل ذنب وذنب بدن يسألوك
لا تدّعي انو الديانة بالشرف لا تقلش بالبرطيل بدن يهملوك

ويروى أن الشيخ داوود حريري، استضاف ذات يوم (منجد فرش)، فأسر إليه مستغربًا قلّة وجود الأصحاب والأحباب في الدار صاحبة الكرامة والعز على غير العادة، فأجابه الشيخ بقصيد - مفاخرة، فيه بعض العتب على قلّة وفاء وغدر البعض من الناس، وفي ذات الوقت إظهار للإباء وعزة النفس وكبرها واستعدادها للتضحية، قال فيه:

كان لي رفاق في حياتي بيحلفو باللسان وبالقلوب بيحرفوا

إلهم بواطن سود كجناح الغراب وإلهم ظواهر مثل القطن اللي بتندفوا
لغير اللّه ما لقيت عندي خضوع مثل ما بالحرب ما وليت رجوع
غيرنا لبسوا الدروع على النفوس نحنـا لبسـنا نفوسـنا فـوق الـدروع

ونقل العبّاويون مطارحاتهم الشعرية إلى العاصمة، وأبدعوا في التعبير عمّا يكنون من محبة وتعلّق بالأرض، مسقط رأس الآباء والأجداد، مهما تزاحمت عليهم المغريات. إحدى هذه المطارحات، جاءت جوابًا على سؤال لكادح عبّاوي هو أبو محمد بهيج حريري، قصد بيروت ذات يوم لإجراء عملية جراحية، وبعد العملية سأله الطبيب أيهما أفضل القرية أم المدينة؟ وجاء جوابه، وكان شاعرًا بالفطرة، بأن ارتجل القرادي- المجزوم، قائلًا:

مَحْـلَا العصفـورة بالعـش
والنعجـة لمّـا بتفـوت
ألـف كلمـة دوري هـشّ
أحسـن مـن جنـة بيـروت[1]

وذات مرّة كان أبو محمد بهيج حريري يبيع الحلوى على عربة متجولة في بيروت. مرّت سيدة جميلة لتشريَ النمّورة، فطارت نحلة من بين الحلويات فخافت السيدة وتراجعت، فما كان منه، إلا أن ارتجل القرادي- المجزوم، قائلًا:

بـبـيـعـك واشـتـري مـنّـي بـضـاعـة بِـرسـم الـجـمـهـورْ
النحلـة مـا بتعقـص نحلـي النحلـة بيعقصهـا الدبـور

من طرائف الشعر، ما قيل، في محسن ترحيني، يوم كان مديرًا لمتوسطة كفرمان الرسمية، ثم جرت تشكيلات إدارية في وزارة التربية الوطنية، فحلّ مكانه أحمد

(١) يقول علي داوود ترحيني إن هذا المقطع الشعري، هو في الواقع للشاعر زين شعيب، كان أبو محمد بهيج حريري، كان قد حفظه عن ظهر قلب. مقابلة مع علي داوود ترحيني، مرجع سابق.

دويك، الذي بادر ساخرًا منه، بالقول:

يا محسنًا إن هذا العهد قد فرطا

وذا الدويكي عليك فصه ضر**

يـا راحـلًا جـاوز العليـاء جلجلة

مالـي أراه مـن العلياء قـد هبطا[1]

ما يميز الشعر العبّاوي في هذه المرحلة، أن الشعراء كان لديهم حقل معجمي يتناولون منه في كل القصائد بعض المصطلحات، التي تحاكي عناصر متعددة من الطبيعة، كالديك، الغراب، النياق، العصفور، العش، النعجة، القطن، الوعر، السدة، المطايا، الخيالة، الفرسان، الهودج، دوري هش. من جهة ثانية، فقد عانى هذا الشعر من بعض التكسير في الأوزان، لا سيما أن مراعاة الوزن هي من الأساسيات في البناء الشعري. ومردّ ذلك أن أغلب الشعراء كانوا لا يدوّنون أشعارهم، وكان الحفظة ممن يهون سماعه يتناقلونه مشافهة، ما يطرح احتمال الوقوع في التشويه غير المتعمّد. رغم ذلك بقي شعر هذه المرحلة، بقدر ما حفظته الألسن ووصل إلينا نقلًا عن: داود حريري، محمود علي حسين، قاسم العباوي، محمد حسن حسين، حسين بوعلي، حسين علي يونس، خليل علي محمود، أحمد محمود (بوعلي)، عبد الحسين حريري، حسين محمود، يحرك المشاعر، ويهيّج الوجدان، وهوعنصر مهم في إستقامة الشعر، حيث الشعور هو العمود في إنشاء القصيدة.

مع الشعراء، علي حسن محمود يونس، علي داود ترحيني (أبو غسان)، فهد حريري، وحسن محمد يونس، وهؤلاء هم من الجيل الثاني، تميّز الشعر العبّاوي بالغزارة والتنوع، مردّ ذلك يعود، إلى أن هؤلاء صقلوا موهبتهم، بالقراءة لكبار الشعراء، وحضروا ندوات. ومعهم بدأ الشعر في عبّا، يتناول موضوعات وأشكالًا ولغة واغراضًا متعددة، وتوزّع بين (فصيح وعامي) و (قصصي - حر- عمودي-

(١) مدونة جبل عامل، الأستاذ محسن ترحيني والشاعر زاهد بدر الدين، (٢٢) تشرين أول (٢٠١٧م) الموقع الإلكتروني، jabalamelah.blogspot.com

منثور- مرسل - رباعيات) و(غزل- وصف- مدح- رثاء- هجاء- حكمة- اعتذار- فخر).

إن ما وصلنا من آثار شعرية، من بدايات هذه المرحلة، يظهر براعة الشاعر علي داوود ترحيني في إيراد معاني عديدة من القيم الإنسانية في بضع أبيات من (زجل - رثاء) قيلت في ذكرى تأبين خليل أحمد يونس يوم وفاته عام (١٩٦٧م)، نذكر منها:

ياسيد خليل كتير بكّرت الرحيل وصارت دموع العين ع فراقك تسيل

ووين يا عبّا الّ فجّر للميْ عين بأرض مقطوعة الرّجا والمستحيل

والميْ حلّل بعدما تعبو اليدين وع حسابو للبشر فاتح سبيل

ومن قصر عمرو بها لدّني عالحالتين تاريخ فعل الخير بالدنيا طويل

كذلك يوم نظم في الشعر الملتزم بالقضايا المطلبية، لا سيما للفئات العمّالية. عندما تعرض بعض المعلمين للصرف من الوظيفة، وأرادوا التعبير عن اعتراضهم في عمل مسرحي، وكان آنذاك من أفضل وسائل التعبير عن الحقوق، يومها كتب على داوود ترحيني، للمعلمين نصًّا مسرحيًّا - غنائيًّا، هذا بعض منه:

سألني ابني وسأل عن قصتنا المدفونة

تلاتمية ليرة ما بيكفو عيال طلبت زيادة صرفوني

وكتب أيضًا في الشعر الغنائي- الوطني، كما في أغنية (ياوطني ياوطن النور) وفيها يصوّر الشاعر قلوبًا تنبض بحب الوطن، وشعب رجال، لهم مواقف وقت الشدائد، وجنود بواسل في ميادين المعارك، يقدمون التضحيات، وهذا مطلعها:

يا وطني يا وطن النور ونجوم بتسطع

بهمة أبطالك منصور وسيوف بتلمع

يا مئاوم سيفك معتاد يكتب تاريخك

أحزانك صارت أعياد بنار صواريخك

يا وطني يا وطن النور ونجوم بتسطع

بهمة أبطالك منصور وسيوف بتلمع

هذه القصيد بما تحمل من معاني الفداء والبطولة، وبما تعبّر عن شعب اختار العمل المقاوم لتحرير أرضه، اختيرت لتكون أنشودة حماسية تلهب المشاعر، وهي تُبثّ عبر أثير إذاعة النور وفي المناسبات.

وابتكر علي داوود قاعدة شعرية، تعتمد نمطًا جديدًا غير معهود من قبل فكتب أبياتًا، من عجزين وصدر واحد، وأخرى من صدرين وعجز واحد، كما في النموذج التالي:

يــا أعــلــى جــبــال يــا لبنان الــحــريــة وأغــلــى الأوطــان

اختصر الشاعر على داوود، مسيره الشعري الذي ناهز النصف قرن، بديوان «رحلة عمر» جمع فيه كل تجارب الحياة بحلوها ومرها وأورد فيها العديد من محطات حياته بقالب شعري جميل، فيه مواضيع متنوعة، ترضي كافة الأذواق الفكرية والأدبية. يبقى القول إن رحلة عمر ليست النهاية في حياة الشاعر، بقدر ما هي محطة يستريح فيها لينطلق من جديد، كغيره من شعراء عبّا الذين فطروا على الشعر، من ثم صقلوا الموهبة بالعلم والتمرس على المع شعراء لبنان(١).

ومن الشعراء الأعلام في عبّا علي حسن يونس. بداية المسيرة الشعرية عنده كانت في الستينات من القرن الماضي، منشدًا للدلعونة ومشاركًا باستمرار في حلقات الدبكة التي كانت تقام في ساحة البلدة. وعندما انتقل للعيش في بيروت واظب على سماع الزجل لكبار الشعراء، وكان ذلك مؤشرًا على ولعه الفطري

(١) يروي (أبو غسان) أنه ذات مرة سأل زين شعيب علي داوود، من هو الأفضل بالشعر أنت أم ولدي علي؟ وكان حاضرًا زغلول الدامور، ردّ عليه علي داوود: هيدا سؤال بينسأل يا خال! لمّا أنا طالع لخالي وابنك طالع لخالو مين بيكون أفضل؟. مقابلة مع علي داوود ترحيني، مرجع سابق.

بالشعر. أولى قصائده كانت عام (١٩٦٧م) عندما اعتلى المنبر وألقى قصيدة رثى فيها توفيق علي حسين أحمد بحضور سماحة الإمام موسى الصدر، وتكررت يوم وفاة خليل أحمد يونس، ومدح عام (١٩٦٧م)، مع الشاعر أحمد شعيب، بمناسبة البدء في بناء النادي الحسيني. هي مرحلة، زخّم فيها نشاطه عندما أسس عام (١٩٧٠م) في بيروت جوقة الاتحاد مع الشعراء علي السيد، جوزيف عون، حنا غنطوس، خليل الغصيني، أحمد ضاهر، علي بروّ، علي فروخ، وأحمد شعيب. كذلك عضوا في المجلس الثقافي للبنان الجنوبي، ومشاركًا في ندواته الشعرية، كما في قلعة الشقيف وجباع الحلاوة. كان من رواد المنبر الحسيني، ففي عاشوراء من كل عام، كان يلبي دعوة جمعية أسرة التآخي في حي النبعة، التابعة للسيد العلامة محمد حسين فضل اللّه، ويلقي قصائد من وحي المناسبة

تأثّر بزين شعيب، محمد مصطفى، فيما بعد خليل شحرور، أسعد سعيد، وبنسبة قليلة، قاسم العبّاوي. حصيلة نتاجه الشعري في تلك المرحلة، فُقدَ بالكامل عام (١٩٧٥م) عندما دمّر منزله في حي النبعة. ظروف الحرب دفعته للسفر إلى الإمارات، وكان يشارك منشدًا في بعض الأعراس والمناسبات التي يدعوه إليها الأصدقاء، منها قصيدة رثاء لمحمد الدرا، نشرت في مجلة الاتحاد باسم مستعار (ابن الجنوب)، قال:

يبن درا يا درا في عرينك ... افتخر بموتك وعلى جبينك
يا مستشهد لجلّ أشرف قضية ... فيها بيفتخر ديني ودينك
متل أهلك أنت غالي عليّ ... بدمات الذكية جبلت طينك
إذا سنين العمر قلّو شويّ ... بفردوس العلا يتكمل سنينك

في المهجر انقطع كليًّا عن المشاركة في الأنشطة الشعرية في عبّا، باستثناء قصيدة رثا فيها والدته عام (١٩٨٢م)، قال:

يمي اللي كنتي حاملي همي ... كنتي وبعدك مصدر الهمّة
كنتي تقولي كل متجولي ... اللّه يرضى عليك يا أمي

وكنتـي عـكل البيـت مسـؤولي مـن القاعـدة يلـي تحـت للقمـة
بكيـت ليـش بكيـت لتقولـي بكيـت مـا ببكـي مـن الأحـزان
ببكـي معدلـي أم يـا أمـي

وقصيدة أخرى عام (٢٠١٥م) رثى فيها هشام محمود ترحيني، قال:

ظهّر الشاعر يونس في قصائده حبه للأرض (عبّا)، لذا، تجد في أغلبها محاكاة للأرض، كما في رثاء حسن علي مصطفى ترحيني، قال:

يـا أمّنـا يـا أرض كبـرو مصابنـا كل مـا بإيـدك تضربـي عـا بابنـا
مظبـوط نحنـا ولادك بـلا مجادلـة ونحنـا لغيـرك مـا حنينـا رقابنـا
مظبوط أنو قيمة ترابك غلي عنا وعـنـد أحـفـادنـا وشـيّابـنـا
بس مش مظبوظ في ها المرحلة كل سـاعة تلعبـي بأعصابنـا

وفي أخرى قال:

أشكرت الأرض أمي وحملت جميلها درب الحقيقـة نورتلـي فتيلهـا
وبلشـت فكّـر فـي كلامـا عـارواق وكحلـت عينيـي بصفـاوت نيلهـا

تناول الشاعر في بعض قصائده مواضيع في الوطنيات لا سيما حب قريته، ففي مسابقة نظمتها مجلة الكروان عام (١٩٦٩م) موضوعها وصف جمال طبيعة لبنان، اشترك فيها عدد من الشعراء، منح جائزة، عن قصيدة نشرت لاحقًا في المجلة قال فيها:

قبـل السـفينة ونـوح والطوفـان وقبـل العصـا والبحـر وشـراعو
اللّـه أفتكـر يخلـق الجنـة وكان لبنـان قصـدو وكل أطماعـو
ويتكبـرو عـن هيـك يـا إخـوان مأكـدي مـا فـي دنـي تسـاعو
جيبـو مريض يكـون صرلـو زمان مـدوخ أطبـا وللعلـم جاعـو

يصيــف تــلات تشــهر فــي لبنــان مهما المرض مزمن بجسمو كان

بيشــفى وبينســى كل أوجاعو

وبمناسبة حفل العشاء القروي الذي أقيم في الساحة العامة (٢٠١٧م)، قال:

عــبّــا بــقــلــبـي حــبـهــا تــربـى حــبــة وحــبــة كــنــت أتــنــبــا

برمــت الدنــي وباســمها غنيــت ومــا فــي ولا مدينــة كنــت حبــا

ويامــا بنيــت بيــوت واســتنيت شــي بيــت شــوفو بمطلبــي لبــى

لا فرحـــت ببيوتـــي ولا تهنـــت ومــن مــا ســقلتي كنــت اتئبــى

باختصار، الشاعر علي يونس، رائد بين شعراء جيله، وتجربته الشعرية المميزة ارتقت بالكلمة العامية وسمت بها كمًا بفضل ما تملك من زخم شعري، واستطاع، وأن يسمو بشعره إلى حيث لا يخجل به الشعر في أي مكان أو زمان.

وبين هذه المحطات الشعرية كان البارز ما قيل من رثاء بالعلاّمة السيد محمد علي آل إبراهيم، نظمه شقيقه العلاّمة السيد الشاعر محمد مهدي إبراهيم، قال فيه:

حزنا بفقدك عين الشعر تكتحل

هيهات بعدك معنى فيه يكتمل

أخي محمد آي الموت معجزة

يتلو الأواخر منها ما تلا الأول

لما رحلت كما من قبلنا رحلوا

لم أدرِ من بعد ما قالوا وما فعلوا

لا ما علمت وكنا سادة علموا

لكن جهلت لأنا معشر جهلوا

وتميز حين مزج ما بين الرثاء و علم حساب الأحرف وهو علم يستخدم الشعر للتأريخ لحدث ما. فيما يلي شعر قصيد – رثاء – فصحى، أُرِّخ بكلمة (محمد) وهي آخر كلمة من عجز البيت الأخير من القصيدة لتاريخ الوفاة وهو عام (١٩٨٥م)، وقال فيه:

فيك يا قبر صفوة الناس أضحى فيك من كان في العبادة أوجدْ
فيك يثرى من آل طه عظيم زاده العلم في المحافل سؤددْ
إن فقدنا المصباح بين ذويه وتوارى من الكوكب فرقدْ
قلت أرّخ للدين أنّا فقدنا حجة العصر والزمان محمد

من شعراء الفطرة بإمتياز، فهد حريري حريري، هو اكتسب الشعر من جده داوود ووالده حريري ووالدته عليا حسن حريري. صقل موهبتة بالقراءة لكبار الشعراء، فتأثر بهم، أمثال زين شعيب، وأحمد السيد، ومحمد مصطفى، وموسى زغيب، وأسعد سعيد، وخليل روكز. يصف الشاعر حريري وهو المعروف (بشاعر الوادي) الشعر بأنه البحر الذي لا ينضب، هو العين الي ترى، هو المشاعر الجياشة الفكر الذي يكتب، هو الانسجام والتعمّق في عناصر الطبيعة، هو الانتماء إلى كل هذه الأشياء. بمعنى أن الشاعر يستطيع أن يكتب ألف قصيد، إذا ما تمعّن في جانح طائر، أو كتلة تراب، أو غصن شجرة، أو سيل ماء. هنا يكمن سرّ الأشياء، بين أن يجري الماء في ساقية، أو نهر، أو ينحدر من شلال، أو ينزل من سماء. سرٌّ لا يبوح به إلا شاعر يعرف كيف يصيغ علاقة ما بين السماء والأرض. كتب الـ(الحريري في الشعر– العامي الغنائي، الوطني، والوجدانيات، السياسي، الحماسي، والغزل الوجداني، العتابا، الميجانا) ننتقي منها:

غنائي – وطنيات

يا تاريخ العم تندهلي عدراج جبينك مكتوب
حاضر ابني وماضي أهلي وقصة أرض وشعب جنوب

وجداني – قصيد

بـي علـى العـكاز ضـل سـنين ووقـت اللـي راح تلفـت عليـي
وعكازتـو بقيـت معـي وتخميـن بـيـي مـشـي وهـلّـق أنـا بيي

قصيد – سياسي بعنوان: من بلادنا مريم

لمـا بأيـدي نحتـت بالإزميـل عحجـار طوعهـا شـغل فنـي
مـا عرفـت كيـف الرسـم صـار يميـل ولمّـا وهبتـو اللـون لوّنـي
قلـي عـن الأوطـان بالتفصيـل عيـب الشـرق ميعيـش متهنـي
مـن بلادنـا التـورات والإنجيـل مـن بلادنـا مريـم حسـب ظنـي
مـن غصونـا موسـى العصـا بيشـيل مـن صوتنـا حمـل الجـرس رني
مـن بلادنـا أحفـاد إسـماعيل وأهـل الفـدا والنصـر والحنـي
مـن بلادنـا الآيـات والترتيـل وعمـر ابتـدا مـن النـار للجنـة
يـا ابـن الفـرات النهـر يـا ابـن النيـل يـا هـا الصحـاري التايهـة تأنـي
منوقـف سـوا بالحمـل فينـا نشـيل مـش هـم شـيعي كنـت ام سـني
الهم نهزم شرّ إسرائيل ولو تم هالواقع ياها الأوطان بصير أكتر ما بتتمني

حماسي – قصيد (مخاطبة للإمام المهدي)

تـذكـر وقـت مـا صـوبـنـا طـل الدخيل
ودنـس تـراب الأرض والبيـت اقتحـم
كيـف جيـت مـا بعـرف ومـا هـي مسـتحيل
كيـف وصلـت والجيـش بالجيـش التحـم
كيـف التقـاك الخيـل وسـمعت الصهيـل
وفلـت اللجـام وصـارت الصيحـة حمـم

دارت رحاهـــا والقتيـــل علـــى القتيـــل
ويــوقــع صــنــم قــدامــنــا ويــهــرب صنم
تــم الــنــصــر والــفــيــل مــهــزوم وذلــيـل
ومطـــرح مـــا طيفـــك لاح لوحنـــا العلـــم

غزل- وجداني

عالـدرب فـي نبعة لها ماضـي عتيق — عاطـول كنـا نزورهـا ونبـل ريـق
هونيك عالمفرق حجر قلبو رقيق — ومجوت حبيبي مأكدي لما يفيق
وعا الشوق لما الكون بعيوني يضيق — بزور الحجر وبصير تاطفي الحريق
بقعـــد وبحفـــر لحبيبـــي كلمتيـــن — بلكي مرق وارتاح مشوار الطريق

مطالعاته لناصيف اليازجي، أكسبته تجارب شعرية مميزة برع بها اليازجي، فكتب الشعر (المعكوس) بمعنى أنك إذا قرأت القصيدة من اليمن إلى اليسار تخرج بمعنى معاكس، فيما لو قرأته من اليسار إلى اليمن، من القصائد التي نظمتها الـحريري:

سلمو فما ذلت لهم قدم
قدم لهم ذلت فما سلمو

في الخلاصة، راكم الـحريري خلال مسيرته الشعرية التي قاربت على الـ٤٠ سنة، ما يقارب ٢٠٠ قصيدة، يعمل على إصدارهم في ديوان لئلا تضيع.

حسن يونس:

أولى محاولاته الشعرية بدأها برديات من الموشحات والقرادي، وكان لا يتجاوز السنوات التسع من عمره. حفلت مسيرته الشعرية بسلسلة من المشاركات أبرزها في العام ٢٠٠٥ في محلة برج الراجنة إلى جانب أربعة شعراء بمناسبة عيد الغدير والعديد من الأمسيات في عبّا.

عام (٢٠١١م) أمسيات شعرية في بيروت، وفي بلدة أنصار أمسيات برعاية من منتدى الأرز الثقافي واستمرت لغاية العام (٢٠١٥م) في العام (٢٠١٨م) كان له مشاركات في أمسيات جاوزت (١٨) أمسية في بلدة مجدل سلم من تنظيم ندوة العلية، بإشراف مصباح الأمين.

حلّ ضيفًا على مدى أربع سنوات على أثير إذاعة الزهراء بمناسبة عاشوراء من كل سنة كما شارك في عدة مباريات في كل من تبنين والدوير.

من جملة نشاطاته الحالية مواصلة كتابة ملحمة شعرية عن كربلاء، كان بدأها منذ سنوات، وهو بصدد إصدار ديوان شعري كامل قصائده عن آل البيت.

بالرغم من تأثره بزجليات وعذوبة صوت زين شعيب وزغلول الدامور، فقد بدا مشدودًا نحو موضوعات الرثاء والمدح في أهل البيت وكربلاء، وبألق اللحظة العاطفية عنده، بحيث بدت قصائده للقارىء تشكيلات صورية حسية مرئية، فجسِّد المعاني الشعريَّة والمواقف الوجدانيَّة في تشكيل محسوس بهدف تحقيق الانسجام والتآلف.

القصيدة اللوحة: في شعر حسن محمد يونس تكشف عن التزامه بواحدٍ من أهم المبادىء الإِسلامية، ألا وهو مودّة ذوي القربى أهل بيت النبي، كما في قصيدته:

شعري ع أهل البيت بالمبدا ربي
أخترت الأئمة وهيك غاية مطلبي
ومشيت ع درب المدائح بالحياة
قـدّم ل أهل البيت أدنـى واجبي
درب الأئمة درب عالي المكرمات
درب الطهارة لب قداسة مطيّبي
اللّـه حكـي عنهـا بنـص البينـات
وبيّـن فضائـل هـا السـلالة الطيبـي

وفي قصيدة فخر أخرى بآل البيت يقول:

أنتـوا علـى آيـات اللّـه المُنزلـي

أنتـوا الكتاب الناطـق بنص الخبر

أنتـوا الطهـارة لب قذاسـة مكللي

أنتوا النعمة لي الشرع فيها انغمر

أنتوا الشريعة وحكمة الرب العلي

أنتـوا العبـادة لـب ولايـة بتنجبـر

أنتوا الحجج أنتوا الديانة الكاملي

أنتوا العلم أنتوا الوجود بمختص

من شعراء عبّا الحديثين: حسين محمد حسن ترحيني، تجربته في ميدان الشعر حديثة العهد، لا تتجاوز السنوات السبع. لذلك هو لا يرى نفسه شاعرًا، إنما لديه محاولات شعرية، أغلبها بالفصحى ونسبة قليلة جدًّا بالعامية، وهو أقرب إلى ناظم الشعر، منه إلى الشاعر. حبه للشعر والاهتمام به، شكّلا أولى انطلاقته، داوم منذ كان صغيرًا على مقاعد الدراسة، على سماع وحفظ أبيات، قاربت حتى الآن ألف بيت. داوم على حضور ندوات شعرية عديدة وكان مستمعًا جيدًا، أوجدت لديه حاسة التمييز بين البيت الصحيح والمكسور. ثقّف نفسه بقراءات نقدية لتجارب شعرية متنوعة في العالم العربي، مكّنته من صقل قدراته الفكرية بمناهج نقدية للشعر الحديث والمعاصر.

بداية جعل من وسائل التواصل الاجتماعي، منبرًا له، فتنوعت أغراضه، بين التأملات الوجدانية، والشعر الفلسفي، والرثاء، والوطنيات، والغزل، وموضوعات الساعة والمناسبات الدينية. عندما كتب في التأملات، استند إلى نص قرآني» ﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ [ق: ٢٢] وإلى حديث منسوب للإمام علي (الناس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا)، يقول:

ما نحن في هذه الدنيا سوى صور — ومـا الحيـاة سـوى بيـت بـلا عمد
من فـرط مـا بلغـت أطماعنـا فيها — أصـاب أعيننـا شـيء مـن الرمـد
حتـى إذا نحـن متنـا بـانَ عالمنـا — مزيفًـا، وتجلـى العالـم الأبـدي

كذلك، عندما عدَّ أن الفرج، هو خطة غيبية جاهزة، لكنها تنتظر منّا تفتّح المدارك والعقول، في هذه يقول:

جفـت ميـاه الـروح، انهكهـا، وأعياهـا الذبول
جمعت جميع جرارها، وقفت، لتستقي الهطول
واللّـه، خبـأ غيثـه بالغيـم، أشـفق بالنـزول
فنزولـه وقـف علـى، توسـيع أوعيـة العقـول

كان بارعًا في إسقاطاته لبعض المصطلحات السياسية وتوظيفها في الشعر الفكاهي الغزلي، يقول:

من أوهم الناس أن الفتك لـ(النووي)؟؟ وحولنا (الغيد)، جيش داهم الخطر
سل مجلس الأمن عن (إشعاع) فتنتها وكيف تفنى جيوش الأرض بالنظر

عند المقارنة بين الكتابة بالفصيح أو العامي، يُعَدّ أن الكتابة بالعامية لديها هامش أكبر يتيح اختيار المفردات والأوزان، كما أن أسلوب المدّ بالزجل يسدّ الفراغ بالوزن، من دون أن يلفت الانتباه، لذا الكتابة بالفصحى أصعب ومقيّدة، ولا ضير من المزاوجة بين اللغتين. بالرغم من تأييده، مواكبة الشعر الحديث لمتطلبات العصر، إلا أنه يدعو إلى الالتزام بشعر التفعيلة، وليس شعر النثر المتفلّت من أية قيود. لأن بعض ما يكتب الآن متحرر من كل قواعد الشعر، هذه الخاصية للشعر الفصيح، تجلت لديه، فيما كتبه في شعر التخميس، يقول:

قـد أتـم اللّـه فيـه وعـده
سـخّر التاريـخ يحكـي مجده

فافرشـوا قلبـي مداسًـا عنـده

(لـو رسـول اللّـه يحيـا بعـده

قعــد اليــوم عليــه للعــزا)

الخاصية هنا في التخميس أن القصيدة لم تعد صدرًا وعجزًا، ورويًّا، وبحرًا، فالنظم كغيره من المواهب والفنون له تشكيلاته الفنية المتفرعة التي تنشأ من رحم القصيدة. ومن ذلك النمط الجديد القديم على الشعر القديم الجديد ما يعرف بشعر التخميس: وهو من خمس الشيء، أي جعله خماسي الأضلاع أو الأبعاد أو الأجزاء أو الأركان، وفي الشعر جعله خمسة اشطر، والمشهور منه هو إضافة الشاعر ثلاثة أشطر على الشطر الرابع والخامس لشاعر آخر، كما في البيت المشهور بين هلالين وهو للشريف الرضي.

واكب بالمباشر دفن الشهيد حيدر علي ترحيني، جثمانه محمولًا على الأكتف، المشهد حرك عنده سليقة الشعر، كتب من فوره يقول:

ويسير ركب النور يحمله إلى

أرض السـماء فيلتقـي بأخيـه

لله من شـوق، عجبت لحيدر

لـم ينتظـر عامًـا لكـي يأتيـه

وبشكل عام قرأ للكثير من الشعراء من العصرين القديم والمعاصر، من العصر القديم أكثر قراءاته كانت للمتنبي والمعري وامرئ القيس ومن الحديث والمعاصر لعدد كبير من الشعراء العرب من أبرزهم هؤلاء: جاسم صحيح من الأحساء - السعودية، تميم برغوتي من فلسطين، عبد الرزاق عبد الواحد من العراق، ومن لبنان نسج علاقات شعرية مع سعيد عقل وشوقي بزيع خليل عاصي، وفاروق شويخ، وحسن حجازي، وعلي طالب وأنور نجم. ومن عبّا، علي داوود ترحيني وخديجة قاووق.

ومن لم يكتب من العبّاويين الشعر، فقد برع في نظم أبيات منه. من هؤلاء شريف يوسف أسعد حسين (بو علي)، وعبد الحسين حريري وحسين محمود. حسين علي يونس وخليل علي محمود وأحمد محمود (بو علي) وأبو نزيه حريري وعلي خليل ترحيني أبو أشرف ومصطفى أحمد ترحيني (الإمام). وكان من عادة الناس حفظ الأشعار، حتى إن بعض الشعراء كانوا يقصدون هؤلاء الحفظة، لاسترجاع ما نسوه من أشعار نظموها، مثال على ذلك: عرف عن أبي نزيه حريري براعته في حفظ الأشعار، حتى إن زين شعيب كان من وقت لآخر يستعين به لهذه الغاية. أيضًا نجله عباس، رغم حداثة سنه تراه يرعى حفلات زجل مع أخيه الياس بالاشتراك مع علي ترحيني (أبو أشرف) كما تابعه أهالي البلدة في برنامج أوف الذي أذيع على قناة (otv). ويروى عنه انه في أحد الأيام اشترى كتيبًا من الزجل واستقل باصًا عائدًا من عمله، ولم يكد يصل البيبت حتى حفظ عن ظهر قلب معظم قصائده.

من الشعراء الحاليين: غسان علي داوود ترحيني، وعلي عبد الكريم قاووق، ورجاء بيطار وخديجة قاووق، ومحمد علي داوود ترحيني نختار من شعره مقتطفات، منها:

وجداني / البحر الكامل:

لغتي على وتر المدامع عازفة..
لغةُ اشتياقٍ للسنين السالفة..
والصمت نسمات الحنين معينه
والذكريات هنا كوقع.. الرادفة..
أمضي أحلّق في السماء وأرتجي..
نيل النجاة .. من الحياة التالفة..

وجداني / البحر الكامل

زارت زقـاقَ الحـي أيـامُ الخريف
و تبعثرت أوراقنـا عـند الرصيـف
ومضـى ربـيـع العمـر دون وصيـةٍ
ما عادت الأشجار يغريها الحفيف
فتعرّت الأغصان.. حين تساقطـت
صـفراء أوراق الفؤاد كمـا النزيـف

مديح – نبض ثوري / البحر الكامل:

هابوك حتى غـيّبـوك بـحقدهم..
والحق نحوك في مـداك يسافرُ..
ما غبتَ بل غابوا وفكرك شعلةٌ..
والبـدرَ مـا بين النجـــوم تسامـــرُ..
ســتظلُ في التاريـــخ بصمــة عزةٍ..
خسأ الذين تـقامروا و تـآمـروا..
ما حاصـروا فكر الإمـام بظلمهم..
فاليوم سـجّـان الإمـام مُحاصرُ..

عاشورائي / البحر الطويل:

فغـذاءُ روحـي دمعتـي وبكائـي
ما زالَ صوتُك يا حسينُ مدويًا
في مسمعي الهيمانِ والارجاءِ

أنا للإمامِ نذرتُ نبضي علّني
أحيـا فتنهـلُ مـن دمـاهُ دمائـي

في العموم رغم الأوضاع الصعبة، لا يزال مستقبل الشعر واعدًا، في السابق كانت الناس تواقة لسماع الشعر، أمّا اليوم فالوضع مختلف؛ لأن اهتمامات الناس، صارت في مكان آخر بعيدة عن الشعر. فالمشاركات الشعرية هي اليوم ضمن دائرة المثقفين فقط، وتجذبهم الشهرة لتلك البيئة اليوم غير مساعدة. أمّا على مستوى عبّا فإن جيل اليوم، القديم منه والحديث، الشعر لديه، فطري غير مستند لعلم. يساعد في ذلك وجود فرق بين الشعر والنظم، فالشعر شيء، والنظْم شيء آخر. فالشاعر الحقيقي يكتب على السليقة والصور البيانية دائمًا متوفرة عنده بالفطرة، أما الناظم فتجد عنده بعض التكلّف في إيجاد الصور البيانية واستعمال الخيال في خدمة الفكرة أو القصيدة، والمحافظة على الوزن، والقافية والإيقاع وفق نظام البحور الشعرية. بمعنى أن الشعر يكون عفو الخاطر، وأغلب الناس يحبونه لأنهم بطبيعتهم يحبون الجمال وما هو أفضل و ما هو ساحر، والشعر فيه شيء من هذا الجانب. بينما النظم ما هو إلا صناعة، وهذا المعادلة برأيه هي الميزان الحقيقي للشاعر.

وعليه، فالشعراء في العالم العربي أصبحوا قلّة؛ لأن اغلبهم نظّام شعر، كأغلب شعراء عبّا، منهم شعراء حقيقيون والبعض مدّعون، الزمن هو الكفيل في بقاء الأجدر. والمقارنة بين عبّا والجوار، فالأمر يستدعي الجرأة والقول، بأن عبّا ليست أفضل، ومرد ذلك إلى إهمال الشأن الثقافي، والنشاطات تكاد تكون معدومة، وإن وجدت فهي بجهد شخصي.

يطلق اسم أدباء المهجر، على النخبة من أهل الشام وخاصة اللبنانيين المثقفين الذين هاجروا في أواخر القرن التّاسع عشر ومطلع القرن العشرين إلى الأمريكيتين (الشمالية والجنوبية) واستقروا فيها وتركوا آثارًا أدبية. وكان وهبي السيد جواد ترحيني أحدهم، هاجر إلى الأرجنتين، بعدما عانى من بيئته في الأبعاد الاجتماعية، والسياسية، والثقافيّة والاقتصاديّة فكان لابدّ له أن يبحث عن بيئة جديدة يحسّ

فيها بالأمن والرّاحة، تخلّصًا من الفقر والاضطهاد والضّغط. في الأرجنتين دعى إلى الثّورة علي أوضاع الوطن المتخلّفة، والبحث عن الحقّ والصّدق، والخير، والحرّية والعدل، من خلال انتسابه لجمعية التعاضد الإسلامي، التي تأسست في الأرجنتين، فكان ناموس الجمعية (أمين سرّ) وكان من أهدافها، الدعوة إلى الإيمان الراسخ بكل ما يهذب النفس وينقي الضمير، من دون مصانعة ولا تدجيل، والغيرة على أبناء الوطن عامة وأبناء الطائفة خاصة، للنهوض بهم على مستوى الأدب، والشعر، والتمسك بالعروبة، وبالإنسانية.

وكان وهبي السيد جواد ترحيني بوصفه ممثلًا للجمعية، على تواصل دائم مع أدباء جبل عامل وداعم لمواقفهم في حمل لواء الثورة على سلطة الإقطاع السياسي. من مواقفه: شهادة حق في وطنية محمد علي الحوماني[١] ونفي كل عيب، أو رياء أو مصانعة أو تدجيل عنه، ودعوة أهل العراق وجبل عامل لتأييده، باعتباره يعمل على نشر الثقافة والتهذيب والوطنية والإنسانية، وصاحب عروبة، يغار على أبناء وطنه عامة وأبناء طائفته خاصة.... »[٢]. وفي السنغال لم يمنع المهجر البعض من

(١) هو: محمد علي الحوماني (أبو الرضا العلي محمد بن أمين، المعروف بالحوماني) شاعر ثورة وإصلاح هو الأديب والصحافي له مع رجالات السياسة والإقطاع، وصولات وجولات في جبل عامل، ولبنان، والوطن العربي، جهد في حمل القضايا ورعاية الشؤون. هو علم كبير تناهز مؤلفاته العشرين. أبصر النور عام (١٨٩٦م)، في حاروف - قضاء النبطية وعاش في كنف أبٍ جليل وأخ فقيه، فتتلمذ لهما. الشرارة الأولى في ثورة الحوماني انطلقت من الجبل العاملي، لتطال أولئك الذين وجد فيهم الشاعر أعداء لذلك الجبل، ولتطال سلطة الإقطاع السياسي المتحكمة برقاب العباد. ولعلّ الحوماني الصحافي والأديب والشاعر، كان في طليعة من ثاروا على ذلك الواقع الأليم، بل لعلّه كان من أجرأ الذين وقفوا في وجه الظلم والتسلط والقهر، والذين عرفوا مكمن العلة والداء. توفي في مسقط رأسه حاروف، سنة (١٩٦٤م)، تاركًا في الجبل العاملي وفي لبنان ودنيا العرب، بل في كل بقعة حلّت فيها نفسه الشاعرة، وروحه المتوثبة، دويًا ما زال يضج في ألأسماع والأرواح، ما زال يهز الكيان والوجدان». لمزيد من التفصيل، يراجع «محمد علي الحوماني شاعر ثورة وإصلاح» بحث من إعداد، د. مريم حمزة (استاذة في الجامعة اللبنانية).

(٢) مضمون الرسالة: بعد السلام عليكم والتحية سيدي بكل إجلال وإكبار واحترام جهادكم ومسعاكم تجاه المصلحة العامة وتجاه الإنسانية اتقدم اليكم وأرجوكم نشر هذه الكلمة على صفحات مجلتكم الزاهرة العرفان ولكم جزيل الشكر. ما شئنا أن نكتب شيئًا عن هذا قبل انتهاء المدّة التي يقيمها بيننا لنستطيع درس أخلاقه الدرس الذي لا يدع لنا شبهة فيما بعد في كون الرجل صالحًا أو غير صالح. درسنا هذا الرجل الذي حامت حوله الظنون والشكوك وكثرت فيه الأقوال مادحة وقادحة واحدث الأدب حوله خلال عشر =

أبناء الجاليات العربية، من الاطلاع على القضايا التي تهمّ الأمة، من بينهم ابن بلدة

= السنوات الأخيرة ضجة تركتنا نتساءل هل هذا الحوماني الذي نسمع به اليوم غير الحوماني الذي رأيناه بالأمس؟؟. ولمّا وردتنا الأنباء عن زيارته المرّة الثانية لهذه الديار لم نرد أيضًا بناء على ما سمعناه عنه من الدعاية ضدّه أن نستقبله بالحفاوة التي استقبلناه بها في زيارته الأولى خشية من ان يكون كما بلغنا عنه من أعداء الحقيقة كما أنا لم نرد أن نهمله بناء على ما رأيناه منه أيام زيارته لأول مرّة خشية أن نكون ظالمين للعلم والأدب اللذين نعيش لهما في هذه البلاد المضيافة. لقد كنّا معتدلين في استقباله ضيفًا كريمًا نزل أهلًا ووطئ سهلًا حتى كانت الحفلة الأولى التي أقيمت له في نادي جمعية الحلف العربي ثم الحفلات المتتالية التي كان يتصدرها في نادي جمعية التعاضد الإسلامي الموقّرة ثم المجالس العامة التي كانت تعقد حوله في منزله الذي أعدّ له وهو جناح خاص في بناية جمعيتنا الموقّرة التعاضد الإسلامي. ومرّ بنا وبه الشهران والثلاثة ونحن ندرس بإمعان نفسيته في أقواله وأعماله ثم نطبقها على شخصيتيه اللتين كنا ندرسهما في عروبته وفي أقوال أعدائه على صفحات بعض الصحف وفي مناشير خاصة؟ فماذا أنتج معنا هذا الدرس ثم ماذا ولّدت له في نفوسنا هذه الخبرة ؟! أنتج معنا صفات في شخص الأستاذ الحوماني لا تنفكّ عنه نجملها فيما يأتي: إيمان راسخ بكل ما يهذب النفس وينقي الضمير وجدان حرّ لا يشوبه رياء ولا مصانعة ولا تدجيل غيرة على أبناء وطنه عامة وأبناء طائفته خاصة، تمزج كلماته بدموعه كلما أفاض في القول على وطنه، رغبة حارة في إصلاح أبناء وطنه ممزوجة بلحمة ودمه. مقدرة تامة على بثّ الأخلاق السامية في نفوس مستمعيه، تأثير بالغ على النفوس المحدقة به، بلاغة في المنطق، روعة في الفكر، نضج في العقل، سموّ في الخطابة، علوّ في النفس، إباء، شمم، تعفف، تواضع، إخلاص، علم، أدب، شعر، عروبة، إنسانية. ولقد ولّدت له هذه الصفات في نفوسنا المحبة، والهيبة، والتقدير، الثقة، الإعجاب، الامتثال، العمل على كل ما يعزز منزلته في نفوسنا، والتفاني في سبيل إعزازه وتنمية آدابه والأخذ بتعاليمه وإرشاداته ونصائحه. إن خمسة أشهر مرّت على الأستاذ وهو بيننا لم نفارقه ليل نهار كانت مثالًا صالحًا للزمرة المشرقة بالعلم والأدب والأخلاق بين إخوان ربطتهم المحبة والإنسانية برباط وثيق الإيمان أحكم شدّ القلوب به أستاذنا المحبوب الشيخ محمد علي الحوماني الذي رفع رؤوسنا بين طوائف لم نزل نطأطئ هذه الرؤوس بينهم منذ فارقنا المرة الأولى حتى عاد إلينا فإذا بنا نحكّ السماء تيهًا وإعجابًا وحسب القارئ المكابر ما تنشره الصحف وما نشرته في هذه الديار عن سموّ الأستاذ في علمه وأدبه وأخلاقه. إن جمعية التعاضد الإسلامي التي مرّ عليها خمسة عشر عامًا وهي دائبة على عمل الخير لم تُضع من وقتها شيئًا في سبيل الإصلاح معه وقد وقفت أعمالها على الإنسانية. هذه الجمعية تشهد بين يدي اللّه يوم البعث وتشهد الآن بين الملأ في العراق وفي جبل عامل أن هذا الرجل الوحيد الذي وردنا إلى هذه الديار فنشر فينا الثقافة والتهذيب والوطنية والإنسانية مبرأة من كل عيب إنما هو الأستاذ صاحب العروبة. فالجمعية ترى أن التكريم الذي قامت به لهذا الرجل لا يساوي خطابًا واحدًا من عشرات الخطب التي تركها راسخة في نفوسنا والجمعية ستستمر على هذا التكريم وستعمل جهدها على نقل الأستاذ إلى عاصمة الأرختين إن أحب مع الفئة التي يريدها من أدباء الطائفة ليؤسسوا نهضة علمية ادبية بيننا وسوف يكون الأستاذ بعد اليوم محل الثقة للجميع والمستشار لها في كل ما تريد القيام به من عمل صالح تجاه الأمة. وهبي السيد جواد ترحيني: «الحوماني في الأرجنتين»، رسالة نشرت في مجلة العرفان، تاريخ (٦ تشرين الأول سنة ١٩٢٩م) الموافق في (١٤) رمضان المبارك ١٣٥٨هـ)، الصفحات ٨٥٧- ٨٥٨- ٨٥٩.

عبّا محمد قاووق. فكان واحدًا من قراء مجلة العرفان، ولديه اشتراك سنوي في إعدادها، وداعمًا لها غداة الإفراج عنها بمساعي من النائب رشيد بيضون وكامل مروة[١]. والمعروف أن العرفان، تُعنى بالقضايا الفكرية والتاريخية والأدبية، لا سيما ما يتعلّق بتراث جبل عامل. ساهم في تحريرها العديد من الطاقات العاملية مما دفع باتجاه نهضة أدبية وعلمية في جبل عامل. أبرز من كتب فيها: الشيخ سليمان ضاهر، الأديبة زهرة الحر، الشيخ أحمد رضا، محمد جابر آل صفا وغيرهم.

كان طبيعيًّا أن يكون من عبّا، في هذه الفترة أدباء أو مثقفون، أمثال وهبي السيد جواد ترحيني، وهو حامل راية التحرّر من القيود المتخلّفة. فكانت موضوعاته ومشاركاته صورة رافضة لهذا الواقع الحاكم. هو نـقل تطلعاته إلي تلك المهاجرة البعيدة، وهناك أخذ يكتب مقالات اجتماعيّة – سياسيّة، وينشرها في صحف مختلفة أدبيّة صدرت بلغته العربيّة.

تراجم لأعلام بلدة عبّا:

في اللغة، الوجاهة كلمة مشتقة من الوجه وتعني المقدمة، يقال وجه الإنسان أي مقدمته[٢]. واصطلاحًا تعني القيادة، كأن نقول: وجهاء القوم أي القادة، المؤثرون في مجتمعاتهم. لذلك كانت الوجاهة وما زالت مطلبًا اجتماعيًّا يسعى الجميع لنيلها، لكونها تمنح الفرد مميزات يصبح من خلالها ذا سلطة اجتماعية. منهم من يسعى أن يدركها بمنصب ما، ومنهم بعلاقات مع شخصيات في السلطة. وليس كل من ادّعى الوجاهة أصبح كذلك، لأن للوجيه صفات لازمة ينبغي أن يتصف بها بمعزل عن المال الذي يمتلكه. من أهمها أن يكون وجيهًا في بيته وبين أسرته وأقربائه. ألا يدعي لنفسه هذا المنصب قبل أن يقلده المجتمع إياه. أن يتعامل مع مجتمعه كفرد منهم يسهم في علاج كثير من قضاياهم. أن يتحلى بصفات الكمال ملتزمًا صادقًا على مسافة واحدة من الجميع.

(١) صفحة من مجلة العرفان، ورد فيها اسم محمد قاووق كمشترك في مجلة العرفان وثيقة رقم (٤٤). العرفان: الجزء السادس، الممتاز، المجلد ٣٨ رمضان ١٣٥٧[١٩٣٨]، ص٥١٠

(٢) الموقع الإلكتروني لقاموس المعاني، www.almaany.com

لم يتوفر لدينا وثائق تثبت تاريخ ميلاد ووفاة بعض الأعلام العبّاوية، ممن عاشوا في القرن التاسع عشر، لتعذّز الاطلاع على السجلات العثمانية - قيود عبّا. لذلك فإن ما سيرد من تواريخ، هي في الواقع تقديرات مبنية على الأحداث التاريخية التي شهدها القرن. في حين أن غالبية الأعلام، هم من المخضرمين، أي إنهم عاشوا بين أواخر القرن التاسع عشر والعشرين، وهؤلاء خضعوا لإحصاء العام (١٩٢١م) و (١٩٣٢م) ومن ثمّ سجّلوا في قيود ثبّتت تاريخ ميلادهم ووفاتهم. لذلك سنعتمد في الفئة الأولى على التقديرات، أمّا الفئة الثانية، سنعتمد تاريخ الميلاد، دون أي اعتبار آخر، كالمفاضلة بين شخص وآخر. وهذه الأسماء، مدرجة على الشكل التالي:

الفئة الأولى:

١- خليل أبو دلا: له ختم خاص ممهور إلى جانب اختام لوجهاء ومخاتير جبل عامل على وثيقة تعود للعام (١٨٥٨م) تؤيد ملكية وحكم آل منكر وآل أبو صعب وآل علي الصغير لإقليم الشومر، بناء لطلب تلك العائلات الثلاث، باعتبارها أملاكًا اغتصبها الجزار بوجه الغدر والجبر. كانت دارة خليل أبو دلّا واسعة، تقع عند مدخل القرية، جدّدها قبل ذهابه لأداء فريضة الحج عام (١٨٦٣م)، وهذا التاريخ مثبت من خلال بيت من الشعر عتبة الدار نقش على عتبة باب داره، من نظم الشيخ إبراهيم حريري.

٢- لم يرد عن شقيقيّ خليل (هارون وحسين) أي ترجمة لحياتهم، سوى أنهما كانا من الملاكين الكبار لأراض في البلدة، وأن هارون ذهب لزيارة أضرحة آل البيت ولم يعد.

٣- كذلك ورد بالتواتر أن الجدّ الأعلى لآل حسين أحمد، وعلي حسين، وقاووق، وعميص، وعثمان، وجفال، وكلوت، وحمود، وخليل ياسين، وغيرهم، كانو أيضًا ملاكين ومزارعين.

٤- الشيخ إبراهيم حريري: أصله من بلدة دير قانون النهر. أجاد الشعر وكان

على قسط وافر من العلم والكتابة والمعرفة. افتتح كتّابًا في بلدة عبّا بناء على طلب من خليل وهبي أبو دلّا الذي انتدبه لتعليم الأهالي القراءة والكتابة. تزوج من حسنة علي يونس معلم واتخذ من دارة حسن علي يونس معلم بيتًا له، وهو الآن ملك (لأحمد سعيد جفال).



٥- علي عثمان: هو والد عبد اللّه عثمان، ليس لدينا ترجمة وافية عن حياته سوى ما روي عنه أنه كان بقّالًا ومكاريًّا (بغّالًا) كأغلب آل عثمان، يتعاطى تجارة ونقل المحاصيل ما بين عبّا وصيدا وبيروت.

الفئة الثانية:



١- حسن خليل أبو دلا: ولد سنة (١٨٦٠م) وتوفي سنة (١٩٤٥م)، والدته سهجنان عبد اللّه سلامة (بحسب القيد العائلي) زوجاته: فاطمة حجيج، صالحة هارون، وشاة الريم هارون، أعمامه هارون وحسين. كان يعيّن المخاتير، أشرف على إحصاء عام (١٩٣٢م) كل عيد يولم لأهالي البلدة فيذبح عجلًا سعى مع العلامة السيد مهدي آل إبراهيم بتسمية نجله العلامة السيد محمد علي إبراهيم إمامًا للبلدة.

٢- داوود الشيخ إبراهيم حريري: (١٨٦٢ - ١٩٤٠م) كان شاعرًا وصاحب كتّاب، يعلّم القراءة والكتابة والحساب من تلامذته علي يونس أحمد هارون. كان وجيهًا من دعاة الصلح بين العائلات، ومعروفًا من آل الفضل في النبطية، له قصائد متناثرة لم تجمع بعد في ديوان. وكان على صلة



خاصة بالشيخ جعفر منصورمن بلدة حدّاثا صاحب كتّاب في البلدة. ولا يزال اسم الشيخ جعفر الكائن جانب دارة أبو حسين علي حسن حريري، متداولًا في عبّا.



٣- إبراهيم الشيخ إبراهيم حريري: ولد سنة (١٨٦٤م) وتوفي سنة (١٩٤٢م) ولد في اليوم الذي توفّي فيه والده الشيخ إبراهيم، لذا سميّ باسمه، والدته حِسنْ معلم. كان متنورًا ووجيهًا وفلاحًا، اعتنى بالزراعة الأشجار المثمرة والدوالي والنصب. عندما ضرب مرض الجدري البلدة سنة (١٩٤٢م) تطوع لخدمة المرضى، وكان يحضر مع الدكتور وديع الغفري لتلقيح الأهالي في غرفة أبو مصطفى محمد قاسم.



٤- محمود قاووق: ولد سنة (١٨٧٥م) وتوفّي سنة (١٩٧١م). كان جمالًا ومواظبًا مع علي حسين أحمد أوقات الفراغ عند موسى علي وزوجته سهجنان علي هارون.

٥- عبدو حسن علي يونس معلّم ولد سنة (١٨٧٨م) وتوفي سنة (١٩٧٢م) كان قارئ عزاء موقّر الكرامة والإباء، منزله كان في ساحة التنور انتقل بعدها خارج الضيعة منزله الحالي. جمع عددًا من الكتب وسفن الأدعية



والزيارات وأحاديث أهل البيت. علاقاته الاجتماعية تجاوزت البلدة فأقام روابط مع أقرانه من آل معلم في جباع وكفررمان وبر الياس في البقاع وكوثرية السياد. له قرابة نسب مع آل بنوت في سيناي والمروانية. كان مستودع أمانات وحجج ووثائق لكثير من ذويه وأقاربه وسكان البلدة.



٦- أحمد يونس محمد هارون: ولد سنة (١٨٨٠ - ١٩٧٢م)، حاد المزاج عرف بشخصية وبنية قوية. كان فلاحًا وملاّكا في بلدته إلا أن ظروف الحرب العالمية الكبرى دفعته للسفر كغيره إلى بونس آيريس. بانتهاء الحرب عاد واختار الزواج من بلدة أنصار، فتصدّى له إبراهيم فيّاض، أكبر ملّاكي البلدة ومدير ناحية النبطية حتى نهاية السلطنة العثمانية. ولمّا رفض إعطاءه الساعة الذهبية المعلقة في سترته الغي الزواج ليقصد بعد مدّة بلدة زبدين حيث تزوج من تفاحة أمين مقدّم. سكن دارة والده إلا أن تفاقم الخلافات العائلية بين زوجته وزوجة أخيه وهبي اضطرته للنزوح والسكن في زبدين لفترة طويلة تجاوزت الثلاثين عامًا، كانت سببًا في إطلاق لقب (الزبديني) عليه. ولمّا لم يبع أيًّا من أملاكه في عبّا وشبّ أولاده علي وشريف ويونس أصرّ على تزويجهم من بنات ابني شقيقته مشاللّه علي وخليل يونس أحمد هارون. وعندما أقعده المرض عاد إلى بلدته حيث توفّي عام (١٩٧٢م) ودفن في جبّانة بلدته عبّا.



٧- يوسف علي حسين: (١٨٨٠- ١٩٩٤م) في معركة النهضة والطلائع في عبّا عام (١٩٤٧م) كان يسعى للصلح، سعى في بناء الجامع والحسينية والمدرسة الرسمية وتكفل بمصاريف حفر البئر ووهب عقارات لبعض المحتاجين للبناء.



٨- سليمان علي ابرهيم حريري: ولد سنة (١٨٨٠م) كان مرافقًا لمدير ناحية النبطية إبراهيم فيّاض من قرية أنصار أيام السلطنة العثمانية، عمل فلاحًا في أراضي قلعة ميس. كان قوي البنية عُرف عنه شجاعته وإقدامه. نجله بهيج كان شاعرًا تميز بذكاء لامع أجادة قول الشعر والزجل.



٩- عبدو حسين أحمد: (١٨٨٠- ١٩٧١م) داره الكائن في الساحة العامة كان مقصدًا لكل طالب حاجة. سافر عام (١٩١٤م) مع أخويه علي وأمين إلى بوينس آيرس وعاد بعدها مع إعلان دولة لبنان الكبير سنة (١٩٢٠م). كان الساعد الأيمن لوالده وراعيًا لأخوته، والده حسين أحمد كان بادئ الأمر فلاحًا بسيطًا شأنه شأن الجميع. لأن كبار الملاّكين في عبّا كان جلّهم من آل خليل وهارون حسين وعلي حسين.



١٠- علي موسى خليل ياسين: (١٨٨٤ - ١٩٧٢م) أتقن قراءة مجالس العزاء والقرآن الكريم ورفع الآذان بمواقيته المحددة وإيقاظ الصائمين للسحور وقضاء ما فات بعض المتوفين من فرائض الصوم أو الصلاة لقاء أجر. قبل مجيء السيد محمد علي مهدي إبراهيم للبلدة عام (١٩٣٩م) كان يقصد كل يوم جمعة بلدة الدوير لأداء صلاة الجمعة خلف السيد مهدي حسن إبراهيم ممتطيًا دابته، ومرتديًا ثوبًا أبيضَ وتعلو رأسه مظلّة بيضاء اتّقاء من لهيب الشمس. إلى جانب ذلك امتهن قلع الصخور وكان له مقلع خاص به.



١١- إسماعيل علي حسين: (١٨٨٤-١٩٨١م) سار على خطا والده برعاية أوقاف البلدة خاصة المسجد، حيث بنى له مئذنة. وهب قسمًا من عقاراته للوقف في البلدة وفي عدشيت لطلاب الحوزات الدينية. جدد قبر والده بكدّه أصبح ملّاكًا كبيرًا.



١٢- محمدجوادخليل: (١٨٨٥-١٩٧٣م) اضطرته ظروف الحرب العالمية الأولى للسفر إلى بوينس آيرس وبعد عودته استقر في بلدة جبشيت نتيجة خلاف مستحكم مع شقيقه حسن خليل لم تعرف تفاصيله.



١٣ـ السيدعلي مصطفى هارون: (١٨٨٥ ـ ١٩٨٢م) كان فلاحًا وجمالًا وصاحب ثروة، وشملت تربيته مع أولاده، أيتام آل هارون أقاربه من عمومته محمد عبد الرسول ترحيني ومحمد علي قاووق.



١٤ـ محمد يوسف أسعد حسين: (١٨٨٨ـ ١٩٧٢م) عمل تاجر سواد (أسمدة عضوية) في مختلف مناطق جبل عامل. رغم جهله القراءة والكتابة، اتصف بالجرأة والمغامرة، معاناته جعلته رجلًا ذا همَّةٍ عالية. تبعثرت ثروته جراء نكبة فلسطين. عام (١٩٥٥م) أولم لسفير البرازيل بدعوة من صاحب مزرعة ذمول كلوفيس فرانسيس، فدهش السفير من الوليمة الفاخرة التي أعدها له. دعم حزب النضهة إبان صراعها مع منظمة الطلائع ما بين (١٩٤٥م) و (١٩٥٠م).



١٥ـ عبداللّه جواد خليل: ولد سنة (١٨٩٠م) وتوفي سنة (١٩٧٢م) كان فلاحًا نشيطًا، عُين مختارًا سنة (١٩٢٧م)، منزله كان مقصدًا للعلماء والوجهاء. كان متسامحًا مع الآخرين لم يتخلَّ عن العصبية العائلته لآل خليل رغم اختلافه بالرأي لاحقًا مع ابن عمه أحمد حسن خليل عندما عُين مختارًا خلفًا له.



١٦- موسى علي خليل: (١٨٩٠- ١٩٧٥م) فرض احترامه على أهل البلدة، بالنظر إلى ما كان يقدمه من خدمات اجتماعية. مثال على ذلك قيامه بإصلاح وصيانة عدّة الفلاحة. وكانت البلدة تقابله بالمثل بتخصيص يوم واحد لفلاحة وزراعة أراضيه ويوم آخر للحصاد ويوم للتذرية. عمل جمّالًا، وأخواه حسن وحسين يبيعان التبن مع أقرانهم من فلاحي البلدة إلى قرى جزّين وجوارها، وبرج البراجنة في بيروت.



١٧- صالح أحمد ياسين: (١٨٩٠- ١٩٧٥م) فلاح ومكاري في ذات الوقت عمل في تجارة محاصيل البلدة من زعتر وعيزقان وحبوب مع صيدا، والبيض مع فلسطين يعاونه ابنه أحمد. تميّز بصوت جهوري حيث كان يتولى الإعلام والإعلان عن مفقود أو وفاة أو مستجدات في البلدة والجوار من على سطح منزله وكان أعلى مرتفع في البلدة. كانت تربطه صلات قوية بالسيد محمد علي إبراهيم.



١٨- حسين محمد يونس معلّم: (١٨٩٢- ١٩٨٠م) اكتسب لقب (الشيخ عن والده محمد الذي كان فقيهًا بالعلوم الدينية من دون أن يلبس عمامة ومن المتنورين. كان يخاطب الناس بكلمة يا جار لدماثة خلقه .اهتم بلباسه وهندامه، دارته كانت في ساحة التنور ثم بنى آخرا له في حي بيدر زيدان. قوي البنية، عمل

بمقالع الصخور وحفر الآبار، أُخْرِجَ ذات مرّة أمام جمع من الناس في الساحة العامة فكسر عصا غليظة.



١٩- خليل يونس أحمد هارون: (١٨٩٨-١٩٦٧م) ملّاك كبير وفلّاح امتهن وشقيقه علي حفر الآبار. كان عونًا للمحتاجين، يمد يد العون لذوي القربى والجار خاصة قاصدي أداء فريضة الحج وزيارة العتبات المقدسة. كان أول المتبرعين لبناء جامع وحسينية البلدة بألف ليرة.



٢٠- محمد حسن حسين: (١٨٩٨- ١٩٨٣م) من وجهاء البلدة، ومن المتنورين بتعاليم الدين كان ينظم الشعر من زجل ورديات في مناسبة الأفراح والأتراح. منزله في دار السيد أحمد خليل وفي أواخر الأربعينيات من القرن الماضي بنى منزلًا في القلعة. اجتماعياته تجاوزت البلدة إلى الجوار من قرى ومدن، وكان له علاقة جيدة مع المرحوم العلّامة الشيخ حسن صادق في النبطية.



٢١- إبراهيم يونس محمد هارون: (١٩٠٠-١٩٧٣م) كان جمالًا ظهرت براعته أثناء عمل الرجيدة ونقل المحاصيل الزراعية من على البيدر. وكان يوم الاثنين من كل أسبوع يقصد سوق النبطية لينقل حاجات أهالي البلدة. كان مرحًا صاحب طرفة، في أوقات الرجيدة ينادونه أبو سعيد وفي الأيام العادية ينادونه إبراهيم. ثروته حصيلة جهد خاص لأن جدّه محمد هارون كان على

علاقة متوترة مع والده هارون وزوجته لذلك لم يُورث من ممتلكات آل هاورن الواسعة سوى الأراضي الوعرة غير الصالحة للزراعة واستطاع هو وأخواه أحمد ووهبي استصلاح معظمها.



٢٢- زين العابدين (زينو) حسين إبراهيم قاووق: (١٩٠٠- ١٩٨٠م) عرف بالتقوى والإيمان وكان يرفع الآذان في جامع آل عميس. امتهن الفلاحة وعمل مرابعًا في مزرعة دمول، إضافة إلى أملاك أخيه الحاج موسى صاحب (كتّاب) وكان يجمع موسم الحلبة ويبيعها للطبيب محمد صباح في النبطية لاستعمالها في تركيب الأدوية.



٢٣- حسن إبراهيم الشيخ إبراهيم حريري: (١٩٠٠- ١٩٧٥م) امتهن النجارة والسمكرية والحلاقة وإصلاح الأسنان، ولا تزال (الكَلْبَة) أَداة تخلع بها الأَسنان عند نجله علي.



٢٤- علي حسين قاووق ساره: (١٩٠٠- ١٩٦٥م) والد أبو تامر. فلاح يدير أراضيه في عبّا والدوير؛ لأن زوجته زكية من آل عاصي من الدوير.



٢٥- محمد مهدي أسعد حسين: (١٩٠٠- ١٩٦٥م) عاش هو وابن عمه مهدي عقيل في كنف السيد يوسف أسعد. فضاقت بهما الحياة فباعا فرسًا له ونزلا إلى بيروت للعمل، فكانوا ثلاثة: محمد مهدي أسعد، وعلي ومهدي عقيل من القبضايات في بيروت. وكان محمد مهدي شوفير رياض الصلح في الثلاثينات، لديه إجازة سواق باللغة الفرنسية أيام الانتداب الفرنسي، وهو والد الشاعر الزجلي قاسم العباوي.



٢٦- محمد موسى إبراهيم علي فحص: (١٩٠٢- ١٩م) أصل العائلة من قرية شمع وفدت إلى عبّا هربًا من بطش الجزار توزعت العائلة ما بين عبّا وجبشيت. والده موسى إبراهيم فحص تـزوج من خديجة محمد هارون، فانتقل إليه ما ورثته زوجته من أملاك.



٢٧- علي يونس أحمد هارون: (١٩٠٤- ٢٠٠٥م) انتخب عضوًا اختياريًّا سنة (١٩٦٣م). تميّز باجتماعياته المتعددة مع الوافدين للبلدة من مأموري الدولة وموظفي إدارة حصر التبغ والتنباك اللبنانية. كذلك أفراد الهيئة التعليمية. كان ينشد الشعر. ورث عن والده يونس غرفة واحدة ضاعفها حتى بلغ عدد غرف دارته الواسعة بأبوابها الخمسة حدود الثلاثين تركها لورثته من بعده.



٢٨- خليل قاووق أبو جميل: (١٩٠٥- ٢٠١١م) مكاري وفلاح عرف عنه اعتناؤه الشديد بثيرانه وماشيته. ففدانه فدان قوي ونشيط، وكان ريّس عمال البور.



٢٩- قاسم الحاج إبراهيم عميس: (١٩٠٥- ١٩٠٢م) امتهن عدّة كارات: حلاق، لحام ومكاري. كان يجيد القراءة والكتابة وشغوف بالاطلاع على قصص الأنبياء وتفسير القرآن الكريم. وكان من الملاكين الكبار في البلدة شأنه شأن عائلة آل عميس جميعًا كلهم ملاكون وأصحاب ثروات ولكنه يقال أنه باع الأرض ليشتري خرطوش للصيد. كان يطبب العيون من شوك الصبير.



٣٠- أحمديوسفأسعدحسين:(١٩٠٥-١٩٩٧م) كان مالكًا لدكان لبيع الأقمشة ويشارك سوق الاثنين في مدينة النبطية يداوم على إقامة زاوية للبيع أمام منزل بهيج بيك الفضل يرافقه شقيقه داوود. كذلك عمل في قلع الصخور ونحتها في حي القلعة في البلدة مساهمًا في بناء أغلب دورها.



٣١ـ حسين محمد إبراهيم هارون ١٩٠٥-٢٠١٢
رجل مكافح واجه الحياة بكل تحدياتها بثبات وعزيمة، لم يستسلم أمام الصعوبات، بل تعلم منها وواصل العمل وحقق هدفه. عاش طفولته وريعان شبابه مع واقع صعب لكنه بذل جهداً كبيراً لتحسين وضعه. عرف عنه حرصه على صلة الرحم وفعل الخير ومساعدة الآخرين وتعاطفه مع آلامهم ومشاكلهم. لمزيد من التفصيل حول معاناته في طفولته وشبابه يراجع الباب الثالث ـ الفصل الثاني، ص ٢٩١



٣٢ـ محمود يونس: (١٩٠٥ـ ١٩٨٣م) يُروى أن العائلة تنحدر من أصل تركي، وأن الجدّ الأكبر تزوج من قرية زوطر الشرقية، وللمذكور عمّ هو الآن من سكانها، وله عمّ آخر في قرية العباسية. كان مكاريًّا، منزله في الساحة العامة مفتوح، ولا يخلو من نزيل من أصحاب المهن والكارات كالمبيض والبيطري السمكري والإسكافي، كان مبادرًا في إيجاد فرص عمل واستثمار حيث أنشأ معاصر للزيتون هو وأولاده وأحفاده ساعدت في نمو البلدة.



٣٣ـ خليل موسى جفال: (١٩٠٥ـ١٩٨٢م) آل العباني في بلدتي السلطانية والبازورية ينتسبون إلى آل جفال في عبّا إنما لقبوا بـ(العباني) نسبة إلى البلدة. ينحدر من عائلة لها انتشار في لبنان والبلدان العربية وخاصة في فلسطين والعراق. امتلك عددًا من المواشي وأتقن جبارة كسور العظام أبًا عن جدّ.



٣٤- علي يوسف أسعد حسين: ولد سنة (١٩٠٧م) وتوفّي سنة (١٩٧٣م). كان فلاحًا و أعمالًا تجارية أحيانًا، ونقل البضائع ما بين جبل عامل وفلسطين لا سيّما تجارة المواشي والبيض وذلك حتى عام (١٩٤٨م) مع مجموعة من شبان البلدة.



٣٥- حسن محمود يونس: ولد سنة (١٩٠٨م) وتوفّي (١٩٩٥م). كان فلاحًا ومكاريًّا ويقال أن نسبهم مع آل صفي الدين من شمع. ولده محمد) أبو ياسين) كان قارئًا للقرآن ومجالس العزاء، ومعرّف فرائض الحج ومنظم زيارات الأماكن المقدسة في العراق وإيران، يولم في العاشر من محرّم من كل عام.



٣٦- علي دياب: (١٩٠٨ - ١٩٨٥م) مكاري وتاجر ما بين عبّا وفلسطين. وكان ناطورًا في الثلاثينات من القرن الماضي. أصل عائلة آل دياب من طورا.



٣٧- حسن داوود عميس: (١٩١٠- ١٩٨٠م) كان فلّاحًا ومكاريًّا، امتهن شدّ مكانس الذرة نبات من الفصيلة النجيلية يستعمل القش الذي ينتجه في صناعة المكانس. ذاع صيته في بلدات الجوار كان شاعرًا وزجالًا. والده داوود سافر إلى الأرجنتين، تربى هو وأخوه علي إلى جانب والدتهما خديجة عند جده لوالدته) طالب عميس). إلا أنه عُرف في البلدة باسم حسن (عبد المطّلب) نسبة إلى جده طالب من دون أي تفسير كيف ولماذا تحول الاسم من طالب إلى عبد المطّلب.



٣٨- توفيق علي حسين أحمد: (١٩١٠- ١٩٦٧م) أجاد المبارزة بالسيف والترس. كان فلاحًا يعمل مع والده في مزارع سيناي وذمول وقلعة ميس. أول من أرسل أولاده للتعلّم في المدرسة الرسمية في النبطية. وثّق علاقته بالزعيم أحمد بك الأسعد عندما تسلّم سنة (١٩٤٧م) وزارة الأشغال العامة مما سهّل عليه الطلب منه شق الطريق العام للبلدة وتعبيدها حتى بلدة جبشيت، وصيانة عيون وبرك المياه كذلك تحديد وتحرير عقارات البلدة وتعيين مختار جديدة وتثبيت رخص زراعة التبغ.



٣٩- محمود يوسف أسعد:)١٩١٠ - ١٩٧٧م) مكاري وفلاح كان يهتم بزراعة الصبير والعنب والتين وكان عنده قلعة (بستان) فيها جميع أنواع الفاكهة، تأنس إذا دخلتها أيام المواسم لجودة المنتوج الذي كان يصدره إلى سوق النبطية.



٤٠- إبراهيم عثمان: (١٩١٠-١٩٨٧م) كان مكاريًّا ونحّالًا وصاحب كارات في بيع وشراء الأراضي وإعداد الزوار لزيارة الأماكن المقدسة وأداء فريضة الحج مع معرف إقليم التفاح الحاج عبد النبي شريم.



٤١- محمود محسن قاووق: (١٩١٠- ١٩٧٥م) المنزل الذي يسكنه هو منزل أجداده من آل قاووق، وبنى منزلًا صيفيًّا في محلة الطبقات يقضي معظم أوقاته مع مواشيه فيه.



٤٢- رضا مرتضى أحمد خليل: (١٩١٢- ١٩٨٠م) كان فلّاحًا وملّاكًا، عمل لحّامًا حيث افتتح دكانًا متواضعًا في الساحة العامة قرب المسجد يذبح ما تيسّر له من أغنام وماعز مرتين أو أكثر طوال الأسبوع، واظب على مزاولة المهنة من بعده ولده مرتضى إلى أن أقفل نهائيًّا.



٤٣- عبد اللّه حسن خليل: ولد سنة (١٩١٥م) توفّي سنة (١٩٨٥م). فلاح ومكاري بنى منزله في كرم التوت، وكان لطيفًا في معشره وسلوكه في البلدة مع الأهل والجيران.



٤٤- محمد قاسم محمد خليل: (١٩١٥- ١٩٨٠م) كان فلاحًا نشيطًا ربّى عائلة عرفت بالجدّ والكدّ. ولأن دارته تقع في الشارع العام للبلدة وقريبة من الساحة العامة فقد أجّرت منها غرفة الباطون كصف للمدرسة الرسمية. وعندما ضرب مرض الجرب والجدري البلدة سنة (١٩٤٢م)، كان أهالي البلدة يصطفون أمام الغرفة لتلقي العلاج وجرعة التلقيح من الطبيب وديع الغفري.



٤٥ـ محمد حسن خليل: (أبو خليل) (١٩١٥ـ ١٩٨٥م) عمل فلاحًا ومكاريًّا وبقّالًا صاحب دكان في الساحة العامة لبيع البقالة، عاش في كنف أخته الحاجة آمنة عبد الرسول. سكن في دار العائلة وكـان طيب المعشر والسيرة الحسنة.



٤٦ـ علي جواد حسن عميس: (١٩٢٠ـ ١٩٧٥م) منزله في ساحة آل هارون فلاح. ويلقبون بآل التقي لأن جده كان يرفع الأذان في الجامع.

٤٧ـ أحمد حسن إبراهيم ـهارونـ وهبي ١٩٢٥-١٩٨٩ عرف عنه أخلاقه العالية وطيب معشره وعرف بين أهالي كفر صير بكرمه وتواضعه. تنقل في عدة مهن خلال حياته في العاصمة بيروت. عمل في فرن ثم بيع الكاز بواسطة طنبر يجره حصان ،كان في كل عمل مثالاً للإجتهاد. أسس أسرة كريمة وكان أباً عطوفاً. كان منزله مقصدا دائماً لأهالي البلدة فكانت له مكانة اجتماعية خاصة عند رجال الدين. توفي عام ١٩٨٩ عن عمر يناهز السبعين عاماً. (لم نعثر له على رسم شمسي)



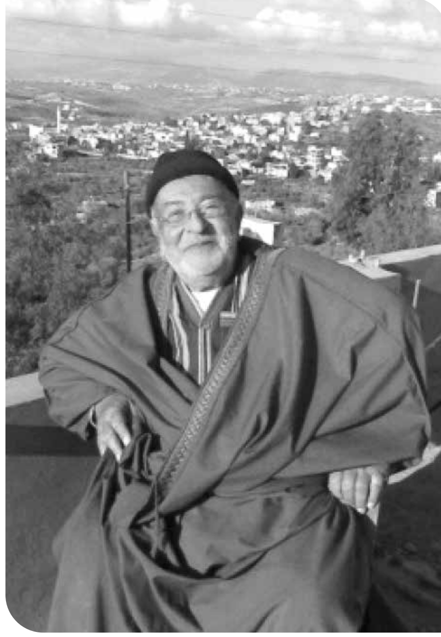
٤٨- حسن إبراهيم علي حسين محمد: الملقّب بـحمود ولد سنة (١٩٢٦م). كان فلّاحًا، ومن ثم عمل في مستودعات الفرنسيين في بيروت. بعد جلاء الجيش الفرنسي عن لبنان عاد إلى البلدة. وبإذن من الوكيل أحضر ما يلزمه من أغراض إلى ساحة النبطية واستغرق نقلها إلى البلدة ثلاثة أيام. بنى منزلًا على أرض صخرية (بلايط) في حي بيدر زيدان ومن ثم أسس حارة لآل حمود في الحي ولده العلاّمة السيد محمد حسن ترحيني.



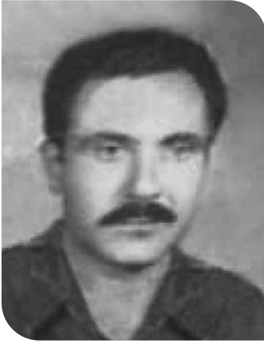
٤٩- حسين السيد أحمد علي حسين: (١٩٢٧-٢٠٠٠م) والده السيد أحمد علي حسين من وجهاء البلدة، كان مختارًا عام (١٩٢٠م).

٥٠- عبد الحسن عميص: (١٩٣٢ - ٢٠١١م) ولد من أبوين مزارعين عاش في كنفهما مع أختيه. امتاز ببشاشة وجهه وروحه العالية، نفسه العفيفة وضميره الحي. حكاياته مع البر والخير كثيرة تستحق أن تفرد في كتاب، أغلب سنوات حياته قضاها في مساعدة الفقراء والمحتاجين. كان ينفق أغلب راتبه التقاعدي وما استطاع تأمينه من أولاده على قاصديه من طالبي العون. دائم الحضور من خلال المشاركة في حل مشاكل البلدة وتسويتها سواء الشخصية منها أو الاجتماعية وإصلاح ذات البين. كان الوصي على تنفيذ عدد كبير من الوصايا الشرعية لثقة الناس به وسعة اطّلاعه الديني. منزله مفتوحًا على الدوام للسهرات الدينية والثقافية في

المناسبات المختلفة والتي كان يحييها شخصات أمثال آية اللّه فضل اللّه، الشيخ راغب حرب، والعلامة السيد محمد ترحيني.



٥١- أحمد محمود ترحيني: (١٩٣٨- ١٩٨٧م)



لقّب بالإمام، والسبب في ذلك يعود إلى تقواه كان سريع البديهة توفق على أقرانه بإجادة حفظ عدد من الأحكام الشرعية للمراجع العظام وكان السباق في الإجابة عن أي سؤال لذلك لقّب مجازًا بالإمام، وأجـاد الشعر الزجلي وغنى بعضهاعدد من شعراء بلدة الشرقية. النبطية.



٥٢ـ محمد علي قاووق: عاش يتيمًا، ونشأ وترعرع في منزل السيد علي مصطفى، بنى منزله في حيّ القلعة. فلّاح ومكاري وكان عند انتهاء مواسم الفلاحة في البلدة ينزل إلى بيروت ويعمل مع أهالي بلدته على المرفأ.



٥٣ـ حسن قاووق فلاح له صلة قرابة مع السيد أحمد عبد اللّه من الكوثرية والسيد حسين جواد.

٥٤ـ إبراهيم محمد جواد: قضى معظم حياته في بيروت يعمل مع أهالي بلدته في المرفأ ثم في سوق الخضرة. كان رئيس حزب الطلائع في عبّا. عاش وحيدًا عند أمه شاتو هارون بعد سفر والده إلى بوينس آيريس. وعندما تزوّجت والدته بالسيد حسن خليل ترك البلدة ونزل إلى بيروت. (لم نعثر له على رسم شمسي)

٥٥ـ أحمد حسن عبد اللّه سلامة: (١٩١٠ ـ ١٩٧٥م) كان فلاحًا ثم عامل في بيروت. تسلّم أمانة صندوق حزب النهضة، ومعاونًا لمسؤول الحزب في البلدة توفيق علي حسين (أبو شريف). (لم نعثر له على رسم شمسي)

٥٦ـ أحمد قاووق: أبو سعيد فلاح في قلعة ميس في أواخر السلطة العثمانية، وكان هو الوكيل والآمر والناهي في المصلحة. عنده مواشٍ وخيل

وجمال شارك السيد حسين السيد أحمد في الزراعة. (لم نعثر له على رسم شمسي)

٥٧- علي محمود ياسين: (١٨٩٠ - ١٩٥٣م) كان مكاريًّا وفلاحًا، صاحب طرفة، طيّب المعشر، جريئًا، جليس العلماء. ذات مرة سرق البدو الرُّحل حمارًا من دارة صالح أحمد ياسين فتوجّها معًا فجرًا إلى جسر القاسمية واستردّا الحمار بعد مواجهة مع البدو. (لم نعثر له على رسم شمسي)

٥٨- محمود علي حسين: (١٩٠٨ - ١٩٤٣م) كان شاعرًا زجّالًا له مداخلات شعرية خاصة الشاعر حمود سبيتي من كفرصير، بشهادة الشيخ علي الزين من قرية جبشيت الذي كان يزور دارة علي حسين برفقة والده العلاّمة الشيخ عبد الكريم الزين. (لم نعثر له على رسم شمسي)

وهؤلاء جميعًا[١] تبوءوا في عبّا والجوار، مكانة اجتماعية، ومنزلة عالية وسمعة حسنة وما يرتبط بها من هيبة واحترام. وكانت من أكثر أنماط التدرج الاجتماعي شيوعًا، باعتبارها لا تقيم وزنًا للمكانة الاقتصادية، ولا إلى العوامل المتصلة بالموروث وبالمولد والأسرة والسلالة، التي تصبح بعد حين ولسبب ما، لا تكتسب في نظر الناس أهمية. لقد كوّن هؤلاء مكانتهم، بوصفها مؤشّرًا يرمز إلى قدراتهم الذاتية الفردية والجهد الاجتماعي عقودًا طويلة، من الضروري رفدهم بدماء جديدة شابة تسهم في تطوير دور الوجهاء وتعزيز الوحدة الاجتماعية وخاصة وأن المجتمع العبّاوي اليوم مليء بالكفاءات والطاقات في مختلف المجالات، ويظهر ذلك من خلال الأنشطة الثقافية والاجتماعية والعلمية المختلفة والمبادرات التي يتبناها على مستوى لبنان والخارج وبالتحديد تلك المتعلقة بالانفتاح على بقية الفئات الاجتماعية .

(١) ملاحظة: معظم ما ورد عن تراجم لأعلام بلدة عبّا، هي من مرويات خليل توفيق ترحيني (أبو بشار).

بعض الاستنتاجات:

لم تكن العلاقة بين مستويات التراتب الاجتماعي وعناصر التنمية في عبّا، علاقة تجاذب وتنافر؛ لأن نتائج التنمية التي أوصلته إلى هذا التراتب، لم تكن متأتية، من مرافق اقتصادية مركزها عبّا، أي ناتجة من علاقة بين رب عمل وعامل عبّاويين. بل من العاصمة وبلاد الاغتراب. وهكذا وجدت في عبّا طبقة وسطى مترقّية، تضم ملاّكين في المرافق الاقتصادية الإنتاجية، معظم أصحابها يعملون في المهن الحرة، ومثقفين وأساتذة جامعيين في كبريات الجامعات الخاصة، ومديرين وكوادر في القطاع الخاص والعام. وفي العموم هذه الطبقة تعيش في مستوى اجتماعي، يُعَدّ فوق مستوى مداخيلها. وتتكل في ذلك على نحو متزايد، على تسليفات القطاع المصرفي الميسّرة أو على عائدات أبناء الأسرة المغتربين العاملين في الخارج.

يأتي في طليعة هذا الترتب رجال الدين، يليهم مجموعة من الكتاب والفنانين والإعلامين، وأصحاب مدارس وناشطين ثقافيين ومغامرين. وجميعهم نتاج مرحلة مبكّرة من تاريخ لبنان جبل عامل الحديث، شهدت تغيرات سياسية واجتماعية واقتصادية، كانت بدايتها موجة النزوح الريفي في الخمسينات إلى المدن باتجاه بيروت والضواحي، وتعاظمت مع بدء الحرب الأهلية والاجتياحات الإسرائيلية التي رفعت من وتيرة الهجرة إلى بلدان النفط، وأفريقيا، وأوروبا والقارة الأميركية، وأستراليا. وهكذا أسهمت عائدات النزوح والهجرة في تحسين الظروف الاجتماعية والمادية للعائلات الجنوبية (العباوية) وأتاحت للكثير منهم، تعليم أولادهم، في المدارس الرسمية والخاصة الريفية والمدينية.

وشكلت فئة الشعراء والأدباء، مجموعة مستقلة في سلّم هذا التراتب باعتبار نظم الشعر، حالة فطرية بالدرجة الأولى، يأتي العامل المادي، مساعدًا بعض الشيء. ورغم الأوضاع الصعبة، لا يزال مستقبل الشعر في عبّا واعدًا، إذا أعيد تفعيل النشاط الثقافي، لأن فيها مخزونًا شعريًّا حقيقيًّا.

وفئة الوجهاء في عبّا وما زالت تتمتع بمكانة اجتماعية، ومنزلة عالية وسمعة حسنة وهي من أكثر أنماط التدرج الاجتماعي شيوعًا، لكونها لا تقيم وزنًا للمكانة

الاقتصادية، ولا إلى العوامل المتصلة بالموروث وبالمولد والأسرة والسلالة. لقد كوّن هؤلاء مكانتهم، بوصفها مؤشرًا يرمز إلى قدراتهم الذاتية الفردية والجهد الاجتماعي عقودًا طويلة، من الضروري رفدهم بدماء جديدة شابة تساهم في تطوير دور الوجهاء وتعزيز الوحدة الاجتماعية، وخاصة أن المجتمع العبّاوي اليوم مليء بالكفاءات والطاقات في مختلف المجالات.

السمات الشخصية عند العائلات العبّاوية

قد يكون أظهر ما في بني البشر هو أنهم جِماع الأضداد في وقت واحد. تجد فيهم «الخير والشر والحب والكره والتسامح والانتقام إلى آخر المتناقضات في صراع دائم سيبقى إلى يوم الدين»[1]. على الرغم مما عرف عن العبّاوي من شدّة الانفعال، وفورة الأعصاب، فقد غلب على سادتهم وعقلائهم صفة الحلم، فكانوا يمثلون صوت العقل والحكمة، يبثون الأمن والطمأنينة فيمن بينهم وحولهم، فقد سعوا بين الناس بالسلم والودّ. وكان لا بد لهذه الأخلاق والآداب من حماة يحمونها، ويدافعون عنها ويتصدون لمن يخرج عنها، فظهر الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، وكانت لهم من الهيبة وقوة العزيمة ما يثير الخوف في النفوس.

من الصفات التي تحلّى بها الغالبية أهل البلدة، مدّ يد المساعدة (العونة) للغير «واحدة من تلك العادات، تجمّع قرابة (٣٠) رجلًا للمساعدة في الحصاد أو بناء بيت، على قاعدة الفاضي بيساعد المغلوب. تلك الصفات والعادات غالبًا ما كانت تمارس مع البلدات المجاورة». وحسن الضيافة، إذ نادرًا ما ترى دارًا خالية من ضيف أو صاحب حاجة أو موظف دولة. ذات يوم كان عبدو حسين أحمد خارجًا من المسجد، « فوجد مكاريان في الساحة، طلبا منه المبيت في البلدة. ولمّا كان بيته غرفة واحدة نزل بهما عند الحاج إبراهيم حريري، فاستقبلهما بالترحاب»[2].

ولأن العبّاويين فطروا على الإسلام، فقد التزموا بآدابه منها: الالتزام بحرمة البيوت فكانوا يستأذنون عند دخول بيوت الغير. أيضًا احترام كبير السن فلا ينادونه

---

(١) فايز ترحيني: دائرة الشوك حكاية الولد العاملي، مرجع سابق، ص١٠٣.

(٢) مدونة العرايس الموقع الإلكتروني.

باسمه، وإنما بكنيته ويبادرونه بالتحية، وفي مجالسهم يقوم القاعد للقادم، ويوجه له التحية لا سيّما إذا كان كبيرًا في السن أو وجيهًا وله منزلة.

بعض العائلات العبّاوية اختارت النأي بالنفس عن العمل بالشأن العام. ولم يكن عند أغلب رجالاتها ميل للوجاهة، فقد انصبّ جلّ اهتمامهم بأعمالهم اليومية وكسب الرزق والمال. وكان ابتعادهم عن ذلك، تطبيقا للمثل القائل: يلي بدو يعمل جمّال بدو يعلي باب دارو. أيضًا لم يكن لديهم ميل للمنازعات مع أحد.

بالاصطلاح الفقهي فرض الإسلام الخمس، بمعنى أنه أوجب دفع خمس ما زاد من مؤونة السنة والأموال الأخرى. فكان عبدو حسين أحمد ترحيني أيام البيدر والذراية، يحمل كيسًا يجمع فيه الخمس والزكاة من المحاصيل ويوزعها على السادة من عين التينة وحنوية. ومن أعمال البرّ وقف السيد إسماعيل)٦ (دونمات في بلدة عدشيت على طلبة العلم.

امتاز الاجتماع العبّاوي بأنه قائم على الجماعة الإنسانية التي تعيش في بيئة ريفية لها خصائصها من حيث نمط المعيشة ونظام الإنتاج. حيث الفرد فيه مرتبط بشكل كبير بالأرض، يستقرّ فيها ويبني حياته برغم الكدّ والتعب والصراع معها، كما على علاقات اجتماعية الأولوية فيها، للرباط العائلي أي رباط الدم والزواج الداخلي. ولمّا خرج عن قاعدة العمل بالأرض بنسبة كبيرة، وتحوّل إلى مجتمع أكثر حداثة، بقي على اعتزازه بها، لكونها تمثل الذاكرة الجمعية للآباء والأجداد ممن هم على قيد الحياة الآن. كما اتسم بالإعجاب بنفسه إلى حدّ الزهو، مجتمع عائلي متقارب يتّحد في الدم والنسب، وإلى حدّ ما في العادات والتقاليد والأعراف. وعليه فقد اكتسبت عائلاته من كل هذه الخصائص صفات عامة، وأفراده صفات خاصة امتدت تأثيراتها الواضحة من جيل لآخر. عندما مارس التعليم والوظيفة والأعمال التجارية وبعض الصناعات والمقاولات وحافظ على بعضها في عادات الزواج وطريقة اختيار العروس وعادات الضيافة وهذ يعود إلى تنامي الوعي الفكري الذي نتج عن التعليم وكان له أثر بارز.

الخاتمة

بعد أن صعدوا من أسفل السلّم الاجتماعي، ونالوا حظًّا وافرًا من التعليم، ومن الوظائف في إدارات الدولة، وانخرطوا في أدوار اجتماعيّة وسياسيّة وثقافيّة، وغادروا بنسبة كبيرة جدًّا أحزمة البؤس حول العاصمة التي انتقل العديد منهم إليها بحثًا عن عمل في مهن متواضعة، ما زال العبّاويون متمسكين، كما سائر الشعية في لبنان بوعيهم لهويتهم كطائفة وبحقّهم في مطالبة الدولة التي ينتمون إليها برفع الحرمان عنهم، وبالحصول على التنمية المتوازنة. كذلك، ما زالوا متمسكين بحقّهم في حماية أنفسهم من الاعتداءات الإسرائيلية -وكان آخرها صيف العام ٢٠٠٦- والتي استهدفت القضاء على حركة المقاومة. رِهانٌ أسقطه العبّاويون، عندما أكدوا على عمق علاقتهم بها، ومدى استمرار تأييدهم لها، والتحقوا بها، ودافعوا عنها وعن خياراتها المصيريّة، لا سيما في الحرب الأخيرة على الإرهاب. هذا الوعي كان الإمام موسى الصدر قد تلمّسه مبكرًا عند الشيعة عامةً، ودفع به في اتّجاهين، كان لهما لاحقًا التأثير المهمّ على واقع الشيعة كلّه، وعلى مستقبل التوازن الطوائفي في لبنان، حتى على مستقبل لبنان نفسه؛ إذ بات من الصعوبة بمكان اليوم أن نفهم ما يجري وسيجري في لبنان، من دون متابعة التحوّلات على مستوى الطائفة الشيعيّة.

تحولاتٌ، للواقع العددي نصيبٌ وافرٌ منها، وهو الأمر الذي منع ويمنع وسيمنع إجراء تعداد سكاني للبنانيين، وبالتالي تبقى عبّا من دون إحصاءات رسمية لعدد سكانها. وما هو متداول حاليًّا، وهو في حدود الـ٨٠٠٠ نسمة، ما هو إلا مجرد تقديرات مبنية على لوائح الشطب الانتخابية التي تعدّ سنويًّا من قبل وزارة الداخلية والبلديات - المديرية العامة للأحوال الشخصية. كذلك لا وجود لإحصاءات

بلدية تحدد عدد الأسر، وبالتالي تعذر تقدير متوسط عدد أفراد الأسرة. رغم ذلك، يمكن اعتبار البلدة من المجتمعات الفتية؛ فالأعمار فيها من ٦٥ وما فوق، هم نسبة ضئيلة، وهذا بسبب ارتفاع نسبة الولادات، والمستوى المقبول من الأوضاع الصحية العامة التي تحد من وفيات الأطفال.

الواقع التمثيلي، في المجلس البلدي، الذي أوجده التفاهم العام بين حركة أمل وحزب اللّه عشية الانتخابات الاختيارية والبلدية عام ٢٠١٠، لم ولن يرضي الحركيين في عبّا. وفي ذات الوقت، هم يرون أن ليس من مصلحتهم فرط هذا التفاهم؛ لأن أي انتخابات تحصل لاحقًا على قاعدة المنافسة، لن يكون للعبّاويين الحركيين نصيب وافر فيها. وفي ظل غياب المنافسة، وإحجام نسبة كبيرة من الناخبين عن الاقتراع، فإن نتائج انتخاباب العام ٢٠١٦، لا تعكس حقيقة التمثيل. يُستدلّ على ذلك من عدة أمور:

الأول: أن المناخ العام على مستوى الطائفة أصبح، في مرحلة ما بعد ٢٠٠٤ ولا سيما ما بعد عدوان تموز ٢٠٠٦ يميل لحزب اللّه . ومفاعليه في عبّا، ظهرت على مستوى التعاطف الشعبي معه، والحضور التعبوي والخدماتي الوازن، حيث إن التقديرات على أرض الواقع ما بعد ٢٠١٦ ترجّح بنسبة كبيرة تأييد ٦٠٪ من العبّاويين لحزب اللّه، بينما لحركة أمل ٢٠٪ وللمستقلين ٢٠٪.

الثاني: أن حركة أمل التي انطلقت حاملةً مشروعًا وطنيًّا، اجتماعيًّا، قوميًّا، إسلاميًّا، واضحًا في التزاماته، وكانت في طليعة القوى التي تصدت للمشروع الصهيوني، بالرغم من الضربات التي تعرضت لها من اليسار اللبناني وبعض الفصائل الفلسطينية، نجحت في إطلاق مدّ شعبي غير مسبوق في لبنان، انتشر سريعًا في عبّا، غير أنه على مستوى عبّا دخل في صفوفها أعداد كبيرة من العبّاويين دون أي جهد تثقيفي.

الثالث: أن مشاركة أمل في السلطة لأول مرّة عام ١٩٨٤، وتسلُّم كوادرها مفاصل أساسية في إدارات الدولة، مكّن الحركيين في عبّا وغيرها من البلدات والمدن من تثبيت وجودها، وساعدها على استقطاب نسبة عالية جدًّا من أبنائها.

غير أن نشوة السلطة جعلتها -ليس في عبّا فقط- تخسر من شعبيتها وتتراجع شيئًا فشيئًا وتفقد الكثير من خصائصها، خاصةً في أوساط المحرومين. فقد تسلل إلى بنيتها الكثير من الشوائب؛ كتهميش بعض الكوادر والعناصر، وفئات من غير قاعدتها الاجتماعية. وبذلك استطاع حزب اللّه استقطاب هؤلاء وضمهم إلى صفوفه، أو جعلهم مؤيدين له، في وقت كان فيه الحزب يروج لمقولة (السلوك العلماني للحركيين) على مستوى العادات والتقاليد الاجتماعية، لدرجةٍ أصبح فيها وجود عنصر من (أمل) يصلي في المسجد، محل تندُّر واستهجان. واقع الحال هذا أصاب القاعدة الشعبية في عبّا بالإحباط، فجاءت انتخابات العام ٢٠٠٤ البلدية والاختيارية، لتطلق صفارة الإنذار لبداية التراجع، بعدما جاءت الخسارة مدوية. جاء ذلك، نتيجة سلوك القيادات العبّاوية، التي تتحمل جزءًا من المسؤولية، كونها غير ممسكة بقرارها، ومن خلفها القيادة المركزية، وفي أحسن الأحوال عدم رؤيتهما للواقع. ففي المسائل الاقتصادية والاجتماعية، لم تؤدِّ (أمل) دورها في الدفاع عن المحرومين، وعندما كانت تبادر أو تشارك، كان ذلك لهدف وحيد، هو تحسين حصتها، من دون أن يكون لديها برنامج إصلاحي، لا بل بعض كوادرها شركاء في الهدر والفساد وتسييس الوظيفة العامة، من دون الأخذ بمعايير الكفاءة.

سلوك (أمل) في إدارتها للسلطة، انسحب على مؤسساتها الحركية، فتحولت إلى ميدان تصارع بين النخبة المستأثرة، التي تخلت عن حقيقة التنظيم وطبيعته وثقافته، والذي قام أصلًا على خدمة الناس. بنتيجة ذلك أصاب الترهلُ جسم أمل في البلدة، لا سيما بعد تجميد عمل مدرسة الكوادر. فلو كانت هذه المدرسة تقوم بعملها، كمؤسسة يعتمد عليها في البناء التنظيمي، ما كانت وصلت لهذه المرحلة. والحال هذه، هل من المستغرب انتقال جمهور أمل في عبّا وغيرها إلى قوًى أخرى.

في المحصلة، هذا الواقع، إذا لم يجابَه ببرنامج إصلاحي فسيجعل التنظيم في المرحلة اللاحقة غير قادر على التعبير عن الطموحات السياسية والوطنية والقومية، والاقتصادية والاجتماعية، والتنظيمية لقاعدته الجماهيرية. وبرأينا أن الخلاص مما هي فيه لا يتم إلا بإعلان حالة طوارئ حركية. رُب قائل يقول: إن للمال علاقةً.

فنقول: قبلًا لم يكن لدى أمل أموال وكان لديها جماهيرها. اليوم يوجد أموال، ولا يوجد جماهير. نتساءل مع الآخرين: حركة المحرومين إلى أين؟ حتمًا سيكون جوابنا فيه شيء من التفاؤل، لكنه تفاؤل مبني على العاطفة وليس على الواقع.

رغم وجود ما يناهز الثلاثين طبيبًا عبّاويًّا يقومون بالفحص الجسماني والسريري، ويقومون بالأبحاث المنوّعة بغية وضع تشخيصات فردية أو دراسات، ويصفون العلاجات الطبية أو الجراحية، ورغم وجود عدد مماثل ممن يعملون في مهنة التمريض، يبقى مستوصف الإمام الصدر وهو تابع للمجلس الإسلامي الأعلى، متوقفًا كليًّا عن العمل منذ سنوات. وبالتالي تفتقر البلدة إلى برامج الرعاية الصحية الأولية والتثقيف الصحي، والصحة الإنجابية. وعليه بالإمكان القول: لا العبّاويون الذين آثروا البقاء في البلدة نعموا طويلًا بخدمات المستوصف الصحية، ولا الذين نزحوا وأقاموا في ضواحي العاصمة وجدوا أفضل ممّا كان متوفرًا لهم في البلدة. فخلال سنوات الحرب الطويلة وحتى الوقت الراهن، وفي ظل تقلص قدرات المستشفيات الحكومية، اعتمد بعض العبّاويين غير المشمولين بأنظمة الضمان الصحي، على أسلوب خاص في الاستشفاء، تتعهد بموجبه وزارة الصحة المتعاقدة مع المستشفيات الخاصة، بتسديد نفقاتهم.

تنقل المدرسة الرسمية في عبّا، بالاعتماد على كوادر عبّاوية متخصصة في التعليم، بشكل نظامي، ثقافةَ المجتمع العامة إلى طلابها، وفي الوقت ذاته تنقل ثقافتها الخاصة التي تعطيها فرادتها، والتي تؤثر في التنشئة الاجتماعية للطالب بشكل مباشر وغير مباشر، وتوفر له الأدوات الفكرية التي يحتاجها، كالقراءة والكتابة والتفكير العقلاني. وهي تعتمد منهاجًا يتضمن أفكارًا وحقائق متنوعة، ينمّي مهاراتٍ ذهنيةً واجتماعيةً وجسديةً. غير أنه يعاني بشكل خاص من الطريقة التقليدية في تقديم اللغة العربية، ومن كثرة الدروس والمواد الملقاة على كاهل الطالب من دون تخصيص ساعات مطالعة له. ويضاف إليها أيضًا المناهج التربوية البالية والمأخوذة عن المنهاج الفرنسي الذي خضع بدوره لأكثر من ثلاثة تغييرات في موطنه الأصلي. وكذلك في اعتماد اللغة الأجنبية كلغة تعليم في وقت تستخدم

فيه العديد من المدارس الخاصة اللغة الثانية الأجنبية في التحادث مع الطلاب، ولا سيما في المراحل الأولى للتعليم؛ أي في مرحلتَي الروضات والابتدائي.

رغم وجود مَعلم أثري في البلدة يسمى العتبات وبعض الغرف المنحوتة في الصخر، يشير إلى فترة زمنية موغلة في القدم، يغيب عن البلدة أي نشاط فلكلوري، كأن يُقام سنويًّا معرض للمنتجات الزراعية والحرفية والصناعية. في حين تنشط من حين لآخر بعض الفعاليات الثقافية والرياضية والفنية، كما تغيب المطاعم وأماكن الترفيه. والجمعيات الأهلية في البلدة على قلتها، ليس لديها تقديمات صحية عيادية وحملات تلقيح ومشاريع تنموية؛ كالتثقيف الصحي وتمكين المرأة، وإقامة نشاطات شبابية وبرامج تنموية. وباستثناء كشافة الرسالة الإسلامية، وكشافة الإمام المهدي، تغيب عن البلدة الأندية والجمعيات الثقافية، ويغيب معها أي نشاط سنوي باستثناء العشاء القروي الذي نُظِّم مؤخرًا. وبالرغم من وجود ملعب رياضي لكرة القدم فإن نشاطه يكاد يكون موسميًّا، ولا تتوفر فيه الشروط العالمية.

حافظت المرافق العامة والخاصة في عبّا: (الساحة العامة - المسجد - الجامع والحسينية الجبانة - شبكة مياه الشفه والكهرباء) على دورها الوظيفي في تلبية الاحتياجات الإنسانية والدينية والاجتماعية والاقتصادية. ورغم التقنين الكبير المعتمد من قبل مؤسسة مياه لبنان الجنوبي في مدّ المنازل بمياه الشفه، تبادر البلدية إلى سدّ النقص بمولدات الكهرباء الخاصة بالآبار. واشتراك التاج - عبّا، بينما يختص بتغطية فترات التقنين التي تعتمدها مؤسسة كهرباء لبنان.

يستمر المجتمع العبّاوي محافظًا على هيكليتة وتراتب الطبقات الاجتماعية فيه. يأتي في طليعة هذا التراتب رجال الدين، يليهم مجموعة من الكتّاب والفنانين والإعلاميين، وأصحاب المدارس والناشطين الثقافيين والشعراء. وهؤلاء يمارسون فعلًا ثقافيًّا متبادلًا يسهم في رسم الملامح العامة والسمات الشخصية للعائلات العبّاوية كافة، من الضروري رفدهم بدماء جديدة شابة تسهم في تطوير دور النخبة وتعزيز الوحدة الاجتماعية، خاصةً وأن المجتمع العبّاوي اليوم مليء بالكفاءات والطاقات في مختلف المجالات.

تواكب عبّا تطور وسائل النقل والمواصلات، لكن هناك بعض الطرق المستحدثة أثناء الأحداث، لم تنفذ في الأصل بشكل جيد وحسب المواصفات الفنية المعتمدة، وهذه الطرق يجب إعادة النظر فيها. وبعضها بحاجة الى جدران دعم لتمنع الانهيارات وزحف الأتربة والحصى في فصل الشتاء، أيضًا بحاجة إلى أقنية لتصريف مياه الأمطار على الجانبين. علمًا أن صيانتها تتم بحدودها الدنيا نظرًا لسياسة التقشف، سواء في ميزانية المجلس البلدي أم في وزارة الأشغال. ويغيب عن البلدة النقل العام، ويقتصر الأمر على سيارات التاكسي التي تتجمع في الساحة العامة. أمّا في النبطية، فهناك موقف مخصص للبلدة أنشأته بلدية النبطية، وهي تؤمن النقل من وإلى البلدة ومختلف قرى القضاء، وعددها المتواجد في البلدة حوالي الـ٢٠، منها لا يحمل لوحات عمومية، وهي لا تتناوب على العمل على مدار الساعة. لذلك يستعاض عنها بالنقل الشخصي، ويشكل نسبة كبيرة جدًّا في البلدة، نظرًا لامتلاك معظم العائلات سيارة أو عدة سيارات خاصة.

تجاوزت عبّا الحدود والتضاريس الطبيعية، وغاب عنها طابع البساطة، وأصبحت كغيرها من البلدات تتمتع بخدمات واهتمامات على مستوى وسائل الاتصال مشابهةً للمدينة. ومن عاصر المجتمع (العبّاوي) من قبل، يدرك جيدًا كيف أوجد هذا التحوّل، الكثير من التشابه المفرط بين ما هو مجتمع ريفي وما هو مديني، أقله على مستوى العلاقات الاجتماعية. الأمر الذي أضعف من انبهار الريف بالمدينة، والعكس صحيح. كما أفقد المدينة بعض سماتها الأساسية الاقتصادية، وكذلك الريف، إنما بنسبة أكبر، حتى أصبح هذا التحوّل عنصر تفكيك وتخريب للحياة الريفية، صار بنتيجته الريف أقل ارتباطًا وظائفيًّا بالمدينة.

دخلت عبّا دائرة التنمية، وتمنية النفوذ السياسي عندما انتخبت فيها لأول مرّة في تاريخها مجلسًا بلديًّا، تنافَس عليه قطبا التمثيل في عبّا: حركة أمل وحزب اللّه، وتحول لاحقًا إلى مجلس متوافق عليه. أغلب مشاكل المجلس البلدي مردها إلى القوى السياسية، التي تنتقي أعضاء المجلس وتفرضهم على الرئيس من دون أن يكون له رأي بالاختيار. لم يستطع المجلس الحديث النشأة القيام بأعباء البنى

التحتية المتهالكة، وهي لا تكفي حاجة البلدة، الأعمال فيها تنفّذ غب الطلب، على عجل، بشكل غير مدروس من دون تخطيط مسبق، لا سيما أن إمكانيات المجلس ضعيفة، في حين أن متطلبات البلدة أكبر من طاقاته. يغيب عن أعمال المجلس البلدي البعد التنموي المستدام، وبالتالي هو لا يسهم في خلق فرص عمل تحد من النزوح. طموحات المجلس البلدي كبيرة، هدفه أن يصل بالبلدة إلى حالة نموذجية، إذا قُيِّدت له استمرارية إدارة فاعلة تستغل موارد البلدة البشرية بشكل صحيح في مجالات الرعاية الاجتماعية والصحية والثقافية. في الشأن التربوي، دعم المدرسة الرسمية ورفع شأن التعليم عبر إيجاد بناء مدرسي للمرحلة الثانوية، وإقامة دورات تخصصية للطلاب والمعلمين في إعطاء الدروس الخاصة. وحثّ الشباب على ترك وسائل اللّهو (إنترنت - نارجيلة) وإيجاد ديوانية ثقافية. ورفع المستوى البيئي عبر تحقيق شعار (عبّا خضرا). وفي موضوع النفايات، معالجة موضوع المكبّ وتحويله لاحقًا إلى حديقة عامة.

واكبت عبّا التطور العمراني الحاصل من حولها متجاوزةً الموقع الجغرافي للبلدة وتوزع دُور العائلات على الحارات والأحياء. كما تجاوزت الطراز المعماري والخصائص الأساسية لناحية تطور بنية المرافق والخدمات الخاصة، بحيث لم يعد لها تلك الوظيفة الاجتماعية والاقتصادية. وفيما يخصّ السكن، تشير التقديرات غير الرسمية إلى أن عدد المباني لا يتجاوز الـ١٢٠٠ وحدة سكنية، تتركز معظمها وسط البلدة وأطرافها كافةً باستثناء الجهة الغربية. وتتوزع بين مساكن أساسية وأخرى أصحابها من المقيمين في المدن ويعودون إليها في العطل والمناسبات. تشكل الأبنية المشيدة قبل العام ١٩٥٠ ما نسبته ٦٪ من مجموع المباني، وقد نشطت حركة البناء في السبعينات، وتراجعت قليلًا بسبب التضخم وتدني سعر صرف الليرة، إلا أن التراجع كان محدودًا بسبب أموال الاغتراب التي اكتسبت قيمة شرائية عالية، فتم توظيفها في قطاع البناء. تنتشر المساكن في عبّا خلافًا للمدن، فتجد المساكن المستقلة تشكل أكثر من ٨٠٪، وذلك بسبب الطابع الريفي للبلدة بالرغم من مظاهر الحداثة. ويملك ١٠٠٪ من الأسر مساكنهم وهي

نسبة عالية جدًّا، وهذا يعكس رغبة العبّاويين في التملك والاستقرار الأسري، فضلًا عن أن قدرة الشباب على استئجار منزل هي محدودة نظرًا لتدني الأجور وارتفاع الإيجارات. وتعيش هذه الأسر في وحدات فيها ست غرف أو أكثر. وفيما يخص التجهيزات، فإن جميع المساكن مجهزة بشبكة مياه الشفه، إضافةً إلى وجود خزانات تجميع، هي من الأولويات. أمّا شبكة الصرف الصحي، فلا تزال تعتمد أساسًا على الجور الصحية. لا تستفيد عبّا كغيرها من البلدات من مشروع الليطاني، ومن مياه نبع الطاسة، كما أن مشروع إقامة سدّ في منطقة كفردجال لاستغلال مياه النهر من أجل الري لا يزال مشروعًا معلقًا، وتسهم الآبار الأرتوازية في البلدة -والبالغ عددها ٤ آبار- في تأمين مياه الشفه.

إن ضعف الإمكانات البلدية، ولا سيما الجهاز الرقابي، أدى إلى إهمال متابعة التلوث الغذائي بالمبيدات، وزاد من المشاكل الناجمة عن التغيير في البيئة الطبيعية، بعدما غُيّب دور الحيوان والطير في الحفاظ على توازن البيئة الطبيعية. إن أفضل الحلول الملقاة على عاتق البلدية والجمعيات الأهلية هي تعزيز الوعي الذاتي بمخاطر التلوّث، في المدارس وإقامة الندوات، وإبعاد الصناعات الملوثة للبيئة بعيدًا عن أماكن وجود السكان، وكبح الأساليب الملوثة للهواء، والقيام بعمليات التشجير على نطاق واسع. وجميع هذه الحلول تحول دونها صعوبات في ضوء الواقع المالي الراهن للبلدية، وتفاقم الأوضاع الاجتماعية في البلدة نتيجة التقلص النسبي في مداخيل فئات واسعة من أبنائها. ومعها لن يصبح المجتمع العبّاوي الحديث في وضع يسمح له ببناء وعي ثقافي واجتماعي والتكيف مع الرؤية العالمية لمجتمع مستدام بيئيًّا وتنمويًّا.

بالرغم من ربط عبّا بشبكة طرق معبّدة مع محيطها من القرى، تبقى البلدة، مقفلةً على أهلها، باستثناء حالات عبور ضعيفة إلى هذه القرى. ويغلب على المؤسسات العاملة في عبّا الطابع الفردي، وتعمل في تجارة المفرّق؛ كمحال السمانة وبيع الألبسة والأدوات المنزلية وبيع مستلزمات البناء. لذا فالحركة التجارية فيها ضعيفة لدى محلات البقالة صغيرة الحجم، لأن روادها غالبًا ما يكونون من أقارب

أصحابها، أو نظرًا لقربها من منازلهم ولا يملكون وسائل نقل. أمّا في التعاونيات الاستهلاكية -وعددها ٣ وهي متوسطة الحجم- فالحركة التجارية لديها متوسطة، و٨٠٪ من روادها هم من أهالي البلدة، والباقي زبائن دائمون يقصدونها، بقصد التوفير. القدرة الشرائية للعبّاويين متوسطة؛ ٥٠٪ منهم من الموظفين في القطاعين العام والخاص، والـ٥٠٪ المتبقية هم أصحاب المهن الحرة. ٧٠٪ من المشتريات تتركّز على الحاجيات الضرورية، و٣٠٪ على الكماليات. تشتد حركة السوق خلال فصلي الربيع والصيف وبعض المناسبات الاجتماعية وتخفّ خلال الخريف والشتاء. تبقى التعاونيات الاستهلاكية خيارًا أفضل للعبّاويين نظرًا إلى رخص أسعارها وتنوع العلامات التجارية للمواد الاستهلاكية. لا وجود لفرص استثمارية سوى حركة بناء ضعيفة جدًّا، والمحقَّق منها لا يتعدى ١٥٪ من حركة السوق السابقة بسبب منافسة العمالة الأجنبية وغياب الإجراءات الرادعة المحفزة على استخدام العمالة الوطنية.

تنحسر مساحة الأراضي المزروعة في عبّا يومًا بعد يوم وتشكل الزراعات البعلية منها نسبةً ضئيلةً جدًّا ومثلها أشجار الحمضيات وأنواع الفواكه واللوزيات وشجيرات العنب، وجميعها للاستهلاك الشخصي، بينما النسبة الأكبر مزروعة بالزيتون. أمّا زراعة التبغ فبعدما كانت تستحوذ على نسبة كبيرة من الأراضي تفوق ٣٠٠ دونم، تلاشت اليوم لتقتصر على بضعة مزارعين لا تتخطى ٢٠ مزارعًا. حيث لم تعد زراعةً عائليةً يتشارك فيها جميع أفراد العائلة. فقد وجد الأبناء في الوظيفة والمهن الحرة وسيلةً أفضل للعيش. كذلك تربية المواشي والطيور الداجنة، لم تعد حاجةً ومصدر كسب، في ظل توفّر منتجاتها بكثرة في المحال التجارية. في المقابل تزدهر زراعة الشتول والأشجار، إلا أن العاملين فيها ليسوا من أبناء البلدة. حتى الزراعات المحمية، غير متوفرة، حتى مع إمكانية ممارستها من قبل أعداد كبيرة نسبيًّا من الموظفين المتقاعدين، ربما يعود سبب ذلك الى ارتفاع أسعار البذور والأسمدة وتدني أسعار البيع وعدم تصريف الإنتاج والغياب شبه الكلي للتعاونيات الزراعية، وإن وجدت، فإن أغلبها لا يلتزم بقوانين العمل التعاوني.

في المجال الصناعي التجهيزي، لا يعمل في هذا القطاع سوى قلّة من أبناء البلدة تتفاوت أعمارهم ما بين ٢٠-٦٠ عامًا يتوزعون على نجارة الخشب والألمينيوم والحدادة الإفرنجية والسيارات، وصناعة الرخام وأحجار البناء. ويشكل الناشطون في هذه القطاعات نسبةً متدنيةً، ويعود السبب الى ارتفاع نسبة من هم دون سن العمل ونزوح عشرات الشباب للعمل في قطاعات أخرى؛ سواء في المحيط المجاور للبلدة أم في بيروت أم في المهجر. وهؤلاء يعملون في قطاعات اقتصادية تتوزع بين الصناعة والتصدير وتشييد البناء وفي الخدمات العامة على اختلافها: تجارة، مصارف، تعليم، صحة. وتشارك المرأة العبّاوية الرجل في المهن الطبية والفكرية والتعليمية على اختلافها، في حين تغيب عمالة الأطفال، لكون هؤلاء ينتمون إلى أسر ذات مستوًى معيشيٍّ يتراوح بين المتوسط والجيد. وفي ظل غياب الإحصاءات تعتبر الهجرة من البلدة للبحث عن عمل مقبولةً نسبيًّا ويتوجه أغلبهم إلى إفريقيا والخليج، وتأتي أوروبا وأميركا بالمرتبة الأخيرة، وجميعهم إما مسافرون لأجل العمل أو الدراسة.

تستمر أزمة الملكية العقارية والزراعية غير الشرعية التي نشأت في ظل الأحداث عام ١٩٧٥ دون حلول. بعد انتهاء الحرب عام ١٩٩٢ سعت السلطة المركزية لإيجاد حلّ للتعديات على الملك المُشاع وتسوية أوضاع المخالفات التي أقيمت عليه، باعتبارها صارت أمرًا واقعًا. إلا أن شيئًا من هذا القبيل لم يحدث. وعاد الأهالي واسترجعوا ما قدموه من مستنداتهم ورسم مالي من دون أن يطرأ شيء إيجابي بهذا الخصوص. وما زالت لغاية الآن جميع المخالفات على الأرض المشاع دون تسوية، وبالتالي هي مخالفة للنص. في سياق آخر تبرز عوامل مساعدة على تفتيت الملكيات في عبّا تقلل من نصيب الفرد من التملك، أبرزها توزّع الملكيات جيلًا بعد جيل على عدد غير محدود من الأبناء.

بالرغم من تقلّص مساحة الهالة التي تحيط برجال الدين نتيجة السلوك المشين للبعض منهم، ما زال موقع إمام البلدة، وكذلك الجانب الديني، يشغل حيّزًا واسعًا من اهتمام العبّاويين على المستويين المعنوي والمادي. والمقصود بالجانب الديني

هو تأثير العقيدة الإسلامية على الفرد العبّاوي بإسهامها بشكل كبير في بناء ثقافته وانعكاس هذا التأثير على المجتمع ككل. فكلما زاد أثره أدى إلى طبع أبنائه بطابع التدين والتمسك بالأخلاق الفاضلة، وكلما قل ازداد انحلالًا أخلاقيًّا، وازدادت مشاكله الاجتماعية والسياسية والاقتصادية. يمارس العبّاويون اليوم درجاتٍ عليا من الفرائض والأركان الشعائرية من صلاة وصيام وزكاة وحج، كذلك بعض النوافل. في حين يمارسون درجات أدنى من العبودية بمفهوما الواسع، التي خلق اللّه لها الإنسان، وجعلها غايته في الحياة ومهمته في الأرض: كالصدق، والأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإحسان للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل. ومردّ ذلك، يعود إلى وجود خلل، ليس بالمفاهيم والمبادئ، إنما في كيفية فهم العبّاوي لهذه المبادئ، واعتقاده أن هذا الفهم، هو الصحيح، وبالتالي يصبح ممارسة الخطأ، عنده، هو الصحّ.

في السابق لم يكن هذا الخلل موجودًا بالمستوى الذي هو عليه الآن. سبب ذلك، أن نمط الحياة الاجتماعية تغيّر، وأخذ أشكالًا أكثر حداثةً، بالغ معها العباوي كثيرًا في لباسه، وفي استعماله لوسائل التواصل والتكنولوجيا على اختلافها. فغيّرت في توجّهاته واهتماماته. لذا أصبح لزامًا العمل على إعادة صقل الشخصية بالبناء المعرفي بكل جوانبه. وهذا لا يتحقق إلا بتفعيل دور رجال الدين في عبّا، وإن يكن لمعظمهم اهتمامات تعليمية في أماكن خارج البلدة، فهذا لا يعفيهم من العمل الجماعي، لصقل الشخصية العبّاوية، وترشيد الجهد العلمي والمهني. كذلك إعادة الاعتبار لدور الأهل، المدرسة والمسجد، بالحثّ على التحلي بالأخلاق واحترام النظام العام. والبلدية، في إيجاد أماكن للترفيه، لتحيد بالشباب عن مغريات الانحراف. والأحزاب، بما لها من دور فعّال في البلدة، إذ يمكن أن تضطلع بعملية تربوية مؤسساتية تهدف إلى تحسين نوعية حياة الفرد والجماعة من خلال إكسابهم المعارف وبناء القيم والمواقف وأنماط السلوك في مختلف القضايا الاجتماعية والاقتصادية والنفسية والبيئية، على أن تستعين بكوادر متخصصة، على قاعدة الوقاية والعلاج.

والسؤال المطروح دومًا هو: أين دور الأهل من كل ذلك؟ لمّا كانت العلاقات الصحيحة بين الأهل والأبناء، توفرها الظروف الإيجابية للعناية بطاقات الأبناء ومتابعتهم وتشجيعهم لتمكينهم من توظيفها في مجالات نافعة تشعرهم بتحقيق ذواتهم. يصبح لزامًا، عندما يذهب الطفل الى المدرسة، أن تكون شخصيته قد تكونت، وقيمه وقدراته قد نمت نتيجةً لتدريب أسرته ولطبيعة الخبرات التي خاضها في كنفها، فهو إذًا لا يأتي الى المدرسة محايدًا، بل حاملًا وراءه تاريخًا اجتماعيًّا حافلًا. وإذا كانت المدرسة في عبّا تقوم بدورها، وتمارس تأثيرًا هائلًا على شخصية الطفل، وتتمكن بطرائق فعالة من إحداث تغيرات كثيرة في سلوكه، فعلى الرغم من ذلك لا يجب أن تعمل وحدها. إذ بمساعدة الأهل يمكن مساعدة الطفل في اختيار وانتقاء جماعة الأقران (مجموعة من الأصدقاء)، وهي جماعة لديها إمكانيات التأثير فى تشكيل الشخصية، هي أهم حدث في حياة الإنسان بعد الطفولة، وتعتبر من الجماعات الاجتماعية التي تلعب دورًا في عملية التنشئة الاجتماعية. كذلك تحديد علاقته وتفاعله مع التلفزيون، فهو يخترق معظم مجالات حياة الأطفال، ويؤثر على آرائهم في الألعاب التي يمكن أن يلعبوها، وما يمكن أن يأكلوه ويلبسوه والمظهر الذي يرغبون في الظهور به، أوله العنف الذي يصور في التلفزيون وكأنه متعة وطريقة فضلى، بل وطبيعية لحل المشكلات بين الناس. وثقافة الاستهلاك التي تدعمها الإعلانات التي لا يخلو منها برنامج تلفزيوني، بسببها تصبح الأشياء وامتلاكها هي ذاتها القيمة والتي تشكل مصدرًا للاكتفاء والسعادة الشخصية، وليس القدرات الذاتية للفرد نفسه.

لا يمكن تحديد دور كل من الأم والأب في الأسرة واختصاره بالأمومة والأبوة. فالأدوار تتداخل وتتشابك وتتكافل وتتفاعل لتحقيق حياة أسرية ناجحة. والواقع أن المجتمع العبّاوي يميل إلى الخلط بين وظائف الأبوين، فتغير مركز المرأة الاجتماعي وميدان العمل أسهم في تغيير الصورة النمطية للمرأة، كذلك صورة الأب لم تعد كما كانت عليه في الماضي؛ أي الحاكم المطلق صاحب السلطة المطلقة، كما أن الرجل لم يعد يكرس حياته لتحقيق النجاح والتقدم في الخارج،

والمرأة لم تعد الأم المتفرغة لخدمة أولادها، لم تعد تلك التي تكرس وقتها لرعاية شؤون البيت، والمرأة العاملة أصبحت تعتمد على دُور الحضانة المتخصصة للاهتمام بطفلها.

صحيح أن هناك تغيراتٍ اجتماعيةً وثقافيةً بدأت تحصل منذ النصف الأخير من القرن العشرين واستمرت على نحو جذري مع بدء الألفية الثالثة، وأن هذه التغيرات أثرت على الأسرة وعلى الأدوار، وخاصةً الأبوة والأمومة، وأن الرجل فقد بعض سلطاته التقليدية، وأن المرأة حققت بعض التقدم، إلا أنه ورغم كل ذلك ظلت الأسرة العبّاوية تتميز بالتماسك والتكامل، ولا صحة للرأي القائل بأن الأسرة عندنا فقدت وظائفها ودورها وقيمتها وأهميتها. المطلوب هو الوعي بمعنى الأمومة والأبوة الذي هو -وقبل كل شيء- عاطفة وطمأنينة ورعاية، لأن كثرة أوقات الفراغ، هي أحد اسباب الفساد الذي يستهدف أولًا بنية الأسرة، التي تتعرض الحالة الزواجية المكونة لها لتأخر واضح، وسببه انتشار التعليم وتزايد متطلبات الحياة الحديثة في التأسيس للأسرة الجديدة. وبما أن تحديد سنّ الزواج يخضع للمعايير المحلّية لأي مجتمع، فإنه على العموم، يصبح بعمر الـ١٦ و١٧ و١٨ مقبولًا اجتماعيًّا، مطلوبًا بعد سن الـ١٨. في عبّا، هناك تأخُّر ملحوظ، سن الزواج قبل الـ٢٥ أصبح أمرًا نادرًا نسبيًّا بالنسبة للجنسين، كما أنه قلما يحدث بعد الـ٤٠ خصوصًا بالنسبة للإناث. وتكاد نسبة العزوبية بين الذكور بين الفئة العمرية ما بين الـ٢٠ و الـ٣٠ تكون طاغيةً، في مقابل أعلى نسبة من الزواج والتي تتم بين الـ٢٥ والـ٣٥. وإذا كان هناك قلّة من العازبين بين الـ٤٠ والـ٥٠، فإن العزوبية النهائية ضعيفة بشكل عام. كما أن نسبة الترمل والطلاق بين الذكور قليلة وذلك بسبب معاودة هؤلاء الزواج ولو في أعمار متقدمة.

مكتبة البحث

أولًا: الوثائق

أ: وثائق رسمية:

- تذكرة نفوس صادرة عن الدولة العلية العثمانية كانت منحت لقاسم إبراهيم عميص تولد ١٣٢٣هـ - ١٩٠٢م، والدته خضرة، من قرية (عبّا).
- سجل قيد عثماني عائد لآل فحص، مولودون في عبّا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بحسب بيانات هي طبق الأصل منقولة عن السجلات العثمانية الأساسية.
- طلب استرحام مقدّم من قِبل أمين سيد حسين ترحيني من قرية (عبّا) - قضاء النبطية، إلى معالي محافظ لبنان الجنوبي، يطلب فيه شطب قيده من رقم ٢٠ سجلّ المهاجرين لعام ١٩٢١.
- نموذج هوية لزيني عبدو معلّم زوجة السيد علي يونس أحمد آل هارون، تولد ١٩٠٦، والدتها شاتو معلّم، رقم السجل ٥٧/ ٢٢٦، لبنان الجنوبي، صيدا.
- حكم صادر عن محكمة صلح النبطية قضى ببراءة المدعى عليه توفيق علي حسين بارتكاب مخالفة الاعتداء على مُشاع القرية بمحلّة الكسارة.
- إجازة سوق، ممنوحة لمحمود حسن ترحيني، تولد ١٩٢٧ عبّا، تاريخ الإصدار ١٩٥٠.
- سند طابو لأرض أميري مؤرخ سنة ١٢٩٧هـ - ١٨٧٦م يتضمن قيد عقار في سجلات الدفترخانة تابع لقرية قبريخا.

- وثيقة هوية صادرة عن قنصلية لبنان بيونس آيرس- الأرجنتين، ممنوحة لمحمد داوود عميص، والدته شملكان حرب، تولد ١٨٨٥، جبشيت، صيدا، لبنان.
- وثيقة تعيين محسن عبدو ترحيني مدرسًا متمرنًا في المدارس الرسمية.
- كتاب تبليغ من وزارة التربية لمحسن عبدو ترحيني بتعينه مدرسًا متمرنًا في مدرسة النبطية الرسمية.
- قرار رئاسي بتعيين أمين صندوق، قرار رئاسي بتعيين شرطي بلدية في ملاك بلدية عبّا.
- قرار صادر عن قاضي الأمور المستعجلة في النبطية قضى بإقفال الطريق المفتوحة في العقار رقم ٢٠٩٨ من منطقة عبّا العقارية.
- شكوى إلى القاضي المنفرد في النبطية الناظر بالقضايا العقارية، لإصدار قرار باستحداث حق مرور وطريق لعقار محبوس وربطه بالطريق العام.
- إخراج قيد عائلي رقم ٣٦١٢٤٤/ ٩٨، صادر عن قلم نفوس النبطية بتاريخ ١٢/ ٧/ ١٩٩٩، فيه قيد حسن وهبي اسم الأب خليل، رقم السجل ٥٦ عبّا النبطية.

ب: وثائق غير رسمية:

- عريضة رفعت عام ١٨٥٨ طُلب فيها من علماء ووجهاء ومخاتير جبل عامل المشورة والرأي الشرعي في ملكية وحكم آل منكر وآل أبو صعب وآل علي الصغير لإقليم الشومر.
- عريضة موقّعة من أئمة ومخاتير ووجهاء جبل عامل تطالب بالانضمام إلى لبنان الكبير ومساعدة فرنسا.
- عقد مصالحة جرى عام ١٨٦٦ بين السيد علي أحمد وخليل (أبو دلا) على قسمة بئر ماء، وكان شاهدًا عليه أسعد (أبو دلا) وهو ابن (حسين) شقيق خليل المذكور.

- سفينة أدعية وزيارات مؤرخة في غرّة جمادى الثاني سنة ١٣٢٠هـ ـ ١٨٩٩م، يظهر فيها إلى جانب اسم كاتبها السيد جواد ابن السيد محمد هارون، لقب (ترحيني).
- سفينة مجالس عزاء مؤرخة بحسب كاتبها السيد موسى خليل ياسين، سنة ١٩٣٠.
- إقرار من الشيخ إبراهيم سليمان الباحث بعلم الأنساب، أن آل فحص في عبّا وجبشيت ويونس وسلامة في عبّا، يعودون بنسبهم إلى السادة من آل صفي الدين، اضطروا إلى النزوح من موطنهم الأول شمع هربًا من بطش الوالي العثماني أحمد باشا الجزار.
- إقرار من الوزير السابق محمد صفي الدين أن آل فحص ويونس وسلامي في عبّا هم من السادة آل صفي الدين.
- بطاقة تسهيل مرور وحمل سلاح صادرة عن حركة أمل ممنوحة لحسن سعيد ترحيني.
- خبر منشور في إحدى الجرائد المحلية مع صورة ليوسف حسين معلم يطلب فيه ممن يعرف عنه شيئًا الاتصال برقم ذويه.
- بطاقة صف كادر في حركة أمل إقليم الجنوب ـ المنطقة الخامسة، عائدة لحسن سعيد إبراهيم ترحيني.
- بطاقة دعوة لقائد فوج الإمام الحسين (عبّا) لحضور اجتماع تنظيمي للمنطقتين الخامسة والسادسة مع مفوض الجنوب ممنوحة لحسن سعيد ترحيني.
- إيصال مالي ببدل انتساب إلى حركة أمل، ممنوح لحسن سعيد ترحيني.
- بطاقة هوية معتقل باللغة العبرية مؤرخة في ٢٣/ ٥/ ١٩٨٤ يظهر فيها رقم المعتقل والصورة ١٨.

- إفادة إلى من يهمه الأمر صادرة عن اللجنة الدولية للصليب الأحمر تفيد بأن حسن سعيد إبراهيم ترحيني، أوقف بتاريخ ٢٤/ ٥/ ١٩٨٤ من قبل الجيش الإسرائيلي.
- بطاقة هوية معتقل لمحمد عميص باللغة العبرية مؤرخة في ٢١/ ٣/ ١٩٨٥، يظهر فيها رقم المعتقل ممهور الصورة.
- بطاقة تسجيل من اللجنة الدولية للصليب الأحمر ممنوحة لحسن سعيد ترحيني.
- رسالة من حسن سعيد ترحيني إلى والده من داخل معتقل أنصار.
- رسالة من حسن سعيد ترحيني إلى والده من داخل معتقل عتليت.
- إفادة منحت لحسن سعيد ترحيني، تشهد اللجنة الدولية للصليب بأنه نُقل من مخيم أنصار جنوب لبنان إلى مخيم عتليت (إسرائيل)، حتى إطلاق سراحه بتاريخ ٢٩/ ٥/ ١٩٨٥.
- شاهد عتبة باب دار عبدو إسماعيل ترحيني، حيث حُفر عليها تاريخ البناء.
- عقد رهن أرض، البائع إبراهيم حسن خليل، والشاري علي محمود خليل ياسين.
- نماذج من عقود بيع ممهورة بتوقيع منظميها وشهود الحال وتوقيع وبصمة إبهام البائع والشاري.
- حجة بلدية إثبات انتقال ملكية عقار بالزواج (مهر) وعقد مزارعة، بين مريم بنت محمد الحاج حسين عميس مع توفيق علي حسين أحمد.
- بطاقة عضوية في جمعية الحمير في عبّا.
- غلاف مخطوطة سفينة للفقير للّه السيد علي موسى خليل ياسين من أهالي قرية عبّا.

- بطاقة تعريف حج عائدة لآمنة عبد الرسول ترحيني، موسم حج ١٩٧٢. وحسين علي يونس ترحيني، موسم حج ١٩٨٠.
- بطاقة تعريف زيارة للأضرحة في العراق وإيران، عائدة لفاطمة عبد اللّه سلامة حرم حسين علي عميص، بدأت في الأول من تشرين الأول ١٩٣٥.
- إجازة بالاجتهاد من المرجع الكبير السيد حسين آل كاشف الغطاء للعلاّمة السيد محمد علي إبراهيم.
- مخطوط (مقطوعة شعرية) نظمها العلاّمة السيد محمد علي إبراهيم للشيخ محمد جواد مغنية.
- صفحة من مجلة العرفان، ورد فيها اسم محمد قاووق كمشترك في مجلة العرفان عدد ١٩٣٨.
- شجرة نسب (التراحنة) وتضم، آل خليل، هارون، حسين، عثمان، ياسين، حمود، علي حسين وحسين أحمد. من محفوظات محمد هاشم خليل.
- شجرة نسب (التراحنة) وتضم، آل خليل، هارون، حسين، عثمان، ياسين، حمود، علي حسين وحسين أحمد. من محفوظات عبد اللطيف حسين أحمد.
- شجرة نسب عائلات: فحص - سلامي - يونس، المرتبطين بالأوائل من الأجداد، المتصلين نسبًا بالأئمة من آل البيت.

ثانيًا: مصادر رسمية باللغة العربية:

أ: الجريدة الرسمية:

- **القوانين**: قانون تاريخ ١/ ١/ ١٩٠٠، يتعلق بالمزارعة والمساقاة، الجريدة الرسمية عدد ١، تاريخ ١/ ١/ ١٩٠٠ - قانون يختص بالمختارين، الجريدة الرسمية، العدد ٢١٣٥، تاريخ ١٦/ ٥/ ١٩٢٨ - قانون إعفاء تذاكر النفوس من رسم الطابع، الجريدة الرسمية، العدد ٢٦٠١، تاريخ ٦ كانون الثاني

١٩٣٢- قانون يختص بمعاقبة المختارين والمجالس الاختيارية تاريخ ٢٧/ ١١/ ١٩٤٧، الجريدة الرسمية، العدد ٤٩، تاريخ ٣/ ١٢/ ١٩٤٧- قانون ممارسة مهنة طب الأسنان، تاريخ ٢٩/ ١١/ ١٩٤٨، الجريدة الرسمية العدد ٤٩، تاريخ ٨/ ١٢/ ١٩٤٨- قانون مختص بانتخابات المختارين والمجالس الاختيارية تاريخ ٢٧/ ١١/ ١٩٤٧، الجريدة الرسمية، العدد ٤٩، تاريخ ٣/ ١٢/ ١٩٤٩- قانون تحديد عدد السيارات العمومية في لبنان، تاريخ الأول من شباط ١٩٥٣ الجريدة الرسمية العدد ١ تاريخ ١/ ١/ ١٩٥٣ - قانون إنشاء المصلحة الوطنية للتعمير، تاريخ ٩/ ٤/ ١٩٥٦، الجريدة الرسمية العدد ١٥ تاريخ ١١/ ٤/ ١٩٥٦- قانون البلديات صادر بالمرسوم الاشتراعي رقم ٥ تاريخ ١٠/ ١٢/ ١٩٥٤، الجريدة الرسمية، العدد ٥ تاريخ ١٥/ ١٢/ ١٩٥٤، المعدل بالقانون ٢٩/ ٣٦ عام ١٩٦٣- قانون منفذ بالمرسوم رقم ١٣٩٥٥، تاريخ ٢٦/ ٩/ ١٩٦٣، الجريدة الرسمية، العدد ٧٨، تاريخ ٣٠/ ٩/ ١٩٦٣- قانون منفذ بالمرسوم رقم ١٦٨٧٨، تاريخ ١٩٦٤، إنشاء مصلحة كهرباء لبنان، الجريدة الرسمية، العدد ٦٥، تاريخ ١٨/ ٣/ ١٩٦٤ - قانون رقم ٦٢، تاريخ ٢٨/ ١٢/ ١٩٦٥، الجريدة الرسمية، العدد ١٠٤، تاريخ ٣٠/ ١٢/ ١٩٦٥- قانون رقم ٧٢، تاريخ ١٩/ ١٢/ ١٩٦٧ إنشاء المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى للطائفة الإسلامية الشيعية في الجمهورية اللبنانية، الجريدة الرسمية العدد ١٠٣ تاريخ ٢٥/ ١٢/ ١٩٦٧- قانون رقم ٨٥، تاريخ ٢٨/ ١٢/ ١٩٦٧، إنشاء مصلحة تدعى مصلحة مياه نبع الطاسة، الجريدة الرسمية العدد ١٠٤، تاريخ ٢٨/ ١٢/ ١٩٦٧- قوانين تمديد ولاية المختارين والمجالس الاختيارية: قانون ٣١ تاريخ ١٩٦٧ (سنتين) قانون ٢٥ تاريخ ١٩٧٣ (سنة) قانون ١٣، تاريخ ١٩٧٤ (٦ أشهر) قانون ١ تاريخ - قانون البلديات ٢٩/ ٣٦، تاريخ ٢٩ حزيران ١٩٦٣ مرورًا بقانون سنة ١٩٧٧ المنشور بالمرسوم الاشتراعي رقم ١١٨ الصادر بتاريخ ٣٠ حزيران ١٩٧٧ الذي ألغى بدوره قانون ٢٩/ ٣٦، وتم إنشاء قانون جديد معدل بالقانون ٦٦٥، تاريخ ٢٩/ ١٢/ ١٩٧٧ الجريدة

الرسمية، العدد ٤٢، تاريخ ٢٧/ ٥/ ١٩٦٣، ص٢١٣٥-٢١٤٩. والجريدة الرسمية، العدد ٢٠، تاريخ ٠٧/ ٠٧/ ١٩٧٧- قانون نافذ بالمرسوم رقم ١٦٥٧ تاريخ ١٧/ ٠١/ ١٩٧٩ (تنظيم مهنة القبالة) الجريدة الرسمية، العدد ١٠، تاريخ ٨/ ٣/ ١٩٧٩- قانون رقم ٣٢٤، يتعلق بآلية تسويات مخالفات البناء، الجريدة الرسمية: العدد ١٥ تاريخ ١٤/ ٤/ ١٩٩٤- قانون رقم ٥٢٢ إنشاء محافظة بعلبك الهرمل تاريخ ١٦/ ٧/ ٢٠٠٣، الجريدة الرسمية، العدد ٣٤، تاريخ ١٩/ ٧/ ٢٠٠٣- قانون رقم ٦٤٦ تعديل (المرسوم الاشتراعي رقم ١٤٨ تاريخ ١٩/ ٩/ ١٩٨٣) من قانون البناء المنفّذ والمعدّل بالمرسوم النافذ حكمًا بالمرسوم التطبيقي لقانون البناء رقم ١٥٨٧٤ تاريخ ٥/ ١٢/ ٢٠٠٥- قانون ٢٠/ ٨٦ إخضاع أوقاف وشؤون الطائفة الإسلامية الشيعية لقانون إنشاء المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى ولنظامه الداخلي، الجريدة الرسمية، العدد٤، تاريخ ١/ ٩/ ٢٠١١.

- **المراسيم**: مرسوم اشتراعي رقم ١٢ تاريخ ٢٨ شباط ١٩٣٠ يختص بتنظيم مكاتب التسجيل ومكاتب الطابو، الجريدة الرسمية العدد ١٩٨٠، تاريخ ١١/ ٦/ ١٩٢٦- مرسوم رقم ٨٨٣٧ تاربخ ١٥ كانون الثاني ١٩٣٢، الجريدة الرسمية، العدد ٢٦١٣، تاريخ ٢٥ كانون الثاني ١٩٣٢- مرسوم اشتراعي رقم ٢ تأجيل الانتخابات على أن تُملأ المراكز الشاغرة، محاضر المجلس النيابي، الدور التشريعي الرابع، العقد العادي الأول لسنة ١٩٣٩- محضر الجلسة التاسعة، الجريدة الرسمية، العدد ٣٧٢٩، تاريخ ٩/ ١١/ ١٩٣٩- مرسوم رقم ٢٧٠ تاريخ ١٦ شباط سنة ١٩٤٠ افتتاح أعمال المساحة اعتبارا من أول أيار سنة ١٩٤٠ في المناطق العقارية الآتي بيانها في قضاء صيدا (عبّا) الجريدة الرسمية، العدد ٣٩٥٧، تاريخ ٢٢/ ٢/ ١٩٤٠ - مرسوم رقم ١٣٧٤ تاريخ ٢٣/ ١٠/ ١٩٤٢ التلقيح الإجباري في عموم الأراضي اللبنانية الجريدة الرسمية العدد ٤٠٣٨ تاريخ ٢٨/ ١٠/ ١٩٤٢- مرسوم رقم ١١٣٠٣ تاريخ ١١/ ٠٣/ ١٩٤٨، افتتاح أعمال تحديد وتحرير عقارات في

أقضية صيدا (الدوير) الجريدة الرسمية العدد ١١ تاريخ ١٧/ ٣/ ١٩٤٨- مرسوم رقم ١٣٩٨٨ تاريخ ٢٩/ ١٢/ ١٩٤٨، تلقح ضد الجدري، الجريدة الرسمية العدد ١ تاريخ ٥/ ١/ ١٩٤٩- مرسوم اشتراعي رقم ٦٢، تاريخ ٤/ ٤/ ١٩٥٣ الجريد الرسمية، العدد ١٤ تاريخ ٤/ ٤/ ١٩٥٣- مرسوم اشتراعي رقم ١١٦ تاريخ ١٢ حزيران ١٩٥٩ الجريدة الرسمية، قانون رقم ٣٦ تاريخ ٢٣/ ٩/ ١٩٧٥، العدد ٧٥ تاريخ ٢٦/ ٩/ ١٩٧٥- مرسوم تمديد ولاية المختارين تاريخ ١٨ شباط ١٩٥٩، الجريدة الرسمية العدد ٨ تاريخ ٢٥/ ٢/ ١٩٥٩- مرسوم رقم ٥٦٩٣ تاريخ ٨/ ١٠/ ١٩٦٦، تصديق أنظمة تعاونية موظفي الدولة، الجريدة الرسمية، العدد ٨٥، تاريخ ٢٤/ ١٠/ ١٩٦٦- مرسوم رقم ٢٦٨١ تاريخ ١٩/ ١/ ١٩٧٢، تحديد مواصفات الأبنية المدرسية الرسمية، الجريدة الرسمية، العدد ٨، تاريخ ٢٧/ ١/ ١٩٧٢ - مرسوم رقم ٩٦٣٠ تاريخ ١٣/ ١٢/ ١٩٩٦، إنشاء مؤسسة عامة تدعى مصلحة مياه لبنان الجنوبي ودمج بعض مصالح ولجان المياه فيها، الجريدة الرسمية عدد ٢ تاريخ ٩/ ١/ ١٩٩٧- مرسوم رقم ١٣١٤٦ تصديق تخطيط طريق القصيبة - عبا (القسم الثاني) الجريدة الرسمية العدد ٤٧ تاريخ ١٥/ ١٠/ ١٩٩٨- مرسوم رقم ١٩٦٩ تاريخ ١٧/ ١١/ ١٩٨٤ إنشاء مستشفى النبطية الحكومي وتحديد ملاكه، الجريدة الرسمية العدد ٤١ تاريخ ٢٩/ ١١/ ١٩٨٤ - مرسوم ٩٨٥٦ تاريخ ٧/ ٢/ ٢٠١٣، تعديل تسمية مستشفى النبطية الحكومي لتبصح، مستشفى نبيه بري الجامعي الحكومي في النبطية، الجريدة الرسمية العدد ٤١ تاريخ ٢٩/ ١١/ ١٩٨٤- مرسوم رقم ٥٢٠٦ تاريخ ٢١/ ٠١/ ١٩٦٤ شروط تعاقد وزارة الصحة العامة مع المستشفيات الخاصة عدّل بالمرسوم رقم ٤٢٦٥ تاريخ ٢٥/ ١٠/ ٢٠٠٠ أصول المعالجة في المستشفيات والمؤسسات العامة والخاصة المتعاقدة مع وزارة الصحة العامة والخدمات الصحية المختلفة الداخلية والخارجية في المؤسسات الطبية، الجريدة الرسمية، العدد ٥٠ تاريخ ٢/ ١١/ ٢٠٠٠- مرسوم رقم ٣١٦٣ تاريخ ٥ حزيران سنة ٢٠٠٠ تصديق تعديل تخطيط

طريق القصيبه ـ عبا (القسم الثاني) الجريدة الرسمية: العدد ٢٧ تاريخ ٢٢/ ٠٦/ ٢٠٠٠، ص ٢٠٩٩ـ مرسوم رقم ٦٥٨١ تاريخ ١٩/ ١٠/ ٢٠٠١ تصديق تخطيط الطريق الزراعية رقم ٢٥٥ في عبا ـ راس الدوري، الجريدة الرسمية العدد ٥٤ تاريخ ٣٠/ ١٠/ ٢٠٠١ـ مرسوم آخر رقم ١٤٢٧٧ تاريخ ٢٦ شباط ٢٠٠٥ إلغاء تخطيط طريق عبا ـ القصيبة، الجريدة الرسمية العدد ١٤ تاريخ ٣١/ ٠٣/ ٢٠٠٥ـ مرسوم رقم ١٣٢٧١ تاريخ ٢٨ آب ٢٠٠٤، انضمام بلدية عبّا إلى اتحاد بلديات الشقيف، الجريدة الرسمية، العدد ٤٨ تاريخ ٧ أيلول ٢٠٠٤.

- **القرارات**: قرار المفوض السامي رقم ٣٣٦ تاريخ ٠١/ ٠٩/ ١٩٢٠ تحديد التنظيمات الإدارية لدولة لبنان الكبير، الجريدة الرسمية العدد ٢، تاريخ ١/ ١/ ١٩٢١ـ قرار رقم ٧٦٣ تاريخ ١٠ آذار ١٩٢١ إجراء أول إحصاء سكاني الجريدة الرسمية للبنان الكبير العدد ١٤٢٥ تاريخ ٣٠ آذار ١٩٢١ـ قرار المفوض السامي رقم ٢٦١٨ نظام نواطير الحقول، الجريدة الرسمية، العدد ١٧٨٥، تاريخ ٢٤/ ٧/ ١٩٢٤ـ قرار رقم ١٨٦، تحديد وتحرير العقارات، الجريدة الرسمية العدد ١٩٥٧ تاريخ ٢٣/ ٠٣/ ١٩٢٦ـ قرار المفوض السامي رقم ٣٣٣٩ تاريخ ١١/ ١٢ ١٩٣٠، نظام الملكية العقارية والحقوق العينية غير المنقولة، الجريدة الرسمية، العدد ٣٤٧٩ تاريخ ٢٧/ ٣/ ١٩٣١ـ قرار المفوض السامي رقم ٣٦ تاريخ ٠٥/ ٠٤/ ١٩٣٢، الجريدة الرسمية، العدد ٢٦٤٧، تاريخ ٢٢/ ٤/ ١٩٣٢ـ قرار المفوض السامي رقم ١٦ تاريخ، ٣٠/ ٠١/ ١٩٣٥، يتعلق باحتكار التبغ والتنباك، الجريدة الرسمية العدد ٣٠٩١ تاريخ ١/ ٣/ ١٩٣٥ـ قرار المفوض السامي رقم ٩٩١ تاريخ، ٧/ ١٢/ ١٩٤٧، يتعلق باحتكار التبغ والتنباك، العدد ٥١ تاريخ ١٧/ ١٢/ ١٩٤٧ـ قرار رقم ٩٣ تاريخ ١٥/ ٤/ ١٩٥٣. اختتام أعمال تحديد وتحرير، الجريدة الرسمية، العدد ١٦ تاريخ ٢٢/ ٤/ ١٩٥٣ـ قرار رقم ١١٤ تحديد عدد المختارين، الجريدة الرسمية، العدد ١٦ تاريخ

٩/ ٤/ ١٩٩٨- قرار رقم ٩٧ تاريخ ٨/ ٥/ ١٩٩٨، إنشاء الجمعية التعاونية الزراعية العامة في عبّا الجريدة الرسمية العدد ٢٦، تاريخ ١١/ ٦/ ١٩٩٨- القرار رقم ٣٩٨ تاريخ ١٦/ ٠٧/ ٢٠٠٣ إنشاء بلدية وتحديد النطاق البلدي لبلدة عبّا الجريدة الرسمية، العدد ٣٥ تاريخ ٢٤/ ٧/ ٢٠٠٣- قرار رقم ٤٤ تاريخ ٣١ تموز محافظ النبطية القيام بأعمال مجلس بلدية عبا ٢٠٠٣ الجريدة الرسمية، العدد ٣٦ تاريخ ٣١/ ٠٧/ ٢٠٠٣- قرار رقم ٨٤٧ تاريخ ١٥/ ٠٥/ ٢٠١٤، سحب بيان علم وخبر جمعية خير البرية الثقافية والاجتماعية الجريدة الرسمية العدد ٣٧، تاريخ ٢٧/ ٧/ ٢٠٠٦- قرار رقم ٢٠ تاريخ ١٦/ ٠٨/ ٢٠١١، الجريدة الرسمية، العدد٤، تاريخ ١/ ٩/ ٢٠١١- قرار رقم ٩٣٨ تاريخ ٢٤/ ٧/ ٢٠١٧، يتعلق بتعاطي مهنة بيع الأسمدة الزراعية، الجريدة الرسمية، العدد ٣٩، تاريخ ٣١/ ٨/ ٢٠١٧- القرار الرئاسي رقم ٤ تاريخ ١٩/ ١٢/ ٢٠١٧ بتعيين نبال قاسم قاووق بوظيفة أمين صندوق في ملاك بلدية عبّا- القرار الرئاسي رقم ٥ تاريخ ١٩/ ١٢/ ٢٠١٧ بتعيين محمد نعمة ترحيني شرطي بلدية في ملاك بلدية عبّا.

- **كتب تبليغ**: كتاب تبليغ من وزارة التربية رقم ١٣٦٥/س تاريخ ٣١/ ٣/ ١٩٦١ محسن عبدو ترحيني بتعينه مدرسًا متمرنًا في مدرسة النبطية الرسمية بموجب المرسوم رقم ٦٢٩٤ تاريخ ٦/ ٣/ ١٩٦١و القرار رقم ١٤١ تاريخ ٢١/ ٣/ ١٩٦١- كتاب عدد ٦/ ٢٠٧٧ يفيد بمباشرة مدير مدرسة عبّا الرسمية محسن عبدو ترحيني عمله في مدرسة النبطية الفنية العالية بتاريخ ٢٣/ ٦/ ١٩٨٦.
- **بلاغات**: بلاغ رقم ٨ تاريخ ١٢/ ٣/ ٢٠٠٣، الجريدة الرسمية العدد ١٥ تاريخ ٢٠/ ٣/ ٢٠٠٣.
- **علم وخبر**: علم وخبر رقم ١٤٩ تاريخ ٢٧/ ٠٩/ ٢٠٠٣، تأسيس الجمعية الثقافية والاجتماعية في بلدة عبا الجريدة الرسمية العدد ٤٦ تاريخ

٠٢/ ١٠/ ٢٠٠٣- علم وخبر رقم ١٦٠، تاريخ ٢٤/ ٠٨/ ٢٠٠٥، إنشاء مدرسة التنشئة الوطنية لمراحل التعليم الأساسي والمتوسط الجريدة الرسمية العدد ٣٨، تاريخ ٠١/ ٠٩/ ٢٠٠٥.

ب: دراسات وإحصاءات رسمية:

- الجمهورية اللبنانية، وزارة التصميم العام، النشرة الإحصائية الشهرية، آب ١٩٧٢ المجلد ١٠، العدد ٨.
- الاستخدام والتنمية المستدامة في لبنان، الجزء الثاني، نبيل خوري وموسى جدعون (تحرير) المؤسسة الوطنية للاستخدام، الدراسات التفصيلية، الطبعة الأولى، ١٩٩٧.
- إدارة الإحصاء المركزي، دراسات إحصائية، الأوضاع المعيشية للأسر ١٩٩٧ في عام ١٩٩٧ العدد ٩ شباط ١٩٩٨.
- وزارة الشؤون الاجتماعية - برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، الخصائص السكانية والواقع الاقتصادي والاجتماعي، أقضية لبنان، النبطية (محافظة النبطية) ٢٢، إعداد مركز البحوث في معهد العلوم الاجتماعية - الجامعة اللبنانية ومشروع تحسين أحوال معيشة الفقراء في لبنان الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠٠١.
- الجمهورية اللبنانية، رئاسة مجلس الوزراء، دائرة الإحصاء المركزي، دليل المناطق العقارية والمدن والقرى في لبنان، حزيران ٢٠٠٥، بيروت - لبنان.
- الجمهورية اللبنانية، رئاسة مجلس الوزراء، إدارة الإحصاء المركزي، الدليل الإحصائي السنوي ٢٠٠٦.
- محفوظات بلدية عبّا ٢٠١٠ لغاية ٢٠١٦ (جداول الموازنة السنوية).
- إحصاءات بلدية عبّا ٢٠١٨ (عدد المنازل).
- الجمهورية اللبنانية، وزارة المال - إدارة حصر التبغ والتنباك اللبنانية

الريجي٢٠١٧ (عدد رخص زراعة التبغ - المزارعين - الإنتاج - قيمة الإنتاج).

- وزارة المالية، المديرية العامة للشؤون العقارية، مصلحة المساحة - النبطية ٢٠١٨ (مساحة بلدة عبّا بـ الكلم[٢] والهكتار).
- وزارة المالية - المديرية العامة للشؤون العقارية - أمانة السجل العقاري في النبطية (محضر اختتام تحديد وتحرير منطقة عبّا العقارية).
- إحصاءات مؤسسة كهرباء لبنان - دائرة النبطية، مؤسسة مياه لبنان الجنوبي- دائرة النبطية ٢٠١٨ (عدد المشتركين).
- محافظة النبطية، إدارة - جغرافيا - تراث، إعداد قلم محافظة النبطية، الطبعة الأولى، ١٩٩٨.
- محافظة النبطية -٣- الانتخابات البلدية والاختيارية ٩٨-٩٩-٢٠٠١، إعداد قلم محافظة النبطية - الطبعة الأولى، ٢٠٠١.

  -٤- الانتخابات البلدية والاختيارية، الطبعة الأولى، تموز ٢٠٠٤.

  - ٥- الانتخابات البلدية والاختيارية، الطبعة الأولى، أيلول ٢٠١٠.

  -٦- الانتخابات البلدية والاختيارية، الطبعة الأولى، أيلول ٢٠١٦.

ثالثا: مراجع باللغة العربية:

أ: إحصاءات:

- إحصاءات مؤسسة التاج لتوزيع اشتراكات الكهرباء بالمولد في عبّا، ٢٠١٨ (عدد منازل بلدة عبّا).
- إحصاءات ميدانية أجراها المؤلف (عدد المؤسسات والمحال التجارية في عبّا).

- إحصاءات ميدانية من إعداد رئيس بلدية عبّا السابق، داوود ترحيني (مساحة زراعة الزيتون وحجم الإنتاج من الزيتون والزيت).

ب: أبحاث

- أسامة محمد أبو نحل: الحكم الإقطاعي لمتاولة جبل عامل في العهد العثماني من ١٨٠٤ إلى ١٨٦٥.
- مريم حمزة: محمد علي الحوماني شاعر ثورة وإصلاح (بحث).

ج: دراسات صادرة عن جمعيات أهليّة:

- النجدة الشعبية اللبنانية، الأوضاع الصحية في لبنان، إعداد مؤسسة البحوث والاستشارات، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، أيار ١٩٨٤، ص١٩٥ - ١٩٩.
- القانون الأساسي، ممالك الدولة العثمانية، في ٧ ذي الحجة ١٢٩٣ هـ [١٨٧٦م]، طبع بنفقة أمين الخوري صاحب مكتبة مطبعة الآداب، بيروت، ١٩٠٨.
- مقدمة ابن خلدون، الفصل الأول، من الكتاب الأول «في العمران البشري على الجملة وفيه مقدمات»، الطبعة السادسة، ١٩٨٦، دارالقلم - بيروت.
- مقتطفات من شعر السيد قاسم العبّاوي، الشباب الجامعي - عبّا، ٢٠٠٢.

د: مقابلات شخصية مدونة:

- إسماعيل محمد يونس، تولد ١٩٦٦، والدته لطيفة قاووق، بتاريخ ٧/ ٥/ ٢٠١٩.
- العلاّمة السيد أمين شريف ترحيني، تولد ١٩٦٦، والدته لطيفة ترحيني، بتاريخ ٢٥/ ٤/ ٢٠١٩.
- حسن سعيد ترحيني، تولد ١٩٦٤، والدته فاطمة حريري، بتاريخ ١٢/ ٧/ ٢٠١٨.

- حسن محسن معلّم (المختار) تولد ١٩٤١، والدته صبحية ترحيني، بتاريخ ١٠/ ٧/ ٢٠١٢.
- حسن محمد حسن حسين، تولد ١٩٤١، والدته مريم حريري، سجل ٨٠، بتاريخ ٢٢/ ٤/ ٢٠١٨.
- حسن محمد يونس، تولد ١٩٧٠، والدته لطيفة قـاووق، بتاريخ ١٧/ ٥/ ٢٠١٩.
- حسين علي إبراهيم، تولد ١٩٦٨، والدته فاطمة موسى، بتاريخ ١٥/ ٤/ ٢٠١٨.
- حسين سليمان حريري، تولد ١٩٣٨، والدته إقليمة حريري، بتاريخ ١٣٠/ ٦/ ٢٠١٢.
- حسين علي يونس ترحيني، والدته زيني معلّم، تولد ١٩٣٢، بتاريخ ٦/ ٤/ ٢٠١٨.
- حسين محمد ترحيني (أبو أمثل)، تولد ١٩٤٤، والدته هدلة ترحيني، بتاريخ ٣١/ ٥/ ٢٠١٨.
- حسين محمد حسن ترحيني، تولد ١٩٨٧، والدته فاطمة ترحيني، بتاريخ ٥/ ٥/ ٢٠١٩.
- حمزة أحمد ذيـاب، والدته صبح ترحيني، تولد ١٩٦٠، بتاريخ ١٢/ ٤/ ٢٠١٩.
- خليل علي محمود، تولد ١٩٤٣، والدته شاتو جفال، بتاريخ ٢٧/ ٤/ ٢٠١٨.
- سعيد إبراهيم يونس (أبو محمد)، تولد ١٩٢٩، والدته فاطمة زريق، بتاريخ ٧/ ٦/ ٢٠١٢.
- سهام سعيد درويش (أم وسيم)، تولد ١٩٥٦، والدتها نعيمة حطيط، بتاريخ ١٦/ ٧/ ٢٠١٨.

- شريف أمين أحمد خليل، تولد ١٩٤٠، والدته مريم بدر الدين، بتاريخ ٢٩/ ٥/ ٢٠١٢.
- شريف عبد اللّه جواد خليل، تولد ١٩١٩، والدته هاشمية حسن سلامة، بتاريخ ٢٤/ ٥/ ٢٠١٢.
- عباس محمد ترحيني (أبو الفضل)، والدته فاطمة ترحيني، تولد ١٩٦٩، بتاريخ ١٩/ ٤/ ٢٠١٩.
- عباس محمد ترحيني، تولد ١٩٧١، والدته خديجة ترحيني، بتاريخ ٥/ ٩/ ٢٠١٨.
- عبد الرسول محمد ترحيني، تولد ١٩٣٧، والدته منيفة نصر اللّه، بتاريخ ٢/ ٣/ ٢٠١٨.
- عبدو إسماعيل ترحيني، تولد ١٩٢٢، والدته سكنة حمود، بتاريخ ٦/ ٢/ ٢٠١٢.
- عساف حنا فاضل من بلدة الكفور، تولد ١٩٣١، والدته هندومة، بتاريخ ٣٠/ ١/ ٢٠١٨.
- علي حسن يونس، تولد ١٩٤٠، والدته هاشمية ترحيني، بتاريخ ٣/ ٥/ ٢٠١٩.
- علي حسين حسين ترحيني، تولد ١٩٦٢، والدته خديجة ترحيني، بتاريخ ١٤/ ٤/ ٢٠١٨.
- علي حسين كلوت، تولد ١٩٦٤، والدته رقية ترحيني، بتاريخ ٦/ ٣/ ٢٠١٩.
- علي داوود ترحيني، تولد ١٩٤٤، والدته شفيقة شعيب، بتاريخ ٢٨/ ٤/ ٢٠١٩.
- علي محسن معلّم، تولد ١٩٤١، والدته صبحية ترحيني، بتاريخ ١٠/ ٧/ ٢٠١٢.

- علي مهدي عقيل ترحيني، تولد ١٩٥٥، والدته شريفة ترحيني، بتاريخ ٢٠/ ١/ ٢٠١٨.
- عليه علي ترحيني، تولد ١٩٣٦، والدتها زينة معلّم، بتاريخ ٢٥/ ٧/ ٢٠١٤.
- فادي نايف ترحيني، تولد ١٩٦٧، والدته ليلى كنعان، بتاريخ ٢٨/ ٤/ ٢٠١٨.
- فهد حريري، تولد ١٩٥٦، والدته عليا حسن حريري، بتاريخ ٢/ ٥/ ٢٠١٩.
- ماجد عبد اللّه حمود ترحيني، والدته زمزم عميص، تولد ١٩٦١، بتاريخ ٤/ ٣/ ٢٠١٩.
- محسن عبدو حسين أحمد، والدته آمنة ترحيني، تولد ١٩٣٨، بتاريخ ١٩/ ٧/ ٢٠١٢.
- محسن محمد فحص، تولد ١٩٥٢، والدته فهيمة عميص، بتاريخ ٢٤/ ٥/ ٢٠١٨.
- العلّامة السيد مصطفى ترحيني، تولد ١٩٦٥، والدته زهرة حرب، بتاريخ ٢٦/ ٤/ ٢٠١٩.
- محمد أحمد عميص، والدته خديجة رحـال، تولد ١٩٦٤، بتاريخ ٤/ ٣/ ٢٠١٩.
- محمد جواد صايغ (أبو أديب)، مرخص في طب الأسنان، تولد ١٩٢٨، بتاريخ ٥/ ٤/ ٢٠١٩.
- محمد حجازي، مسؤول الصيانة والتوزيع في مؤسسة مياه لبنان الجنوبي، بتاريخ ٢٠ آذار ٢٠١٩.
- محمد خليل ترحيني (أبو فايز)، تولد ١٩٢٦، والدته آمنة قاووق، بتاريخ ٢/ ٦/ ٢٠١٢.
- محمد عبد الحسين عميص، تولد ١٩٥٦، والدته إنصاف جابر، بتاريخ ١٩/ ٢/ ٢٠١٩.

- محمد علي دياب (أبو عباس)، تولد ١٩٤٠، والدته فاطمة ترحيني، بتاريخ ١٣/ ٢/ ٢٠١٤.
- محمود حسين معلم، تولد ١٩٤٥، والدته زكيه عميص، بتاريخ ١٨/ ٣/ ٢٠١٤.
- موسى محمد نعمة كاتب عدل النبطية، في مكتبه، بتاريخ ٦/ ٣/ ٢٠١٨.
- مهدي عبد الرسول ترحيني، تولد ١٩٦٧، والدته زينب ترحيني، بتاريخ ١٨/ ٥/ ٢٠١٨.
- نمر بشارة، تولد ١٩٣٧، بتاريخ ٢٦/ ٧/ ٢٠١٢.
- مرويات المجالس الخاصة للعلّامة السيد محمد حسن ترحيني بقلم نجله حسن.

هـ :جرائد:

- جريدة الديار: العدد ٣٤٩٨ تاريخ الثلاثاء ٩/ ٦/ ١٩٩٨.
- جريدة النهار: العدد٣٨٨٨، تاريخ التاسع عشر من أيّار١٩٤٨.
- مدونة العرايس: السنة الخامسة - العدد الثاني- تموز ٢٠٠٢.

السنة ١٧ العدد الأول، أول نيسان ٢٠١٣.

السنة ١٧ العدد الثاني، أول أيار ٢٠١٣.

العدد الأوّل، ١٥ شباط ٢٠١٦ (النسخة الإلكترونية).

- جريدة السفير: العدد ٣٥٩٣ تاريخ ١٥/ ٥/ ١٩٨٤.

العدد٣٧١١ تاريخ ١٤/ ٩/ ١٩٨٤.

العدد ٣٦٥٨، تاريخ ١٩/ ٣/ ١٩٨٥.

العدد ٣٨٩٣، تاريخ ٢٢/ ٧/ ١٩٨٥.

العدد ١٢٢٥١، بتاريخ ٦/ ٨/ ٢٠١٢.

و: مجلات:

- مجلة البيان: بيروت العدد ٤١١، تاريخ ١٦/ ٨/ ١٩٢٠.
- مجلة العرفان: عدد ٦ تشرين الأول سنة ١٩٢٩.

  الجزء السادس، الممتاز، المجلد ٣٨ - ١٩٣٦.

  الجزء الثامن، المجلد ٢٦ كانون الثاني ١٩٣٨.
- مجلة زهرة الصبّار: نشرة يصدرها المجلس البلدي في عبّا - العدد الأول أيار ٢٠٠٧.
- مجلة شعائر: العدد الحادي والسبعون، كانون الثاني ٢٠١١.

ز: مواقع إلكترونية:

- مدونة جبل عامل، الموقع الإلكتروني، jabalamelah.blogspot.com
- الموقع الإلكتروني لقاموس المعاني، www.almaany.com
- الصفحة الرسمية للدكتور فايز ترحيني facebook

ح: الكتب:

- إبراهيم بك الأسود: تنوير الأذهان في تاريخ لبنان، المجلد الثالث ١٩٣٠، المطبعة العلمية ليوسف صادر، بيروت، سوق سرسق.
- إبراهيم الحيدري: تراجيديا كربلاء- سوسيولوجيا الخطاب الشيعي، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧، قم - ميدان المعلّم.
- أحمد عبد السلام: موسوعة التداوي بالأعشاب - الطب العربي القديم، تحقيق وضبط وتعليق أحمد الفاضل، طبعة جديدة منقّحة، بيروت دار الفكر اللبناني، ٢٠٠١.

- أحمد عيسى: تاريخ النباتات عند العرب ١٨٧٦ـ ١٩٤٦، دار الفضيلة، ١٩٩٥.
- أنطوان عبد النور: تجارة صيدا مع الغرب من منتصف القرن السابع عشر إلى أواخر القرن الثامن عشر، منشورات الجامعة اللبنانية- قسم الدراسات التاريخية ٣٦، بيروت، ١٩٨٧.
- بدر الدين السباعي: أضواء على الرأسمال الأجنبي في سوريا ١٨٥٠- ١٩٥٨، دمشق دار الجماهير.
- جعفر المهاجر: التأسيس لتاريخ الشيعة في لبنان وسوريا، دار الملاك للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢.
- حسان قبيسي: الدولة والتعليم الرسمي في لبنان «الفصل الثالث»، بحث من سلسلة أبحاث ضمن كتاب «الدولة والتعليم في لبنان»، الهيئة اللبنانية للعلوم والتربية - الكتاب السنوي الأول.
- خليل شرف الدين: بانوراما جبل عامل - سيرة شعب منذ كان، دار المحجة البيضاء، بيروت، الطبعة الثانية المصححة، ٢٠٠٤.
- زينب فواز: الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢.
- سعدون حمادة: تاريخ الشيعة في لبنان- الحكم الشيعي في لبنان- المجلد الأول، دار الخيال للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨.
- سعيد بن علي بن وهف القحطاني: المساجد مفهوم، وفضائل، وأحكام، وحقوق، وآداب في ضوء الكتاب والسنّة، تاريخ الطبع ٢٠٠٠، توزيع مطبعة الجريسي، الرياض.
- سليمان ضاهر، معجم قرى جبل عامل، الجزء الثاني، دار التعارف للمطبوعات، ٢٠٠٦.

- صابرين ميرفان: حركة الإصلاح الشيعي، علماء جبل عامل وأدباؤه، من نهاية الدولة العثمانية وحتى بداية استقلال لبنان، صدر هذا الكتاب بالفرنسية عام ٢٠٠٠ تحت عنوان sabrina mervin Un reformise chiite KARTHALA ـCERMOC ـIFEAD ـ ترجمه عن الفرنسية هيثم الأمين، راجع النص العربي جودت فخر الدين، دار النهار للنشر، بيروت، تشرين الأول ٢٠٠٣.
- طارق بن سعيد القحطاني، أسرار الحروف وحساب الجمل، رسالة أعدت لنيل شهادة ماجستير ٢٠٠٨ـ ٢٠٠٩، المملكة العربية السعودية، وزارة التعليم العالي، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين.-
- عبد العزيز بن محمد بن فهد العيسى: أرشيف مملكة الحجاز وسلطنة نجد وملحقاتها من ١٣٤٣هـ إلى ١٣٤٦هـ، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، الطبعة الأولى، آذار ٢٠١٣، ص٧٣. صحيفة أم القرى: العدد ٢٣ تاريخ ٦/ ١١/ ١٣٤٣هـ الموافق ٢٩/ ٥/ ١٩٢٥م.
- علي عبد المنعم شعيب: مطالب جبل عامل، الوحدة والمساواة في لبنان الكبير ١٩٠٠ـ ١٩٣٦، الطبعة الأولى، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٧.
- علي عبد المنعم شعيب: التجربة الحزبية عند شيعة لبنان، بحث منشور في كتاب «الشيعة في لبنان من التهميش إلى المشاركة الفاعلة» مجموعة من الباحثين، دار المعارف الحكمية، حارة حريك ـ لبنان، الطبعة الأولى.
- عيسى إسكندر المعلوف: مدينة زحلة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٤.
- فايز ترحيني: دائرة الشوك حكاية الولد العاملي، دار الولاء لصناعة النشر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٨.
- محسن الأمين: خطط جبل عامل، حققه وأخرجه حسن الأمين، الطبعة الأولى، ١٩٨٣، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان ـ بيروت.

- محمد بسّام: جبل عامل بين سوريا الكبرى ولبنان الكبير ١٩١٨ـ ١٩٢٠، دار الكواكب للتصميم والطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١١.
- محمد تقي الفقيه: جبل عامل في التاريخ، الصبعة الثانية، دار الولاء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ١٩٨٦.
- محمد جابر آل صفا: تاريخ جبل عامل، دار النهار للنشر، الطبعة الثانية، ١٩٨١.
- محمد حسين الحسيني الجلالي: مزارات أهل البيت وتاريخها، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة، ١٩٩٥.
- محمد حسين فضل اللّه : فقه الشريعة، طبقًا لفتاوى سماحة آية اللّه العظمى، الجزء الأول، العبادات، دار الملاك للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ حارة حريك، الطبعة الثانية المنقحة، ٢٠٠٠.
- محمد مراد: التملك والسلطة في الجنوب اللبناني (١٩٢٠ـ١٩٧٥) منشورات الجامعة اللبنانية ـ قسم الدراسات التاريخية ٤٩، دار المنشورات في الجامعة اللبنانية، بيروت، ٢٠٠٩.
- محمد مهدي القصاص: علم الاجتماع العائلي، كلية الادآب ـ جامعة المنصورة، ٢٠٠٨.
- وديع نقولا حنا: قاموس لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٢٧، مطبعة السلام، بيروت.
- الشيخ يوسف البحراني: كشكول البحراني، المجلد الأول، منشورات دار ومكتبة الهلال بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨.

ط: اطلس:

- أطلس العالم الصحيح: وضع وإعداد جماعة من أساتذة الجغرافيا والتاريخ في لبنان والعالم العربي، طبعة جديدة ومنقحة، منشورات دار ومكتبة الحياة، بيروت ـ لبنان، آب ١٩٩٣.

رابعًا: مراجع باللغة الإنكليزية:

- The Journal of the Royal Asiatic Society of Great Britain and Ireland»On the Mountainous Country, the Portion of Asher, between the Coasts of Tyre and Sidon, and the Jordan» Vol. 12 (1850) Published by: Cambridge University Press
- Harold Rhode :The Adminstration and Population of the Sancak of Safed in the Sixteenth Century,Columbia university1979

لائحة الوثائق

الرقم	الوثيقة	ص
١	عريضة رفعت عام ١٨٥٨ طُلب فيها من علماء ووجهاء ومخاتير جبل عامل المشورة والرأي الشرعي في ملكية وحكم آل منكر وآل أبو صعب وآل علي الصغير لإقليم الشومر.	٢٧
٢	عريضة موقّعة من أئمة ومخاتير ووجهاء جبل عامل تطالب بالانضمام الى لبنان الكبير ومساعدة فرنسا.	٤٢
٣	عقد مصالحة جرى عام ١٨٦٦ بين السيد علي أحمد وخليل (أبو دلي) على قسمة بئر ماء وكان شاهدًا عليه أسعد (أبو دليي) وهو ابن (حسين) شقيق خليل المذكور.	٦٢ ٢٢٨
٤	سفينة أدعية وزيارات مؤرخة في غرّة جمادى الثاني سنة ١٣٢٠هـ – ١٨٩٩م يظهر فيها إلى جانب اسم كاتبها السيد جواد ابن السيد محمد هارون، لقب (ترحيني).	٦٢
٥	سفينة مجالس عزاء مؤرخة بحسب كاتبها السيد موسى خليل ياسين سنة ١٩٣٠	٦٢
٦	إقرار من الشيخ إبراهيم سليمان الباحث بعلم الأنساب، أن آل فحص في عبّا وجبشيت ويونس وسلامة في عبّا، يعودون بنسبهم إلى السادة من آل صفي الدين، اضطروا إلى النزوح من موطنهم الأول شمع هربًا من بطش الوالي العثماني أحمد باشا الجزار.	٦٣

الرقم	الوثيقة	ص
٧	إقرار من الوزير السابق محمد صفي الدين أن آل فحص ويونس وسلامي في عبّا هم من السادة آل صفي الدين.	٦٣
٨	تذكرة نفوس صادرة عن الدولة العليّة العثمانية كانت منحت لقاسم إبراهيم عميص تولد١٣٢٣هـ - ١٩٠٢م والدته خضرة من قرية (عبّا)	٦٧
٩	سجل قيد عثماني عائد لآل فحص. مولودون في عبّا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بحسب بيانات هي طبق الأصل منقولة عن السجلات العثمانية الأساسية.	٦٨
١٠	طلب الاسترحام مقدّم من قِبل أمين سيد حسين ترحيني من قرية (عبّا) - قضاء النبطية، إلى معالي محافظ لبنان الجنوبي، يطلب فيه شطب قيده من رقم ٢٠ سجلّ المهاجرين لعام ١٩٢١.	٦٩
١١	نموذج هوية لزيني عبدو معلّم زوجة السيد علي يونس أحمد آل هارون تولد ١٩٠٦ والدتها شاتو معلّم رقم السجل ٥٧/ ٢٢٦ لبنان الجنوبي - صيدا.	٧١
١٢	حكم صادر عن محكمة صلح النبطية قضى ببراءة المدعى عليه توفيق علي حسين بارتكاب مخالفة الاعتداء على مُشاع القرية بمحلّة الكسارة.	٨٦ ٢٢٤
١٣	بطاقة تسهيل مرور وحمل سلاح صادرة عن حركة أمل ممنوحة لحسن سعيد ترحيني	١٠٠
١٤	خبر منشور في إحدى الجرائد المحلية مع صورة ليوسف حسين معلم يطلب فيه ممن يعرف عنه شيئًا الاتصال برقم ذويه	١٠٤

الرقم	الوثيقة	ص
١٥	بطاقة صف كادر في حركة أمل إقليم الجنوب - المنطقة الخامسة عائدة لحسن سعيد إبراهيم ترحيني	١٢
١٦	بطاقة دعوة لقائد فوج الإمام الحسين (عبّا) لحضور اجتماع تنظيمي للمنطقتين الخامسة والسادسة مع مفوض الجنوب	١١٢
١٧	إيصال مالي ببدل انتساب إلى حركة أمل	١١٢
١٨	بطاقة هوية معتقل باللغة العبرية مؤرخة في ٢٣/ ٥/ ١٩٨٤ يظهر فيها رقم المعتقل والصورة	١١٩
١٩	إفادة إلى من يهمه الأمر صادرة عن اللجنة الدولية للصليب الأحمر تفيد بأن حسن سعيد إبراهيم ترحيني، أوقف بتاريخ ٢٤/ ٥/ ١٩٨٤ من قبل الجيش الإسرائيلي.	١٢٠
٢٠	بطاقة هوية معتقل لمحمد عميص باللغة العبرية مؤرخة في ٢١/ ٣/ ١٩٨٥ يظهر فيها رقم المعتقل ممهور الصورة.	١٢١
٢١	بطاقة تسجيل من اللجنة الدولية للصليب الأحمر وهي ممنوحة لحسن سعيد ترحيني	١٢٢
٢٢	رسالة من حسن سعيد ترحيني إلى والده من داخل معتقل أنصار	١٢٣
٢٣	رسالة من حسن سعيد ترحيني إلى والده من داخل معتقل عتليت.	١٢٣
٢٤	إفادة منحت لحسن سعيد ترحيني تشهد اللجنة الدولية للصليب بأنه نقل من مخيم أنصار جنوب لبنان إلى مخيم عتليت (إسرائيل) حتى إطلاق سراحه بتاريخ ٢٩/ ٥/ ١٩٨٥ .	١٢٣

الرقم	الوثيقة	ص
٢٥	شاهد عتبة باب دار عبدو إسماعيل ترحيني حيث حفر عليها تاريخ البناء.	١٣٨
٢٦	إجازة سوق، ممنوحة لمحمود حسن ترحيني تولد ١٩٢٧ عبّا، تاريخ الإصدار ١٩٥٠	١٦٣
٢٧	سند طابو لأرض أميري مؤرخ سنة ١٢٩٧هـ - ١٨٧٦م يتضمن قيد عقار في سجلات الدفترخانة تابع لقرية قبريخا	٢٢٤
٢٨	عقد رهن أرض، البائع هو إبراهيم حسن خليل، والشاري علي محمود خليل ياسين	٢٢٨
٢٩	نماذج من عقود بيع ممهورة بتوقيع منظمها وشهود الحال وتوقيع وبصمة إبهام البائع والشاري	٢٣١
٣٠	حجة بلدية إثبات انتقال ملكية عقار بالزواج (مهر) وعقد مزارعة، بين مريم بنة محمد الحاج حسين عميس مع توفيق علي حسين أحمد	٢٣٤ ٢٦٣
٣١	وثيقة هوية، صادرة عن قنصلية لبنان بيونس آيرس- الأرجنتين، ممنوحة لمحمد داوود عميص - والدته شملكان حرب تولد ١٨٨٥ جبشيت - صيدا - لبنان	٢٨٦
٣٢	تعيين محسن عبدو ترحيني مدرسًا متمرنًا في المدارس الرسمية	٣٥١
٣٣	كتاب تبليغ من وزارة التربية لمحسن عبدو ترحيني بتعينه مدرسًا متمرنًا في مدرسة النبطية الرسمية	٣٥٤

الرقم	الوثيقة	ص
٣٤	قرار رئاسي رقم - بتعيين أمين صندوق قرار رئاسي بتعيين شرطي بلدية في ملاك بلدية عبّا	٤١٨
٣٥	بطاقة عضوية في جمعية الحمير في عبّا	٤٣٤
٣٦	غلاف مخطوطة سفينة للفقير للّه السيد علي موسى خليل ياسين من أهالي قرية عبّا	٤٦٨
٣٧	سفينة أدعية وزيارات للسيد جواد ابن السيد محمد هارون مؤرخة في ١٨٩٩	٤٧٥
٣٨	بطاقة تعريف حج عائدة لآمنة عبد الرسول ترحيني موسم حج ١٩٧٢ وحسين علي يونس ترحيني وموسم حج ١٩٨٠.	٤٨٢
٣٩	بطاقة تعريف زيارة للأضرحة في العراق وإيران عائدة لفاطمة عبد اللّه سلامة حرم حسين علي عميص بدأت في الأول من تشرين الأول ١٩٣٥	٤٨٨
٤٠	قرار صادر عن قاضي الأمور المستعجلة في النبطية قضى بإقفال الطريق المفتوحة في العقار رقم ٢٠٩٨ من منطقة عبّا العقارية.	٤٩١
٤١	شكوى إلى القاضي المنفرد في النبطية الناظر بالقضايا العقارية، لإصدار قرار باستحداث حق مرور وطريق لعقار محبوس وربطه بالطريق العام	٤٩١
٤٢	إجازة بالاجتهاد من المرجع الكبير السيد حسين آل كاشف الغطاء للعلاّمة السيد محمد علي إبراهيم	٤٩٨

الرقم	الوثيقة	ص
٤٣	مخطوط (مقطوعة شعرية) نظمها العلاّمة السيد محمد علي إبراهيم للشيخ محمد جواد مغنية	٥٠٠
٤٤	صفحة من مجلة العرفان، ورد فيها اسم محمد قاووق كمشترك في مجلة العرفان عدد ١٩٣٨	٥٤٦
٤٥	شجرة نسب (التراحنة) وتضم، آل خليل، هارون، حسين، عثمان، ياسين، حمود، علي حسين وحسين أحمد. من محفوظات محمد هاشم خليل	
٤٦	إخراج قيد عائلي رقم ٣٦١٢٤٤/ ٩٨، صادر عن قلم نفوس النبطية بتاريخ ١٢/ ٧/ ١٩٩٩، فيه قيد حسن وهبي اسم الأب خليل رقم السجل ٥٦ عبّا النبطية	
٤٧	شجرة نسب (التراحنة) وتضم، آل خليل، هارون، حسين، عثمان، ياسين، حمود، علي حسين وحسين أحمد. من محفوظات عبد اللطيف حسين أحمد	
٤٨	شجرة نسب عائلات، فحص - سلامي - يونس، المرتبطين بالأوائل من الأجداد، المتصلين نسبًا بالأئمة من آل البيت	

لائحة الصور

الرقم	الصورة	ص
٨	وسائل الإنارة السراج والفانوس واللوكس كانت لا تزال تعتمد كوسائل بدائية بديلة	١٤٩ ٢١٨
٩	الساجة (صاجة الخبز) وتوضع إلى جانب (لكن العجين)	١٥١
١٠	الكبكة عبارة عن مسطح خشبي معلق في سقف الغرفة موجودة في كل الدُّور	١٥٢
١١	الخلقينة موضوعة على الموقد بعد إفرغ كمية القمح المعد للسلق في جوفها	١٥٣
١٢	الجاروشة مصنوعة من الحجر البركاني الأسود الصلد عدد ٢ وبواسطتهما تتم عملية الطحن	١٥٦
١٣	قبر الحاج حسين عميص وهو أقدم قبر في مقبرة الحمّارة	٢٠١
١٤	بابور أو (بريموس) و(أبو سمير) احترف مهنة إصلاح وابور البريموس والقناديل	٢١٨ ٣١٠
١٥	من عدة الشغل المستعملة في الزرع والحصاد (المنجل)	٢٥٩
١٦	قطاف التبغ، ويبدأ منتصف الليل باستخدام وسائل إنارة، ويستمر حتى ساعات الصباح الأولى. وبعد الانتهاء من القطاف كانوا ينقلونه بواسطة الدواب للمباشرة بـ(الشكّ) ومن ثم التنشير	٢٧٣
١٧	حفرة (التون) وهي بعمق يزيد عن الـ٣ أمتار تقريبًا، فيها فتحة صغيرة من أسفلها توضع بداخلها الحجارة الكلسية	٣٠٩

الرقم	الصورة	ص
٢٨	العرس وكان له تقليد خاص، يستدعي الوضع المادي لأهل العروسين تفاوتًا في مستواه، وكان يقام ليوم أو اثنين أو ثلاثة، في دار أهل العريس، أو في الساحة العامة، كما في عرس علي عبد الكريم قاووق عام ١٩٧٢	٤٦٣
٢٩	حفل تأبين في النادي الحسيني	٤٦٥
٣٠	مسيرة حسينية في اليوم التاسع بمشاركة أهالي البلدة ورفع رايات ونديبات وضرب حيدر	٤٧٢
٣١	بطاقة محرر في وكالة أخبار لبنان مندوبًا للوكالة في المجلس النيابي، والمجلس الإسلامي الشيعي الأعلي، ومقر مجلس قيادة حركة أمل في محلة برج البراجنة، ومندوبًا مرافقًا للشيخ عبد الأمير قبلان	٥١٤
٣٢	صورة لمتسلّق أعلى قمة جبلية في إفريقيا باسل حيان ترحيني	٥١٦
٣٣	وفد من عبّا يتقدمهم العلاّمة السيد محمد علي إبراهيم في ذكرى أسبوع الشهيد الشيخ راغب حرب	٥٢٤
٣٤	ردية أنشدها أبو حسين حريري وأحمد محمود علي حسين، تكريمًا وتفخيمًا للشيخ الشهيد	٥٢٥

ملحق الوثائق والصور

نص الوثيقة

سبب تحريره

هو أنه لما كان واجبًا على كل عاقل طلب الراحة الأبدية.

سؤال استفهام من سيادة مشايخنا وعلمائنا الفخام ومن جانب أخوتنا وأحبائنا في قضاء الشقيف الأجلاء المحترمين بوجه العموم.

نسألكم باللّه العظيم ورسوله النبي الكريم وأصحابه الغر الميامين شهادةً نطلبها منكم يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى ربه بقلب سليم أن تفيدونا معلوميتكم عن إعطائنا إقليم الشومر من المرحوم الحاج سليمان باشا ومن المرحوم راغب أفندي الوكيل من جانب الدولة العليا في أيالة صيدا من أجل تنظيم مال الأيالة بعد وفاة المرحوم جزار باشا (...) أعطانا الأقليم المرقوم لنا معاشًا مجانًا أم استعواضًا عن أملاكنا التي اغتصبها منا جزار باشا بوجه الغدر والجبر في صيدا وصور وقضاوات بلاد بشارة الشقيف وجباع من عمار وقرايا ومحلات ومطاحن ومن زيتون وبساتين وأغراس كما هو معلوم لدى الجميع منكم أن تفيدونا معلومية ذلك على نفس خطابنا هذا بحسب الواقع. وهذه الشهادة نطلبها منكم فإنها مسؤولية من يعلمها ومطالب بها لدى العدل الحكيم.

بيت آل منكر ---- بيت آل أبو صعب ---- بيت آل علي الصغير

الجواب

شاع وذاع وملأ الأسماع ونقله الخلف عن السلف نقلًا متواترًا ومتضافرًا أن المعاش المذكور قد أُعطي للعشائر المذكورين وهم آل علي الصغير وآل صعب وآل منكر عوضًا عن أملاكهم وعقاراتهم التي انتزعها من أيديهم المرحوم الحاج أحمد باشا الجزار وكان المعطي لهم بدلًا عن أملاكهم المذكورة المرحوم الحاج سليمان باشا.

هذا هو المحقق عندنا والذي نشهد به بين يدي الخالق عز وجل.

ولأجل البيان بحسب طالب الشهادة حررنا جوابنا هذا في السؤال المحرر في صدر هذا القرار والله أعلم بحقائق الأمور.

٢٤/ شعبان ١٢٥٧هـ - ١٨٥٨م

التواقيع

تواقيع وأختام لحوالي ١٠٢ من العلماء والمشايخ ورجال الدين في جبل عامل وغيرهم ومن بين هؤلا يوجد **توقيع لمختار بلدة عبا خليل أبو دلا**



وثيقة رقم (١)

نص العريضة

لجانب قومسيرية فرنسا العليا في بيروت

يا سعادت [**سعادة**] القومسير لا شك أنكم درستم مدققًا الأحوال والمداخلات السياسية المنبعثين عن تشويق أصحاب الغايات المقصود منها تضيع الحقائق المطلوبة من الشعب وبسببها قد أُغفل وسقط بفخ هذا التشويق كان عن عدم التئمل [**التأمل**] الحقيقي أم عن منفعة ذاتية كما يتضح لكم من التحرير المربوط بهذه العريضة أما الآن وقد رجعنا ودرسنا المصلحة العمومية درسًا مدققًا وتئملناها [**وتأملناها**] عميقًا تحقق لنا الآن أن لا راحة لنا في الحال والاستقبال إلا بإرجاعنا للوطن العزيز لبنان الكبير تحت مساعدة دولة فرنسا العظيمة التي كانت تحافظ على حقوق عموم الطوائف بدون تحيز لأي كان متخذت [متخذات] الجد والاجتهاد في ترقيت [**ترقية**] الشعوب على اختلاف النزعات

بناءً عليه مقدمين هذه العريضة راجين من سعادتكم رفعها للمراجعة الإيجابية مع التثبت للوصول للغاية المطلوبة وفي الختام تنازلو [**تنازلوا**] بقبول فايق احترامنا لسعادتكم

حررت في تموز ١٩١٩

التواقيع



وثيقة رقم (٢)

إنه بتاريخه أدناه قد صالح السيد علي أحمد السيد خليل أبو دلي على أربعة قراريط ونصف من سهمه في البير التي هي أربعة وعشرون قيراطًا بثمن وقدره ثلاثمئة وخمسة وسبعون قرشًا برفع الغبن وإسقاط جميع الخيارت بخاطره ورضاه بيعًا صحيحًا شرعيًّا يتصرف بهما حيثما شاء لا داعي ولا مدعٍ. ولأجل البيان حررنا بينهما هذا الشعار للحاجة في ١ جمادي الأول سنة ٨٧ [١٢٨٧]

القائم بهما

السيد علي أحمد

جميل يونس – السيد أسعد أبو دلي – حسن حمود إسماعيل – محمد موسى – راقمه [حرره] حسن مصطفى وهبه



وثيقة رقم (٣).

هذا السفينه الا السيد
جواد ابن السيد محمد هارون
متوجه في غرة جماد ثاني
سنة ١٣٧٠
كاتبها الحقير السيد جواد
ابن السيد محمد هارون
(ترحيني)

وثيقة رقم (٤)

وثيقة رقم (٥)

بسم الله الرحمن الرحيم

استناداً لرواية المرحوم فضيلة الشيخ ابراهيم سليمان قدس الله سره

وعندما قال لي [illegible] جئته أنا محسن بن محمد بن موسى

ابراهيم محسن فقال لي أنتم سادة وتعودون بنسبكم الى [illegible]

وأنتم وسلامة ويونس نسب واحد فأجبته نعم سيدي ويرجع

نسبنا الى [redacted] السيد زيد بن علي بن الإمام الحسين

هذا ما سمعته والله على ما أقول شهيد (والله أعلم)

السيد محسن محمد [illegible]

أصادق على صحة ما ورد عن لسان الأستاذ محسن محمد محسن

حرر بتاريخ ١٥/٨/٢٠٠٩

الموافق ١٢ جمادى الأول ١٤٣٠ هـ

الشاهد الأول: حسن محمود يونس

الشاهد الثاني: ابراهيم محمد يونس

مختار جبشيت

وثيقة رقم (٦)

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد ...

نحن الموقعين:

- حسين حسن محمود يونس
- أحمد حسن محمود يونس
- ابراهيم محمد حسن يونس
- حسن محمد حسن يونس

نقرّ ما يلي:

في العام ٢٠٠٤ ذهبنا الى مدينة صور واجتمعنا مع معالي الوزير السابق السيد محمد صفي الدين "أبو شوقي" و بحضور نجله السيد شوقي صفي الدين و مختار بلدة شمع السيد عصام محسن.

و بعد التعارف، قال السيد أبو شوقي أنه سمع من والده و جده أنه يوجد لهم إبن عم ذهب الى منطقة النبطية، و تحديداً إلى بلدة جبشيت و قلب إسم العائلة من آل صفي الدين إلى آل فحص و هو اللقب له آنذاك، و هو لقب الأجداد الذين انتقلوا إلى منطقة جبشيت هرباً من بطش أحمد باشا الجزار ...

و البيان حرّر بتاريخ ١٤ تشرين الثاني ٢٠٠٤

السيد شوقي صفي الدين:
مختار شمع السيد عصام محسن:
السيد حسين حسن يونس:
السيد أحمد حسن يونس:
السيد ابراهيم محمد يونس:
السيد حسن محمد يونس:

أصادق [illegible] التواقيع

وثيقة رقم (٧)

وثيقة رقم (٨)

وثيقة رقم(٩)

[illegible] اختيارية قرية عبا التابعة لمحافظة [illegible] نشهد أن [illegible]

المذكور [illegible] وكان مهاجراً في أميركا بوينس أيرس [illegible]

[illegible] لبلدته المذكورة ولم يبارحها طيلة هذه المدة ولا يزال محافظاً على جنسيته

ولم يتجنس بجنسية [illegible] ولأجل التفضل بإجراء قيده في تجديد نفوس قريتنا المذكورة وإعطائه تذكرة نفوس [illegible]

[illegible] إعطاء هذه الشهادة بناء على طلبه تحريراً

عضو

يوسف علي حسن

CONSULAT G[illegible] FRANCE

GEN[illegible]

٢١٩٨٥ – ١٨٨٢م

وثيقة رقم (١٠)



الجمهورية اللبنانية REPUBLIQUE LIBANAISE
وزارة الداخلية MINISTERE DE L'INTERIEUR
مصلحة الاحصاء والاحوال الشخصية SERVICE DU RECENSEMENT ET DE L'ÉTAT CIVIL

تذكرة الهوية
Carte d'Identité
N° رقم
اعطيت الى زيني معلم
Délivrée à M. Zeini Mhallem
الرسم المستوفى : ٥ غ. ل. س. Taxe perçue 5 P. L. S.



الرسم الفوتوغرافي Photographie
الاشكال SIGNALEMENT

Nom et prénoms Zaini Mhallem
Prénom du père Abdouh
Nom et prénoms de la mère Chatou Mhallem
Date et lieu de naissance Hbbe 1906
Rite Chite
Profession
Lettré ou illettré illetré
Marié ou célibataire (enfants) épouse d'Ali Tarhini
Domicile (1) Hbbe
District L Sud Caza Saida
No. du registre 57/226

Le Gouvernement Libanais certifie que M. Zeini Mhallem est Libanais en foi de quoi nous lui avons délivré la présente carte d'identité

Le chef du recensement et de l'état civil — Le secrétaire

زيني معلم
عبده
شاتو معلم
عبا ١٩٠٦ شيعة
شيعيه
امية
زوجة علي ترحيني
عبا
لبنان الجنوبي قضاء صيدا
٥٧ / ٢٢٦
زيني معلم

وثيقة رقم (١١)

٦١٧ ب س
٦٨٥ قرار

نسخة حكمية جزائية صادرة عن محكمة صلح النبطية.

المدعي: الحق العام.

المدعى عليه: توفيق علي حسين: عبا.

الدعوى: اعتداء على مشاع.

"باسم الشعب اللبناني"

نحن صبحي الخياط حاكم صلح النبطية:

لدى التدقيق: تبين ان المسند اليه توفيق علي حسين من عبا عمره ٤٩ والثابت ما لم يوجب محضر ضبط مختار قريته مؤرخ / ٢٢ حزيران سنة ٩٤٨ انه اقدم في قريته على الاعتداء على مشاع القرية بمحلة القساره تكسير ما ينوف عن الاثني عشر دونم ارض من المشاع المذكور

وبالمحاكمة العلنية: تبين ان الدرك قاموا بالكشف على الارض المزعوم الاعتداء عليها ولم يأتوا بأدلة تثبت ان الارض التي يستعملها المدعى عليه ارض مشاعية،

وحيث ان المدعى عليه ادعى ملكية الارض موضوع النزاع وابرز شهادة من اعضاء اختيارية ووجوه قريته بانه لا يوجد ارض مشاعية في محلة القساره وان المختار نظم ضبطه بعامل الحزبية والانتقام.

وحيث ان النزاع على الشكل المبسوط حقوقي،

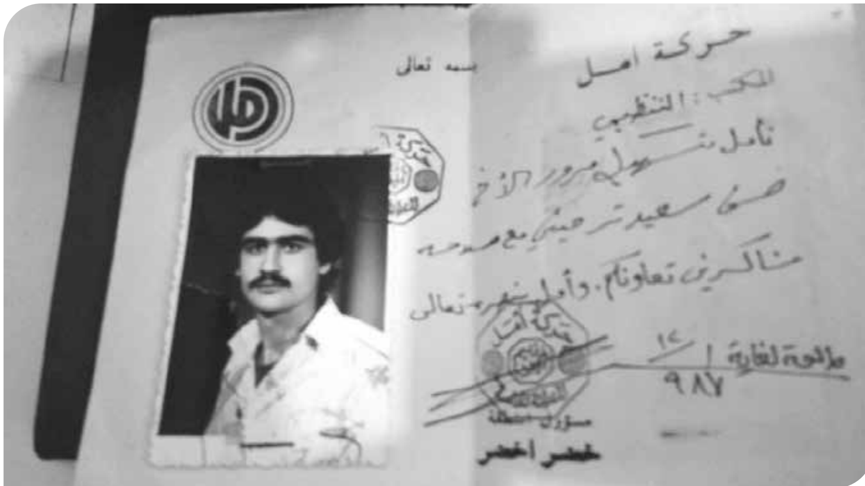
لذلك

سنداً للمادة ١٧٥ من الاصول الجزائية

نحكم ببراءة المدعى عليه حكماً وجاهياً تلي وافهم علناً مع النص القانوني في [illegible] عشر حزيران سنة ٩٤٨

صورة طبق الاصل

وثيقة رقم (١٢)

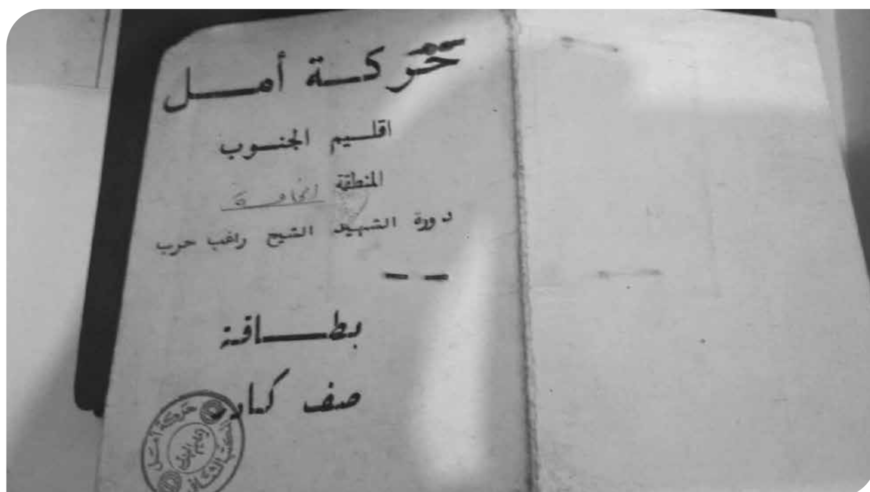

بسمه تعالى
حركة أمل
المكتب: التنظيم
نأمل تسهيل مرور الأخ
صفا سعيد ترحيني
شاكرين تعاونكم.
تعالى
صالحة لغاية ١ / ١٤
٩٨٧
مسؤول المنطقة
خضر أخضر

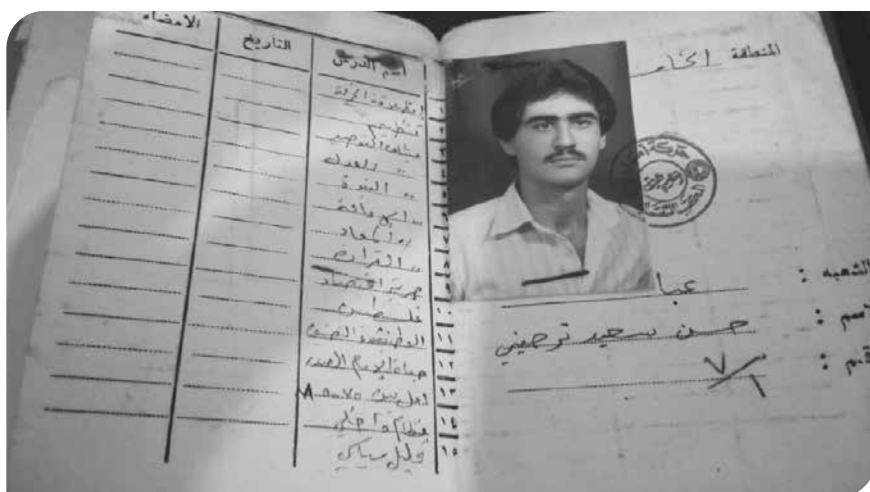
وثيقة رقم (١٣)


حسين العلم

غادر حسين يوسف العلم منزله في الشياح منذ ١٩٧٦/٣/١١ ولم يعد. الرجاء ممن يعرف عنه شيئاً الاتصال بالهاتف ٠٢٧٥٦٨٨

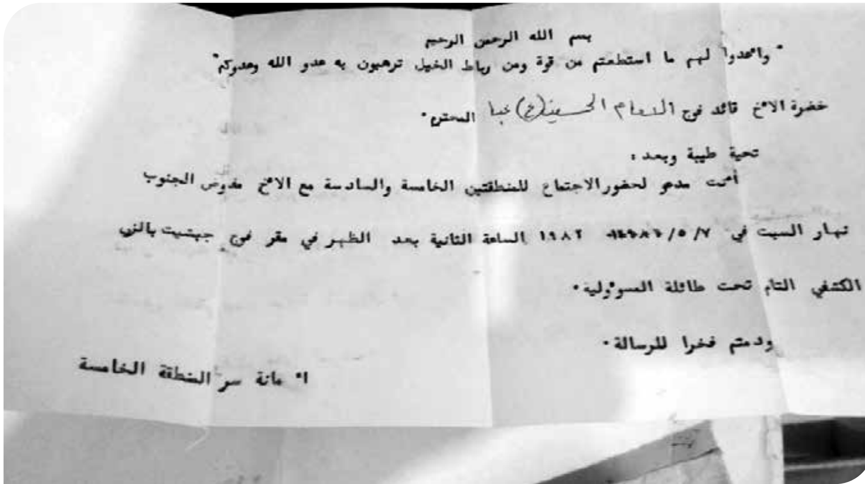
وثيقة رقم (١٤)


حركة أمل
اقليم الجنوب
المنطقة
دورة الشهيد الشيخ راغب حرب
بطاقة
صف كادر


المنطقة
الشعبه : عبا
الاسم : حسن سعيد ترحيني
رقم : ٧/١

الامضاء	التاريخ	اسم الدرس

وثيقة رقم (١٥)



بسم الله الرحمن الرحيم

"واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم"

حضرة الأخ قائد فوج الإمام الحسين (ع) جبا المحترم.

تحية طيبة وبعد،

أنت مدعو لحضور الاجتماع للمنطقتين الخامسة والسادسة مع الأخ مفوض الجنوب

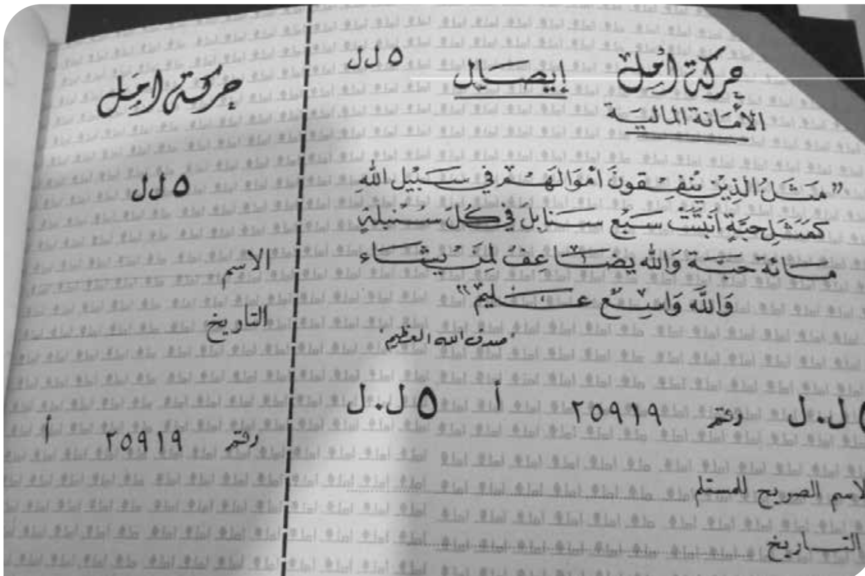
نهار السبت في ٧/٥/١٩٨٢ الساعة الثانية بعد الظهر في مقر فوج جبشيت بالزي

الكشفي التام تحت طائلة المسؤولية.

ودمتم فخرا للرسالة.

أمانة سر المنطقة الخامسة

وثيقة رقم (١٦)



حركة أمل

٥ ل.ل

الاسم

التاريخ

رقم ٢٥٩١٩ أ

حركة أمل إيصال ٥ ل.ل

الأمانة المالية

"مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم"

صدق الله العظيم

٥ ل.ل أ ٢٥٩١٩ رقم ٥ ل.ل

الاسم الصريح للمستلم

التاريخ

وثيقة رقم (١٧)

תעודת זהוי-עציר אנצר

الهوية الشخصية لمعتقلي الانصار

מספר / الرقم	90514
השם הפרטי / الاسم الشخصي	
שם אב / اسم الأب	
שם סב / اسم الجد	
שם משפחה / اسم العائلة	
שנת לידה / سنة الولادة	64
ארץ מוצא / مكان الولادة	
צבע עיניים / لون العينين	
גובה / الطول	
תאריך / تاريخ	23-5-84
חתימה / توقيع	

90514

يلفت انتباه حامل بطاقة الهوية الى التفاصيل التالية :

١- عليك استعمال بطاقة الهوية والمحافظة عليها .

٢- تستعمل هذه الهوية للتشخيص الشخصي .

أ - يوم الافراج .

ب- استلام الامانات .

ج- استلام المعالجة الطبية .

٣- الهوية شخصية وممنوع تسليمها للغير وكذلك لحل المشاكل الشخصية والعائلية .

وثيقة رقم (١٨)

COPIE 02/643
21 JUN 2002

COMITÉ INTERNATIONAL DE LA CROIX-ROUGE
DELEGATION AU LIBAN
اللجنة الدولية للصليب الاحمر
الوفد المنتدب الى لبنان

A QUI DE DROIT

Le Comité International de la Croix-Rouge certifie que
M. ......HASSAN SAID IBRAHIM TARHINI.......................,
né en 19.64, no. d'enregistrement CICR : ......30451........,
arrêté le 14/05/1984 .quatorze.mai.1984...............
par l'armée israélienne, a été transféré du camp d'Insar (Sud-Liban) au camp d'Atlit (Israël) jusqu'à sa libération le 29/05/1985 vingt-neuf mai 1985

Délégué CICR
Violène Dogny

Date et lieu : Beyrouth, le 3 juin 1985

الى من يهمه الامر

تشهد اللجنة الدولية للصليب الاحمر أن
السيد ....حسن سعيد ابراهيم ترحيني.....................
مولود سنة ....١٩٦٤...........رقم الصليب ...٣٠٤٥١.......
اوقف بتاريخ .١٤/٥/١٩٨٤..الرابع عشر من ايار ١٩٨٤.........
من قبل الجيش الاسرائيلي ونقل من مخيم انصار (جنوب لبنان) الى مخيم عتليت (اسرائيل) حتى اطلاق سراحه بتاريخ ..٢٩/٥/١٩٨٥..التاسع والعشرين من ايار ١٩٨٥.........

مندوب اللجنة الدولية للصليب الاحمر
فيولين دوغني

المكان والتاريخ : بيروت في ٣ حزيران ١٩٨٥

... KOWEIT IMM. MAKAREM B. P. 7188 TELEPH...

...H - RUE SADAT - IMM. ITANI - Tél.: 961 1 739 297 /8 /9 - Fax : 961 1 740 087 - E-mail : beyrouth.bey@icrc.org - B...

وثيقة رقم (١٩)


תעודת זהוי-עציר אנצר
الهوية الشخصية لمعتقلي الانصار

92109

64

170

21/3/85

وثيقة (٢٠)


Comité International de la Croix-Rouge
Geneve

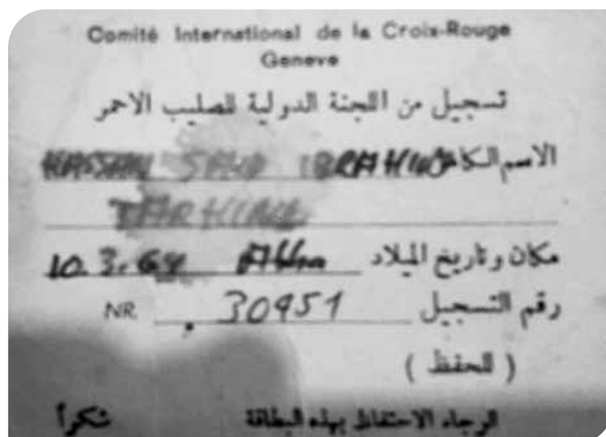
تسجيل من اللجنة الدولية للصليب الاحمر

الاسم الكامل HASAN SAID IBRAHIM
TARHINI

مكان وتاريخ الميلاد Aaba, 1964

رقم التسجيل
(للحفظ) № 30451

الرجاء الاحتفاظ بهذه البطاقة شكراً


Comité International de la Croix-Rouge
Geneve

تسجيل من اللجنة الدولية للصليب الأحمر

الاسم الكامل

مكان وتاريخ الميلاد 10.3.64

رقم التسجيل NR. 30951

(الحفظ)

الرجاء الاحتفاظ بهذه البطاقة شكراً

وثيقة رقم (٢١)

AGENCE CENTRALE DE RECHERCHES
COMITÉ INTERNATIONAL DE LA
CROIX-ROUGE
GENÈVE - (Suisse)

CENTRAL TRACING AGENCY
INTERNATIONAL COMMITTEE OF THE
RED CROSS
GENEVA - (Switzerland)

كل ع م اللجنة الدولية للصليب الاحمر
(جنيف - سويسرا)

EXPÉDITEUR - SENDER - المرســل

Prénom / Name — اسم الشخص: حسن

Nom de père / Father's name — اسم الاب: سعيد

Nom de famille / Family name — اسم العائلة: ترحيني

Adresse de l'expéditeur / Sender's address (rue - localité - pays) (street - locality - country) — عنوان المرسل (الشارع - القرية او المدينة - البلاد): ا دهار معسكر "ب" B.G

رقم الطلب ٢٠٤٠١

MESSAGE FAMILIAL رسالة عائلية FAMILY MESSAGE

DESTINATAIRE - ADDRESSEE - المرسل اليه

Prénom / Name — اسم الشخص: سعيد

Nom de père / Father's name — اسم الاب: ابراهيم

Nom de famille / Family name — اسم العائلة: ترحيني

Adresse du destinataire / Addressee (rue - localité - pays) (street - locality, country) — عنوان المرسل اليه (الشارع - القرية او المدينة - البلاد): عبا الطريق الصلح

ملاحظة: نحن احيينا مهرجاناً في ٣١ آب بمناسبة الذكرى السادسة لإخفاء الإمام القائد السيد موسى الصدر فدا الله اسره واسرنا جميعاً

لن تموت أمة زرع الصدر فيها أمل

Prière d'écrire très lisiblement - الرجاء الكتابة بخط واضح جداً - Please write very legibly

وثيقة رقم (٢٢)

COMITÉ INTERNATIONAL DE LA CROIX-ROUGE
GENEVE (Suisse)

اللجنة الدولية للصليب الأحمر
(جنيف – سويسرا)

EXPEDITEUR – المرسل – SENDER

Full name / Prénoms et nom — الإسم بالكامل: حسن سعيد ترحيني
Street / Rue — الشارع
Locality / Localite — الحي أو المنطقة: عتليت / معسكر H
Village or town / Village ou ville — القرية أو المدينة
Country / Pays — البلد: خيمة "٣" CICR 30451

MESSAGE FAMILIAL — رسالة عائلية — FAMILY MESSAGE

DESTINATAIRE – المرسل اليه – ADDRESSEE

Full name / Prénoms et nom — الإسم بالكامل: سعيد ابراهيم ترحيني
Street / Rue — الشارع
Locality / Localite — الحي أو المنطقة: عبّا / قضاء النبطيه
Village or town / Village ou ville — القرية أو المدينة: الشارع العام قرب حلاقة وتزيين
Country / Pays — البلد: أبو علي جانب الحاجه ونسه

الرجاء الكتابة بخط واضح جدا

Priere d'ecrire tres lisiblement — Please write very legibly

وثيقة رقم (٢٣)

COPIE 02/643
21 JUN 2002

AGENCE DE RECHERCHES C.I.C.R. BEYROUTH

COMITÉ INTERNATIONAL GENÈVE

COMITÉ INTERNATIONAL DE LA CROIX-ROUGE
DELEGATION AU LIBAN
اللجنة الدولية للصليب الاحمر
الوفد المنتدب الى لبنان

A QUI DE DROIT

Le Comité International de la Croix-Rouge certifie que
M. ...HASSAN SAID IBRAHIM TARHINI...............,
né en 19.64, no. d'enregistrement CICR : ....30451.........,
arrêté le 14/05/1984 .quatorze.mai.1984...............
par l'armée israélienne, a été transféré du camp d'Insar (Sud-Liban) au camp d'Atlit (Israël) jusqu'à sa libération le 29/05/1985 vingt-neuf mai 1985

Délégué CICR
Violaine ...

AGENCE DE RECHERCHES BEYROUTH

Date et lieu : Beyrouth, le 3 juin 1985

الى من يهمه الامر

تشهد اللجنة الدولية للصليب الاحمر أن
السيد ...حسن سعيد ابراهيم ترحيني...............
مولود سنة ....١٩٦٤........... رقم الصليب ...٣٠٤٥١......
اوقف بتاريخ .١٤/٥/١٩٨٤...الرابع عشر من ايار ١٩٨٤........
من قبل الجيش الاسرائيلي ونقل من مخيم انصار (جنوب لبنان) الى مخيم عتليت (اسرائيل) حتى اطلاق سراحه بتاريخ ..٢٩/٥/١٩٨٥...التاسع والعشرين من ايار ١٩٨٥.........

مندوب اللجنة الدولية للصليب الاحمر
فيولين ...

المكان والتاريخ : بيروت في ٣ حزيران ١٩٨٥

...U KOWEIT IMM. MAKAREM B. P. 7188 TELEPH...

...H - RUE SADAT - IMM. ITANI - Tél.: 961 1 739 297 /8 /9 - Fax : 961 1 740 087 - E-mail : beyrouth.bey@icrc.org - B...

وثيقة رقم (٢٤)



عتبة باب دار ----------------

وثيقة رقم (٢٥)

N 36921 الرقم ٣٦٩٢١

الاسم ترحيني
الشهرة محمود حسن
تاريخ ومحل الولادة ١٩٢٧ عبا
محل الاقامة بيروت

Nom Tarhini
Prénoms Mahmoud Hassan
Date et lieu de naissance 1927 Abba
Domicile Beyrouth

SIGNATURE du DÉTENTEUR
امضاء حامل الرخصة

١٩٥٠

شروح خاصة تتعلق بتوسيع صلاحية رخصة السوق
Mentions spéciales d'extension de Validité

الرقم N
رخصة صالحة لسوق السيارات المخصصة لنقل بالاجرة.
Valable pour la conduite des Véhicules affectés à des transports payants.

الرقم N
رخصة صالحة لسوق السيارات التي يزيد وزنها مع حمولتها على ٣٠٠٠ كيلو غرام.
Valable pour la conduite des Véhicules pesant en charge plus de 3000 Kgs.

الرقم N
رخصة صالحة لسوق السيارات المعدة لنقل اكثر من ستة اشخاص.
Valable pour la conduite des Véhicules aménagés pour le transport de plus de 6 passagers.

الرقم N
رخصة صالحة لسوق دراجة نارية ذات دولابين.
Valable pour la conduite des Motocycles à deux Roues.

تأشيرات التجديد
VISAS DE RENOUVELLEMENT

الختم ذو التاريخ والتوقيع TIMBRE A DATE ET SIGNATURE	الختم ذو التاريخ والتوقيع TIMBRE A DATE ET SIGNATURE
Année 194 ١٩٤ سنة	Année 194 ١٩٤
Année 194 ١٩٤ سنة	Année 194 ١٩٤
Année 194 ١٩٤ سنة	Année 194 ١٩٤

RÉPUBLIQUE LIBANAISE
الجمهورية اللبنانية
Ministère des Travaux Publics
وزارة الاشغال العامة
SERVICE AUTOMOBILE
مصلحة المواصلات البرية

— رخصة سوق السيارات

(اذا لم تذكر في الصفحة ٣ شروح خاصة بهذا الصدد ... الرخصة صالحة لسوق السيارات التالية: «١» السيارات المعدة ... «٢» السيارات التي يزيد وزنها مع حمولتها على ٣٠٠٠ كيلوغرام «٣» ... المعدة لنقل اكثر من ٦ اشخاص «٤» الدراجات النارية ذات الدولابين (قرار رقم ١٠ تاريخ ١٨ كانون الثاني سنة ١٩٣٤ المادة ٣٤)

PERMIS DE CONDUIRE LES VEHICULES AUTOMOBILES
Sauf mentions spéciales inscrites page 3, le présent permis n'est pas valable pour la conduite des véhicules ci-après : 1° véhicules affectés à des transports payants; 2° véhicules pesant en charge plus de 3000 kgs. 3° Véhicules aménagés pour plus de 6 passagers; 4° Motocycles à deux roues.
Arrêté No. 10 A.R. du 18 Janvier 1934 (Article 34)

اعطاء رخصة السوق
DÉLIVRANCE DU PERMIS DE CONDUIRE

المكان بيروت
Lieu Beyrouth
التاريخ
Date
التوقيع
SIGNATURE

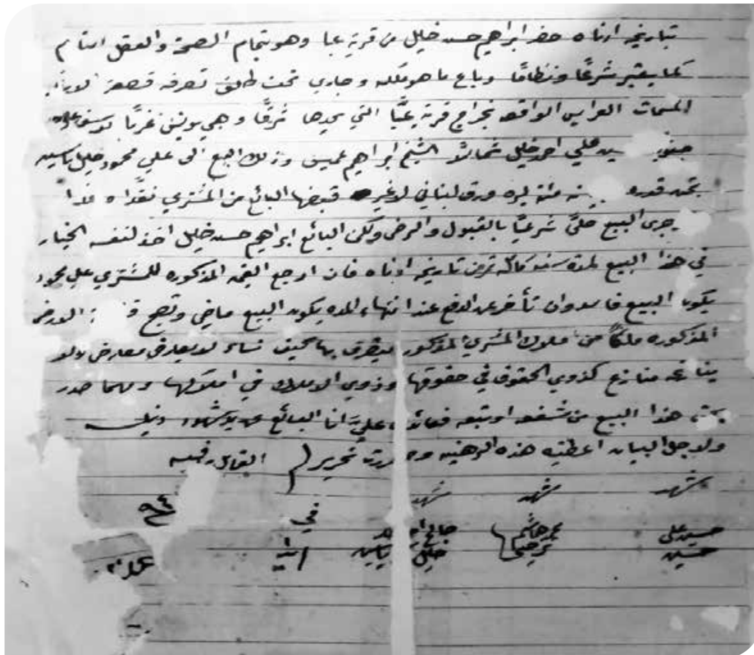
وثيقة رقم (٢٦)

وثيقة رقم (٢٧).

نص الوثيقة رقم (٢٨)

بتاريخه أدناه حضر إبراهيم حسن خليل من قرية عبا وهو بتمام الصحة والعقل التام كما يعتبر شرعًا ونظامًا وباع ما هو ملكه وجارٍ تحت لحق تعرفه قصعة [قطعة] الأرض المسماة العرايس الواقعة بخراج قرية عبّا التي يحدها شرقًا وهبي يونس غربًا يوسف علي حسين جنوبًا حسين علي أحمد خليل شمالًا الشيخ إبراهيم عميس وذلك البيع إلى علي محمود خليل ياسين بثمن قدره ؟ ليرة ورق لبناني لا غير قبضها من المشتري نقدًا وعدًّا وجرى البيع حليًّا شرعيًّا بالقبول والرضا ولكن البائع إبراهيم حسن خليل أخذ لنفسه الخيار في هذا البيع لمدة سنة كاملة تمر من تاريخه أدناه فإن أرجع القيمة المذكورة للمشتري علي محمود يكون البيع فاسدًا وإن تأخر عن الدفع عند انتهاء المدة يكون البيع ماضيًا وتصبح قطعة الأرض المذكورة ملكًا من ملاك المشتري المذكور يتصرف بها كيف شاء لا يعارضه معارض ولا ينازعه منازع كذوي الحقوق في حقوقها وذوي الأملاك في أملاكها ومهما صدر بحق هذا البيع من شفعة أو تبعة فعائدة عليّ أنا البائع عن يد شهود ذيل ولأجل البيان أعطيته هذه الرهينة وحررت تحريرًا له فيها

شهد	شهد	شهد
حسين علي حسين	محمد هاشم ترحيني	صالح أحمد خليل ياسين



تبايعنا أدناه حضر إبراهيم حسن خليل من قرية عبا وهو بتمام الصحة والعقل [illegible]
[illegible] شرعاً ونظاماً وباع ما هو ملكه وجاري تحت تصرفه قطعة [illegible]
المسماة العرايس الواقعة بخراج قرية عبا التي يحدها شرقاً و[illegible] غرباً [illegible]
جنوباً [illegible] علي أحمد خليل شمالاً الشيخ إبراهيم عيسى [illegible] إلى علي محمود خليل [illegible]
بثمن قدره [illegible] ليرة [illegible] قبضها البائع من المشتري نقداً [illegible]
جرى البيع على شرعاً بالقبول والرضى ولكن البائع إبراهيم حسن خليل أخذ لنفسه الخيار
في هذا البيع لمدة سنة كاملة من تاريخه أدناه فإن أرجع القيمة المذكورة للمشتري على وجود
يكون البيع فاسداً وإن تأخر عن الدفع عند انتهاء المدة يكون البيع ماضي وتصبح [illegible] الأرض
المذكورة ملكاً من ملكيات المشتري المذكور يتصرف بها كيف شاء [illegible] معارض ولو
[illegible] منازع كذوي الحقوق في حقوقها وذوي [illegible] وإذا ما حدث
[illegible] هذا البيع من شفعة أو تبعة فعائدة على البائع [illegible] ذلك
ولدى [illegible] أعطينا هذه الوثيقة [illegible] تحريراً في [illegible]

شهد [illegible] شهد [illegible] حسين علي [illegible]

ملاحظة: باقي أجزاء الوثيقة متلفة غير واضح فيها توقيع البائع والشاري وكذلك تاريخ البيع إنما يظهر أنه في الأربعينات من القرن الماضي. وثيقة رقم (٢٨).

بسم اللّه الرحمن الرحيم

كامل بياض عين السفلى يحده قبلة السيد محمد علي شرقًا حسن سليمان عميص شمالًا محمد كلوت غربًا ورثاء السيد علي حسين

كامل قطعة وادي عالي شرقًا علي مصطفى هارون شمالًا محمود حسن عبد اللّه غربًا السيد أحمد علي حسين قبلة طريق

بتاريخه أنا الباصم إبهامي بذيله عبد حسين أحمد ترحيني من عبّا أقر وأعترف وأنا بحالة معتبرة شرعًا من صحة جسم وتمام عقل أني بعت بالبيع القطعي كامل قطعتَي الأرض المحررة والمبين حدودها أعلاه الواقعتين بخراج قريتنا عبّا والبيع من المشتري توفيق علي حسين أحمد ترحيني من قريتنا المذكورة بمبلغ سبعمئة ليرة لبنانية ورق قبضتها من المشتري المذكور يوم تاريخه نقدًا وعدًّا تمامًا وكمالها وجرى البيع صحيحًا شرعيًّا باتًّا بدون جبر ولا إكراه بل بتمام الرضا والاختيار بيعًا جامعًا للشروط فاقدًا للموانع مشتملًا على الإيجاب والقبول والتخلية الشرعية وجرى التسلم والتسليم وأسقطت عنه كل غبن وغرر فيما لو كان وعليه فقد أصبحت القطعتين المحررتين أعلاه بكاملهما ملكًا إلى المشتري توفيق المذكور يتصرف بهما كيفما شاء وأراد بدون معارض ولا منازع وللبيان حررت له هذه الحجة للعمل بموجبها وقت اللزوم عديد شهود ذيله واللّه خير الشاهدين

شهد يوسف علي حسين ٥ تموز ١٩٤٣

علي حسين أحمد التوقيع عبد اللّه حسين أحمد

شهد

علي حماده

بسم الله الرحمن الرحيم

كامل قطعة
وادي عالي
شرقاً ملك مصطفى هارون شمالاً
محمود حسن عبدالله غرباً السيد أحمد
علي حسين قبلة طريق

... بياض عين السفلى
... قبلة السيد محمد علي شرقاً حسن
... شمالاً محمد كلوت
غرباً ورثة السيد علي حسين

...ريخه أنا الباصم إبهامي أدناه عبدالله حسين أحمد ترحيني من عبا أقر واعترف وأنا بحالة معتبرة شرعاً من
...حة جسم وتمام عقل أني بعت بالبيع القطعي كامل قطعتي الأرض المحررة والمبينة حدودهما أعلاه الواقعتين
...راج قريتنا عبا والبيع من المشتري توفيق علي حسين أحمد ترحيني من قريتنا المذكورة بمبلغ
...سبعماية ليرة لبنانية وقد قبضتها من المشتري المذكور بتاريخه نقداً وعداً تماماً وكمالاً وجرى
...بيع صحيحاً شرعياً باتاً بدون جبر ولا إكراه بل بتمام الرضا والاختيار. بيعاً جامعاً للشروط
...قداً للموانع مشتملاً على الإيجاب والقبول والتخلية الشرعية وجرى التسلم والتسليم وأسقطت عنه
...ل غبن وغرر [illegible] فقد أصبحت القطعتين المحررة أعلاه بكاملها ملكاً إلى المشتري توفيق المذكور
...يتصرف بها كيفما شاء وأراد بدون معارض أو منازع وإذا تبين على هذا المبيع عيب أو تبعة
...و شفعة فعائدة علي أنا البائع كما يجب شرعاً وللبيان حررت له هذه الحجة للعمل بموجبها وقت
...اللزوم [illegible] والله خير الشاهدين

عبدالله حسين أحمد ترحيني

شاهد

وثيقة رقم(٢٩).

نص الوثيقة (٣٠)

بتاريخه قد حضر الفريقان مريم ابنت [ابنة] محمد الحاج حسين عميس من قريتنا عبا والفريق الثاني السيد توفيق علي حسين أحمد من قريتنا المذكورة واتفقا على الشروط الأتية [الآتية] أدناه

أولًا الفريق الأول وهيا [وهي] مريم المذكورة لها قطعة أرض تسما [تسمى] جلالي التبقة المتصلي [المتصلة] إليها من أصل مهرها من زوجها أمين موسى إبراهيم التي يحدها شرقًا محمد علي قاووق غربًا محمود محسن شمالًا محمد كلوت وحسن الحاج إبراهيم ومريم عميس جنوبًا محمد الحاج حسين والسيد أمين حسين أحمد فعليه الفريق الأول وهيا [وهي] مريم اتفقة [اتفقت] مع الفريق الثاني أن تسلمه قطعة الأرض المذكورة بكامل حدودها على أن يملكها أي يغرسها تين وعنب ------- خلاف ذالك [ذلك] وأن يكون الا [إلى] الفريق الثاني نصف قطعة الأرض بدلً [بدلًا] عن أتعابه وثمن الغرس فأجاب الفريق الثاني على ذالك [ذلك] وقد جعلا مدة التمليك الا [إلى] مضي ست سنين فإن ملكت الأرض كانت مناصفة إلى الفريقين وإن ما ملكت لا يكون للفريق الثاني دعوة في القطعة فعليه قد وقع الاتفاق بعدما تصالح الفريقان صلحًا شرعيًّا أن كل من خالف الاتفاق أن يدفع ثلاثمئة ليرة ورق لبناني عطل ودرر [ضرر] فعلا [فعلى] هاذا [هذا] تم الرضا عن يد شهود.

الفريق الثاني

توفيق علي حسين أحمد الإمضاء

الفريق الأول

بصمة إبهام مريم محمد عميس

بتاريخ قد حضر الفريقان مريم ابنت محمد الحاج حسين عيسى
من قريتنا عبا والفريق الثاني السيد توفيق علي حسين احمد من قريتنا
المذكوره واتفقا على الشروط الأتيه ادناه
اولاً الفريق الأول وهيا مريم المذكوره لها قطعة ارض
تسما جلالي التبقه المتصلي اليها من اصل مهرها من زوجها
امين موسى ابراهيم الذي يحدها شرقا محمد علي قاووق غربا
محمود محسن شمالاً محمد كاوه وحسن الحاج ابراهيم ومريم عجمي
جنوبا محمد الحاج حسين والسيد امين حسين احمد فعليه الفريق الأول
وهيا مريم اتفقة مع الفريق الثاني ان تسلمه القطعة الأرض
المذكوره بكامل حدودها على ان يملكها اي يغرسها تين
وعنب وجميع الاوادم خلاف ذالك و[illegible] ان يكون الى الفريق
الثاني نصف القطعه بدلاً من اتعابه وثمن الغرسه فاجاب
الفريق الثاني على ذالك وقد جعلا مدة التمليك الى مضي
ستة سنين فان ملكت الأرض كانت مناصفه الى الفريقين
وان ما ملكت لا يكون الى الفريق الثاني دعوه في القطعه
فعليه قد وقع الأتفاق بعدما تصالحا الفريقان من الحاضرين
ان كل من خالف الأتفاق ان يدفع ثلاث مائة ليره ورق لبناني
عطل وضرر فعلا هاذا ما رضي حرر بشهود

RÉPUBLIQUE LIBANAISE — DROIT FISCAL — 2 غرشان PIASTRES

الفريق الأول

JANVIER

وثيقة رقم (٣٠)

REPUBLICA LIBANESA

CERTIFICADO DE NACIONALIDAD

El Cónsul del Líbano en Buenos Aires, certifica que

el señor DAUD AMATE

hijo de Mohamed

y de Chamlakén Harb

nacido en Yebchitt Dto. Saida

Nación Líbano el día [illegible] del mes de marzo

del año 1885 de profesión obrero

es de nacionalidad LIBANESA, está matriculado bajo el N° I/460/[illegible]

Edad 65 [illegible] tura .... Cabello ....

Frente .... Nariz ....

Boca .... Cara .... Señas particulares visibles

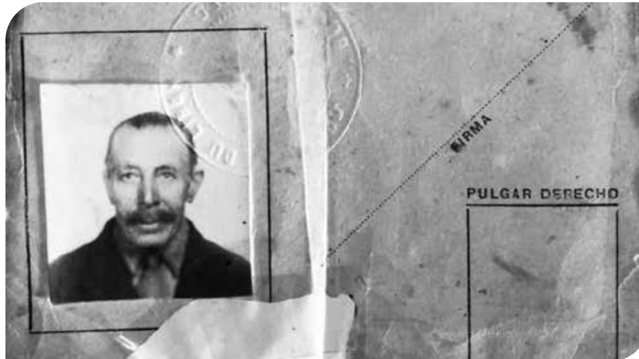
CONSULAT DU LIBAN BUENOS-AYRES

PIASTRES

Buenos Aires, 12 de junio de 1950

EL CONSUL DEL LIBANO

HABIB SALEH



وثيقة رقم (٣١).

...ة التربية الوطنية

١٢٦٦

حضرة السيد محسن عبده ترحيني

عينت بموجب المرسوم رقم ٦٢٩٤ تاريخ ٦/٧/٦١ مدرسا
متمرنا في المدارس الرسمية ، والحقت بموجب القرار رقم ١٤١ تاريخ
٢١/٣/٦٧ بمدرسة ... قضاء ...

اطلب اليك الالتحاق بمركز عملك المذكور ، وابداعي تاريخ
مباشرتك العمل بواسطة دائرة التربية في المحافظة ، مع الاشارة الى انه
في حال عدم التحاقك بمركز عملك في خلال خمسة عشر يوما من تاريخ
تبلغك هذا الكتاب ، تعتبر مستقيلا من الوظيفة ، عملا باحكام الفقرة
الاولى من المادة ٦٥ من المرسوم الاشتراعي رقم ١١٢ تاريخ ١٢/٦/٥٩

بيروت في ٢١ آذار ١٩٦٧

مدير التعليم الابتدائي

جورج صليبا

تبلغت هذا الكتاب بتاريخ

التوقيع :

وثيقة رقم (٣٢)

جانب المصلحة الادارية المشتركة

- دائرة المحاسبة -

الموضوع : مباشرة عمل السيد محسن عبده ترحيني

المرجع : ... مدرسة ... المسجل بالرقم ٢٠٧٧/٦ تاريخ ٢/٧/١٩٨٦ .

نعلمكم بأن السيد محسن عبده ترحيني ، مدير مدرسة عبا الرسمية ...

... ٢٣/٦/١٩٨٦ ...

... ٢٣/٦/١٩٨٦ .

وثيقة رقم (٣٣)


الجمهورية اللبنانية
وزارة الداخلية والبلديات - محافظة النبطية
بلدية عبّا
رقم التسجيل : ٨٢٣ تاريخ : ١٩ -١٢- ٢٠١٧

قرار رئاسي رقم (٤)

ان رئيس بلدية عبّا
بناء على احكام القانون الصادر بالمرسوم الاشتراعي رقم ١١٨ تاريخ ١٩٧٧/٦/٣٠ (قانون البلديات)
بناء على نظام موظفي البلدية وتعديلاته الصادر بالقرار رقم ٤ تاريخ ٢٠١٠/١/٢٣ .
بناءً على كتاب وزير الداخلية والبلديات رقم ١٧١٠١ تاريخ ٢٩/ ٢٠١٧/٩ المتعلق بملأ الوظائف الشاغرة في بلدية عبّا - محافظة النبطية .
بناءً على نتيجة المباراة الخاصة بوظيفة أمين الصندوق التي جرت بتاريخ ٢٠١٧/١١/٢٤ وبتمثيل وزارة الداخلية .
يقرر ما يلي :
المادة الاولى : تعيّن السيدة نبال قاسم قاووق بوظيفة أمين الصندوق في ملاك بلدية عبّا في الفئة الرابعة - رتبة ثانية وفي الراتب المخصص لهذه الفئة .
المادة الثانية : يعمل بهذا القرار بعد إقترانه بموافقة وزير الداخلية والبلديات .

في : ١٩-١٢- ٢٠١٧
رئيس البلدية
رئيس بلدية عبا
محمد عبد الحسين عميص


الجمهورية اللبنانية
وزارة الداخلية والبلديات - محافظة النبطية
بلدية عبّا
رقم التسجيل : ٨٢٤ تاريخ :١٩ - ١٢ - ٢٠١٧

قرار رئاسي رقم (٥)

ان رئيس بلدية عبّا
بناء على احكام القانون الصادر بالمرسوم الاشتراعي رقم ١١٨ تاريخ ١٩٧٧/٦/٣٠ (قانون البلديات)
بناء على نظام موظفي البلدية وتعديلاته الصادر بالقرار رقم ٤ تاريخ ٢٠١٠/١/٢٣ .
بناءً على كتاب وزير الداخلية والبلديات رقم ١٧١٠١ تاريخ ٢٩/ ٢٠١٧/٩ المتعلق بملأ الوظائف الشاغرة في بلدية عبّا - محافظة النبطية .
بناءً على نتيجة المباراة الخاصة بوظيفة شرطي بلدي التي جرت بتاريخ ٢٠١٧/١١/٢٤ وبتمثيل وزارة الداخلية .
يقرر ما يلي :
المادة الاولى : يعيّن السيد محمد حسين نعمة ترحيني بوظيفة شرطي بلدي في ملاك بلدية عبّا في الفئة الرابعة - رتبة ثانية وفي الراتب المخصص لهذه الفئة .
المادة الثانية : يعمل بهذا القرار بعد إقترانه بموافقة وزير الداخلية والبلديات .

في : ١٩-١٢- ٢٠١٧
رئيس البلدية
رئيس بلدية عبا
محمد عبد الحسين عميص

وثيقة رقم (٣٤)

جمعية الحمير

الجمعية جمعية إنسان
بس الاسم بإسم الحيوان
لو تعرف مين الحمار
حمار اللي دمر لبنان

لسان أخرس أفضل
من لسان ناطق
بالكذب

جمعية الحمير

شعارنا : السلام

صنف نفسك كما تشاء

جمعية الحمير

وثيقة رقم (٣٥).

وثيقة رقم (٣٦)

بسم الله الرحمان الرحيم
رضيت بالله ربًا وبالاسلام دينًا ومحمد صلى
الله عليه وآله كتابًا وبالكعبة قبلة وبالصلوة
فريضة وبعلي عليه السلام اماما وبالحسن
والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر
بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى
ومحمد بن علي وعلي بن محمد والحسن بن
علي ومحمد بن الحسن صاحب العصر والزمان
وخليفة الرحمن ومظهر الايمان وسيد الانس
والجان صلوات الله وسلامه عليه وعليهم
اجمعين يا الله يا ارحم الراحمين اللهم اني اودعتك
يقيني هذا الاقرار بك وبالنبي والائمة عليهم
السلام

وثيقة رقم(٣٧)

مكتب سفريات الصفاء
بيروت - لبنان
رقم الهاتف : ٢٤٧٨٩٨

بسم الله الرحمن الرحيم

شخص عدد ١

رقم البيان ١ اسم السائق اسعد منجد رقم السيارة ٩٥٤٠٩

اسم الحاج آمنه عبدو نرحيني	اسم المعرف الحاج عبد الله شراب حيدر
اسم الزوجة /	اسم المطوف القنام
الجنسية لبنانية	اسم الدليل حمدو الله
محل وتاريخ الولادة عبا ١٩٠٠	رقم الشك
رقم الجواز ٢٩٩١١	قيمة الشك
مصدره وتاريخه بيروت	رقم الحاج المتسلسل

سفريات الصفا
ساحة رياض الصلح
طريق البسطة - ملك صنع الله
تلفون ٢٤٧٨٩٧ - بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

عدد الاشخاص ١ رقم البيان ٣

اسم الحاج وشهرته حسين علي ترحيني	اسم المعرف الحاج معروف ترحيني
اسم الزوجة	اسم السائق محمد رضا قانصو
محل وتاريخ الولادة عبا ١٩٢٦	رقم السيارة ٩٥٥٧٦
محل الاقامة	رقم الحاج على البيان ١٣
الجنسية لبنانية	رقم الشيك
رقم الجواز ومصدره ٧٤٤٤١٥ بيروت	قيمة الشيك
تاريخه ٢٦/١/١٩٨٠	

وثيقة رقم (٣٨)

— 10 —
FATME ABDALLAH
VISAS

توقف بيش از مدت فوق مشروط به تحصيل اجازه ديگر ميباشد
قونسولگرى دولت شاهنشاهى

تحصيل مرور دون توقف

VISAS

CONSULAT GÉNÉRAL ROYAL D'IRAK à Beyrouth
القنصلية الملكية العراقية العامة في بيروت
No 14241 le 28/9/35
رقم ... التاريخ ...
صالح لسفر الى العراق للمرور
Bon pour se rendre en Irak en transit pour une seule fois
مرة واحدة خلال
pendant la durée de
من هذا التاريخ مع صلاحية البقاء
mois à partir d'aujourd'hui avec faculté d'arrêt de
فيه لمدة خمسة عشر يوماً من تاريخ وصوله
quinze jours à dater du passage
الحدود العراقية
à la frontière Irakienne.

Le Consul Général
القنصل العام

وثيقة رقم (٣٩)



دائرة تنفيذ النبطية

في المعاملة التنفيذية رقم ١٠٦/ ٢٠١٧ المكونة بين
المنفذ [illegible] هارون ترحيني ورفاقه والمنفذ ضدهم ابراهيم ترحيني
ورفاقه، صدر قرار عن رئاسة دائرة تنفيذ النبطية تاريخ
٢٧/٣/٢٠١٧، قضى بإنفاذ القرار الصادر عن قاضي الأمور
المستعجلة في النبطية والقاضي بإقفال الطريق المفتوحة
في العقار رقم ٢٠٩٨ من منطقة عبّا العقارية

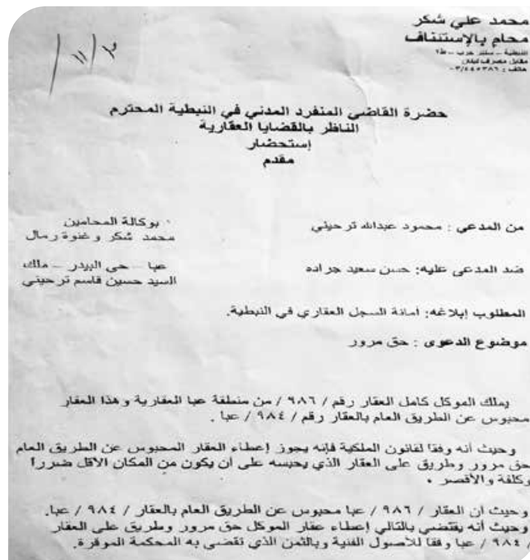
بناءً عليه

[illegible] إنفاذ القرار المنوّه عنه أعلاه وتم إقفال الطريق المفتوحة
وذلك بتاريخ ٣١/٣/٢٠١٧ بحضور المنفذ هارون ترحيني
وبإشراف مأمور التنفيذ ميرفت زبيب

لذلك

يمنع على أيٍّ كان إعادة فتح الطريق إلا بوجود [illegible]
قضائي ينص على ذلك، تحت طائلة الملاحقة الجزائية

وثيقة رقم (٤٠).



محمد علي شكر
محام بالإستئناف

٢/١١/

حضرة القاضي المنفرد المدني في النبطية المحترم
الناظر بالقضايا العقارية
إستحضار
مقدم

من المدعي : محمود عبدالله ترحيني — بوكالة المحامين محمد شكر و غنوة رمال

ضد المدعى عليه: حسن سعيد جراده — عبا – حي البيدر – ملك السيد حسين قاسم ترحيني

المطلوب إبلاغه: أمانة السجل العقاري في النبطية.

موضوع الدعوى : حق مرور

يملك الموكل كامل العقار رقم / ٩٨٦ / من منطقة عبا العقارية وهذا العقار محبوس عن الطريق العام بالعقار رقم / ٩٨٤ / عبا .

وحيث أنه وفقا لقانون الملكية فإنه يجوز إعطاء العقار المحبوس عن الطريق العام حق مرور وطريق على العقار الذي يحبسه على أن يكون من المكان الاقل ضررا وكلفة والأقصر .

وحيث ان العقار / ٩٨٦ / عبا محبوس عن الطريق العام بالعقار / ٩٨٤ / عبا.
وحيث أنه يقتضي بالتالي إعطاء عقار الموكل حق مرور وطريق على العقار / ٩٨٤ / عبا وفقا للأصول الفنية وبالثمن الذي تقضي به المحكمة الموقرة.

وثيقة رقم (٤١).

مقتطفات من نص الوثيقة (٤٢).

«وكان جناب السيد السند العالم الورع البرّ التقي السيد محمد علي نجل العلاّمة الجليل السيد البرّ السيد محمد مهدي السيد إبراهيم أيدهما اللّه ممن هاجر إلى النجف الأشرف لتحصيل العلوم الدينية وصرف برهة من عمره الثمين في خدمة الدين وجدّ واجتهد حتى حاز المراتب السامية وأحرز ملكة الاجتهاد مع ورع وسداد وضمّ إلى شرف أعراقه كرم أخلاقه وإلى طيب غرسه طهارة نفسه فأصبح علمًا من الأعلام... إلخ».

حرر في زاوية النجف الأشرف المقدسة رجب الأصب سنة ١٣٥٧ هـ

الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء

توقيع وختم



وثيقة رقم (٤٢).

ارسلت هذه الابيات الى الاخ الفاضل الشيخ محمد جواد مغنيه في ربيع الثاني ١٣٥٣

اني احييك اذ اراك كئيبا ... فدع التفكر والحرج التقطيبا

فلئن خليت من الدراهم ساعة ... فلقد خلينا اشهرا وحقوبا

اخي لا تجزع ولا تقنط فذا ... امر على الفضلاء ليس غريبا

وكل الامور الى مليك منعم ... يعطي فيجزل بكرة وغروبا

ما قول هذا قول صاحب خبرة ... لم يخش فيه الكذب والتأنيبا

ان الدراهم للجروح بلاسم ... ولهذا [illegible]

وثيقة رقم (٤٣).

مهاجرو السنغال والعرفان

كان من نتيجة مساعي النائب الكريم السيد رشيد بيضون ورفيقه الاستاذ كامل مروه لإفراج عن العرفان وما بلغ النائب بيضون المهاجرين الكرام هذه البشرى على مائدة الوطني الأديب الحاج مصطفى عياد حتى تسابقوا للاشتراك فسلموا نائبنا الكريم قيمة خمسين اشتراكا وبعد ذلك سلموه خمسين اشتراكا الجملة مائة اشتراك قيمتها خمسمائة ليرة سورية تكرم بزيارتنا وسلمنا القيمة تماما وأرسلنا الأعداد للمشتركين ابتداء من هذا الجزء إلا إذا أراد بعضهم أن يقتني الأجزاء الخمسة الماضية فنرسلها له إذا طلبها والباقي منها غير كثير وارسلنا لكل منهم المجلد ١٤ اعترافا بجميلهم واليك اسماؤهم الكريمة

عبد النبي صائغ ، محمود فخري ، ابراهيم شام ، السيد حسن جواد شرف الدين ، حيدر شمس ، مصطفى سلامه ، حسن قبوني ، حبيب فخر الدين ، موسى حسن ، فريد عاصي محمد فاروق ، ابراهيم درويش ، السيد كامل خليل ، حسن محمد قاسم ، محمد شمس ، ابراهيم طالب ، احمد الزيات ، محمود بارود ، محمد فقيه ، محمد محمود بديرـ محمد علي بري ، شريف الرضي وفلزدان ، عبد المجيد حلباوي ، عبد الحسين قديح ، اديب صفا ، صالح حجازي ، الحاج مصطفى عياد ، حمدان ابناء عم ، الحاج علي بجصون ، عارف حدرج ، اسعد دخل الله ، السيد شريف بدر الدين

مجلة العرفان - مجلد 28 - ص 667

وثيقة رقم (٤٤).

وثيقة رقم (٤٥).

الجمهورية اللبنانية
وزارة الداخلية
المديرية العامة للأحوال الشخصية

بيان قيد عائلي
عن سجلات المقيمين
لإحصاء ١٩٣٢

القضاء
محل ورقم القيد
رقم ٩٨/٦٢١٢٤٤

الاسم والشهرة	اسم الأب	اسم الأم وشهرتها	محل وتاريخ الولادة	المذهب	متأهل أعزب	ذكر أنثى	تاريخ التسجيل وكيفيته	ملاحظات

وثيقة رقم (٤٦).

وثيقة رقم (٤٧)

وثيقة رقم (٤٨)



صورة رقم (١) هو خَثْيُ البَقَـرِ، هـو ما يخـرجُ من ذات بطونها، يُجمعُ ذلك الخَـثْـيَ ويُخلط بقليلٍ من التِّبنِ العُـورِ؛ أي النَّـاعم وتُصنعُ منه أقراص تُـلْطَعُ أي تُـلصقُ على حائطٍ أو ما شابه لتجفَّ، ثم يُستعمل كوسيلة للتَّـدفئة أو الطهي أو إشعال نار.



صورة رقم (٢). عام ١٩٨٦ انطلاق العمل الجهادي في الصورة يظهر حمزة دياب وأنيس معلم ومحمد عميص وعلي كلوت إلى جانب الشهيد داود داود في ساحة البلدة.



صورة رقم (٣) مجموعة هضاب لا تقل عن ١٣ هضبة متوسطة الارتفاع، تنتشر في الجهات الأربع، وتتخللها مساحات منبسطة أشبه بحقول صغيرة



صورة رقم (٤) رأس الدوري ومنحدراته مطلع الثمانينات خاليا تمامًا من البناء



صورة رقم(٥). منزل محمد علي موسى خليل ياسين (أبو علي)
قرب الساحة العامة وهو بحاجة لترميم.





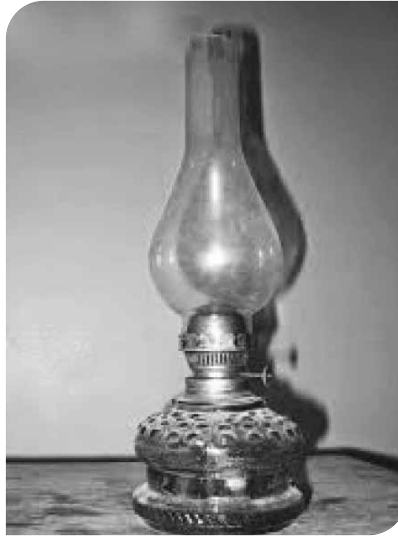


صورة رقم (٦). بيت أبو سعد اللّه (علي حسن خليل) بالقرب من الساحة العامة.



صورة رقم (٧) غرفة المونة وكانت من أهم أركان البيت، مؤلفة بشكل أساسي من الكوارة التي استخدمت لحفظ الحبوب والطحين.







صورة رقم (٨) وسائل الإنارة كانت تعتمد النواصة والسراج واللوكس



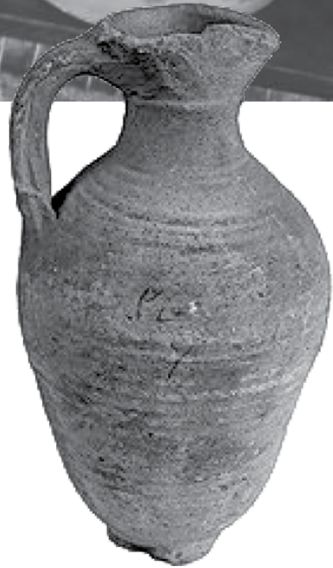
صورة رقم (٩) صاجة الخبز وتوضع إلى جانب لكن العجين والموقدة وطبلية وكارة













صورة رقم (١٠) الكبكة الحلّة، الطنجرة، الزعنونة، البرنية، القصعة، الجرة، الإبريق.



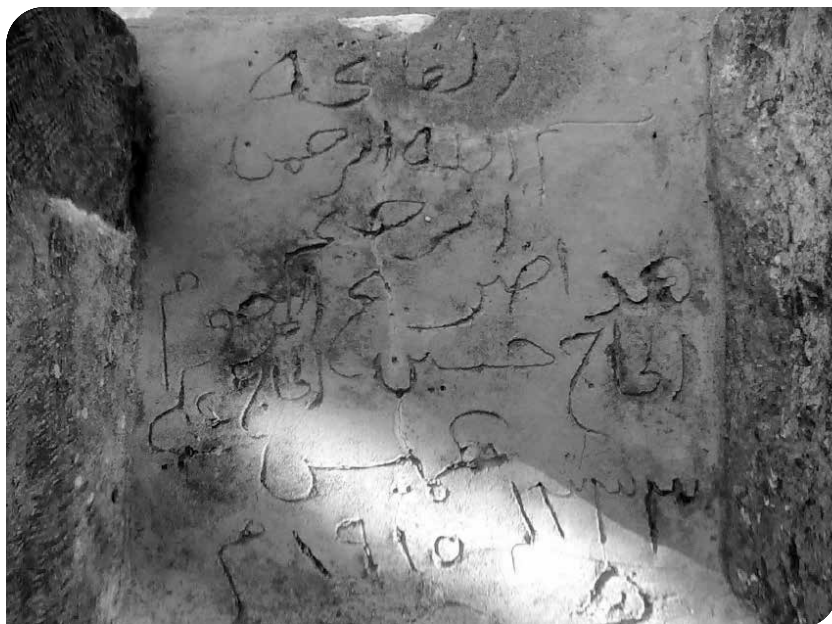
صورة رقم (١١) الخلقينة على الموقد وكمية من القمح المعدّ للسلق







صورة رقم (١٢) التذرية والجاروشة وكانت موجودة في كل دار وتستعمل لجرش البرغل وكافة أنواع الحبوب والغربال.



صورة رقم (١٣) قبر الحاج حسين عميص





صورة رقم (١٤) كامل قبيسي (أبو سمير)، كان يتقن إصلاح وابور البريموس



صورة رقم (١٥) المنجل من أدوات الزراعة



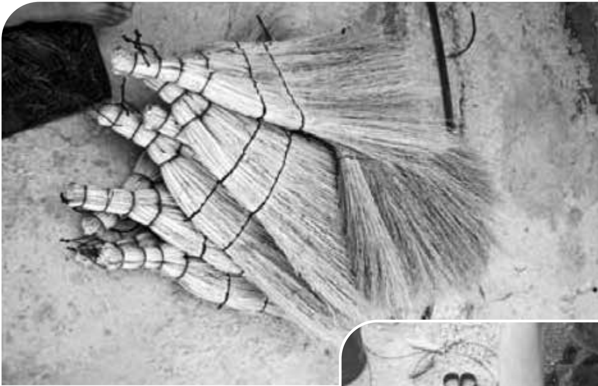




صورة رقم (١٦) نموذج من عملية شك التبغ وتنشيره



صورة رقم (١٧) التون أو الكباره وباللّهجة الفلاحيه (التشباره) وهي حفرة في الأرض على شكل هرمي بعمق يزيد عن الـ٣ أمتار، توضع بداخلها الحجارة الكلسية لصنع الكلس.





صورة رقم (١٨) من أدوات صنع المكانس : مسلّة (إبرة كبيرة)، حزام، مقعد خشبي، مقص، سكين كبير الحجم، خيطان، مدقة خشبية، مشط معدني.







صورة رقم (١٩) الحاج قاسم الحاج إبراهيم عميص
يقص شعر الحاج عبد الحسين سبيتي (أبو محمد)



صورة رقم (١٩) عدّة المجلّخ طاولة خشبية لها شكل هرمي مثبّت فيها دولاب خشبي كبير من الأسفل وآخر صغير من الأعلى فيه حجر دائري معدني صغير، متصلين بقشاط جلدي يتحركان عندما يدوس بقدمه من أسفل.



صورة رقم (٢٠). أحد بيوت البلدة عائد الى عبدو عيسى معلّم قام ببنائه عام ١٩٣٤ بحسب ما هو منقوش على عتبة باب الدار، المعلم حسن من بلدة جون.



صورة رقم (٢١) نموذج كتّاب، وهو شكل من أشكال المدارس.



صورة رقم (٢٢) الشيخ إبراهيم زهر الدين من محلة برج البراجنة، أحد أساتذة مدرسة عبّا، وكان مقيمًا في البلدة، ومنزله بحارة الضيعة بالقرب من منزل محمد عبدو حسن معلّم.



صورة رقم (٢٣) تظاهرة عبّاوية في مدينة النبطية، لتجديد الولاء
لعطوفة الزعيم كامل بك الأسعد، وأركان اللائحة الشعبية ويظهر فيها بحسب الترقيم كل من:

١-علي محسن. ٢-أبو سليم عز الدين. ٣-أبو يحيى عميص. ٤-كامل عبد الحليم. ٥-توفيق علي حسين أحمد. ٦-إسماعيل علي حسين. ٧-والد أبي أشرف. ٨-عبد الكريم قاووق. ٩-من آل عميص. ١٠-عبد اللّه حريري. ١١-يوسف علي حسين. ١٢-شريف علي حسين أحمد. ١٣-أبو حسين قاووق. ١٤-أبو الدكتور قاووق. ١٥-عبد اللطيف حسين أحمد. ١٦-خليل يونس أحمد. يظهر إلى يسار الصورة ذكي حسين عبدو مرتديًا بلوزة مخططة بالأسود.



صورة رقم (٢٤) مجموعة صور تبين بعض نشاطات الحركة الاجتماعية
- استقبال جماهيري في ساحة البلدة:
١-أبو خليل محمد حسن خليل. ٢-جميلة محمد خليل. ٣-محمد ياسمين.
٤-عبدو حسين أحمد. ٥-أبو موسى حسين. ٦-عبدو معلم. ٧-علي حسين أحمد.
٨-أبو فضل أمين. ٩-إبراهيم يونس. ١٠-حسين علي حسين. ١١-محمد فحص.



١-محمد سليم. ٢-المحافظ. ٣-إبراهيم توفيق. ٤-شريف توفيق.
٥-محمد السيد حسين. ٦-أبو طالب.



١-علي عبد اللّه حمود. ٢-محمد صالح. ٣-محمد السيد حسين. ٤-أحمد السيد حسين. ٥-علي يونس. ٦-إسماعيل موسى أحمد. ٧-نجيب يوسف. ٨-خليل علي محمود. ٩-حسين علي يونس. ١٠-سليمان عميص. ١١-مصطفى علي مصطفى. ١٢-حسن دياب. ١٣-موسى جفال. ١٤-أبو محمد سليم. ١٥-أبو سمير نمرة.









نماذج صور رقم (٢٥) نماذج من الأنشطة الرياضية من خلال الأندية والجمعيات.











صورة رقم (٢٦) اللباس في مناسبات اجتماعية، وكان يجمع الجيلين بحيث لا يوجد صعوبة في التمييز بين من يلبس الزي الشرقي والغربي في الصورة بحسب الترقيم يظهر كل من:

١-سعيد إبراهيم يونس. ٢-أبو طلال شريف إسماعيل. ٣-علي حسن خليل. ٤-يوسف علي حسين. ٥-زينو قاووق. ٦-علي يونس أحمد. ٧-حسين عبدو إسماعيل. ٨-أبو سعيد حسين علي حسين. ٩-عبدو حسين أحمد. ١٠-إبراهيم يونس أحمد. ١١-علي حسين أحمد.



صورة رقم (٢٧) ما كان شائعًا في عبّا من أنواع السجائر (اوكي وبافرا).

مجموعة صور رقم (٢٨) لعرس علي عبد الكريم قاووق عام ١٩٧٢، الذي حضره جمع غفير من أهالي البلدة والبلدات المجاورة وشخصيات عامة بحسب الترقيم، وهي على التوالي:



١-أبو كرم ٢-شابة فرنسية تدعى (إناس فرنيه)، وهي من جيران عبد الكريم قاووق في حي كليمنصو في بيروت.



١-فوزية (أم سمير). ٢-بنت نعيم عز الدين. ٣-نجيبة مروة من بلدة الزرارية.
٤-أبو خليل قاووق. ٥-أبو حسن خليل علي محمود. ٦-علي الهونيني.
٧-علي حسن يونس. ٨-أبو السبع.



١-النائب فهمي شاهين. ٢-يحيى قاووق. ٣-أبو طلال شريف إسماعيل.
٤-أبو سمير زعرور من مكتب كامل الأسعد.



١-أبو حسيب جفال. ٢-عازف المنجيرة من كفررمان. ٣-أبو حمزة.
٤-عبد الكريم قاووق أبو سمير. ٥-علي الهونيني.

صورة رقم (٢٩) حفل تأبين في النادي الحسيني لأحمد حسن خليل والد (أبو سعد اللّه) وهي تضم بحسب الترقيم على التوالي:



١-إبراهيم حسن خليل (أبو نايف). ٢-سعد اللّه . ٣-أبو سعد اللّه.
٤-أحمد حسن حسين. ٥-وهبي جواد. ٦-أبو زين شقيق (قاسم العبّاوي).
٧-علي شريف عبد اللّه . ٨-علي يونس أحمد. ٩-حسين علي يونس.
١٠-أحمد صالح. ١١-محمد أحمد يوسف.

مجموعة صور رقم (٣٠) مسيرات عاشورائية ولطميات وندبيات وضريبة حيدر في عبّا















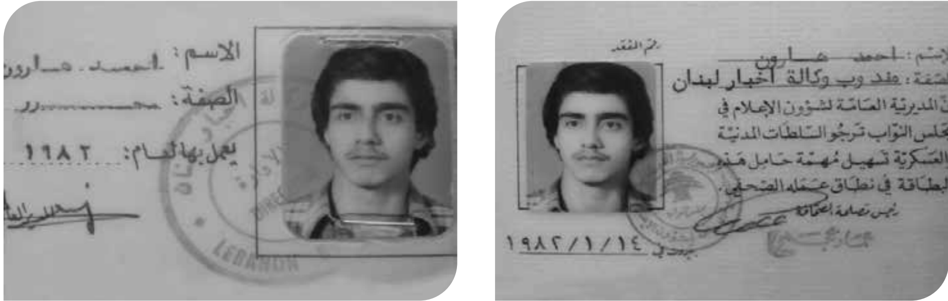








صورة رقم (٣٠) يظهر في الصورة جانب من نشطات لجنة عاشوراء رفع الرايات في الساحة العامة والطريق العام


رقم المقعد
لاسم : احمد هارون
لصفة : مندوب وكالة أخبار لبنان
ن المديرية العامة لشؤون الإعلام في
جلس النواب ترجو السلطات المدنية
العسكرية تسهيل مهمة حامل هذه
لبطاقة في نطاق عمله الصحفي.
رئيس مصلحة الصحافة
بيروت في ١٩٨٢/١/١٤

الاسم : احمد هارون
الصفة: محرر
يعمل بها لعام: ١٩٨٢

صورة رقم (٣١) بطاقة محرر صحفي



صورة رقم (٣٢) المتسلق باسل حيان ترحيني نجل حفيد محمد خليل ترحيني (أبو فايز)



صورة رقم (٣٣) وفد عبّا في ذكرى أسبوع الشهيد الشيخ راغب حرب يتقدمهم العلاّمة السيد محمد علي إبراهيم

بسم الله الرحمن الرحيم

في ذكرى المرحوم الشهيد الشيخ راغب حرب في ذكرى الأسبوع
أنشدناها أنا والمرحوم السيد أحمد محمود علي حسين شرجين سويا والكلام
إلى السيد احمد المذكور اعلاه قلنا

غيبة يا بدر المعالي صبر لنا عا العشم بجمعة
سبع تيام بليالي ما نشف للعين دمعة

غيبة يا بدر المعالي = صبر لنا عا العشم بجمعة
سبع تيام بلياليها = ما نشف للعين دمعة

وفي ذكرى اربعين الشيخ المذكور اعلاه أيضاً نشدنا سويا
والكلام إلى السيد احمد قلنا سويا

من عاملة وأرض الجنوب بلبنان واحد نا الليه
تا يفهموا كل الشعب كل يوم عندنا أربعين
وشكراً

صورة رقم (٣٤) قصيدة ألقيت في ذكرى أسبوع الشيخ راغب حرب أنشدها أبو حسين حريري وأحمد محمود علي حسين